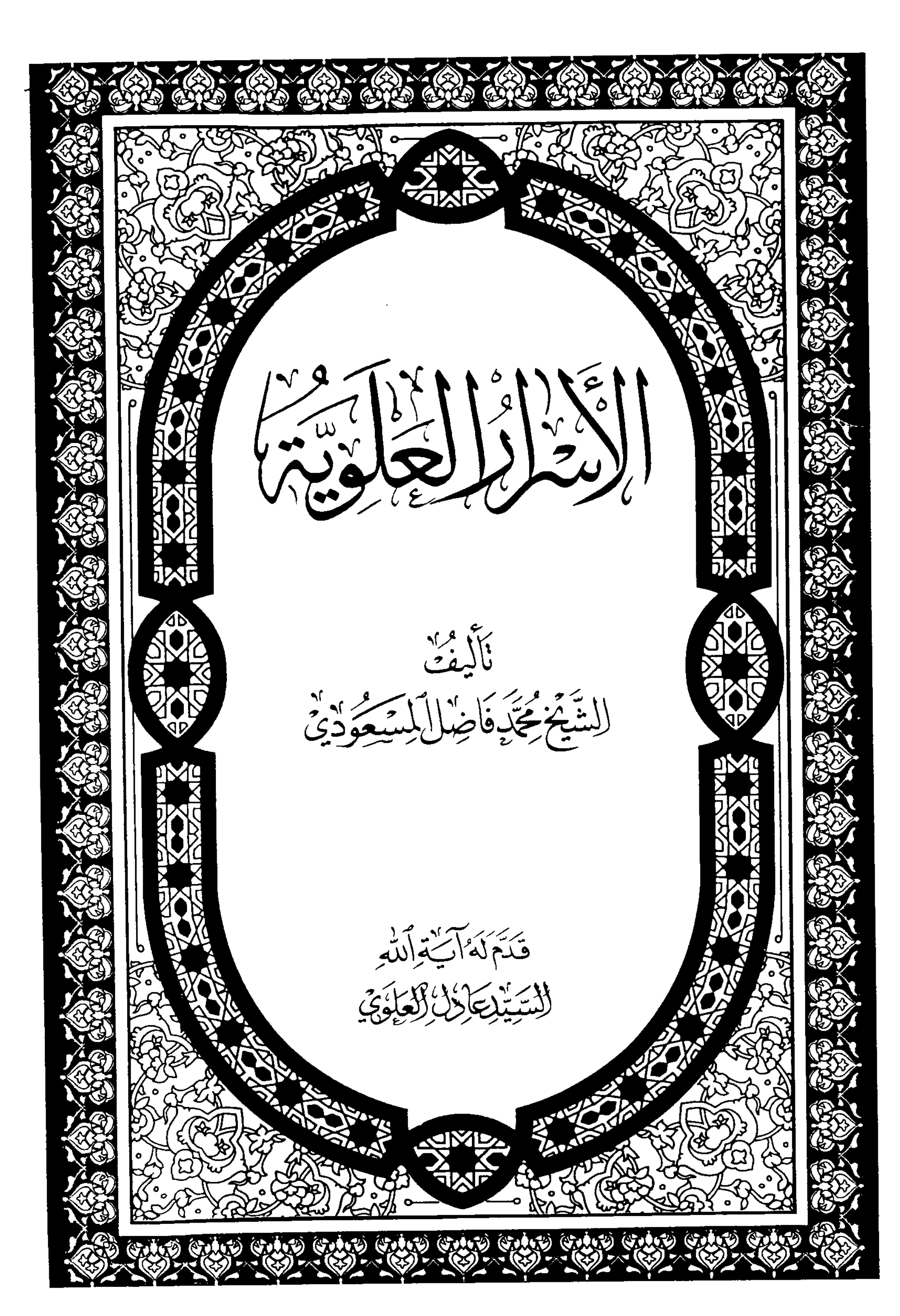


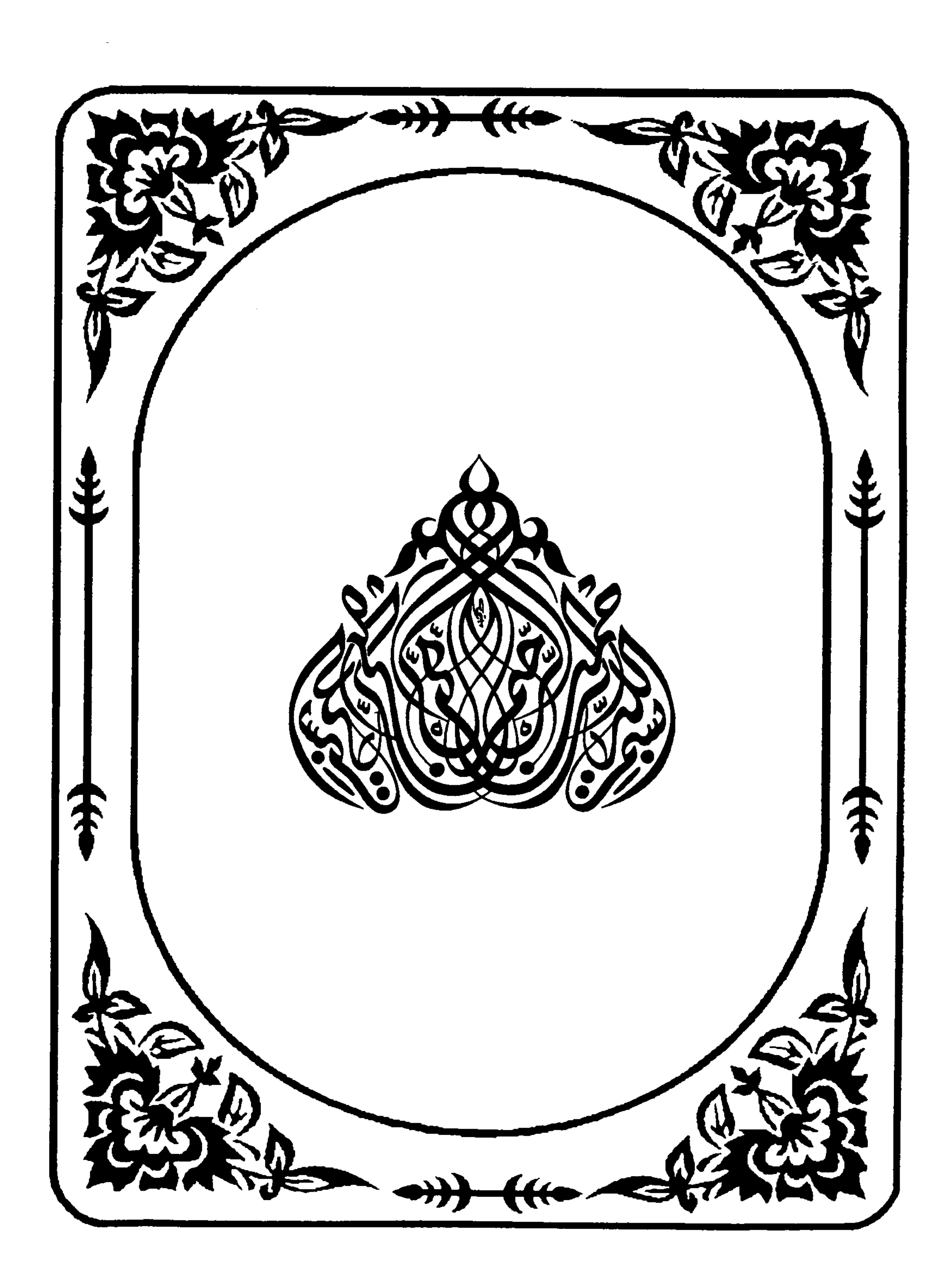
الأسرار العلوية

تأليف

الشيخ محمد فاضل المسعودي

قدم له آية الله

السيد عادل العلوي





منشورات طليعة النور

▣ اسم الكتاب:	أسرار العلوية ▣
▣ المؤلف:	محمّد فاضل المسعودي ▣
▣ الناشر:	طليعة النور ▣
▣ الطبعة:	الأُولى ▣
▣ تاريخ الطبع:	١٣٨٤ ▣
▣ الكمية:	٣٠٠٠ نسخه ▣
▣ المطبعة:	ظهور ▣
▣ شابك:	٩٦٤ـ٧٠٥٢ـ٧٢ـ٣ ▣

مركز التوزيع : قم ـ پاساژ قدس ـ الطابق الاوّل ـ رقم ٥٩ ـ تليفون: ٧٧٤٤٦٦٣ـ٠٢٥١ـ٩٨+

العراق ـ النجف الأشرف ـ سوق الحويش ـ النقال: ٠٧٨٠١٠٠٣٥٧٢




الإهداء

إلى ربيبة الفضل وحليفة الندى....

إلى شقيقة مصباح الهدى وسفينة النجاة...

إلى شريكة الشهيد بمصابه بكربلاء...

إلى كفيلة السجاد في نوائبه...

إلى ربّة الخدر والطهارة والقداسة...

إلى صاحبة الصون والعفاف والحياء...

إلى سرّ أبيها في الشدائد والمحن..

إلى السيدة العقيلة المعظمة ...

إلى كعبة الرزايا والمآسي...

إلى أُمّ المصائب... إلى عقيلة الطالبيين...

إلى سيدتي ومولاتي الحوراء زينب بنت أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليهما السلام...

أُهدي هذا الجهد المتواضع راجياً من الله تعالى القبول والغفران لي ولوالديّ ولمن ينتفع بهذا الكتاب يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم.




تقريض في عام طبع الكتاب

لأستاذ الخطباء ومعلم الشعراء الشيخ محمّد سعيد المنصوري

كتابٌ حَوىٰ «الأسرارَ» في صنوِ أحمدٍ … كتابٌ جليلُ القدرِ عذبُ المنَاهِلِ

بشأنِ «عليٍّ» يبتدي ثمّ ينتهي … بأسرارِهِ العظمىٰ وحُسنِ الخصائِلِ

ومن أجلِ اظهارِ الحقيقة آيَةً … تَولّاه بالإتقانِ يزبرُ «فاضل»

دَعاهُ إلى التّأليفِ صدقُ وَلائِه … لِيَعْسوبِ دينِ اللهِ ربِّ الفضائل

فذالِكَ سِرُّ الأَنْبِياءِ وَكَهْفُهُمْ … وملجأُهُمْ في حَلِّ أَعْتىٰ المشاكل

ولو لَمْ يقرّوا فيه بعد (مُحمّدٍ) … وَصيّاً؛ (وذو فضل مِنَ الله شامِل)

لمَا كانَ ما قد كانَ مِمّا نَجَوا به … ولا مُنِحُوا مِنْ بَعْدُ أَسمى المنازِلِ

فخُذْ عابراً عن صاحب الحوتِ صورةً … وعَنَ كُتُبِ القَومِ الثّقاتِ الأوائلِ

وَسَل بعد تسبيحِ الإلهِ بِمَنْ دَعا … وقال: اغثْني وَهْوَ أصدقُ قائلِ

فَأنجاه رَبُّ العرشِ بعد عَنائِه … وأمطرَه مِما أراد ـ بوابِل

فَهَلْ بسوى حامي الحمىٰ لاذَ فاحتمىٰ … وقد كانَ عند الحوتِ أُكْلَةَ آكِلِ؟

كذلكَ كُلُّ الأنبيا في امِتحانِهِمْ … «عَليٌّ» لهُم قد كانَ أقوىٰ الوسائِلِ

نجاتُهُمُ في ذِكرهِ قَبْلَ خَلقِهِ … فَهَلْ لِعَليٍّ في الورى من مُماثل؟

هنيئاً لَكَ الْعَقبىٰ (محمّدُ) (فاضلٍ) … بتَأْليفكَ الأسرارَ غُرَّ الدّلائِلِ

ففي كِلِّ حرفٍ للوصيّ تَخُطُّهُ … ستحضىٰ غدا عن ذاكَ منه بِنائل...

فَقُلْ يا أميرَ المؤمنين ونُورَهُمْ … وأعظمهَمُ عندَ انعقادِ المحافِلِ

فدائُكَ روحي والذّي ملَكَت يَدي … وَهذا يَسيْرٌ في جنَابِكَ يا «عَلِيْ»

وَاسْقِطْ من المجموعِ وتراً ولا تزِدْ … متىٰ قُلتَ اَرِّخْ «انَّ حبّكَ شاغلي»

٥١ + ٣٠ + ١٣٤١ =

١٤٢١هـ

كلمة التقريض

أطلعنا الشيخ الجليل الخطيب اللّبيب، ولدنا البار المؤلف القدير «محمّد فاضل القيّم المسعودي» أيّده الله وسدده عندما وافانا بمنزلنا في «قم المقدسة» أطلعنا على كتابه ـ الذي قام بتأليفه، وتصنيفه، جديداً بعد مؤلفاته السابقة المطبوعة والمخطوطة وفقه الله تعالى ـ في أمير المؤمنين عليه السلام الذي أسماه بـ(**الأسرار العلويّة**).

فطلب منا تقريضه وتأريخه فمررنا على بعض فصوله وقرأنا صفحاتٍ منها فراق لنا ترتيبه وتبويبه،... ومحتوياته من «الأسرار» التي هى العمدة في بحث «المؤلف» دالة على حسن اختياره وقدرته في انتخاب المهم من الأمور في هذا المضمار، وأسرار الإمام عليه السلام وأفكاره وآثاره هي كالشمس في رابعة النّهار كلّما ذكرت أو نشرت أزدادت تألّقاً مع العلم إنّ شخصيّة الإمام عليّ عليه السلام هي أغنى الشّخصيّات عن التّعريف بها، أي ليست بحاجةٍ إلى بيان أو إعلان، ولكنّ الأقلام كما نراها اصطرعت، وتسابقت، وتنافست، في تصويرها راسمةً ما كان من نزاع بينه عليه السلام وبين الباطل في ألوان مختلفة وأشكالٍ متباينة؛ وفي معترك هذه الأقلام المهتدية منها والزّائفة تجد الحقيقة معلنةً بأنّ الإمام نفسٌ كبيرة، منذ شهدت الدُّنيا إلى أن اختارها الله إلى جواره. ولا يخفى على من استشرى في هذه المسرحيّة كلّ المراجع ممّا كُتب عن الإمام خاصّة وما تحدث عنه عرضاً، قديمها وحديثها، وعرف منها رأي احبائه ـ ورأي أعدائه ـ وقلّب الأخبار على وجوهها. ووازن بين الرّوايات، واستوثق من أصحّها. وكان رائده الدراسة العاقلة، والبحث الدقيق، إنّ نضاله وشجاعته وتقواه وإيثاره وعدله عليه السلام، حقيّقٌ أن يلقنه الصغير وأن يذكر به الكبير، على مسرح الحياة في تمثيل يشترك فيه العقل الفردي والجمعي، وتلوّن فيه الأحوال للنّاظر والسّامع قريبة من طبيعتها، ليروا البطولة الصّادقة المتجردة لله؛ وفي سبيل الله ومن تلكم الأقلام المتنافسة فيما ذكرنا وبيّنا قلم الأستاذ المسعودي حفظه الله ووفّقه بمنّه إلى انجاز ما أراد من خير واستهدف من نفع، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون... وإنّ كتابه هذا «الأسرار العلويّة» شاهد في ذلك ومعبر عمّاً هنالك، وعلى القارىء الكريم ان يقرأه بدقة، ويعطيه من التقييم حقه وما استحقّه والله سبحانه هو المجازي وهو المعين «وهو نعم المولى ونعم النصير»، وإنّي أحثه على الإستمرار في هذا العمل الكبير المهم وهو نشر فضائل ومناقب أهل البيت عليهم السلام، وها نحن قد استجبنا له بكتابة التّأريخ المثبوت في الصفحة المتقدمة وتقبّل الله منّا ومنه ووفّقنا وإيّاه والمؤمنين والمؤمنات لما فيه خير الدّنيا والآخرة والحمد لله أوّلاً وآخراً وظاهراً وباطناً وعليه التّكلان.

محمّد سعيد المنصوري

قم المقدسة / ١٥ شوال / ١٤٢١هـ

تقديم العلّامة آية الله
السيّد عادل العلوي

البارقة الحيدريّة[1]
في الأسرار العلويّة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمّد وآله الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم ومنكري فضائلهم من الآن إلى قيام الدين.

أمّا بعد:

فاعلم أنّ الحديث والكلام عن أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين أسد الله الغالب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام من الأمر الصعب المستصعب الذي لا يتحمّله إلّا ملك مقرّب أو نبيّ مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه بالإيمان، فإنّ ابن عمّ الرسول وزوج البتول إمام المتّقين ويعسوب الدين عليّ عليه السلام إنّما هو سرّ الله وسرّ الأسرار، وإنّه جوهرة الوجود قد صنعها الله سبحانه وتعالى بيدي العلم والقدرة، وصاغها النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله بروحه النوريّة ونفسه الملكوتية، بل المولى الأمير عليه السلام هو شجرة التوحيد[2] في دوحة الوجود، قد غرسها الله سبحانه بيد المجد والعظمة، وسقاها النبيّ المصطفى محمّد صلى الله عليه وآله بأنواره

---

(١) مقدّمة لهذا الكتاب (الأسرار العلويّة) بقلم الشيخ محمّد فاضل المسعودي.

(٢) إشارة إلى الحديثين الشريفين: «لا إله إلّا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي» و «ولاية عليّ بن أبي طالب حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي»، ومع حذف الحدّ الوسط المتكرّر تكون النتيجة: كلمة التوحيد ولاية عليّ عليه السلام.

اللاهوتيّة وأسراره القدسيّة، وإنّ الخلق ليعجز عن جمال معرفته، وكشف سرّ من أسراره، أو بيان كنهه وحقيقته، فإنّه سرّ الوجود والموجود، بل سرّ السرّ الذي لا يقف على فتح كنوزه وخزائنه إلّا خالقه وربّه الذي فيه تجلّى وظهر، لا يعرفه حقّ المعرفة إلّا خاتم الأنبياء والمرسلين محمّد ﷺ، وقد اشتهر في الحديث النبويّ الشريف: «يا عليّ لا يعرفك إلّا الله وأنا» وما معرفة الخلق لعليّ إلّا كقطرة من بحار مواجّة ومتلاطمة، بل نداوة سحر على زهرة حمراء من محيط لا يدركه البصر.

فلو كانت السماوات والأرضين قراطيس، وكانت البحار مداداً، والأشجار أقلاماً، والملائكة والإنس والجنّ كُتّاباً، على أن يكتبوا فضائل أمير المؤمنين عليّ عليه السلام لعجزوا عن ذلك، فكيف لو أرادوا أن يفتحوا سرّاً من حقيقته المكنونة وولايته العظمى ؟! فإنّ الله سبحانه وتعالى هو الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، لا ثاني له في مقام الواحديّة، ولا تركيب فيه في مقام الأحديّة، فإنّه ليس بجسم وإلّا للزم التركيب والاحتياج والإمكان الذي يتنافى مع كونه عزّ وجلّ واجب الوجود لذاته بذاته في ذاته، إلّا أنّه لو[1] كان لله عزّ وجلّ أن يتجسّد سبحانه وتعالى ولا يتجسّد، لتجسّد في مثل الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وقد ورد نظير هذا في إذن الدخول على الأئمة الأطهار عليهم السلام وأنّهم نور واحد وكلّهم محمّد كما ورد: «أوّلنا محمّد، أوسطنا محمّد، وآخرنا محمّد، كلّنا محمّد»[2] وقد ورد عن النبيّ الأكرم ﷺ: «عليّ منّي وأنا من عليّ» فكلاهما من شجرة واحدة ونور واحد[3]، وهذا يعني أيضاً أنّ أوّلهم عليّ، وأوسطهم عليّ، وآخرهم عليّ، وكلّهم عليّ، كلّهم شؤونات متجلّية حسب الظروف والزمان للحقيقة المحمّدية الواحدة.

وأمّا الذي ورد في إذن الدخول فإليك المقطع التالي شاهداً: «... والحمد لله الذي مَنَّ

---

(١) «لو» حرف امتناع لامتناع، كما في النحويات والأدب العربي.

(٢) المصدر: ١٣٤.

(٣) راجع إحقاق الحقّ وتعليقاته، فإنّ الروايات عن كتب العامّة فضلاً عن كتب أصحابنا الإماميّة.

علينا بحكّام يقومون مقامه لو كان حاضراً في المكان ولا إله إلّا الله»[١]، وفي الزيارة الرجبيّة عن مولانا صاحب الأمر عليه السلام: «المأمونون على سرّك... لا فرق بينك وبينهم إلّا أنّهم عبادك...».

وربما يتبادر إلى ذهن بعض القرّاء أنّ مثل هذه المقولات، وكذلك ما يذكر من بيان وشرح فضائل أهل البيت عليهم السلام ومقاماتهم القدسيّة وفيضهم الأقدس، من الغلوّ المنهيّ عنه.

فإنّه ورد عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «هلك فيَّ رجلان: محبٌّ غالٍ، ومبغضٌ قالٍ»[٢].

وقال عليه السلام: «نحن النمرقة الوسطى[٣]، بنا يلحق التالي، وإلينا يرجع الغالي»[٤].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: صنفان من أُمّتي لا نصيب لهم في الإسلام: الناصب لأهل بيتي حرباً، وغالٍ في الدين مارقٍ منه[٥].

وقال صلى الله عليه وآله مخاطباً أمير المؤمنين عليه السلام: يا عليّ مَثَلك في أُمّتي مثل المسيح ابن مريم، افترق قومه ثلاث فرق: فرقة مؤمنون وهم الحواريون، وفرقة عادوه وهم اليهود، وفرقة غلوا فيه فخرجوا عن الإيمان، وإنّ أُمّتي ستفترق فيك ثلاث فرق: ففرقة شيعتك وهم المؤمنون، وفرقة عدوّك وهم الشاكّون، وفرقة غلوا فيك وهم الجاحدون، وأنت في الجنّة يا عليّ وشيعتك ومحبّو شيعتك، وعدوّك والغالي في النار[٦].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: اللهمّ إنّي بريء من الغلاة كبراءة عيسى بن مريم من

---

(١) مفاتيح الجنان لخاتم المحدّثين الشيخ عبّاس القمّي: ٣١٢.

(٢) نهج البلاغة: الحكمة ١١٧.

(٣) النمرقة: الوسادة.

(٤) نهج البلاغة: الحكمة ١٠٩.

(٥) الوسائل ١٤: ٤٢٦.

(٦) البحار ٢٥: ٢٦٥.

النصارى، اللهمّ اخذلهم أبداً ولا تنصر منهم أحداً.

قال الصادق عليه السلام: احذروا على شبابكم الغلاة لا يفسدوهم، فإنّ الغلاة شرّ خلق الله يصغّرون عظمة الله ويدّعون الربوبية لعباد الله، والله إنّ الغلاة لشرّ من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا.

ثمّ قال عليه السلام: إلينا يرجع الغالي فلا نقبله، وبنا يلحق المقصّر فنقبله. فقيل له: كيف ذلك يا بن رسول الله ؟ قال عليه السلام: الغالي قد اعتاد ترك الصلاة والزكاة والصيام والحجّ، فلا يقدر على ترك عادته وعلى الرجوع إلى طاعة الله عزّ وجلّ أبداً، وإنّ المقصّر إذا عرف عمل وأطاع[1]... وهناك أحاديث كثيرة في هذا المضمار لم نتعرّض لها طلباً للاختصار.

ولكن لا بدّ لنا من توضيح معنى الغلوّ ومعرفة الغلاة ولو على نحو الإشارة والإجمال وبمقدار ما يناسب هذه العجالة، حتّى يتبيّن الحقّ، ويعلم أنّ ما يقال ونقول فيهم ليس إلّا قطرة من بحار مقاماتهم الشامخة، وإنّما هو بمقدار عقولنا ووجودنا، لا بمقدار ما هم عليه، فإنّه في عالم الإمكان والممكنات لا يقاس بهم أحد، وأنّهم دون الخالق وفوق المخلوق في كلّ عوالمهم ومعالمهم ومقاماتهم الرفيعة.

ما هو الغلوّ؟ ومن هم الغلاة؟[2]

اعلم أنّ الغلاة فِرَق حُسبت على الشيعة في كتب الملل والنحل، وشيعة أهل البيت عليهم السلام ـ تبعاً لأئمتهم الأطهار عليهم السلام ـ براء منهم، والغلاة إنّما ظهرت في عصر الأئمة الأطهار عليهم السلام من أجل حبّ الجاه والمقام والإباحية ومآرب أُخرى، ثمّ حملت عقائد فاسدة من اُلوهية عليّ والأئمة الأطهار عليهم السلام أو نبوّتهم، أو نسبت الصفات الإلهية إليهم استقلالاً وبالذات، إلّا أنّ الأئمة عليهم السلام أنكروا عليهم ذلك غاية الإنكار، ولعنوهم أشدّ اللعن، وتبرّأوا منهم، وحذّروا الشيعة من مفاسدهم وخطرهم وألاعيبهم، ومن

---

(١) المصدر ٢٥: ٢٦٩.

(٢) أشرت إلى ذلك بالتفصيل في رسالة (ماذا تعرف عن الغلوّ والغلاة ؟)، فراجع.

بعدهم عليهم السلام تصدّى علماؤنا الأعلام في مصنّفاتهم ومواقفهم الحاسمة ضدّ تيّارات الغلاة وإلى يومنا هذا.

ولا يخفى أنّ أساس الفِرَق كما هو مذكور في كتب الملل والنحل، إنّما يرجع إلى الجهل وحبّ الدنيا وزخارفها من حبّ الرئاسة والإطراء والسمعة وغير ذلك.

وقد ورد في الحديث النبويّ الشريف المشهور عند الفريقين السنّة والشيعة أنّه: « ستفترق أُمّتي ثلاث وسبعين فرقة، وكلّها هالكة إلّا واحدة »، فعند العامّة: « ما عليه أنا وأصحابي »، وهذا مردود لاختلاف الأصحاب فيما بينهم، وكذلك ما ورد في بعض الأخبار: « ما عليه الجماعة »، فإنّهم لم يتّفقوا على كلمة واحدة، ولا يصحّ صحّة الروايات جميعاً لاختلافها، فيبقى ما ورد فيها كلمة « أهل البيت عليهم السلام »، وإنّ الداني والقاصي ليشهد بفضلهم ومقامهم السامي، كما يدلّ على صحّة ذلك العقل والنقل من الآيات القرآنية، كآية التطهير والولاية، وكذلك الأحاديث الثابتة المتواترة كحديث الثقلين والغدير والسفينة وغيرها.

ثمّ المراد من السبعين وما زاد ليس خصوص العدد، بل المراد الكثرة.

ومن الفرق الأساسية الشيعة، فمنهم من قسّمهم إلى الغالية والرافضة والزيدية، ومنهم إلى خمسة وعشرين فرقة، ومنهم من زاد حتّى أوصل فرق الغلاة إلى اثنتين وستّين، ومنهم إلى مئة فرقة، ومنهم من زاد. وإنّما تكثّرت فرق الغلاة لعلل وأسباب مذكورة في محلّها، وتسمّت بأسماء باعتبار عقائدها الفاسدة، أو أصحابها وروّادها الأوائل.

والغلوّ على وزن فعول مصدر (غلى يغلو)، وهو لغةً: بمعنى الإفراط والارتفاع وتجاوز الحدّ في كلّ شيء والخروج عن القصد، ولو زاد ثمن المتاع عن المتعارف في الأسواق فإنّه يُسمّى (غالياً)، وإن تجاوز العصير عند إسخانه عن حدّه يعبّر عنه بالغليان، والسهم الذي يتجاوز القوس يسمّى بالغَلو، ومنه (غلوة سَهم)، فتستعمل كلمة الغلوّ فيما يتجاوز عن حدّه مع الإفراط، وربما يستعمل مع التفريط أيضاً.

وقد ذكر الغلوّ في القرآن الكريم في أربع مواضع، في آيتين بمعنى الغلوّ في الدين،

وفي آية بمعنى الفوران والغلي في وصف شجرة الزقّوم، واستعمل في الروايات والأخبار بالمعنيين أيضاً.

والمراد من الغلوّ اصطلاحاً هو المروق والخروج عن الدين والانحراف عن مذهب الحقّ باعتقاد الإلوهيّة في شخص أو حلول الله فيه، ويسمّى بالغلوّ في الذات، أو اعتقاد من لم يكن نبيّاً أنّه نبيّ، أو نسبة الأوصاف الإلهية كالعلم الذاتي المطلق والخالقية والرازقية على نحو الاستقلال وبالذات لغير الله، ويسمّى: الغلوّ في الصفات.

فينقسم الغلوّ حينئذٍ إلى قسمين: الغلوّ في الذات والغلوّ في الصفات، وكان الغلوّ بقسميه في الأُمم السابقة قبل الإسلام كما كان بعده، فمن يرى الأُلوهيّة في شخص كالعزير بن الله عند اليهود، أو المسيح عيسى كما عند النصارى، أو عليّ بن أبي طالب كما عند الغلاة، فهذا من الغلوّ في الذات، ومن يرى الصفات الإلهيّة على نحو الاستقلال وبالذات لواحد من البشر، فهذا من الغلوّ في الصفات، ولكن من يرى ذلك لشخص في طول الله لا في عرضه حتّى يلزم الشرك، وأنّه بإذنه وبالتبع لإرادته سبحانه، كأن يخلق من الطين طيراً بإذن الله عزّ وجلّ، فهذا من الحقّ الحقيق ودونه من التقصير والتفريط. وما نقوله في أئمّتنا عليهم السلام إنّما هو من هذا الباب.

ثمّ الغلوّ في الصفات قد اختلف علماؤنا الأوائل في بطلانه، وفي بداية الغيبة الكبرى وقع نزاع بين مدرستين:

١ ـ المدرسة البغدادية: التي تتمثّل بالفقهاء الفطاحل والمحدّثين الكبار كالشيخ الكليني والشيخ المفيد وشيخ الطائفة وعلم الهدى عليهم الرحمة، وغيرهم، والتي كانت تجابه مدارس العامّة ومذاهبهم الذين انحرفوا بالانحراف التفريطي وقصّروا في حقّ أهل البيت عليهم السلام، حيث أزاحوهم عن مراتبهم الحقّة، وخلافتهم الصادقة.

٢ ـ المدرسة القمّية: والتي تتمثّل بالمحدّثين، ومنهم الشيخ الصدوق وشيخه ابن الوليد عليهم الرحمة، وقد ابتلوا آنذاك بالغلاة والانحراف الإفراطي.

ثمّ كان محور النزاع بين المدرستين حول علم الإمام وعصمته، وبعض مقاماته الغيبية.

فالشيخ الصدوق يرى من لم يعتقد بسهو النبيّ فهو من الغلاة، ومن يقول بالشهادة الثالثة في أذانه فهو من المفوّضة وهم طائفة من الغلاة، ولكنّ المدرسة البغدادية ترى القول بذلك من التقصير في الاعتقاد، بل يجوز عندهم كما هو الحقّ، أن يقال في حقّ أئمة أهل البيت عليهم السلام كلّ شيء إلّا الربوبيّة، كما ورد عنهم عليهم السلام: «نزّلونا عن الربوبيّة وقولوا فينا ما شئتم ولن تبلغوا»[1]، ففي علم الإمام تذهب المدرسة البغدادية إلى أنّه يعلم الإمام عليه السلام بما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة، إلّا أنّه لا على نحو الاستقلال وبالذات، بل بإذن من الله سبحانه، فعلمهم من العلم الإمكاني وإنّه رشحة من رشحات العلم الإلهي الوجوبي المطلق، فشذّ الشيخ الصدوق ببعض معتقداته، حتّى اشتهر بين علمائنا الأعلام خلال ألف عام، أنّ القول بسهو الصدوق في هذا الباب أولى من القول بسهو النبيّ صلى الله عليه وآله، فأمسى ما يعتقده الشيخ الصدوق عليه الرحمة في سهو النبيّ وفي الشهادة الثالثة من الشاذّ النادر، والنادر كالمعدوم لا وقع له.

وقفة مع بعض المنحرفين

لقد ذكرنا أنّ من فرق الغلاة (المفوّضة) القائلون بأنّ الله سبحانه قد فوّض الأمر والخلق إلى الأئمة الأطهار على نحو الاستقلاليّة وأوّلاً وبالذات، وكانت مدرستهم رائجة في إيران في عصر شيخنا الصدوق قدس سره، وقد انبرت المدرسة القمّية وعلى رأسها الشيخ الصدوق لمحاربة الغلاة بفرقها الضالّة، ومنهم المفوّضة آنذاك، وكان من شعارهم وجوب الشهادة الثالثة في الأذان والإقامة كما يظهر من ردّ الصدوق العنيف، ومن الواضح أنّ من يقول بالوجوب والجزئية آنذاك فإنّه قد خالف الإجماع وما عليه المشهور، والشيخ الصدوق يرى القول بالوجوب من مثل المفوّضة الغلاة بدعة وضلال، ويعلم أنّه إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه، فأنكر عليهم مذهبهم المنحرف غاية الإنكار، انطلاقاً من إنكار قولهم بالجزئية في الشهادة الثالثة بصورة خاصّة.

---

(١) ذكرت تفصيل ذلك في رسالة (جلوة من ولاية أهل البيت عليهم السلام)، مطبوع في المجلّد الخامس من موسوعة (رسالات إسلامية)، فراجع.

ثمّ علمائنا الأعلام تلامذة الصدوق ومن عصر شيخنا المفيد وشيخنا الطوسي شيخ الطائفة وسيّدنا علم الهدى السيّد المرتضى عليهم الرحمة، وإلى يومنا هذا ـ أي أكثر من ألف سنة ـ أجمعوا على صحّة الأذان والإقامة بالشهادة الثالثة، إلّا أنّه لا بقصد الجزئيّة، تمسّكاً بالأدلّة الفقهيّة العامّة الدالّة على ذلك، كما هو ثابت في محلّه[1].

إلّا أنّه وللأسف الشديد أخيراً ظهرت بعض النعرات الضالّة والمضلّة من حناجر أصحاب النفوس الضعيفة، التي تحبّ الشهرة والظهور بين الناس ولو على حساب الدين والمذهب والمقدّسات ـ فكانوا كالذي أراد أن يشتهر بين الناس بأيّ ثمن، فأشاروا إليه ـ معذرةً ـ أن يبول في بئر زمزم، فإنّ هذا البئر مقدّس عند جميع المسلمين، فمن يفعل تلك الشنيعة فإنّه سرعان ما يشتهر بين الناس ـ كذلك ضعاف النفوس ومن كان في قلبه مرض فزاده الله مرضاً، وأصحاب العقول الهزيلة، طلباً للشهرة ولعقدهم النفسيّة، ونفوسهم

---

(١) جاء في كتاب (القطرة من بحار مناقب النبي والعترة) للعلّامة السيّد أحمد المستنبط، الصفحة ٣٦٨: قال:

ثمّ إنّي أختم هذا الباب (الباب الثامن) بذكر تشهّد الصلاة للصادق عليه السلام حيث اشتهر في ألسنة بعض الناس إنكار الشهادة بالولاية في الأذان والإقامة مع ما ورد في خبر القاسم بن معاوية المروي عن احتجاج الطبرسي عن أبي عبد الله عليه السلام: «إذا قال أحدكم لا إله إلّا الله محمّد رسول الله فليقل عليّ أمير المؤمنين وليّ الله» غافلاً عن كونها جزءاً من الصلاة استحباباً على ما روي عن الصادق عليه السلام، وإنّما أورد الرواية لندرة وجودها وشرافة مضمونها، وكثرة فوائدها في زماننا هذا لمن تدبّر فيها، حتّى أنّ العلّامة النوري قدس سره غفل عنها فلم ينقلها في المستدرك، والرواية مذكورة في رسالة معروفة بفقه المجلسي قدس سره مطبوعة في صفحة (٢٩) ما هذا لفظه: ويستحبّ أن يزاد في التشهّد ما نقله أبو بصير عن الصادق عليه السلام وهو: (بسم الله وبالله و والحمد لله وخير الإسماء كلّها لله وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، أرسله بالحقّ بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، وأشهد أنّ ربّي نعم الربّ، وأنّ محمّداً نعم الرسول، وأنّ عليّاً نعم الوصي ونعم الإمام، اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد وتقبّل شفاعته في اُمّته وارفع درجته، والحمد لله ربّ العالمين).

ولا يخفى أنّ علماءنا الأعلام قد صنّفوا وألّفوا في الشهادة الثالثة مؤلّفات كثيرة وبلغات مختلفة.

المريضة، اختاروا تهديم مقدّسات الأُمّة وعقائدهم الثابتة بنقدهم الهدّام وبالتشكيك والتضليل بتلاعب الألفاظ والتزوير واتّباع المتشابهات، ومنها مقولة الشيخ الصدوق عليه الرحمة، وهو يجهل تلك الظروف الخاصّة وشأن صدور تلك المقولة، وإنّي لأعلم أنّ بعض من يتمسّك بكلام الصدوق عليه الرحمة لا يؤمن بالشيخ نفسه أبداً، وإنّه يتغافل ـ لما في قلبه من مرض ـ عن الإجماع المحقّق بعد الشيخ وإلى يومنا هذا، فهو كالسامري سوّلت له نفسه ليضلّ الناس، فيتبجّح بمقولة الشيخ الصدوق في الشهادة الثالثة. فما الحيلة لمن كان قلبه مريضاً، وعقله سقيماً، وأساء السوء حتّى كذّب بآيات الله سبحانه، فيترك الأمر المحكم والبيّن الواضح كوضوح الشمس في رائعة النهار، ويختار المتشابه ليضلّ به البسطاء والسذّج من الناس. ولكن فليعلم أنّ الله لبالمرصاد، وأنّ الصبح لقريب، وأنّ الساعة لآتية لا ريب فيها، فيتميّز الخبيث من الطيّب، وأهل النار من أهل الجنّة.

وتبقى صرخة (أشهد أنّ عليّاً وأولاده المعصومين حجج الله) على المآذن في كلّ ربوع الأرض، رغماً على الأعداء والخصماء.

سيبقى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وصوته الحقّ واسمه المبارك يدوّي على المآذن في عالم الوجود وفي الكون الرحب الوسيع، وإنّ الله ليتمّ نوره، وهو عليّ ابن أبي طالب عليه السلام، ولو كره المشركون والمنحرفون.

واعلم أيّها الضالّ المنحرف عن الحقّ ـ عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ ـ إنّك لتحتاط جهلاً بعدم ذكر الشهادة الثالثة في أذانك وإقامتك، إلّا أنّ الأحوط عندنا في خلافه، فإنّ الشهادة الثالثة التي هي روح الأذان والإقامة، قد أصبحت شعاراً للمؤمنين الموالين لمذهب أهل البيت عليهم السلام، وإنّهم يفدون الرقاب من أجل الولاية، وهيهات هيهات أن تمحو ـ أنت ومن مثلك وفي خطّك ـ اسمه الشريف ولو كان بعضكم لبعضٍ ظهيراً، فإنّ الله ليتمّ نوره، ولو كره الضالّون والمضلّون.

وإنّي لأترفّع أن أقصد بكلامي هذا شخص خاصّ، بل مقصودي بيان الحقّ الحقيق وإنارة الطريق، ودعوة الناس جميعاً إلى أن يعرفوا الحقّ بالحقّ، ويعرفوا الرجال بالحقّ، لا الحقّ بالرجال، فاعرف الحقّ تعرف أهله، والذين جاهدوا في الله خالصاً، فإنّه سيهديهم السُّبل والصراط المستقيم.

اهدنا الصراط المستقيم

وقد ورد في الصحيح عند الفريقين ـ السنّة والشيعة[1] ـ أنّ الصراط المستقيم هو ولاية أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام. والمؤمن في كلّ صلاة وفي فاتحة الكتاب يدعو ويطلب من ربّه أن يهديه الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين. والمتمثّل في عبادة الله حقّاً:

﴿ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾[2].

والذى يطلق على الدين الإسلامي الحنيف:

﴿ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً ﴾[3].

﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾[4].

وبالصراط المستقيم يصل العبد إلى سعادة الدارين:

﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ ﴾[5].

ولا يخفى أنّ الصراط صراطان: صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة، وأحدهما يعبّر عن الآخر، وبينهما تلازم في العلم والعمل.

عن المفضّل بن عمر قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الصراط فقال: هو الطريق إلى معرفة الله عزّ وجلّ، وهما صراطان: صراط في الدنيا وصراط في الآخرة، فأمّا الصراط الذي في الدنيا فهو الإمام المفروض الطاعة، من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مرّ على

---

(١) راجع في ذلك كتاب (إحقاق الحقّ وتعليقاته) لسيّدنا الأُستاذ السيّد النجفي المرعشي قدس سره ٧: ١١٤ ـ ١٢٥.

(٢) يس: ٦١.

(٣) الأنعام: ١٦١.

(٤) آل عمران: ٨٥.

(٥) الأنعام: ١٥٣.

الصراط الذي هو جسر جهنّم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا زلّت قدمه عن الصراط في الآخرة فتردّى في نار جهنّم»[١].

والإمام السجّاد يعرّف المصداق الأتمّ للصراط المستقيم في قوله عليه السلام: «ليس بين الله وحجّته ستر، نحن أبواب الله، ونحن الصراط المستقيم، ونحن عيبة علمه، ونحن تراجمة وحيه، وأركان توحيده، وموضع سرّه»[٢].

عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾[٣]، قال: والله عليّ عليه السلام هو والله الميزان والصراط المستقيم[٤].

عن أبي عبد الله في حديث، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى لو شاء لعرّف العباد نفسه، ولكن جعلنا أبوابه وصراطه وسبيله والوجه الذي يؤتى منه، فمن عدل عن ولايتنا، أو فضّل علينا غيرنا فإنّهم عن الصراط لناكبون[٥].

ومن نكب عن الصراط المستقيم فإنّه في جهنّم وبئس المهاد.

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: الصراط الذي قال إبليس (لأقعدنّ لهم الصراط المستقيم)، فهو عليّ عليه السلام[٦].

فالشيطان منذ اليوم الأوّل أقسم بعزّة الله سبحانه أنّه يغوي ويضلّ الناس جميعاً إلّا عباد الله المخلصين، وقليل من عباد الله المخلصين، فارتدّ الناس بعد رسول الله عن ولاية أمير المؤمنين ويعسوب الدين أسد الله الغالب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلّا القليل،

---

(١) البحار ٨: ٦٦.

(٢) البحار ٨: ٧٠.

(٣) الحجر: ٤١.

(٤) تفسير البرهان ٢: ٣٤٤.

(٥) الكافي ١: ١٨٤.

(٦) شواهد التنزيل ١: ٦١.

وقد قال رسول الله ﷺ في ولايته وحقّه: «فوَعزّة ربّي وجلاله إنّه لباب الله الذي لا يؤتى إلّا منه، وإنّه الصراط المستقيم، وإنّه الذي يسأل الله عن ولايته يوم القيامة»[١].

وقال ﷺ: أتاني جبرئيل عليه السلام فقال: أُبشّرك يا محمّد بما تجوز على الصراط ؟ قال: قلت: بلى، قال: تجوز بنور الله، ويجوز عليّ بنورك، ونورك من نور الله، وتجوز أُمّتك بنور عليّ، ونور عليّ من نورك ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلْ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾[٢].

وقال ﷺ: إذا كان يوم القيامة ونصب الصراط على جهنّم لم يجز عليه إلّا من كان معه جواز فيه ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وذلك قوله تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ ﴾[٣]، يعني عن ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام[٤].

وقال ﷺ: إذا جمع الله الأوّلين والآخرين يوم القيامة ونصب الصراط على جسر جهنّم لم يجز بها أحد إلّا من كانت معه براءة بولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام[٥].

وفي حديث وكيع، قال أبو سعيد: يا رسول الله، ما معنى براءة عليّ عليه السلام ؟ قال: لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله، عليّ وليّ الله[٦].

وقال ﷺ في حديث طويل: وإنّ ربّي عزّ وجلّ أقسم بعزّته أنّه لا يجوز عقبة الصراط إلّا من معه براءة بولايتك وولاية الأئمة من ولدك.

وعنه ﷺ: إذا كان يوم القيامة يقعد عليّ بن أبي طالب على الفردوس ـ وهو جبل قد علا على الجنّة فوقه عرش ربّ العالمين، ومن سفحه تنفجر أنهار الجنّة وتتفرّق في

---

(١) المصدر ١: ٥٩.

(٢) النور: ٤٠.

(٣) الصافّات: ٢٤.

(٤) البحار ٨: ٦٩.

(٥) فرائد السمطين ١: ٢٩٨.

(٦) مناقب آل أبي طالب ٢: ١٥٦.

الجنان ـ وهو جالس على كرسي من نور يجري بين يديه التسنيم، لا يجوز أحد الصراط إلّا ومعه براءة بولايته وولاية أهل بيته، يشرف على الجنّة فيدخل محبّيه الجنّة ومبغضيه النار[1].

عن أبي عبد الله عليه السلام: (ربّنا آمنّا واتّبعنا مولانا ووليّنا وهادينا وداعينا وداعي الأنام وصراطك المستقيم السويّ، وحجّتك وسبيلك الداعي إليك على بصيرة هو ومن اتّبعه، سبحان الله عمّا يشركون بولايته وبما يلحدون باتّخاذ الولائج دونه، فاشهد يا إلهي أنّه الإمام الهادي المرشد الرشيد عليّ أمير المؤمنين الذي ذكرته في كتابك وقلت: ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[2] لا أُشركه إماماً ولا أتّخذ من دونه وليجة)[3].

فحقيقة الصراط المستقيم وسرّه هو ولاية أمير المؤمنين عليّ وأولاده الأئمة المعصومين الأحد عشر عليهم السلام، وولايتهم تمثّل ولاية الرسول الأعظم خاتم الأنبياء محمّد صلى الله عليه وآله، وإنّ ولايتهم جميعاً تمثّل ولاية الله العظمى جلّ جلاله، وبهذه الولاية وتجلّياتها وظهوراتها وشؤونها يصل الإنسان إلى سعادة الدارين.

قال الإمام الصادق عليه السلام: الصراط المستقيم أمير المؤمنين عليه السلام.

وقال أمير المؤمنين مولانا الإمام عليّ عليه السلام: أنا الصراط الممدود بين الجنّة والنار، وأنا الميزان.

فسلام الله أبد الآبدين على الصراط المستقيم والميزان القويم، مولانا أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، الذي أخذ الله ميثاق النبيّين والوصيّين والأولياء الصالحين على ولايته وولاية أولاده الأئمة الطاهرين عليهم السلام.

---

(١) فرائد السمطين ١: ٢٩٢.

(٢) الزخرف: ٤.

(٣) البحار ٢٤: ٢٣.

أمير المؤمنين عليّ عليه السلام سرّ النبوّة

عن أبي الحسن عليه السلام قال: ولاية عليّ عليه السلام مكتوبة في جميع صحف الأنبياء، ولن يبعث الله نبيّاً إلّا بنبوّة محمّد صلى الله عليه وآله وولاية وصيّه عليّ عليه السلام.

فلا تتمّ النبوّة لنبيّ من آدم وما دونه إلّا أن يقرّ بنبوّة خاتم الأنبياء والمرسلين محمّد صلى الله عليه وآله وولاية وصيّه وخليفته بلا فصل أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين عليّ عليه السلام.

وفي حديث المعراج قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لمّا أُسري بي في ليلة المعراج واجتمع عليّ الأنبياء في السماء، أوحى الله تعالى إليّ: سلهم يا محمّد، بماذا بعثتم ؟ فقالوا: بعثنا على شهادة أن لا إله إلّا الله وحده، وعلى الإقرار بنبوّتك، والولاية لعليّ عليه السلام[1].

وفي حديث آخر عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لمّا أُسري بي إلى السماء إذا ملك قد أتاني فقال لي: يا محمّد ﴿ وَٱسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا ﴾[2] على ما بعثوا ؟ قلت: يا معاشر الرسل والنبيّين، على ما بعثكم الله ؟ قالوا: على ولايتك وولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام[3].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما تكاملت النبوّة لنبيّ في الأظلّة حتّى عرضت عليه ولايتي وولاية أهل بيتي ومثلوا له فأُمروا بطاعتهم وولايتهم.

قال أبو جعفر عليه السلام: ولايتنا ولاية الله التي لم يبعث نبيّاً قط إلّا بها[4].

وستقف أيّها القارئ الكريم على بعض معارف هذه الأحاديث الشريفة من خلال الكتاب القيّم (الأسرار العلويّة) وأنّه كيف كان أمير المؤمنين عليّ عليه السلام مع الأنبياء سرّاً ومع خاتمهم النبيّ المصطفى محمّد صلى الله عليه وآله جهراً.

واعلم أنّ ولايته عرضت على الخلق كلّه، على السماوات وما فيها، وعلى الأرض

---

(١) ينابيع المودّة ٢: ٦٢.

(٢) الزخرف: ٤٥.

(٣) تأريخ دمشق ٢: ٩٧.

(٤) بصائر الدرجات: ٨٥.

ومن عليها، فمنهم من قبل وآمن فتقرّب من الله، وكان من أهل الجنّة في مقعد صدق. ومنهم من أنكر وكفر كما كفر بالله وبرسوله الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله[١]، فكان وقوداً لجهنّم وبئس المصير.

أجل إنّ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام قد اشتقّ اسمه المبارك من العليّ الأعلى سبحانه وتعالى، وقد تجلّى ربّه فيه، وظهرت أسماؤه الحسنى وصفاته العليا في وجوده المبارك، فكان خليفة الله في الأرض وفي عالم الوجود بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو سرّ الله في الكون.

ومن الجهل أن يُعرف ونثبت إمامته في مثل يوم الغدير فحسب، حتّى تنكر في مثل السقيفة الطاغية الظالمة. بل الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام إمام الخلق قبل خلق الخلق، وإنّه إمام الكلّ بالكلّ، وافتقار الكلّ إليه وغناه عن الكلّ بعد رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله، لدليل واضح وبرهان قاطع على أنّه إمام الكلّ بالكلّ. وهذه سنّة تكوينية ثابتة منذ بدء الخلق، ولن تجد لسنّة الله تبديلاً ولا تحويلاً، كما أنّها فريضة تشريعيّة بنصٍّ من الله ورسوله.

وفي حديث طويل عن الإمام الرضا عليه السلام في معرفة الإمام وأنّ اختياره بيد الله وبالنصّ[٢]، قال: إنّ الإمامة هي منزلة الأنبياء وإرث الأوصياء، إنّ الإمامة خلافة الله وخلافة الرسول صلى الله عليه وآله ومقام أمير المؤمنين عليه السلام وميراث الحسن والحسين عليهما السلام، إنّ الإمامة زمام الدين ونظام المسلمين وصلاح الدنيا وعزّ المؤمنين، إنّ الإمامة أُسّ الإسلام النامي وفرعه السامي، بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحجّ والجهاد وتوفير الفيء والصدقات وإمضاء الحدود والأحكام ومنع الثغور والأطراف. الإمام يحلّ حلال الله ويحرّم حرام الله ويقيم حدود الله ويذبّ عن دين الله، ويدعو إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة والحجّة البالغة. الإمام كالشمس الطالعة المجلّلة بنورها للعالم وهي في الأُفق بحيث لا تنالها الأيدي والأبصار.

---

(١) ذكرت تفصيل ذلك في كتاب (هذه هي الولاية) المجلّد الخامس من رسالات إسلامية، مطبوع، فراجع.

(٢) الكافي ١: ٢٠٠.

الإمام البدر المنير والسراج الزاهر والنور الساطع والنجم الهادي في غياهب الدجى وأجواز البلدان والقفار ولجج البحار. الإمام الماء العذب على الظماء والدالّ على الهدى والمنجي من الردى... الإمام المطهّر من الذنوب والمبرّأ عن العيوب، المخصوص بالعلم الموسوم بالحلم، نظام الدين وعزّ المسلمين وغيظ المنافقين وبوار الكافرين، الإمام واحد دهره لا يدانيه أحد، ولا يعادله عالم، ولا يوجد منه بدل ولا له مثل ولا نظير، مخصوص بالفضل كلّه من غير طلب منه له ولا اكتساب، بل اختصاص من المفضّل الوهّاب.

فمن الذي يبلغ معرفة الإمام أو يمكنه اختياره، هيهات هيهات، ضلّت العقول وتاهت الحلوم وحارت الألباب وخسئت العيون وتصاغرت العظماء وتحيّر الحكماء وتقاصرت الحلماء وحصرت الخطباء وجهلت الألبّاء وكلّت الشعراء وعجزت الأُدباء وعييت البلغاء عن وصف شأن من شأنه، أو فضيلةٍ من فضائله، وأقرّت بالعجز والتقصير، وكيف يوصف بكلّه، أو ينعت بكنهه، أو يفهم شيء من أمره، أو يوُجد من يقوم مقامه ويغني غناه. لا وكيف وأنّى ؟ وهو بحيث النجم من يد المتناولين ووصف الواصفين، فأين الاختيار من هذا ؟ وأين العقول عن هذا ؟ وأين يوجد مثل هذا ؟

أجل، سيّدي ومولاي هيهات هيهات للبشرية جمعاء أن تصف شأن من شأنكم ومن شأن جدّكم أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، أو فضيلة من فضلكم، أو يدرك شيء من أمركم وأسراركم كما هي ؟ لا كيف وأنّى وأنتم كواكب الوجود ونجوم الكون، وأين العقول عن هذا ؟ وأين يوجد مثل هذا ؟ ! !

سيّدي ومولاي، أيّها الإمام المفترض الطاعة والولاية، يا ثامن الحجج عليّ بن موسى الرضا عليك صلوات الله أبد الآبدين، كلّما نقول أو يقال من فضائلكم ومقاماتكم الشامخة، فإنّما هو معشار عشر، وواحد من مئة، وقطرة من بحار، ولمعة من شمس وضّاءة، وهل يمكن للبشر أن يكشف سرّ من أسراركم ؟ ! هيهات هيهات...

إلّا أنّه سيّدي ومولاي ووليّ نعمتنا، إذا كتبنا شيئاً فهو منكم وإليكم، وما الأسرار

الفاطمية والعلوية وتتلوها المحمّدية والحسنية والحسينية وبقيّة الأئمة الأطهار عليهم السلام إن شاء الله، إلّا لطف من ألطافكم وكأس ماء من بحار علومكم ومعارفكم، وإنّها كلمات قد صاغتها يراع موالٍ ومتفانٍ في حبّكم ومودّتكم...

ختاماً

وما أسعدني أن أرى مرّة أُخرى أنّ الجهود قد أثمرت، حينما يفوح الولاء الخالص من يراع ولدنا قرّة العين فضيلة الأُستاذ الفاضل سماحة الحجّة الشيخ محمّد فاضل المسعودي دام موفّقاً، ودامت إفاضاته العلمية والعملية، ليتحف العالم الإسلامي والمكتبة العربية مرّةً أُخرى بكتاب بديع وقيّم، وقد قرأته بتمامه، وأبديت بعض التعليقات، ووجدته يحمل بين طيّاته الحبّ الخالص والولاء المتسامي لأهل البيت عليهم السلام، وفي طليعتهم مولانا وإمامنا أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

فما أسعدك أيّها المسعودي، فإنّك بالأمس جئتنا بكتاب قيّم قد فتح طريقه ليدخل في قلوب المؤمنين رغم الحسّاد والأعداء، وما أروع اسمه المبارك (الأسرار الفاطميّة) متحدّثاً عن نبذة من أسرار أُمّنا المظلومة الشهيدة سيّدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام، واليوم تقدّم كتاباً آخر باسم (الأسرار العلويّة) لتحدّثنا مرّةً أُخرى عن بعض أسرار سيّد المظلومين أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، بمقدار وسعك وطاقتك البشرية، وإنّه لعمري ينبئ عن ودّك الشامخ وعطشك للولاء، فسقاك الله من الرحيق المختوم، ومن حوض الكوثر، من يد جدّنا الأطهر أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين عليّ عليه السلام، وإنّي بكلّ خضوع وأدب أطلب منك الشفاعة لي ولإخوانك في الدين في ذلك اليوم العصيب، بما حباك الله من العلم النافع والرائع، وأعطاك من السريرة الطاهرة من أبوين كريمين.

وما أروع ما يقوله الوزير الصاحب بن عبّاد:

لا عذّب الله أُمّي إنّها شربتْ	حبّ الوصيّ وغذّتنيهِ باللّبَنِ
وكان لي والدٌ يهوى أبا حسنٍ	فَصِرتُ من ذي وذا أهوى أبا حسنِ

وأخيراً:

نـادِ عـلياً مـظهر العـجائب[١] تـجده عـوناً لكَ فـي النـوائب

كـلّ هـمٍّ وغـمٌّ سـينجلي بولايتك يا علي يا عـلي يـا عـلي

ثبّتني الله وإيّاك وجميع المؤمنين والمؤمنات بالقول الثابت، والتمسّك بـولاية أمـير المؤمنين وأهل بيته الطاهرين، وجعل محيانا محياهم، ومماتنا مماتهم، وخلّقنا بأخلاقهم وآدابهم، ورزقنا الشهادة في سبيل ولائهم والبراءة من أعدائهم، وحشرنا في زمرة محمّد وآله، ورزقنا شفاعتهم آمين آمين لا أرضى بواحدةٍ حتّى يضاف إليه ألف آميناً، ورحم الله عبداً قال: آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

العبد

عادل العلوي

الحوزة العلمية ـ قم المقدّسة

٢٣ شعبان المعظّم ١٤٢١ هـ

---

(١) مظهر العجائب إمّا أن يقرأ (مُظهِر) ـ بضمّ الميم وكسر الهاء ـ أي الذي يُظهر العجائب في كلّ أبعاده الوجودية كقضاياه عليه السلام المشهورة في القضاء والحكم، أو (مَظْهَر) ـ بفتح الميم وفتح الهاء ـ كما هو المشهور بمعنى الذي ظهرت العجائب عليه كما ترى ذلك بوضوح في هذا الكتاب القيّم (الأسرار العلويّة) وربما بعض مباحثه يثقل فـهمه عـلى عـامّة النـاس، فالمفروض من أهل العلم والفضيلة شرح وتبسيط ذلك للناس، ولا بدّ من توعيتهم ورفـع مستوى الثقافة الجماهيرية في المجتمع الشـيعي الإسـلامي، فـإنّه ورد عـن الإمـام زيـن العابدين عليه السلام: «يأتي في آخر الزمان أقوام يتعمّقون»، وما في هذا الكـتاب إنّـما هـو مـن المطالب العميقة والدقيقة، فلا بدّ من التأمّل والتدبّر وشرح وبيان ذلك لعامّة الناس، وجزاكم الله عن أهل البيت عليهم السلام خير الجزاء. العلوي.

مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمّد وآله الطيبين الطاهرين، ثم الصلاة المخصوصة والمحبة المأثورة للشجرة النبوية والدوحة الهاشمية المضيئة المثمرة بالنبوّة والمونقة بالإمامة، أمين الله وخليفته في أرضه، وحامل سرّه وأسراره، والحاكم بأمره، والقيّم بدينه، والناطق بحكمته، والعامل بكتابه أخ الرسول وزوج البتول وسيف الله المسلول، صاحب الدلالات الواضحات والآيات الباهرات والمعجزات الظاهرات والكرامات الزاهرات، والمنجي من الهلكات، الذي ذكره الله في محكم الآيات فقال عز شأنه: ﴿وإنّه في أمّ الكتاب لدّينا لعليّ حكيم﴾، أعني به أسم الله الرضي، وسره المكنون والمكتوم أمير المؤمنين الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

أما بعد..

فلا يخفى على الباحث البصير العارف بأمور الدين والعقيدة، أنَّ جملة من التأليفات والتصنيفات والتحقيقات التي كتبت في معرفة شخصية مولى الموحدين وقائد الغر المحجلين أمير المؤمنين عليّ عليه السلام قد اتخذت في طيات بحوثها جوانب عديدة من تلكم الشخصية الفذة، فتارة تميزت بالسرد التأريخي وعبرت عن جانب من تلك الشخصية الربانية، وأخرى تميزت بالتحليل العلمي أو المقارنة العلمية والفكرية لحياته عليه السلام المملؤوة بالعظات والعبرة الإنسانية، والتي تمثلت في كافة المستويات الحياتية سواء القيادية منها أو السياسية أو الروحية والعلمية والعقائدية.

على أن هذا الكتاب قد اختلف في إطروحته من عدة زوايا في بحث الشخصية الروحية والمقامات الملكوتية لأمير المؤمنين عليه السلام، حيث استفدنا في كثير من الوجوه الدقيقة والأسرار المبحوثة والمطروحة في المقام من خلال الأمور المسموعة من الحجج الطاهرين عليهم السلام، أو من خلال الاستنباط الذي اعتمدنا عليه أولاً وقبل كل شيء من خلال الإستمداد والعون من أرواحهم القدسية، بالتوسل إلى الله تعالى بهم عليهم السلام وبمقاماتهم العلية، للتدبر في القرآن الكريم واستخراج بعض أسراره وحكمه في عقيدتنا في أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، وبالأضافة إلى ذلك الإعتماد على التدبرات المعتمدة في اطروحاتها على الأصول والقواعد العقلية والنقلية التي لا بد من الرجوع إليها حال التصنيف والتأليف والاستنباط.

على أن الأسرار المطروحة في القرآن الكريم، وأحاديث عدل القرآن عليهم السلام قسمان أحدهما عام والآخر خاص، وما طرح في هذا الكتاب من القسم العام الذي هو لمن يتحمل كلامهم وحديثهم ومعرفتهم بالمعرفة النورانية، أما القسم الخاص من الأسرّار المودعة في هياكلهم التوحيدية فيعجز أن يظهره قلم أو يتحمله فكر، فهو مخصوص بالكمّل من أصحابهم عليهم السلام، أمثال سلمان المحمّدي، وأبي ذر الغفاري، والمقداد وعمار هذا فضلاً عن أولاد المعصومين عليهم السلام، أمثال أبا الفضل العباس بن أمير المؤمنين أو مسلم بن عقيل أو زينب سلام الله عليهم أجمعين، وعلى هذا الأساس جاء هذا الكتاب ليمثل - انشاء الله تعالى - انعطافة أخرى في معرفة مقامات وأسرار سرّ الله في خلقه الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام بحسبنا لا بحسبه عليه السلام لأنه من الصعب المستصعب الذي لا يتحمله ولا يعرفه إلّا من هو مثله، فأترك الحديث عن خصوصيات الكتاب وما يحتويه من بحوث، ليأخذ طريقه إلى روح وقلب وفكر القاريء العزيز من خلال الوقوف على أبحاثه المهمة.

ولا يسعني وأنا أسطر هذه الكلمات المختصرة حول الكتاب الذي استغرقت كتابته - سنة ونصف السنة - إلّا أن أتقدم بالشكر الجزيل والثناء الجميل إلى إستاذي وأبي

الروحي العلّامة آية الله السيد عادل العلوي حفظه الله ورعاه، وأيده في الدارين بما يحب ويرضى إنه سميع مجيب، حيث تحمل عناء مطالعة الكتاب وابداء رأيه فيه، والتعليق عليه، في فترة هو كان أمس الحاجة فيها إلى الراحة والإطمينان، وذلك بعد إجراء العملية القلبية له، حيث مرت عليه الظروف الصحية الصعبة، أضف إلى ذلك تاركاً أبحاثه ومطالعاته الخاصة به، كل ذلك عشقاً منه لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام.

فأرجوا من الله تعالى وأسأله بحق أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أن يمنحه الصحة والشفاء العاجل لخدمة مذهب الفرقة الحقة، وكثّر الله من أمثاله من العلماء والأجلاء والأتقياء في حوزتنا العلمية المباركة.

محمد فاضل المسعودي

قم المقدسة

جوار السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام

٢١ شهر رمضان ١٤٢١هـ

ذكرى شهادة الإمام

أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام



البحث الأول

رسالة في حقيقة السّر

البحث الأوّل

رسالة في حقيقة السِّر

إنَّ الباحث عن حقيقة الأسرار الرّبانية المودعة في القرآن الكريم وفي عدله المتمثل في أهل بيت العصمة والطهارة محمّد وآل محمد عليهم أفضل الصلاة والسلام، ليقف متحيراً في معرفتها والوصول إلى كهنها، ذلك لأنّ نفس القرآن الكريم الذي هو كلام الرب عزّوجلّ صعب الوصول إلى حقائقه النورانية وأسراره الإلهية، فكيف بمن هو مفسّره ومجسده في الواقع الخارجي؟

وإلى ذلك أشير في الحديث على لسان مولى الموحدين حيث قال: «أنا القرآن الناطق»، فالقرآن صامت والإمام هو القرآن الناطق، وهذا يعني أنَّ الأسرار المودعة في القرآن الكريم لا يصل إليها إلّا من هو معصوم مثل القرآن، ومن هو صاحب أسرار لا يظهرها إلّا لمن يتحملها بحسبه لا بحسب المعصوم، لذا نجد لزاماً الوقوف عند ظاهر القرآن الكريم وعند معانيه اللغوية في حالة التفسير، فالقرآن يحوي الإشارة، واللطيفة، وكذلك الحال مع معرفة أهل القرآن ومن خوطبوا بالقرآن الكريم في معرفة أسرارهم وكنه حقيقتهم.

وعلى هذا الأساس يظهر لنا جلياً وجود الأسرار في القرآن الكريم ومن يمثل القرآن، على أنّه قبل الدخول في معرفة ظاهر أسرار شخصية مولى الموحدين وسيد العارفين عليّ بن أبي طالب عليه السلام لا بّد لنا من بيان ومعرفة حقيقة السرِّ لغة واصطلاحاً، وما هو الظاهر منه على لسان القرآن الكريم؟

وكيف يفسر لنا السّر الذي أشار إليه القرآن الكريم من هنا وهناك في آياته

المباركة، ثم نظرة على المأثور الروائي الذي ورّد على لسان أئمة الهدى ومصابيح الدجى محمد وآل محمد عليهم أفضل الصلاة والسلام وما قالوا في حقيقة السّر، وما هي تجليات ذلك السّر وأركانه ومقاماته؟

كل هذه الأسئلة يحتاج المؤمن العقائدي الوقوف عند حقائقها، ومعرفة بيانها الصحيح على ضوء الكتاب الكريم والسنة الشريفة، حيث الإستدلال العلمي والبرهان الصادق والكلمة الدقيقة الهادفة إلى معرفة حقيقة الأسرار وما تشير إليه.

إنَّ المتأمل في آيات القرآن الكريم يجد نفسه أمام مجموعة من الآيات المباركة أشارت إلى حقيقة السر كمصطلح قرآني طرحه الكتاب العزيز، من دون بيانه بالدقة التي يحتاج إليها الفاحص والباحث والناظر في المسائل العقائدية، فقد طرح القرآن الكريم كلمة السِّر، ولكن ما الّذي يقصد به؟ وما هو المراد منه؟

إذا أردت الجواب على ذلك يأتيك لسان القرآن الكريم على أنّه هذا الأمر لا يعلمه إلاعلاّم الغيوب، الذي هو مطّلع على جميع أسرار الموجودات، كيف لا؟

وهو خالقها وبارئها ومصورها ومدبر أمرها، وهو الذي يعلم مستقرها ومستودعها.

فالله عز وجل هو الذي يعلم باديء ذي بدء بحقيقة السِّر، والمراد منه في القرآن الكريم فهو الذي إختص بالسِّر الذي خلق به الخلق، وكان به غيب الغيوب، وسيأتينا خلال هذه الرسالة الوجيزة كيفية أختصاصه بالسِّر الرباني.

وعليه أولاً وقبل كل شيء لا بّد من معرفة آيات القرآن الكريم وما أشارت إليه في حقيقة السِّر، حيث يطالعنا القرآن الكريم. بآية منه أشارت إلى السِّر في قوله تعالى: **﴿قل أنزله الذي يعلم السّر في السموات والأرض إنّه كان غفوراً رحيماً﴾**[1].

---

(١) الفرقان: ٦.

فالله تعالى يعلم السِّر في السموات والأرض، والذي يظهر من الآية المباركة إنّ لفظ السّر هنا هو جنس السّر أي مطلق السّر يعلمه الله تعالى، فهو يعلم السّر وأخفى من السّر كما أشير إلى ذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**وإن تجهر بالقول فأنّه يعلم السّر وأخفى**﴾[1]، وسنتطرق في الصفحات الآتية إلى حقيقة السّر الذي ذكرته الآية الشريفة.

أما معنى السّر في اللغة والإصطلاح فقد قيل في شأنه عدّة تعريفات مختلفة لفظية ومعنوية، ومنشأ الإختلاف في هذه الحدود التعريفية إنما كان لإختلاف النظر في علته التي هي الأساس لوجوده، أما أهم الحدود الرسمّية التي عرفت بها السّر ومرادفاته فهي كالأتي.

١ ـ السّر: هو ما يخص كل شيء من الحق عند التوجه الإيجادي إليه، وهو عبارة عن محل تجليات الأسرار الجبروتية.

٢ ـ السّر: عبارة عن محل تجليات الأسرار الجبروتية. فالنفس للعوام والروح للخواص والسّر لخواص الخواص، النفس لأهل عالم الملك والروح لأهل عالم الملكوت والسّر لأهل عالم الجبروت ... فالسّر لطيفة مودعة في القلب كالروح.

أقول: هنا عُرف السر بأعتبار أن النفس والقلب والروح والسّر والباطن أسماء لمسمى واحد وهو اللطيفة الربانية التي كان بها الإنسان انساناً وتختلف أسماؤها بإختلاف أوصافها فإن مالت لجهة النقص سميت نفساً والتي من مراتبها النفس الأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي، وأنّ تخلصت من مقام الإسلام ـ اي انتقلت ـ إلى مقام الإيمان سميت قلباً وإن تخلصت منه إلى مقام الإحسان ولكن بقي أثر النقص كأثر الجراحات بعد البرء سميت روحاً، وإن ذهبت تلك الآثار وصفت سميت سراً وإن أشكل الأمر سميت بالباطن.

---

(١) طه: ٢٠.

٣ ـ السّر والأسرار: عبارة عن ما بطن في الأنوار من المعاني اللطيفة فالأسرار أرق من الأنوار فالأسرار للذات والأنوار للصفات لأنها أثرها، فالذات بعد التجلي بين أنوار ظاهرة وأسرار باطنة، وأما في حال الكنزية فما كان إلّا الأسرار فالجبروت كله أسرار والملكوت أنوار والملك أغيار وأكدار، فالوجود واحد فمن نظر إلى باطنه لم ير إلّا الأسرار، ومن نظر إلى ظاهره بعين الجميع لم يرَّ إلّا الانوار، ومن نظره بعين الفرق لم ير إلّا الأغيار جمع غير بالسكون ومن شغله عن التوجه إلى الله يتغيبه وأهواله كان في حقه اكدار وإنما سميت تجليات الحق أنواراً على وجه التشبيه لأن من شأن النور أن يكشف الظلمة ويذهبها وكذلك تجلى الحقّ يكشف عن ظلمة الجهل ويظهر العلم به ولذلك قالوا العلم نور والجهل ظلمة على وجه الإستعارة.

وأما السّر فهو الأمر الخفي الذي لا يدرك فلذلك في حقّ الحضرة الأزلية والمعاني القديمة أسرار وسموا الأرواح بعد التصفية أسراراً لأنها لما تصفت رجعت لأصلها وهي قطعت من السّر الجبروتي القديم فإذا استولت على الأشباح رجع الجميع...

٤ ـ السّر: يطلق فيقال سّر العلم بأزاء حقيقة العالم به وسّر الحال بأزاء معرفة مراد الله فيه وسر الحقيقة ما تقع به الإشارة.

٥ ـ السّر: كل ما خفي عن الأخرين وانفرد به حامله سمي سّراً.

٦ ـ السّر: هو الحديث المكتم في النفس قال تعالى: **﴿يعلم السّر وأخفى﴾**، وقوله تعالى: **﴿إنَّ الله يعلم سِّرهم ونجواهم﴾**، وسارَّه: إذا أوصاه بأن يسره، تسَّار القوم.

والأسرار: خلاف الإعلان قال الله تعالى: **﴿سراً وعلانية﴾** فالأسرار إلى الغير يقتضي إظهار ذلك لمن يخفى إليه بالسِّر وإن كان يقتضي من وجه الإظهار، ومن وجه الإخفاء.

٧ ـ السّر: هو ما يخص كل شيء من الحقّ عند التوجه الإيجادي إليه المشار إليه بقوله تعالى: ﴿**إنما قولنا لشيء إذا أردناه ان نقول له كن فيكون**﴾[١]، ولهذا قيل لا يعرف الحقّ إلا الحقّ، ولا يحب الحق إلا الحقّ، ولا يطلب الحقّ إلّا الحقّ لأن ذلك السّر هو الطالب للحق والمحب له، والعارف به، كما قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «عرفت ربي بربي».

هذه بعض التعاريف التي عرفها أصحاب الفن في هذا الباب، والذي نستفيده من خلال التدقيق في هذه الحدود الرسمية، إنّما هي تعاريف بحسب حال الناظر، ولا يتأتى لها الوصول إلى حقيقة السّر الذي نطقت به الآيات القرآنية.

وبالجملة فإن الوقوف على حدّ تام لتعريف السِّر مما يتعسر على ذهن كل عارف مدقق، وإنما الّذي يقف عليه السالك إنما هي تعاريف مأخوذ من لسان القرآن الكريم وعدله المتمثل في أهل البيت عليهم السلام، لذا نجد لزاماً علينا الإطلاع على معرفة ما قالوه في هذا المقام، لكي لا نخرج في مفاهيمنا عن الحدود التي رسمها لنا أهل البيت عليهم السلام.

وأول ما يطالعنا المأثور الروائي الوارد عنهم عليهم السلام أنهم فصلوا في معرفة السِّر ومدى تحمله ومن يتحمله، ومن الذي يختص به، وأي سِّر هو الذي يكون مخصوص لقوم دون قوم.

فقد قسموا الأسرار وتحمل ذلك السِّر إلى أقسام، قسم موجود عند الله تعالى مخصوص به، ولا يظهره إلى أحد من خلقه أياً كان منزلته ومقامة، والدال على ذلك جملة من الروايات الشريفة في كون السّر الذي أختص به الله تعالى دون خلقه حيث أستأثرت ذاته الشريفة به فهو لا يظهره لأحد من المخلوقين، وقد يكون هذا إشارة إلى الثلاث وسبعين حرفاً من الإسم الأعظم الذي استأثرت ذاته بالحرف

---

(١) النحل: ٤٠.

الذي لا يظهره لأحد من المربوبين وهو الذي يدل على الغيّب المطلق الذي اختص بالله تعالى جل شأنه.

وسّر قد أعطاه الله تبارك وتعالى للأئمة واختص بهم عليهم السلام ولا يخرج إلى غيرهم فأنه مما لا يتحمله لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، فإن هذه الأصناف من المخلوقين غير قابلين لحمل هذا السّر الذي استأثره بهم عليهم السلام فهم يحافظون عليه ولا يخرجونه لأحد فهو فيهم لا غير.

وسِّر قد بلغه الله تعالى للنبي وآله عليهم افضل الصلاة والسلام وأمرهم بتبليغه للمؤمنين الكمل أمثال سلمان وأبي ذر الغفاري وعمار بن ياسر والمقداد رضي الله عنهم فأصبحوا من الذين تفانوا في الولاية العظمى، واستماتوا في الدفاع عنها، وقد يكون نفس هذا السّر قد بلغوه لشيعتهم من خلال مجموع الروايات التي نطقت بها ألسنتهم عليهم السلام سواء في حياتهم أو التي وصلت إلينا بعد شهادتهم عليهم السلام فهذا السّر مما حمله الشيعة لأنهم منهم وهم منهم عليهم السلام.

وإلى ذلك السّر وتقسيماته أشارت الروايّة التالية المروية عنهم عليهم السلام.

قال أبو عبدالله عليه السلام:

«يا أبا محمد «أبا بصير» إن عندنا والله سراً من سر الله وعلماً من علم الله. والله لا يحتمله ملك مقرب ولا نبيّ مرسل ولا مؤمن امتحن الله قلبه للأيمان، والله ما كلف الله ذلك أحداً غيرنا، ولا استعبد بذلك أحداً غيرنا.

وان عندنا سراً من سر الله وعلماً من علم الله أمرنا بتبليغه، فبلغنا عن الله عزّوجلّ ما أمرنا بتبليغه، فلم نجد له موضعاً ولا أهلاً ولا حمالة يحتملونه حتى خلف لذلك أقواماً، خلقوا من طينة خُلق منها محمد وآله وذريته عليهم السلام ومن نور خلق الله منه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وذريته وصنعهم بفضل صنع رحمته التي صنع منها محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وذريته.

فبلغنّا عن الله ما أمرنا تبليغه فقبلوه واحتملوا ذلك، وبلغهم ذكرنا فمالت قلوبهم إلى معرفتنا وحديثنا فلولا أنهم من هذا لما كانوا كذلك، لا والله ما احتملوه ثم قال: إن الله خلق أقواماً لجهنم والنار، فأمرنا أن نبلغهم كما بلغناهم واشمأزوا من ذلكونفرت قلوبهم وردّوه علينا ولم يحتملوه، وكذبوا به وقالوا ساحرٌ كذاب، فطبع الله على قلوبهم وأنساهم ذلك، ثم أطلق الله لسانهم ببعض الحقّ فهم ينطقون به وقلوبهم منكرة ليكون ذلك دفعاً عن أوليائه وأهل طاعته، ولولا ذلك ما عبدالله في أرضه فأمرنا بالكف عنهم والستر والكتمان، فاكتموا عمن أمر الله بالكف عنه، واستروا عمن أمر الله بالستر والكتمان عنه.

قال: ثم رفع يدهعليه السلام وبكى وقال:

اللهّم إنّ هؤلاء لشرذمة قليلون فأجعل محيانا محياهم ومماتنا مماتهم ولا تسلط عليهم عدواً لك فتفجعنا بهم فأنك إن أفجعتنا بهم لم تعبد أبداً في أرضكُ»[1].

أقول: قولهعليه السلام: إنَّ عنّدنا والله سراً من سّر الله إلى قوله: ما كلف الله أحداً غيرنا يشير إلى أمر الولاية وشؤونها وما ظهرت به آثار الربوبية وقولهعليه السلام: وعلماً من الله إلى قولهعليه السلام: حتى خلق لذلك أقواماً يشير إلى أن من العلم وما هو من أسرارهم مما لا يحتمله إلّا الشيعة والملائكة المقربون والأنبياء المرسلون وهو المشار إليه في الرواية.

ويدّل على ذلك ما روي في البصائر عن الصادقعليه السلام قوله: «إنَّ حديثنا صعب مستصعب خشن مخشوش، فانبذوه إلى الناس نبذا، فمن عرف فزيدوه، ومن أنكره فأمسكوا لا يحتمله إلّا ثلاثة، ملك مقرب أو نبيّ مرسل أو عبد امتحن الله

(١) الكافي: ١/٤٦٧ ح ٥.

قلبه للإيمان (وفي حديث) أو مؤمن نجيب امتحن الله قلبه للإيمان».[١]

ومن هذا يظهر لنا أن السّر كحقيقة نطق بها القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، إنّما هو ثلاث أقسام، فما هو مخصوص بالله تعالى، كما أشارت إليه الرواية المتقدمة حيث قالت: «عندنا سّر من سّر الله» فعلى القول القائل بأن كلمة «من» هنا بيانية، يكون السّر الذي عنّد أهل البيت عليهم السلام هو من سنخ سّر الله تعالى الذي لا يعلمه إلّا من أرتضاه من نبي أو وصي نبي، وعلى القول الثاني في كون «من» تبعيضية، يكون السّر هنا بعض سّر الله تعال لا كلّه، فإن السّر الإلهي مصون عنده في علمه المكنون الذي هو من الغيّب المطلق الذي لا يصل إليه أحد. والعجيب كل العجب مما قاله بعض المحققين والمفسّرين حول السّر الإلهي في قوله تعالى: ﴿**قل أنزله الذي يعلم السّر في السموات وفي الأرض...**﴾ حيث يقول في محله:

«وتوصيفه تعالى بأنّه يعلم السّر أي خفيات الأمور وبواطنها في السماوات والأرض للأيذان بأن هذا الكتاب الذي أنزله منطو على أسرار مطوية عن عقول البشر، وفيه تعريض بمجازاتهم على جناياتهم التي منها رميهم القرآن بأنه إفك مفترى وأنه من الأساطير وهو مما يعلمه تعالى ... وتقرير الحجة أن الله سبحانه يعلم السّر في السموات والأرض وهو يعلم أن في سرهم المستقر في سرائركم المجبولة عليه فطرتكم حباً للسعادة وطلباً وانتزاعاً للعاقبة الحسنى وحقيقتها فوز الدنيا والأخرة، فكان سبحانه غفوراً رحيماً ومقتضى ذلك أن يجيبكم إلى ما تسألونه في سركم وبلسان فطرتكم فيهديكم إلى سبيله التي تضمن لكم السعادة»[٢].

فالذي يظهر من هذا البيان التفسيري للآية أن السّر قد فسره بخفيات الأمور وبواطنها أضافة إلى الفطرة الصحيحة التي هي من الجبلات المودعة في نفس

---

(١) بصائر الدرجات: ٣٨.

(٢) تفسّير الميزان: ١٥/١٨٢.

الإنسان، وفاته أن السّر هنا مطلق السّر أي جنس السر فهو قد أخذ في علم مطلق السّر سواء الذي مخصوص به أو الذي أعطاه للنبيّ أو لوصيّ النبيّ أو الذي جعله في فطرة الإنسان الذي يصل إليه من خلال مجاهداته، وإلى هذا الثالث قيل فيه: «للربوبية سّر هو أنت مخاطباً كل عين إذا ظهر بطلت النبوة».

وإلى التقسيمات الثلاثة التي أشرنا إليها قيل:

«للربوبيّة سّر لو كشف بَطلتْ النبوة» هذا في سّر الله تعالى، وفي سّر النبوة «وللنبوة سّر لو ظهر لبطل العلم»، وللنّاس الذين هم من العلماء الذين تحملوا العلوم الربانية «وللعلماء سّر لو أظهره الله لبطلت الأحكام».

وعلى هذا الأساس يكون السّر الإلهي مما قد صانه الله تعالى عن المربوبين فلا يظهره لأحد، إذ هو مما يصعب، بل يستحيل بالإستحالة الفعليّة الوصول والبلوغ إلى مراد الله تعالى من هذا السّر، وهو الذي يسمى بسِّر السِّر الذي قيل فيه «للربوبية سراً لو ظهر بطلت الربوبية». وهذا الكلام مما لا يحتمله العقل ولا يستطيع الوصول إلى حقيقته فالكلام فيه موقوف لئلاً يخرج العارف عن الطريق الذي رسمته لنا الشريعة في أحكامها.

أما السّر الذي هو بلغه تعالى للأنبياء وللأئمة عليهم أفضل الصلاة والسلام فهذا في جهة من جهاته إمكان الوصول إلى بعض حقائقه الممكنة، ولا يكون الوصول إليه إلّا من خلال الإصول المودعة في المأثورات الروائية الواردة عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام.

حقيقة السر في كلام الأئمة عليهم السلام

إنَّ الذي يتابع الأحاديث الشريفة التي تتكلم عن شؤونات ومقامات الأئمة الطاهرين يجدهم أنهم كانوا يحملون الأسرار الربانية التي أفاضها الباري عليهم مذ أن خلقهم أنواراً وجعلهم بعرشه محدقين وإلى أن منّ بهم علينا، ولكن لا يظهرون هذه الأسرار إلّا لمن وجدوه أهلاً لحمل الأمانة ومستودعاً لها، وإلى هذا الأمر - أعني حمل الأسرار - ورد في الزيارة الجامعة الكبيرة لأئمة المؤمنين المعصومين عليهم السلام ما نصه: «**....السلام على محال معرفة الله ومساكن بركة الله ومعادن حكمة الله وحفظة سّر الله... اصطفاكم بعلمه وارتضاكم بغيبه واختاركم لسِّره ... وأنصاراً لدينه وحفظة لسِّره... ومستودعاً لحكمته...**».

وغير ذلك من الأقوال والزيارات الواردة في المقام والتي تصفهم عليهم السلام بأنهم المستودع لسّر الله، وأنّ هذه الأسرار لا يعطوها إلّا إلى أهلها، وقد تقدم بنا الحديث الذي ورد فيه «**يا أبا محمّد إنّ عندنا سراً من الله....**» فلا إعادة.

فلنشرع من هذا المقام في الإشارات التي وردت على لسان الأئمّة عليهم السلام في معنى السّر، وماهيّته، وهل عرَّفوه بكامل أم ببعض مراتبه ومقاماته؟

وإنّ أول ما تطالعنا به الأحاديث الشريفة في مقام معرفة السّر إنَّ لهذا السّر عدة مواصفات، بل قل شؤونات تعبر عن جانب منه وليس بتمامه، وأهم هذه الشؤونات التي تدل دلالة على السّر ومعرفته هي:

١ ـ أن يكون السّر ظاهراً في الولايّة التكوينّية والتشريعّية للنبيّ والأئمّة المعصومين عليهم السلام.

٢ ـ أن يتمثل السّر في العلم المكنون المخزون الذي لا يظهروه إلّا إلى الكمُل من أصحابهم عليهم السلام.

٣ ـ ان يكون السّر معناه في المعرفة الحقيقية لهم عليهم السلام، وأنّى الوصول إلى كنهها، والوارد في المقام أن من عرفهم حق المعرفة يكون مثلهم وأنّى إثبات ذلك؟!.

٤ ـ أن يكون السّر مستودعاً في المعارف الإلهية التي حملوها عن الله تعالى ولا يخرجونها إلّا لمن وجدوه أهلاً لذلك.

وإذا فهمنا هذه الإشارات التي تحدثت بها الأحاديث الشريفة، وصل بنا المقام إلى نقل بعض هذه النصوص الواردة عن لسانهم الشريف عليهم السلام.

* عن جابر عن أبي عبدالله عليه السلام قال:

«إنّ أمرنا سّر في سّر وسّر مستسر وسّر لا يفيد إلّا سّر وسّر على سّر وسّر مقنع بسّر».

* وعن أبان بن عثمان قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «إنّ أمرنا هذا مستور مقنع بالميثاق من هتكه أذلّه الله».

* وأيضاً عن ابن عثمان قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «إنّ أمرنا هذا مستور مقنع بالميثاق من هتكه أذلّه الله».

* عن ابن أبي محبوب عن مرازم قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «إنّ أمرنا هو الحق وحق الحق وهو الظاهر وباطن الباطن وهو السّر وسّر السّر المستسر، وسّر مقنع بالسّر».[1]

أقول: لقد بينت هذه الأحاديث الشريفة كون سّر آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم من المقنع بالميثاق، حيث عبرت هذه الروايات بأمرهم المستور عن الخلق، وكما قلنا فأن سّرهم قد خصهم به الباري عزّوجلّ فهم لا يظهرونه لإحد، أما الذي أظهروه لبعض الموالين من الكمّل من أصحابهم فهو مما يحتمله المؤمن الممتحن، وهو شأن من

(١) بصائر الدرجات: ٤٤ ح ١ ـ ٤.

شؤونات ذلك الأمر المستور، وليس هو حقيقة السّر المكنون في صدورهم وأنفسهم، فلذا نجد في المأثور الروائي أن هذه الأسرار مما تواصوا به الأئمّة عليهم السلام فهم عليهم السلام يحملونه الواحد تلوا الأخر، وإلى ذلك أشارت جملة من الأحاديث الشريفة إلى كون الله تعالى أسر هذه الأسرار إلى النبيّ وآله عليهم السلام من خلال نزول جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

حيث ورد عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال:

«إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعا علياً في المرض الذي توفي فيه فقال: يا عليّ ادنُ مني حتى أسّر إليك ما أسّر الله إلي، وائتمنك على ما ائتمني الله عليه، ففعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعلي عليه السلام وفعله عليّ بالحسن عليه السلام، وفعله الحسن عليه السلام بالحسين عليه السلام، وفعله الحسين عليه السلام بأبي، وفعله أبي بيّ صلوات الله عليهم أجميعن».

* وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: **«سمعته يقول: أسَّر الله سّره إلى جبرائيل وأسّر جبرائيل إلى محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، وأسّر محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، إلى من شاء الله».**

* وعن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: **«أسَّر الله سّره إلى جبرائيل وأسّره جبرائيل إلى محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وأسّره صلى الله عليه وآله وسلم إلى عليّ عليه السلام وأسره عليّ عليه السلام إلى من شاء واحداً بعد واحد».**[1]

أقول: يظهر من هذه الأحاديث إنَّ سّر الله تعالى الذي أسّره إلى النبيّ وآله وتواصوا به وحملوه، إنما هو من السّر الذي هو مخصوص بهم ويحملونه ولا يخرجوه إلى أحد، وأما التفصيل الذي قلنا به من كون هناك سّر لله تعالى فهو مخصوص بالباري عزّوجلّ، وهو من غيب الغيوب الذي لا يطّلع عليه لا ملك مقرب ولا نبيّ مرسل، ولا مؤمن ممتحن.

---

(١) بصائر الدرجات: ٣٥٢. ح ١ ـ ٣.

وبالجملة فإن هذه الأسرار المودعة في قلوب أولياء الله تعالى، تارة تكون مختصة بهم، وأخرى يخرجونها إلى من يشاؤون من أوليائهم الخلص الكمل، والضابطة في تحمل المؤمنين لتلك الأسرار إنما يكون على ضوء الإمتحان الذي ينجح فيه المؤمن فإن من المؤمنين من هو ممتحن وغير ممتحن، فالأساس في التحمل هو الإمتحان ، أما لماذا الممتحن هو الذي يستطيع تحمل كلامهم وحديثهم وسرهم؟

فهذا يظهر من كون أمرهم وحديثهم من الصعب المستصعب، ومن يكون شأنه هكذا، لا بّد أن يكون لحامله قابليات واستعدادات تصل إلى مرتبة تحمل ذلك الصعب المستصعب.

ففي بصائر الدرجات بإسناده عن أبي الجارود، عن أبي جعفرعليه السلام قال: سمعته يقول:

«إن حديث آل محمّد صعب مستصعب ثقيل مقنع أجرد ذكوان، لا يحتمله إلّا ملك مقرب، أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان أو مدينة حصينة، فإذا قام قائمنا نطق وصدقه القرآن»[1].

أقول: الذي نراه من ظاهر هذا الحديث إنَّ حديث أهل البيت الذي هو من المستصعب، والذي عبر عن شأن من شؤونات ذلك السّر المكنون وحقيقته الخفية سوف يظهره الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف عند ظهوره ويصدقه القرآن الكريم في ذلك، وعلى هذا الأساس يكون القرآن الكريم حامل لذلك السّر، وموجود فيه ذلكْ السّر المكنون فمن يستطيع الوصول إليه؟ لا نرى سوى الأئمة يستطيعون ذلك لأنهم عدل القرآن الكريم وشريكه وأنهما لن يفترقا في كل شيء كما ورد في حديث الثقلين المتواتر عند الفريقين السنّة والشيعة.

---

(١) بصائر الدرجات: ٣٧.

وفي الحديث إشارة أخرى مهمة جداً وهو كون الناس المؤمنين في آخر الزمان يكون إيمانهم في أعلى درجات الإيمان، فهم الذين سوف يعطيهم الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه ذلك السّر، كل ذلك لأنهم وصلوا إلى مرتبة عالية من تحمل الأحاديث وأمر أهل البيت عليهم السلام، نتيجة الإمتحانات التي مرّوا بها، نسأل الله تعالى أن نكون ممن يتحمل أسرارهم وكلامهم وأمرهم ومعرفتهم عليهم السلام.

وفي البصائر بأسناده عن الأصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: سمعته يقول:

«إنّ حديثنا صعب مستصعب خشن مخشوش فانبذوا إلى الناس نبذاً، فمن عرف فزيدوه، ومن أنكر فأمسكوا لا يحتمله إلّا ثلاثة ملك مقرب أو نبيّ مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان»[1].

وفيه بأسناده عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال:

«إنّ حديثنا صعب مستصعب لا يؤمن به إلّا نبيّ مرسل أو ملك مقرب أو عبد امتحن قلبه للإيمان، فما عرفت قلوبكم فخذوه، وما أنكرت قلوبكم فردّوه إلينا»[2].

وفيه بأسناده عن إسماعيل بن عبدالعزيز قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: **«حديثنا صعب مستصعب، قال: فسّر لي جعلت فداك قال: ذكوان ذكي أبداً، قال: أجرد قال: طري أبداً، قلت مقنع؟ قال مستور»**[3].

وفيه بأسناده عن عمرو بن شمر عن أبي جعفر عليه السلام قال: **«إنّ حديثنا صعب مستصعب أجرد ذكوان وعر شريف كريم، فإذا سمعتم منه شيء ولانت له قلوبكم**

---

(١) بصائر الدرجات: ٣٨ ـ ٤٢.

(٢) بصائر الدرجات: ٣٨ ـ ٤٢.

(٣) بصائر الدرجات: ٣٨ ـ ٤٢.

فاحتملوه واحمدوا الله عليه، وإن لم تحتملوه ولم تطيقوه فردّوه إلى الإمام العالم من آل محمّد فأنما الشقي الهالك الذي يقول: والله ما كان هذا، ثم قال: يا جابر إن الإنكار هو الكفر العظيم».

* وفيه بأسناده عن أبي الصامت قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «إنّ من حديثنا ما لا يتحمله ملك مقرب ولا نبيّ مرسل ولا عبد مؤمن. قلت: فمن يحتمله؟ قال: نحن نحتمله»[1].

أقول: بفهم من هذا الحديث الأخير إنَّ سّرهم وحديثهمّ وأمرهمّ فيه شأن عظيم لا يستطيع ادراكه وحمله إلّا هم عليهم السلام ،وهذا يؤيد ما تقدم من الحديث الذي فصّل في معرفة سّرهم الّذي لا يحتمله غيرهم، أما الّذي أعطوه لأصحابهم ولشيعتهم فهو شأن من تلك الشؤونات الخاص بسّرهم عليهم السلام.

أما تفسير الصعب والمستصعب وبقية المفردات التي ذكرتها الأحاديث فهذا ما يفسره الحديث المروي عن المفضل حيث قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «إنّ حديثنا صعب مستصعب، ذكوان أجرد لا يحتمله ملك مقرب ولا نبيّ مرسل ولا عبد امتحن الله قلبه للإيمان، أما الصعب فهو الذي لم يركب بعد، وأما المستصعب فهو الذي يهرب منه إذا رأى «رُئي» وأما الذكوان فهو ذكاء المؤمنين، وأما الأجرد فهو الذي لا يتعلق به شيء من بين يديه ولا من خلفه وهو قول الله ﴿الله نزل أحسن الحديث﴾ فأحسن الحديث حديثنا لا يحتمله أحد من الخلائق أمره بكماله حتى يحده، لأن من حده شيئاً فهو أكبر منه والحمد لله على التوفيق، والإنكار هو الكفر».

أقول: قوله عليه السلام: أما الصعب فهو الذي لم يركب، وهو ما كان في نفسه صعب

---

(١) بصائر الدرجات: ٤٢.

على كل أحد، ثقله وغموضه، وأما المستصعب فهو ما كان ثقيلاً على أحد لضعفه عن دركه، ولذا قال عليه السلام: «وأما الصعب فهو الذي لم يركب بعد»، يعني إلى الآن لم يحتمل، فيمكن أن يحتمل في زمان قيام القائم عجل الله تعالى فرجه، أو من كان قوياً وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك في الأحاديث المتقدمة.

اما معنى عدم تحمله في قول الإمام الصادق عليه السلام: لا يتحمله ملك ولا نبي ولا مؤمن، فهو ما ورد في الكافي الشريف حيث سئل الإمام العسكري عليه السلام عن معنى قول الإمام الصادق المتقدم فقال عليه السلام:

«إنّ معنى قول الصادق عليه السلام أي لا يحتمله ملك ولا نبي ولا مؤمن إن الملك لا يحتمله حتى يخرجه إلى ملك غيره، والنبيّ لا يحتمله حتى يخرجه إلى نبيّ غيره، والمؤمن لا يحتمله حتى يخرجه إلى مؤمن غيره، فهذا معنى قول جدي عليه السلام».

قال المجلسي رحمه الله: أي لا يصبر ولا يطيق كتمانه لشدة حبه لهم وحرصه على ذكر فضائلهم، حتى ينقله إلى آخر فيحدثه به إلى آخر ما يقول فراجع. ولكن عدم هذا التحمل بهذا المعنى لا ينافي عدم تحمل الأحاديث مطلقاً، كما دل عليه كثير من الأحاديث المتقدمة أو عدم تحمل بعضهم دون بعض.

فعن معاني الأخبار بأسناده عن سدير، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول أمير المؤمنين عليه السلام: «إن أمرنا صعب مستصعب لا يقر به إلّا ملك مقرب أو نبيّ مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان، فقال: إن في الملائكة مقربين وغير مقربين ومن الأنبياء مرسلين وغير مرسلين، ومن المؤمنين ممتحنين وغير ممتحنين فعرض أمركم هذا على الملائكة فلم يقربه إلّا المقربون وعرض على الأنبياء فلم يقر به إلّا المرسلون وعرض على المؤمنين فلم يقّر به إلّا الممتحنون».

فهذا الحديث يدل على أن من غرائب شؤون ولايتهم ما لا يحتمله إلّا هؤلاء الثلاثة (أي المقربون والمرسلون والممتحنون) فتحصل أن أمرهم على وجوه:

١ ـ منه ما لا يتحمله غيرهم وهو السّر المخصوص بهم وهم يحملوه فمنهم وإليهم لا غير.

٢ ـ ومنه ما لا يتحمله إلّا من شاءوا من شيعتهم وخلّصهم.

٣ ـ ومنه ما لا يتحمله إلّا المقربون من الملائكة والمرسلين من الأنبياء والممتحنين من المؤمنين.

٤ ـ ومنه ما لا يتحمل بقاءه إلّا أن ينقلهُ إلى غيره. وذلك لإختلاف مراتب علومهم وولايتهم.

وقد أشير إلى صعوبة أمرهم حيث قيل في علة ذلك لكونه من مكنون العلم، عزيز المنال، دقيق المدرك، صعب الوصول، يقصر عن وصوله الفحول من العلماء فضلاً عن الضعفاء، ولهذا إنما يخاطب الجمهور بظواهر الشرع ومجملاته دون أسراره وأغواره لقصور أفهامهم عن ادراكها وضيف حواصلهم عن إحتمالها إذ لا يسعهم الجمع بين الظاهر والباطن فيظنون تخالفها وتنافيها فينكرون ويجحدون بها.

فيظهر من هذا كله إنَّ الله تعالى قد خصّهم بخصوصية تميزهم عن غيرهم من الخلق لإستحقاقهم ذلك، وهذه الميزة هي حملهم الأسرار المودعة في هياكلهم البشرية، وكما تقدم بنا إن الله أسّر سّره إليهم، والذي يظهر من هذا السّر هو الولايّة العظمى وشؤونها التي فسرناها ببعض تفاسيرها من الولاية التكوينية والتشريعية والعلم المكنون والمعرفة الحقيقة لله تعالى والمعارف الإلهية الجمة كل هذه شأن من شؤونات تلك الولايّة العظمى، فإذا كان حديثهم من الصعب المستصعب والذي هو شأن من شؤونات أمرهم وولايتهم، فكيف بأمرهم الذي عبرت عنه الأحاديث بأنه سر مستتر ومقنع بالميثاق ولا ينفع معه إلّا سّر، فمن باب الأولوية لا يدرك معناه ولا مغزاه.

ولا يدرك حمله وتحمله فهو من السّر المكنون المخزون عند الله تعالى.

ومن هذا البيان كله يظهر لنا جلياً وواضحاً أن حقيقة السّر ومعناه لا بّد من القول بالتفصيل فيه حتى يفهم أي حقيقة سّر يبحث عنه، وعلى التفصيل الذي أشرنا إليه يكون سّر الله المختص له، لا يستطيع أحد معرفة حقيقته ومعناه مهما كانت منزلته ومقامه، لأنه غيب الغيوب، وبه إمتاز واجب الوجود على ممكن الوجود فهو غيب مطلق استأثرت به الذات الربانية واحتجبت به عن الخلق.

أما السّر الذي إمتاز به أهل البيت عليهم السلام بما فيهم الرسول الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم فهو كما ترى من البحث، فحقيقة صعبة الوصول إلى معناها، فأن حديثهم الذي هو شأن من شؤون ولايتهم العظمى والتي هي الحقيقة المحمديّة، صعب مستصعب ذكوان، لا يتحمله إلّا الأصناف المتقدمة من الخلق فكيف بأمرهم الذي حقيقة السّر ومعناه المتجلي فيهم؟.

فدلت هذه الأحاديث على أن أمرهم هو عليهم السلام السّر، وهو من الأسرار السريرة يعسر الوصول إليه، والوجه فيه أنهم عليهم السلام بلغوا من عوالم الإمكان أقاصيها حتى أن فوق عوالمهم ليس عالم إلّا وهو سّر لا يمكن تعديه من الله تعالى إلى غيره، فهم عليهم السلام حجابه والحافظون لسّره تعالى، والذابون عن حريمه، والحاملون لذلك السّر، ويكفي في الأشارة إلى تلك الحجب حيث قال أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه:

«وحال دون غيبه المكنون حجب من الغيوب»

وصلى الله على محمّد المنتجب وعلى أوصيائه الحجب.

البحث الثاني

سرّ الولادة العلويّة



في مولد الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام

للشيخ محسن الفاضلي النجفي

يـــا ليــلةُ الثــالثِ عشــر　مـــن رجبٍ الشــــهر الأغــر
طــبت فــطاب لنـــا الســهر　فـــيك ولذ لنــــا السّـــمر
مــــا بـــين جـــمع أحــبّة　ونســـيمك المـــعطارُ مـــر
حـــــفلكٌ بـــــهيجٌ نـــيّرٌ　بـــــجماله بـــــهر البـــصر
عــــــبقٌ بـــطيب ولائـــنا　طـــيب الزهـــور إذا انـتشر
وهــــــزارُهُ السّـــــمارَ　بـــالأنغام إذ غـــنى ســـحر
هـــذا وورقـــاء الهـــناءة　ذي تـــهنّيء مـــن حـــظر
أزكـــى تـــهانينا الشـــذيّة　للإمـــــام المـــــنتظر
بـــالعيد عـــيد المـــولد　العـــلويّ والكـــون ازدهـــر
فـــــي الكـــعبة الغـــراء　مـــولده تـــواتـــر وانـتشر
مـــــتفرّداً فـــي ذلكـــم　نـــفديه مـــا بـــين البشـــر
مـــعناه مـــن قـــد طـــاف　حـــول البـيت واسـتلم الحـجر
لم يـــجده حـــتى يـــوالي　ذلك الفـــــذّ الأبـــــر
مـــيلادُهُ المـــيمونُ حـــقا　كـــــلٍّ مـــن والاه ســـره
عـــــم العَـــوالم فـــضلُهُ　وعـــــطاءُه للكـــلٍّ ثَـــره
مــن شـاءَ أن يـنجوا استضاءَ　بـــــنوره وبـــــه اعـــتبر
بـــــه هُـــداهُ لاســـواهُ　ومَـــن ابَـــاهُ فـــقد كـــفر
فـــبحقِّه يـــارَبنا وذويـــه　ســــــادَتنا الغُـــــرَرْ
نـــرجـو الثـبات عـلى الولا　والفـــوزَ مـــع هـذا الّـنفر
أبـــداً وصَـــلٍّ عـلى النـبي　وآلهِ خـــــير الخِـــــيَرْ

البحث الثاني

سِّر الولادة العلويّة

حديث الولادة:

عن يزيد بن قعنب قال:

«كنت جالساً مع العباس ابن عبد المطلب رضي الله عنه وفريق من بني عبد العزى بأزاء بيت الله الحرام، إذ أقبلت فاطمة بنت أسد أُمّ أمير المؤمنين عليه السلام، وكانت حاملاً به لتسعة أشهر، وقد أخذها الطلق فقالت: يارب إني مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب، وإني مصدقة بكلام جدي إبراهيم الخليل وأنه بنى البيت العتيق، فبحق الذي بنى هذا البيت و (بحق) المولود الذي في بطني إلا ما يسرت عليَّ ولادتي.

قال يزيد بن قعنب:

فرأيت (فرآينا) البيت قد أنشق (أنفتح) عن ظهره ودخلت فاطمة فيه وغابت عن أبصارنا وعاد إلى حاله (والتزق الحائط) فرمنا أن ينفتح لنا قفل الباب فلم ينفتح، فعلمنا أن ذلك (أمر) من أمر الله تعالى (عز وجل)، ثم خرجت في اليوم الرابع وعلى يدها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ثم قالت:

إني فضلت على من تقدمني من النساء لأن آسية بنت مزاحم عبدت الله سراً في موضع لا يحب الله أن يعبد فيه إلا أضطراراً، وإن مريم بنت عمران هزت النخلة اليابسة بيدها حتى أكلت منها رطباً جنيا، وإني دخلت بيت الله الحرام فأكلت من ثمار الجنة وأرزاقها فلما أردت أن أخرج هتف بي هاتف وقال:

يافاطمة سميه ـ علياً ـ فهو عليّ، والله العليّ الأعلى يقول:

«شققت أسمه من أسمي، وأدبته بأدبي، وأوقفتهُ على غامض علمي، وهو الذي يكسر الأصنام في بيتي، وهو الذي يؤذن فوق ظهر بيتي، ويقدسني ويمجدني فطوبى لمن أحبه وأطاعه ووَيل لمن أبغضه وعصاه»(١).

إنَّ حديث مولد الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام في الكعبة المشرفة بلغ حَدَّ التواتر في المنقولات الروائية، بل نجد أن هذه الفضيلة العالية المقام من الحقائق التي تسالم عليها المؤالف والمخالف، حيث تطابق على أثباتها الرواة، وسكنت نفوسهم إليها على إختلاف نزعاتها على الإطمئنان بها، والركون إليها، والإعتماد عليها وفي مروياتها في المحافل والمجالس، ولا يجد الباحث في أسانيد الكتب والروايات أي غميزة في الطعن في هذه المنقبة العظيمة لأمير المؤمنين عليه السلام، حيث تظافر النقل لها، وتواترت الأسانيد على صحتها، فلقد نقلت الكتب الروائية هذه الكرامة العظمى في طيات صفحاتها، وعلى مختلف مذاهبها وعقائدها ويكفي شاهداً على ما نقول، ما جاء في حديث الحافظ الشافعي حيث يقول:

«ولد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب بمكة في بيت الله الحرام، ليلة الجمعة، لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب سنة ثلاثين من عام الفيل، ولم يولد قبله ولا بعده مولود في بيت الله الحرام سواه، إكراماً له بذلك وإجلالاً لمحله في التعظيم»(٢).

والشاهد الآخر هو قول الألوسي المفسّر في شرح عينية عبد الباقي العمري عند قول الناظم:

أنت العلي الذي فوق العلى رفعا   ببطن مكة عند البيت إذ وضعا

---

(١) كشف الغمة: ١٩، روضة الواعظين: ٦٧-٦٨، كشف اليقين: ٥، الارشاد للديلمي: ٢/٥-٧، الامالي: ٨٠-٨١.

(٢) كفاية الطالب: ٢٦١.

حيث قال ما لفظه: «وفي كون الأمير كرم الله وجهه ولد في البيت، أمر مشهور في الدنيا، وذكر في كتب الفريقين السنة والشيعة... إلى قوله: ولم يشتهر وضع غيره كرم الله وجهه كما اشتهر وضعه، بل لم تتفق الكلمة عليه، وأحرى بإمام الأئمة أن يكون وضعه فيما هو قبلة للمؤمنين، سبحان من يضع الأشياء في مواضعها وهو أحكم الحاكمين...»[١].

إذن الحديث مما تظافرت النصوص على نقله، وتطامنت النفوس على روايته، وتسالمت عليه الفرقتين السنة والشيعة على إثباته، والذي نريد القول به، والنتيجة التي نقطع بالوصول إليها هو أن الحديث كان مثبوتاً عند العامة والخاصة، وتواتر نقله، وتصافقت الأيدي على حمله، كيف لا؟

ونحن نجد أن الكثير من الشواهد الروائية والقرائن الخارجية، من نصوص العلماء وشعر الشعراء حيث فيها أكبر دلالة معاضدة للتواتر الذي تسالمت عليه المذاهب.

وعلى هذا الأساس فالّذي يريد البحث عن تواتر هذا النبأ العظيم ـ أعني ولادة الأمير في بيت الله الحرام ـ والمنقبة العظمى فعليه بمراجعة نصوص أئمة الحديث من العامة والخاصة، وقراءة الأشعار الكثيرة في شأنه والمبثوثة عند الطرفين، أضف إلى ذلك إطراد أسانيد الحديث على تضافر الحديث والتسالم عليه، فلا نقف أكثر من هذا من جهة صحة السند ومتن الدلالة وتواتر وشهرة الحديث عند العامة والخاصة وعليك بالمراجعة[٢].

---

(١) شرح العينية: ١٥.

(٢) علي وليد الكعبة « في هذا الكتاب يبحث عن سند وتواتر وصحة الحديث عند العامة والخاصة فراجع».

دلالات الحديث

وحديث الولادة الشريف، فيه دلالات عالية ومضامين زاهية تدل تارة بالمطابقة وآخرى بالملازمة على أمور عديدة تثبت كرامات ومقامات سامية للوالدة وللمولود، فالحديث الشريف الذي يظهر من خلال التمعن في مدلوله والتدقيق في متنه، أن فاطمة بنت أسد كانت من النساء المؤمنات، وعلى دين الحنيفيّة الغراء حيث عندما وقفت على مشارف الكعبة قالت: «يارب أني مؤمنة بك»، أي أنها كانت موحدة لله تعالى جل شأنه كيف لا؟

وهي التي في أحشائها الجنين الذي يعم الورى بأيمانه ومعاجره ومناقبه وكراماته الباهرة للعقول، وأيضاً الحديث فيه دلالة قطعية على أنها رضوان الله عليها كانت مؤمنة بكل الأنبياء السابقين بما فيهم جدَّها إبراهيم الخليل عليه السلام، واللطيفة هنا أنها في قولها هذا تثبت أنها حاملة بولد يولد من أبوين هاشمين فهي هاشمية، وأبيه ـ أي الامام ـ هاشمي أيضاً وهو أبو طالب رضي الله عنه ويظهر أيضاً من الحديث أنها توسلت إلى الله بنبيه إبراهيم الخليل عليه السلام، وتوسلت بالمولود الذي ببطنها، وكأنها تعرف المقام السامي والمنزلة العظمى لولدها عليه السلام.

ويطالعنا الحديث على أن الذين كانوا عند الكعبة ورأوا كيف إنشق الجدار الخاص بالكعبة ـ والذي يسمى اليوم بالمستجار ـ حاولوا فتح باب الكعبة ولم يستطيعوا، عند ذلك أذعنوا أن هذه الكرامة هي أمر من أمر الله تعالى.

لم يكن في كعبة الرحمن مولود سواه

إذ تعالى في البرايا عن مثيل في علاه

وتولى ذكره في محكم الذكر الإله

أيقول الغير فيه بعد هذا؟

لست أدري

أقبلت فاطمة حاملة خير جنين
جاء مخلوقاً بنور القدس لا الماء المهين
وتردى منظر اللاهوت بين العالمين
كيف قد أودع في جنب وصدر؟

لست أدري

أقبلت تدعو وقد جاء بها داء المخاض
نحو جذع النخل من ألطاف ذي اللطف المفاض
فدعت خالقها الباري بأحشاء مراض
كيف ضجت؟ كيف عجت؟ كيف ناحت؟

لست أدري

لست أدري غير أن البيت قد ردَّ الجواب
بأبتسام في جدار البيت أضحى منه باب
دخلت فانجاب فيه البشر عن محض اللباب
إنما أدري بهذا غير هذا؟

لست أدري

كيف أدري وهو سّر فيه قد حار العقول
حادث في اليوم لكن لم يزل أصل الأصول
مظهر الله لكن لا اتحاد لا حلول
غاية الإدراك أن أدري بأني:

لست أدري

ولد الطهر عليٌّ من تسامى في علاه

فأهتدى فيه فريق وفريق فيه تاه

ضل أقوام فظنوا أنه حقاً إله

أم جنون العشق هذا لا يجازى؟

لست أدري(١)

الوّلادةُ مقصودةٌ

قد يرد وينقدح في ذهن أي شخص أنه ربما يكون هناك إشكال في قضية أول مولود ولد في الكعبة لأنه قد جاء في مرويات الحاكم النيسابوري أن هناك من ولد في الكعبة قبل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالبعليه السلام وهذا المولود الذي يدعيه الحافظ النيسابوري هو حكيم بن حزام حيث جاء فيه أنه ولد عند الكعبة المشرفة(٢).

فنقول: إن ولادة حكيم بن حزام كانت محض صدفة لا أكثر ولا أقل، وأضف إلى ذلك أن في ولادة عليّعليه السلام قياس مع الفارق، لأن ولادة عليّعليه السلام تزامنت معها عدة كرامات، منها انشقاق جدار الكعبة ودخول فاطمة بنت أسد داخل الكعبة وعدم فتح الباب الخاص بالكعبة لمن حاول فتحه بعد دخولها، وكذلك مسألة بقائها ثلاثة أيام داخل الكعبة من دون أكل ولا شرب من الخارج، على أنه هناك فرق بين أن تقول ولدت عند الكعبة وبين أن تقول ولدت في جوف الكعبة «أي بيت الله الحرام»، وإذا

---

(١) هذه القصيدة للعلامة السيد علي النقوي الهندي اللكنهوي.

(٢) المستدرك: ٤٨٣/٣، باب مناقب حكيم بن حزام، عن مصعب بن عبد الله: « أن ام حكيم ولدته في الكعبة، ضربها المخاض وهو في جوفها، ولم يولد قبله ولا بعده في الكعبة أحد».

أهملنا هذه الوجوه في استدلالنا على عدم قبول القول في ولادة حكيم بن حزام، فيكفينا في رد هذه الدعوى الباطلة والغير مستندة إلى أدلة صحيحة هو أنه قد تسالمت أقوال المحدثين والعلماء على شهرة وتواتر حديث ولادة عليّ بن أبي طالب عليه السلام في الكعبة وأن الإجماع منعقد على كونه أول مولود ولد في الكعبة وأليك أقوال بعض المحدثين الذين تسالمت أقوالهم على ما نقول به وخلاف ما يدّعيه صاحب المستدرك الحافظ النيسابوري المتوفي سنة ٤٠٥هـ حيث انفرد بالقول النادر، والفرد النادر كالمعدوم.

❊ قال الطبرسي صاحب مجمع البيان: «ولم يولد قط في بيت الله تعالى مولود سواه لا قبله ولا بعده، وهذه فضيلة خصّه الله تعالى بها إجلالا لمحله ومنزلته واعلاءً لقدره»(١).

❊ وقال علم الهدى ذو المجدين الشريف المرتضى في شرح القصيدة المذهبة للسيد الحميري: « وروي أنها ـ يعني فاطمة بنت أسد ـ ولدته في الكعبة، ولا نظير له في هذه الفضيلة»(٢).

❊ وقال أخوه الشريف الرضي: «ولد في البيت الحرام لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب بعد عام الفيل بثلاثين سنة، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم ابن عبد مناف، وهو أول هاشمي في الإسلام ولد من هاشم مرتين ولا نعلم مولوداً في الكعبة غيره»(٣).

❊ وقال الشيخ المفيد: «ولد بمكة في بيت الله الحرام يوم الجمعة.... ولم يولد

---

(١) أعلام الورى: ١٥٣.

(٢) شرح القصيدة المذهبة: ١٥.

(٣) خصائص أمير المؤمنين عليه السلام: ٤.

قبله ولا بعده مولود في بيت الله سواه إكراماً من الله جل أسمه بذلك، واجلالاً لمحله في التعظيم»(١).

* وقال ثقة الإسلام النوري: «أن هذه الفضيلة الباهرة جاءت في أخبار غير محصورة ومنصوص بها في كلمات العلماء وفي ضمن الخطب والأشعار في جميع الأعصار، وهي من خصائص الإمام عليه السلام لم يشاركه فيها نبيّ أو وصيّ، ولا يبعد كونها من ضروريات مذهب الإمامية، ولم تزل الشيعة تفتخر بها»(٢).

* وقال السلطان محمد بن تاج الدين: «إنَّ الأقرب إلى الصواب أنه عليه السلام ولد في الكعبة، وفي الباب أخبار كثيرة ... وفي الأخبار أنه لم يكن شرف الولادة في البيت لأي أحد قبله ولا بعده»(٣).

* وقال ابن شهر آشوب: « فالولد الطاهر من الطاهر ولد في الموضع الطاهر فأين توجد هذه الكرامة لغيره، فأشرف البقاع الحرم وأشرف الحرم المسجد وأشرف بقاع المسجد الكعبة ولم يولد فيها مولود سواه، فالمولود فيها يكون في غاية الشرف وليس المولود في سيد الأيام يوم الجمعة في الشهر الحرام في البيت الحرام سوى أمير المؤمنين عليه السلام »(٤).

* وقال السيد نور الله الحسيّني المرعشيّ التستري حين طفق يناظر القاضي روزبهان في الحقيقة البارزة في كتابه (احقاق الحق):«إن الفضيلة والكرامة في أن باب الكعبة كان مقفلاً، ولما ظهر آثار وضع الحمل على فاطمة بنت أسد رضي الله عنها عند الطواف خارج الكعبة انفتح لها الباب بأذن الله تعالى وهتف بها هاتف بالدخول،

(١) الإرشاد للشيخ المفيد: ٩.

(٢) اللؤلؤ والمرجان: ١٦٦.

(٣) تحفة المجالس: ٨٨.

(٤) المناقب: ١/ ٣٥٩.

وعلى تقدير صحة تولد حكيم بن حزام قبل الإسلام في وسط بيت الله الحرام فأنما كان بحسب الاتفاق كما يتفق بسقوط الطفل من المرأة والعجل من البقرة في الطريق وغيره، على أن الكلام في تشرف الكعبة بولادته فيها لا في تشرفه بولادته في الكعبة...»

ولدته في حرم الإله وأمنه — والبيت حيث فناؤه والمسجد
بيضاء طاهرة الثياب كريمة — طابت وطاب وليدها والمولد
في ليلة غابت نحوس نجومها — وبدا مع القمر المنير الأسعد
مالف في خرق القوابل مثله — إلا ابن آمنة النبي محمدﷺ

وأخيراً نذكر ما قاله القاضي في ولادة (حكيم بن حزام) حيث أصفق فيه معه البحاثة عبد الرحمن الصفوري الشافعي في (نزهة المجالس) حيث قال:

«ورأيت في الفصول المهمة في معرفة الأئمة بمكة شرفها الله تعالى لأبي الحسن المالكي: أن علياً رضي الله عنه ولدته أمه بجوف الكعبة شرفها الله، وهي فضيلة خصه الله تعالى بها، ذلك أن فاطمة بنت أسد رضي الله عنها أصابها شدة الطلق فأدخلها أبو طالب الكعبة فطلقت طلقة فولدته يوم الجمعة في رجب سنة ثلاثين من عام الفيل بعد زواج النبيﷺ خديجة بثلاث سنين، وأما حكيم ابن حزام «عمرو» فولدته أمه في الكعبة اتفاقاً لا قصداً»[1].

أقول:

وعلى هذا الأساس يظهر من استقراء الكتب التأريخية والروائية وخصوصاً الكتب الثمينة المبنّية في نقلها على الأحتجاح على الخصوم والمناظرة لاسيما كتب القاضي والتستري والطبرسي يظهر من مؤلفيها أنهم لم يتوخوا فقط سرد الوقائع

---

(١) نزهة المجالس: ٢/ ٢٠٤.

التأريخية من أينما حصلت، وإنما قصدوا فيها الوقوف بها أزاء الخصوم والإستدلال عليهم بالحجج الواضحة البرهان، وبالأدلة التي روتها كتب الحديث سواءً من العامة أو الخاصة، وعليه يكون نقل هؤلاء العلماء الأجلاء هو ممّا يمكن الإعتماد عليه لأنهم لم ينقلوا إلا ما ثبت في الكتب الصحيحة عند الفريقين ولا أقل من الصحيح والقول بالمشهور عندهم من هذه الكتب والتي ثبت اسنادها بحيث لا يوجد طريق للمعاند في رفضها والردّ عليها لأنها مما تسالم عليه الأصحاب من الفريقين وعلى ضوء هذه الاقوال المتقدمة، من الفريقين يكون القول بأن ولادة الأمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام مما كانت قصداً من الله تعالى لا اتفاقاً كما حصل لحكيم بن حزام، والقصدية هنا أستفدناها من القرائن الخارجية الحافة بالأدلة الروائية والتأريخية في قضية الولادة المباركة، وخصوصاً الكرامة التي تزامنت وقورنت بالمعجز الرباني في انشقاق جدار الكعبة ودخول فاطمة بنت أسد من خلاله داخل بيت الله الحرام الذي تشرف بولادة المولى عليّ بن أبي طالب عليه السلام فيه.

الكعبة تشرفت

كثيراً ما نقول في أحاديثنا الكعبة المشرفة، فمن أين نشأ هذا البيان، وعلى أي أساس كانت الكعبة مشرفة، والذي نقول به، ونرمي التوصل إليه من خلال المطولات الروائية التي نقلت إلينا بين طياتها أحاديث الكرامة العظمى، والمنقبة الفضلى في ولادة عليّ عليه السلام في بيت الله الحرام، وهو أن الكعبة تشرفت بولادة حجة الله الكبرى فيها، وليس العكس، ولقد أجادت قرائح الشعراء في اثبات هذه المنزلة العظمى والشرافة الكبرى في أشعارهم، وهذا ما جاء في دالية شاعر أهل البيت عليهم السلام الفاضل البارع علاء الدين الشيخ علي الشفهيني المتوفي في حدود السبعمائة بالحلة حيث كانت هذه الدالية كلها مديح واحتجاج، وأثبت في نصها أن

الكعبة تشرفت بولادة عليّ عليه السلام فيها، وأنه أول مولود يولد في بيت الله الحرام ولم يسبقه بهذه الفضيلة أحد لا قبله ولا بعده.

أم هل ترى في العالمين بأسرهم بشراً سواه ببيت مكة يولد
في ليلة جبريل جاء بها مع آل ملك المقدس حوله يتعبد
فلقد علا شرفاً بذاك كما به شرفاً علا كل بقاع المسجد

❊ ❊ ❊

من شرف البيت بميلاده وحجره والحجر الأنور
وقد صفا عيش الصفا فيه والمروة أضحت بالهنا تخطر

تاريخ الميلاد

الذي عليه المشهور أن تاريخ ولادة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام كان في الثالث عشر من رجب لثلاثين سنة بعد عام الفيل، وهذا ما صرح به الشريف الرضي في كتابه خصائص أمير المؤمنين[1]، وكذلك ابن عياش اثبت هذا التأريخ[2]، وصرح المفيد في كتاب الإرشاد[3]، والشيخ في كتاب التهذيب[4]، وكذلك أورد هذا التأريخ عليّ بن محمد المالكي في كتاب الفصول المهمة[5].

أما الذين اختلفوا في هذا التأريخ وأثبتوا في مروياتهم خلاف ذلك، فمنهم

---

(١) خصائص أمير المؤمنين عليه السلام: ٤.
(٢) مصباح المتهجد: ٧٤١، نقلاً عن ابن عياش.
(٣) ارشاد المفيد: ٩، وأخرجه الطبرسي في اعلام الورى: ١٥٣، عنهما البحار: ١٦/٣٥ ح ١٣.
(٤) التهذيب: ٩/٦.
(٥) الفصول المهمة: ١٢.

المسعودي في كتاب إثبات الوصية[١] حيث قال: في النصف من شهر رمضان، وأورد الشيخ المفيد قول آخر حيث قال: أنه الثالث والعشرون من شعبان، هذا ما نقله في كتاب مسار الشيعة[٢].

وقد وقع الإختلاف بين الأعلام في سنة ولادته عليه السلام والمشهور بين الأعلام أنه كان بعد عام الفيل بثلاثين سنة وهذا ما صرح به الكليني[٣]، والشيخان[٤]، وجمع آخر، وقال بعضهم بأقل وبعضهم بأكثر من ذلك.

وفي ذلك قال الشعراء:

ومولد الوصي أيضاً في الحرم — بكعبة الله العلي ذي الكرم

من بعد عام الفيل في الحساب — عشر وعشرين بلا ارتياب

وقال آخر:

مولده الجمعة يوم السابع — في شهر شعبان ببيت الصانع

وقد خلت منه ثلاثون سنة — من مولد النبي فأعلم سنته

ولقد أشار الشيخ ابن بهاء الدين الفتوني الهمداني الحائري إلى الاختلاف الذي وقع في يوم سنة المولد الشريف للامام عليه السلام حيث قال في ارجوزته المسماة بالدوحة المهدي في تواريخ الهدى عليهم السلام:

وفي ضحى الجمعة قد تولدا — مطهراً مكرماً مسدداً

وكان ذا في الكعبة الرحمان — لسبعة خلون من شعبان

---

(١) اثبات الوصية: ١٣٤.

(٢) مسار الشيعة: ٣٥.

(٣) الكافي: ١/٤٥٢.

(٤) ارشاد المفيد: ٩، والتهذيب: ١٩/٦ عن تواريخ النبي والآل «تحقيق الشيخ محمود الشريفي».

وقد روي أن الامام المنتجب مولده ثالث عشر من رجب
وقيل في الثامن من ولدا وذا ضعيف لم يكن معتمداً
وقد رووا في رمضان مولده في النصف كان يروي سنده
مولده بعد ثلاثين سنة من مولد النبي يعفو سنته

❊ ❊ ❊

أسّرار الوّلادة العلويّة

السّر الأوّل

لا يتسنى لكل إنسان أن يولد في مكان قد أختاره الله تعالى ليكون مثابة للناس وكعبة تقصد على مَّر العصور والأزمان، إلا من كان له منزلة وكرامة على الله تعالى، وهذا ما حصل بالفعل بالنسبة لمولى الموحدين وكعبة المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، حيث أختاره الله ليكون وليد الكعبة المباركة التي تؤم وتقصد كل يوم خمس مرات قبلةً للمسلمين أجمعين، واختيار الله تعالى الكعبة كمكان لولادة أمير المؤمنين علّي عليه السلام، لا يخلو عن وجه من الرعاية السماوية لهذا المولود، بل يدل هذا على وجود نكت وأسرار تليق بهذا المولود ومستقبله، بل يتعدى الأمر إلى أبعد من هذا البعد الوجودي في مولده الشريف، ليكون البعد الروحي والمعنوي الذي مثله هذا المولود طيلة وجوده في الدنيا، وامتداداً له إلى الخاتميّة الولائيّة المتمثلة في خاتم وقبل الأولياء والأوصياء في الولاية المطلقة في وجود حفيده الإمام الحجة بن الحسن العسكري (عج)، وقبل الدخول في بيان نكت وأسرار الولادة الشريفة المباركة لابَد لنا من أن نقف مع قصة إبراهيم الخليل عليه السلام لنرى كيف إمتحنه الله تعالى في الإمتحانات الربانية التي كان منشأؤها من الله تعالى ليختبر طاعته؟

ويهيئه للوصول إلى المرتبة السامية، أو كما عبر عن ذلك القرآن الكريم بقوله تعالى ﴿وإذ ابتلى أبراهيم ربّه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للنّاس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين﴾، فالظاهر من الآية المباركة أن الله سبحانه وتعالى كلف نبيه إبراهيمعليه السلام بتكاليف شتى، فكانت النتيجة أن إبراهيمعليه السلام أتم هذه التكاليف ـ وهي عشرة ـ وامتثلها وأطاع الله تعالى فيها، وكانت من جملة هذه التكاليف أنه بنى الكعبة الشريفة، وقد بينت الآية المباركة أنه بعد إتمام الإمتحان والإختبار من قبل الله تعالى أعطاه الله تبارك وتعالى الإمامة المباركة وجعله ـ بالجعل التشريعي ـ في ذريّته ولكن دون الظالمين منهم، وهناك إرتباط يظهر من خلال التمعن والتدقيق في قصة إبراهيم وبناءه الكعبة الشريفة، وبين الإمتحانات التي مرّ بها وبين إعطاء الامامة له كمنصب إلهي يكون بالنص، وطلب إبراهيمعليه السلام من الله تعالى الإمامة لذريته الشريفة وخصوصاً المؤمنين.

أقول: لو تمعنا في ذلك كله وبين ولادة عليّ بن أبي طالبعليه السلام في الكعبة لظهر لنا من الأسرار ما يغني عنه البيان، ويكل منه اللسان، وتحار العقول فيه، وتختلج فيه النفوس في إظهار تلك المنزلة المستوحات من هذه الولادة الشريفة، فولادة أمير المؤمنينعليه السلام في الكعبة الشريفة ما هي إلا استجابة للدعوة الإبراهيمية في إعطاء الإمامة في ذريته المؤمنة، وكما ورد على لسان النبى محمدصلى الله عليه وآله وسلم حيث قال لعليعليه السلام «أنا وأنت دعوة إبراهيم الخليل» أو قولهصلى الله عليه وآله وسلم: «يا عليّ إنّ الله خلق الناس من شجره شتى، وخلقني وإياك من شجرة واحدة».

إذن يظهر من الدعوة الإبراهيمية المستجابة ـ ومن ذريتي ـ وخصوصاً قولهعليه السلام ـ ﴿وأجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم﴾ يظهر أول أسرار ولادة مولى الموحدين في الكعبة المشرفة حيث تمثل في إستجابة الدعوة الإبراهيمية، المتمثلة في بزوغ

فجر الإمامة من أول يوم بنيت فيه الكعبة إلى أول يوم ولد في الكعبة ذلك المولود الإبراهيمي إن صح التعبير.

والشاهد على ما نقول هو ما يظهر من لسان أم أمير المؤمنينعليه السلام وهي فاطمة بنت أسدعليها السلام عندما كانت حاملة بعليّعليه السلام حيث كانت تأتي إلى الكعبة الشريفة وتطوف حولها، وتقف أمامها أو ترمي بطرفها نحو السماء وتقول: «أي رب أنـي مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب، وأني مصدقة بكلام جدي إبراهيم الخليل، وأنه بنى البيت العتيق، فبحق الّذي بنى هذا البيت وبحق المولود الذي في بطني إلا ما يسرت عليّ ولادتي»[1].

لماذا تذكر فاطمة(رض) في هذا المكان بالخصوص ابراهيم الخليلعليه السلام ؟ لماذا لم تذكر غيره من الأنبياء السابقين؟

والجواب على ذلك واضحاً لمن أراد أن يتمعن ويدقق النظر في مدلولات قولها ـ أي فاطمة (رض) ـ لأن المسألة مسألة ولادة الإمامة التي تمثل الإمتداد للدعوة الإبراهيمية ـ **﴿قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريـتي﴾** ـ فـالأمامة فـي إحشائها، وتعلم منزلة هذا المولود الذي في إحشائها، وكما مَّر بك الحديث: «أنـا وأنت دعوة إبراهيم الخليل».

السر الثاني

ومن أسرار الولادة الشريفة: أنه قد يكون سّر هذه الولادة المباركة ما يـتوقف بيانه ويحتاج إلى ذكر مقدمة تمهيدية تشتمل على أمر مهم في الغاية وهو:

---

(١) كشف الغمة: ١٩.

أنواع الوّلادات

أن الولادة التي هي عبارة عن تكون شيء من شيء، وأنبثاق كائن من كائن آخر، تقع في الخارج على ثلاثة أنواع:

الأوّل: تولّد جسم من جسم ومادّي من مادّي كتولد حيوان من حيوان، ونبات من نبات، ومعدن من معدن ومنه تولد إنسان من آخر، فيتحقق إنتزاع النبّوة والإبوة والأمومة، وهذا هو التوالد الجسماني المحض.

الثاني: تولّد روح من جسم كتولد أرواح الحيوان من جسمه، وتوالد أرواح البشر من أجسامها على ما حقّق في محلّه، من أنَّ النفس جسمانية الحدوث روحانية البقاء[1]، وإن الروح تتكون من جسم الإنسان أو الحيوان كما تتكّون الثمرة من الشجرة.

وأما أحاديث خلق الأرواح قبل الأجسام بألفي عام فهي محمولة على معان أخرى من الحكمة العالية والمعارف المتعاليه، مما لا مجال لذكرها هنا والوقوف معها، وهذه الولادة برزخ بين الولادة الجسمانية المحضة والروحانية المحضة لأنها روحانية جسمانية.

الثالث: تولد مجرد وروح من روح كتولّد النفوس الكلّية من العقول الكلية في قوس النزول، وتولد العقول الجزئية من النفوس الجزئية وتولد النفوس الجزئية من الأجسام الشخصية في قوس الصعود، وقد قرر العرفاء الشامخون والحكماء الإلهّيون أنّه لا تنافي بين أن يتولد شخص من آخر بالولادة الجسمانية ويكون الوالد متولداً من ولده بالولادة الروحانية؛ فآدم أبو البشر وأبو الأنبياء وكذلك هو أب لخاتم الأنبياءﷺ بالولادة الجسمانية ولكنّه متولّد من محمّدﷺ بالولادة

(١) هذا رأي صدر المتألهين، وقد حقق هذا المطلب على ضوء البراهين العلمية فيكتبه الفلسيّة كالاسفار وغيرها فراجع.

الروحانية[١]، ولعلّ إليه يشير شاعر العرفاء أو عارف الشعراء إبن فارض[٢]:

وإنّي وان كنت ابن آدم صورة   فلي فيه معنى شاهد بأبوّتي

وشاعر أهل البيت العمري يقول في مدح أمير المؤمنين سلام الله عليه:

أنت ثاني الإباء في مبدء الدور   وآباؤه تعدّ نبوه

خلق الله آدم من تراب   فهو ابن له وأنت أبوه

فنقول: إذا تبين لك هذا المعنى اللطيف والدقيق، وظهر لك الحق الحقيقيّ المثيل في معنى الولادات من الأنواع الثلاثة المتقدمة الذكر، عرفت معنى الولادة الحقيقية لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالبعليه السلام داخل الكعبة فهو أبن بالجسمانية لأمه فاطمة بنت أسد وهو ابن بالروحانية والنورانية للكعبة التي ولد فيها، ومن هنا سوف يظهر لك سّر من أسرار الولادة ذو مغزى عظيم ومتوقف بيانه على ما تقدم من البيان السابق، فاذا عرفت الأول ـ أعني البيان الأول ـ حصل لك المراد في الدخول في بيان أسرار المقام الثاني لولادة عليعليه السلام في الكعبة المباركة، فولادته في الكعبة أدل دليل على كونه المعنى الروحي والنوري لها، وهذا ما يظهر لنا من بيان شأن من شؤونات هذه الولادة الغريبة في نوعها، والحادثة التي لن يأتي الزمان بمثلها فهي الفرد الوحيد الذي يندر التأريخ أن يعيده في دهره، ففي ولادته سّر دقيق ورمز عميق يظهر لنا من كون حقيقة التوجة إلى الكعبة في صلاتنا، فهذا التوجه في الحقيقة والواقع لا يكون إلا توجه الروح والجسد كليهما إلى جهة قبلة الله تعالى، وإن كان المناسب التوجه قبل كل شيء إلى القبلة الحقيقية التي أراد الله تعالى لنا التوجه إليها بكل ما تحمله كلمة التوجه من معاني نفسية أو روحية، أو فلسفية، أو

(١) جنة المأوى: ١٧٠.

(٢) إبن فرض هو شرف الدين أبو القاسم عمر بن الحموي المصري العارف المشهور صاحب القصيدة التائية الصغرى والكبرى توفي سنة: (٦٣٢)هـ بالقاهرة.

عقلية، فالقبلة الحقيقية كما عبّر عنها الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين عليهما السلام بقوله: «أن علياً كان كالكعبة التي أمر الله بأستقبالها، جعله ليؤتم به في أمور الدين والدنيا، كما أن الكعبة لا ينتقص في شرفها إن ولى عنها الكافر فكذلك لا يقدح في عليّ عليه السلام إن أخره عن حقه المقصورن»[1].

إذن القبلة الروحيّة الحقيقية هو أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، وكما ورّد في الأخبار المتواترة والآثار الخالدة أن حقيقة وروح الصلاة هو عليّ وآل عليّ عليهم السلام، فكذلك كان الأمر فإن الصلاة حقيقة هم عليهم السلام فالوجه بهم يكون أعلى وأسمى في إظهار مقامها ورفعتها، وعلى هذا الأساس يقتضي التوجه بالصلاة إلى الكعبة الصورية والكعبة المعنوية، فالإنسان يتكون من بعدين أحدهما الجسم المادي والآخر البعد الروحي أو المعنوي، والتناسب يقتضي في المقام الذي نحن فيه أن يتوجه في الصلاة كل بعد إلى نفس السنخ الذي يناسبه، فالجسم يقتضي التوجه إلى الكعبة الصورية المتمثلة في البنية والأحجار المبنية منها الكعبة الشريفة، وإذا كان الحال في الإنسان أن يتوجه فقط إلى تلك البنية في صلاته، ويكون قصده مقصور على خالصة ذلك التوجه الجسماني دون الروحي المعنوي، فأنه بالنتيجة سوف يكون نوعاً من عبادة الأصنام والعياذ بالله، ولكن كما قلنا فإن المقام الإنساني الذي هو ذو بعدين يقتضي توجه الجسم وهو التراب المادي الذي خلق منه الإنسان أن يتوجه إلى الكعبة الصورية التي هي أحجار وتراب، والروح المعنوية تقتضي التوجه نحو النور المجرد، لكونها ـ أي الروح ـ جوهر يناسب ذلك النور، أو كما يعبر عنه كل جنس لاحق بجنسه: النور لا حق إتصال بينهما فهما كلمة واحدة (لاحق) للنور، والتراب لاحق للتراب، فالمقصود من هذا البيان هو التوجه إلى القبلة الحقيقية والنور الحقيقي الذي إنبثق من تلك الكعبةالصورية، فيكون سّر من أسرار الولادة الشريفة، كيف لا؟

---

(١) تفسير الامام: مقدمة تفسير البرهان: ٢٨٥.

ونحن نعلم إن الإسلام بني على خمسة: الصلاة والزكاة والصيام والحج والولاية، ولم يناد بمثل ما نودي بالولاية، فالولايّة ومن يمثلها ـ وهو سيد الموحدين أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ـ أساساً لقبول الأعمال الأخرى، فالصلاة لا تقبل من دون القصد والتوجه إلى الولايّة الحقيقية، وكذلك بقية الأعمال العبادية الإخرى متوقف على الولاية لأولياء الله تعالى فافهم تغنم فأن في الأمر إشارات لا يسع المقام ذكرها.

والخلاصة في هذا المقام أن سر من أسرار تلك الولادة هو كون التوجه الحقيقي لله تعالى سوف يكون من هذا النور الحقيقي الذي يبزغ فجره من داخل الكعبة الشريفة، وأن الدين الإسلامي الحنيف سوف يتوقف تبليغه كله على تبليغ الولايّة العظمى المتمثلة في ولادة علي وآل علي عليهم السلام.

صبرت فاطم على الضيم حتى	لهث الليل لهثة المكدور
وإذا نجمة من الأفق خفت	تطعن الليل بالشعاع الحديد
وتدانت من الحطيم وقرت	وتدلت تدلى العنقود
تسكب الضوء في الأثير دقيقاً	فعلى الأرض وابل من سعود
واستفاق الحمام يسجع سجعاً	فتهش الأركان للتغريد
بسم المسجد الحرام حبوراً	وتنادت حجاره للنشيد
كأن فجران ذلك اليوم فجر	لنهار وآخر للوليد
ذلك ـ علياً ـ أسم تناقلته الفيافي	ورواه الجلمود للجلمود
يهرم الدهر وهو كالصبح باق	كل يوم يأتي بفجر جديد[1]

(١) للشاعر المسيحي بولس سلامه في ملحمته التأريخية الكبرى المسماة: (عيد الغدير) حيث تضمنت أبياتاً في ولادة الإمام عليّ عليه السلام في الكعبة الشريفة.

السّر الثالث

ومن أسرار الولادة أن يكون مولد الإمام أمير المؤمنينعليه السلام في الكعبة المشرفة هو إيذاناً من الله تعالى إلى البشرية جمعاء بأن الذي سيطهر هذه الكعبة من رجس الأصنام والأوثان، والأنصاب المنصوبة داخلها هو هذا المولود المبارك الذي ولد فيها، وفعلاً قد تحقق هذا المعنى عند فتح مكة المكرمّة حيث دخل النبيّ المصطفى محمّدصلى الله عليه وآله وسلم مكة فاتحاً والأصنام أنذاك معلّقة على جدرانها ولكلّ قبيلة من قبائل العرب كان منصوب لها صنم في جوف الكعبة، فما كان من الرسول الأعظمصلى الله عليه وآله وسلم إلّا أن أصعد علياً على منكبه الشريف، وأخذ الأمير يحّطم الأصنام ويرمي بها إلى الأرض، والنبيصلى الله عليه وآله وسلم يقول: «**جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً**»[1].

وفي ذلك قال رجل للصادقعليه السلام: أخبرني لماذا رفع النبيّ علياً على كتفه؟

قال: ليعرف الناس مقامه ورفعته. فقال زدني يا بن رسول الله.

فقال ليعلم الناس أنه أحق بمقام رسول الله. فقال: زدني.

فقال: ليعلم الناس انه إمام بعده والعلم المرفوع.

فقال : زدني.

فقال: هيهات والله لو أخبرتك بكنه ذلك لقمت عني وأنت تقول ان جعفر بن محمد كاذب في قوله أو مجنون وكيف يطلع على الأسرار غير الأبرار.

إني لأكتم من علمي جواهره ... كيلا يرى الحق ذو جهل فيفتننا

وقد تقدم في هذا أبو حسن ... الى الحسين وأوصى قبله الحسنا

ولقد أجاد الشعراء في ذكر هذه المنقبة العظمى لعليّعليه السلام، ومنهم الشافعي حيث يذكر هذه الفضيلة بأبيات تنسب له؛ يقول في جملة منها:

---

(١) الإسراء: ٨٤.

وعــلـيّ واضــع أقــدامــه ... فــي مــحلّ وضــع الله يــده

حيث أشار في هذا المقطوعة الشعرية إلى حديث معراج النبيّ ﷺ في قوله: «إنّ الله عزّ شأنه وضع يده على كتفي حتى أحسست بردها على كبدي».

وجــاء مــطهر بــيت الإله ... فــعن مــجد كــل رجس قــذف

أزاح عــن البــيت أوثــانهم ... وأزهــق مــن عــن هــداه صــدف

وكــان الخــليل له رافــعاً ... قــواعــده حــله مــا وصــف

فــليس مــن البــدع أن أســدلت ... عــلى شــبله مــنه تــلك السـجف

السر الرابع

ومن أسّرار الولادة العلويّة الشريفة ما قد نستفيده مـن خـلال تـقديم بـعض المقدمات بهذا المقام، وهو ما ثبت من كون ضربة الإمام عليّ عليه السلام يـوم الخـندق تعادل عبادة الثقلين، وأعني بضربته أي عندما برز إليه عمرو بن الود العامري حيث قال الرسول ﷺ: برز الإسلام كله للشرك كله»، وعلى هذين القولين إضافة إلى ما ثبت من كون الطواف حول بـيت الله الحـرام هـو أحـد أركـان الحـج وقـول الرسول ﷺ:

«مثل علي فيكم كمثل الكعبة المشرفة النظر اليها عبادة، والحج اليها فريضة»، وقوله ﷺ: «يا علي أنت بمنزلة الكعبة»

أقول: يتبين من هذا كله، أنه لولا عليّ عليه السلام لما طاف طائف حول الكعبة الشريفة التي يكون الإمام بمنزلتها بوجود المناسبة الشبهية بينهما فالكعبة تقصد ويتوجه بها إلى الله سبحانه، وكذلك الإمام يقصد ويتوجه به إلى الله تعالى، فسّر مـن أسـرار الولادة الميمونة يظهر لنا من بين طيات هذه المقامات العلّية فكأن بولادته عليه السلام في كعبة الله إشارة إلى أنه لا يطوف الطائفون حولها لولا حسام ذلك المولود، كيف لا

ولولا ضربته في يوم الخندق لما بقيت للإسلام باقية.

ولدتــه فــاطمة بــبيت الله يــا طــوبى لطــاهرة أتت بــمطهر
لولاه مــا طــاف الحــجيج بــه وذاك الهدى لولا سيفه لم يـنحر
قـــد كـــان أول طـــائف فــيه ومــعتكف بـه ومحلق ومـقصر

السر الخامس

ويوجد رمز دقيق وسّر لطيف في معنى ولادة عليّ عليه السلام في الكعبة الشريفة وهذا المعنى يظهر من خلال التمعن الدقيق والتوقف الصحيح عند جملة من الروايـات، حيث نستفيد من هذه المأثورات الشريفة أن بولادة عليّ عليه السلام في الكعبة إشارة إلى كونه أول من يؤمن بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويـصدقه فـي دعـوته ويـقف دونـه فـي كـل الصراعات، بل يضحي بالغالي النفيس لنصرته في كل المواطن والمواقف التي وقف فيها معه، ويمكن أن نرى هذا القول الدقيق والرمز الجلي والسّر العليّ فـي قـول فاطمة بنت أسد حيث تقول في قصة خروجها من الكعبة المشرفة بعد أن قـضت ثلاثة أيام:

«فلما أردت الخروج من الكعبة هتف بيَّ هاتف أسمع صوته ولا أرى شخصه: يافاطمة سمي ولدك علياً فأن العليّ الأعلى أمرني أن أقول لك ذلك والله يقول: أنا المحمود وحبيبي محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وأنا العلي وولي عليّ عليه السلام وقد شققت اسمهما من أسمي، وأدبتهما بأدبي، ووقفتهما على علمي، وهما الصفوة من الأخيار، وقد خلقت نورهما من نوري، وعزتي وجلالي اني شققت إسم ولي من أسمي وولد في بيتي وهو أول من يؤمن بيّ ويصدق برسولي ويقدسني ويهللني ويكبرني، وهو خليفة نبيٍّ ووزيره ووصيّه والقائم بالقسط من بعده...

وفي رواية أخرى مثلها مع أختلاف بسيط في نهايتها حيث تقول الرواية: «وهو

الذي يكسر الأصنام في بيتي، وهو الذي يؤذن فوق ظهر بيتي ويقدسني....»[١].

ويظهر من هذا الحديث إنَّ أول من يؤذن فوق الكعبة الشريفة هو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام خلاف ما يدعيه بعض الكتاب أنه أول من أذن هو بلال، نعم بلال أذّنَ ولكن ليس هو أول من أذن فوق الكعبة الشريفة، فلقد سبقه الإمام عليه السلام وإلى ذلك أشار الحّر العاملي صاحب كتاب الوسائل في إرجوزة له في تواريخ المعصومين عليهم السلام حيث قال:

وعندما وضعته ورمت أن	أخرج نادى هاتف لي بالعلن
سمي الذي وضعته علياً	فلن يزال قدره علياً
لقد شققت إسما له من إسمي	أطلعته على خفي علمي
أدبته بأدبي إكراماً	وهو الذي يكسر الأصناما
في بيتي الشريف إذ يؤذن	من فوقه وبالآذان يعلن
طوبى لمن أحبه ووالى	ومن أطاعه يجازى فضلا

السّر السادس

ويوجد معنى دقيق ولطيف في ولادة علي عليه السلام في الكعبة وهذا ما نفهمه من خلال قول أمير المؤمنين عليه السلام في آخر حياته الشريفة حيث عند ما ضربه الملعون ابن الملجم المرادي على رأسه الشريف، نادى الأمير بصوت يهزّ الوجود: «فزت ورب الكعبة» أي ورب الكعبة التي ولدت فيها، وكأنه سلام الله عليه يشير إلى أنه ولد في بيت من أعظم بيوتات الله وهو بيت الله الحرام الكعبة الشريفة، وختمت حياتي في بيت من بيوتات الله وهو مسجد الكوفة، فما أعظم الفوز عندما تكون

(١) كشف اليقين: ١٩، بشارة المصطفى: ٧-٨.

الارشاد: ٢/٥-٧، الامالي: ٨٠-٨١، وعلل الشرائع ومعاني الاخبار مثله.

الولادة في الكعبة، وتكون الشهادة في المسجد، وقد يكون أشارة بقوله فزت ورب الكعبة إلى أنه صاحب الكعبة ومحطم الأصنام فيها، وارفع شأنها ومشرفها بتلك الولادة العلوية العظمى فحياته بدأت وأنتهت في بيوتات الله تعالى.

وإلى تلك الأسرار أشار الشعراء لفضيلة الوّلادة العلويّة ومنهم إسماعيل الحميري والسيد ميرزا إسماعيل الشيرازي الذي له قصيدة عظيمة موشحة في ولادّة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالبعليه السلام أرتأينا أن ننقلها بأكملها لعظم فضيلتها حيث بقية تصك المسامع ملأً بالأعجاب والرضا جيلاً بعد جيل ولم تندثر حتى يومنا هذا وستبقى خالده لذكرها معاني أسرار تلك الوّلادة العظيمة التي تمثلة في ولادة الإمامة والولاية العظمى لأمير المؤمنينعليه السلام.

رغد العيش فزده رغدا بسلاف منك تشفى سقمي[١]

طرب الصب على وصل الحبيب وهنا العيش على بعد الرقيب[٢]

وقّني من أكؤس الراح النصيب وأسقنيها توأماً لا مفردا

فالهنا كلُّ الهنا في التوأم[٣]

* * *

آتني الصهباء ناراً ذائبة كللتها قبسات لاهبه[٤]

وأسقينها والنّدامى قاطبه فلعمري أنهارُّ الصّدى[٥]

لفؤاد بالتصابي مضرم

---

(١) رغد العيش: أي طاب والسّلاف ما سال وتحلب قبل العصر وهو أفضل الخمر.

(٢) الصب: العاشق والمولع. والرقيب هو المراقب والمزاحم للوصل ومعناه أن العيش هانيء مع بعد الرقيب.

(٣) فإن السعادة في الأثنينية والوصال.

(٤) الصّهباء: الخمر سميت بذلك للونها الأبيض المخالط للحمرة.

(٥) الصّدى: العطش الشديد.

ما أُحيلى الرّاح من كف الملاح هي روح هي روحٌ هي راحْ[١]
فأدرها في غدو ورواح كذكاء تتجلى صر خدا[٢]
رصعتها حببٌ كالأنجم

❊ ❊ ❊

حبذا آناء أُنس أقبلت أدركت نفسي بها ما أملت[٣]
وضعت أمّ العلى ما حملت طاب أصلا وتعالى محتدا[٤]
مالكاً ثقل ولاء الأُمم

❊ ❊ ❊

آنست نفسي من الكعبة نور مثل ما انس موسى نار طور
يوم غشى الملأ الاعلى سرور قرع السمع نداءٌ كندا
شاطىء الوادي طوى من حرم

❊ ❊ ❊

ولدت شمس الضُّحى بدر التمام فأنجلت عنّا دياجير الظلام
ناديا بشراكم هذا غلام وجهه فلقة بدر يهتدي
بسنا أنواره في الظلم[٥]

❊ ❊ ❊

(١) الرّوح هي الروح المعروفة أي النفس والروح هي الراحة والراح هي الخمر.
(٢) الذكاء: الجمرة المشتعلة والصرخد موضع نسب إليه الشراب في الشعر.
(٣) الاناء جمع آن.
(٤) المحتد: الأصل وكريم المحتد بمعنى كريم الأصل.
(٥) بسنا أنواره أي ببريق أنواره.

هــــذه فــــاطمةٌ بــنت أســد أقــبلت تــحمل لاهــوت الأبــد
فــاسجدوا ذلا له فــيمن سجد فــله الأمــلاك خــرت ســجد
أذ تجلى نوره في آدم[1]

❋ ❋ ❋

كشف الستر عــن الحق المــبين وتـــجلى وجــه ربِّ العــالمين
وبــدا مــصباح مشكـوة اليـقين وبــدت مشـرقة شـمس الهـدى
فانجلى ليل الظلام المظلم

❋ ❋ ❋

نســخ التأبــيد مــن نــفي تــرى فأرانـــا وجــهه ربُّ الورى[2]
ليت مــوسى كــان فــينا فــيرى مـــاتمناه بـــطور مـــجهدا
فانثنى عنه بكفى معدم[3]

❋ ❋ ❋

هل درت أُم العــلى مــا وضــعت أم درت ثدي الهدى ما ارضــعت
أم درت كــفّ النــهى مــا رفــعت أم نــرى ربّ الحــجى مــا ولدا
جل معناهُ فلمّا يعلم[4]

---

(١) أشارة إلى الآية المباركة ﴿فسجد الملائكة كلهم إجمعين﴾ وورد في الحديث أن سجودهم كان لأجل أنّ أنوار أهل البيت تجلت في آدمﷺ.

(٢) يريد الشاعر أنّه بمولد الأمام أمير المؤمنينﷺ الذي هو وجه الله نسخت (لن) في الايـة الشريفة ﴿قال لن تراني﴾.

(٣) أي رجع من طور خالي الكفين بعد لم يرى الله جل وعلا.

(٤) يستعمل الشاعر هنا معنى أدبي لطيف ذو وجهين ويقول أن الله تبارك وتعالى لم يعلم ولم يعلم أن له ولد.

سـيد فـاق عـلا كـل الأنـام كـان أذ لاكـائن وهـو أمـام
شـرف الله بـه البـيت الحـرام حـين أذ اضحى لسناه مـولداً
فوطى تربته بالقدم(١)

❊ ❊ ❊

سـيد حـازت بـه الفـضل مـضر بـفخار قـد سـما كـل البشـر
وجـهه فـي فـلك العـليا قـمر فـبه لابـالنجوم يـهتدي
نحو مغناه لنيل المغنم

❊ ❊ ❊

هـو بـدرٌ وذراريـه بـدور عـقمت عـن مـثلهم أُم الدهـور
كـعبة الوفـاد فـي كـل الشـهور فـاز مـن نـحو فـناها قـصدا
لمطاف منه أو مستلم(٢)

ورثوا العـلياء قـدماً مـن قـصي ونـزار ثـم فـهر ولؤي
لايـبارى حـيهم قـط بـحي وهـم أزكـى البـرايا مـحتدا(٣)
وإليهم كلّ فخر ينتمي

❊ ❊ ❊

(١) يقصد الشاعر أن الكعبة تشرفت بوليدها حيث انه وطأها بقدمه.

(٢) أي فاز من قصد فناء البيت والمراد منه هنا أمير المؤمنين عليه السلام وولده الكرام ـ لأجل ان يطوف بالبيت او يستلمه.

(٣) أي لا يقاس حيهم بأي حيّ آخر من جهة الفضيلة.

أن يكـــن يـــجعل لله البـنون وتـــعالى الله عـــما يـصفون
فـوليد البيت أخـرى أن يكـون لولى البــــيت يـــدعى ولدا
لا عزير لا ولا أبن مريم

❊ ❊ ❊

هـو بـعد المـصطفى خـير الورى من ذرى العرش إلا تحت الثـرى
قـــد كست عـليائه أم القـرى عــــزة تــحمي حــماها أبــداً
حيث لا يدنوه من لم يحرم[1]
سبق الكون جـميعاً فـي الوجـود وطــوى عــالم غـيب وشـهود
كل ما في الكون من يمناه جـود إذ هـــو الكــائن لله يــدا[2]
ويدُ الله مدر الأنعم

❊ ❊ ❊

أيّها المرجـى لقـاه فـي المـمات كــل مـوتٍ فـيه لقـياك حـياة[3]
لـيـتما عــجَّلَ بــي مـا هـو ات عـلنى ألقـى حـياتي فـي الردى
فائزاً منه بأوفى النعم

❊ ❊ ❊

(١) يريد أن علياء أمير المؤمنين كست الحرم حرمة وعزّة.
(٢) أي كان يد لله فكل ما في الكون من نعمة فهي جود من يمناه.
(٣) ورد في أحاديث كثيرة أن المرء يرى أمير المؤمنين عليه السلام حين مماته عند نزع الروح سواء كان مؤمناً أو فاسقاً. كما رُوي هذا المعنى عن أمير المؤمنين عليه السلام نفسه في حديث له مع الحارث الهمداني رضي الله عنه وسيأتينا في بحث عليّ عليه السلام سر المعاد.



البحث الثالث

عليّ عليه السلام سرّ القرآن

السيد علي نقي الحيدري

يــــاعليا ســمت بــه العــلياء لمــــعال ليست لهــــنّ انــتهاء
لك اسـم مــن اسـمه الله قـدماً شــقّه حــين لم تكــن أســماء
كـنت والمـصطفى ضـياءً ونـوراً تَــــعبدان الإله إذ لا ضـــياءُ
حـين لا الأرض يـوم ذلك أرض فــي فـضاءُ ولا السماءُ سماءُ
ثـم لمّـا قـضى الإله تـعالى إنّكـــم بـــين خـلقه شــهداءُ
كنت أنت المولود في البيت فضلاً واخــتصاصاً لم يـؤته الأنـبياء
نـلت فــي ذاك رفـعة لم يـنلها أنـــبياء قــدماً ولا أوصــياء
وحـطت الأصـنام عـنه بـحزم فــهي بـعد التـاليه دهـراً هـباء
ذاك يوم ارتـقيت مـرقى عـظيماً خلت للحجب كـان مـنك ارتـقاء
فــوق كـتف النـبيّ أحـمد لكـن ذاك مــرقى مــا فـوقه استعلاء
أنت من أهـل بـيت طـه ومـّمن أذهب الرجس عـــنه والفــحشاء
أنت نفس النبيّ فـي قـل تـعالوا نــدع أبـنائنا وتــدعى النسـاء
أنت مــن أحـمد كـما كـان مـن مــوسى أخـوه وليس فـيه مـراء

* * *



البحث الثالث

عليّ عليه السلام سرّ القرآن

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«عليٌّ مع القرآن والقرآن مع عليّ، لن يفترقا حتّى يَرِدا عليّ الحوض»[1]

تمهيد:

وردَّ هذا الحديث في عدة كتب روائية عند الخاصة والعامة، فهو يعتبر من أشهر المشهورات في الباب الروائي والّذي وردَّ على لسان النبيّ الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، ولا يخفى على المدقق الفاحص لسند ومتن الحديث أنّه يعتبر من أقوى الأحاديث سنداً ومتناً ودلالة على ثبوته ومصداقيته، فلا يستطيع أحد أن ينكر هذا المأثور الروائي الوارد على لسان الرسول الكريم.

والحديث عن القرآن الكريم وارتباطه بعليٍّ أمير المؤمنين عليه السلام يحتاج إلى تأمل طويل واستفراغ جهد جهيد للوصول إلى معرفة أسرار هذا الارتباط وكيف أقتضت ذات عليّ عليه السلام الشريفة أن تكون حاملة للقرآن الكريم وأسراره، وكيف أصبح عليّ عليه السلام هو سّر القرآن الكريم بكل مظاهره وعلومه وآثاره ومقاماته الروحية والملكوتية والناسوتية والتي تجلت في كل العوالم الوجودية للإنسان الكامل المتمثل في محمّد وآل محمّد عليهم أفضل الصلاة والسلام.

---

(١) مستدرك الحاكم: ٣/١٢٤، وكنز العمال: ١١/٦٠٣، المناقب «للخورامي»: ١٠٧، المستدرك: ٢/١٢٤، كفاية الطالب: ٢٥٣، احقاق الحق: ٥/٦٣٩-٦٤٥، ١٦/٣٩٨-٤٠١.

فالدخول في هذا البحث والوصول إلى كنهة الحقائق العرفانية والتجليات الربانية لحقيقة القرآن الكريم المتمثل في الوجودات الشريفة التي هي مظهراً للصفات الكريمة، ومستودعاً للحقائق العلمية البرهانية، مما يحتاج إلى ذوق رفيع وفهم دقيق للوقوف معها، والتعرف على خصوصياتها، والولوج في مدارك الكمال للحصول على دقائق الكلام بالنسبة اليها وهذا ما سنقف معه انشاء الله في الصفحات التالية للتزود من هذا المنهل العذب والكوثر الزلال الذي لا يأتيه الباطل لا من بين يديه ولا من خلفه.

الترابط

لقد شاءت الحكمة الإلهية أن يكون القرآن الكريم هو خاتم الكتب السماويّة المنزلة على الأنبياء، حيث جاء هذا القرآن على لسان خاتم الأنبياء والمرسلين محمدﷺ، ونزل على قلبه الشريف في أعظم وأشرف وأفضل الشهور عند الله تعالى وهو شهر رمضان **﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾**[١].

لذا نجد أن ابرز ما يميز شهر رمضان هو كونه شهر التوبة والغفران والتوجه إلى الله تعالى بينة صادقة، وقلب سليم، وكل ذلك هو للوصول إلى مقام التقوى، فهو شهر التقوى وكما عبّر القرآن الكريم **﴿ياأيها الذين أمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾**[٢].

فالتقوى هدف الصيام لأنّها أساس الإيمان الذي يعرج به الإنسان في مدارج الكمال للرصول إلى العبوديّة المطلقة لله تعالى.

---

(١) البقرة: ١٨٥.

(٢) البقرة: ١٨٣.

فالقرآن الكريم هو كتاب هداية للمتقين، وهذا يعني أن الذي يكون في أعلى درجات التقوى والإيمان هو الذي يستطيع الوصول إلى حقائق القرآن الكريم ومعرفة أسراره وتجلياته وبراهينه، كل ذلك للعلاقة الوطيدة بين التقوى ومعرفة القرآن، بين الورع الذي يمثل أساس التقوى وبين القرآن الكريم، وعلى هذا الاساس يوجد ترابط وثيق جداً بين التقوى والقرآن الكريم، فالمتقي هو الذي يحمل القرآن الكريم ويفهم معانيه ويصل إلى حقائقه لأن قلبه متفتح وعقله متهيأ للوصول إلى حقيقة القرآن، فأذا كانت التقوى وملازمات التقوى هي التي تؤهل الإنسان للوصول إلى حقائق القرآن الكريم ومعرفة براهينه، فما بالك بالّذين يمثلون أساس التقوى بل هم الأدلاء على طرق التقوى ومناهج التقوى وهم أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة وهم محمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم صلوات الله عليهم أجمعين، فالرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته هم الذين يحملون القرآن ويفهمون القرآن وهل يفهم القرآن إلامن خوطب به، ومن نزل في أبياتهم، وبالخصوص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

فمن الفضائل المهمة والخصائص المختصة بعليّ عليه السلام قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

«عليّ مع القران والقرآن مع عليّ، لن يفترقا حتى يردا علي الحوض».

حيث كان عليّ عليه السلام منذ ولادته الشريفة بجنب الرسول الأعظم يوليه الإهتمام البالغ ويربيه التربية الصالحة لأن الرسول كان ينظر إلى الإمام وهو يعلم أنه المؤهل الوحيد للخلافة من بعده، فعليّ عليه السلام منذ بداية نزول الوحي إلى جنب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يفارقه في حالة إلا في موارد نادرة حيث طلب فيها إذنه صلى الله عليه وآله وسلم مثل ليلة المبيت في فراشه، وغزوة تبوك والبعث إلى اليمن، وكان حامياً وناصراً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حتى لحظة وفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، حيث كان رأسه صلى الله عليه وآله وسلم في حجره، ولهذا اختص عليّ عليه السلام بمعرفة كل ما نزل من الوحي على

رسول الله ﷺ، وكان طبيعياً أنه يعلم خاصة بعد رسول الله ﷺ خصوصيات الوحي من ساعات النزول ودقائقه إلى أخر لحظات عمره المبارك عليه السلام ومن أنه ـ أي القرآن ـ نزل في الليل أو النهار، في السهل أو الجبل، في الحضر أو السفر، وعلى من نزل، وكان أمير المؤمنين عليه السلام يعلم ناسخه ومنسوخه، عامّه وخاصّه، ظاهره وباطنه، ومحكمه ومتشابهه، وهو يعلم إعرابه وترتيب نزوله خصوصاً أنه ﷺ أوصّاه بجمع القرآن الكريم حتى لا يضيعوه كما ضيعت اليهود التوارة وإن كان الله تعالى قد تكفل بحفظه من الضياع والنسيان **﴿انا نحن نزلنا الذكر وأنا لهُ لحافظون﴾**[1]، وقام الإمام عليّ عليه السلام بكتابة القرآن الكريم حين أملاه عليه رسول الرحمة ودعا الله تعالى له عليه السلام أن يعلمه ويفهمه ويحفظه، واستجاب الله دعاءه ﷺ فصار عليه السلام حافظاً للقران الكريم وعالماً بمفاهيم وأسراره المودعة فيه، وهذا ما سيتبين لنا من خلال البحث، حيث علمه رسول الله الف باب من العلم ينفتح له من كل باب ألف باب من العلم، واول دليل وشاهد على ذلك هو إقتران القرآن الكريم بعدل القرآن المتمثل بأهل البيت عليهم السلام حيث يؤيد هذا الحديث:

(إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي) كون عليّ عليه السلام وأل عليّ عليهم السلام هم عدل القرآن وهم الذين يفهمون القرآن الكريم.

فمسألة فهم القرآن الكريم مسألة مهمة جداً، وضرورية تفرض وجودها من خلال نفس القرآن الكريم، فهذا قوله تعالى:

﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه أيات محكمات هن أم الكتاب وأُخرُ متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العلم﴾[2].

---

(١) الحجر: ٩.

(٢) آل عمران: ٧.

فعلى أساس هذه الآية المباركة قد قسم القرآن الكريم آياته الشريفة إلى قسمين: أيات في القرآن تسمى محكمات، وآيات أخرى تسمى متشابهات، فما معنى المحكم وما هو المتشابه؟

إنّ معنى الآية المحكمة هي التي بمجرد أن نسمعها نفهما فوراً٧ بحيث لا تحتاج إلى بيان وشرح لها ولا تفسير، ولا تحتاج إلى قرينة لفهمها فهي مفهومة لمن عنده عقل وفهم عقلائي غير مختل فقوله تعالى ﴿**قول هو الله أحد**﴾وقوله ﴿**إن الله لا يظلم الناس شيئاً**﴾، لا تحتاج إلى تفسير، فهذه الآيات محكمات.

ولكن هناك آيات تعتبر غامضة يمكن أن تحتمل أكثر من تفسير، فإذا قرأتها أو سمعتها فإنك تحتاج إلى تفكير عند تفسيرها لتوضيح الغامض منها، مثل هذه الايات تسمى آيات متشابهة.

علة المتشابه في القرآن الكريم

وهنا سؤال يطرح نفسه في المقام وهو لماذا جعل الله تعالى المتشابه في القرآن الكريم؟ ولماذا هذا العدد الكبير من الآيات التي لا يستطيع معرفة تفسيرها إلا بعد المراجعة والتفكير ولا يصل في الحقيقة الا إلى ظاهرها بعد الجد والتعب؟

فهذه الأسئلة تطرح في المقام لكي يقف معها المتمعن ويرى ما العلة في ذلك؟ أليس من الأحرى على الله تعالى أن يجعل القرآن الكريم كله محكم فلا يكون عندئذ متشابه، وبذلك لا يضّيع علينا الوقت الكبير والثمين لفهم القرآن الكريم؟

فالقرآن الكريم يقول ﴿**وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم**﴾[1] فلو قال القرآن وما يعلم تأويله إلا الله وأهل البيت لكفانا ذلك في البحث وإعمال التفكير لفهم القرآن الكريم!!!

(١) آل عمران: ٧.

الجواب على هذا السؤال يعود في الحقيقة إلى قضية مهمة جداً في حياة الفرد المؤمن، هذه القضية تجعل الإنسان المسلم على محك في معرفة وسلوك الطريق الصحيح، وبعبارة آخرى هذه المسألة تبين مدى التزام الفرد المؤمن بما أراده الله تعالى منه، في سلوك الطريق المستقيم.

جواب جعل المتشابه

أما الجواب على السؤال المتقدم فيمكن ذلك من خلال الوقوف على نقطتين أساسيتين تمثلان دعامة كبرى لفهم الموضوع وهما:

١ـ إن القرآن الكريم كنز لا يفنى، وعطاء دائم متجدد وعلى هذا الأساس يكون محلاً للبحث والتفكير فيه، وإعمال العقول للوقوف على كنهة معرفته، فهو يدعو الإنسان المؤمن إلى النظر والتدبر في معانيه واراداته ومطالبه ومفاهيمه، فالقرآن يثير العقول والقلوب، ويجدد حركتها ويحييها ويخرجها من الظلمات إلى النور، فهو على هذا البيان يكون مجدداً لحياة القلوب والعقول، ومثيراً لحيويتها، لذلك نجد القرآن الكريم يؤكد على التدبر فيه **﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفالها﴾**[1]، وعندئذ لو كانت كل آيات القرآن الكريم محكمات أي واضحات بسيطة لا تحتاج إلى إعمال فكر لتوقفت حيوية العقول ولماتت القلوب، فلا يصل إلى العقل والقلب نور البرهان، ويكفي شاهداً على ما نقول هو ما ورّد في علم الرياضيات، هذا العلم الذي يعطي القدرة للطالب الدارس لذلك العلم على البحث والإستدلال وإعمال القوانين الرياضية، فعلم الرياضيات لا يقدم للطالب المسائل المحلولة وإنما يعطيه معادلات صعبة الفهم لا يفهمها إلا بعد دراسة مطولة ويطلب منه ويحثه على إعمالها والتفكير فيها إلى أن يصل إلى حلها، فالبحث عن الحل هو الذي يثير العقول ويجعلها متجددة وحيوية.

---

(١) محمّد: ٢٤.

وهكذا في القرآن الكريم الذي هو كتاب حياة العقول والقلوب، الذي جاء ليحي الناس ويخرجهم من الظلمات إلى النور، فهو يطلب من الناس أثارة العقول والقلوب لأمتحانها واختبارها، فعندئذ تكون الآيات المتشابهات في القرآن هي موضع رحمة وحياة للإنسان المؤمن وليس العكس، هذا ما يتمثل لنا في الجواب على العلة في وجود المتشابه في القرآن الكريم.

٢ـ إن السبب الثاني هو إن القرآن الكريم لم يأت وحده ومن تلقاء نفسه فليس القرآن مباشرة جاءنا ككتاب مطبوع وكامل من السماء نزل وإنما الذي جاء بالقرآن الكريم هو الرسول الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم حيث كان يتلفظ بالقرآن والناس يكتبونه، وعلى هذا الأساس فأن القرآن الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد قرن طاعة القرآن الكريم والعمل به مع العترة الطيبة المتمثلة في أهل بيته الأطهار، فالرسول لم يترك القرآن الكريم وحدهُ علامة بل أكد بوجوب التمسك به مع العترة الطيبة، فهو صلوات الله عليه خلف القرآن الكريم فينا وكذلك عدل القرآن الكريم وهم أهل البيت، والتمسك بأحدهما دون الآخر يؤدي إلى ضلالة الإنسان وسلوكه في الطريق الغير المستقيم وإنما التمسك بهما معاً هو الذي يؤدي إلى الوصول إلى السعادة الكبرى في الدنيا والآخرة.

وعلى هذا البيان يكون وجود العترة الطاهرة مهماً جداً، بل من ضروريات مذهبنا حيث هم الأساس لمعرفة الدين ولمعرفة القرآن الكريم وتفسيره تفسيراً صحيحاً، فلو كان القرآن الكريم كله واضحاً جلياً لكان مقولة الذين قالوا بعد رحلة الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم : «حسبنا القرآن» مقولة صحيحة، والحال إنَّ الذي قال حسبنا القرآن وقف متحيراً في كثير من القضايا ولم يستطيع حلها، لذلك نجده نطق: «لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبا الحسن علي عليه السلام كما قال في كثر من سبعين موطن (لولا علي لهلك عمر)».

إذن لابّد أن يكون هناك من يحل المتشابهات وهم عدل القرآن، وهذا يعني أننا لا يمكن أن نفسر القرآن من دون تفسير أهل البيت عليهم السلام، فهم الوجود الحقيقي للقرآن الكريم، ولولا وجودهم لما بقي لنا شيء من غوامض القرآن إلا ونقف عنده متحيرين، فوجودهم يعني وجود القرآن الكريم وترجمانه وتفسيره وتبيانه وبيانه.

الإمام علي عليه السلام الوجود الواقعي للقرآن الكريم

عندما نقف مع الوجودات الفلسفية نجد أن هناك أربع حالات للوجودات لا يخرج عنها أي شيءٍ في الواقع الخارجي، وهذه الوجودات هي عبارة عن:

١ـ الوجود الذهني الذي يكون موطنه الذهن وهو عبارة عن التصورات الموجودة في ذهن الإنسان والمتنزعة من الخارج والواقع فهي فقط وجودات تصورية ذهنية تعيش في جانب معين من عقل الإنسان.

٢ـ الوجود اللفظيّ الذي يعبر عمّا في ضمير الإنسان من معاني تصورية يتصورها ويخرجها إلى عالم اللفظ والمعنى من خلال تلفظه بها، فالوجود اللفظي يكون معبراً في الغالب عن الوجود الذهني التصوري الذي يعيشه الإنسان، فالإنسان إنما يعبر عن الوجود الذهني بالوجود اللفظي.

٣ـ الوجود الكتبي، وهذا حالة أخرى للوجود الذهني اللفظي بأعتبار أنه، يبرز تصورات الانسان الذهنية واللفظية بالكتابة من الكتب فهي عبارة عن التصورات الذهنية الموجودة في أذهاننا فهذا الوجود الكتبي الذي نسطره في كتاب ما أو ما أوراق أو غير ذلك.

٤ـ الوجود الخارجي أو الواقعي الذي يحقق الوجودات الثلاثة الأخرى ويؤكد عليها ويترتب عليه الأثر الخارجي فالإنسان إذا حقق الوجودات الثلاثة الأولية من دون تحقق الوجود الرابع الواقعي الذي عليه تكون الآثار وترتبها، فليس هناك شيء

إنما تكون الأثار على الوجود الرابع الذي يحقق تلك الوجودات الثلاثة.

مثال: إذا كان رجلاً يجلس في غرفة مظلمة وهو بحاجة إلى نور يضيء الغرفة، فأنه في المرحلة الاولى وقبل كل شيء يتصور النور الذي يضيء الغرفة المظلمة وهذا التصور يكون عبارة عن الوجود الذهني، فأذا نطق باللفظ وقال أنا بحاجة إلى شمعة تنور هذه الغرفة المظلمة عندئذ هل تضاء الغرفة المظلمة؟

كلا وألف كلا، حتى لو حول هذا الوجود الذهني إلى وجود كتبي أي جعل الوجود الذهني واللفظي كتابة على ورقة وكتب كلمة شمعة أو نور ألف مرة على تلك الورقة فأن الظلام يبقى وجوده في الغرفة، نعم إذا قام بأحضار الشمعة بعد تصورها وقام بأشعالها داخل الغرفة عند ذلك يكون قد حول الوجودات الثلاثة إلى وجود حقيقي واقعي محسوس.

مثال آخر: عندما يذهب المريض إلى الطبيب على أثر أصابته بحالة مرضية معينة فإنه أولاً وقبل كل شيء يقول المريض للطبيب إني أعاني من الأعراض التالية... فيقوم الطبيب بفحص المريض فيتصور في ذهنه العلاج المناسب فيكون قد تحقق الوجود الذهني الأول في ذهن الطبيب، عند ذلك يقول الطبيب للمريض إنّ علاجك هو كذا وكذا، فيصبح العلاج في مرحلة الوجود اللفظي. ثم يقوم الطبيب بكتابة العلاج على الوصفة الطبية، فيصبح الدواء في حالة الوجود الثالث، وهو الوجود الكتبي،أما الوجود الرابع الواقعي فهو يتحقق بعد أحضار الدواء واستعماله بصورة صحيحة، وعليه يكون تحقق الوجود الرابع يؤدي إلى إعمال ويحقق الوجودات الثلاثة الأولية لأن منشأ الآثار منه.

وعلى ضوء وأساس هذه القاعدة الفلسفية في الوجودات الأربعة نقف مع الدين الإسلامي وكيفية إعمال هذه القواعد الفلسفية مع الإسلام.

تطبيق القاعدة الفلسفية

ان كل أنسان يريد أن يدخل في الدين الاسلامي لابد له قبل كل شيء أن يكون له صورة تصورية ذهنية عن الإسلام وخواصه وصفاته، وبعد معرفة الإسلام المعرفة التصورية أو نعبر عنه بالوجود الذهني للإسلام في ذهن ذلك الانسان.

ينتقل الإنسان إلى مرحلة الوجود اللفظي للإسلام فيقول مثلا كيف أدخل في الإسلام وأصبح مسلماً، فتقول له عليك أن تتلفظ بالشهادتين اللتين هما لفظان يدلان على معان مخصوصة، فينطق بالشهادتين ويقول (أشهد أن لا إله إلا الله واشهد أن محمّد رسول الله)، عند ذلك قد تحول الوجود التصوري إلى وجود لفظي، وبعبارة أخرى ينتقل الإسلام من صورة الذهن إلى صورة اللفظ عند ذلك يقول ذلك المسلم الذي دخل إلى الإسلام كيف أعرف تعاليم الإسلام اللفظي الذي نطقت به؟ فنقول له إنَّ الاسلام كعقيدة وشريعة فهو دين حقيقي له وجود كتبي يمثله وهو عبارة عن الوجود المبارك للقرآن الكريم، فيأخذ الإنسان المسلم القرآن الكريم ويقرأه بسوره وأياته المباركة ولكن هل تحقق الإسلام على هذه الصورة؟

لا لم يتحقق بعد، فلا بدّ من الإنسان الذي يجسد ويطبق الإسلام ويحمله على المستوى الخارجي والعملي المعاش الذي هو عين الواقعية، إذن لابد أن يتجسد الإسلام في شخص معين فمن هو هذا الشخص الذي يجسد الإسلام بعدالرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟

إختلفت الإطروحات والنظريات في ذلك، فمنهم من قال الذي يجسد الإسلام هو الذي يختاره الناس، ومنهم من قال لا؟

الذي يمثل الإسلام ويجسده هو من يختاره الله تعالى والذي يعطيه علم ذلك الكتـ[illegible] وهذا ما عليه معتقدنا نحن الشيعة الإماميّة.

فـ[illegible]ـي يجسد الإسلام هو الذي من قال: «سلوني قبل أن تفقدوني»... «سلوني

عن طرق السماء فأنا أعلم بها من طرق الارض»، والذي يمثل الإسلام هو الذي قال في حقه رسول الرحمة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم: **«أنا مدينة العلم وعلي بابها»**.

إذن الشخص الذي يمثل حقيقة الإسلام وحقيقة الكتاب الكريم هو الذي اشار إليه القران الكريم بقوله: **﴿وكل شيء احصيناه في امام مبين﴾**[1].

وهو نفسه الشخص الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الخندق:**«برز الإسلام كله إلى الشرك كله»**، وهو نفسه الذي قال في ولايته القرآن الكريم: **﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾**[2].

إذا فقد قد أكتمل الإسلام بأمامة عليّ عليه السلام، وهكذا مثل عليّ عليه السلام الوجود الفعلي الواقعي المتحقق للإسلام، ولذلك قال الرسول الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم **«عليٌّ مع القرآن والقرآن مع عليٌّ أينما دار يدور»** ...وقال: **«إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي»**، وكذلك قال الإمام عليّ عليه السلام في صفين للخوارج الذين رفعوا المصاحف: **«ويلكم أنا كتاب الله الناطق؟»**.

فلقد قال الإمام هذا القول لكي يرجعوا إلى عقولهم ويخاطبوا ضمائرهم، إنّ القرآن هل هو إلا هذا الكتاب الذي لا بّد له من يمثله ويجسده

فالكتاب وحده لا يكفي لا بّد من الإمام ووجود الامام الذي يمثل الكتاب الناطق والذي نفس القرآن في باطنه وسره ووجوده يدعو إلى الإمام عليّ عليه السلام، وهو حامله ومبيّنه فهو سّر القرآن وباطنه وظاهره، فذاته الشريفة لما لها من المقامات والمنازل العالية من الوجود الشريف إقتضت أن تكون حاملة لأسرار القرآن وبيانه ومعالمه وبراهينه كيف لا؟

وهو القرآن الناطق والكتاب الجامع والبيان الواضح، فهو الذي يحمل الأسرار بل

---

(١) يس: ١٢.

(٢) المائدة: ٣.

هو منبع الأسرار وهو الذي يحمل علم القرآن والكتاب، وكما قال الله تعالى: **﴿وكل شيء أحصيناه في أمام مبين﴾**(١)، ثم صرح القرآن نفسه بهذا القول إنّ الولي والإمام هو المحيط بكل شيء، فهو محيط بالعالم، والله من ورائهم محيط، فأخبر سبحانه إنّ جميع ما جرى به قلمه وخطه في اللوح المحفوظ في الغيب، أحصيناه في إمام مبين، وهو اللوح الحفيظ لما في الأرض والسماء، هو الإمام المبين وهو عليّ عليه السلام، فاللوح المحفوظ علي عليه السلام وهو أعلى وأفضل من اللوح بوجوده الشريف وقد عُلل ذلك بوجوه(٢).

(الأول): لأن اللوح وعاء الخط وظرف السطور، والإمام محيط بالسطور وأسرار السطور، فهو أفضل من اللوح.

(الثاني): لأن اللوح المحفوظ بوزن مفعول، والإمام المبين بوزن فعيل، وهو بمعنى فاعله فهو عالم بأسرار اللوح، وإسم الفاعل أشرف من إسم المفعول.

(الثالث): إنَّ الولي المطلق ولايته شاملة للكل، ومحيط بالكل، واللوح داخل فيه، فهو دال على اللوح المحفوظ وعال عليه، وعالم بما فيه، ثم قال: عليّ صراط مستقيم، أي يدل ويهدي إلى الصراط المستقيم الممتحن به سائر الخلائق، وهو حب عليّ عليه السلام لأنه هو الغاية والنهاية.

فعليّ عليه السلام هو الكتاب المبيَّن وهو الإمام المبين لما في القران الكريم لذا نجد في أوائل سورة البقرة قوله تعالى: **﴿آلم ذلك الكتاب﴾**، الكتاب الذي جعل الله تعالى فيه سر الأولين والآخرين المتضمن في هذه الأحرف الثلاثة، والتي في كل حرف منها الأسم الاعظم، وفيها معاني الأسم الأعظم الذي جعله الله تعالى في هذه الحروف المقطعات الموجودات في أوائل السور والتي جاءت المأثورات الروائتة

(١) يس: ١٢.

(٢) مشارق انوار اليقين: ١٢٥.

لتؤكد على أن من جمع هذه الأحرف وكون منها ما كون وصَّل إلى سِّر الإسم الأعظم الذي لا شك فيه ولا ريَّب هدى للمتقين الذين يؤمنون به، وهو القرآن الناطق الذي يدل على القرآن الصامت، فالناطق الذي يدل على القرآن وكل مافي الصامت موجود عند الناطق وعالم به، ومطّلع عليه ويحمل ذلك السّر ومعنى الإسم الأعظم بل هو المقام السامي للأسم الذي منه إنطلقت الموجودات ولأجله تكونت المعلولات، فبالباء تميّز العابد من المعبود وظهر الوجود من العدم وإلى ذلك يشير العارف البرسي حيث يقول:

«فالوجود المطلق وجود الحق سبحانه الذي وجوده عين ذاته. نفس حقيقة فهو لم يزل ولا يزال أحداً ابداً، ووجود ماعداه منه وبه وعنه، فهو الوجود المقيد، وذات الحق سبحانه غير معلومة للبشر، وإلا لأحاط الممكن بالواجب، وهو محال، وأين التراب ورب الأرباب، فلم يبق إلا معرفة الوجود المقيد، وحقيقته هي النقطة التي تبيناها واليها معرفة العارفين وسلوك السالكين وهو عين اليقين، وحق اليقين، ولها اعتبارات: فهي النقطة، وهي الفيض الأول، وهي العقل وهي النور الأول، وهي علة الموجودات، وحقيقة الكائنات ومصدر المحادثات، دليل ذلك من القدسيات، قوله: «كنت كنزا مخفياً فأحببتُ أن أعرف، فخلقت الخلق لأعرف» فيا عجباً ممن كان خفاؤه ولا شيء معه.

«فقوله» كنت كنزاً مخفياً، أي في سواتر الغيوب، اذ ليس هناك خلق يعرفه، وذاك إشارة إلى وحدة الذات كان الله ولا معه شيء.

«قوله» فأحببت أن أعرف، إشارة إلى ظهور الصفات.

«وقوله» فخلقت الخلق لأعرف، إشارة إلى ظهور الأفعال، وانتشار الموجودات التي كانتا رتقاً إلى صحراء ففتقناهما... وللإفعال وجود بين عَدمين، والوجود بين العدمين في حيز العدم ان كان من وجود فليس إلا الله وحده، ولذلك قال الحلاج:

«من لاحظ الأزلية، والأبدية، وغمض عينه عما بينهما فقد أثبت التوحيد، ومن غمض عينه عن الأزلية والأبدية ولاحظ بينهما، فقد أتى بالعبادة، ومن أعرض عن البين والطرفين فقد تمسك بعروة الحقيقة»[١].

أقول: لما لاحظ من إثبات حقيقة الوجود التي تنتهي إلى علة العلل وهي النقطة التي ظهر منها الوجود وتميز بها المعبود من العابد.

وأقول عوداً على بدء فأن القرآن الكريم الذي نزل على قلب الرسول الأعظم إنما نزل بالأحرف العربية المتكوّنة من ثمانية وعشرين حرفاً، فقد قطعت وجعلت في أوائل السور المباركة والتي لها ظاهر وباطن في تكوّن .سماء الرسول والإمام أمير المؤمنين عليه السلام حيث من سّر الحروف المقطعات تتكوّن الأسماء المفيضات والتي بها ـ أي هذه الاسماء والكلمات ظاهراً وباطناً ـ وهي نفسها الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه، وقد يقال إن هذا والظاهر غير ذلك، والمدعى غير مبيّن؟

فأقول: أنَّ الله تعالى قد أعطى الظاهر للناس وكلف الناس بالظاهر وهم غير مكلفين بالباطن، وهذا لا يعني أن يقف الإنسان عند الظاهر وحسب، فالظاهر كما نقول بذلك هو لأهل التكليف والتقليد، والباطن لأهل التحقيق والتجريد، لأن الباطن بالنسبة للظاهر كالروح بالنسبة للجسد، ـ ولكل شيء مُلك وملكوت أي ظاهر وباطن ـ فأنها لا تفهم ولا تعرف لأن من روح الله تعالى ﴿**ونفخت فيه من روحي**﴾[٢] وعلى هذا لو تفحصّنا الناس في هذا المقام لوجدناهم ينقسمون إلى أربعة أقسام لا غيرّ، في هذا الظاهر والباطن:

---

(١) مشارق أنوار اليقين: ٢٩.

(٢) الحجر: ٢٩.

١ـ الصنف الأول الذين يؤمنون بالظاهر والباطن ولهم حق وافر من كليهما وهم الراسخون في العلم.

٢ـ الصنف الثاني لا يؤمنون بالظاهر ولا بالباطن وليس لهم أي حظوظ منهما، وهم الكفار والمعاندين وهم كالانعام بل أضل سبيلاً.

٣ـ الصنف الثالث وهم الذين يؤمنون بالظاهر دون الباطن وهم المعبر عنهم المحجوبون في الظلمة المقرون بالشرع الحنيف دون الأصل الشريف وهي الامامة.

٤ـ الصنف الرابع وهم الذين يؤمنون بالباطن دون الظاهر وهم المعطلة عن الشرع الملازم للباطن الحقيقي.

وعلى هذا التقسيم يتكّون الناس، وتتجلى فيهم هذه الأقسام ولا يخرجون عنها، فمن آمن بالظاهر والباطن فقد وصل إلى سلك أهل الحقيقة وعرف معنى الأحرف التي نزل بها القرآن الكريم بعد المجاهدة والبرهان، والتي هي هذه الحروف ترجمان ذات الرب سبحانه وتعالى، تلك الذات التي يتحيّر فيها المتحيرون ويقف عندها المتأملون. والتي ظهر منها في إشراق صبح الوجود أثاراً علا تلك النفوس الكاملة التي أشرقت عليها أنوار الجمال والجلال، حيث كانت مظاهراً لتوحيده ومقاماً لتجليات أسماءه وصفاته، والتي حوت علم القرآن وصارت القرآن الناطق وكل شيء أحصيناه في أمام مبين، الذي يحمل القرآن وسّر القرآن فيه لا غير، وإلى ذلك يشير الحافظ البرسي حيث يقول:

«... من تصفح وجود الآيات والدعوات والأسماء الإلهيات، وجد إسم محمّد وعليّ عليهما السلام في كل آية محكمة ظاهراً وباطناً، لمن عرف هذا السّر ووعاه، فلا يحجبك الشك والريب في نفي أسرار الغيب لأن كل عدد ينحل أفراده إلى الهوى فهو يشير إلى الهوية التي لا شيء قبلها، ولا شيء بعدها، ويشير بحروفه إلى الكلمة، التي هي أول الكلمات وروح سائر الكلمات، ولذلك ورد في آيات القرآن أن القرآن

الكريم ثلاث أثلاث ثلث في مدح عليّ عليه السلام وعترته ومحبيه، وثلث في مثالب اعدائه ومخالفيه والثلث الأخر ظاهر الشرائع والأحكام وتبيين الحلال والحرام وباطنه إسم محمد وعليّ عليهما السلام، وذلك إن القرآن له ظاهر وباطن فلا ترتاب أيها السامع عند ورود فضائل أبي تراب أليس وجود الأشياء كلها من الماء: ﴿**وجعلنا من الماء كل شيء حي**﴾[١]. فالماء أبو الأشياء كلها وهو عليه السلام أبو تراب فهو سّر الأشياء كلها»[٢].

وبعبارة: إن الحق سبحانه وتعالى جعل العالم الكبير من حيث الصورة ـ كتاباً جامعاً حاملاً صور أسماء الحقّ، ونسب علمه المودع في القلم الأعلى، وجعل الانسان الكامل الذي هو العالم الصغير من حيث كتاباً وسطاً جامعاً بين حضرة الأسماء وحضرة المسمى، وجعل القرآن خلقاً مخلوقاً على صورته ليبين به خفيّ سريرته وسّر صورته ،فالقرآن العزيز هو النسخة الشارحة لصفات الكمال الظاهر بالإنسان من غير إختلاف ولا نقصان.

وأكمل مصداق لهذا الإنسان هو النبي الأعظم وأهل بيته عليهم السلام، ولذا قيل في صفته أي في صفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :«إنه كانّ خلقه القرآن» ولقد قال الله تعالى في حقه صلى الله عليه وآله وسلم ﴿**وإنّك لعلى خلق عظيم**﴾[٣].

أقول: على هذا الأساس تكون صفات القرآن الكمالية والجلالية وحقيقتها إنما تظهر ويجسدها، من هو في مقام على الحقائق الإنسانية بعد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وهو أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: فهو التجلي التام والأكمل للقرآن الكريم وهو الذي مثله على واقع الحياة عندما عاش وحين نطق بقوله «**أنا القرآن الناطق**».

---

(١) الأنبياء: ٣٠.

(٢) مشارق أنوار اليقين: ١٤٨.

(٣) القلم: ٤.

لذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لعليّ عليه السلام:يا عليّ **مثلك في أمتي كمثل «قل هو الله أحد» من قرأها مرة فكأنما قرأ ثلث القرآن ومن قرآها مرتين فكأنما قـرأ ثـلثي القرآن، ومن قرأها ثلاث مرات فكأنما ختم القرآن، فمن أحبك بلسانه فقد كـمل ثلث الإيمان، ومن أحبك بلسانه وقلبه فقد كمل ثلثا الإيمان، ومن أحـبك بـيده وقلبه ولسانه فقد كمل الايمان، والذي بعثني بالحق نبياً لو أحبك أهـل الارض كمحبة أهل السماء لما عذب الله أحداً بالنار، ياعلي بشـرني جـبرئيل عـن رب العالمين فقال لي: يا محمد بشّر أخاك علياً أني لا أعذب من تولاه ولا أرحم من عاداه.**

ويؤيد كون عليّ عليه السلام سّر الأشياء كلها ما ورّد عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال:

«ليلة أسري بي إلى السماء لم أجد باباً ولا حجاباً ولا شجرة ولا ورقـة ولا ثمرة إلا وعليها مكتوب عليّ عليّ وأن إسم عليّ مكتوب على كل شيء».

فعليّ إسمه مكتوب على الموجودات كلهّا وعلى كلمات القرآن فهو سّر القرآن الكريم وباطنه وهو عالم بظاهره وباطنه، ويؤيد ما نقوله مـا ورد عـن أبـي نـعيم الحافظ في الحلية[1]، والعلامة الكنجي الشافعي في كفاية الطالب في الباب الرابع والسبعين، والعلامة القندوزي في ينابيع المودة/ الباب الرابع عشر نقلا من كـتاب فصل الخطاب عن عبد الله بن مسعود قال:

«إن القرآن أُنزل على سبعة أحرف ما منها حرف إلا له ظاهر وباطن، وإن عليّ بن أبي طالب عنده علم الظاهر والباطن»

وكما يحصل من جملة الروايات المشهورة عند العامة والخاصة والمنشورة في كتبهم، أن علياً عليه السلام كان علمه لدنياً لأنه كان المرتضى من بين الخلق بعد الرسول

(١) حلية الأولياء: ١/ ٦٥.

الأعظم محمدﷺ ولقد ارتضاه الله واصطفاه وجعله ولياً، ويكفي في ذلك شاهداً على ما نقول في أخبار كونهعليه السلام قال: سلوني قبل ان تفقدوني... سلوني عن أسرار الغيوب فأني وارث علوم الانبياء والمرسلين... سلوني قبل أن تفقدوني فأنا بطرق السماء أعلم منكم بطرق الأرض... سلوني عن كتاب الله وما من آية إلا وأنا أعلم حيث أنزلت بحضيض جبل أو سهل أرض، سلوني عن الفتن، فما من فتنة إلا وقد علمتُ مَنْ كسبها ومَن يقتل فيها... سلوني قبل أن تفقدوني فأنما بين الجوانح منّي علمٌ جمّ، هذا سفط العلم، هذا لُعاب رسول اللهعليه السلام، هذا ما زقني رسول اللهﷺ زقّاً زقّا[1].

ولا يخفى إنَّ معتقدنا نحن الشيعة أن كل ما كان عند الإمام عليّ سلام الله عليه من أنواع العلوم فإنه اكتسبها وتعلمها من سيد المرسلين وخاتم النبيين محمّدﷺ ولقد أملى عليه النبيّﷺ من علومه الباطنية وأسراره الغيبية بكل ما يحدث في العالم ويقع في المستقبل، وكتب عليّعليه السلام كذلك بالرموز والحروف المقطعة وقد اشتهر بين العلماء بعلم الجفر الجامع، وهذا العلم مما خُص به عليعليه السلام وابنائه الأئمة المعصومونعليهم السلام كما ذكر ذلك الغزالي في بعض تصانيفه وحيث قال:

«إنَّ عند عليّ بن أبي طالب كتاب يسمى بالجفر الجامع لشؤون الدنيا والأخرة وهو يشتمل على كل العلوم والحقائق ويحوي على دقائق الأسرار وخواص الأشياء وآثار الحروف والأسماء وتأثيرات العوالم العلوّية والسفلّية كل ما في الأرض والسماء ولا يطلع على ذلك الكتاب أحد غير عليّ بن أبي طالب وأولاده الأحد عشر وهم الذين حازوا درجة الولاية وتوصلوا إلى مقام الإمامة وقد وصلهم الكتاب وعلومه بالوراثة».

ولقد أثار وصرح بأختصاص هذا العلم وذلك الكتاب بالإمام علي وابنائه

---

(١) هذا مجمل أحاديث وردت في كتب العامة امثال ينابيع المودة للقندوزي.

المعصومين، العلامه القندوزي في كتابه ينابيع المودة/ الباب الثامن والستون/ وفيه قد نقل في الموضوع شرحاً مبسوطاً من كتاب الدرّ المنظم للشيخ كمال الدين محمد بن طلحة الحلبي الشافعي.

وكذلك ذكر صاحب شرح المواقف وهو من علماء العامة قال:

«إنّ الجفر والجامعة كتابان لعليّ بن أبي طالب قد ذكر فيهما على طريقة علم الحروف، والحوادث إلى انقراض العالم وأولاده محكمون بها»[1].

---

(١) ومنشأ هذا الكتاب المسمى بالجفر الجامع الذي هو عند الإمام المهدي (عج) في وقتنا الحاضر هو أنه في العام العاشر الهجري، بعدما رجع النبي صلى الله عليه وآله من حجة الوداع هبط جبرئيل وأخبره صلى الله عليه وآله بأقتراب أجله ودنوّ منيّته، فدعا النبي صلى الله عليه وآله ربّه ورفع يديه وقال: اللهم وَعدك الذي وعدتني، إنك لا تخلف الميعاد.

فطلب من الله عز وجل وفاء الوعد المعهود بينهما، فأوحى الله تعالى إليه صلى الله عليه وآله: خذ علياً معك واذهبا إلى جبل أُحد فأذا صعدتما الجبل فأجلس مستدبر القبلة وناد الوحوش وحيوانات الصحراء فتجتمع الحيوانات أمامك، وتجد بينها معزاً وحشياً أحمر اللون قصير القرن، فأمر علياً فليأخذه ويذبحه ويسلخ جلده من طرف رقبة، ثم يدبغه، ولّما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله ما أمر ربّه، نزل جبرئيل ومعه دوات وقلم أعطاهما للنبي ليعطيهما للامام علي عليه السلام حتى يكتب ما يقوله جيرئيل وكان النبي صلى الله عليه وآله يملي ما يسمعه على الإمام علي عليه السلام فيكتبه على ذلك الجلد المدبوغ، وهذا الجلد لا يندرس ولا يبيد وهو الآن موجود عند الإمام المنتظر المهدي (عج)، ويوجد في ذلك الجلد كل ما كان وما يكون إلى يوم القيامة. وهذا الجلد هو الكتاب الذي عبر عنه الغزالي بالجفر الجامع وقال فيه من علوم المنايا والبلايا والقضايا وفصل الخطاب، وهذا الامور مذكورة وان كانت كثيرة ولكنها مذكورة على سبيل وطريقة الرمز والحروف إن مفتاح تلك الرموز ومعاني تلك الحروف هو علمٌ خاصٌ بالنبي صلى الله عليه وآله وعلّمه علياً عليه السلام ثم ورثه أولاده الأئمة الأحد عشر عليهم السلام، ولا يقدر على حل رموزه وفهم علومه غيرهم، وقد جاء في الخبر إن علياً عليه السلام فتح ذلك الجلد مرةً أمام ولده محمد بن الحنفية فما فهم شيئاً منه، وأما الائمة المعصومون عليهم السلام فكانوا في أكثر الأحيان يستخرجون من ذلك

ومن الآيات الدالة على كون أمير المؤمنين عنده علم الكتاب كتاب الله الصامت كله وما فيه من الأسرار والغوامض والمتشابهات هو قولهُ تعالى:

الإمام علي عليه السلام وعلم الكتاب

﴿ويقولُ الذين كفروا لست مُرسلاً قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾(١)، حيث دلت هذه الآية المباركة على أفضلية أمير المؤمنين علي عليه السلام على جميع الآنام سوى نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والتي تدل دلالة قطعية على كون الامام علي عليه السلام الشاهد على صدق الرسول بالرسالة وكذلك شهادة الله تعالى له بالرسالة تلك الشهادة التي كانت بالدلائل الواضحة والحجج القاطعة والبراهين الصادقة وذلك من خلال اظهار الرسول لخوارق العادة وللمعجزات النيرة البرهان، حيث كانت هذه الأمور أول دليل على الشهادة الفعلية دون القولية.

وشهادة الله تعالى على صدق الرسالة من خلال أظهار المعجزات وخرق العادات على يده إنما كانت وتجلت بأنظم شيء ظهر على لسان الرسول الأكرم

☜ الكتاب القضايا والحوادث التي كانوا يخبرون بها قبل وقوعها.

وروى العلامة الشهير بابن الطقطقي البغدادي في كتابه «الفخري» ص١١٦١ طبع بغداد، إن الامام الرضا عليه السلام كتب فيما كتب خلف كتاب العهد: «... إنّي قد أجبت امتثالاً للأمر وإن كان الجفر والجامعة يدلاّن على ضد ذلك.

وروى الحافظ عبد الكريم الرافعي في كتابه التدوين: ج ٥١/٤ ط طهران: «... والجفر والجامعة يدلان على الضد من ذلك (وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) (ان الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين)، لكني امتثلت أمر أمير المؤمنين وأثرت رضاه والله يعصمني وإياه وهو حسبي وحسبه ونعم الوكيل، وكذلك أخرجه بنصّه العلامة محمد مبين الهندي في كتابه وسيلة النجاة ص ٣٧٨ طبع لكهنو، ورواه أخرون بأختلاف يسير في الالفاظ نقلا عن ليالي بشاور ١١٢٩.

(١) الرعد: ٤٣.

نفسه حيث نطق به وهو القرآن الكريم الذي تحدى به العرب وعجزت الفصحاء والبلغاء عن الاتيان بسورة من مثله وأما شهادة الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام على صدق الرسول وجعل هذه الشهادة في عرض شهادة الله تعالى وعدلاً لشهادته جل وعلا، وقرينا لساحة قدسه الشريفة ففيها ما فيها من الدلالة الواضحة البرهان على كون هذه الشهادة من البرهان الذي ضُم إلى برهان الله تعالى فأذا كانت شهادة الله تعالى من الصدق الثابت بالبرهان الفعلي والقولي واصلة إلى هذه المرحلة، فبالقطع اليقيني لا يضم الباريً عز وجل شهادة أمير المؤمنين إلى شهادته إلا إذا وصلت إلى هذا البرهان الفعلي، والتي تدل على عصمة وطهارة الشاهد الثاني وهو أمير المؤمنين عليه السلام، وهنا تتجلى الأسرار الربانية والدلائل القرآنية والإستدلالات العرفانية على مدى وسعة المقامات الروحانية والملكوتية للإمام أمير المؤمنين عند الله تعالى بحيث تجعل شهادته في عرض شهادة الله تعالى، أليس هذا مما يدل على كونه عليه السلام يحمل أسرار الله تعالى؟

أليس هذا من الأمور العظيمة بحيث يجعل شاهداً على صدق الرسول بالرسالة والقرآن الكريم؟

فالذي يكون شاهد على هذا الأمر وصدقه لا بد أن يكون علمه قطعياً لا ظنياً فأنه كل ما كان الأمر المشهود عليه عظيماً ومقدساً لا بد أن يكون الشاهد بنفس المستوى له وإلا كيف تكون الشهادة على صدق الرسالة المحمديّة الخاتمة وعلى أعظم وأجل كتاب وهو القرآن الكريم الذي عرف وعلم علماً لدنّيا به أمير المؤمنين وهو الذي يحمل أسراره وهو الشاهد على الذي جاء به وصدق ؟ فهلم معي لنقف مع تلك الطائفة الروائية التي جاءت لكي تؤكد على من يحمل علم الكتاب وهو أمير المؤمنين عليّ عليه السلام.

الحديث من طرق العامة

١ـ عن عطيّة العوفيِّ، عن أبي سعيد الخدريِّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قال: «سألت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن هذه الآية عنده علمٌ من الكتاب قال: **ذاك وزير أخي سليمان بن داود** عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وسألته عن قول الله عزَّ وجَّل: ﴿**قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علمُ الكتاب**﴾ قال: **ذاك أخي علي بن أبي طالب** عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٢ـ قال العلّامة سليمان بن إبراهيم الحنفيُّ القندوزي في تفسير قوله تعالى: ﴿**قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب**﴾ الثعلبيُّ وابن المغازلي بسنديهما عن عبد الله بن عطاء قال: «كنت مع محمّد الباقر ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ في المسجد فرأيت ابن عبد الله بن سلام قلت: **هذا ابن الذي عنده علم الكتاب**، قال: **إنّما ذاك عليُّ بن أبي طالب**»[1].

٣ـ عن قيس بن سعد بن عبادة قال: «وَمَن عنده علم الكتاب علي»

قال معاوية بن أبي سفيان: هو عبد الله بن سلام قال قيس: أنزل الله: «**انما أنت منذر ولكل قوم هاد**»[2]، وأنزل: «**أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه**»[3]، فالهادي من الآية الأولى، والشاهد من الثانية عليٌّ، لأنّه نصبه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يوم الغدير وقال:

«**من كنت مولاه فعليٌّ مولاه**»، وقال: «**أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انَّه لا نبي بعدي**» فسكت معاوية ولم يستطيع أن يردُهَّا».

٤ـ وقال الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «علم الكتاب كلّه ـ والله ـ عندنا، وما أعطي وزير

---

(١) القندوزي: ينابيع المودة الباب الثلاثون.

(٢) الرعد: ٧.

(٣) هود: ١٧.

سليمان بن داود عليه السلام إنّما عنده حرف واحد من الإسم الأعظم وعلم بعض الكتاب كان عنده، قال تعالى ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب﴾ أي بعض الكتاب ـ ﴿أنَا آتيك به قبل أنْ يرتد إليك طرفكَ﴾[١].

قال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة﴾[٢] بمن التبعيض.

وقال في عيسى عليه السلام: ﴿ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه﴾[٣] بكلمة البعض.

وقال في عليّ عليه السلام: ﴿ومن عنده علم الكتاب﴾ أي كل الكتاب وقال: ﴿ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾[٤]. وعلم هذا الكتاب عنده.

قال بعض المحققين:

«إن الله تبارك وتعالى بعث خاتم أنبيائه وأشرف رسله وأكرم خلقه بمنّه وفضله العظيم بسابق علمه ولطفه بعد أخذه العهد والميثاق على أنبيائه وعباده بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: ﴿لتؤمنن به ولتنصرنه﴾[٥]، ولما فتح الله أبواب السعادة الكبرى والهداية العظمى برسالة حبيبه على العرب وقريش خصوصاً على بني هاشم بقوله تعالى:﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾[٦]، ورهطك المخلصين اقتضى العقل أن يكون العالم بجميع أسرار كتاب الله لا بد أن يكون رجلاً من بني هاشم بعد

(١) النمل: ٤٠.

(٢) الاعراف: ١٤٥.

(٣) الزخرف: ٦٣.

(٤) الانعام: ٥٩.

(٥) آل عمران: ٨١.

(٦) الشعراء: ٢١٤.

النبيﷺ لأنه أقرب به من سائر قريش، وأن يكون جميع الأوقات عنده بحسن المتابعة ليكون خبيراً عن جميع أعماله وأقواله، وأن يكون من طفوليته منزهاً عن أعمال الجاهليّة ليكون مخلقاً بأخلاقه ومؤدباً بآدابه ونظيراً بالرشيد من أولاده؛ فلم توجد هذه الشروط لأحد إلا في عليّعليه السلام.

وأما عبد الله بن سلام لم يسلم إلا بعد الهجرة، فلم يعرف سبب نزول السور التي نزلت قبل الهجرة؛ ولما كان حاله هذا لم يعرف حقَّ تأويلها بعد إسلامه، مع أن سلمان الفارسي الذي صرف عمره الطويل ثلاث مائة وخمسين سنة في تعلم أسرار الإنجيل والتوراة والزبور وكتب الأنبياء السابقين والقرآن لم يكن من عنده علم الكتاب لفقده الشروط المذكورة، فكيف يكون من عنده علم الكتاب ابن سلام الذي لم يقرأ الإنجيل، ولم توجد فيه الشروط، ولم يصدر منه مثل ما صدر من عليّعليه السلام يعسوب الدين من الأسرار والحقائق في الخطب مثل قوله: «سلوني قبل أن تفقدوني فأن بين جنبيّ علوماً كالبحار الزَّواخر»، ومثل ما صدر من أولاده الأئمة الهداةعليهم السلام من المعارف والحكم في تأويلات كتاب الله وأسراره»؟[1].

والى ذلك أشار القرطبي في تفسيره المعروف حول الآية التي بينت علم الكتاب عند من يكون حيث قال:

«قال عبد الله بن عطاء: قلت لأبي جعفر بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: زعموا أنّ الذي عنده علم الكتاب عبد الله بن سلام، فقال: إنّما ذلك عليُّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ وكذلك قال محمّد بن الحنفية»[2].

---

(١) ينابيع المودة للقندوزي: ١٠٢-١٠٥.

(٢) الجامع لإحكام القرآن: ٣٣٦/٩، البحر المحيط: ٤٠١/٥ حيث قال: أنها نزلت في عليّعليه السلام، روح المعاني: ١٥٨/١٣، قال «مَنْ» المراد بها علي كرم الله وجهه.

الحديث من طرق الخاصة

١ـ عن عليّ بن إبراهيم القميّ، عن الصادق عليه السلام:

«الذي عنده علم الكتاب هو أمير المؤمنين عليه السلام، وسئل الذّي عنده علم من الكتاب أعلم أم الذي عنده علم الكتاب؟

فقال: ما كان علم الذي عنده علم من الكتاب عند الذي عنده علم الكتاب إلاّ بقدر ما تأخذ البعوضة بجناحها من ماء البحر»[1].

٢ـ قال العلامة الفيض الكاشاني في تفسيره: **«وفي الاحتجاج: سأل رجل عليّ بن أبي طالب عليه السلام عن أفضل منقبة له، فقرأ الآية قال: إياي عنى بمن عنده علم الكتاب»**[2].

٣ـ العياشي عن الباقر عليه السلام: **«أنّه قيل له: هذا ابن عبد الله بن سلام يزعم أن اباه** الذي يقول الله: **﴿قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾** قال عليه السلام: كذب هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام»[3].

٤ـ وعن الصادق عليه السلام: **«علم الكتاب والله عندنا، والله كلّه عندنا»**[4].

أقول: يظهر من هذه المأثورات الروائية الواردة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام أن الذي عنده علم الكتاب يستلزم ويقتضي علمية الكتاب بالنسبة لمن يحمله أن يكون أفضل وأعلى مرتبة ولا يقاس به أحد، كيف لا والكتاب أشرف الكتب

---

(١) تفسير القيمي: ١/٣٦٧، وتفسير الصافي ذيل الآية.

(٢) تفسير الصافي: ٣/٧٧.

(٣) تفسير العياشي: ٢/٢٢٠.

(٤) تفسير القمي: ١/٣٦٧.

وأعلاها مرتبة لأنه نزل على خاتم الأنبياء والأولياء بالولايّة المطلقة أعـني بـه محمّدﷺ ، وإن كان هناك من يذهب وعلى ضوء سياق الآية إن الآية تعني في تفسيرها الكتاب هو المراد به التوراة، والذي يظهر من خلال مراجعة الكتب التفسيرية والروائية إن أياً كان المراد من تفسير الكتاب سواء كان القرآن أو التوراة،فأن معنى «من عنده علم الكتاب» معنى عام ينطبق على كل من كان له تلك الصفة أي الجامعية العلمية للقرآن الكريم أو التوراة مطلقاً، والظاهر من خلال مراجعة الروايات نجد .ن **«من عنده»** المعني به عليّعليه السلام دون غيره من الناس، أمثال عبد الله بن سلام الذي أسلم في المدينة وقد أطبق أهل التفسير والبيان ان الآية مكية وليست مدنية، وعلى العموم فإن علياًعليه السلام كان حاملاً لعلوم الكتاب الكريم ومصدقاً له في أفعاله وأقواله، بل هو الذي مبدءه في الواقع الخارجي، وهو الذي يحمل أسراره ويعلم تأويله ويفهم باطنه وظاهره، لذلك ورد عن الرسول الأكرمﷺ انه قال له: «**ستقاتل على التأويل كما قاتلتُ على التنزيل**»، وأضراب هذه الأحاديث التي أثبتت هذا المنقبة العظمى للإمام عليّعليه السلام، لذا نجد العلماء الأعلام كان يؤكدون على هذا المعنى في كتبهم، ويثتون هذه الفضيلة التي الواقع يثبتها، منها ما ورَّد عن تفسير البيان حيث قال مؤلفه:

«إنَّ تصديق عليّعليه السلام وهو على ما عليه من البراعة في البلاغة والمعارف وسائر العلوم لأعجاز القرآن هو بنفسه دليل على أنَّ القرآن وحيٌ إلهيٌّ، فإن تصديقه بذلك لا يجوز أن يكون ناشئاً عن الجهل والإغترار، كيف وهو ربّ الفصاحة والبلاغة، وإليه تنتهي جميع العلوم الإسلامية، وهو المثل الأعلى في المعارف، وقد اعترف بنبوغه وفضله المؤالف والمخالف؟

وكذلك لا يجوز أن يكون تصديقه هذا تصديقاً صورياً ناشئاً عن طلب منفعة دنيوية من جاه أو مال، كيف لا؟ وهو منار الزهد والتقوى، وقد أعرض عن الدنيا وزخارفها، ورفض زعامة المسلمين حيث اشترط عليهم أن يسير بسيرة الشيخين،

وهو الذي لم يصانع معاوية بأبقائه على ولايته أياماً قليلة مع علمه بعاقبة الأمر إذا عزله من الولاية، وإذن فلا بد من أن يكون تصديقه بإعجاز القرآن تصديقاً حقيقياً مطابقاً للواقع ناشئاً عن الإيمان الصادق، وهذا هو الصحيح والواقع المطلوب»[1] ومن هذا البيان نفهم أنه لابد من أن يكون عليّ وآل علي عليهم السلام هم الذين تجلى فيهم القرآن الكريم ، تجلى في أقوالهم وفي سلوكهم، فنحن عندما نقف مع حياتهم نجد أنها مثلت القرآن تمثيلاً واقعياً، فنرى القرآن في عليّ وفاطمة والحسن والحسين كما كان في رسول الله عليهم السلام ونحن إذ نفهم ونعي القرآن إنما يكون التماسه وفهمه ووعيه في سيرتهم وأعمالهم فتجلى لنا الإسلام بأروع المناظر وأزكى الصور الإلهية، لذا نجد الرسول الأعظم كان يقرن دائماً القرآن بالعترة لأنهم هم الذين حملوا القرآن بعد الرسول فهو يقول صلى الله عليه وآله وسلم: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي»، وكذلك نجد الزهراء عليها السلام حين تخاطب المسلمين وتؤكد على هذه الحقيقة الناصعة البياض والخالية من الشك والشبهة حيث تقول: «أم انتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي».

إذن على هذا الأساس لا ريبَ ولا شك في إطلاع النبيّ وأهل بيته الأئمة المعصومين على جميع وجوه آيات القرآن الكريم، ومعانيها كلها ظواهرها وبواطنها تنزيلها وتأويلها، وأنهم الذين عندهم علم الكتاب كله كما أنزله الله في بيوتهم، فإن أهل البيت أدرى بما في البيت، وقد دلت على هذا البيان أخبار متواترة كثيرة والذي يريد التوسع فيالوقوف عليها فليراجع المأثورات الروائية الواردة في كتب الخاصة والعامّة والتي منها:

على ما في البصائر بسند صحيح عن أبي الصباح قال: «والله لقد قال جعفر بن محمد عليه السلام إنَّ الله علّم نبيه صلى الله عليه وآله وسلم التنزيل والتأويل، قال، فعلّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام. قال: وعلمنّا والله».

---

(١) البيان في تفسير القرآن: ٩١.

* وعن أنس عن صحيح أبي داود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا علـيّ أنت تعلم الناس تأويل القرآن بما لا يعلمون، فقال: عليّ عليه السلام ما أبلغ رسالتك بعدك يا رسول الله، قال: تخبر الناس بما أشكل عليهم من تأويل القرآن وما فيه».

* وفي الكافي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «ما يستطيع أحد يدعي إنَّ عنده علم جميع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الأوصياء».

* وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: «ما أدعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلّا كذاب، وما جمعه وحفظه كما إنزل إلّا عليّ بن ابي طـالب عليه السلام والأئمّة من بعده عليهم السلام».

* وعنه عليه السلام أنه قال في حديث له مع قتادة المفسّر «يا قتادة إنما يعرف القرآن من خوطب به».

* وفي البصائر عن الأصبغ قال: قال عليّ عليه السلام: «لو كسرت لي الوسادة لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم وأهل الأنجيل بأنجيلهم وأهل الزبور بـزبورهم وأهـل الفرقان بفرقانهم بقضاء يصعد إلى الله يزهر والله، ما نزلت آية في كتاب الله في ليل أو نهار إلّا وقد علمت فيمن نزلت ولا أحد ممن مرَّ على رأسه المواسي[1] مـن قريش إلّا وقد نزلت فيه آية أو آيتان من كتاب الله تسوقه إلى الجنة وإلى النار».

* وكذلك ما ورد عن ابن عباس أنه قال: جُلّ ما تعلمت من التفسير من عليّ بن أبي طالب عليه السلام، أن القران أنزل على سبعة أحرف ما منها حرف إلا وله ظهر وبطن وان علياً عنده علم الظاهر والباطن.

وفي إحياء العلوم عن الغزالي والحافظ أبي نعيم في حـلية الأوليـاء عـن ابـن مسعود قال «إن القرآن نزل على سبعة أحرف ما منها حرف إلا وله ظهر وبطن وإن

(١) المواسي: جمع موسى وهو ما يحلق به الرأس.

عليّ بن أبي طالب عنده علم الظاهر والباطن».

وفي الخصال عن حماد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام إن الأحاديث تختلف منكم قال: فقال: **«إن القرآن نزل على سبعة أحرف وأدنى ما للإمام أن يفتي على سبعة وجوه»**.

أقول: يظهر من هذه الأحاديث إن للقرآن ظهراً وبطناً، وان باطن القرآن الكريم إنما يتعلق بدعوة الولاية والإمامة وظاهره يتعلق بدعوة التوحيد والنبوّة، ولا إشكال في ذلك لأنه ورد جملة من الأخبار تدل دلالة قطعية لاشك ولا ريبَ فيها إن للقرآن بطون، وإن له ظهراً وان له تأويل وتنزيل وان هذا التأويل والبطون إنما يعلمها من دعا القرآن إليه وإلى طاعته وهو الرسول الأكرم وعترته الطيبين الطاهرين، ولقد مرّ علينا كيف أنهم عليهم السلام قد تجسد القران في أقوالهم وأفعالهم بل هم القرآن الناطق، وأن باطن القرآن يدعو إلى ولايتهم التي هي سرّ القرآن الكريم.

الخلاصة

ويتبين لنا من مجمل هذا البحث في كون الإمام عليّ سرّ القرآن الكريم، إن القرآن هو مجمع الفضائل والمراتب والمقامات التي يريدها السالك والعارف والمتعلم، فهو قرآن، لأن قرء وجمع كل الفضائل، وهذا ما نجده في عليّ عليه السلام فهو الجامع والحاوي للفضائل والكرامات والمقامات الروحانية والملكوتية، وقد تبين لنا كيفية كون عليّ عليه السلام هو الناطق لما قلنا سابقاً من لابديّة من أن يكون هناك مجسد للقرآن الكريم في الواقع الخارجي، فالقرآن مقتضى للحق، ولكن من الذي ينطق بالحق ويجسده؟ أليس هم أهل بيت النبوة وموضع الرسالة؟!

وظهر لنا أن القرآن في كثير من آياته المباركة يدعوا إلى الرسالة التي باطنها الولاية، والولاية تمثلت في خاتم الأولياء بالنسبة للأنبياء وهو عليّ عليه السلام فالولاية

باطن الرسالة والرسالة ظاهر النبوة، وعليّ ولايته باطن الرسالة فهو باطن القـرآن لأن القرآن يهدي إلى الولاية التي هي باطن الرسالة والولاية تمثلت في عليّ وآل عليعليهم السلام، يبقى أن نشير إشارة إلى قضية مهمة جداً وهي أن علياًعليه السلام قد حوى جمع الفضائل والمكرمات والمقامات فهو عنده الشبه التام للقرآن بل هـو القـرآن الناطق، وأوجهه الشبه اذا أردنا ان نستقصيها لأحتجنا إلى كتاب مستقل في هـذا المضمار ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله نشير إلى بـعض أوجـه الشـبه بـين عليّعليه السلام والقرآن والتي منها:

الإمام عليّعليه السلام نور والقرآن نور وكل يهدي إلى ذلك النور، الإمام عليّعليه السلام حق والقرآن حق وكل إلى ذلك الحق يشير، الإمام عليّعليه السلام فرقان والقرآن فرقان وكل يفرق بين الحق والباطل.

الإمام عليّعليه السلام صراط والقرآن صراط وكل يهدي إلى الصراط المستقيم، الإمام عليّعليه السلام هاد والقرآن هاد وكل يخرج من الضلالة إلى الهدى.

الإمام عليّعليه السلام صادق والقرآن صـادق وكـل مـنهما حـمل الصـدق، الإمـام عليّعليه السلام ذكر والقرآن ذكر وكل تطمئن به القلوب.

الإمام عليٌّعليه السلام طاهر والقرآن طاهر وكل يطهر من الأرجاس، عليّعليه السلام معصوم والقرآن معصوم وكل يعصم من الزلات.

الإمام عليّعليه السلام حبه إيمان والقرآن حبه إيمان وكل يجسد الإيمان، عـليّعليه السلام هو القرآن والقرآن هو عليّعليه السلام، ولا ينفصلان ولا ينتقضان ولا فرق بينهما فـهما متلازمان لا ينفصلان سوى أن القرآن صامت بما عنده من المكرمات والفـضائل والمقامات.

الإمام عليّعليه السلام ناطق بما عنده منها، فالقرآن ظاهر والإمام عـليّعليه السلام بـاطنه ومجسده ومقيمه فالإمام عليّعليه السلام هو القرآن بل هو سر القرآن وسـر السـرّ فـي القرآن.

مقارنة شبهية

قال الله تعالى لنبيه ﴿أمن الرسول﴾[(١)] وله عليه السلام ﴿وصالح المؤمنين﴾[(٢)].

وقال لنفسه: ﴿إنّ بطش ربّك لشديد﴾[(٣)] ولنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿أشدّ حبّاً لله﴾[(٤)] وله عليه السلام: ﴿أشدّاء على الكفار﴾[(٥)]، وقال لنفسه: ﴿بسم الله الرّحمن الرّحيم﴾ ولنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وما أرسلناك إلاّ رحمة﴾[(٦)]، وله عليه السلام: ﴿قل بفضل الله وبرحمته﴾[(٧)].

وقال لنفسه: ﴿من الله العزيز الحكيم﴾[(٨)]، ولنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز﴾[(٩)]، وله عليه السلام: ﴿ويعزّ من يشاء﴾.

وقال لنفسه: ﴿وهو العليّ العظيم﴾[(١٠)]، ولنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿إنّك لعلى خلق عظيم﴾[(١١)]، وله عليه السلام: ﴿عمّ يتساءلون عن النّبأ العظيم﴾[(١٢)].

---

(١) سورة البقرة: ٢٨٥.

(٢) سورة التحريم: ٤.

(٣) سورة البروج: ١٢.

(٤) سورة البقرة: ١٦٥.

(٥) سورة الفتح: ٢٩.

(٦) سورة الانبياء: ١٠٧.

(٧) سورة يونس: ٥٨.

(٨) سورة الزمر: ١.

(٩) سورة التوبة: ١٢٨.

(١٠) سورة البقرة: ٢٢٥. سورة الشورى: ٤.

(١١) سورة القلم: ٤.

(١٢) سورة النبأ: ١.

وقال لنفسه: ﴿الله نور السماوات والأرض﴾[١]، ولنبيّه ﷺ: ﴿قد جاءكم من الله نور﴾[٢]، وله عليه السلام: ﴿واتّبعوا النّور الّذي أنزل معه﴾[٣].

ثمَّ إنَّ الله تعالى سمّى علياً عليه السلام مثل ما سمى به كتبه قال: ﴿إنّا أنزلنا التوراة فيها هدى﴾[٤] ولعلي عليه السلام: ﴿ولكلّ قوم هاد﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿فيه هدى ونور﴾[٦]، وللقرآن: ﴿واتّبعوا النور الّذي أنزل معه﴾[٧] ولعليّ عليه السلام: ﴿جعلناه نوراً نهدي به﴾[٨].

وقال تعالى: ﴿يحكم بها النبيون﴾[٩]، ولعلي عليه السلام: ﴿لدينا لعليّ حكيم﴾[١٠].

وقال تعالى: ﴿صحف إبراهيم وموسى﴾[١١]، ولعليّ عليه السلام: ﴿ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾[١٢]، والكتاب أكبر.

وقال تعالى في القرآن: ﴿وكلّ شيء أحصيناه في أمام مبين﴾[١٣]، وله ﴿يوم

---

(١) سورة النور: ٣٥.

(٢) سورة المائدة: ١٥.

(٣) سورة الأعراف: ١٥٧.

(٤) سورة المائدة: ٤٤.

(٥) سورة الرعد: ٧.

(٦) سورة المائدة: ٤٦.

(٧) سورة الاعراف: ١٥٧.

(٨) سورة الشورى: ٥٢.

(٩) سورة المائدة: ٤٤.

(١٠) سورة الزخرف: ٤.

(١١) سورة الأعلى: ١٩.

(١٢) سورة البقرة: ٢.

(١٣) سورة يس: ١٢.

ندعو كلّ أناس بإمامهم﴾[١].

وفي القرآن: **﴿هذا بيان للنّاس﴾**[٢]، وله عليه السلام: **﴿أفمن كان على بينة من ربّه﴾**[٣].

وفي القرآن: **﴿هذا بصائر للنّاس﴾**[٤]، وله عليه السلام: **﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة﴾**[٥].

وفي القرآن: **﴿يتلونه حقّ تلاوته﴾**[٦]، وله عليه السلام: **﴿ويتلوه شاهد﴾**[٧].

وفي القرآن: **﴿هدى وبشرى﴾**[٨]، وله عليه السلام: **﴿لهم البشرى﴾**[٩].

وفي القرآن: **﴿سنلقي عليك قولاً ثقيلاً﴾**[١٠]، وله عليه السلام: **«إني تارك فيكم الثقلين»** الخبر.

وفي القرآن: **﴿وإنّه لذكر لك﴾**[١١]، وله عليه السلام: **﴿أفمن يهدي إلى الحقّ﴾**[١٢].

وفي القرآن: **﴿قل فلله الحجّة﴾**[١٣]، وله عليه السلام: قال أمير المؤمنين عليه السلام: **أنا حجّة الله وأنا خليفة الله.**

---

(١) سورة الإسراء: ٧١.

(٢) سورة آل عمران: ١٣٨.

(٣) سورة هود: ١٧. سورة محمد: ١٤.

(٤) سورة الجاثية: ٢٠.

(٥) سورة يوسف: ١٠٨.

(٦) سورد البقرة: ١٢١.

(٧) سورة هود: ١٧.

(٨) سورة البقرة: ٩٧. سورة النمل: ٢.

(٩) سورة يونس: ٦٤. سورة الزمر: ١٧.

(١٠) سورة المزمل: ٥.

(١١) سورة الزخرف: ٤٤.

(١٢) سورة يونس: ٣٥.

(١٣) سورة الأنعام: ١٤٩.

وفي القرآن: ﴿إنّا نحن نزلنا الذّكر﴾[١]، وله عليه السلام: ﴿وأنزلنا إليك الذّكر﴾[٢].

وفي القرآن: ﴿ولا تكتموا الشهادة﴾[٣]، وله عليه السلام: ﴿قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾[٤].

وفي القرآن: ﴿والّذي جاء بالصدق﴾[٥]، وله عليه السلام: ﴿وكونوا مع الصّادقين﴾[٦].

وفي القرآن: ﴿تفصيل كلّ شيء﴾[٧]، وله عليه السلام: ﴿إنّه لقول فصل﴾[٨].

وفي القرآن: ﴿ولم يجعل له عوجاً قيماً﴾[٩]، وله عليه السلام: ﴿ذلك الدين القيم﴾[١٠].

وفي القرآن: ﴿الله نزّل أحسن الحديث﴾[١١] وله: ﴿من جاء بالحسنة﴾[١٢].

وفي القرآن: ﴿قالوا خيراً﴾[١٣]، وله عليه السلام: ﴿أولئك هم خير البرية﴾[١٤].

وفي القرآن: ﴿ما نفدت كلمات الله﴾[١٥]، وله عليه السلام: ﴿وجعلها كلمة باقية﴾[١٦].

---

(١) سورة الحجر: ٩.

(٢) سورة النحل: ٤٤.

(٣) سورة البقرة: ٢٨٣.

(٤) سورة الرعد: ٤٣.

(٥) سورة الزمر: ٣٣.

(٦) سورة التوبة: ١١٩.

(٧) سورة يوسف: ١١١.

(٨) سورة الطارق: ١٣.

(٩) سورة الكهف: ١-٢.

(١٠) سورة التوبة: ٣٦. سورة يوسف: ٤٠. سورة الروم: ٣٠.

(١١) سورة الزمر: ٢٣.

(١٢) سورة الأنعام: ١٦٠. سورة النحل: ٨٩. سورة القصص: ٨٤.

(١٣) سورة النحل: ٣٠.

(١٤) سورة البيّنة: ٧.

(١٥) سورة لقمان: ٢٧.

(١٦) سورة الزخرف: ٢٨.

وفي القرآن: ﴿ **هدى للمتّقين** ﴾[١]، وله عليه السلام: ﴿ **وقالوا إن نتّبع الهدى** ﴾[٢].

وفي القرآن: ﴿ **يس والقرآن الحكيم** ﴾[٣]، وله: ﴿ **وإنّه في أم الكتاب لدينا لعليّ حكيم** ﴾[٤]، أي عال في البلاغة وعلا على كل كتاب لكونه معجزاً وناسخاً ومنسوخاً، وكذلك عليّ بن أبي طالب عليه السلام ثمّ قال: «حكيم» أي مظهر للحكمة البالغة بمنزلة حكيم ينطق بالصّواب، وهذا[٥] في عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهاتان الصّفتان له خليقة لأنهما من صفات الحيّ، وفي القرآن على سبيل التوسّع.

ثم قال للقرآن: ﴿ **أفنضرب عنكم الذّكر** ﴾[٦]، وله عليه السلام: ﴿ **فاسألوا أهل الذّكر** ﴾[٧]، وفي القرآن: ﴿ **ولا رطب ولا يابس إلاّ في كتاب مبين** ﴾[٨]، وعلم هذا الكتاب عنده لقوله: ﴿ **ومن عنده علم الكتاب** ﴾[٩].

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «الإسلام يعلو ولا يعلى عليه»، وقال تعالى: ﴿ **وكلمة الله هي العليا** ﴾[١٠]، وبيانه ﴿ **وجعلها كلمة باقية في عقبه** ﴾[١١].

---

(١) سورة البقرة: ٢.

(٢) سورة القصص: ٥٧.

(٣) سورة ياسين: ١.

(٤) سورة الزخرف: ٤.

(٥) والأصح: وهكذا.

(٦) سورة الزخرف: ٥.

(٧) سورة النحل: ٤٣. سورة الأنبياء: ٧.

(٨) الأنعام: ٥٩.

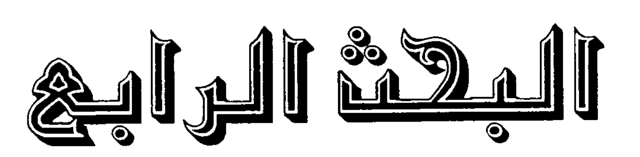
(٩) الرعد: ٤٣.

(١٠) التوبة: ٤٠.

(١١) الزخرف: ٢٨.

والحديث منقول عن البحار: ٣٣/٣٩، عن المناقب لشهر اشوب.





عليّ عليه السلام

سرّ الحقيقة أو سرّ الله

ابن أبي الحديد المعتزلي

يا برق إن جئت الغريَّ فقل له ... أتراك تعلم من بأرضك مودعُ

فيك ابن عمران الكليم وبعدهُ ... عيسى يقفِّيه وأحمد يتبع

بل فيك جبريل وميكال واسـ ... رافيل والملأ المقدس أجمع

بل فيك نور الله جل جلاله ... لذوي البصائر يُستشفّ ويلمع

فيك الإمام المرتضى فيك الوصيّ ... المجتبى فيك البطين الأنزع

هذا ضمير العالم الموجود عن ... عدم وسرّ وجوده المستودع

هذا هو النور الذي عذباته ... كانت بجبهة آدم تتطلع

وشهاب موسى حيث أظلم ليله ... رفعت لألاؤه تتشعشع

يا هازم الأحزاب لا يثنيه عن ... خوض الحمام مدجّج ومدرّع

يا قالع الباب الّذي عن هزّها ... عجزت أكفّ أربعون وأربع

لولا حدوثك قلت إنّك جاعل ... الأرواح في الأشباح والمستنزع

لولا مماتك قلت إنّك باسط ... الأرزاق تقدر في العطاء وتوسع

ما العالم العلويّ إلاّ تربة ... فيها لجُثّتك الشريفة مضجع

ما الدهر إلاّ عبدك القنُّ ... الذي بنفوذ أمرك في البريَّة مولع

أأقول فيك سُمَيْدَعٌ كلا ولا ... حاشا لمثلك أن يقال سُمَيْدع

بل أنت في يوم القيامة حاكمٌ ... في العالمين وشافعٌ ومشفَّعُ

والله لولا حيدر ما كانت الـ ... دنيا ولا جمع البريّة مجمع

من أجله خلق الزمان وضوّئت ... شهبٌ كَنَسْنَ وجنَّ ليلٌ أدرع

وإليه في يوم المعاد حسابنا ... وهو الملاذ لنا غداً والمفزع

البحث الرابع

عليٌّ عليه السلام سُّر الحقيقة
أو سر الله

سأل كميّل بن زياد النخعي وكان من حواري أمير المؤمنين عليه السلام الإمام عليّ بر أبي طالب عليه السلام قائلاً: «ما الحقيقة؟ فقال عليه السلام: مالك والحقيقة ياكميل؟

فقال: أو لست صاحب سرك؟.

قال عليه السلام: بلى ولكن يَرشحُ عليك ما يطفح مني.

فقال: أو مثلك يخيب سائلاً؟!.

فقال عليه السلام: الحقيقة كشف سُبحات الجلال من غير إشارة.

فقال: زدني بياناً.

فقال عليه السلام: محو الموهوم وصحو المعلوم

فقال: زدني بياناً.

فقال عليه السلام: هتك السّتر وغلبة السّر.

فقال: زدني بياناً.

قال عليه السلام: نور يشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره.

فقال: زدني بياناً.

فقال عليه السلام: أطف السراج فقد طلع الصبح.[1]

---

(١) منبع الأنوار: ٢٨، ١٧٠، شرح الأسماء للسبزواري: ٣٨٢ فصل ٣٢.

أصل أولي

قبل الدخول في صميم البحث المطروح حول كون عليّ سّر أمير المومنين عليه السلام الحقيقة ومعناه المخفي عن أنظار كثير من الناس الذين يمرون على أكثر القضايا مرور الكرام، لا بد من طرح أصل أولي سيال في كثير من البحوث العقائدية المهمة والتي تكون معمقة عقائدياً ويحتاج إلى إداركها الإدراك الصحيح والفهم الدقيق والدرك الصحيح على ضوء الإستدلالات العقلية والعلمية التحقيقية المبنّية في أكثر البحوث على دراسة المعرفة الحقيقية لها.

وهذا الأصل من الركائز الأساسية التي لا يستطيع أي باحث أن يتعداه أو أن يتغافل عنه من دون الوقوف معه والتأمل في مدلولاته، والتي يستفيد منها الباحث في كثير من القضايا الحساسة المطروحة هنا وهناك، وهذا الأصل يعتبر الركن الأساسي لكثير من البحوث العقائدية التي تسلط الضوء على أكثر الروايات الشريفة التي تحمل في مضمونها وتحت طياتها قضية عقائدية مرتبطة إرتباطاً وثيقاً في صميم حياة الفرد المؤمن، والتي لا بّد فيها من اعمال الفكر والنظر الصحيح للوصول إلى المستوى الحقيقي واللائق لمعرفتها المعرفة الحقة.

وهذا الأصل هو:

«ان كل رواية أو حديثا مأثورا عن الرسول وأهل بيته عليهم السلام ويحمل قضية عقائدية هذا المأثور الروائي لا بّد للناظر فيه من إعمال الفكر والإجتهاد والإستدلال لمعرفة حقيقته، ولا ينظر إلى سنده من جهة كونه ضعيفاً أو قوياً، موثوقاً به، أو مشكوكاً فيه، وذلك لكونه يحمل في طياته وخلال متنه قضية عقائدية خاضعة للنظر والإجتهاد والإستدلال، حيث الأكثر الغالب في القضايا العقائدية هو كونها من أصول الدين التي لا يمكن التقليد فيها، بل لا بد من النظر فيها والإجتهاد للوصول إلى القول السديد والرأي الصحيح.

نعم في الأحكام الشرعية التي يريد استنباطها الفقيه من مداركها الصحيحة لا بّد ـ على الأعم الأغلب ـ قبل كل شيء من أن يعرف السند ويقدم المتن الذي يستبط منه وأن يعطي المبنى الذي يعتمده في علم الرجال والدراية لفهم الحديث حول قبول الرواية أو طرحها وعدم الأخذ بها، لأنه في صدد استنباط حكم شرعي من الأحكام الخمسة «الوجوب أو الحرمة أو الإستحباب أو الكراهة أو الإباحة»، ولغرض تقديمه لمن يبحث عن مدارك الأحكام واستدلالتها، عندئذٍ في هذه الحالة ـ يجب البحث عن سند الحديث ومعرفة مدى صحة صدوره من المشرع.

أمّا في القضايا العقائدية فالحال يختلف عن البيان الذي قدمناه حيث يوجد أصلاً مهماً لا بد من الأخذ به. وهذه اللابدية عقلية يأمر بها العقل القويم والفطرة السليمة، والأصل هو كون الرواية التي تحمل قضية عقائدية مهمة لا نطرحها لمجرد وجود الضعف في سندها، وإنما يجب علينا أن نرىٰ مدىٰ صدق هذه القضية العقائدية المطروحة ضمن الحديث ومدى إنطباق الأدلة العقلية والإستدلالات البرهانية العلمية التحقيقية على صحتها، وأيضاً نرى مدى انطباقها في مضامينها للمصدر الأول للمسلمين أعني به القرآن الكريم، وهل هذه الرواية الحاملة لقضية عقائدية موافقة للقرآن الكريم؟

أم أنها مخالفة لمضامينه ومفاهيمه، التي يطرحها؟! نعم في القضايا المطروحة في الأحاديث والروايات والأخبار التي تكون في مضمونها حاملة لروح عقائدية مخصوصة ومعينة وورود النص التعبدي الخاص بها من الشارع المقدس حيث يقول يجب الأخذ بها والتسليم لها تعبداً، فهنا لا يمكننا البحث في سندها والمناقشة فيها وإعمال النظر فيها لورود النص الخاص والتعبدي بها بل لا بد من عدم طرحها دون التوقف عندها وردها إلى أهلها.

أما التي ليس لها نص تعبدي خاص بها في الرجوع إليها وأخذها، فلا بد من

اعمال هذا الأصل الاولي المهم والسيال في كثير من القضايا العقائدية، وهذا الأصل إنما استفدناه من الأدلة العقلية الحاكمة بذلك.

النتيجة

وعلى هذا الأساس أن أي رواية تحمل في مضمونها روح عقائدية ومسألة مرتبطة بأصول لا يجب، البحث في سندها وإنما أولاً وقبل كل شيء لا بد أن نحكم نقطتين أساسيتين وهل هما ثابتتان أم لا؟ وهما:

١ ـ النقطة الأولى: مدى انطباق مضمون الرواية العقائدية مع مضامين القرآن الكريم وموافقتها له.

٢ ـ النقطة الثانية: مدى انطباق الإستدلالات العقلية والبرهانية على صحتها.

أمّا مسألة السند فإذا كان ضعيفاً فلا يجب علينا أنذاك لمجرد ضعف السند أن نطرح الرواية، وإنما نرىٰ مدىٰ تحقق النقطتان الأوليتان، امّا في حالة كون السند صحيحاً فهذا مما يكون مساعداً ومرجحاً للأخذ بالرواية بشكل أقوى هذا أذا لم يكن هناك مانعاً في مضمون الرواية للعقيدة الإسلامية الصحيحة.

وبعد أن عرفنا هذا الأصل الأولي في البحوث العقائدية نلج في صميم معرفة كون أمير المؤمنين عليّ عليه السلام سّر الحقيقة، بل سّر الله تعالى وكيف يكون هذا الأمر؟!

لكل شيء حقيقة

خلق الله تعالى الموجودات والعوالم كلها وجعل لها ظاهراً وباطناً فمن الناس من يقف عند الظاهر ولا يتجاوزه لأنه مداركه قاصرة أو لكونه يقف عند هذا الظاهر لأنّه هو المتراىء أمامه، والباطن مخفيّ عنه ولا يصل إليه إلّا بعد إزالة الحجب الظلمانية التي تمنعه من الوصول إلى ذلك الباطن، فأذا توفّق الإنسان بمعونة الفطرة

السليمة والذوق الصحيح لفهم الشريعة الإسلامية استطاع عند ذلك الولوج والوصول إلى الباطن المحجوب عنه والذي كشف عنه غطاءه بعد المجاهدات والرياضات الشرعية، فكما هناك شريعة كذلك توجد طريقة للوصل إلى الحقيقة، فعندنا ظاهر وعندنا باطن وهناك جسرٌ ممدودٌ بينهما فما تيسر للمؤمنين العبور من هذا الجسر للوصول إلى الباطن كان ذلك بتوفيق من الله حيث هو الذي يوفق العبد للوصول إلى ذلك الباطن، وأمّا اذا لم يتوفق الإنسان لسوء سريرته ولخبث معدنه وعدم تعلقه بأسباب التوفيق وتهيئتها للوصول إلى الباطن عندئذ يعيش مع الظاهر البسيط الذي لا يحرك الإنسان للوصول إلى المقامات العالية.

فعليه الظاهر والباطن بينهما جسرٌ وبعبارة أدق عندنا المجاز قنطرة الحقيقة، أي من أراد الوصول للحقيقة فلا بد أن يعبر عبر القنطرة الممتدة بين المجاز والحقيقة فلابد من توفر هذه القنطرة للوصول إلى الحقيقة، وبعبارة أخرى وبيان آخر يفهمه أهل الذوق والعرفان، وأهل المكاشفة والسلوك، هو أن عندنا شريعة وطريقة وحقيقة، ـ الشريعة هو ما ورد في الشرع الإسلامي، والطريقة الأخلاق الحسنة الإسلامية، والحقيقة كنهها وحقائقها الواقعية، وإن كانت هذه المفاهيم عند المتصوفة إلّا إنها لها معاني في كلام أهل البيت عليهم السلام فلا يلزم القول بها موافقة مذهب المتصوفة لإختلاف المعاني عند الفرقتين ـ فإن كل من أراد الوصول إلى الحقيقة لابد له أولاً وقبل كل شيء أن يلتزم بالشريعة[1] ويجعلها الحاكمة في مملكته الإنسانية، ومتى تحكمت الشريعة الإسلامية عل مملكته عند ذلك يستطيع أن يعبر بالطريقة التي وصفها الشرع القويم بأنها الأخلاق الحسنة المثبوت في السنة

(١) لا يخفى إن المتصوفة لهم هذه المصطلحات أيضاً ويعتقدون أن الشريعة تؤخذ من الفقهاء والطريقة من الاقطاب ونحن نخالف ذلك مخالفة قطعية لما ورد من مذمّة المتصوفة في رواياتنا الصحيحة وراجع سفينة البحار كلمة صوف ـ إنما نقول بهذه العناوين الثلاثة أخذاً من أهل البيت محمّد وآل محمّد عليهم السلام. «السيد العلوي»

المحمدّية الشريفة، يعني إذا كانت هناك شريعة حاكمة في حياة الإنسان، واستعان بالطريقة التي هي مكارم الأخلاق استطاع من خلال القنطرة أو قل الجسر الممدود بين الشريعة وبين الحقيقة والذي هو عبارة عن تهذيب الأخلاق والوصول عندئذٍ إلى سر الحقيقة ومعرفة الحقيقة بل معرفة حقيقة الحقائق والتي ظهرت بها الموجودات في كل العوالم، والشاهد على ذلك هو ما ورد عن صالح بن مسمار أن رسول الله ﷺ قال لحارث بن مالك: كيف أنت؟

أو: ما أنت يا حارث؟ قال: مؤمن يا رسول الله.

قال: مؤمن حقاً؟ قال: مؤمن حقاً.

قال: لكل حقٍّ حقيقة، فما حقيقة ذلك؟

قال عزفت نفسي عن الدنيا ـ فأسهرت ليلي وأضمأت نهاري، وكأني أنظر إلى عرش ربّي عزّوجلّ، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وكأني أسمع عواء أهل النار.

فقال رسول الله ﷺ: مؤمن نور الله قلبه[1]

معنى الحقيقة

أقول: الذي يظهر من هذا الحديث أن لكل حق حقيقة، فيكون في قبال ذلك الباطن الذي ليس له حقيقة بل يكون مبنياً على سراب بسراب. فالحقيقة تستعمل تارة في الشيء الذي له ثبات ووجود كما في الحديث: فما حقيقة ايمانك، واخرى تستعمل في الإعتقاد للشيء المطابق لما عليه ذلك الشيء في نفسه كقولنا: اعتقادُ فلانٍ في البعث والثواب والعقاب والجنة والنار حق. قال الله تعالى: ﴿فهدى الله

(١) الاصابة: ١/ ٢٨٩، مجمع الزوائد: ١/ ٥٧، كتاب الزهد لابن مبارك: ١٠٦.

الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق﴾[1].

وتارة تستعمل الحقيقة في العمل والقول، فيقال فلانٌ لفعله حقيقة: إذا لم يكن مرائياً فيه، ولقوله حقيقةٌ: إذا لم يكن مترخصاً ومتزيداً، ويستعمل في ضده المتجوز والمتوسع والمتفسخ، وقيل: الدنيا باطلٌ، والأخرةُ حقيقةٌ، تنبيها على زوال هذه وبقاء تلك، وأما في متعارف الفقهاء والمتكلمين فهي «اي الحقيقة» اللفظ المستعمل فيما وضع له في أصل اللغة.[2]

وحقيقة الأشياء هو الوجود الذي يخصه وأكمل الوجود الذي يخصه، وأكمل الوجود الذي هو قسطه من الوجود[3]، والحقيقة معرفة الشيء بمبادئه الخاصة به[4]، وأنها خصوصية وجود الشيء الثابت له.

وقد يقال الحقيقة على دلالة اللّفظ على معناه الذي وضع بأزائه وقد يقال الحقيقة بأزاء صدق القول وهو مطابقته للأمر في نفسه[5]، والحقيقة تنقسم إلى بسيط وهي التي لا جزء لها في العقل كمفهوم الوحدة.

وإلى غير بسيطة وهي لها أجزاء كالحيوان فأنه مركب من الجسم والأمر الذي موجب حياته، فأحدهما الجزء العام، والأخر الجزء الخاص وحقيقة مركب منهما.

وحقائق الأشياء عبارة عن وجوداتها الخاصة التي هي صور الأكوان وهويات الأعيان[6]، وقد أشار صدر المتألهين إلى بيان هذه الحقيقة حيث قال: هو وجوده

(١) البقرة: ٢١٣.

(٢) انظر: شرح تنقيح الفصول: ٤٢، وكتب الأصول الخاصة.

(٣) آراء أهل المدينة الفاضلة: ١٧.

(٤) الحدود والفروق: ٣٤.

(٥) مجموعة مصنفات شيخ الإشراق: ١/٣٦١.

(٦) الحكمة المتعالية: ٦/٢.

الذي يترتب به عليه آثاره وأحكامه[١]، وحقيقة كل شيء عبارة عن تعينه الخاص ومبدأيته لأثار مخصوصة وأفعال معلومة لا يتعداه[٢]، والحقيقة عبارة عن محو الكثرات الوهمية الحاصلة من تعدد التنزلات الأعتبارية الحاكمة بذلك سلطان القوة الوهمية بمعونة سلطان العشق، وحقائق الممكنات عبارة عن الوجودات الخاصة المتعددة في الواقع المختلفة بالتشكيك وهي معلولات للوجود الواجبي الخارج عنها وليس متحداً معها، وحقائق الأشياء عبارة عن تعينات وجود الحقّ وتميزاته في مرتبة العلم، وحقيقة كل شيء عبارة عن نسبة تعين الوجود في علم موجوداً أزلاً وأبداً وهي المسماة بالعين الثابتة المعبر عنها بالماهية.[٣]

أقول: على أساس هذا البيان يظهر لنا أنَّ هناك حقيقة لكل موجود، فكما لهذا الوجود ظاهر، كذلك يوجد له باطن وحقيقة،وكل موجود له حقيقة تختص به ولا يتجاوزها لأنه هو الذي يحددها حسب مقتضاها، وعليه هذه الحقيقة تتفاوت من شخص إلى آخر، فهو الذي يتحكم بوجودها الأصيل فيجعلها حقاً أو يجعلها باطلا فلا ظهور لها إلّا في البطلان، ولكن هناك توجد حقيقة نعبر عنها حقيقة الحقائق والتي ظهرت بها كل الموجودات، أي هي العلة الغائية لوجود بقية الحقائق وهي أصل الحقائق وهي ركن الحق والحقيقة، وهذا ما سيتبين لنا من خلال هذا البحث في كيفية كون عليّعليه السلام هو سّر الحقيقة، ومبدأ الغايات في تحقق الحقائق الإنسانية، وكيف يكون هو الباطن لكل حقيقة حقانية، وبمعنى أدق ولكي لا يلتبس على من لا يستطيع إدراك هذا الكلام نقول: أن كل مؤمن له حق استحقه من خلال إيمانه، وهذا الحق له ظاهر وله باطن وظاهره واضح من خلال الشرع وباطنه يتمثل

(١) رسالة المشاعر: ٩.

(٢) المبدأ والمعاد: ٣٠٦.

(٣) كشاف اصطلاحات الفنون: ١٠٧٤.

في معرفة كون هذا الحق متمثل في أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام مظهر الحقائق وحامل الحقائق ومفسر الحق والحقيقة بل هو الحق وحامله ومعه أينما كان، وكما وردّ على لسان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ».

الحقيقة نورٌ

النور الحسّي هو الضوء المنتشر الذي يعين على الإبصار، إلا أن النور يطلق على ضربين ، أحدهما دنيوي، والآخر آخروي.

فالدنيوي ضربان: ضرب معقول بعين البصيرة وهو ما انتشر من الأمور الألهيّة ومن كنور العقل ونور القرآن.

ومحسوس بعين البصر، وهو ما انتشر من الأجسام النيرة كالقمرين الشمس والقمر والنجوم والنيرات.

فمن النور الإلهي قوله تعالى: ﴿**قد جاءكم من الله نورٌ وكتاب مبين**﴾[1]

وقال تعالى: ﴿**وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها**﴾[2].

وقال تعالى: ﴿**ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا**﴾[3].

وقال تعالى: ﴿**أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه**﴾[4].

---

(١) المائدة: ١٥.

(٢) الأنعام: ١٢٢.

(٣) الشورى: ٥٢.

(٤) الزمر: ٢٢.

وقال تعالى: **﴿نور على نور يهدي لنوره من يشاء﴾**(١).

ومن المحسوس الذي يعين البصر نحو قوله تعالى: **﴿هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً﴾**(٢).

وتخصيص الشمس بالضوء، والقمر بالنور من حيث إن الضوء أخص من النور وان الضوء من نفسه والنور ربما يكسب من غيره.

قال تعالى: **﴿وقمراً منيراً﴾**. أي ذو نور، ومما هو عام فيهما قوله تعالى: **﴿ويجعل لكم نوراً تمشون به﴾**(٣)، **﴿وأشرقت الأرض بنور ربها﴾**(٤).

ومن النور الأخروي قوله تعالى: **﴿يسعى نورهم بين أيديهم﴾**(٥)، **﴿والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا﴾**.(٦)

والله هو مطلق النور، حيث سمى نفسه نوراً من حيث أنّه هو المنور لكل الموجودات والعوالم المخلوق بقدرته وكما قال الله تعالى: **﴿الله نور السموات والأرض﴾**(٧).

وعلى هذا الأساس يكون النور هو الذي يبين الأشياء وينور الموجودات ويعين على معرفة الطريق في ظلمات الوجودات والعوالم، ومهما قيل في معرفة النور وحقيقته ومهما ورد من تأويله على أي نحو كان منكراً أو معرفاً أو مضافاً إلى الله

---

(١) النور: ٣٥.

(٢) يونس: ٥.

(٣) الحديد: ٢٨.

(٤) الزمر: ٦٩.

(٥) الحديد: ١٢.

(٦) التحريم: ٨.

(٧) النور: ٣٥.

تعالى أو إلى غيره بأشياء ترجع بعضها إلى البعض الأخر، فمن ذلك ما ورد تأويله بالإمام الحق من آل محمّد وبالأئمة عليهم السلام وبالخصوص أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام إذ هم بولايتهم وعلومهم وبوجودهم الذي أشرقت أنوارهم من النور الأزلي ولاح عليهم وعلى نفوسهم تنور العالم، وأزهرت قلوب المؤمنين وتنوّرت الدنيا والأخرة.

وكما ورّد في الزيارة الحسينّية (**أشهد أنكم كنتم نوراً في الأصلاب الشامخة**) وفي رواية تأويله بنور النبي نورهم الذي خلق معه ونزل معه في الأصلاب حتى وصل إلى صلب عبد المطلب، ولهذا ورّد تأويله بطينة المؤمن أيضاً، ومن ذلك ما ورد من تأويله بالهادي والهدى، والظاهر أن الهداية إنما هي بالولاية والإمامة وهذا هو الأشهر وروداً بالإيمان والإسلام ونوره ومعنى الجميع الولاية.

ومن ذلك ما ورّد من تأويله بالقرآن وظاهر إشتماله على الولاية فعلى هذا لابّد من ملاحظة المناسبة في تأويله في كل مورد من موارده، ولنذكر هنا بعض الشواهد على ما ذكرناه من تأويله حيث ورد في تفسير القمي قوله تعالى: ﴿**ويجعل لكم نوراً تمشون به**﴾ قال يعني إماماً تأتمون به[١].

وفي رواية صالح الهمداني عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿**ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور**﴾، قال: يعني إماماً من ولد فاطمة عليها السلام فما له من نور يعني فما له من إمام يوم القيامة يعيش بنوره، وفي قوله تعالى ﴿**يسعى نورهم بين أيديهم**﴾ النور أئمة المؤمنين يوم القيامة يسعى بين أيديهم وبأيمانهم حتى يدخلهم الجنة[٢].

وقد ورد في أحدى مكاتبات أبي الحسن عليه السلام إلى بعض أصحابه نحن نور لمن

---

(١) تفسير القمي: ٢/٣٣٢.

(٢) تفسير القمي: ٢/٨٢.

أتبعنا ونور لمن اقتدى بنا[١].

وفي تفسير فرات عن الإمام الباقر عليه السلام قال: إن الله تعالى جعل الأئمة نوراً في الظلم للنجاة وجعلهم نوراً البلاد، وهم نور الله في قلوب المؤمنين، وإنهم النور والضياء.

وفي الزيارات أيها النور المنير والنور الأنور والنور الساطع ونور الله الذي لا يطفى وامثال ذلك مما كثر وروده فيها بأنحاء كثيرة وعديدة.

وفي تفسير العياشي عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى:﴿وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾، قال: النور عليّ عليه السلام[٢].

وفي التفسير المذكور عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وأتبعوا النور الذي أنزل معه﴾ قال: النور عليّ عليه السلام[٣].

وفي الإحتجاج عن الباقر عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في خطبة يوم الغدير: معاشر الناس النور من الله فيّ مسلوك ثم في عليّ عليه السلام ثم في النسل منه إلى القائم المهدي عليه السلام[٤].

وتوجد عدة أخبار تدل دلالة قطعية على أطلاق النور على أنوارهم الشريفة التي كانت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الأصلاب، وهناك أخبار أخرى تدل على كون النور يؤول بالهداية والهدى والهادي كما في معاني الأخبار وغيره من الكتب.

حيث ورّد عن الإمام الرضا عليه السلام في قوله تعالى: ﴿الله نور السماوات والأرض﴾، قال: هاد لأهل السماء وهاد لأهل الارض، وفي رواية: يهدي من في السموات ويهدي من في الأرض.

---

(١) البرهان في تفسير القرآن: المقدمة ٥٠٢.

(٢) تفسير العياشي: ١/٣١١ح ٣٠٧.

(٣) تفسر العياشي: ١/٣٥ح ٨٨

(٤) الإحتجاج: ٥٩.

ومما يدل على تأويل النور بالولاية والإمام عليّ عليه السلام في المناقب عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿**واتبعوا النور الذي أنزل معه**﴾ قال: النور الولاية.

وفي قوله تعالى: ﴿**يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره**﴾ قال: النور الولاية، وعن الامام الكاظم عليه السلام أنه قال: **في الاخيرة النور الأمامة**[1].

أقول: يظهر من خلال المعاني المتقدمة والمذكورة في طيّ البحث إنَّ للنور مراتب عديدة فهو كليّ مشكك تارة يضعف وأخرى يشتد، ويبلغ أعلى مراتبه في المرتبة التي تسمى المرتبة الأحدية والمرتبة الواحدية، والتي تتجلى فيها ذات الله تعالى في إسمائه الحسنى وصفاته العليا على وجه يتجلى تجليه في صور أسمائه وصفاته الحسنى أعني به الاعيان الثابتة للإسماء والصفات لزوماً غير متأخر في الوجود، بل هي هناك موجودة بوجود الأسماء الموجودة بوجود المسمى جل شأنه، بعبارة أخرى لكيلا يقف المؤمن متحيراً في هذه المقامات التي تظهر للأولياء والصالحين من عباده المؤمنين، إنّ أبرز تجلي ظهوري للحق هو التجلي الذي ظهر بأسماءه الحسنى وصفاته العليا التي كان وجهها أنوار الأئمة المعصومين عليّ وآل عليّ عليهم السلام، فالنور هو الحقيقة التي تشرق على أعيانهم الشريفة، وهذا الإشراق هو الذي يظهر عالم الصفات والأسماء الحسنى، فهو يبزغ من صبح الأزل الذي نفسه يحتاج إلى ذكر مقدمات لبيانه وتوضيحه بالمفاهيم الذوقية العرفانية، فالمهم إنّ النور هو الذي يستمد وجوده من النور المطلق الذي يشرق على تلك الهياكل التوحيدية والتي من أبرز مظاهرها الحقيقة المحمديّة صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) المناقب: ٢٧٨/٣.

هياكل التوحيد

«الحقيقة نورٌ يشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التوحيد أثاره»

بعد أن عرفنا النور ومعنى النور المطلق، وكون الحقيقة هي عبارة عن نور يشرق، وإشراق النور إ. - يكون من صبح الأزل، كان لا بّد لنا أن نقف ونعرف معنى الأزل، فالنور يشرق من الأزل ويظهر آثاره على هياكل التوحيد، فما هو الأزل؟ وصبح الأزل الذي يكون منبع للنور المطلق الذي بأشراقه أشرقت الأرض بنور ربِّها، وسطعت الموجودات بضيائه، فهي أظلة له؟

والأزلي: الذي لم يكن له أوّل ـ فأزل كلمة مستعربة أصلها فارسية من زُل يعني ما لا أوّل له، فيكون هو الاوّل ـ وليس محتاج في قوامه إلى غيره وهو حقيقة الوجود وساقطة الإضافة عن التعينات في كل العوالم الجبروتية والملكوتية والناسوتية أولاً قبل التجلي عليها، وهو الموجودة فيما لا أول له الواقع فيه وما لا يكون مسبوقاً بالعدم، وقال أرباب العلوم والفنون الحكمية «إنَّ الأزلية عبارة عن نفي الأولية وعدم افتقارها على شيء ولا يرتبط بشيء أصلاً، وهو المبدأ لكل شيء وإليه راجعون».

وقد قسموا القدم الدهري الذي هو الأزلية إلى الأزلية السرمديّة وهو كون الوجود الحاصل بالفعل غير مسبوق بالعدم الصريح في متن الدهر، بل أزلي الحصول في حاق الواقع.

والأزلية الزمانية عبارّة عن كون الشيء الزماني لايسبق وجوده في امتداد الزمان شطر من الزمان والحركة أصلاً[1].

---

(١) انظر رسائل الكندي الفلسفية: ١٦٩، المقايسات: ٣٧٢، الحكمة المتعالية ٣/٣٠٩ شرح رسالة المشاعر: ٨٣، القبسات: ١٧، ١٧١.

والذي يعلم من هذا البيان إنّ الأزلي وصبح الأزل هو الذات المطلقة الذي هو غيب الغيوب وهو الذي يترك الآثار على الموجودات كلها.

أما هياكل التوحيد فهي الماهيات، والأولى ان يراد بها النفوس الكلية الإلهية وبعبارة أخرى المسماة بالإنسان الكامل، فإن الموجودات الاخرى نورها واشعتها إذلها الوجود الشامل، فهي أي الهياكل التي تتجلى فيها مظاهر الأسماء والصفات أزلاً وأبداً، والمعبر عنها ما خلقت سماء مبنية ولا أرض مدحية إلا لأجل هؤلاء وفي محبة هؤلاء ـ الذين هم مظاهر الأسماء الحسنى التي يتوجه بها الاولياء إليه في مقام الإحتياج والدعاء والإنقطاع.

وبعد معرفة معنى النور وهياكل التوحيد وصبح الأزل لابّد لنا من أن نقف مع الحديث وشرحه وما قيل فيه من الشرح البياني لكي نفهم بعد ذلك كيفية كون عليّ عليه السلام سّر الحقيقة المذكورة في الحديث وكيف أقتضت ذاته الشريفة الطاهرة أن تكون سراً للحقيّقة المعبر عنها بالحق المطلق.

وحديث الحقيّقة له معان كثيرة قد ذكرها العلماء في خصوصياتهم وشروحهم وحسب اختصاصاتهم الذوقيّة والعرفانيّة، فإن جل العلماء الربانيين وقفوا مع هذا الحديث لكي يفهموا ما الحقيقة وما سّرها، ولقد أشاروا إشارات من دون الوقوف مع سّر الحقيقة فإنهم وضحوا الحقيقة ولم يذكروا سرها، وهذا ناتج عن كون العارف الولي هو الذي يستطيع الوقوف مع الحقيقة في معرفتها، أما سّرها فيبقى للكمُّل الذين يقفوا مع الحقيقة ويعترفوا حسب وسعهم وقابلياتهم التي أعطاهم اياها الله تبارك وتعالى ويبقى سّر الحقيقة سراً وكل ما يقال فيه انما هو من رشحات الازل على الموجودات الممكن بحسبها لا بحسبه، فنقول:

إن معنى الحديث إجمالا وكمقدمة لبيان سّر الحقيقة وكون الإنسان الكامل هو سر الحقيقة، إنَّ هذا الحديث يشير اشارة خفية إلى ظهور الحق جل وعلا بصور

المظاهر لأن قوله «كشف سبحات الجلال من غير إشارة» أشارة إلى رفع الكثرة الأسمائية بعد رفع الكثرة الخلقية المعبر عنها بالمظاهر، وإلى إثباتها وتحقيقها من غير إشارة عقلية كانت أو حسية، وهذا رمز حسن يشير إلى إحاطته تعالى واطلاقه لأن المحيط المطلق لا يكون قابلاً للإشارة أصلاً ورأساً، ولأن ذلك ليس بممكن بل هو ممتنع مستحيل.

وقيد «السبحات» بالجلال دون الجمال لأن الجلال مخصوص بالأسماء والصفات والجمال بالذات فقط، أو القهرية أو اللطيفية وعلى كلا التقديرين «سبحات الجلال» كان أنسب بالقديم من «سبحات الجمال» لأنه لا يمكن كشف سبحات الجمال إلا بعد كشف «سبحات الجلال» وهذا يعبر عنه بالسير من الكثرة إلى الوحدة ومن الخلق إلى الحق.

وقوله «محو الموهوم مع صحو المعلوم» فيه أشارة إلى رفع المظاهر الموجودة على النفس ومشاهدة الظاهر وهو الحق، فالموهوم المراد به وجه النفس من كل شيء، والمعلوم هو وجه الله تعالى، وقد عبر هنا بالمعلوم وأراد به اليقين لأجل ان الغايات كما قال الحكماء منقسمة إلى الخيرات اليقينية والظنية والتخيلية.

فالأولى للمقربين، والثانية لأصحاب اليمين، والثالثة لأصحاب الشمال والدنيويين، لأن مطلوبات هؤلاء في حركاتهم إنما هي الإمور المحدودة الدائرة الزائلة، ومطلوبات أصحاب اليمين وإن كانت محدودة أيضاً، ولهذا كانت خيرات ظنية لا حقيقة إلا انها دائمة باقية، وأما مطلوب المقربين فإنه عالم العقل الذي هو دار اليقين، بل ما فوقه، فإن اليقين الحق هو حق اليقين «والصحو» ذهاب القيم والسكر وترك الصبى والباطل كذا في القاموس ففي التعبير به إشارة إلى أن الموهوم الذي هو الماهية والعين الثابت والوجه الذي للوجود إليها قيمٌ وحجاب، لنور شجر

الحقيقة، والإشتغال به اشتغالٌ بالباطل «ألا كُلُّ شيءٍ ما خلا الله باطل» وسَكرٌ وصبى كما قال:

صَحَا القَلب عن سلمى واقصر باطلُهُ   وعُـرِّيَ أفـراسُ الصّـبى وَرَواحـلُهُ

وبعارة أخرى أن السالك للوصول إلى مراتب التـوحيد الحـقيقية والذي يـريد العروج بالروح إلى الملكوت الأعلى ليرى مظاهر الحق الحقيقية، إذا شاهد محوية الموهومات التي هي عبارة عن غير الله المسمى بالمخلوقات ـ والتي هي ليست إلّا نقشاً خالياً موهوماً استقر ورسخ بإستيلاء قوة الوهـم وإسـتيلاء الشـيطان عـليه وشاهد إرتفاعها عنه بالكلية، صحا معلومه الذي هو الحـق تـعالى مـن الشكـوك والشبهات الوهميّة وخاصة عن الحجاب بالكلية، أعني بذلك صحت سـماء قـلبه وروحه من غمام الكثرة الخلقية كصحو السماء من الغمام، وظهر له الحق من بينه كظهور الشمس بعد ازالة السحاب عن السماء، وشاهد الحقّ كمشاهدة القمر ليـلة البدر، لقول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر»[1]، ولا يتصور أحد من هذا القول النبويّ .ننا سوف نرى الله بالعين الباصرة فإن ذلك من الاستحالة العقلية وذلك لكون الله تعالى نراه بحقيقة ـ القلوب وبحقيقة الإيمان، وكما قال أمير المـؤمنين عليه السلام حـيث سأله ذعـلب اليـماني فـقال: «هـل رأيت ربّك يـا أمـير المؤمنين عليه السلام؟ فقال عليه السلام: أفأعبد ما لا أرى؟

فقال: وكيف تراه؟

فقال عليه السلام: لا تدركه العيون بمشاهدة العيان ولكـن تـدركه القـلوب بـحقائق الإيمان، قريب من الأشياء غير ملابس، بعيد عنها غير مبائن»[2].

وقوله عليه السلام: «هتك الستر لغلبة السّر» يشير إلى مرتبة أخرى للحقيقة التي يسعى

---

(١) الابانة بلا شعر: ٢١.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٧٤.

الإنسان الوصول إليها في مراتب سلوكه في العالم الدنيوي حيث يتوجه من الخلق إلى الحق، وهتك الستر له عدة معان، فالستر عند العرفاء الشامخين هو عبارة عن كل ما يحجب الإنسان من عالم الكثرات عن الذي يغنيه حقاً وصدقاً وفعلاً ومثاله كعطاء الكون والوقوف مع العادات والأعمال، أما السّر فهو ما يخص كل شيء من الحقّ، والذي يظهر في قوله تعالى: **﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً ان يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون﴾**[1]، ولهذا قيل: «لا يعرف الحقّ إلا بالحقّ» لأن ذلك السّر هو العارف به وكما قال به أمير المؤمنين عليه السلام «عرفت ربّي بربّي» فهو تعالى يعلم كل سّر.

بين المحبين سرٌ ليس نفشيه قولٌ ولا قلم للخلق يحكيه

ومن لطائف الأسرار مقام السّر وأخفى والذي هو من مقامات النفس، قال الإمام الصادق عليه السلام: «أن أمرنا هو الحقّ وهو الظاهر وباطن الظاهر، وباطن الباطن، وهو السر وسر السر، وسر مستتر وسر مقنع بالسر»[2].

فقوله عليه السلام «أمرنا» المراد به «أمر الله» وإضافة الأمر إلى أنفسهم عليهم السلام لكونه مقامهم، والمراد بالحق هو الحق الإضافي والمراد بالظاهر هو الظاهر الحقيقي، لأن نفس ظهور الحق لا ذات له ذلك الظهور، كما في الحق الحقيقي، والمراد بالظاهر الثاني عالم الظاهر باطن وسر لعالم العقل الكلي الذي هو باطن، والسر هو السر المستتر والسر المجلل بالسر، ومقام الأخفى المشار إليه بقوله «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن اعرف مخلقت الخلق لكي أعرف»[3].

---

(١) يس: ٨٣.

(٢) بصائر الدرجات: ٤٤ ح ٤.

(٣) حديث «قدسي» مشهور عند العرفاء، نقله بعضهم خطاباً من الله تعالى لداود النبيّ وبعضهم

وعلى العموم أن قوله «هتك الستر لغلبة السر» له معنيان:

المعنى الأول: انه إذا غلب هذا السّر على المؤمن لا يقدر أن يمسك وجدانه بأخفائه، بل لا يبالي بأظهاره، ويمكن أن يكون بغير إختياره كأفعال السكران في صورة الظاهر، وإليه أشار بقوله عليه السلام: «ولكن يرشح عليك ما يطفح منّي».

المعنى الثاني: أنّه إذا غلب عليه هذا السّر لا يلتفت إلى الاستتار التي هي المظاهر ولا يشاهد إلّا الظاهر فيها.

فيكون المراد به حينئذٍ والله العالم رفع الأستار عن وجه المحبوب وهتكها بالكلية، أي كشفها ورفعها عنه، وهذا المعنى قد يكون أنسب من الأول بالنسبة إلى الذي نحن في صدد اثباته.

وقوله عليه السلام: «جذب الأحدية بصفة التوحيد» يشهد بذلك أيضاً، لأنه يقول:

إنّ بعد ذلك تجذبه الأحدّية الذاتّية الغير قابلة للكثرة إلى التوحيد الصرف والوحدة المحضة، التي هي حضرة الجمع ومقام فناء المحب في المحبوب الآتي بيانه.

ولذلك إذ تعدى هذا المقام شرع في كيفية ظهور تفاصيله الذي هو مقام الفرق بعد الجمع.

وقال: «نور يشرق من صبح الأزل فتلوح على هياكل التوحيد آثاره» أي أن

☜ نقلوه عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن ربه، انظر الدر المنثور للسيوطي ص١٩٣.

وفيه: أنه لا أصل له، ولم يوجد في الكتب الموضوعة للإحاديث القدسية والجوامع الروائية ككتب الصحاح الستة لأهل السنّة والأصول الأربعة الروائية للشيعة.

وقال محي الدين ابن عربي في الفتوحات ج٢/ص٣٩٩: «وورد في الحديث الصحيح كشفاً، الغير الثابت نقلاً، عن رسول الله عن ربه: «كنت كنزاً...» وكما ترى لم يثبت الحديث نقلاً عن ابن العربي أيضاً ومع هذا استند العرفاء به كثيراً.

الحق المسمى بالحقيقة هو نور يشرق .ي يظهر من طرف صبح الأزل الذي هو الذات المطلقة، فيلوح عل «هياكل التوحيد» أي فيظهر على مظاهر الوجود كلها بآثاره وأفعاله وكمالاته وخصوصياته، وهذا إخبار عن ظهور الذات في مظاهر الأسماء والصفات أزلاً وأبداً، وشهوداً لوحدة في صور الكثرة وشهود الجمع في عين التفاصيل ووجود التفاصيل في عين الجمع الذي لا مقام فوقه ولا مشهود ما وراءه المعبر عنه بقولهعليه السلام «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً»، ويقول غيره «ليس وراء عبادان قرية».

ولهذا إذ طلب كميل بن زيادرضي الله عنه زيادة لبيان على ذلك من أمير المؤمنين قال له: «اطف السراج فقد طلع الصبح».

يعني إطف سراج العقل والسؤال بلسانه عند طلوع صبح الكشف ومشاهدة وجه الحق فيه، لأن الكشف غني عن العقل وادراكه كما إنّ الصبح غنيّ عن السراج وإشراقه والعيان لا يحتاج إلى البيان «وليس الخبر كالمعاينة».

ولعل مستشكل يقول: هذه بيانات غريبة عجيبة متناقضة ما نفهم معناها ولا نجد السبيل إليها، فقل لنا بوجه أوضح منها أو في صورة مثال قريب إلى الذهن بحيث نفهمه ونصل منه إلى مقصودنا ومطلوبنا، لأنّا نحن ما نشاهد إلا هذا العالم وهذه الكائنات وهذه الكثرات المتابينة المختلفة التي في معرض الزوال والتغيّر، وما نعرفها إلّا إنّها غير الحقّ وأنها مخلوقة وأنت تقول أنها حقّ وأنه ليس في الوجود إلا الحقّ تعالى، وكل ذلك مظاهر، وليس بينه وبين مظاهره فرق في الحقيقة إلّا أنهم عبيده، وهذا أمر صعب مستصعب وكلام دقيق ما نعرف معناه، ولا نعرف بين هذا الكثرات وبين الحق تعالى إلّا بالوجه الذي قلناه وبينهما بون شاسع.

والجواب على ذلك: إنّ هذا أمر سهل بسيط، وادراكه في غاية السهولة ومعناه في غاية الوضوح، ولكن الإنسان بما أنه غارق في ظلمات الطبيعة ودركات البشرية.

بل في أسفل ما سافلي درجات التقليد الذي هو أعظم الحجب فتراه يقف عنده متحيراً.

وبالحقيقة أنت ـ بالنسبة إلى هؤلاء القوم الذين يفهمون هذا المعنى ـ كالجنين المقيد في حبس المشيمة بالنسبة إلى الطفل المميز، أو كالطفل المميز بالنسبة إلى الشخص العاقل، أو كالشخص العاقل بالنسبة إلى العالم، أو كالعالم بالنسبة إلى العارف أو كالعارف بالنسبة إلى الولي الكامل، أو كالولي بالنسبة إلى النبيّ؛ وبين هذه المراتب تفاوت كثيرة، ولهذا قال الله تعالى: **﴿إنّ في ذلك لآيات لأولي الالباب﴾** حتى لا يطمع فيه أرباب القشور الذين هم أهل الظاهر وأهل العقول، لانهم ـ بالنسبة إلى الأنبياء والأولياء والكمل الذين هم أولد الألباب كالقشرة إلى اللب، ومع ذلك نشرع فيه مرة أخرى بأحسن الوجوه وألطفها ونجتهد في إيصاله إلى ذهنك ونتوكل على الله والتوفيق منه.

إعلم أنك إذا تحققت أن الوجود واحد وأنه مطلق غير مقيد وان المقيدات مضافة إليه، عرفت أنَّ المقيدات ما لها وجود حقيقي لأن وجودها اضافة نسبية، لأنّه عبارة عن إضافة المطلق إلى المقيدات التي «أي هذه الإضافة» لا تحقق لها في الخارج، وعرفت أيضاً انّ المطلق هو المقيد بعينه، لكن بوجه آخر، وأن المقيد هو المطلق مع قيد الاضافة، وأنه ليس في الخارج إلا المطلق، لأنك لو أسقطت الإضافة بالنسبة إلى جميع الموجودات لوجدت الوجود على صرافة وحدته ومحض إطلاقه، ووجدت المقيد موجوداً بالمطلق معدوماً بدونه، وهذا معنى قولهم «التوحيد إسقاط الإضافات»، ومثال ذلك بعينه ـ أي مثال ذلك المطلق مع المقيد ووجوديته ومعدوميته ـ مثال الشمس مع الظلال الموجودة بواسطتها حين ظهورها وحين خفائها، لأن الظلال ليس لها وجود إلا بالشمس لأن الشمس لو لم تكن، لم يكن للظلال وجود، مع إنّ الشمس إذا ظهرت بنفسها لم يبق للظلال وجود، فوجودها بالشمس ولكن تغيبها (أي تميزّها) عنها بجرمها وشعاعها لأنها إذا ظهرت بجرمها

وشعاعها فنيَّ الظلال وتلاشى وجودها بأسرها، واذا غابت عنها بـالذات والجـرم وظهرت لها بالاثر، بقىٰ وجودها على قراره، وصارت ظلاً متعيناً به، أي بـوجود الظليّة، فالوجود بالحقيقة ليس إلا للشمس وأثرها، والظلال ليس لهـا إلا الإسـم والإعتبار، والأسم والإعتبار أمران عدميان، ليس لهـما فـي الوجـود وجـود فـي الخارج، فكذلك جميع الموجودات بالنسبة إلى الحق، لأن الحق إذا ظهر بوجوده لم يبق للخلق وجود، لأن وجود الخلق ـ كما تقدم ـ ليس إلا وجوداً إضافياً إعتبارياً، والإضافة والإعتبارية غير موجودتين في الخارج.

فالوجود الحقيقي لا يكون إلا للحق، وهذا معنى قوله تعالى: **﴿كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون﴾**[١].

أعني كل شيء مضافاً إليه هالك في نفس الأمر إلا ذاته فأنها بـاقية أبـداً **«له الحكم»**[٢] أي له البقاء الحقيقي الأبدي **«وإليه ترجعون»**[٣] أي إليه تـرجـع هـذه الموجودات بعد طرح إضافتهم.

والوجه بالإتفاق هو الذات فيكون حينئذ تقديره **«كل شيء هالك إلا وجهه»**[٤]، **«أينما تولوا فثمّ وجه الله»**[٥]، ولهذا قال تعالى: **﴿كل من عليها فان ويبقى وجـه ربك ذو الجلال والإكرام﴾**[٦].

وأراد به **«عليها»** حقيقة الوجود القائمة بها الموجودات، والحق أنَّ تفسير وجه

---

(١) القصص: ٨٨.

(٢) القصص: ٨٨.

(٣) القصص: ٨٨.

(٤) القصص: ٨٨.

(٥) البقرة: ١١٥.

(٦) الرحمن: ٣٧.

الله تعالى الذي لا يفنى ويبقى ببقاء الله تعالى السرمدي هو ما أشارت إليه جملة من التفاسير والمأثورات الروائية عن أهل بيت العصمة عليهم السلام، فهذا العلامة الطباطبائي يشير في تفسيره الكبير (الميزان في تفسير القرآن) إلى معنى وجه الله والذي لا يفنى ولا يزول لكونه مرتبط بالباقي جل وعلا، حيث يقول في تفسير قوله تعالى **﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾**[1]: الشيء مساو للموجود ويطلق على كل أمر موجود حتى عليه تعالى كما يدل عليه قوله: **﴿قل أي شيء أكبر شهادة قل الله﴾**[2] والهلاك البطلان والإنعدام.

والوجه والجهة واحد كالوعد والعدة، ووجه الشيء في العرف العام ما يستقبل به غيره ويرتبط به إليه كما أن وجه الجسم السطح الظاهرمنه ووجه الإنسان النصف المقدم من رأسه، ووجهه تعالى ما يستقبل به غيره من خلقه ويتوجه إليه خلقه به، وهو صفاته الكريمة من حياة وعلم وقدرة وسمع وبصر، وما ينتهي إليها من صفات الفعل كالخلق والرزق والإحياء والإماتة والمغفرة والرحمة، وكذا آياته الدالة عليه بما هي آياته.

فكل شيء هالك في نفسه باطل في ذاته لا حقيقة له إلا ما كان عنده مما أفاضه الله عليه، وأما ما لاينسب إليه تعالى فليس إلا ما اختلقه، وهم المتوهم أو سراباً صورة الخيال، وذلك كالأصنام التي ليس لها من الحقيقة إلا إنها حجارة أو خشبة أو شيء من الفلزات، وأما أنها أرباب أو ألهة أو نافعة أو ضارة أو غير ذلك فليست إلا أسماء سماها عبدتهم، وكألانسان ليس له من الحقيقة إلا ما أودعه فيه الخالق جل وعلا من الروح والجسم وما اكتسبهُ من صفات الكمال والمجميع منسوب إلى الله سبحانه وأما ما يضيفه إليه العقل الاجتماعي من قوة وسلطة ورئاسة ووجاهة وثروة

---

(١) القصص: ٨٨.

(٢) الأنعام: ١٩.

وعزة وأولاد وأعضاء فليس إلا سراباً هالكاً ذو أمنية كاذبة وعلى هذا السبيل سائر الموجودات.

فليس عندنا من الحقيقة إلا ما أفاض الله عليها بفضله، وهي آياته الدالة على صفاته الكريمة من رحمة ورزق وفضل وإحسان وغير ذلك.

فالحقيقة الثابتة في الواقع التي ليست هالكة باطلة من الأشياء هي صفاته الكريمة وآياته الدالة عليها والجميع ثابتة ثبوت الذات المقدسة، انتهى كلامه رفع الله مقامه.

أقول: على هذا الأساس تكون الآيات الدالة عليه تعالى وعلى صفاته الكريمة والمستمدة وجودها ومقاماتها منه هي الوجه الذي يتوجه به إليه وهي المقاصد التي تقصد للوصول إليه، وهل هي إلا الأسماء والصفات التي تجلت في عدل القرآن الكريم، والمتمثلة في أهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ومعدن العلم وخزان الوحي عليهم السلام، من أراده توجه بهم، ومن قصده قبل عنكم، وهم أهل الفضائل والكرامات وأصحاب المقامات الروحانية والملكوتية، وهم البرزخية الكبرى في فيض الوجود الرحماني للبشرية، فهم الوجه، وإلى ذلك أشارت المأثورات الروائية عن المعصومين عليهم السلام إلى هذه الحقيقة، فحقيقة الحقائق الله تعالى، وله وجه تتوجه المخلوقات إليه حيث به الولاية العظمى المستمدة هيمنتها منه تعالى، وظاهرة هذه الولاية في هذا الوجه الذي فسرته الروايات المشيرة إلى ذلك والتي منها ما ورد عن أبي بصير عن الحارث بن المغيرة قال:

«كنّا عند أبي عبد الله عليه السلام فسأله رجل عن قول الله تعالى: **﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾**، فقال ما يقولون: قلت: يقولون هلك كل شيء إلا وجهه فقال: **سبحان الله لقد قالوا عظيماً إنما عنى كل شيء هالك إلا وجهه الذي يؤتى منه ونحن وجهه الذي يؤتى منه**»[1].

---

(١) بصائر الدرجات: ٧٨ ح ٢٠١.

وايضاً ما ورد عن أبي جعفر عليه السلام في معنى الآية **﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾** حيث قال:

«نحن والله وجهه الذي قال ولن يهلك يوم القيامة من أتى الله بما أمر به من طاعتنا وموالاتنا ذاك الوجه الذي ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ ليس منّا ميّت يموت إلا خلفه عقبه منه إلى يوم القيامة»[1].

أقول: نعم ورد في هذه المأثورات أنَّ أهل بيت النبوة والعصمة عليهم السلام، هم وجه الله الذي يتوجه به الأولياء، وليس هناك أي منافاة بين المعنى المتقدم في تفسير الآية في كونهم الوجه الذي لا يهلك وبين كون الوجه هو عبارة عن الدين الذي يدان به الله تعالى فهو باق إلى يوم القيامة، فالدين لابد له من دال يدل عليه، وعندئذ يتوجه المعنى إلى الذي يدل على ذلك الدين فهو مرتبط به ارتباطاً وثيقاً، فالدال والمدلول عليه لا يهلكان لكونهما لسانان لوجه واحد، فالدين ومن يمثل الدين هما وجهان لعملة واحدة، إن صح التعبير.

الإمام عليّ عليه السلام درّة بحر الأسّرار

وبعد هذا البيان في الكلام كان لابد لنا من معرفة درة بحر الأسرار، وزبدة مخاض الأسرار، المتمثلة في معرفة أسرار سّر الأسرار الذي هو في السماء معروف وفي الأرض مجهول في مقاماته، أعني به أسم الله الأعظم، الذي هو من الصعب المستعصب الذي وقفت عنده العقول لقصورها عن إرتقاء عالي قصورها عن الاحاطة بمعرفته، فالغالي والقالي تاها في بحر الإفراط والتفريط في معرفته وسلوكياته ومقاماته الملكوتية والناسويتة، والمتقدم والمتأخر عن الملازمة لهم وقفا عند ظاهر الشك والأختلاط، فالمتقدم لهم حجبه عن نورهم وملازمتهم ظلمة الكبر

---

(١) بصائر الدرجات: ٧٨ ح ٢.١.

والحسد، وكيف لا؟ وهم المعبر عنهم القرآن الكريم: ﴿**أم يحسدون الناس على ما أتاهم الله من فضله**﴾[١].

والمتأخر عنهم والغالي فيهم تاه في تيه أسرارهم، فضّل عن سبيل الرشد والهداية.

أما العارف لهم الملازم لهم في كل الأمور والذي لا يتقدم عنهم فيمرق، ولايتأخر عنهم فيزهق، فقد فهم وأوعى ـ علم وأستعلم ونظر وأستنظر إلى ما أعطوا وفضلوا به على سائر المخلوقات من المواهب الإلهية المتجلية في وجودهم النوري، لذا لزم لهم في كل الأحوال والظروف.

وأعلاهم سمة ومنزلة ومقاماً في الوجودات النزولية، وأعني بذلك أعلى مرتبة في سبق الولاية العظمى المتجلية في قوله تعالى: ﴿**انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا...**﴾[٢] وهو سر الواحد الأحد والذي هو ظاهره باطن الخلائق وعين الحقائق، فالله هو الحقّ والحقيقة وهو عنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو، وقد جعلها عند من هو مفتاح غيب الوجود، وسر الله في العوالم الملكوتية والناسوتية وسر الله في الأرض وهو سّر الحقيقة وبيان الطريقة ومصداق الشريعة الذي لا يستطيع إدراك معرفته وعلو مقامه إلا الأوحدي المخلص وفي ذلك:

قال رجل للإمام للصادق عليه السلام أخبرني لماذا رفع النبيّ علياً على كتفه؟ قال عليه السلام: **ليعرف الناس مقامه ورفعته.**

فقال: زدني يابن رسول الله، فقال عليه السلام: **ليعلم الناس أنه أحق بمقام رسول الله.**

فقال: زدني، فقال عليه السلام: **ليعلم الناس أنه إمام بعده والعلم المرفوع.**

---

(١) النساء: ٥٤.

(٢) المائدة: ٥٥.

فقال: زدني، فقال عليه السلام: هيهات والله لو أخبرتك بكنه ذلك لقمت عـني وأنت تقول إنّ جعفر بن محمد كاذب في قوله أو مجنون، وكيف يطلع على الأسرار غير الأبرار.

أقول: إنظر إلى كلام الإمام الذي هو معصوم الكلام والذي لا يأتيه الباطل لا من خلفه ولا من بين يديه، كيف أنه لا يستطيع إخبار الرجل بحقيقة عليّ عليه السلام لأنه كما كان الأولون ينكرون حقيقة أمير المؤمنين عليّ وفضل عليّ عليه السلام كذلك هذا الرجل لا يستطيع الوقوف على مقامات عليّ وآل عليّ عليهم السلام.

ويؤيد هذا المعنى ما رواه الحسن بن محبوب عن جابر بن عبد الله عن أبي عبد الله عليه السلام أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعليّ عليه السلام:

يا علي أنت الذي إحتج الله بك على الخلائق حين أقامهم أشباحاً في إبتدائهم وقال لهم: ألست بربكم؟ قالوا: بلى، فقال: ومحمد نبيكم، قالوا: بلى، قال: وعليّ إمامكم، قال: فأبى الخلائق جميعاً عن ولايتك والإقرار بفضلك وعتوا عنها إستكباراً إلا قليلاً منهم وهم أصحاب اليمين وهم أقل القليل، وإنَّ في السماء الرابعة ملكاً يقول في تسبيحه: سبحان من دل هذا الخلق القليل من هذا العالم الكثير على هذا الفضل الجزيل.

هي الشمس أم نور الضريح يلوح ... هو المسك أم طيب الوحي يفوح
وبحر الندى أم روضة حوت الهدى ... وآدم أم سّر المهيمن نوح
وداود هذا أم سليمان بعده ... وهارون أم موسى العصا ومسيح
وأحمد هذا المصطفى أم وصيه ... عليّ سماه هاشم وذبيح
سّماه محيط المجد بدر وجنة ... وصبح جلال في الأيام يلوح
حبيب حبيب الله بل سّر سّره ... وعين الورى بل للخلايق روح

له النص في يوم الغدير ومدحه — من الله في الذكر المبين صريح
إمام إذا ما المرء جاء بحبه — فيمزانه يوم المعاد رجيح
له شيعة مثل النجوم زواهر — إذا جاء ولت تلقى العدو طريح
عليك سلام الله يا راية الهدى — سلام سليم يغتدي ويروح

فعليّ وآل عليّ عليهم السلام هم هياكل التوحيد الذي تلوح عليهم آثار ذلك النور وهم ذرى الحقائق ومقصد المقاصد، وعندهم تقف العقول، حيث لا تستطيع الوصول إلى كنه المعرفة الحقيقية لهم، لأن من حدهم وعرفهم المعرفة التي هم بها فهو مثلهم، ولا يكون ذلك إلّا لهم، وكما ورد في الحديث:

(نزلونا عن مقام الربوبية وقولوا فينا ما شئتم ولن تبلغوا)

فالله هو الحقيقة المؤثرة في الوجود، وهي منبع الأنوار للعوالم العلويّة والسفلية، وعليّ عليه السلام سّر الله في هذه العوالم وهو الحجة التي أحتج بها على كل الموجودات فهو سّر الحقيقة التي ظهرت بها الموجودات وتميزت بها المخلوقات وعُرف الخالق من المخلوق، والعابد من المعبود. وعليٌّ عليه السلام هو سّر الإختراع والأنوار، وكل الأسرار الحقيقية مرتبطة بوجوده الشريفة لأنه هو نقطة الباء، وإليها أشار عليه السلام بقوله:

«**أنا النقطة التي تحت الباء المبسوطة**» حيث يشير إلى الألف القائم المنبسط في ذاتها، المحتجب فيها ولذلك قال البعض:

«الباء حجاب الربوبية، ولو ارتفعت الباء لشهد الناس.....».

فالله هو النور الحقيقي وهو مظهر النور، وهو النور الذي يشرق على هياكل التوحيد فتظهر أثاره، وكما ورد عنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

«أول ما خلق الله نوري ثم فتق منه نور عليّ فلم نزل نتردد في النور، حتى وصلنا إلى حجاب العظمة في ثمانين ألف سنة، ثم خلق الخلائق من نورنا، فنحن صنايع الله، والخلق من بعد صنايع لنا أي مصنوعين لأجلنا».

ويؤيد ذلك ما رواه جابر بن عبد الله في تفسير قوله تعالى ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾[1]، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«أول ما خلق الله نوري أبتدعه من نوره وأشتقه من جلال عظمته فاقبل يطوف بالقدرة حتى وصل إلى جلال العظمة في ثمانين ألف سنة، ثم سجد لله تعظيماً ففتق منه نور علي عليه السلام فكان نوري محيطاً بالعظمة ونور عليّ عليه السلام محيطاً بالقدرة، ثم خلق العرش واللوح والشمس والقمر والنجوم وضوء النهار وضوء الأبصار والعقل والمعرفة، وأبصار العباد، وأسماعهم وقلوبهم من نوري، ونوري مشتق من نوره، فنحن الأولون، ونحن الآخرون، ونحن السابقون ونحن الشافعون، ونحن كلمة الله ونحن خاصة الله، ونحن أحباء الله، ونحن وجه الله، ونحن أمناء الله، ونحن خزنة وحي الله وسدنة غيب الله، ونحن معدن التنزيل وعندنا معنى التأويل وفي آياتنا هبط جبرائيل، ونحن مختلف أمر الله، ونحن منتهى غيب الله، ونحن محال قدس الله، ونحن مصابيح الحكمة، ومفاتيح الرحمة، وينابيع النعمة، ونحن شرف الأمة، وسادة الأئمة، ونحن الولاة والهداة، والدعاة والسقاة، والحماة وفينا طريق النجاة وعين الحياة، ونحن السبيل والسهل والنهج القويم، والصراط المستقيم من آمن بنا آمن بالله، ومن ردَّ علينا رد على الله، ومن شك فينا شك في الله، ومن عرفنا عرف الله، ومن تولى عنا تولى عن الله، ومن تبعنا أطاع الله، ونحن الوسيلة إلى الله والوصلة إلى رضوان الله، ولنا العصمة والخلافة والهداية وفينا النبوة والإمامة والولاية، ونحن معدن الحكمة وباب الرحمة ونحن كلمة التقوى والمثل الأعلى والحجة العظمى والعروة الوثقى التي من تمسك بها نجا وتمت البشرى».

وورد في نهج البلاغة عن عليٍّ عليه السلام أنه قال: «وهو يعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى»، وهذه أشارة إلى أنّه عليه السلام غاية الفخار ومنتهى الشرف وذروة

---

(١) آل عمران: ١١٠.

العز، وقطب الوجود وعين الوجود، وصاحب الدهر ووجه الحق وجنب العلى فهو القطب الذي دار به كل دائر وسار به كل سائر لأن سريان الولي في العالم كسريان الحقّ في العالم لأن الولاية هي الكلمة الجارية السارية، فهي لكل موجود مولاه ومعناه، لأن المولى هو الأسم الأعظم المتقبل لأفعال الربوبية والمظهر القائم للأسرار الإلهيّة والنقطة التي ديرة عليها الموجودات، فهي حقيقة كل موجود وهي باطن الدائرة والنقطة السارية السايرة التي بها إرتباط سائر العوالم، وإلى هذا المعنى أشار ابن أبي الحديد في شرح النهج فقال:

تقبلت أفعال الربوبية التي ... عذرت بها من شك أنك مربوب

ويا علة الدنيا ومن بدأ خلقها ... إليه سيتلوا البدأ في الحشر تعقيب

فهو قطب الولاية ونقطة الهداية، وخطة البداية والنهاية، يشهد بذلك أهل العناية وينكره أهل الجهالة، وقد خصه أمير المؤمنينعليه السلام أيضاً في قوله: «كالجبل ينحدر عني السيل ولا يرقى إليّ الطير»، وهذا سّر عظيم ورمز دقيق ومقام شريف صدر عن الولاية الولوية، لأنه شبه العالم فى خروجهم من كتم العدم بالسيل، وصفة ارتفاعهم في ترقيهم بالطير، لأن الأول ينحدر من الأعلى إلى الأدنى، والثاني يرتفع من الأدنى إلى الأعلى، فقولهعليه السلام فينحدر عني السيل إشارة إلى أنه باطن النقطة التى عنها ظهرت الموجودات ولأجلها تكونت الكائنات.

وقوله ولا يرقى إليّ الطير إشارة إلى أنه أعلى الموجودات مقاماً ولسائر البريات إماماً، ولهم في الحشر قائداً وقساماً[1]، فهو قسيم الجنة والنار، وقسيم نور الحضرة النبوية المحمديّة صاحب الولاية الإلهيّة فهو الكلمة الربانية ومولى سائر البرية، ولقد أجاد وأحسن ابن أبي الحديد حيث قال:

والله لولا حيدر ما كانت ... الدنيا ولا جمع البرية مجمع

وإليه في يوم المعاد وحسابنا ... وهو الملاذ لنا غداً والمفزع

(١) وربما إشارة إلى القوس النزولي والصعودي كما في الذوق العرفاني. «السيد العلوي»



البحث الخامس

عليّ عليه السلام سرّ الحقيقة المحمّديّة

ابن ابي الحديد المعتزلي

لقد فاز عبد للوصيّ ولائه وإن شاب بالموبقات الكبائر
وخاب معاديه ولو حلّقت به قوادم فتخاء الجناحين كاسر
هو النّبأ المكنون والجوهر الذي تجسّد من نورٍ من القدس زاهر
وذو المعجزاتِ الواضحاتِ أقلّها الظهور على مستودعات السرائر
ووارث علم المصطفى وشقيقُه أخاً ونظيراً في العلى والأواصر
ألا إنّما الإسلام لولا حسامه كعفطة عنزٍ أو قلامة حافر
ألا إنّما التوحيد لولا علومُه كعُرضة ضلّيلٍ أو كنهبة كافر
ألا إنّما الأقدار طوع يمينه فبوركَ مِن وتر مُطاع وقادر
تعاليت عن مدحٍ فأبلَغُ خاطب بمدحكَ بين الناس أقصرُ قاصر
صفاتك أسماءٌ وذاتك جوهرٌ بريء المعاني من صفات الجواهر
يجلُّ عن الأعراض والأين والمتى ويكبرُ عن تشبيهه بالعناصر
إذا طاف قوم في المشاعر والصفا فقبرك ركني طائفاً ومشاعري
وإنّ ذَخَرَ الأقوام نُسْكَ عبادةٍ فحبُّك أوفى عُدتي وذخائري
وان صام ناسٌ في الهواجر حسبة فمدحك أسنى من صيام الهواجر
وإن اَكُ فيما جئته شرَّ مذنبٍ فربّك يا خير الورى خير غافر
إذا كنت للنيران بما أستطيعه فكن شافعي يوم المعاد وناصري
فليت تراباً حال دونك لم يحل وساترَ وجهٍ منك ليس بسائر
لتنظر ما لا قى الحسين وما جنت عليه العدى من مفظعات الجرائر
من ابن زياد وابن هندٍ وابن سعد وأبناء الإماء العواهر
بني الوحي هل أبقى الكتاب لناظم مقالة مدح فيكم أو الناثر
إذا كان مولى الشاعرين وربّهم لكم بانياً مجداً فما قدر شاعر

البحث الخامس

علي عليه السلام سُّر الحقيقة المحمّديّة

إنّ للحق سبحانه وتعالى جمال وجلال لائق بشأنه ومختص به تعالى جل شأنه، ولمّا كان الله تعالى وما يزال ومن الأزل إلى الأبد جميل ويحّب الجمال أقتضت الجمالية فيه أن يظهر العوالم والمجودات من حيز العدم إلى خير الوجود وهذا طبيعي في كل جميل، حيث الجميل يحب أن يظهر جماله ويبينه لغيره، لذا كان الجمال ظاهراً من الجميل، وكما ورد في الحديث القدسي المشهور بين العامة والخاصة: «**كنت كنزاً مخفياً فأحببت ان أعرف، فخلقت الخلق**». فالحب الذي يشق الجمال والذي يكون نتيجة وجود الجمال في ذاته الشريفة.

أقول: بالحب ظهر الوجود، فالذات أحبت، وبهذا الحب خلق الخلق والوجود والعوالم كلها، فكلها من فيض الجمال ومن الفيض الأقدس، وهنا سؤال يطرح نفسه في المقام الذي نبحث فيه وهو: إذا كان الجميل أحبَّ الجمال وهو مطلق الجمال، وبهذا الجمال المحبوب خلق الوجود والعوالم والخلق كلها، فلا بد حينئذٍ أن يكون المخلوق الأول والصادر الأول عنده أجمل شيء في الوجود وأعز شيء في الوجود فما هو هذا المخلوق الأول والذي حسب قاعدة الجمالية إن صحَّ التعبير فاض من الجميل؟

فائدة نورية

أقول: قبل الأجابة على هكذا سؤال لا بّد من بيان مطالب غنية فيها فوائد جلية تفيد الباحث والمتبحر في عرفان الله تعالى، وكيفية نشوء العوالم الوجودية التي ظهرت على صفحة الزمان، والتي كانت ظلا للخالق جل وعلا حيث أنها تجلي من

تجلياته وظهور من ظهوراته، وكما قيل: «إن الحق ظهر وتجلى لخلقه بخلقه».

فالوجود صَدر من الحق وظهر منه، وحسب القاعدة المسماة بقاعدة الأشرفية والمشهورة عند الفلاسفة والحكماء والعقلاء، حيث أن هذه القاعدة عقلية ومفادها:

إنَّ الأشرف لا يصدر منه إلّا الشريف، ولا يصدر منه الخسيس والوضيع والرذيل مباشرة، بل الذي يصدر منه أولاً وابتداءً الشريف، فهو واجب الوجود لذاته، وهو العلة الموجدة للعالم وللوجودات، وحسب قانون كون العلة أشرف من المعلول دائماً إلا في بعض المواطن التي يذكرها الفلاسفة والمتكلمين والحكماء، فإن علة العلل والنور الذي خلق الأنوار يستحيل أنَّ يكون الصادر الأول عن الشريف إلا الشريف والأشرف في الموجودات الممكنة، وكذلك يستحيل أن يكون هذا العالم المادي الجسماني الحيواني الظلماني أول ما صدر عنه، بل المتفحص في القرآن الكريم وفي أحاديث أهل بيت العصمة يجد زخماً كبيراً من الأدلة الناصعة والبراهين الواضحة الجلية، والتي تدل دلالة قطعية على كون أول الخلق أشرفها، وعلى كون المخلوق الأول والذي هو الفيض البرزخي بين الحق والخلق، والذي هو الواسطة والمرتبة النورية في إفاضة الوجود إلى الخلق، فهو ـ أي المخلوق الأول ـ البرزخية الكبرى بين الحق والخلق وهذا ما سيتبين لنا من خلال البحث ومن خلال مفرداته التّي تكون في طياته والتّي يحتاج إليها المدقق لمعرفة كنوزها ودقائقها التي لا تظهر إلا لمن خاض في بحر عرفان الله تعالى.

قاعدة الأشرفية

أعود عوداً على بدء، لمّا اشتهرت قاعدة الأشرفية عند الفلاسفة والحكماء، جاء الفلاسفة المشائون وقالوا بالعقول العشرة، وأيضاً جماتمه من الفلاسفة قالوا بالمثل الافلاطونّية كما عند الاشرقيين، ومخلص الكلام ومجمل البرهان في معرفة ايبان

لهذا الخطاب الفلسفي هو عبارة عن كون الفيض الأكمل والنور الأتم لا تصدر عنه الموجودات المادية الجسمانية إلا عن واسطة في خلقها، وتكون هذه الواسطة ذات جنبتين، احدهما متعلق بالعالم العلوي والملكوتي والنوري وما شئت فعبر، والأخرى متعلقة بالعالم السفلي المادي الجسماني أو المسمى في عرف الفلاسفة بالعالم الناسوتي، ونظير هاتين الجنبتين في وجود الإنسان المخلوق وهي عبارة عن جانبين وهما الروح المجرد والأخرى الجسد المادي الجسماني.

وبالجملة فإن الفلاسفة من الإشراقيين أو المشائين وغيرهم من الحكماء والعقلاء، أثبتوا في كتبهم هذه القضية، وهي الأشرفية في الخلق، وقالوا بقاعدة الواحد أيضاً: «ان الواحد لا يصدر إلا من واحد ولا يصدر منه إلا واحد»، لا ستحالة توارد علتين على معلول واحد، فأن لكل منها تأثير على المعلول تجره إليه وتؤثر فيه، فعندئذ تكون إحداهما لا كليهما المؤثر فيها، فيلزم اجتماع النقيضيين أو ارتفاعهما وهو محال عقلاً.

وعلى العموم قالوا بأن العالم الطبيعي المادي الذي محسوس لدى البشر إنما هو صدّر من العقل العاشر المسمى بالعقل الفعّال، حيث يوجد عقل أول مخلوق لله تعالى ومنه صدرت العقول والأفلاك، والتي تكون في سلسلة المرتب الوجودي الماهوي التي نزلت وظهرت في الوجود، هذا ملخص الكلام ما عند الفلاسفة والحكماء في شأن أول مخلوق الذي هو عندهم العقل الأول الذي صدرت منه العقول التسعة الأخرى وكذلك الافلاك التسعة كما عند المشائيين، وآخر العقول هو المسمى بالعقل الفعال الذي ظهرت منه الموجودات.

وقفة مع الحقيقة المحمّديّة

أما عن لسان الروايات الإسلامية الصادرة عن الرسول الأعظم محمّد ﷺ وأهل بيته، فالكلام له شأن أخر ومقام أسمى وبيان أجلى وحكمة أخرى أوفى بالمقصود وأظهر للمطلوب، وأجمل للناظر، وأحلى للشارب من مناهل العرفان المحمدّي، وهذا ما سيتبين لنا من ملخص الكلام في المقام، فان المقام ذو منزلة عظيمة لايتأتى لنا بيانه في هذا الكتاب، لذا إرتأينا أن نؤجل الحديث عنه إلى كتابنا ـ انشاء الله ـ المسمى بالأسرار المحمدّية والتي سوف نفصل القول فيه وفي شأن سرّ الحقيقة المحمدية.

إعلم أيها القاريء العزيز المؤمن إنّ الإسم الأسمى للباري عز وجل والذي إختص به تعالى هو ـ الله ـ جل جلاله وهذا الإسم مشتمل على جميع الأسماء الإلهية، وهو ـ أي هذا الأسم مقدم بالذات والمرتبة على باقي الأسماء، وعلى هذا يكون مظهره مقدم على المظاهر كلها ومتجل فيها بحسب مراتبه.

فلهذا الإسم الإلهي بالنسبة إلى غيره من الأسماء إعتبارات:

الاول: إعتبار ظهور ذاته في كل واحد من الأسماء.

الثاني: اعتبار اشتماله عليها كلها من حيث المرتبة الإلهية.

فعلى الأول تكون الأسماء مظاهرها كلها مظهر هذا الإسم الأعظم لأن الظاهر والمظهر في الوجود شيء واحد لا كثرة فيه، ولا تعدد في العقل بمتاز كل منهما عن الأخر، كما يقول أهل النظر بأن الوجود عين الماهية في الخارج وغيره في العقل فيكون إشتماله عليها إشتمال الحقيقة الواحدة على أفرادها المتنوعة .

وبالثاني يكون الإسم مشتملاً على الأسماء من حيث المرتبة الإلهيّة إشتمال الكل المجموعي على الأجزاء التي هي عينه بالإعتبار الأول.

اذا علمت هذا علمت أن حقائق العالم في العلم، والعين كلها مظاهر للحقيقة الإنسانية التي هي مظهر للإسم الله جل جلاله، فأرواحها كلها جزئيات الروح الاعظم الإنساني سواء كان روحاً فلكياً أو عنصرياً أو حيوانياً، وصورها صور تلك الحقيقة ولوازمها لذلك سمى عالم المفصل بالإنسان الكبير عند أهل الله جل جلاله، لظهور الحقيقة الانسانية ولوازمها فيه، ولهذا الإشتمال وظهور الأسرار الإلهيّة كلها فيها دون غيرها إستحقت الخلافة من بين الحقائق كلها، والخليفة لا بد أن يكون موصوفاً بجميع الصفات، إلا الوجوب الذاتي الذي إختص به غيب الغيوب وعلام الغيوب، ولله در القائل:

سبحان من أظهر ناسوته[1] سر سنا لاهوته الثاقب[2]

ثم بدا في خلقه ظاهراً في صورة الآكل والشارب

فأول ظهور للحقيقة الإنسانية الكاملة إنما كانت في صورة العقل الأول الذي هو صورة إجمالية للمرتبة العمائية التي هي غيب الغيوب المشار إليها في الحديث الصحيح عند سؤال الأعرابي: «أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق؟

قال عليه السلام: **كان في عماء ما فوقه هواء ولا تحته هواء»**.

لذلك قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: **«أول ما خلق الله نوري»**وفي حديث أخر **«أول ما خلق الله العقل»**

فلا منافاة بين كون المخلوق الأول والصادر الأول هو العقل أو نور النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، فأن العقل نور من نور الله سبحانه فتجلى نور نبيّنا من نور رب

---

(١) الناسوت: الطبيعة الإنسانية وهو الناس، زيد في أخره «واوٌ» و«تاءٌ» كملكوت وهو لغة سريانية.

(٢) أي في هذه الطبيعة الناسوتية سرّ أضاء لا هوته الثاقب النافذ لأن اللاهوت نافذ أو مفيض النور على الناسوت.

العالمين، ثم ظهرت وتجلت بقيت الأنوار الرحمانية المتمثلة في أهل بيت العصمة عليهم السلام.

فأول ما خلق الله تعالى الحقيقة الإنسانية الكاملة المتمثلة في حقيقة الإنسان الكامل المتجلي عن الذات الواحدة.

فالذات الواحدة لها تجل واحد «الواحد لا يصدر منه إلا واحد» وهو تعينه بأحدية الجمع ولها بأعتبار ذلك التجلي إسم واحد هو أسم الله، ولها بأعتبار هذا الإسم مظهر واحد هو العين الثابتة الإنسانية المعبّر في ألسنتهم بالحقيقة الإنسانّية، وهو القطب الأزلي الأبدي والنشء الدائم السرمدي وليس ذلك إلا الضياء الأحدي والنور المحمدي صلى الله عليه وآله وسلم لأنه خاتم الانبياء والمرسلين، والخاتمة هي الفاتحة كما قال الله عز وجل: «**لولاك لما خلقت الأفلاك**».

«**وأول ما خلق الله يا جابر نور نبيك**» ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾[1].

فهو الرحمة الواسعة الحقيقية التي وسعت كل شيء بأفاضة أعيانهم الثابتة في العلم، ووجوداتهم الفائضة في العين، وكمالاتهم اللائقة لهم في النشآت كلها فهو الواسطة في الإيجاد والوجود ومجرى إفاضة الخير والجود ومن أسمائه المفيض.

فالعين الثابتة الأحمدية التي هي الحقيقة الإنسانية وهي الحقيقة المحمدّية هي المتجلية في صورة الاسماء والأعيان في عالم الأسماء والأعيان الثابتة، والعالم معنى ما سوى الله هو صورة الأسماء ومظهرها، فهو صورة الحقيقة الانسانية ومظهرها، لأن الأسماء والأعيان تجليات تلك الحقيقة بأعتبار، واجزاؤها بأعتبار أخر، وصورتها صورة تلك الحقيقة ومظهرها.

---

(١) الأنبياء: ١٠٧.

تجلي الحقيقة المحمّدية

فالحقيقة المحمدية هي التي تجلت في صورة العالم والعلم من المجّرة إلى الذرة، وظهور تجليها، وتلك الحقيقة مجملة في عالم الأسماء عند كونها تعينا ومظهراً لذلك بمعنى الذات، ومفصلة عند كونها تعيناً له بمعنى الذات مع الصفة، ولذلك يكون العالم إنساناً كبيراً وانساناً صغيراً: ككبيرة صورة تفصيلها، وصغيرة صورة اجمالها. فكل ذرة من ذرات الوجود الامكانّي من الأول إلى الأخر جزء من أجزاء تلك الحقيقة بإعتبار تفصيلها، وتجل من تجليّاتها بأعتبار اجمالها.

والهيكل المسمى بمحمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم صورة إجمالهّا فالحقيقة المحمدية هي التي تجلت في أسمائه تعالى، والأعيان الثابتة في عالم الأسماء وفي الموجودات العالمية في عالم الأعيان، ولذلك قال الله تعالى: ﴿**إنَّ الله وملائكته يصلون على النبي ياايها الذين امنو صلوا عليه وسلموا تسليما**﴾[1].

وعلى العموم نرى أن لا نستغرق في الحديث عن الحقيقة المحمدّية فان هذا الأمر موكول إلى محله من بحثنا في الأسرار المحمدية ـ انشاء الله ـ ونقول في خلاصة الكلام:

إنّ الله تعالى أول ما خلق وصدر منه هو النور، وهو نور نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وخلق كذلك من هذا النور أنواراً أخرى كانت الواسطة في إفاضة الوجود، كل على حسبه وشرفه. فالحقيقة المحمدّية هي وسيلة الإبداع لما سواها ولها شرف الأسبقية والأفضلية بأبعادها النورانية من حيث كونها مصدراً لكل هداية، ومجمعاً لكل كرامة ومكرمة، وكونها البدء في عالم الأنوار والوجود، والختم في عالم الموجودات الجسمانية من حيثية خاتميتها للرسل والأنبياء.

---

(١) الأحزاب: ٥٦.

ويكفي شاهداً على ذلك على ما ورد في شأن الحقيقة المحمدّية ما جاء على لسان صاحب الفتوحات حيث قال:

«بدء الخلق الهباء وأول موجود فيه الحقيقة المحمدّية الرحمانية... فلم يكن أقرب إليه قبولاً في ذلك الهباء إلا الحقيقة المحمدّية صلى الله عليه وآله وسلم المسماة بالعقل، فكان سيد العالم بأسره وأول ظاهر في الوجود... وأقرب الناس إليه عليّ بن أبي طالب وأسرار الأنبياء أجمعين»[1].

السّر المكنون في الحقيقة العلويّة

أقول: والذي يظهر من هذا الكلام المنقول عن صاحب الفتوحات إنّ مقام الخاتمية للحقيقة المحمدّية كان لها سراً، وهذا السّر ليس مختصاً بها، بل هو لكل الأنبياء فهو سّر الأنبياء، وهو سّر الحقيقة المحمدّية، وهو أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، فالحقيقة المحمدّية ظاهرها الحقيقة العلوية، وسّرها المكنون الذي من أراد الوصول إلى الحقيقة المحمدّية فلا بد أن يمر من بابها المسمى بالحقيقة العلوية، وكما وردّ: «أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد المدينة فليأتها من بابها».

وعلى هذا الأساس كان لابّد أنّ نقف مع باب الحقيقة المحمدّية، ونقصد به الحقيقه العلوية، كيف كانت هذه الحقيقة سر للحقيقة المحمدّية، وكيف أقتضت ذلك؟

أقول: ومن الله التوفيق أن النبوة قد قسمت في محلها المثابت في علم الكلام إلى نبوة تعريفية ونبوة تشريعية، فالاولى هي الإنباء عن معرفة ذات الله والأسماء والصفات الإلهية.

والثانية جميع ذلك مع تبليغ الأحكام، والتأديب بالأخلاق والتعليم والحكمة والقيام بالسياسة، وتختص هذه النبوّة بالرسالة.

---

(١) الفتوحات المكيّة: ١/١١٨-١٢٠.

أما النبّوة المسماة بالمطلقة، فهي النبوة الحقيقية، الحاصلة في الأزل باقية إلى الأبد كقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**كنت نبياً وآدم بن الماء والطين**».

وهذا إشارة إلى مقام الحقيقة المحمدّية التي سبقت الحقائق الأخرى والنابعة من حقيقة الحقائق وهو الله تعالى شأنه، والنبوة الأصلية بالحقيقة هي عبارة عن إطلاع ذاك النبيّ المخصوص بها على استعداد جميع الموجودات، بحسب ذواتها وماهياتها وحقايقها، واعطاء كل ذي حق حقه بلسان استعدادتها من حيث الإنباء الذاتي، والتعليم الحقيقي الأزلي المسمى بالربوبية العظمى والسلطنة الكبرى.

وصاحب هذا المقام هو الموسوم الخليفة الأعظم، وقطب الأقطاب، والإنسان الكبير، وآدم الحقيقي المعبر عنه بالقلم الأعلى والعقل الاول والروح الأعظم وأمثال ذلك من التعبيرات الروائية الواردة على لسان أهل الذكر الذين أمر الباري عز وجل سؤالهم ومعرفتهم، وإلى ذلك أشار النبي الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم: «**أول ما خلق الله نوري**» و «**أول ما خلق الله العقل**» و «**أول ما خلق الله القلم**» و «**أول ما خلق الله الروح**»، وغير ذلك من الأخبار الواردة في المقام وإلى هذا المقام أشار المحققون في إصطلاحاتهم بأنه عين الله الناظرة وعين العالم، وهو المعبر عنه بالإنسان الكامل والبرزخية العظمى بين الملكوت والناسوت، لأنه تعالى ينظر بنظره إلى العالم فيرحمه بالوجود، كما قال في الحديث القدسي: «**لولاك لما خلقت الأفلاك**» وقوله تعالى: ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾[1].

وصاحب هذا المقام المحمودة هو الذي كان مصدر الكل ومنشؤه، وهو أيضاً مرجع الكل ومبدؤه، وهو المبدأ وإليه المنتهى، وإليه تنتهي كل العلوم والأعمال، وإليه تنتهي جميع المراتب والمقامات، وهو الموسوم بالنبوة المطلقة المتحققة في الحقيقة المحمدّية من الأزل وإلى الأبد.

---

(١) الأنبياء: ١٠٧.

وباطن هذه النبوة المطلقة وسّر هذه الحقيقة المحمدّية هي الولاية المطلقة المعبر عنها بلسان الحقيقة لا الشريعة ولا الطريقة، بقولهم عين الحياة التي هي عين الولاية الحقيقية الأصليّة ومنبع النبوة الحقيقية، والتي هي باطن الأسم الحيّ، الذي أشار إليه أمير المؤمنين بقوله:

«إنّ لله تعالى شراباً لأوليائه، إذا شربوا منه سكروا، واذا سكروا طربوا، واذا طربوا طلبوا واذا طلبوا وجدوا، واذا وجدوا وصلوا، واذا وصلوا اتّصلوا، واذا اتّصلوا لا فرق بينهم وبين حبيبهم».

إلا انه يوجد الفرق المتحقق بلسان الامكانية المتمثلة في وجودهم والتي أشار إليها صاحب العصر والزمان، أرواحنا لتراب مقدمه الفداء، حين قال في أدعية رجب المرجب ما نصه: «اللّهم إنّي أسألك بمعاني جميع ما يدعوك به ولاة أمرك، المأمونون على سرّك، المستبشرون بأمركالواصفون لقدرتك، المعلنون لعظمتك، أسألك بما نطق فيهم من مشيئتك، فجعلتهم معادن لكلماتك وأركاناً لتوحيدك وآيتك ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كلّ مكان يعرفك بها من عرفك، لا فرق بينك وبينها إلاّ انهم عبادك وخلقك.

فتقها ورتقها بيدك، بدؤها منك وعودها إليك أعضاد وأشهاد ومناة وأذواد وحفظة ورواد فبهم ملأت سمائك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت فبذلك اسألك...»[١].

والولاية المطلقة التي هي باطن تلك الحقيقة هي عبارة عن حصول مجموع الكمالات والمقامات بحسب الباطن في الأزل، وايقاعها إلى الأبد، وهذا ما أشار إليه نفس الرسول وباطن حقيقته المحمدّية، أعني به أمير المؤمنين وسيد الموحدين علي بن أبي طالب عليه السلام حيث قال وأشار إلى ذلك المقام بقوله:

---

(١) مفاتيح الجنان: ١٣٤، في أعمال رجب.

«كنت وليًا وآدم بين الماء والطين» وإليه أشار صاحب الخاتمية العظمى حيث قال «أنا وعلي من نور واحد»، وكقوله فيه: «خلق الله روحي وروح علي بن أبي طالب قبل أن يخلق الخلق بألفي عام».

وكقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «بُعث علي مع كل نبي سرّاً ومعي جهراً».

ونفس هذه المرتبة الباطنية المتمثلة في سر الحقيقة المحمدّية والمتجلية في الحقيقة العلويّة، ولإقتضاء هذه المنزلة وظهورها في عالم الموجودات أشار اليها صاحبها عليه السلام الموسوم بالولي التام حيث قال في خطبة البيان:

«أنا وجه الله، أنا جنب الله، أنا يد الله، أنا القلم الأعلى، أنا اللوح المحفوظ، أنا الكتاب المبين، أنا القرآن الناطق، أنا كهيعص، أنا ألم ذلك الكتاب أنا طاء الطواسين، أنا حاء الحواميم، أنا الملقب بياسين، أنا صاء «الصافات»، أنا سين المسبحات، أنا النون والقلم، أنا مائدة الكرم، أنا خليل جبرئيل، أنا صفوة ميكائيل، أنا الموصوف بـ«لافتى»، أنا الممدوح في «هل أتى»، أنا النبأ العظيم، أنا الصراط المستقيم، أنا الاول، أنا الآخر، أنا الظاهر، أنا الباطن»[1] إلى أخره.

وإلى هذا الباطن والظاهر والأول والأخر والتي كلها مراتب ومقامات لعليّ عليه السلام، أشارة الرواية الواردة عن الرسول الأعظم والتي يظهر منها أنّ الإمام عليّ عليه السلام هو سِّر الحقيقة المحمدّية، بل هو عالم بجميع أسرار الحقيقة النورانية المختصة

(١) ليس المقصود هنا من قوله أنا الأول أنا الآخر هو ما في توحيد الله سبحانه وتعالى من أنه هو الأول هو الآخر، بل في الله سبحانه باعتبار واجب الوجود ولذاته، وفي علي عليه السلام بإعتبار الإمكان، ولا قياس بين الوجوب والإمكان، فلا يقاس بالله أحد، كما لا يقاس بالولي الأعظم ومن تجلّت فيه الحقيقة المحمدّيّة أحد من الممكنات والمخلوقات، والولي الأعظم هو عبد الله كما نقول في رسول الله الأعظم صلى الله عليه وآله (أشهد أن محمّداً عبده رسوله). كذا الكلام في قوله عليه السلام: أنا الظاهر أنا الباطن وغير ذلك فتدبر. «السيد العلوي»

بالرسول الأكرم حيث قال أبو عبد الله عليه السلام:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لقد أسرى بي ربيّ عز وجل أوحى إليّ من وراء حجاب ما أوحى وكلمني فكان مما كلمني به أن قال:

يامحمّد، عليّ الأول وعليّ الآخر، والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم.

فقلت ياربّ أليس ذلك أنت؟ ثمّ فسر ـ سبحانه بعد توصيف نفسه ـ قال:

عليّ الأول، أي أول من أخذ ميثاقي من الأئمة وعليّ الآخر، أي آخر من أقيض روحه من الأئمة، وهو الدابة التي يكلمهم، يا محمد عليّ الظاهر، أُظهر عليه جمع ما أُوحيته إليك، ليس لك أن تكتم منه شيئاً يامحمّد، عليّ الباطن، أبطنتهُ سرّي الذي أسررته إليك، فليس فيما بيني وبينك سّر دونه، يا محمّد عليّ عليم بكل ما خلقت من حلال أو حرام»[1].

وإلى مراتب هذه الخطبة المتحققة في وجود الإنسان الكامل عليّ بن أبي طالب عليه السلام أشار الإمام الصادق عليه السلام إلى هذه المرتبة حيث قال:

إنّ الصورة الإنسانية هي أكبر حجة الله على خلقه، وهي الكتاب الذي كتبه بيده، وهي الهيكل الذي بناه بحكمه، وهي مجموع صورة العالمين، وهي المختصر من العلوم في اللوح المحفوظ، وهي الشاهد على كل غائب، وهي الحجّة على كلّ جاحد، وهي الطريق المستقيم إلى كل خير، وهي الصراط الممدود بين الجنة والنار».

والولاية المطلقة التي أشرنا إليها ثابتة للحقيقة المحمدّية صلى الله عليه وآله وسلم بالآصالة ولأمير المؤمنين عليه السلام بالوراثة، ولا تكون بعده إلا لأولاده المعصومين المنصوص عليهم من الله تعالى بالإمامة والخلافة، وكما دلت عليه كثير من المأثورات الروائية عنهم عليهم السلام.

---

(١) بصائر الدرجات: ٥١٤ ج ٣٦، عنه البحار: ١٨/٣٧٧ ج ٨٢.

وهاتان المرتبتان لا تكون قط إلا لخاتم الأنبياء وخاتم الأولياء، واللذين هما واحد عند التحقيق وهما محمّد وعليّ عليهما السلام، ﴿وأنفسنا وأنفسكم﴾، وإلى هذا المقام والمرتبة العظيمة أشار القوم في إصطلاحهم المعروف بقولهم:

«القطبية الكبرى هي مرتبة قطب الأقطاب، وهي باطن النبوة ـ يعني محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ـ ولا تكون إلا لورثته لإختصاصه عليه السلام بالأكمليّة، فلا يكون خاتم الأولياء وقطب الأقطاب إلاعلى باطن ختم النبوة».

إعتبارات الحقيقة المحمّديّة

وبالجملة للحقيقة المحمدّية إعتبارات إعتبار الظاهر وإعتبار الباطن والباطن يتعلق بالولي الختم الذي يكون أقرب الناس إليه، ويكون حسنة من حسناته، لأن غير عليّ بن أبي طالب عليه السلام ليس به هذا القرب ولا هذه الخصوصية ﴿وأنفسنا﴾، ولا سيما أنه ورّد في عدة أحاديث شريفة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «**أنا وعلي من نور واحد**» «**أنا وعلي من شجرة واحدة**»، وغير ذلك من الإشارات التي تدل دلالة على كونها حقيقة واحدة وأنهما من نور واحد وحقيقة واحدة.

والشاهد على ذلك ما تقدم في قول عليّ عليه السلام في خطبة البيان:

«**أنا الأول، وأنا الأخر، وأنا الظاهر، وأنا الباطن، وأنا وجه الله، وأنا جنب الله**» إلى آخره كما عرفته الآن، كل ذلك يدل على أن حقيقته وحقيقة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حقيقة واحدة.

وقبل أن أختم الموضوع أود أن أشير إشارة دقيقة في سّر الحقيقة المحمديّة وهي عبارة عن كون النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم تجلت فيه ثلاث مراتب من المراتب المتعلقة والمفاضة من رب العزة وهي: النبوة والرسالة والولاية ثم إعلم إنّ كل رسول يكون نبياً ولا يكون كل نبي رسولاً، كما أن كل نبي يكون ولياً، ولايكون كل

ولي نبياً، وأيضاً لا يكون نبياً إلا وتكون ولايته أقدم على نبوته، كما لا يكون رسولاً إلا ونبوته تكون اقدم (يعني متقدمة) على رسالته.

فالولاية باطن النبوة، والنبوة باطن الرسالة، وكل واحدة منهما أشرف وأعظم من الأخرى، ولا شك أن بواطن الأشياء أعظم من ظواهرها، لأنها محتاجة إليها، وهي مستغنية عنها، وكل غنيّ عن شيء يكون أعظم من الآخر المحتاج إلى ذلك الشيء، فكل ما يكون أقرب إلى البواطن يكون هو أعظم، واقلّه من الجهتين المعتبرتين.

الأولى من جهة اسغنائه والثانية من جهة قربه إلى الحق، لأن قرب الأشياء إلى الحق بالبواطن لا بالظواهر، وإن كان الظاهر أيضاً موصول إلى الحق على ضوء الشريعة لا الحقيقة، وكذلك وإن كان الحق تعالى هو الأول والآخر والظاهر والباطن، بل لا يمكن قرب الأشياء إلى الحق إلا بالبواطن، فأفهم فأن في الأمر دلالات على أسرار الشريعة والحقيقة.

وعلى هذا الحال تكون كل مرتبة من المراتب المذكورة (الولاية ـ النبوة ـ والرسالة)، أعظم من الأخرى، أعني مرتبة الولاية تكون أعظم من مرتبة النبوة، ومرتبة النبوة تكون أعظم من مرتبة الرسالة، بخلاف الوليّ والنبيّ والرسول. ومثل هذه المراتب مثل مراتب اللوزة الكاملة في ذاتها، فأن لها ظاهراً وباطناً وباطن الباطن، أعني أنّ لها قشراً ولباً ودهناً، فالمرتبة الأولى التي هي القشر كالرسالة، والثانية هي اللبّ كالنبوة، والثالثة هي الدهن كالولاية، والمراد أن مرتبة الرسالة دون مرتبة النبوة، ومرتبة النبوة دون مرتبة الولاية، كما إن الشريعة دون الطريقة والطريقة دون الحقيقة، وكذلك الوحي والألهام والكشف، والإسلام والإيمان والإيقان. وهنا دقيقة شريفة لا بد من ذكرها وهي: إن الولاية وإن كانت في الحقيقة أعظم من النبوة والنبوة أعظم من الرسالة، لكن ليس الولي أعظم من النبي ولا النبي أعظم من الرسول، لأن النبي له مرتبة الولاية وفوقها مرتبة النبوة، وكذلك الرسول له مرتبتان

بعد الولاية أعني الرسالة والنبوة، فلا تحصل المساواة بينهم أصلا، ولا الترجيح أيضاً، أعني ترجيح الولي على النبي، وترجيح النبي على الرسول.

فالدقة في هذا المقام أنْ تعرف ان المراد بأن الولاية أعظم من النبوة، هو أن طرف الولاية في الشخص المعين نفسه يكون أعظم من طرف نبوته، وطرف نبوته أعظم من طرف رسالته، والنبوة بالنسبة إلى الرسالة كذلك مثل نبيناﷺ فأنه كان ولياً ونبياً ورسولاً، وكان طرف ولايته أعظم من طرف نبوته، وطرف نبوته أعظم من طرف رسالته، وكذلك جميع الرسل.

الخلاصة

وخلاصة الكلام: إنّ باطن النبيﷺ الذي هو مقام ولايته، يأخذ الفيض من الله تعالى بلا واسطة غيره، ويفيض على ظاهره الذي هو مقام النبوة، والدالة على هذا الأمر هو الحديث المشهور عنهﷺ حيث قال:

«لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب، ولا نبي مرسل».

والمراد أن لي مع الله حالات وأوقات لا يمكن أن يطلع عليها أحد، لا ملك مقرب ولانبي مرسل ولا غيرهم من المخلوقات، وكأنه يشير إلى أنه لا تنكشف عليه الأسرار ولا تتجلى له الأنوار إلا عند تجرده عن جميع التعلقات الروحانية والجسمانية ـ حتى النبوة والرسالة ـ وعن جبرئيل وإبلاغه أيضاً.

لقوله جبرئيل في معراجه مع النبي عند وصوله إلى قاب قوسين أو أدنى: «لو دنوت أنملة لاحترقت». وبالحقيقة قد عبّرﷺ في قوله: (لي مع الله وقت...) عن شدة تعلقه بالنبوة والرسالة ومنعهما إياه من الوصول إلى حضرة الحق جل جلاله وقال حين خلاصه عنهما لحظة:

«لا يسعني فيه ملك مقرب» أي جبرئيل وإبلاغه «ولا نبي مرسل» أي النبوة لأن الرسالة إبلاغ ما حصل عن النبوة.

وبيان هذا المقام «أعني به إن طرف الولاية في نفس النبيّ أعلى رتبة من النبوة والرسالة» إنما تكون الرسالة والنبوة بين الحق جل وعلا وبين الرسول أو النبي من خلال الملك الواسطة بينهما في التبليغ عن الله تعالى، لكن هنا توجد دقيقة مهمة جداً، وهي أن الملك واسطة بين الحق والأنبياء في عالم الصورة ومقام البشرية، وإلا ففي عالم الحقيقة ومقام الولاية، فلا ملك هناك ولا جبرئيل، لشدة قربه ـ أي الرسول ـ من الحق جل وعلا لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: **«لي مع الله وقت الايسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل»**، ولقوله جبرئيل **«لو دنوت أنملة لا حترقتُ»**.

هذا كله في مقام الباطن بالنسبة للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من طرف ولايته الباطنية التي هي فيض الأسرار ومنبع الأنوار الإلهية والتجليات الأسمائية التي ظهرت وبرزت فيه.

ولكن مقام ولايته في عالم المظاهر، مخصوص بخاتم الولاية، والذي هو مخلوق من نوره الخاص الذي هو روحه وحقيقته لقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

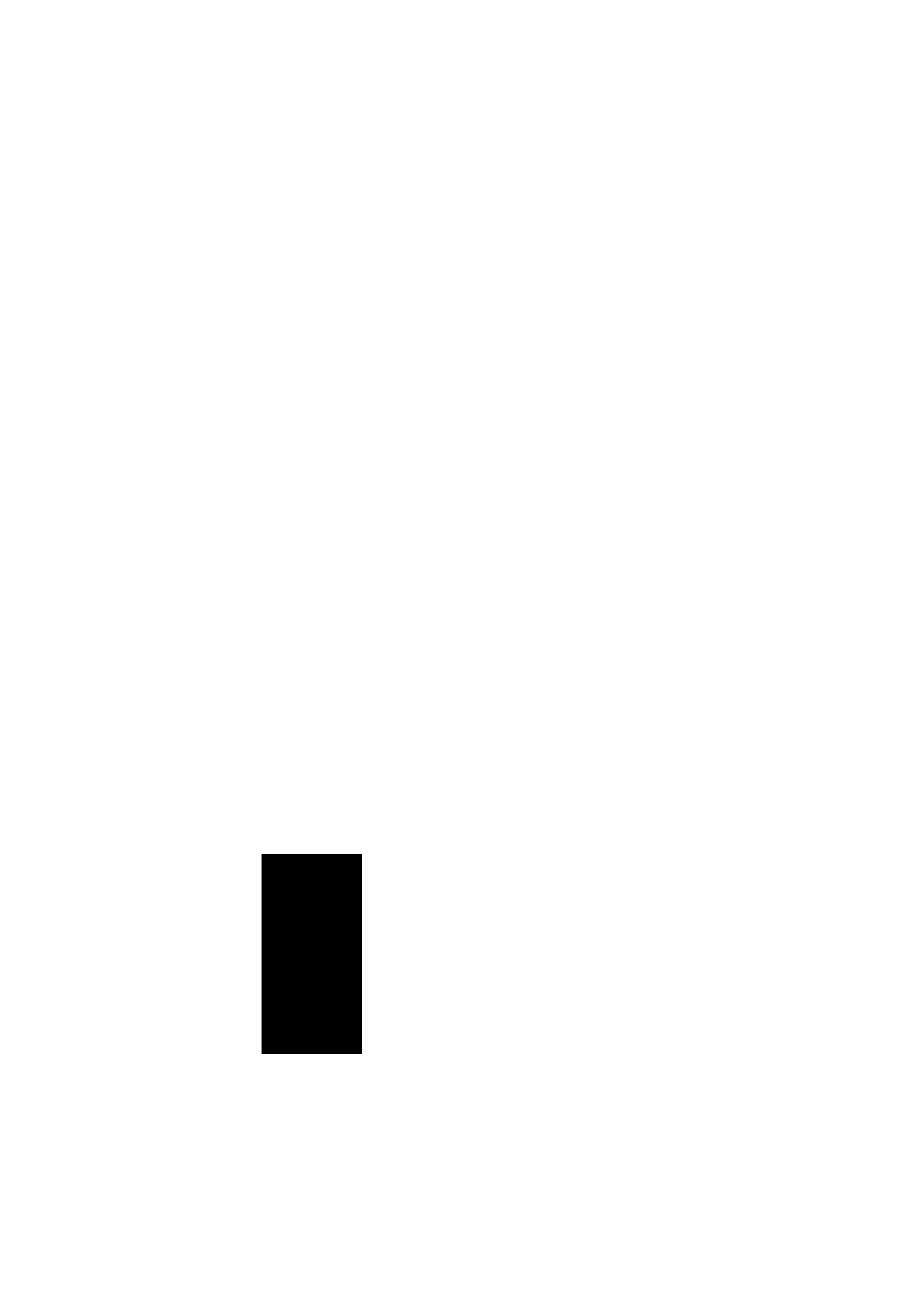
«أنا وعلي من نور واحد» وبمثل هذا يشار إلى أن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام هو سّر الحقيقة المحمديّة.

❊ ❊ ❊



البحث السادس

عليّ عليه السلام سرّ الأنبياء



ابن العرندس

هم النّور نور الله جلّ جلاله هم التين والزيتون والشفع والوترُ
مهابط وحي الله خزّان علمه ميامين في أبياتهم نزل الذكرُ
وأسمائهم مكتوبة فوق عرشه ومكنونة من قبل أن يُخلق الذّرُّ
ولولاهم لم يخلق الله آدماً ولا كان زيدٌ في الأنام ولا عمرو
ولا سطعت أرضٌ ولا رفعت سما ولا طلعت شمس ولا أشرق البدرُ
ونوحٌ به (بهم) في الفلك لمّا دعا نجا وغيض به (بهم) طوفانه وقضي الأمرُ
ولولاهم نار الخليل لما غدت سلاماً وبرداً وانطفى ذلك الجمرُ
ولولاهم يعقوب ما زال حزنه ولاكان عن أيّوب ينكشف الضرُّ
ولان لداود الحديد بسرّهم فقدّر في سرد يحير به الفكرُ
ولمّا سليمان البساط به سرى أُسيلت له عين يفيض له القطرُ
وسخّرت الريح الرّخاء بأمره فغدوتها شهر وروحتها شهر
وهم سرّ موسى والعصا عندما عصى أوامره فرعون والتقف السحر
ولولاهم ما كان عيسى بن مريم لعازر من طيّ اللحو دله نشر
سرى سرّهم في الكائنات وفضلهم وكلّ نبيّ فيه من سرّهم سرّ
علا بهم قدري وفخري بهم غلا ولولاهم ما كان في الناس لي ذكر

البحث السادس

عليٌ عليه السلام سر الأنبياء

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لعليٍ عليه السلام:

«يا عليّ إنّ الله تعالى قال لي: يامحمد، بعثت علياً مع الأنبياء باطناً ومعك ظاهراً»[1].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«ما من نبيٍّ إلاّ وبُعِثَ معه عليٌّ باطناً ومعي ظاهراً»[2].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«بعث عليٌّ مع كل نبيٍّ سرّاً ومعي جهراً»[3].

---

(١) الأنوار النعمانية: ١/ ٣٠.

(٢) المجلى لأبن أبي جمهور: ٣٦٨.

(٣) نفس المصدر: ٣٠٩.

تمهيد:

تطرقنا في بحث سابق حول موضوع المراتب التي تعلقت وفيضت من الحق بالنسبة للحقيقة المحمديّة، وقلنا سابقاً إنّ هناك مراتب ثلاثة ظهرت وتجلت في الحقيقة المحمديّة من قبل المولى عز وجل وهي: الرسالة والنبوّة، والولاية، وأشرنا إلى أن مرتبة الولاية أعلى وأسمى من الرسالة، والنبوة بالنسبة إلى الشخص المرسل نفسه، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في قضية نبي الله أبراهيمعليه السلام، حيث أعطاه الله الإمامة بعد النبوّة والرسالة وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿واذ إبتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن، فقال إني جاعلك للناس اماماً، قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين﴾[1].

حيث اعطى الباري عز وجل الإمامة لنبيه بعد عدة إمتحانات وأختبارات، وكما قيل في محله أنها عشرة إمتحانات إبتلى بها إبراهيمعليه السلام.

الغرض من ذلك إنَّ طرف الولايّة في شخص النبيّ أو الرسول لتكون أعظم شأناً ومقاماً بالنسبة للمراتب التي رتبه الله فيها، والشاهد على ذلك هو في قول الرسولصلى الله عليه وآله وسلم: **«لي مع الله وقت لا يسعني فيها ملك مقرب ولا نبيّ مرسل»**

أي إنّ الملك الذي هو واسطة بين الحق وبين النبي المرسل في عالم الصورة ومقام البشرية في تبليغ الرسالة أو النبوّة، لا يستطيع الوصول إلى مقام الولاية وعالم الحقيقة، وكما قال في ذلك جبرئيل في قضية الاسراء والمعراج حيث قال للرسولصلى الله عليه وآله وسلم: **«لو دنوت أنملة لا حترقت»**، أي إنّ الرسول يصل بمقام الولاية إلى ما لا يصل إليه النبي المرسل فالولاية التي هي باطن الرسالة، وهي إلتي معناها القرب الإلهي العظيم للولي من الله تعالى بحيث يكون سمعه ويده ونظره هي، التي

---

(١) البقرة: ١٢٤.

توصل الإنسان إلى هذا المقام السامي، هذا كله في عالم الحقيقة والباطن بالنسبة للنبيّ المرسل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم الذي عنده هذه الولاية العظمى، أمافي عالم الظاهر وتبليغ الشريعة فأن الرسول الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم كان مظهر ولايته العظمى، قد تمثل في أمرة المؤمنين وولاية سيد الوصيين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فالإمام عليّ عليه السلام هو باطن الرسالة المحمدية بالحقيقة، وأما بالظاهر فهو ولي الأولياء وسيد الأوصياء، وباب مدينة علم الرسول، وقائد الغر المحجلين، ويعسوب الدين، وخاتم الاوصياء مطلقاً.

فعليّ عليه السلام هو الولي الظاهر الذي أيد به الله تعالى رسوله المصطفى محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، لذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا الحديث المشهور بين أهل الحقيقة والعرفان:

«يا عليّ إن الله تعالى قال لي: يا محمّد بعثت علياً مع الأنبياء باطناً ومعك ظاهراً».

وفي الحديث أخر عن خاتم الانبياء والمرسلين: **«ما من نبي إلاّ وبعث معه عليٌّ باطناً ومعي ظاهراً».**

وفي موقف أخر يقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: **«بعث عليٌّ مع كل نبيٍّ سراً ومعي جهراً».**

إذن فالأمام عليّ عليه السلام بُعث مع الانبياء سراً وباطناً ومع الرسول محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ظاهراً، والسؤال المطروح في المقام هو أنه لماذا الامام عليّ عليه السلام يُبعثُ مع الأنبياء سّراً ومع خاتم الرسل جهراً؟

وبعبارة أخرى كيف كان عليّ عليه السلام سّر الأنبياء والمرسلين ومن هو ظاهر ولايتهم؟

حقيقة نوريّة

قبل الدخول في صلب الموضوع لابّد لنا أن نوضح حقيقة مهمة جداً، قد أكدت عليها الأحاديث المعصومية التي نطقت بها ألسن أهل بيت العصمة والطهارةعليهم السلام على مرّ السنين التي عاشوها مع الأمة الاسلامية، وهذه الأحاديث لا يستطيع أي شخص أنكارها أو ردّها، لأنها كانت من الشهرة في الكتب الروائية شهرة روائية بحيث تكون من المتواتر الإجمالي، يعني .نها بلغت حداً لا نستطيع انكارها كلها.

وهذه الأحاديث تبين قضية عقائدية قد أثبتها وجاءت على مضمونها روايات كثيرة، تكلمت حول عالم الميثاق وأساس الخلقة، والخلقة النورانية للبشر، وعلى العموم فأن هذه الأحاديث قد أكدت على دلالتها أحاديث أخرى تحمل مضمونها.

وهذه المأثورات الروائية ملخص حديثها في كون أمر أهل البيت هو الذي جعل الملائكة مقربين وغير مقربين، ومن الأنبياء مرسلين وغير مرسلين، ونص هذه الأحاديث هو ما ورد عن أمير المؤمنين عليعليه السلام حيث قال:

«إنِ أمرنا صعب مستصعب لا يتحمله إلا ملك مقرب أو نبيّ مرسل أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان يا أبا الربيع ـ والحديث على لسان الامام أبي جعفرعليه السلام ـ ألا ترى أنه يكون ملك ولا يكون مقرباً ولا يحتمله إلا مقرب، وقد يكون نبي وليس بمرسل، ولا يحتمله إلا مرسل، وقد يكون مؤمن وليس بممتحن ولا يتحمله إلا مؤمن قد امتحن الله قلبه للأيمان»[1].

وفي حديث أخر عن سدير الصيرفي قال:

«كنت بين يدي أبي عبد اللهعليه السلام أعرض عليه مسائل قد أعطانيها أصحابنا إذ خطرت بقلبي مسألة فقلت: جعلت فداك مسألة خطرت بقلبي الساعة، قال:

(١) بصائر الدرجات: ٤٢.

أليست في المسائل قلت لا. قال: وما هي، قلت قول أمير المؤمنين عليه السلام إن أمرنا صعب مستصعب لا يعرفه إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد أمتحن الله قلبه للإيمان.

فقال: نعم إنّ من الملائكة مقربين وغير مقربين، ومن الأنبياء مرسلين وغير مرسلين، ومن المؤمنين ممتحنين وغير ممتحنين، وأن أمركم هذا عرض على الملائكة فلم يقر به إلا المقربون، وعرض على الأنبياء فلم يقر به إلا المرسلون وعرض على المؤمنين فلم يقر به إلا الممتحنون»[١].

وعلى هذا الأساس نجد أن كثيراً من الأنبياء كانوا غير مرسلين، وبعض كان مرسلاً إلى أمة معينة، حيث اشارة هذه المأثورات الروائتة إنّ أمر أهل البيت عليهم السلام من الصعب المستصعب الذي لا يحتمله إلا من كتب الله في قلبه الإيمان، وأيده بروح منه، فأمرهم صلوات الله عليهم هو الذي جعل الملائكة مقربين وغير مقربين والأنبياء مرسلين وغير مرسلين، والمؤمنين ممتحنين وغير ممتحنين، ولعل سائل يسأل ما هو أمرهم الذي ميز بين الموجودات فجعل منها في رتبة سامية ومقام عالٍ، والأخرى غير ذلك؟

إنّ المطّلع والباحث في روايات أهل البيت عليهم السلام يجد أن كثيراً منها قد فسرت معنى «الأمر» تارة بالولاية وأخرى بالسّر المقنع بالميثاق، وأخرى بالحق، وأخرى بالباطن أو الظاهر، وعلى الإجمال فان أمر أهل البيت عليهم السلام من الصعب المستصعب الذي يحتاج إلى مجاهدة وتوفيق وعناية من الباري عز وجل التحمله، وإلا فأننا نجد على مرَّ التأريخ أن الكثير من الناس لم يتحلموا أمر أهل البيت ولم يقروا به، والحال هو الذي كان ويكون الفيصل بين الناس في تمايزهم وتغايرهم في مراتب الإيمان، وبنظرة واحدة دقيقة نجد هذا واضحاً في حياة أصحاب الأئمة الذين

---

(١) بصائر الدرجات: ٤٢.

عاشوا معهم، حيث نرى بعضهم لم يتحمل أسرار أهل البيت، كيف لا؟ وهذا أبو ذر لوعلم ما في قلب سلمان من الاسرار والعلوم المودعه لقتله، وهذا كناية على شدة عدم تحمل أسرار أهل بيت العصمة عليهم السلام.

فأمرهم له معان وتجليات كثيرة جداً لا يظهروه لأحد إلا لمن وجدوه أهلاً لتحمله وكتمه وعدم إذاعته، فهو من الأمانات المودعة عندهم، وكما ورد ذلك في الزيارة الجامعة «... **السلام على محال معرفة الله ومساكن بركة الله ومعادن حكمة الله وحفظة سرَّ الله...**»، وغير ذلك من الأقوال والأحاديث والزيارات التي تصفهم بأنهم المستودع لسِّر الله، الذي لا يعطوه إلا إلى أهله وإلى ذلك أشار الحديث المروي عن أبي بصير حيث قال:

«قال أبو عبد الله عليه السلام: **يا أبا محمد، إن عندنا والله سّراً من سِّر الله، وعلماً من علم الله، والله لا يحتمله ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا مؤمن امتحن الله قلبه للايمان، والله ما كلف الله ذلك أحداً غيرنا ولا استعبد بذلك أحداً غيرنا، وأن عندنا سراً من سر الله، وعلماً من علم الله أمرنا بتبليغه، فبلغّنا عن الله عزَّ وجل ما أمرنا بتبليغه، فلم نجد موضعاً ولا أهلاً ولا حمالة يحملونه، حتى خلق الله لذلك أقواماً، خلقوا من طينة خلق منها محمّد وآله وذريته عليهم السلام، ومن نور خلق الله منه محمداً وذريته، وصنعهم بفضل صنع رحمته التي صنع منها محمداً وذّريتهُ، فبلغنا عن الله ما أمرنا بتبليغه، فقبلوه واحتملوا ذلك «فبلغهم ذلك عنا فقبلوه واحتملوه»، وبلغهم ذكرنا فمالت قلوبهم إلى معرفتنا، وحديثنا فولا أنهم من هذا لما كانوا كذلك، لا والله ما احتملوه، ثم قال:**

إنّ الله خلق اقواماً لجهنم والنار، فأمرنا أن نبلغهم كما بلغناهم، واشمأزوا من ذلك ونفرت قلوبهم وردوه علينا ولم يحتملوه، وكذبوا به وقالوا ساحرٌ كذاب، فطبع الله على قلوبهم وأنساهم ذلك، ثم أطلق الله لسانهم ببعض الحق فهم ينطقون

به وقلوبهم منكرة، ليكون ذلك دفعاً عن أوليائه وأهل طاعته ولولا ذلك ما عُبدَ الله في أرضه، فأمرنا بالكف عنهم والستر والكتمان، فاكتموا عمَّن أمر الله بالكف عنه، واستروا عمن أمر الله بالستر والكتمان عنه، قال:ثم رفع يده وبكى وقال:

اللهم إن هؤلاء لشرذمة قليلون، فأجعل محيانا محياهم، ومماتنا مماتهم، ولا تسلط عليهم عدواً لك فتفجعنا بهم، فإنك إن فجعتنا بهم لم تعبد أبداً في أرضك، وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليماً»[١].

أقول:

يظهر من هذا الحديث الشريف الذي ورد في كتاب الكافي الشريف إنَّ عند أهل البيت عليهم السلام سراً من سّر الله تعالى قد خصَّهم به من دون خلقه لعّلوا شأنهم وكرامتهم عليه، ويحتمل أنَّ يكون هذا السّر الذي خصهم به هو نفسه أمرهم الذي عُبر عنه في الأحاديث الشريفة «بأمرنا»، فهذا السر والأمر الذي هو مختص بهم عليهم السلام قد يكون هو نفسه أمر الولاية العظمى التي ميزهم بها عن غيرهم، بحيث إن هذا السّر والأمر لا يحتمله غيرهم، ولا يستطيع حمله غير وجودهم الشريف، فلما كان هذا السر والأمر الذي لا يستطيع حمله غيرهم اقتضى أن يكون هو أمر الولاية المخصوصة بهم عليهم السلام ، وإنَّ الذي خرج إلينا من هذه الولاية هو كقطرة من بحار معرفتهم ومعرفة أمرهم، الذي جعل الأنبياء مرسلين وغير مرسلين.

وعلى هذا الأساس فأن معنى السّر ومعنى الأمر في ذواتهم الشريفة والذي جعل الأنبياء مرسلين وغير مرسلين، هو الذي قال فيه ابو عبد الله:

«إنّ أمرنا سّر في سّر مستسر، وسّر لا يفيد إلا سّر، وسّر على سر، وسر مقنع بالسر»[٢].

---

(١) أصول الكافي: ١/٥٦٧ ح ٥.

(٢) بصائر الدرجات: ٤٤.

وهذا يعني أن أمرهم كان من الباطن لأن السر إنما يكون في باطن الإنسان أما اذا كان في الظاهر لا يكون سراً، فالباطن هو السر، ولعله يكون إشارة إلى عالم الباطن الذي قنعه الله تعالى في عالم الميثاق، حيث ورد عن أبي جعفرعليه السلام أنّه قال في هذا ألامر المقنع بالميثاق مانصه:

«**إنّ أمرنا هذا مستور مقنع بالميثاق من هتكه أذله الله**»(١)، ونفس هذا الحديث يظهر تفسيره من الحديث الذي ورد عن أبي عبد اللهعليه السلام حيث قال:

«**إن أمرنا هو الحق وحق الحق، وهو الظاهر وباطن الباطن، وهو السّر وسّر السّر المستسّر وسر مقنع بالسّر**»(٢).

وهذا الحديث وإنّ كان يحتاج إلى الوقوف معه والتأمل في مدلولاته الدقيقة والتي تحتاج إلى إطالة الفكر والغوص في معانيها العالية، والتي لا يصل إليها إلا ذو حظ عظيم وذوق رفيع، فإن هذا الحديث يظهر منه المراد من الأمر هو الذي كان مستور بالميثاق، وهل عرض بالميثاق على البشر إلا ولاية أهل البيت العصمةعليهم السلام ؟!

نعم عرضت الولاية في الميثاق وعالم ﴿**ألست بربكم**﴾ فيكون باطن هذا الأمر في عالم الميثاق وهو نفسه الولاية العظمى، فيكون على هذا الأساس أن الولاية العظمى التي هي من الباطن المقنع بالميثاق قد عرضت على الأنبياء وجعلتهم مرسلين وغير مرسلين، وعلى حسب استعداداتهم الفطرية والوجودية، فعندما يأتي الحديث حول كون عليّعليه السلام سّر الأنبيّاء إنّما يكون على هذا الأساس، وهذا ما إشارت إليه جملة من الروايات التي أكدت على كون أكثر الأنبيّاء إنّما بعثوا على الولاية التي هي باطن رسالتهم.

(١ ـ ٢) بصائر الدرجات: ٤٤.

ولاية الإمام عليٌّ عليه السلام في ميثاق الأنبياء

*قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لمّا أُسري بي في ليلة المعراج وأجتمع عليَّ الأنبياء في السّماء، فأوحى الله تعالى إليَّ:

سلهم يا محمد بماذا بُعثتم؟

فقالوا: بعثنا على شهادة أن لا إله إلا الله وحده، وعلى الإقرار بنبوّتك، والولاية لعليٍّ عليه السلام»[1].

*وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لما أُسري بيّ إلى السَّماء إذا ملك قد أتاني فقال لي: يامحمّد «وسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا» على ما بعثوا؟

قلت: يا معاشر الرسل والنَّبيِّين على ما بعثكم الله؟

قالوا: على ولايتك وولاية عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام»[2].

أقول: يظهر من هذين الحديثين الشريفين، إنما بعث الأنبيّاء بالتبشير برسالة النبي محمّد صلى الله عليه وآله وسلم التي هي خاتمة الرسالات والتي تدعو إلى توحيد الله تعالى، وكذلك بعثوا على ولاية عليّ عليه السلام والإقرار بها.

* في كنز الكراجكي رحمه الله: عن أبي ذر رحمه الله قال:

كنت جالساً عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم في منزل أمُ سلمة ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحدثني وأنا أسمع إذ دخل عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فأشرق وجهه نوراً فرحاً بأخيه وابن عمه، ثم ضمه إليه وقبّل بين عينيه، ثم التفت إليّ فقال:

---

(١) ينابيع المودة: ٦٢/٢

(٢) شواهد التنزيل: ١٥٦/٢، فرائد السمطين: ٨١/١، تاريخ دمشق: ٩٧/٢.

«يا أبا ذرّ أتعرف هذا الداخل علينا حق معرفته؟

قال أبو ذرّ: فقلت: يا رسول الله هذا أخوك وابن عمّك وزوج فاطمة البتول وأبو الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا أبا ذرّ، هذا الإمام الأزهر، ورمح الله الأطول، وباب الله الأكبر، فمن أراد الله فليدخل الباب.

يا أبا ذرّ، هذا القائم بقسط الله، والذابّ عن حريم الله، والناصر لدين الله، وحجة الله على خلقه، إنّ الله تعالى لم يزل يحتج به على خلقه في الأمم، كلّ أُمّة يبعث فيها نبياً»[1].

❊ عن يعقوب بن يزيد عن الحسن بن محبوب عن محمد بن الفضل عن أبي الحسن عليه السلام قال: «ولاية عليّ مكتوبة في جميع صحف الأنبياء ولن يبعث الله نبياً إلاّ بنبوّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وولاية وصيّه علي عليه السلام».

❊عن أحمد بن محمد عن العباس عن عبد الله بن المغيرة عن أبي جعفر عليه السلام عن أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري قال:

رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسمعته يقول: يا علي عليه السلام ما بعث الله نبّياً إلا وقد دعاه إلى ولايتك طائعاً أو كارهاً».

❊ عن الحسن بن علي بن النعمان عن يحيى بن أبي زكريّا بن عمرو الزّيّات قال: سمعت من أبي ومحمد بن سماعة يرويه عن فيض بن أبي شيبة عن محمد بن مسلم قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول:

«إن الله تبارك وتعالى أخذ ميثاق النبّيين على ولاية عليّ وأخذ عهد النبيّين بولاية عليّ».

---

(١) غاية المرام: ٦٠٨ ح ٨، البحار ٤٠/٥٥ ح ٩٠.

❁عن أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن سيف بن عميرة عن أبـي بكـر الحضرميّ عن حذيفة بن أسيد الغفار قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **ما تكاملت النبوّة لنبيّ في الأظلّة حتى عرضت عليه ولايتي وولاية أهل بيتي ومـثّلوا له فأمـروا بطاعتهم وولايتهم».**

❁ عن محمد بن عيسى عن محمد بن سليمان عن يونس بن يعقوب عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: **«ما نبيّ نبيءولا من رسول أرسل إلاّ بولايتنا وبفضلنا على من سوانا».**

❁ عن يعقوب بن يزيد عن يحيى بن المبارك عن عبد الله بن جبلة عن حميد بن شعيب السبيعي عن جابر قال: قال أبو جعفر عليه السلام: **«ولا يتنا ولاية الله التي لم يبعث نبياً قط إلا بها».**[1]

مع دلالة الأحـاديث

أقول: بعد التوقف مع هذه الروايات وفهم معانيها ومدلولالتها نجد أنَّ الولايـة التي هي باطن الرسالة، قد بعث بها كل الأنبيّاء وكما يظهر ذلك من أحاديث الميثاق وأحاديث بعثت الأنبيّاء المتقدمة، فباطن رسالة الأنبيّاء السابقين كانت في بعثهم في أممهم جهراً وسّراً في عليّ بن أبي طالب عليه السلام، حيث هو المؤيد لهم سّراً في عالم الحقيقة الحقة، والشاهد على ذلك الأحاديث المتقدمة في بعثتهم وعلى أي شـيء بعثوا في أممهم.

فالولاية المتمثلة في باطنهم، أي الأنبيّاء ـ تـنقسم إلى المـطلقة والمـقيدة، أي العامة والخاصة، لأنها من حيث هي هي صفته الألهيّة مطلقة؛ ومن حيث استنادها إلى الأنبيّاء والأولياء هي مقيدة، والمقيّد متقوم بالمطلق، والمطلق ظاهر في المقيد،

(١) مجمل هذه الأحاديث في بصائر الدرجات: ٨٥-٨٦.

فولاية الأنبياء والاولياء كلهن جزئيات الولاية المطلقة، كما أنّ نبوات الأنبياء هن جزئيات النبوة المطلقة الخاصة بنبينا محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

وأعلم أيها القاري العزيز أنَّ جميع المراتب والمقامات من النبوة والرسالة والولاية راجعة إلى الحقيقة المحمديّة ظاهراً وباطناً، تلك الحقيقة التي كانت مصدراً للخير ومفيضة للوجود الممكن من حيثية كونها الصادر الأول عن الخالق، وحسب قاعدة الأشرفية التي تكلمنا حولها في كون عليّ عليه السلام سر الحقيقة المحمديّة.

ومن جملة ما تقدم نفهم أنَّ ختم الولاية المطلقة إنّما يكون لمن هو سّر الأنبيّاء وباطنهم، وظاهر خاتمية الحقيقة المحمديّة، وكما قلنا في عالم الشهود والبشرية ولاية علي ظاهرة، وفي عالم الحقيقة بالنسبة للرسول الأعظم كانت باطنة تلك الولاية.

فولاية عليّ عليه السلام المطلقة ثابتة من خلال وجوه كثيرة أهمها النقل والعقل والكشف كما عُبر في محله.

أما من جهة النقل في ثبوت ولاية عليّ عليه السلام فأنه ورد فيه من النقل والأخبار من الله تعالى ومن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومنه أيضاً بحيث يكاد يخرج عن الحصر.

فأما من الله تعالى فقوله: **﴿انّما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾**[1].

ومعلوم أن هذه الآية بأتفاق أكثر المفسرين من الجمهور وغيرهم نزلت في حق عليّ عليه السلام.

ومعلوم أيضاً أنّ هذا الحكم لم يخرج عن عموميته حتى يخصصّ، فيكون الامام عليه السلام هو ولياً مطلقاً ويكون خاتم الأولياء بأسرهم، لأنه ماظهر ولي بعده، إلا

---

(١) المائدة: ٦٠.

على مقامه ومرتبته، أعني ما ظهر ولي بعده الا كان مظهراً من مظاهره، وخليفة من خلفائه.

ويكفي شاهداً على ما نقول في ختميتّه للولايّة المطلقة، وكونه بعث مع الأنبيّاء سراً ومع الرسول جهراً، هو ما ورّد في الحديث المنقول عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «**بعث عليّ مع كل نبي سراً ومعي جهراً**».

ومعناه الذي نحن بصدد الوقوف معه واستلهام الفكر العميق منه والتأمل في مولولاته النورانيّة إنّ الولاية المطلقة لخاتم الأولياء والتي هي مخصوصة للإمام عليّ عليه السلام كانت سارية في جميع الأنبيّاء عليهم السلام سراً كما كانت النبوّة المخصوصة بي ـ أيّ بالرسول ـ سارية فيهم جهراً حتى ظهرتُ أنا في عالم الشهادة جهراً وظهر عليّ عليه السلام معي كذلك.

وهذه الولايّة المطلقة المخصوصة بأمير المؤمنين عليّ عليه السلام هي التي أخبر عنها بنفسه الشريّفة عندما قال: «**كنت ولياً وآدم بين الماء والطين**».

والنبوة المطلقة المخصوصة بي ـ أي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ـ هي التي أخبرت عنها بقولي: «**كنتُ نبياً وآدم بين الماء والطين**».

وأما ما ورّد على لسان أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في مسألة ختم الولايّة المطلقة حيث قال: «**إنّ رسول الله ختم ألف نبيّ، وإني ختمت ألف وصيّ، وأني كلفت مالم يكلفوا**».

ويظهر من هذا الخبر الشريف الذي أورده أبو نعيم الحافظ الإصفهاني في كتابه، إنّ علياً عليه السلام قد ثبتت ختميته ووصايته بالنص، فحيث ذلك ثبت عندئذ، ثبتت ختميته للولايّة، وحيث ثبتت ختميته للولاية ثبت حقّيته، لأن الخاتم في الولاية هو الذي لا يكون بعد وليّاً على مقامه، بل يكون الكل راجعاً إليه، وهذا الشخص كذلك، فيكون خاتماً للولاية مطلقاً.

وعلى هذا الأساس يكون خاتم الأولياء مطلقاً أعلم وأشرف و.عظم الخلق بالله تعالى بعد الختم للنبوّة المطلقة التي لا يصل إليها أياً كان، لأنها مقام الخاتمية العظمى والصادر الأول والنور الأول والعقل الأول الذي ظهرت به الموجودات، وقبل الدخول في مقام بيان الأفضلية والأعلمية لابّد أنّ نذكر شواهد على كون أمير المؤمنين عليّ عليه السلام هو سّر للأنبيّاء وقد أيد الله تعالى به الأنبيّاء في عالم الباطن والسّر.

الإمام علي عليه السلام مع الأنبيّاء سّراً

* في تفسير الامام العسكري في قوله تعالى: ﴿**إذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم**﴾[1]:

إن موسى لما إنتهى إلى البحر أوحى الله إليه: قل لنبي إسرائيل: جدّدوا توحيدي وأقروا بقلوبكم ذكر محمّد صلى الله عليه وآله سيد عبيدي وإمائي، وأعيدوا على أنفسكم ولايّة عليّ عليه السلام أخي محمّد وآل الطيبين، وقولوا اللّهم جوزنا على متن هذا الماء، فأن الماء يتحول لكم أرضاً.

فقال لهم موسى ذلك، فقالوا: تورد علينا ما نكرهه، وهل فررنا من فرعون إلا من خوف الموت؟ وأنت تقتحم بنا هذا الماء الغمر بهذه الكلمات .

فقال موسى كالب بن يوحنّا ـ وهو على دابة له ـ: ولو كان ذلك الخليج أربعة فراسخ، أمرك اللهبهذا أن نقوله وندخل؟

قال نعم ـ قال: وأنت تأمرني به؟ قال: بلى، فوقف وجدد على نفسه من توحيد الله ونبوّة محمّد صلى الله عليه وآله وولاية عليّ عليه السلام والطيبين من آلهما ما أمره به ثم قال: «اللهّم بجاههم جوزني على متن هذا الماء»، ثم أقحم فرسه، فركض على متن هذا

---

(١) البقرة: ٥٠.

الماء، وإذا الماء من تحته كأرض لينة ، حتى بلغ آخر الخليج، ثم عاد راكضاً، ثم قال لبني إسرائيل: يا بني إسرائيل، أطيعوا موسى، فما هذا الدعاء إلا مفتاح أبواب الجنان، ومغاليق أبواب النيران، ومستنزل الأرزاق، والجالب على عباد الله، وأمانة رضاء الرحمان المهيمن الخلاق، فأبوا، وقالوا: نحن لا نسير إلا على الأرض، فأوحى الله إلى موسى: ﴿أن أضرب بعصاك البحر﴾[1] وقل:

اللهّم صلي على محمّد وآل محمّد كما فلقته، ففعل فانفلق وظهرت الأرض إلى آخر الخليج...»[2].

قال البرسّي[3]: روي أنّه لما لحق هارون بأخيه موسى عليه السلام دخلا على فرعون يوماً وأوجسا خيفة منه، فإذا فارس يقدمهما ولباسه ذهب وبيده سيف من ذهب، وكان فرعون يحبّ الذهب فقال لفرعون:

أجب هذين الرجلين وإلا قتلتك، فانزعج فرعون لذلك وقال: هذا إلى غد، فلمّا خرجا دعا البوابين وعاقبهم، وقال لهم: كيف دخل عليّ هذا الفارس بغير إذن؟

فحلفوا بعزة فرعون أنّه ما دخل إلاّ هذا الرجلان .

وكان الفارس مثال عليّ عليه السلام الذي أيد الله النبيين عليهم السلام سراً وأيد به محمد صلى الله عليه وآله جهراً، إلا لانه كلمة الله الكبرى التي أظهرها الله لأوليائه فيما شاء من الصور فنصرهم بها، وبتلك الكلمة يدعون الله فيجيبهم وينجيهم، وإليه الإشارة

(١) شعراء: ٦٣.

(٢) التفسير المنسوب إلى الامام العسكري: ٢٤٣-٢٤٧، عن البحار ٦١/٩٤ ح ٤٨.

(٣) الحافظ رجب البرسي قد أختلف علمائنا في قدحه ومدحه، ومنهم من نسب إليه الغلو، ولكن قد دافع العلّامة الأميني في كتابه القيم (الغدير) عنه وبرءّ ساحته وأثبت علو مقامه، كما هو المختار، وذكرت تفصيل ذلك في كتاب (عليّ عليه السلام نقطه باء البسملة) مطبوع فراجع.
«السيد العلوي.»

بقوله﴿ويجعل لكما سُلطاناً فلا يصلون إليكما بآياتنا﴾[١].

قال ابن عباس: كانت الآية الكبرى لهما هذا الفارس[٢].

❊ قال البرسي: روى أصحاب التواريخ: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان جالساً وعنده جنيّ يسأله عن قضايا مشكلة فلمّا أقبل أمير المؤمنين عليه السلام تصاغر الجـنيّ حـتى صار كالعصفور ثم قال: أجرني يارسول الله، فقال ممن؟

قال: من هذا الشابّ المقبل.

فقال: وما ذاك؟ فقال الجنيّ: أتيت سفينة نوح لأغرقها يوم الطوفان، فلمّا تناولتها ضربني هذا فقطع يدي، ثم أخرج يده مقطوعة فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: هو ذاك[٣].

❊وروى أيضاً البرسي: أن جنياً كان جالساً عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام فاستغاث الجني وقال: أجرني يا رسول الله من هذا الشابّ المـقبل! قال: وما فعل بك؟

قال: تمردت على سليمان فأرسل إلي نفراً من الجنّ فاستطلت عليهم فجاءني هذا الفارس، فأسرني وجرحني، وهذا مكان الضربة إلى الآن لم يندمل[٤].

أقول: الذي نستفيده من هذه الأحاديث هو انطباقها مع الأحاديث التي أوردنها في بداية البحث، من كون عليّ عليه السلام مبعوث مع الأنبيّاء سراً وباطناً، فلا تنافي ولا تعارض معها في هذا المقام، ولقد علق السيد المستنبط على هذه الأحاديث بحقيقة ثابتة لعليّ عليه السلام، فهو سيد الأوصيّاء من الأولين والأخرين حيث قال: «وأن كان أمير

---

(١) القصص: ٣٥.

(٢) مشارق أنوار اليقين:٨١، عنه البرهان: ٢٢٦/٣ ح ٢.

(٣) مشارق أنوار اليقين: ٨٥، عند مدينة المعاجز: ١٢٤ ح ٨١، الأنوار النعمانية ٣١/١.

(٤) مشارق أنوار اليقين: ٨٥، البرهان: ٢٢٦/٣ ح ٤، مدينة المعاجز: ١٤٢/١ ح ٨٢.

المؤمنين عليه السلام بحسب الزمان متأخراً ولا يرى المقيّد بالزمان، لكنهم بالنسبة إليه عليه السلام حاضرون، فإن الأزمان بالنسبة إليه منطوية، ولافرق عنده عليه السلام بين الماضي والمستقبل والحال لكونه محيطاً بالزمان والزمانيات، وبهذا البيان قد يفسر ما ورّد في الزيارة الجامعة الكبيرة من قوله: «**وأجسادكم في الأجساد وأرواحكم في الأرواح، وأنفسكم في النفوس وقبوركم في القبور**» وهذا عيناً هو السر في خطابات الله سبحانه وتعالى لنبييه عليه السلام بقوله: «**ألم ترَ**»في عدة مواضع من القرآن الكريم بالنسبة إلى قضاء الأزمنة السالفة»[1].

روى الشريف فتح الله الكاشاني في تفسيره خلاصة النهج عن الثعلبي العامي بأسناده عن عبد الله بن سلام ، أنه سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الذي أتى بعرش بلقيس من سبأ وأحضره عند سليمان؟

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أحضره علي بن أبي طالب عليه السلام بأسم من أسماء الله العظام .

ثم قال: ويؤيّد هذاالمعنى **قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام «كنت مع الأنبياء سراً ومعي جهراً»**[2].

وقد علل صاحب كتاب مشارق أنوار اليقين على ذلك بقوله: «لأن علياً عليه السلام هو النور القديم المبتدع قبل الأكوان والأزمان المسبّح لله ولافم هناك ولا لسان، أليس كان في عالم النور قبل الأزمان والدهور؟ أليس كان في عالم الأرواح قبل الاجسام والاشباح؟ أما سمعت قصه الجني إذ كان عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم جالساً، فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام فجعل الجني يتصاغر لديه تعظيماً له وخوفاً منه فقال:

يارسول الله إنّي كنت أطير مع المردة إلى السماء قبل خلق آدم بخمسمائة عام فرأيت هذا في السماء فأخرجني وألقاني إلى الأرض، فهويت إلى السابعة منها، فرأيته هناك كما رأيته في السماء.

---

(١) القطرة: ١٢٣.

(٢) عن القطرة: ١٨٨.

ثم قال: أيّها السامع لهذه الآثار، لاتبادر إلى التكذيب والإنكار، فأن الشمس إذا يراها أهل السماء كما يراها أهل الأرض وليست الشمس أعظم ممّن خلقت من نوره سائر الأنوار»[1].

لا تحسبني هويت الطهر حيدرة	لعلمه وعلاه في ذوي النسب
ولا شجاعته في كل معركة	ولا التلذذ في الجنات من أربي
ولا التبرأ من نار الجحيم	رجوته من عذاب الحشر يشفع بي
لكن عرفت هو السر الخفي فإن	أذعته حللوا قتلي..

عن أحسن الكبائر للقشيري الشافعي قال: «... فقال عليّ عليه السلام: يا سلمان، حسبت نفسك كبيراً ورآيتني صغيراً! نسيت «دشت أرژن» ومن خلصك هناك من الأسد؟

قال: فلمّا سمع سلمان ذلك ففزع وقال: أخبرني كيف ذلك؟

فقال عليّ عليه السلام: إنّك كنت واقفاً في وسط الماء تفزع من الأسد، فعند ذلك رفعت يدك بالدعاء، وسألت الله عز وجل أن ينجيك منه فاستجبت دعوتك، وقد كنت أنا إذ ذاك أمّر في تلك الصحراء، فأنا ذلك الفارس الذي كان درعه على كتفيه، والسيف بيده، فجردت السيف وضربت الأسد، فقسمته نصفين وخلصتك منه.

فقال سلمان: إنّ لذلك علامة أخرى.

قال: فمد أمير المؤمنين عليه السلام يده وأخرج من كُمّه طاقة ورد طريّ، وقال:

هذه هديتك التي أهديتها لذلك الفارس في ذلك المكان.

قال: فلما رأى سلمان ذلك ازداد تحيراً، وإذا بهاتف يناديه: يا شيخ إمض إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واقصص عليه قصتك.

---

(١) مشارق أنوار اليقين: ٢١٧.

قال: فمضى سلمان رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجعل يقص عليه قصته ويقول: يارسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إني قرأت نعتك في الإنجيل، ورسخ حبّك في قلبي، وتركت جميع الأديان غير دينك، وكنت أخفي ذلك من أبي، ولما وقف على ذلك منّي أراد قتلي، لكن منعني عن ذلك اشفاقه على أُميّ، وكان يدبر الحيلة في قتلي، فكان يكلفني الأعمال الصعبة، ويأمرني بها ففررت منه لذلك إلى أن وقعت في بادية «أرژن» فنعت بها ساعة وعرض لي احتلام.

ولمّا انتبهت سرت إلى عنب هناك، ونزعت ثيابي ودخلت الماء لأُغتسل عن الجنابة، وإذا بأسد قد طلع من ناحية، وجاء حتى وقف على ثيابي، ولما رأيت ذلك فزعت منه وجعلت أدعو وأتضرع وأسال الله النجاة من الأسد، وإذا بفارس قد طلع، فضرب الأسد بسيفه فقده نصفين.

فخرجت أنا من الماء وانكببت على ركابه أُقبله، وكان الفصل فصل الربيع، والصحراء، مشتملة على الورد والرياحين فعمدت إلى طاقة ورد وأهديتها له، ولمّا أخذها مني غاب عني فلم آر منه بعد ذلك عيناً ولا أثراً، وقد جاءت على هذه الواقعة بضع وثلاثمائة سنة، ولم أقصها على أحد، وقد أخبرني الآن بذلك ابن عمّك عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا سلمان لما أسري بي إلى السماء وبلغت سدرة المنتهى تخلّف عنّي جبرئيل، فعرجت إلى عرش ربّي، فبينا يناجيني الله تعالى، وأنا أناجيه وإذا بأسد واقف قدامي! فنظرت وإذا هو علي بن أبي طالب عليه السلام، ولمّا رجعت إلى الأرض دخل عليّ وهنأني بمواهب ربّي وعناياته لي، ثمّ جعل يخبرني بجميع ما جرى بيني وبين ربّي من الكلام.

أعلم يا سلمان، أنّه ما أبتلي أحد من الأنبيّاء والأولياء مند عهد آدم إلى الآن ببلاء، إلا كان عليّ هو الذي نجاه من ذلك[1].

---

(١) نفس الرحمان في فضائل سلمان: ٢٧ «نحوه».

أقول: يظهر من هذا الحديث المنقبة العظمى لمولانا وإمامنا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام حيث هو المحامي عن الأنبياء وناصرهم في الباطن والسّر، كيف لا؟ وهو وأهل بيته جعلهم الله تعالى الوسيلة في رفع البلاء والبليات والشدائد والمحن، كيف لا؟ وهو وآله الأطهار آل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم الذين توسل بهم آدم إلى الله تعالى في قبول توبته، ونعم ما قال وأشار إليه الشيخ كاظم الأزري رحمه الله في قصديته الهائية حيث قال:

واسأل الأنبياء تنبّئك عنه إنّه سرّها الّذي نبّاها

وهو علامّة الملائك فاسأل روح جبريل كيف هداها

حيث أشار في الشطر الأخير من هذين البيتين إلى ما أورده السيد هاشم البحراني قدس سره في روضة العارفين عن حياة القلوب لقطب الدين محمد بن عليّ بن عبدالوهاب الأشكوري، عن كتاب بستان الكرامة: «إنّ جبرئيل عليه السلام كان جالساً عند النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فدخل عليّ عليه السلام فقام له جبرئيل عليه السلام فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: أتقوم لهذا الفتى!؟فقال جرئيل عليه السلام: نعم، إنّ له عليّ حقّ التعليم.

فقال: كيف ذلك التعليم يا جبرئيل؟

فقال: خلقني الله فسألني من أنت وما أسمك؟ ومن أنا وما أسمي؟

فتحيرت في الجواب، ثم حضر هذا الشاب في عالم الأنوار وعلّمني الجواب.

فقال: قل: أنت الربّ الجليل وأسمك الجميل، وأنا العبد الذليل وأسمي جبرئيل، فلهذا قمت وعظمته.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: كم عمرك يا جبرئيل؟

فقال: نجم يطلع من العرش كلّ ثلاثين ألف سنة مرّة واحدة، وقد شاهدته طالعاً ثلاثين ألف مرّة.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إذا رأيت ذلك النجم تعرفه؟

قال: كيف لا أعرفه!

فقال: يا عليّ خذ العمامة من جبهتك، فلمّا كشفها رآه في جبهة عليّ عليه السلام»[1].

أيا علّة الإيجاد حاربك الفكر   وفي فهم معنى ذاتك التبس الأمر

قد قال قوم فيك والستر دونهم   بأنّك ربّ كيف لو كشف الستر

الإمام علي عليه السلام في شباهته وأفضليته على الأنبياء

إنّ من يقف مع حياة الأنبياء والمؤهلات التي زودهم الله تعالى بها وأعطاهم إياها، يجد قاسماً مشتركاً بين حياة أولئك الأنبياء وحياة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ومن خلال الوقوف والإطلاع على أبرز الملامح والسمات التي إمتاز بها أمير المؤمنين عليه السلام نرى تارة يكون هناك تشابهاً عظيماً بينه عليه السلام وبين الأنبياء السابقين، وأخرى تكون هناك أفضلية على الأنبيّاء وعظمة تجاوزت مقامهم ومراتبهم. دون النبوة التي خصهم بها الله تعالى.

كيف لا؟ والرسول الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم قد نطق في أكثر من مرة وهو الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحي يوحى، بأن أمير المؤمنين عليه السلام سّر الأنبياء أجمعين، وقد أيّد الله تعالى به الأنبيّاء سّراً، وبالرسول محمّد صلى الله عليه وآله وسلم جهراً، فهو باطن وحقيقة رسالاتهم، لأن ولايته قد دعى إليها وبشر بها الأنبيّاء، وكانت ولايته باطن رسالاتهم التي بعثوا بها سّراً، فهو الباطن لهم، والباطن في الواقع يكون أفضل من الظاهر لأن الأصالة له ـ أي للباطن ـ وعليه دلت الشواهد القرآنية والأدلة العرفانية، والمأثورات الروائية، ويكفي في ذلك ما ورد في قصة العبد الصالح الخضر مع نبي

---

(١) الأنوار النعمانية: ١٥/١، عن بستان الكرامة «مثله».

الله موسى عليه السلام، حيث كان يتصرف الخضر عليه السلام على ضوء الحقيقة والباطن، وكان موسى عليه السلام يتصرف ويعمل على ضوء الشريعة والظاهر، ومع ذلك نجد أن الذي كان هو الأفضل لما أعطاه الله تعالى من العلم بالحقيقة والباطن هو الخضر عليه السلام والباطن والحقيقة أمير المؤمنين عليٌّ على الظاهر والشريعة.

وعلى الإجمال نقف مرة أخرى مع فصل جديد تظهر فيه مقامات وأخلاق وصفات عليّ بن أبي طالب الروحانية والملكوتية، حيث نرى شباهته بالأنبياء من جهة، وفي نفس الوقت نرى أفضليته عليهم أجميعن إلا ما سبقه به وشرف به خاتم الأنبيّاء أجمعين الرسول الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم حيث أنّه الصادر الأوّل والشريف الأول الذي صدر منه كل شريف.

الإمام علي عليه السلام شبيه الأنبيّاء

* عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: **«من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى يحيى بن زكريا في زهده، وإلى موسى في بطشه، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب»**[١].

* وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«من أراد أن ينظر إلى إبراهيم في حلمه، وإلى نوح في حكمه، وإلى يوسف في جماله، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام»**[٢].

* عن عبد الله بن مسعود قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالساً في جماعة من

---

(١) المناقب لابن المغازلي: ٢١٢، ٢٥٦؛ وسيلة المتعبدين: ٥/١٦٨؛ فرائد السمطين: ١/١٧٠، ١٣٠، ترجمة الإمام عليّ عليه السلام من تأريخ دمشق: ٢/٢٨٠، ٨١١، شواهد التنزيل: ١/٧٨، ١١٧ مقتل الخوارزمي: ١/٤٤، ٢٣.

(٢) ذخائر العقبى: ١/٩٤.

أصحابه إذ أقبل عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال رسول الله: **من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في حكمته، وإلى إبراهيم في حلمه، فلينظر إلى علي بن أبي طالب**[١].

* وعن الثمالي، عن عليّ بن الحسين، عن أبيه عليهما السلام قال: نظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم إلى عليّ عليه السلام قد أقبل وحوله جماعة من أصحابه، فقال: **من أحب أن ينظر إلى يوسف في جماله، وإلى إبراهيم في سخائه، وإلى سليمان في بهجته، وإلى داود في حكمته، فلينظر إلى هذا**[٢].

* وعن عبد الله بن عبّاس قال: كنّا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: **من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في سلمه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في فطنته، وإلى داود في زهده، فلينظر إلى هذا، فنظرنا إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام قد أقبل كالماء ينحدر من صبب**[٣].

* عن أبي أسحاق، عن أبيه قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالس في جماعة من أصحابه إذ أقبل عليّ بن أبي طالب عليه السلام نحوه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **من أراد أن ينظر إلى آدم في خلقه، وإلى نوح في حكمته، وإلى إبراهيم في حلمه، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام**[٤].

* وعن سلمة بن قيس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **علي في السّماء السّابعة كالشمس بالنهار في الأرض، وفي السّماء الدُّنيا كالقمر بالليل في الأرض، أعطى الله عليّاً من الفضل جزءاً لو قُسّم على أهل الأرض لوسعهم، وأعطاه الله من الفهم**

(١) أمالي الشيخ: ٢٦٤.

(٢) أمالي الصدوق: ٣٩١.

(٣) كمال الدين: ١٦-١٧.

(٤) أمالي المفيد: ٧-٨.

لو قسّم على أهل الأرض لوسعهم، شُبّهت لينه بلين لوط، وخُلقه بخلق يحيى، وزهده بزهد أيّوب، وسخاؤه بسخاء إبراهيم، وبهجته ببهجة سليمان بن داود، وقوّته بقوّة داود (و) له اسم مكتوب على كلّ حجاب في الجنة بشّرني به ربّي وكانت له البشارة عندي، عليٌّ محمود عند الحقّ، مزكّى عن الملائكة، وخاصّتي وخالصتي وظاهرتي ومصباحي وجُنّتي ورفيقي، آنسني به ربّي فسألت ربّي أن لا يقبضه قبلي، وسألته أن يقبضه شهيداً أُدخلت الجنّة فرأيت حور علي أكثر من ورق الشجر، وقصور عليّ كعدد البشر، عليّ مني وأنا من عليّ، من تولّى عليّاً فقد تولاّني، حبّ عليّ نعمة واتّباعه فضيلة، دان به الملائكة وحفّت به الجن الصّالحون، لم يمش على الأرض ماش بعدي إلاّ كان هو أكرم منه عزاً وفخراً ومنهاجاً، لم يك فظّاً عجولاً ولا مسترسلاً لفساد ولا متعنّداً، حمله الأرض فأكرمته، لم يخرج من بطن أنثى بعدي أحد كان أكرم خروجاً منه، ولم ينزل منزلاً إلاّ كان ميموناً، أنزل الله عليه الحكمة، وردّاه بالفهم، تجالسه الملائكة ولا يراها، ولو أوحي إلى أحد بعدي لأوحي إليه، فزيّن الله به المحافل وأكرم به العساكر، وأخصب به البلاد، وأعزّ به الأجناد، مثله كمثل بيت الله الحرام يزار ولا يزور، ومثله كمثل القمر إذا طلع أضاء الظلمة، ومثله كمثل الشمس إذا طلعت أنارت (الدنيا) وصفه الله في كتابه ومدحه بآياته، ووصف فيه آثاره، وأجرى منازله، فهو الكريم حياً والشّهيد ميّتاً[1].

* عن أبي ذرّ الغفاريّ قال: بينما ذات يوم من الأيام بين يدي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إذ قام وركع وسجد شكراً لله تعالى، ثم قال: يا جندب من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في خلّته، وإلى موسى في مناجاته، وإلى

---

(١) أمالي الصدوق: ٦-٧.

عيس في سياحته[١]، وإلى أيّوب في صبره، وبلائه فلينظر إلى هذا الرّجل المقابل الّذي هو كالشمس والقمر السّاري والكوكب الدرّيّ، أشجع النّاس قلباً وأسخى النّاس كفّاً، فعلى مبغضه لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين؛ قال: فالتفت النّاس ينظرون من هذا المقبل، فإذا هو عليّ بن أبي طالب عليه الصّلاة والسّلام[٢].

وعن مناقب الخوارزميّ عن أبي الحمراء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه وإلى نوح في فهمه وإلى يحيى بن زكريّا في زهده وإلى موسى بن عمران في بطشه فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال أحمد بن الحسين البيهقيّ: لم أكتبه إلاّ بهذا الإسناد.

وقد روى البيهقيّ في كتابه المصنّف في فضائل الصّحابة يرفعه بسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في تقواه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في هيبته، وإلى عيسى في عبادته، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

ومن كتاب المناقب عن الحارث الأعور صاحب راية عليّ عليه السلام قال: بلغنا أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان في جمع من أصحابه فقال: أُريكم آدم في علمه، ونوحاً في فهمه، وإبراهيم في حكمته، فلم يكن بأسرع من أن طلع عليّ عليه السلام فقال أبو بكر: يا رسول الله أقست رجلاً بثلاثة من الرّسل؟ بخّ بخّ لهذا الرّجل من هو يارسول الله؟ قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: ألا تعرفه يا أبا بكر؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: أبو الحسن علي بن أبي طالب، قال أبو بكر: بخّ بخّ لك يا أبا الحسن وأين مثلك يا أبا الحسن؟[٣].

---

(١) ساح سياحة: ذهب في الأرض للعبادة والترهب.

(٢) الروضة: ٣-٤.

(٣) كشف الغمة: ٣٣-٣٤، الروضة: ١٧، الفضائل: ١٠٢-١٠٣.

إنّ من يقف مع حياة الإمام عليّ عليه السلام ويطّلع على دقائقها التي نقلها لنا التأريخ يجد أنها شبيهة بحياة العظماء الذين أرسلهم الله تعالى إلى البشرية، وقصدنا بالعظماء هم أولئك الأنبيّاء والرسل وخصوصاً أولي العزم منهم، نوح ، وإبراهيم، وموسى، وعيسى ، ونبينا محمّد عليه السلام ، ومن الواضح أنَّ هناك عدة قواسم مشتركة بين أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وبين أولي العزم، بل يتجاوز الأمر إلى أبعد من هذه القواسم التي سوف نذكرها، وهو ما نجده في مواقفه العظيّمة التي وقفها في حياته وخلال مسيرته الجهادية والولائية لرسول الله محمّد صلى الله عليه وآله وسلم .

ولكي تتضح لنا هذه المسألة سنحاول أن نسبر حياة هؤلاء الأنبيّاء عليهم السلام ، ونقف في شباهته عليه السلام لهم من خلال هذه الوقفة، فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم شبّه الإمام عليّ عليه السلام في موارد ومناسبات عديدة، وأمام جمع من الصحابة، بالخصال المتقدمة الذكر.

آدم عليه السلام في علمه

فمن آدم أبي البشر، العلم، فإن الله تعالى قد خص آدم بخصوصية تعليمه للأسماء كلها، ثم أبان فضله بذلك، ونوه بعلمه حيث عرض على الملائكة أسماء المسميات، وطلب منهم إنباءه بأسمائها فعجزوا وطلب من آدم إنبائهم عليه السلام بها، فهذه فضيلة من أشرف فضائل آدم التي شرّف بها بين الملاء الأعلى.

فعندما نراجع القرآن الكريم يطالعنا بتلك الحقيقة الخالدة الناصعة البيان والتي لا يعتريها الشك والشبهة، وهي قضية خلافة آدم في الأرض، حيث يقول الله تعالى:

﴿وإذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون وعلم آدم الأسماء كلَّها ثم عرضهّم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لاعلم لنا إلا ما علمتنا﴾[1].

---

(١) البقرة: ٣٠-٣١.

فعندما نقف مع مدلولات هذه الآية المباركة، لنرى أي شيء تدل هذه الآية في ظاهرها؟

نجد .نها تدل دلالة قطعية على:

١ـ جعل الخليفة في الأرض.

٢ـ إن الله تعالى علم آدم علماً لدنياً منه تعالى.

٣ـ إنّ موضوع العلم هو الاسماء.

٤ـ الله تعالى هو المعلم للملائكة فهي لا تعلم.

والسؤال المطروح في المقام: ما الحكمة من جعل الخليفة في الارض؟ وما هي المواصفات التي يمتلكها هذا الخليفة الذي يخلف الله تعالى في أرضه؟

والجواب على ذلك إنّ الملائكة من خلال ما أعطاهم الله تعالى من العلم بـهذا المخلوق إعترضت على الله تعالى لأنهم كانوا يعلمون بأن الموجود الأرضي بما انه مادي مركب من القوى الغضبيه والشهوية، ودار الدنيا هي دار التزاحم فلا تخلو من الفساد وسفك الدماء، وفاتهم أن الله تعالى هو الذي يستخلف، وإذا استخلف فسوف يكون الخليفة الذي تكون عنده الخلافة، والتي هي عبارة عن قيام شيء مقام آخر لا يتم إلا بأن يكون الخليفة حاكياً للمستخلف في جميع شؤونه الوجودية وأثاره وأحكامه وتدبيراته بما هو مستخلف، والله سبحانه مسمى بالأسماء الحسنى متصف بأسماء الجمال والجلال، والخليفة يكون كذلك متصف ببعض الصفات الجـمالية والجلالية.

فملخص القول قول الملائكة يعود إلى أن جعل الخلافة إنما هو لأجل أن يحكي الخليفة مستخلفه بتسبيحه وبتحميده وتقديسه له بوجوده، والأرضية لا تدعه، اي لاتدع الخليفة وهو آدم ان يفعل ذلك بل تجره إلى الفساد والشر، والغاية من هـذا

الجعل وهي التسبيح والتقديس، والذي الملائكة تفعله، تقول لله تعالى نـحن أولى بالخلافة فنحن خلفاؤك وتجعلنا خلفاؤك، فما فائدة جعل هذه الخلافة الأرضية لك، فرّد الله تعالى سبحانه ذلك عليهم بقوله: **﴿إني أعلم ما لا تعلمون، وعلم آدم الاسماء كلها﴾**[1].

إذن الحكمة هو خلافة الله والوصول إلى التسبيح والتقديس والكـمال اللائـق بالبشرية المخلوقة لله تعالى، والخليفة لا بد أن يحكي المخلف، ولقد علم الله تعالى آدم علماً لدنياً، ولكن لماذا علمه هذا العلم اللدني؟

هذا طبيعي لأن الخليفة لا بد أن يتصل أو أن يكون عنده إرتـباط بـالمخلف، وفائدة هذا العلم في وصول الإنسانية إلى الكمال اللائق بها، ومن هنا يفهم في الآية إشارة إلى العلم اللدني الذي هو العلم الحضوري الذي يتعلمه آدم من غير معلم، بل من الله تعالى مباشرة.

فقوله تعالى: **﴿علم آدم الاسماء﴾** إشارة إلى ذلك العلم اللـدنّي الحـضوري لا الحصولي الذي يحصّله الإنسان من خلال التعلم والتعليم من غيره.

والآية أشارة إلى الاسماء التي تعلمها آدم وهذه الأسماء عبارة عن موجودات أحياء عقلاء محجوبين تحت حجاب الغيب، وان العلم بأسمائهم غير العـلم الذي عندنا بأسماء الأشياء، وإلا كانت الملائكة بأنباء آدم عالمين وصائرين قبل آدم في معرفتها، وأيضاً لم تكن هذه كرامة لآدم في تعليمه من قبل الله تعالى.

وعلى الإجمال الملائكة لا تعلم إلا بما يعلمها الله تعالى، وآدم فضله الله عليهم بالتعليم والعلم الحضوري اللدني.

---

(١) البقرة: ٣١.

علم الإمام علي عليه السلام

أما ما شأن هذا الأمر كله بمقام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وحديث تشبيه بالأنبياء عليهم السلام فنقول:

إنّ الحديث المتقدم الذكر يقول أن الذّي يريد معرفة عليّ عليه السلام ومعرفته علومه، فهو مثل آدم يعنى في علمه الذي هو علمه حضورياً لدنياً، وهذا يفتح علينا باباً إسمه «باب علم الأئمة عليهم السلام» هل هو حضوري أم كسبي؟

فنقول وحسب الأدلة المبحوثه في محلها إن علمهم حضوري لدني، وحسب قاعدة علم الغيب التي تقول إن علم الله تعالى مختص به، ولا يظهره إلا لمن ارتضى من نبي أو وصيّ نبيّ، على أن هناك علماً تعلموه وأخذوه بالوراثة من الأنبيّاء وهذا ما نقرأه في الزيارات المخصوصة لهم عليه السلام «السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله....»

ويدل على ذلك ما ورّد في الحديث المروي عن أبي جعفر عليه السلام حيث قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن أول وصي كان على وجه الأرض هبة الله بن آدم، وما من نبيّ مضى إلاوله وصيّ، كان جميع الأنبيّاء مائة ألف نبي وعشرين ألف نبيّ، منهم خمسة أولو العزم، نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد صلى الله عليه وآله وسلم، وأن عليّ بن أبي طالب عليه السلام كان هبة الله لمحمد وورث علم الأوصياء وعلم من كان قبله، أما أن محمداً ورث علم من كان من قبله من الأنبيّاء والمرسلين»[1].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«إنا أورثنا محمّداً وإن عندنا علم التوراة والإنجيل والزبور وتبيان ما في الألواح قال قلت: إن هذا لهو العلم.

(١) أصول الكافي: ١/ ٢٢٤.

قال: ليس هذا العلم، إن العلم الذي يحدث يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة (في رواية ما يحدث في لليل والنهار)».

ولعل المراد إنّ العلم ليس يحصل بالسماع والقراءة في الكتب وحفظها، فإن ذلك تقليد، وإنما العلم ما يفيض من عند الله سبحانه على قلب المؤمن يوماً فيوماً، وساعة فساعة، فينكشف به من الحقائق ما تطمئن به النفوس وتنشرح به الصدور وتتنور به القلوب ويتحقق به العالم، كأنه ينظر إليه ويشاهده.

فائدة قوله تعالى: ﴿**ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى**﴾[١].

يقول فيه الإمام المعصوم:

«قد ورثنا نحن هذا القرآن الذي فيه ما تسير به الجبال وتقطع به البلدان وتحيى به الموتى، ونحن نعرف الماء تحت الهواء، وإن في كتاب الله لآيات ما يراد بها أمر إلا أن يأذن الله به، مع ما قد يأذن الله مما كتبه الماضون جعله الله لنا في أم الكتاب، ان الله يقول: ﴿**وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين**﴾[٢].

ثم قال:﴿**ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا**﴾[٣].

فنحن الذين اصطفانا الله عز وجل وأورثنا هذا الذي فيه تبياناً كل شيء».

أقول: وهذا كله أشارة إلى حقيقة الولايّة التكوينية التي هي جزء من الولاية العظمى المطلقة التي أعطاهم إياهم الباري عز وجّل وخصهم بها من دون خلقه، فالإمام عليّ عليه السلام قد شبهه الرسول الأكرم بآدم في علمه الذي أعطاه إياه الباري عز

---

(١) الرعد: ٣١.

(٢) النمل: ٧٥.

(٣) فاطر: ٣٢.

وجل، وتوجد شواهد عديدة على هذا البيان، ويكفي شاهداً واحداً يدل على هذا المقال الشريف حيث قال:

«سلوني قبل أن تفقدوني فأنا أعلم بطرق السموات...الخ»

وورد عنه عليه السلام أيضاً في شرح النهج[1]:

«اسألوني قبل أن تفقدوني، فو الّذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة، ولا عن فئة تهدي مائة وتضلّ مائة إلاّ أنبائتكم بناعقها وقائدها وسائقها ومناخ ركّابها ومحط رحالها، ومن يقتل من أهلها قتلاً، ومن يموت منهم موتاً».

فالإمام عليه السلام شابه آدم في علمه بالأمور الغيبية التي أخبر بها وتحققت فعلا، وإلى ذلك أشار صاحب النهج في الفصل الذي قد عَدَّه لذكر الأمور الغيبية التي أخبر الامام بوقوعها، ووقعت بالتحقيق والبيان الذي ذكره عليه السلام وإلى ذلك يشير صاحب شرح النهج حيث يقول في ذلك:

«واعلم أنّه عليه السلام قد أقسم في هذا الفصل بالله الّذي نفسه بيده أنّهم لا يسألونه عن أمر يحدث بينهم وبين القيامة، إلاّ أخبرهم به، وأنّه ما صحَّ من طائفة من النّاس يهتدي بها مائة وتضّل بها مائة ألاّ وهو مخبر لهم إن سألوه برعاتها وقائدها وسائقها ومواضع نزول ركابها وخيولها، ومن يقتل منها قتلاً، ومن يموت منها موتاً، وهذه الدعوى ليست منه عليه السلام ادعاء الربوبيّة ولا ادعاء النّبّوة، ولكنّه كان يقول إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبره بذلك، ولقد إمتحنا إخباره فوجدناه موافقاً فستدللنا بذلك على صدق الدَّعوى المذكورة، كإخباره عن الضَّربة التّي يضرب بها في رأسه فتخضب لحيته، وإخباره عن قتل الحسين إبنه عليه السلام وما قاله في كربلاء حيث مرَّ بها، وإخباره

---

(١) شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد: ٤٧/٧ ذيل الخطبة ٩٢.

بملك معاوية الأمر من بعده، وإخباره عن الحجاج وعن يوسف بن عمر، وما أخبر به من الخوارج بالنّهروان، وما قدّمه إلى أصحابه من إخباره بقتل من يقتل منهم، وصلب من يصلب، وإخباره بقتال النّاكثين والقاسطين والمارقين، وإخباره بعدّة الجيش الوارد إليه من الكوفة لمّا شخص عليه السلام إلى البصرة لحرب أهلها، وإخباره عن عبد الله بن الزبير وقوله فيه: «ربَّ ضبَّ ضبَّ يروم أمراً ولا يدركه، ينصب حبالة الدِّين لاصطياد الدّنيا وهو بعد مصلوب قريش»، وكإخباره عن هلاك البصرة بالغرق وهلاكها تارة أخرى بالزنج وهو الذي صحفه قوم فقالوا: بالرِّيح...الخ».

وقال أيضاً في الأخبار الوارد في معرفة الإمام بالأمور الغيبية:

روى ابن هلال الثقفي في كتاب «الغارات» عن زكريا بن يحيى العطار، عن محمد بن عليّ قال: لمّا قال عليّ عليه السلام :«سلوني قبل أن تفقدوني ، فوالله لا تسألوني عن فئة تضلّ مائة وتهدي مائة. إلاّ أنبائتكم بناعقها وسائقها»، قام إليه رجل فقال: أخبرني بما في رأسي ولحيتي من طاقة شعر، فقال له عليّ عليه السلام : «والله لقد حدَّثني خليلي أنّ على كلِّ طاقة شعر من رأسك ملكاً يلعنك، وأنّ على كلِّ طاقة شعر من لحيتك شيطاناً يغويك، وأنّ في بيتك سخلاً يقتل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم »، وكان إبنه قاتل الحسين، يومئذ طفلاً يحبو، وهو سنان بن أنس النخعيُّ.

* وروى الحسن بن محبوب، عن ثابت الثماليِّ، عن سويد بن غفلة أنّ علياً عليه السلام خطب ذات يوم فقام رجل من تحت منبره فقال: ياأمير المؤمنين! إنِّي مررت بوادي القرى فوجدت خالد بن عرفطة قد مات، فاستغفر له، فقال عليه السلام : والله ما مات ولا يموت حتى يقود جيش ضلالة، صاحب لوائه حبيت بن حمار، وإني لك شيعة ومحب، فقال: أنت حبيب بن حمار؟ فقال: نعم فقال له ثانية والله لحبيب بن حمار فقال: إي والله، قال:أما والله إنّكَ لحاملها، ولتحملنّها ولتدخلنَّ بها من هذا الباب، وأشار بها إلى باب الفيل بمسجد الكوفة.

قال ثابت: فو الله، مامتّ حتّى رأيت ابن زياد وقد بعث عمر بن سعد إلى الحسين بن عليّ عليه السلام، وجعل خالد بن عرفطة على مقدّمته، وحبيب بن حمار صاحب رايته، فدخل بها من باب الفيل...

* وروى محمّد بن جبلة الخيّاط، عن عكرمة، عن يزيد الأحمسيّ أن علياً عليه السلام كان جالساً في مسجد الكوفة، وبين يديه قوم منهم عمرو بن حريث، إذ أقبلت امرأة مختمرة لا تعرف، فوقفت فقالت لعليّ عليه السلام: يا من قتل الرّجال، وسفك الدّماء، وأيتم الصّبيان، وأرمل النساء، فقال عليه السلام: **وإنها لهي هذه السّلقلقة الجلعة المجعة[1]، إنها لهي هذه، شبيهة الرّجال، والنساء التي مارأت دماً قط.**

قال: فولت هاربة منكسة رأسها، فتبعها عمرو بن حريث،فلما صارت بالرحبة قال لها: والله، لقد سررت بما كان منك اليوم إلى هذا الرّجل، فادخلي منزلي حتى أهب لك وأكسوك، فلما دخلت منزله أمر جواريه بتفتيشها وكشفها نزع ثيابها لينظر صدقه فيما قاله عنها، فبكت، وسألته ألاّ يكشفها وقالت: أنا والله، كما قال، لي ركب النساء، وانثيان كأنثين الرّجال، وما رأيت دماً قط، فتركها وأخرجها ثم جاء إلى عليّ عليه السلام فأخبره، فقال إنّ خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبرني بالمتمردين عليَّ من الرّجال، والمتمردات من النساءإلى أن تقوم الساعة[2].

وقال ـ أيضاً: « روى صاحب كتاب «الإستيعاب» وهو أبو عمر محمّد بن عبد البرّ، عن جماعة من الرواة والمحدثين، قالوا: لم يقل أحد من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ «سلوني» إلاّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وروى شيخنا أبو جعفر الأسكافي في كتاب «نقض العثمانية» عن علي بن

---

(١) السّلقلقة: أي السّليطة، وأصله من السلق وهو الذّئب، والسلقلقة: الذئبة، والجلعة والمجعة: البذية اللسان، والركب: منيت الغاية.

(٢) شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد: ٢/٢٨٦.

الجعد، عن ابن شبرمة، قال: ليس لأحد من النّاس أن يقول على المنبر:«سلوني» إلاّ عليّ بن أبي طالبعليه السلام»[١].

إنظر إلى ما قاله المخالف والمؤالف في حق أمير المؤمنين وما أعطاه الله تبارك وتعالى من علمه بالغيب بإذن من الله سبحانه، ذلك العلم اللدني الذي أخذه من المنبع الصافي له، فقوله سلوني قبل أن تفقدوني يدل دلالة قطعية على علمه الرباني الغيبي الذيارتضاه الله تعالى لرسوله ولمن خصه من بعده بالولاية العظمى المطلقة المخصوصة لأهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، وإلى ذلك العلم والمقولة العظيمة أشار العلامة الخوئي في شرحه للنهج حيث يقول:

«وذلك لأن أنواع السؤلات غير محصورة ولا محصاة، وأصناف الطلبات غير معدودة ولا مستقاة، فبعضها يتعلق بالمعقول، وبعضها بالمنقول، وبعضها بعالم الشهود بما هو كان، وهكذا فلا يمكن الجواب عن هذا كلّه، ولا يقدر على مثل ذلك إلا من تأيد بقوة رّبانّية، واقتدر بقدرة إلهية، ونفث في روعه الروح الأمين، وتعلم علوم الأولين والآخرين، وصار منبع العلم والحكمة وينبوع الكمال والمعرفة، وهو أمير المؤمنين، ويعسوب الدين، ووارث علم النَّبيِّين، وبغية الطالبين، وحلال مشكلات السائلين، فلا ينصب نفسه في هذا المنصب إلاّ جاهل، ولا يدعى لنفسه هذا المقام إلا تاه غافل، وفي هذا المقام قال الشاعر:

ومن ذا يساميه بمجد ولم يزل ... يقول سلوني ما يحلّ ويحرم
سلوني ففي جنبيّ علم ورثته ... عن المصطفى ما فات منّي به القلم
سلوني عن طرق السماوات إنّني ... بها عن سلوك الطّرق في الأرض أعلم
ولو كشف الله الغطا لم أزد به ... يقيناً على ما كنت أدري وأفهم

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٤٦/٧.

إلى أن قال عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «سئل عليّ عليه السلام عن علم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: فقال: علم النّبيّ علم جميع النَّبيِّين، وعلم ما كان وعلم ما هو كائن إلى قيام الساعة، ثم قال عليه السلام: والذي نفسي بيده إنّي لأعلم علم النبيّ وعلم ما كان وعلم ما هو كائن فيما بيني وبين قيام الساعة»[1].

وعلى هذا البيان، وبهذا البرهان المنقول والمعقول يظهر لنا وبأدنى تأمل للروايات التي جاءت على لسان العامة والخاصة، بأن علم عليّ عليه السلام، كما هو موروث، كذلك هو غيبي استقاه من علام الغيوب، ومن هذا المقام يظهر لنا، أنه ليس فقط الإمام يشبه آدم في علمه اللدني وإنما هو يفوقه في مراتب عديدة، ويسبقه بسوابق حميدة، ويفضل عليه بفضائل عظيمة، وعليه تكون الأفضلية ثابتة له وكما سيظهر لنا من خلال الصفحات الاتية.

إلى نوح عليه السلام في فهمه

ونلاحظ في هذا الحديث إنّ الرسول الأعظم قد نبهه إلى العلم والفهم، فالعلم يختلف عن الفهم، فالعلم منه ما هو حصولي كسبي والثاني من الله تعالى يخص من يشاء برحمته.

أما الفهم فهو يختلف عن العلم، وتوجد مغايره بينهما لأن الفهم يأتي من كثرة الممارسة في الحياة وخبراتها ومن خلال ممارسة الأعمال الصالحة، فهو ذكاء وقدرات قد يكون من الله تعالى، وقد يكون من خلال الإستفادة من التجارب والقدرات العقلية، وهو على الأكثر الغالب من الإكتساب يأتي ويستقر.

وهنا شبهه النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم أمير المؤمنين بنوح عليه السلام في فهمه، لأنّه أمره الله تعالى بصنعة الفُلك ـ أي السفينة ـ وفيها من دقائق الإحكام والإتقان ما لا تحصره

---

(١) شرح النهج للعلامة الخوئي: ٧/ ٧٤، ٧٥.

الأقلامُ، ولا تدركهُ الإفهام، وكانت لم تعرف ولا اهتدى إليها فكر قبل ذلك، وكان فيها من الإتقان والبيوت التّي جعلها له ولمن معه، والأنعام والوحوش والسباع واختلافها طولاً وعرضاً كجؤجؤ طائر، وقد جعل الله تعالى الحمل فيها من آياته، حيث قال: ﴿**وآيةٌ لهم أنا حَمَلنا ذُرِّيتَهَمُ في الفلك المشحون**﴾[1].

وعد ذلك الإمتنان بها في الذّكر في عدة من الآيات، فالمراد من فهمه لما ألهمه من صنعها، ولذلك جعل صنعها مقيدة بقوله بأعيننا في قوله تعالى: ﴿**وأصنع الفلك بأعيننا**﴾[2]، وقوله في حديث التشبيه له: «في حكمه»، كما في الحديث الثاني، أني في حكمه الناشيء عن حِكَمِه وقوته وصحته.

ويحتمل أن يكون المراد فهمه العام في صنعه الفلك وغيره مما فهمه عن الله تعالى وأمره به.

وجه الشبه

وقد يكون شباهته لنوح في فهمه هو ما ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى وتبارك ﴿**وتعيها أُذُنٌ واعية**﴾[3].

حيث ورد في تفسير الأذن الواعية، أُذن عليّ بن أبي طالبعليه السلام.

كما ذلك في حلية الأولياء عن عليّعليه السلام، وروى الواحدي في أسباب النزول (نزول القرآن)، وعن المناقب للخوارزمي حيث قال عليّعليه السلام: «ضمني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: أمرني ربي أن أدنيك ولا أقصيك، وأن تسمع وتعي»[4].

---

(١) يس: ٤١.

(٢) هود: ٣٧.

(٣) الحاقة: ١٢.

(٤) أسباب النزول: ٢٩٤، المناقب للخوارزمي: ٢٨٢.

فالذي يظهر من هذا الحديث دلالة واضحة في كون إن عليّ هو الأذن الواعية وهو الذي يفهم عن رسول الله كل ما يقوله، حيث حباه الله تعالى بالمعرفة والوعي والفهم الدقيق لكل الأمور كيف لا؟ وهو باب مدينة علم رسول الله عليه السلام، وهو المصداق الأكبر والأتم للأذن الواعية في القرآن الكريم كما يشهد بذلك العامة والخاصة[١].

وفي المناقب للخوارزمي عن ابن عباس عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: **لما نزلت ﴿وتعيها أذن واعية﴾ قلت: اللهم أجعلها أذن عليّ، فما سمع شيئاً بعدها إلا حفظه»**[٢].

وفي رواية اخرى: «ما زلت أسأل الله تعالى منذ أنزلت أن يكون أذنك ياعليّ»[٣].

وفي أخرى: «**إني سألت ربي أن يجعلها أذنك يا عليّ، اللهم إجعلها أذن واعية أذن عليّ، ففعل فما نسي شيئاً سمعه بعد**»[٤].

وإلى إبراهيم عليه السلام في حلمه

وشبهه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالخليل في حلمه، وهو من أشرف الصفات ولذلك قيل: ما نعت الله الأنبيّاء بأقل ما نعتهم بالحلم، وذلك لعزة وجوده، ولقد نعت الله إبراهيم عليه السلام بقوله: **﴿إن إبراهيم لأوّاهٌ حليم﴾**[٥]، وقوله: **﴿إن ابراهيم لحليمٌ أواهٌ منيب﴾**[٦] ومن حلمه عليه السلام الذي تخف عنه رواسي الجبال، امتثاله لأمر الله تعالى

---

(١) تفسير البرهان: ٣٧٥/٤، أحاديث كثيرة بهذا المعنى.

(٢) مناقب الخوارزمي، ٢٨٢.

(٣) فرائد السمطين: ١٩٩/١.

(٤) شواهد التنزيل: ٣٦٥/٢.

(٥) التوبة: ١١٤.

(٦) هود: ٧٥.

بذبح ولدهعليه السلام وإضجاعه وكتفه له وإمرار المدية على حلقه، لولا منع الله لهـا أن تقطع، فلهذا وصفه الله ووصف ولده بالحلم.

حلم الإمام عليّعليه السلام

ومنهم أمير المؤمنين عليّعليه السلام الذي هو دعوة أبراهيم الخـليلعليه السلام والذي ولد في الكعبة التي بناها جده أبراهيمعليهما السلام، فالإمام عليّعليه السلام قد شبهه رسول الله بأنه كأبراهيم في حلمه، ونفسه الرسول قد قال في عليعليه السلام: «لو كان الحلم رجلاً لكان علياً»[1].

لماذا يقول الرسول هكذا قول؟

ذلك لأن أمير المؤمنين عليّعليه السلام هو القرآن الناطق، والكتاب الكريم هو القرآن الصامت، فهو يمثل ويجسد القرآن الكريم بكل معانيه، ومنها الحليم الذي طرحـه القرآن في كثير من أياته المباركة، فالإمامعليه السلام قد مثل التطبيق القرآني، فهذه سيرته الذاتية العبقة، تفوح بعطرها الندية في كل مجالات الحياة التي عاشها سلام الله عليه، وجسد فيها تعاليم القرآن الكريم وتعاليم ومعارف الإسلام العظيم، وفي تلك السيرة الذاتية لهعليه السلام يقول جابر بن عبد الله الأنصاري:

❊«سمع أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالبعليه السلام رجلاً يشتم قنبراً، وقد رام قنبر أن يردَّ عليه، فناداه أمير المؤمنين عليّعليه السلام:

مهلا يا قنبر، دع شاتمك مهاناً ترض الرّحمن، وتسـخط الشـيطان، وتـعاقب عدوّك، فوالذي فلق الحبة وبرأ النَّسمة ما أرضى المؤمن ربّه بـمثل الحـلم ولا أسخط الشيطان بمثل الصمت ولا عوقب الأحمق بمثل السكوت عنه»[2].

---

(١) فرائد السمطين: ٢/٦٨.

(٢) أمالي المفيد: ١١٨ / مجلس ١٤.

※وروى أنه عليه السلام دعا غلاماً له مراراً فلم يجبه، فخرج فوجده على باب البيت «فقال: ما حملك على ترك إجابتي؟

قال: اكسلت عن إجابتك و آمنت عقوبتك.

فقال: الحمد لله الذي جعلني ممّن يأمنه خلقه، امض فأنت حرٌّ لوجه الله»[1].

※ وقال ابن أبي الحديد:

«وأمّا الحلم والصَّفح، فكان أحلم النّاس عن مذنب، وأصفحهم عن مسيء، وقد ظهرت صحة ما قلناه، يوم الجمل حيث ظفر بمروان بن الحكم ـ وكان أعدى النّاس له وأشدهم بغضاً، فصفح عنه، وكان عبد الله بن الزُّبير يشتمه على رؤوس الأشهاد، وخطب يوم البصرة فقال: قد أتاكم الوغد اللئيم عليٌّ بن أبي طالب، وكان عليّ عليه السلام يقول: ما زال الزّبير رجلاً منا أهل البيت حتى شبَّ عبد الله، فظفر به يوم الجمل فأخذه أسيراً، فصفح عنه، وقال:

إذهب ولا أرينّك» لم يزده عن ذلك، وظفر بسعيد بن العاص بعد وقعة الجمل بمكة، وكان عدواً له ـ فأعرض عنه ولم يقل.

※ ومرت امرأة جميلة فرمقها القوم بأبصارهم، فقال أمير المؤمنين عليه السلام:

«إن أبصار هذه الفحول طوامع، وإنَّ ذلك سبب هناتها، فإذا نظر أحدكم إلى امرأة تعجبه، فليمس أهله، فإنما إمرأة كإمرأة، فقال رجل من الخوارج: قاتله الله كافراً ما أفقهه!فوثب القوم ليقتلوه، فقال عليه السلام: رويداً إنَّما هو سبٌّ بسّب، أو عفو عن ذنب»[2].

※ قال قنبر: دخلت مع أمير المؤمنين عليه السلام على عثمان فأحبَّ الخلوة فأومأ إليَّ

---

(١) بحار الأنوار: ٤١/٤٩.

(٢) بحار الأنوار: ٤١/٤٩.

بالتَّنحي، فتنحيت غير بعيد فجعل عثمان يعاتبه وهو مطرق الرأس، وأقبل إليه عثمان، فقال:مالك لا تقول؟

فقال عليه السلام: ليس جوابك إلا ما تكره، وليس لك عندي إلاما تحب ثم خرج قائلاً:

ولو أنني جاويته لأمضّه نوافذ قوله واحتضار جوابي

ولكنّني أُغضي على مضض الحشا ولو شئت إقداماً لأنشب نابي[١]

* قال ابن الأثير: «ومنه حديث عائشة قالت لعليّ يوم الجمل حين ظهر: «ملكت فأسجح» أي قدرت فسهِّل وأحسن العفو؛ وهو مثل سائر»[٢].

وإلى يحيى عليه السلام في زهده

وشبهه الرسول محمّد صلى الله عليه وآله وسلم بيحيى بن زكريا عليه السلام في زهده، إذ يحيى عليه السلام هو عَلَمَ الزهادة في أبناء آدم من تأخر منهم ومن تقدم، وقد ملئت الكتب في صفات زهده، حيث كان مثالاً للزهد الحقيقي الذي سار عليه المؤمنون، وإن من يلاحظ حياة أمير المؤمنين، يجد الزهد قد تجلى فيه حقيقة، وذلك من خلال عيشه الذي مضرب الأمثال للحكام والملوك والسلاطين، كيف لا؟ والرسول الأعظم محمّد عليه السلام يقول فيه:

«ياعليُّ! إنّ الله قد زيّنك بزينة لم يزيِّن العباد بزينة أحبَّ إليه منها؛ هي زينة الأبرار عند الله تعالى: الزهد في الدينا، جعلك لا ترزأ من الدنيا شيئاً، ولا ترزأ الدنيا منك شيء، ووهب لك حبَّ المساكين، فجعلك ترضى بهم أتباعاً، ويرضون بك إماماً»[٣].

---

(١) بحار الأنوار: ٤١/٤٨-٤٩.

(٢) النهاية لإبن الأثير: ٢/٣٤٢.

(٣) شرح نهج البلاغة: ٩/١٦٦، عن حلية الأولياء.

لعمري هذه الخصال لأحب لأولياء الله تعالى خيرٌ لهم مما طلعت عليه شمس وأضاء عليه النهار، هذه المناقب العظمى التي أعطاها الله تعالى لأبراره الأتقياء، لتكون لهم نوراً وضاءً في الدنيا والأخرى، قد نطق بها لسان الله تعالى في أرضه، وشبهه بها لنفسه الشريفة، لمولى الموحدين وسيد الابرار المتقين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

كيف لا تكون هذه الشهادة شهادة حق وصدق، وهذه حياة أمير المؤمنين كلها شواهد صدق وعملا ويقيناً لتلك الشهادة التي نطق بها من لا ينطق عن الهوى ان هوَ إلا وحي يوحى، فهلم معي لنقرأ التأريخ ونسبر أغواره ونستخرج لئالئه القداحة بالأنوار الملئية بالعظات والعبرة، فهذا هو روحي الفداء يقول:

«فو الله، ماكنزت من الدنياكم تبراً، ولا ادَّخرت من غنائمها وفراً، ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً، ولا حزت من أرضها شبراً، ولا أخذت منها إلاّ كقوت أتان دبرة، ولهي في عيني أوهى وأهون من عصصة مَقِرة»[1]، وإلى ذلك يشير صاحب النهج ابن أبي الحديد حيث يعلق على هذه الكلمات التي أظهرت حال أمير المؤمنين على لسانه الشريف:

«أقسم (عليٌّ عليه السلام) أنه ما كنز ذهباً، ولا ادخر مالاً، ولا أعدَّ ثوباً بالياً سملاً لبالي فضلاً عن أن يعد ثوباً قشيباً كما يفعله النّاس في إعداد ثوب جديد ليلبسوه عوض الأسمال التّي ينتزعوها، ولا أحاز من أرضها شبراً ـ والضمير في أرضها يرجع إلى دنياكم ـ ولا أخذ منها إلا كقوت أتان دبرة وهي التي عقر ظهر فقَّل أكلها»[2].

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه: « دخلت على أمير المؤمنين بذي قار، وهو يخصف نعله فقال علي: **ما قيمة هذا النعل؟**

(١) نهج البلاغة: خ ٤٥.
(٢) شرح نهج البلاغة: ١٦/٢٠٥.

فقلت: لا قيمة لها، فقالعليه السلام: والله، لهي أحبّ إليّ من إمرتكم إلاّ أن أُقيم حقّاً أو أدفع باطلاً»[١].

❊ وقالعليه السلام: «والله، لدنياكم هذه أهون في عيني من عراق خنزير في يد مجذوم»[٢].

قال ابن المنظور: «والعظام إذا لم يكن عليها شيء من اللّحم سميت عراق»[٣].

وقال الشيخ محمد جواد مغنيّة: «وقيل هو الكرش، ومَن الّذي يأكل كرش الخنزير أو عظمه من يد مشوَّهة بالجذام، وهل في الكون كله أشنع من هذا الطعام واليد التي تحمله، هذه هي الدنيا في نظر عليّعليه السلام قولاً وفعلاً، وعاطفة وعقلاً، وهذا هو واقعها، إن تحلت بالذّهب أو رفلت بالدّيباج، وتعطّرت بالعنبر، وإذا خدعت بها أنا، وغيري من طلابها وكلابها، فهل يخدع بها العقل السليم»[٤].

زهد الإمام عليّعليه السلام من كتب العامّة

❊ قال ابن أبي الحديد في وصف أمير المؤمنينعليه السلام: وأما الزهد في الدّنيا، فهو سيّدالزهّاد، وبدل الأبدال، وإليه تشدّ الرحال، وعنده تنفض الأحلاس، ما شبع من طعام قطّ، وكان أخشن الناس مأكلاً وملبساً.

قال عبد الله بن أبي رافع: دخلت عليه يوم عيد، فقدّم جراباً مختوماً، فوجدنا فيه خبز شعير يابساً مرضوضاً ، فقدّم فأكل، فقلت: يا أمير المؤمنين، فكيف تختمه؟قال: «خفت هذين الولدين أن يَلُتّاه بسمنٍ أو زيتٍ». وكان ثوبه مرقعاً بجلدٍ

---

(١) نهج البلاغة: خ ٣٣.

(٢) نهج البلاغة: خ ٢٣٥.

(٣) لسان العرب: مادة «عرق».

(٤) في ظلال نهج البلاغة: ٤/٣٥٨.

تارة، وليف أُخرى، ونعلاه من ليف، وكان يلبس الكِرباس[١] الغليظ، فإذا وجد كُمّه طويلاً قطعه بشفرة، ولم يَخطه، فكان لا يزال متساقطاً على ذراعيه حتّى يبقى سدىً لا لحمة له.

وكان يأيد إذا ايأتدم بخلٍّ أو بملح، فإن ترقّى عن ذلكَ فبعض نبات الأرض، فإن ارتفع عن ذلك فبقليل من ألبان الإبل، ولا يأكل اللحم إلاّ قليلاً. ويقول:«لا تجعلوا بطونكم مقابر الحيوان»، وكان مع ذلك أشدّ النّاس قوّة وأعظمهم أيداً، لا ينقض الجوع قوّته، ولا يخوّن الإقلال مُنّته[٢]، وهو الّذي طلّق الدّنيا وكانت الأموال تجبى إليه من جميع بلاد الإسلام إلا من الشام، فكان يفرّقها ويمزّقها، ثمَّ يقول:

هذا جناي وخياره فيه إذ كلّ جانٍ يده إلى فيه[٣]

❊وفي تاريخ دمشق، بإسناد عن حسن بن صالح، قال: تذاكروا الزّهاد عند عمر بن عبد العزيز، فقال قائلون: فلان، وقال قائلون: فلان، فقال عمر بن عبد العزيز: أزهد الناس في الدنيا عليّ بن أبي طالب عليه السلام[٤].

❊ وقال العقاد: وصدق في تقواه وإيمانه كما صدق في عمل يمينه ومقالة لسانه، فلم يعرف أحد من الخلفاء أزهد منه في لذّة دنيا أو سبب دولة ، وكان وهو أمير المؤمنين يأكل الشعير، وتطحنه امرأته بيديها، وكان يختم على الجراب الّذي فيه دقيق الشعير، فيقول:«لا أحبّ أن يدخل بطني ما لا أعلم».

قال عمر بن عبد العزيز: أزهد النّاس في الدنيا علي بن أبي طالب عليه السلام.

وقال سفيان: إنّ عليّاً لم يبن آجرة على آجرة، ولا لبنة على لبنة، ولا قصبة على

(١) الرباس ـ بالكسر ـ ثواب من القطن الأبيض، معرب.
(٢) شرح ابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢٦ ـ ١/٢٦.
(٣) شرح ابن أبي الحديد، ج ١، ص٢٦ ـ ١/٢٦.
(٤) ترجمة الامام عليّ من تاريخ دمشق، ٢/٢٠٢، ح ١٢٥٤.

قصبة، قد أبى أن ينزل القصر الأبيض بالكوفة، إيثاراً للخصاص الّتي يسكنها الفقراء، وربما باع سيفه ليشتري بثمنه الكساء والطعام[١].

زهد الإمام عليّ عليه السلام في أيّام خلافته

نشير هنا إلى نبذةٍ ممّا ظهر من زهده في أيّام خلافته على البلاد الإسلامية إلاّ الشام، عسى أن يكون ذلك أُسوة حسنة وقدوة صالحة لحكّام البلاد الإسلامية في عصرنا هذا ولو بورع وإجتهاد[٢]:

* في الغارات: عن عبد الله بن الحسن، عن الحسن عليه السلام، قال: «**أعتق علي عليه السلام ألف أهل بيت بما مجلت[٣] يداه وعرق جبينه عليه السلام**»[٤].

وفيه أيضاً، عن جعفر بن محمد عليه السلام، قال: «**أعتق علي عليه السلام ألف مملوك ممّا عملت يداه، وأن كان عندكم إنّما حلواه التمر واللبن، وثيابه الكرابيس، وتزوّج عليه السلام ليلى[٥]، فجُعِل له حَجَلة[٦] فهتكها وقال عليه السلام: حسب أهل عليّ ما هم فيه**»[٧].

* وفي شرح ابن أبي الحديد، عن عنبسة العابد، عن عبد الله بن الحسين بن

---

(١) عبقرية الإمام، ٢٩.

(٢) إشارة إلى الحديث الشريف: «**لا تقدرون على ذلك ولكن أعينونني بورع وإجتهاد**». «السيّدالعلوي»

(٣) مجلت يداه: ثخن جلدها ومنه حديث فاطمة عليها السلام: **أنّها شكت إلى علي عليه السلام مجل يديها من الطحن**.

(٤) الغارات: ١/٩١.

(٥) وهي ليلى بنت مسعود النهشلية، إحدى نسائه عليه السلام، وهي أُمّ محمّد الأصغر الشهيد مع أخته الحسين عليه السلام في كربلاء وأُمّ عبيد الله قتيل المذار.

(٦) الحَجَلة: ساتر كالقُبَة يُزيّن بالثبات والستور للعروس.

(٧) المصدر السابق.

الحسن قال: أعتق علي عليه السلام في حياة رسول الله ألف مملوك ممّا مجلت يداه وعرق جبينه ولقد ولي الخلافة وأتته الأموال، فما كان حلواه إلاّ التمر، ولا ثيابه إلاّ الكرابيس[1].

* وفي فرائد السمطين: عن سويد بن غفلة، قال: دخلت على عليّ بن أبي طالب عليه السلام القصر (قصر الإمارة بالكوفة) فوجدته جالساً (و) بين يديه صفحة فيها لبن حازر[2]، أجد ريحه من شدّة حموضته، وفي يديه رغيف، أرى قشار الشعير في وجهه، وهو يكسّره بيده أحياناً، فإذا أعيى عليه كسره بركبتيه، وطرحه في اللبن، فقال: «ادنُ فأصب من طعامنا هذا» فقلت: إنّي صائم. فقال: «**سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: من منعه الصيام من طعام يشتهيه، كان حقّاً على الله أن يطعمه من طعام الجنّة، ويسقيه من شرابها**». قال: فقلت لجاريته ـ وهي قائمة (بقرب) منه ـ ويحك يا فضّة ألا تتقين الله في هذا الشيخ؟ ألا تنخلون له طعاماً ممّا أرى فيه من النخالة؟ فقالت: لقد تقدّم إلينا أن لا ننخل له طعاماً.قال: فقال لي عليّ عليه السلام: «**ما قلت لها؟**» فأخبرته. فقال: «**بأبي وأمّي، من لم ينخل له طعام، ولم يشبع من خبز البرّ ثلاثة أيّام حتّى قبضه الله تعالى**»[3].

وروى نحوه سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص[4].

* وروى ابن الجوزي أيضاً، عن سويد بن غفلة، قال: دخلتُ على عليّ عليه السلام يوماً، وليس في داره سوى حصير رثّ وهو جالس عليه فقلت: يا أمير المؤمنين أنت ملك المسلمين والحاكم عليهم وعلى بيت المال، وتأتيك الوفود، وليس في بيتك سوى هذا الحصير شيء؟

---

(١) شرح ابن أبي الحديد: ٢/٢٠٢.

(٢) الحازر: الحامض.

(٣) فرائد السمطين، ١/٣٥٢، ح ٢٧٨ ويريد في عبارته الأخيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

(٤) تذكرة الخواص: ١٠٧.

فقال عليه السلام: «يا سويد، إنّ اللبيب لا يتأثر في دار النقلة، وأما منا دار المقامة قد نقلنا إليها متاعنا، ونحن منقِلبون إليها عن قريب». قال: فأبكاني والله كلامه[١].

❊ وروى ابن الجوزي أيضاً، عن الأحنف بن قيس، قال: دخلتُ على معاوية، فقدم إليّ من الحلو والحامض ما كثر تعجّبي منه، ثم قال: قدّموا ذاك اللون، فقدموا لوناً ما أدري ما هو. فقلت: ما هذا؟ فقال: مصارين[٢] البطّ، محشوّة بالمخّ ودهن الفستق قد ذرّ عليه السكر. قال: فبكيتُ. فقال: ما يبكيك؟

فقلت: لله درّ ابن أبي طالب، لقد جاد من نفسه بما لم تسمح به أنت ولا غيرك. فقال معاوية: وكيف؟

قلت: دخلت عليه ليلة عند إفطاره، فقال لي: **«قم فتعشّ مع الحسن والحسين»**. ثم قام إلى الصلاة، فلمّا فرغ، دعا بجراب مختوم بخاتمه، فأخرج منه شعيراً مطحوناً، ثمّ ختمه. فقلت: يا أمير المؤمنين، لم أعهدك بخيلاً، فكيف ختمتَ على هذا الشعير؟

فقال عليه السلام: «لم أختمه بخُلاً، ولكن خفتُ أن يبسّه[٣] الحسن والحسين بسمن أو إهالة»[٤].

فقلت: أحرام هو؟ قال: **«لا، ولكن على أئمّة الحقّ أن يتأسوا بأضعف رعيتهم حالاً في الإكل واللباس، ولا يتميّزوا عليهم بشيءٍ لا يقدرون عليه، ليراهم الفقير فيرضى عن الله تعالى بما هو فيه، ويراهم الغني فيزداد شكراً وتواضعاً»[٥].**

---

(١) المصدر السابق: ١١٠.

(٢) المصارين: الأمعاء.

(٣) بسّ السويق: خلطه بسمن أو زيت.

(٤) الإهالة بالكسر: الشحم المذاب أو الزيت وكلّ ما ائتدم به.

(٥) تذكرة الخواص، ص١٠٦.

* وفي أُسد الغابة عن محمد بن كعب القرظي، قال: سمعت عليّ بن أبي طالب عليه السلام يقول: «لقد رأيتني وإنّي لأربط الحجر على بطني من الجوع، وإنّ صدقتني لتبلغ اليوم أربعة آلاف دينار»[١].

* وفي تذكرة الخواص: عن إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر، قال: سمعت عبد الملك بن عمر يقول: حدّثني رجل من ثقيف، قال: استعملني علي عليه السلام على عكبرا، وقال لي: «إذا كان الظهر فأتني» . قال: فأتيته فلم أجد أحداً يحجبني عنه، ووجدته جالساً وحده وبين يديه قدح من خشب، وكوز من ماء، فدعا بجراب مختوم، فقلت: لقد إئتمنني حيث يخرج إليّ جوهراً، ولا أعلم ما قيمته، فكسر الخاتم فإذا فيه سويق، فأخرج منه وصبَّ في القدح ماءً وذرّه عليه، ثم شرب وسقاني، فلم أصبر، وقلت: يا أمير المؤمنين قد وسّع الله عليك، والطعام بالعراق كثير. فقال: «والله ما ختمت عليه بخلاً، وإنّما أبتاع قدر كفايتي، وأخاف أن يفنى فيوضع فيه من غيره، وإنّما أفعل هذا لئلاّ يدخل بطني غير طيّب»[٢].

* وفي نهج البلاغة وغيره عن عبد الله بن العبّاس قال: دخلتُ على أمير المؤمنين عليه السلام بذي‌قار[٣] وهو يخصف[٤] نعله، فقال لي: « ما قيمة هذه النعل؟».
فقلت : لا قيمة لها.

فقال عليه السلام : «والله لهي أحبّ إليّ مِن إمرتكم، إلاّ أن أُقيم حقّاً، أو أدفع باطلاً»[٥].

---

(١) أُسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص٢٣.

(٢) تذكرة الخواص: ١٠٧.

(٣) ذي قار: موضع قريب من البصرة، وهو اليوم أحد محافظات العراق.

(٤) يخصف نعله أي يخرزها.

(٥) نهج البلاغة، الخطبة، ٣٣؛ وروي نحوه في تذكرة الخواص: ١١٠.

* وفي فرائد السمطين: بسنده عن معاوية، عن رجل من بني كاهل، قال: رأيت عليّاً عليه السلام وعليه تُبّان[١]، وقال: «نعم الثوب[٢]، ما أستره للعورة، وأكفّه للأذى!»[٣].

الإمام عليّ عليه السلام يأمر عمّاله بالزهد

إنّ عليّاً عليه السلام لم يكتف بكونه زاهداً في نفسه، بل كان يأمر عمّاله بالزهد وترك الدّنيا وزينتها، ويريد من عمّاله في الأمصار أن يكونوا مثله أو متشبهين به على الأقل، ويتابع أو ضاعهم وسيرتهم، فيبلغه عن عامله على البصرة عثمان بن حنيف الأنصاري أنّه دعي إلى مأدبة فذهب إليها، فيكتب إليه: «**بَلغني أنَّ بَعض فتيةِ أهل البَصرة دَعاك إلى مَأدبَةٍ فأسْرَعْتَ إليها، تُسْتَطابُ لَكَ الألْوان، وتُنْقَلُ إليكَ الجِفان، وَما ظَنَنْتُ أنَّك تُجِيبُ إلى طَعام قَومٍ عائلُهم مجفوٌ، وغَنِيُّهم مَدعُوٌّ**»[٤].

ومعنى هذا الكلام أنّه على ابن حنيف أن لا يُجيب دعوة أحد من وجوه أثرياء والبصرة، فإنّ من يدعو الوالي إلى مأدبته لا يدعو معه إلاّ الأغنياء، ولا يدعو أحداً من الفقراء، وكيف يفعلون ذلك وثياب الفقراء بالية، وهيئاتهم رثة ينفرون منها ومن رؤيتها، وإذا أرادوا أن يعطفوا على فقير منهم أرسلوا إليه شيئاً من الزاد أو المال إلى بيته، ولم تسمح لهم أنفسهم أن يجالسوهم على مائدتهم.

ثمَّ يريد من ابن حنيف أن يقتدي به في زهده، فيقول له: «**ألا وإنّ لكل مأموم**

---

(١) التبّان ـ بالضمّ والتشديد ـ سراويل صغيرة مقدار شبر تستر العورة.

(٢) لا يخفى ان الزهد ليس ان لا تملك شيئاً بل لا يملكك شيء وقد جمع في قوله تعالى ﴿كيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما أتاكم﴾ وانه يختلف بأختلاف الازمان والأمصار، فلابد من الرجوع إلى أهل الخبرة من علماء الأخلاق والتربية والتعليم والسير والسلوك.
«السيّدالعلوي»

(٣) فرائد السمطين: ٣٥٣/ و ٢٧٩.

(٤) نهج البلاغة، الكتاب ٤٥.

إماماً يقتدي به ويستضيءُ بنورِ عِلمِهِ، ألاَ وإنّ إمامَكُم قَد اكْتِفىٰ مِنْ دُنياهُ بِطِمرَيهِ، وَمِنْ طُعْمِهِ بقُرْصَيهِ»[١].

ثمَّ يرى أنّ ذلك غير ممكن فيقوله: «ألا وإنّكُم لا تَقْدِروُنَ عَلى ذِلكَ، وَلِكـنْ أعينُوني بِوَرَعٍ واَجْتِهادٍ، وَعِفَّةٍ وَسدَادٍ»[٢].

ثمَّ يحلف بالله مؤكداً فيقول: «فَوَالله ما كَنَزْتُ مِنْ دُنْياكُم تِبراً، وَلا ادَّخرتُ مِنْ غَنائِمها وَفراً، وَلا أعْدَدْتُ لِبالي ثَوبي طِمْراً»[٣].

ثم يسوقه الألم والحُزن من أمر فدكَ إلى ذكرها هنا، فيذكر أنّه مع كـونه عليه السلام قادراً على التنعّم بملاذ الدّنيا فهو يتركها زهداً فيها، مواساةً للفقراء، فيقول: «وَلَـو شِئْتُ لاهتَدَيتُ الطَريقَ إلى مُصَفّى هذا العَسَل، وَلُبابِ هذا القَمح، وَنَسائج هذا القَزِّ، وَ لكِن هَيهاتَ أنْ يَغلِبَني هَواي وَأنْ يقودني جَشعي إلى تَـخَيرُّ الأطْـعِمَة، وَلَـعلَّ بِالحِجازِ والَيمامَة من لا طمعَ له في القُرص، وَلا عَهد لَهُ بالشبع»[٤].

ليس الزهد عند الإمام عليّ عليه السلام ترك الدنيا طُرّاً

بعض النّاس لا يعرفون حقيقة الزهد في الإسلام، فيظنّون أنّ الزهد ترك الدّنيا بالمرّة، واختيار العزلة والانزواء دائماً، وهذا أمرٌ لا يقرّه الإسلام، بـل الزهـد فـي درجة عالية من تهذيب النّفس وقصر الأمل، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم « ليس الزهـد فـي الدنيا لبس الخشن، وأكل الجشب، ولكن الزهد في الدنيا قصر الأمل»[٥].

(١) نهج البلاغة، الكتاب ٤٥.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

(٤) نفس المصدر.

(٥) قصار الجمل: ٢٨٤.

وإلى هذا المعنى يرجع قول أمير المؤمنين عليه السلام: « الزهد كلّه بين كلمتين من القرآن، قال الله سبحانه: ﴿لكيلا تأسَوا علىَ ما فَاتَكُم وَلا تَفرحوابِما آتاكُم﴾ فمن لم يأس على الماضي، ولم يفرح بالآتي، فقد استكمل الزهد بطرفيه»[١].

ولو رأى أمير المؤمنين عليه السلام بعض أصحابه يترك الدّنيا ويلبس العباء ويترك المُلاَء يذمّه ويرشده إلى حقيقة الحال، كما نرى ذلك في قصّة عاصم بن زياد وأخيه الربيع، والتي سنشير إليها فيما يلي:

قصة عاصم بن زياد

روى سبط ابن الجوزي عن الأحنف بن قيس، أنّه قال: جاء الربيع بن زياد الحارثي إلى علي عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، إعدلي على أخي عاصم بن زياد، فقال: ما باله؟ فقال: لبس العباءة وتنسّك وهجر أهله.

فقال عليه السلام: عليَّ به. وقد ائتزر بعباءة وارتدى بأُخرى أشعث أغبر. فقال له: ويحك يا عاصم! أما استحييت من أهلك، أما رحمت ولدك، ألم تسمع إلى قوله تعالى: ﴿وَيُحِلّ لَهُمُ الطَّيّباتِ﴾[٢] أترى الله أباحها لك ولأمثالك وهو يكره أن تنال منها، أما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « إن لنفسك عليك حقاً؟!» الحديث.

فقال عاصم: فما بالك يا أمير المؤمنين، في خشونة ملبسك، وجشوبة مطعمك، وإنّما تزيّنتُ بزيّك، فقال عليه السلام: «ويحك، إنّ الله فرض على أئمة الحقّ أن يتّصفوا بأوصاف رعيتهم، أو بأفقر رعيتهم، لئلا يُزدرى[٣] الفقير بفقره، وليحمد الله الغنيُّ على غناه»[٤].

---

(١) نهج البلاغة، قصار الحكم ٤٣٩.

(٢) الأعراف، ١٥٧.

(٣) أي يُحقّر ويُعاب.

(٤) تذكرة الخواص: ١٠٦.

وروى ابن أبي الحديد في شرحه هذه القصة هكذا: إعلم أنّ الّذي رويته عن الشيوخ، ورأيته بخطّ عبد الله بن أحمد بن الخشّاب، أنّ الرّبيع بن زياد الحارثي أصابته نشّابةفي جبينه، فكانت تنتقض عليه في كلّ عامّ، فأتاه علي عليه السلام عائداً، فقال: «كيف تجدك أبا عبد الرحمن؟». قال: أجدني ـ يا أمير المؤمنين ـ لو كان لا يذهب ما بي إلاّ بذهاب بصري لتمنّيت ذهابه. قال: «وما قيمة بصرك عندك؟». قال: لو كانت لي الدّنيا لفديته بها. قال: «لا جرم: ليعطينّك الله على قدر ذلك، إنّ الله تعالى يعطي على قدر الألم والمصيبة، وعنده تضعيف كثير». قال: الربيع يا أمير المؤمنين، ألا أشكو إليك عاصم بن زياد أخي؟ قال: «ماله». قال: لبس العباء[1] وترك المُلاء[2] وغمّ أهله وحَزَن ولده.

فقال علي عليه السلام: «أُدعوا لي عاصماً» فلمّا أتاه عبس في وجهه عليه السلام وقال: «ويحك ـ يا عاصم ـ أترى الله أباح لك اللذّات وهو يكره ما أخذت منها؟! لأنت أهون على الله من ذلك، أو ما سمعته يقول ﴿مَرَجَ البَحْرينِ يَلْتَقِيانِ﴾، ثمّ يقول: ﴿يَخْرُجُ مِنهُما اللُّؤلُؤ والمَرجان﴾[3]، وقال: ﴿وَمِن كُلٍ تأكلون لحماً وتستخرجون حلية تلبسونها﴾[4]، أما والله إنّ ابتذال نعم الله بالفعال، أحبّ إليه من ابتذالها بالمقال؟ وقد سمعتم الله يقول: ﴿وأمّا بنعمة ربك فحدّث﴾[5]، وقوله: ﴿قُلْ مَن حَرَّم زينَةَ الله الّتي أخرجَ لِعِبادِ والطيبات مِن الرِّزق﴾[6]. إنّ الله خاطب المؤمنين

(١) العباء: الكساء من الصوف، وهو لباس خشن.

(٢) المُلاء بالضم: الثوب اللين الرقيق.

(٣) الرحمن، ١٩.

(٤) الرحمن، ٢٢.

(٥) الضحى، ١١.

(٦) الأعراف، ٣٢.

بما خاطب به المرسلين، فقال: ﴿يَأَيُّها الّذينَ آمنُوا كُلُوا مِن طَيِّباتِ مَا رَزَقْناكُم﴾[١] وقال: ﴿يا أَيُّها الرُّسُل كُلُوا من الطَّيِّباتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً﴾[٢]. وقال رسول الله عليه السلام لبعض نسائه: مالي أراك شعثاء[٣] مَرهاء[٤] سلتاء[٥]؟!».

قال عاصم: فلم اقتصرت ـ ياأمير المؤمنين ـ على لبس الخشن وأكل الجشب؟ قال:«إنّ الله تعالى افترض على أئمّة العدل أن يُقدّروا لأنفسهم بالقوام، كيلا يتبيّغ بالفقير فقره»[٦] فما قام علي عليه السلام حتّى نزع عاصم العباء ولبس مُلاءة[٧].

أقول: وعلى هذا البيان ومن خلال هذه الكلمات التي أظهرت مقام أمير المؤمنين في الزهد، لا يبقى خافياً على الناقد البصير والمتأمل الحكيم في هذه المقطوعات من كلامه عليه السلام، أي شك في كونه شبيهاً ليحيى عليه السلام في زهده، بل يفوق ذلك مرات ومرات، حيث كانت سيرته الذاتية طافحة بالأخبار المستفيضة في ترك الدنيا وانزوأه عنها، واستشهد سلام الله عليه ولم يضع لبنة على لبنة، فأين نحن منه، وأين المدعون للزهد الحقيقي لكي يقفوا على هذه الصفحات المشرقة من تأريخه الشريف الذي سجله لكل الأجيال كنموذج حي في النفوس، وقوي في ضمائر الناس، ومثال صدق وعدلٍ للإولياء.

---

(١) البقرة، ١٧٢.

(٢) المؤمنون، ٥١.

(٣) قوله: «شعثاء» الّتي اغبر رأسها وتلبّد شعرها وانتشر لقلة تعهّده بالدّهن.

(٤) المرهاء: التي لا تكتحل.

(٥) السلتاء: الّتي لا تختضب.

(٦) قوله: «يتبيّغ بالفقير فقره» أي يهيج به الألم فيهلكه.

(٧) شرح ابن أبي الحديد، ١١/٣٥ ـ ٣٦.

وإلى موسى عليه السلام في بطشه

وشبّهه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكليم الله موسى عليه السلام في بطشه، حيث كان موسى شديد البطش، ويكفيك أنّه وكز القبطي فقضى عليه، وأراد البطش بالأخر، وهو في بلد فرعون، وكان بنو اسرائيل أرقّاء في يد فرعون، وكان القبط أهل الصولة والشوكة والدولة.

ولكن بالله عليك أين هذا البطش وهذه القوة من بطش أمير المؤمنين وقوته بالحق وصولاته المعروفة والتي شهد لها المؤالف والمخالف، فهذا العلامة ابن أبي جمهور الأحسائي يقول:

«روى جابر الأنصاري، قال: شهدت البصرة مع أمير المؤمنين عليه السلام والقوم قد جمعوا مع المرأة سبعين ألفاً، فما رأيت منهزماً إلا وهو يقول: هزمني عليٌّ، ولا مجروحاً إلاّ يقول: جرحني عليّ، ولا من يجود بنفسه إلاّ ويقول: قتلني عليّ، ولا كنت في الميمنة إلا سمعت صوت عليّ، ولا في المسيرة إلا سمعت صوت عليٍّ عليه السلام، ولقد مررت بطلحة ـ وهو يجود بنفسه وفي صدره نبلة ـ وقلت له ـ من رماك بهذه النبلة؟ فقال عليّ بن أبي طالب.

فقلت: يا حزب بلقيس، يا حزب إبليس ! إنَّ علياً لم يرم بالنّبل وما بيده إلاّ سيفه، فقال:

يا جابر: أما تنظر إليه كيف يصعد في الهواء مرّة، وينزل في الأرض أخرى، وينزل من قبل المشرق، ومرَّة من قبل المغرب، وجعل المشارق والمغارب بين يديه شيئاً واحداً، فلا يمر بفارس إلاّ طعنه، ولا يلقى أحداً إلاّ قتله أو ضربه أو كَّبه بوجهه، أو قال: مت يا عدّو الله، فيموت، فلا يفلت منه أحد»[1].

---

(١) المجلى: ٤١٠.

وإلى شجاعته وهيبته وقوته أشار العلماء، وتناقلت الكتب أخباره وقصصه، بحيث أصبحت من التواتر والشهرة كالشمس الواضحة في رابعة النهار، ولا ينكرها إلا من له أصل لئيم، ومقرون بالبغض والعدوان للإمام عليه السلام، وإلى تلك القوة والهيبة والشجاعة يشير ابن أبي الحديد حيث يقول:

«وأما القوة والأيد، فبه يضرب المثل فيهما، قال ابن قتيبة في «المعارف»: «ما صارع أحداً قط إلاّ صرعه»، وهو الذي قلع باب خيبر واجتمع عليه عصبة من الناس ليقلبوه فلم يقلبوه، وهو الذي اقتلع هبل من أعلى الكعبة ـ وكان عظيماً كبيراً جداً ـ وألقاه إلى الأرض،وهو الذي اقتلع الصّخرة العظيمة في أيّام خلافته عليه السلام بيده بعد عجز الجيش كلّه عنها فأنبط الماء من تحتها»[1].

لذا نجد في المأثور الروائي والتأريخي إن جابر بن عبد الله الأنصاريّ قال:

«إن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم دفع الرّاية إلى عليّ عليه السلام في يوم خيبر بعد أن دعا له، فجعل سرع السّير وأصحابه يقولون له: ارفع حتى انتهى إلى الحصن فاجتذب بابه فألقاه على الأرض ثم اجتمع منّا سبعون رجلاً وكان جهدهم أن أعادوا الباب»[2].

وفي ذلك يقول الأزري رحمه الله:

وله يوم خيبر فتكات	كبرت منظراً على من رآها
يوم قال النّبيُّ إنّي لأعطي	رايتي ليثها وحامي حماها
ما ستطالت أعناق كلُّ فريق	ليروا أيَّ ما جد يعطاها
فدعا أين وارث العلم والحلم	مجير الأيام من بأسها
أين ذو النجدة الذي لو دعته	في الثّريّا مروعة لبّاها

---

(١) شرح النهج: ١/٢١.

(٢) بحار الأنوار: ٤١/٢٧٩.

فأتـــاه الوصــيُّ أرمــد عــين | فســـقاها بـــريقه وشـــفاها
ومـضى يـطلب الصّـفوف فـولّت | عـــنه عـــلماً بأنّــه أمـضاها
ويـــرى مـــرحـــباً بكـفٍّ اقـتدار | أقوياء الأقدار مـن مـن ضـعفاها
ودحـــى بـــابها بـــقوّة بأس | لوحـــمته الأفـــلاك مـــنه دحـاها
عـــائذ للـــمؤمّلين مـــجيب | ســامع مـــا تسـرُّ مـن نـجواهـا
إنّــما المــصطفى مــدينة عـلم | وهـــو البـــاب مـــن أتـاه أتـاها
وهـــما مـــقلتا العـــوالم يُســـر | هـــا عـــليٌّ وأحـــمد بـــمناها

شجاعة الإمام عليّ عليه السلام في كلمات العلماء

❋ قال الفخر الرّازيُّ: «إنّ كلّ من كان أكثر علماً بأحوال عالم الغيب كان أقوى قلباً وأقل ضعفاً، ولهذا قال عليُّ بن أبي طالب كرم الله وجهه: «والله، ما قلعت باب خيبر بقوّة جسدانيّة، لكن بقوة ربانية»، وذلك لأنَّ علياً ـ كرم الله وجهه ـ في ذلك الوقت انقطع عن عالم الأجساد وأشرقت الملائكة بأنوار عالم الكـبرياء، فـتقوى روحه وتشبهه بجواهر الأرواح الملكية وتلألأت فيه أضواء عالم القدس والعظمة، فلا جرم حصل له من القدر ما قدر بها على ما لم يقدر عليه غيره؛ وكذلك العبد إذا واظب على الطاعات بلغ إلى المقام الذي يقول الله: كنت له سمعاً وبصراً، فإذا صار نور جلال الله سمعاً له سمع القريب والبعيد، وإذا صار ذلك النّور بداله قدر عـلى التصرف في الصعب والسهل والبعيد والقريب»[1].

---

(١) التفسير الكبير للرازي: ٢١/٩١.

كيف لتحصى صفاتك الكتاب ومز اياك ما لهنّ حساب
ليت شعري وهل يحيط بمعناك خبيرٌ كما أحاط الكتاب
فلعمري ما أنت في الناس إلاّ نفس طه وما بذاك ارتياب[1]

* قال ابن الأثير: «كانت ضربات عليّ مبتكرات لا عواناً؛ أي إنّ ضربته كانت بكراً يقتل بواحدة منها لا يحتاج أن يعيد الضربة ثانياً، يقال: «ضربة بكر» إذا كانت قاطعة لا تثنى، والعون: جمع عوان وهي في الأصل الكهلة من النّساء، ويريد بها ههنا المثناة»[2].

«منه حديث عليٍّ: كان إذا تطاول قدَّ، واذا تقاصر قطَّ؛ أي قطع طولاً وقطع عرضاً»[3].

وقال أيضاً: «إنّ علياً حمل على عسكر المشركين فما زالوا يبقطون؛ أي يتعادون إلى الجبل متفرقين، بقط الرجل إذا صعد الجبل؛ والبقط: التّفرقة»[4].

* ولقد أشار آية الله العظمى السيد شهاب الدين المرعشي قدس سره «ملحقات الإحقاق» نصَّ المقالات في شجاعته عليه السلام وهي:

«عليٌّ أشجع الناس قلباً، عليٌّ أسد الله في أرضه، عليّ سيف الله في أرضه، عليٌّ قاتل الكفرة، عليٌّ صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الدنيا والأخرة، عليٌّ أسد الله الغالب، عليٌّ قاتل الفجرة، عليٌّ يقاتل على التأويل، عليٌّ أشجع العرب، عليٌّ قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، إنَّ لعليٍّ الشجاعة والخلافة كما إنَّ للنبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) ديوان شعراء الحسين عليه السلام «الايراوني»: ٢٢٦.
(٢) النهاية لابن أثير: ١/١٤٩.
(٣) المصدر السابق: ٤/٢١.
(٤) المصدر السابق: ١/١٤٥.

الرِّسالة والنبوّة، ضربة عليّ يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين، لا فتى إلا عليٌّ ولا سيف إلا ذو الفقار»[١].

* وقال ابن أبي الحديد في شرح قوله عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام: **«لا تَدْعُوَنَّ إلى مبارزة، فإن دُعيت آليها فأجب، فأنَّ الداعي إليها باغ، والباغي مصروع»**[٢].

وقد ذكر عليه السلام الحكم ثم ذكر العلّة؛ وما سمعنا أنه عليه السلام دعا إلى مبارزة قط، وإنّما كان يدعى هو بعينه أو يدعى من يبارز فيخرج إليه فيقتله؛ دعا بنوربيعة بن عبد شمس بني هاشم إلى البراز يوم بدر فخرج عليه السلام فقتل الوليد. واشترك هو وحمزة عليهما السلام في قتل عُتبة، ودعا طلحة بن أبي طلحة إلى البراز يوم أُحد فخرج إليه فقتله، ودعا مَرحَب إلى البراز يوم خيبر فخرج إليه فقتله، فأما الخرجة التي خرجها يوم الخندق إلى عمرو بن عبد ود العامري فأنها أجل من أن يقال جليلة وأعظم من أن يقال عظيمة، وما هي إلا كما قال شيخنا أبو الهذيل ـ وقد سأله سائل ـ أيّما أعظم منزلة عند الله، عليٌّ أم أبو بكر؟ـ فقال: يا ابن أخي والله لمبارزة عليٍّ عمراً يوم الخندق تعدل أعمال المهاجرين والأنصار وطاعاتهم كلّها تربى عليها فضلاً عن أبي بكر وحده.

وقد روي عن حذيفة بن اليمان ما يناسب هذا، بل هو أبلغ منه، وروى قيس بن الرّبيع، عن أبي هارون العبديّ عن ربيعة بن مالك السعدي قال: أتيت حذيفة بن اليمان فقلت: يا أبا عبد الله! إنَّ النّاس يتحدثون عن عليّ بن أبي طالب ومناقبه فيقول لهم أهل البصرة: إنّكم لتفرطون في تفريط هذا الرّجل؛ فهل أنت محدّثي عنه أذكره للناس؟

---

(١) احقاق الحق: ٨/٣١٩.

(٢) نهج البلاغة خ ٢٣٣.

فقال: يا ربيعة! وما الّذي تسألني عن عليٍّ، وما الذي أُحدِّثك عنه؟

والذي نفسي حذيفة بيده، لو وضع جميع أعمال أمّة محمّدﷺ في كفّة الميزان منذ بعث الله تعالى محمّداًﷺ إلى يوم الناس هذا، ووضع عمل واحد من أعمال عليٍّعليه السلام في كفة الأُخرى لرجح على أعمالهم كلها.... والذي نفسي حذيفة بيده لعمله ذلك اليوم أعظم أجراً من أعمال امّة محمّدﷺ إلى هذا اليوم وإلى أن تقوم القيامة[1].

وروي أنَّ عديَّ بن حاتم دخل على معاوية ابن أبي سفيان فقال: يا عديّ! أين الطرفات؟ ـ يعني بنيه: طريفاً وطارفة وطُرفةً ـ قال:

قُتلوا يوم صفين بين يدي عليٍّ بن أبي طالبعليه السلام فقال: ما أنصفك ابن أبي طالب إذ قدم بنيك وأخرَّ بنيه، قال: بل ما أنصفت أنا علياًعليه السلام إذ قتل وبقيت. قال: صف لي علياً، فقال: إن رأيت أن تعفيني، قال لا أعفيك. قال:

كان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول عدلاً، ويحكم فصلاً، تنفجر الحكمة من جوانبه والعلم من نواحيه،يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل ووحشته، وكان والله عزيز الدَّمعة، طويل الفكرة ويحاسب نفسه إذا خلا، ويقلّب كفيه على ما مضى، يعجبه من اللباس القصير، ومن المعاش الخشن، وكان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، ويدنينا إذا أتيناه، ونحن مع تقريبه لنا، وقربه منا لا نكلمه لهيبته، ولا نرفع أعيننا إليه لعظمته، فإن تبسم فعن اللؤلؤ المنظوم، يعظّم أهل الدين، ويتحبب إلى المساكين، لا يخاف القوي ظلمه ولا ييأس الضعيف من عدله.

فأقسم لقد رأيته ليلة وقد مثل في محرابه، وأرخى الليل سرباله وغارت نجومه، ودموعه تحادر على لحيته، وهو يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين فكأني

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١٩/ ٦٠.

الآن أسمعه وهو يقول: يا دُنيا أبيَّ تعرَّضت، أم إليَّ أقبلت؟

غرّي غيري لا حان حينك، قد طلقتك ثلاث لا رجعة لي فيك، فعيشك حقير، وخطرك يسير، آه من قلة الزاد، وبعد السفر وقلّة الأنيس.

قال: فوكفت عينا معاوية، وجعل ينشفها بكمّه ثم قال: رَحم الله أبا الحسن، كان كذلك، فكيف صبرك عنه؟

قال كصبر من ذبح ولدها في حجرها فهي لا ترقأ دمعتها، ولا تسكن عبرتها، قال: فكيف ذكرك له؟

قال: وهل يتركني الدَّهر أن أنساه؟»[1].

هكذا هو أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، شجاع بطل مقدام في الحرب لا يخافها ولا يهابها ويرمي نفسه في لهواتها، فكأنه ولدته أمه لهذه المواقف والمقاتل كيف لا وهو الذي سمته أمه حيدراً، أي الأسد البطل هذا في النهار، أما في الليل فله شأن آخر ،فهو العابد والمتهجد الصاف قدميه لله تعالى، وتراه قد تلألأت دموع عينيه على خديه ولحيته، يقدس الله تعالى ويذكره، ويتزود للقاء الله تعالى بكل حال وفي كل زمان.

مـن ظـلمة اللـيل لي المأنس ... إذ فيه تـبدو الشّـهب الكـنّسُ

ونــار مــوسى سرّها حـيدرٌ ... العلم الخنذيذ[2] والدهـر سسُ

والأسد المـغوار يـوم الوغـى ... نفرق مـن حـولته الأشـوس[3]

لو قامت الحرب عـلى سـاقها ... قــام إليــها وهـو لا يـنكسُ

---

(١) سفينة البحار: ٢/ ١٧٠، «عدي».

(٢) الخنذيذ: الخطيب البليغ.

(٣) الأشوس: الجريّ على القتال الشديد.

كم قدَّ في صارمه فارساً وصيَّر السيد له ينهسُ[١]

هو ابن عمّ المصطفى والدي قد طاب من دوحته المغرسُ

عيبة علم الله شمس الهدى ونوره الزّاهر لا يُطمسُ

مهبط وحي لم ينل فضله وكُنهه في الوهم لا يحدسُ

قد طلق الدنيا ولم يرضها ما همّه المطعم والملبسُ

يقطع الليل بتقديسه يزهو به المحراب والمجلسُ

وفي النّدى بحرٌ بلا ساحل وفي المعالي الإصيد الأشوسُ

إذا رقى يوماً ذرى منبر وألسن الخلق له خرَّسُ

يريك من ألفاظه حكمة يحتاج فيها العلم الكيّسُ

فيالها من رتب نالها من دونها كيوان والأطلس!

والله لو لا حيدرٌ لم يكن في الأرض ديّانٌ ولا مكنسُ

فليس يحصي فضله ناثرٌ أو ناظم في شعره منبسُ[٢]

❊ عن الإمام الناطق جعفر بن محمّد الصادقعليه السلام قال: «كان قنبر يحب عليّاً حباً شديداً، فاذا خرج عليّعليه السلام خرج على أثره بالسيف، فراه ذات ليلة فقال: يا قنبر مالك ؟ قال جئت لأمشي خلفك، قال: من أهل السماء تحرسني أمن أهل الأرض، وإن أهل الأرض لا يستطيعون لي شيئاً بأذن الله من السماء فارجع فرجع»[٣].

(١) نهس: أخذ بقدم أسنانه ونتفه.

(٢) الغدير: ١١/٣٨٠ - ٣٨٢، والقصيدة لبشار الغروي.

(٣) ينابيع المودة: ٦٤.

*وفي المناقب لابن المغازلي وغيره: قال رجل لابن عباس:أكان علي بن أبي طالب عليه السلام يباشر القتال بنفسه؟

قال: إي والله، ما رأيت رجلاً أطرح لنفسه في متلفٍ من علي عليه السلام، فلربما رأيته يخرج حاسراً بيده السيفُ إلى الرّجل الدّارع فيقتله[١]. قال سفيان الثوري: كان علي بن أبي طالب عليه السلام كالجبل بين المسلمين والمشركين، أعزّ الله به المسلمين، وأذلّ به المشركين[٢].

* قال ابن أبي الحديد في كلامه له: ولأنّ علياً عليه السلام كانت هيبته قد تمكّنت في صدور النّاس، فلم يكن يظنّ أنّ أحداً يقدم عليه غيلة أو مبارزة في حرب، فقد كان بلغ من الذّكر بالشجاعة مبلغاً عظيماً لم يبلغ أحدٌ من النّاس، لا من تقدم ولا من تأخر، حتّى كانت أبطال العرب تفزع بأسمه.

ألاّ ترى إلى عمرو بن معديكرب، وهو شجاع العرب الّذي تضرب به الأمثال، كتب إليه عمر بن الخطاب في أمرٍ أنكره عليه وغدر تخوّفه منه: أما والله لئن أقمت على ما أنت عليه، لأبعثنّ إليك رجلاً تستصغر معه نفسك، يضع سيفه على هامتك فيخرجه من بين فخذيك!

فقال عمرو بن معديكرب لمّا وقف على الكتاب: هدّدني بعليّ والله![٣] ولهذا قال شبيب بن بجرة لابن ملجم لمّا رآه يشدّ الحرير على بطنه وصدره: ويلك، ما تريد أن تصنع؟ قال: أقتل عليّاً.

قال: هبلتك الهُبول، لقد جئت شيئاً إدّاً، كيف تقدر على ذلك؟ فاستبعد أن يتمّ

---

(١) المناقب لابن المغازلي: ٧١ ح ١٠٣، ذخائر العقبي: ٩٩.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب: ٢/ ٦٨.

(٣) شرح ابن أبي الحديد: ١٠/ ٢٥٩.

لابن ملجم على ما عزم عليه، وراه مراماً وعراً[1].

وقال أيضاً: وأمّا الشجاعة فإنّه أنسى النّاس فيها ذكر من كان قبله، ومحا اسم من يأتي بعده، ومقاماته في الحرب مشهورة، يُضرب بها الأمثال إلى يوم القيامة، وهو الشجاع الّذي ما فرّ قطّ، ولا ارتاع من كتيبة، ولا بارز أحداً إلاّ قتله، ولا ضرب ضربةً قطّ فاحتاجت الأُولى إلى ثانية، وفي الحديث: «كانت ضرباته وتراً».

ولمّا دعا معاوية إلى المبارزة ليستريح النّاس من الحرب بقتل أحدهما، قال له عمرو بن عاص: لقد أنصفك، فقال معاوية: ما غششتني منذ نصحتني إلاّ اليوم! أتأمُرني بمبارزة أبي الحسن، وأنت تعلم أنّه الشجاع المطرق! أراك طمعت في إمارة الشام بعدي.

وكانت العرب تفتخر بوقوفها في الحرب في مقابلته، فأمّا قتلاه فافتخار رهطهم بأنه عليه السلام قتلهم أظهر وأكثر.

قالت أُخت عمرو بن عبد ودّ ترثيه:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله	بكيتُه أبداً ما دُمتُ في الأبد
لكنّ قاتلَه من لا نظير له	وكان يدعى أبوه بيضَةَ البلد[2]

وانتبه يوماً معاوية، فرأى عبد الله بن الزبير جالساً تحت رجليه على سريره، فقعد، فقال له عبد الله يُداعبه: يا أمير المؤمنين، لو شئت أن أفتك بك لفعلت. فقال: لقد شَجُعت بعدنا، يا أبا بكر.

قال: وما الّذي تنكره من شجاعتي، وقد وقفتُ في الصفّ أزاء علي بن أبي

---

(١) المصدر السابق: ١٠/ ٢٥٩.

(٢) بيضة البلد تعني أبا طالب، إذ لم يكن أحد مثله في الشرف. كذا فسرّ في لسان العرب.

طالب! قال: لا جَرم! إنّه قتلك وأباك بيسرى يديه، وبقيت اليمنى فارغة تطلب من يقتله بها.

ثم قال: وجملة الأمر أنّ كلّ شجاع في الدّنيا إليه ينتهي، وباسمه ينادي في مشارق الأرض ومغاربها[1].

وقد ذكر الشارح المعتزلي في شرحه زيادة على ما مرّ، فصلاً طويلاً في شجاعة علي عليه السلام تحت عنوان «مُثُلٌ من شجاعة علي عليه السلام»[2]، وروى ابن عساكر بالإسناد عن هبيرة بن يريم، قال: خطبنا الحسن بن علي بعد وفاة أبيه، فقال: أيها الناس قد فارقكم اليوم رجلٌ لم يسبقه الأولون، ولن يدركه الآخرون، إن كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليبعثه المبعث، فما يرجع حتّى يفتح الله عليه، وجبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره....[3]

*وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يهدّد الكفار بشجاعة علي عليه السلام، ومن ذلك ما قاله صلى الله عليه وآله لوفد ثقيف حين جاء: لتسلمنّ أو لأبعثنّ رجلاً منّي ـ أو قال: مثل نفسي ـ فليضربن أعناقكم، وليسبينّ ذراريكم، وليأخذنّ أموالكم».

قال عمر: فوالله ما تمنّيت الإمارة إلاّ يؤمئذ، وجعلت أنصب صدري له، رجاء أن يقول: هو هذا، فالتفت إلى علي عليه السلام فأخذ بيده، ثمّ قال: «هو هذا، هو هذا»[4].

* وروى ابن الأثير عن ربعي بن خراش، عن علي عليه السلام قال: «لمّا كان يوم الحديبية، خرج آلينا ناس من المشركين فيهم سهيل بن عمرو وأُناس من رؤساء المشركين. فقالوا: خرج إليك ناس من أبنائنا وإخواننا وأرقائنا، وليس بهم فقه في

---

(١) شرح ابن أبي الحديد: ١/ ٢١.

(٢) أُنظر شرح ابن أبي الحديد: ١٩/ ٦٠.

(٣) ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق: ٣/ ٤٠٠ ح١٤٩٨.

(٤) الاستيعاب، بهامش الاصابة، ٣، ٤٦.

الدين، وإنّما خرجوا فراراً من أموالنا وضياعنا، فارددهم إلينا. فقال النبيﷺ: يا معشر قريش، لتنتهنّ أو ليبعثنّ الله عليكم من يضرب رقابكم بالسيف على الدين، قد امتحن قلبه على الإيمان. قالوا: من هو يا رسول الله؟ فقال أبو بكر: من هو يا رسول الله؟ وقال عمر: من هو يا رسول الله؟ قال: خاصف النعل، وكان قد أعطى علياًعليه السلام نعلاً يخصفها».

قال: ثمّ التفت إلينا عليعليه السلام فقال: «إنّ رسول الله قال: من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[1].

وأخرج محيّ الدين الطبري، عن صعصعة بن صوحان، قال: خرج يوم صفّين رجلٌ من أصحاب معاوية، يقال له كريز بن الصبّاح الحميري، فوقف بين الصفّين، وقال: من يبارز؟ فخرج إليه رجل من أصحاب عليعليه السلام فقتله، فوقف عليه ثم قال: من يبارز فخرج إليه آخر فقتله وألقاه على الأول، ثمّ قال: من يبارز؟ فخرج إليه الثالث فقتله وألقاه على الآخرين، وقال: من يبارز؟ فأحجم الناس عنه، وأحبّ من كان في الصفّ الأوّل أن يكون في الآخر.

فخرج عليعليه السلام على بغلة رسول اللهﷺ البيضاء، فشقّ الصفوف، فلمّا انفصل منها، نزل عن البغلة، وسعى إليه فقتله، وقال: من يبارز؟ فخرج إليه رجل فقتله ووضعه على الأول، ثمّ قال: من يبارز؟ فخرج إليه رجل فقتله ووضعه على الآخرين، ثمّ قال: من يبارز؟ فخرج إليه رجل فقتله ووضعه على الثلاثة، ثمّ قال: يأيها الناس، إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿الشَّهر الحَرَامُ بالشهرِ الحَرام والحُرُماتُ قصَاصٌ﴾[2] ولو لم تبدأوا بهذا لما بدأنا؛ ثمّ رجع آلى مكانه[3].

---

(١) اسد الغابة: ٤/٢٦؛ ونحوه في سنن الترمذي: ٥/٥٩٢ ح٣٧١٥؛ وتذكرة الخواص: ٤٥.

(٢) البقرة، ١٩٤.

(٣) الرياض النضرة: ٣/٢٠٤ و ٢٠٥.

أهداف التشبيه

لعّل المراد والهدف من تشبيه الرسول للإمام عليّ عليه السلام بالأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين يتبين لنا من خلال عدة نقاط أهمها:

١ـ لعل المراد من أحاديث التشبيه هو الإشارة إلى وجود العلاقة الخاصة بين الأنبياء وبين أمير المؤمنين، لأنه ثمة قاسم مشترك بينه وبينهم، وبعبارة أخرى أنه قد جمع كل الصفات الكمالية سواء الجمالية أو الجلالية للأنبياء، فهو سرهم الباطني، وباطن رسالاتهم ونبواتهم، حيث بعثوا بولايته باطنا وسراً، وإلى ذلك أشارت عدة أحاديث تبين هذه الحقيقة القديمة، حيث ورد عن الإمام أبي الحسن عليه السلام أنه قال: «**ولاية عليٍّ عليه السلام مكتوبة في جميع صحف الأنبياء، ولن يبعث الله نبياً إلاّ بنبوّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ووصية عليٍّ عليه السلام**»[١].

وعن الإمام أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «**ولا يتنا ولاية الله الّتي لم يبعث نبياً قطّا إلّا بها**»[٢].

وعلى هذا الأساس يكون أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بدلالة الاحاديث الخاصة بالتشبيه أنه يمتلك كل صفات الأنبياء المثلى، بل أنّه جمع من كلّ نبيّ صفة الكمال التي خصَّه الله تعالى بها، ولا شك أن من يجمع صفات الأنبياء عليهم السلام الكمالية والجلالية لابّد أن يكون أتمّ وأكمل وأفضل منهم بعد الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم لأنه هناك ثمة علاقة بين أوصاف الأنبياء وبين أفضليتهم على البشر، فهذه الصفات هي التي جعلتهم بتلك المقامات والمواقع التي أعطاهم الله تعالى إياها، ولا على نحو العلة التامة، بل على نحو الإقتضائية والجزئية في العلة.

---

(١) البحار: ٢٦/٢٨١، ٢٨٠.

(٢) البحار:٢٦/٢٨٠، ٢٨١.

فلعل المراد من جملة هذه الأحاديث، هو الإشارة إلى الجامعية للفضائل التي تكون منشأً وأساساً لثبوت الأفضلية على الأنبياء ما خلا نبينا الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، هذا بالإضافة إلى الصلاحيات الأخرى التي هي الأساس للأفضلية، وهذا يدعونا للبحث والتوقف على أساس الأفضلية على ضوء القرآن والسنة الشريفة وما يحكمه العقل، لأن كل منهم يكون حجة في ذاته، فالقرآن والسنة وأقوال الأنبياء والأوصياء كحجة ظاهرية، والعقل كحجة باطنية، وعلى الإجمال سوف نبحث إنشاء الله تعالى في البحوث الآتية حول أفضلية أمير المؤمنين عليّ عليه السلام على الأنبياء والمرسلين على ضوء القرآن والسنة.

٢ـ لا شك ولا ريب أن من يجمع فضائل الأنبياء السابقين وفضائل الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ما عدا النبوة المخصوصة لهم، يكون في موقع يجعله ذاتياً متقدم في الأفضلية والأحسنية والأكملية على الغير، وثمرة هذا التقدم والأفضلية يظهر لنا، في رجوع الناس إلى الأكمل والأحسن والأفضل وعليه يكون الشخص الذي هو جامع لفضائل الأنبياء سوى ما خصهم الله تعالى به من النبوة، ذو مرتبة تجعله محلاً للرجوع إليه، وبعبارة أُخرى يكون أهلا لتولي قيادة الأمة وخليفة للأنبياء والأوصياء السابقين، وعليه تظهر ثمرة هذا التشبيه في أن كون المراد منه هو تعيين الخليفة والإمام من بعد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه يملك الأهلية لولاية المسلمين بما يحمله من صفات الفضيلة التي خص بها الله تعالى من شاء من أنبيائه.

وإلى ذلك يشير ابن تيمية في كتابه منهاج السنة حيث يقول:

«إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أفضل الخلق، وكلّ من كان به أشبه فهو أفضل ممّن خلف النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وقام مقام النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان أشبه بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، ومن كان أشبه بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم كان أفضل، فمن يخلفه أشبه به عن غيره، والأشبه به أفضل فالذي يخلفه أفضل».

أقول: على هذا يظهر لنا من خلال استظهار الأحاديث الخاصة بالتشبيه، إنَّ مقتضى هذه الأخبار هو الأفضلية والجامعية والأكملية لشخص أمير المؤمنين عليّ عليه السلام من بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فهو الوارث والوصي لأنه يمتلك جميع الصفات المثلى للأنبياء هذا بالإضافة إلى ما خصّه الله تعالى بأية الغدير وأية الولاية وأية نفس الرسول.... وغير ذلك كما في الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة.

مقارنات قرآنية

ونقف مرة أخرى مع أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ومقارنته مع الأنبياء السابقين، على ضوء القرآن الكريم، حيث ثبت في محله إنّ الأنبياء معصومون ومطهرون، وكذلك الإمام عليّ عليه السلام وأهل بيته قد ثبت ذلك لهم أيضاً على ان هناك فرقاً جوهرياً بين الأنبياء والامام عليّ عليه السلام، وهذا الفرق أو قل الفروق تظهر لنا جلياً حين نستقرأ القرآن الكريم وما جاء في شأن الأنبياء وأقوالهم وخواطرهم، وسلوكياتهم، والتي كانوا بها معروفين، ولا يعني ذلك الحط من شأنهم، وإنما جعلناهم عظماء أتقياء صالحون وقارنا وقايسنا بهم مع التسليم بالأصل الذي بنيّنا عليه حالهم، فان الأصل الأولي فيهم مع التسليم بتلك الأحوال والخواطر التي ثبتت لهم على ضوء القرآن الكريم هو كونهم معصومين بالعصمة الذاتية التي منحهم الله إياها بأستحقاقهم الذاتي، أي وجدهم أهلا لذلك الإستحقاق، فخصهم به من دون غيرهم، لما يحتاجون هذا الأمر قبل وبعد فترات تصديهم لحمل إعباء الرسالة والنبوة وقيادة البشرية.

وعلى هذا الأساس سوف نقارن بينهم وبين الإمام عليّ عليه السلام على ضوء ما جاء في القرآن الكريم.

مقارنة بين آدمعليه السلام والإمام عليّعليه السلام

عند تتبع القرآن الكريم في أياته المباركة نجد أن مسألة آدمعليه السلام تكون من الموقع بحيث نجعلها في مقدمة المسائل العقائدية التي يبحث عنها، وذلك لكون آدمعليه السلام أول الخلق وهو الخليفة الأول الذي جعلته السماء في هذه المعمورة، على أنه لا يخفى على المطّلع الذي غاص في عرفان التفسير والتأريخ القرآني ان قضية خلافته كانت محفوفة بعظات ودروس وثمرات عقائدية لا يمكن اخفاء النظر عنها، لما تمثله في الأساسيات التي تطرح في دراسة العقيدة الإسلامية في الأنبياء، وكما ثبت في محله، أن آدمعليه السلام لم يكن من أهل العزم من الأنبياء الذين خصهم الله تعالى بذلك، وهذا بدوره بشكل مسألة عقائدية ضرورية يجب الوقوف معها وملاحظتها وما لها من الفوائد والثمار العقائدية.

أحوال آدمعليه السلام القرآنية

قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿**وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين * فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه**﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿**ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين * فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما وري عنهما من سوءاتهما وقال ما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة إلاّ أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين * وقاسمهما إنّي لكما لمن الناصحين * فدلهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سواءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق**

(١) البقرة: ٣٦.

الجنة وناداهما ربُهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إنّ الشيطان لكما عدو مبين﴾[1].

وقال عز وجل: **﴿ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما * وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا إلا إبليس أبى * فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى * إن لك ألاّ تجوع فيها ولا تعرى * وأنك لا تظمأوا فيها ولا تضحى * فوسوس إليه الشيطان قال ياأدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى * فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان من ورق الجنة وعصى أدم ربه فغوى﴾**[2].

دلالات الآيات

إنَّ من يقف مع هذه الآيات القرآنية المباركة يجد بين طياتها إنَّ قضية آدم التي طرحها القرآن الكريم وما اثبته القرآن من ترك آدم للأولى، أي عصى ربه بترك الأولى كما عبر ذلك جملة من علماء التفسير والبيان للقرآن.

أقول: هذا كله لو قورن مع أية التطهير التي نزلت في أهل البيت عليهم عليهم السلام يجد فارقاً كبيراً بين آدم وبينهم عليهم السلام حيث أن آية التطهير تعد أكبر دليلٍ على عصمة وطهارة أهل البيت عن كل ما تنفر منه الطباع السليمة وما يعدّه العقل قبيحاً، وهذا بخلاف ما نراه واضحاً وجلياً في قصة آدم عليه السلام من العصيان ـ بترك الأولى ـ والغواية، وغير ذلك من الأمور التي أثبتها القرآن الكريم في حق آدم وزوجه.

وعلى الإجمال أن علياً عليه السلام وآل عليّ عليهم السلام قد أثبت القرآن الكريم لهم ما لم يثبته لغيرهم، وكذلك سيرتهم الذاتية التي طفحت بها كتب السير والتأريخ، والتي

---

(١) الأعراف: ١٩-٢٢.

(٢) طه: ١١٥-١٢١.

قدمت لنا أروع صور العصمة والطهارة بحقهم عليهم السلام.

ويكفي شاهداً على ما نقول هو ما ورد في آية الإطعام حيث يقول عز وجل:

﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً * إنّما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءاً ولا شكورا﴾[1].

فقد بينت هذه الآيات إنّ أهل البيت يطعمون الطعام ويحسنون إلى المحتاجين وبأي صورة كانت وبأشد الحالات التي مّروا بها من مواساتهم للفقراء مع الإحتياج الشديد للطعام الذي يبذلونه للفقراء والمحتاجين، ولقد علق على هذه الآية أبو الفضل شهاب الدين الآلوسي البغدادي في تفسيره «روح المعاني»، بعد نقل ما تقدم من الكشاف بمثله:

«وماذا عسى يقول امرؤا فيهما (يعني علي وفاطمة) سوى أنَّ علياً مولى المؤمنين، ووصيُّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وفاطمة البضعة الأحمدية والجزء المحمّدي صلى الله عليه وآله وسلم، وأما الحسنان فالرَّوح والريحان وسيدا شباب أهل الجنان، وليس هذا من الرفض بل ما سواه عندي هو الغيُّ، ومن الطائف على القول بنزولها فيهم انّه سبحانه لم يذكر فيها الحور العين، وإنّما صرَّح عز وجل بولدان مخلدون رعاية لحرمة البتول وقرة عين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم»[2].

وقفت دون سعيك الأنبياءُ	فلتطل مفخراً بك الأوصياءُ
وعن الأنبياء فضلاً عليك	الله أثنى فبهذا الإثناءُ
وإذا لم يكن سوى أية التطهير	فيكم لكان فيها اكتفاءُ

---

(١) الإنسان: ٨، ٩.

(٢) تفسير روح البيان: ١٥٨/٢٩.

كــنت نـوراً وليس كـونٌ ولا آدم بل ليس كان طـين ومـاءُ
أنت عين اليقين سلطان موسى والعصى مـنه واليـد البـيضاءُ
وسنا النـار حـين أنسـها مـن جــانب الطـور إذ بـدا اللألاءُ
روح قـدس بـه تأيّـد عـيسى ولأمـــواتـــه بــه إحــياءُ
أنت لو لم تكن لمـا عـبد الله ولا للأنــام كــان اهــتداءُ[1]

وعلى العموم فإن الله سبحانه وتعالى خلق آدم عليه السلام، وأصـطفاه وجـعله بـديع فطرته، وأية قدرته، بفضائل إعلاء لقدره، وتنويهاً بإسمه، وجعله حجة قبل أن يحتج به عليه، كما روي عن الصادق عليه السلام «**الحجة قبل الخلق، ومع الخلق، وبعد الخلق**». وعلى هذا الأساس نذكر فضائله وقضاياه في القرآن الكريم، ثـم نـذكر بأزاء كـل فضيلة توازيها وبدل كل كرامة كرامة لأمير المؤمنين وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام.

الأولى:ـ

فأول فضيلة لأدم عليه السلام أنّ الله سبحانه وتعالى أخبر الملائكة بتعظيم قدره قـبل خلقه، بقوله تعالى: **﴿إنّي جاعل في الأرض خليفة﴾**[2]، وهذه فـضيلة فـي غـاية الشرف، ونهاية الفضل، حيث أخبر سبحانه وتعالى أنه يجعل أحداً ينوب عنه في الحكم بين خليقته، ثم كشف عن عظم قدره ورفع شأنه بإخباره عنه لأهل طاعته.

أما أمير المؤمنين عليه السلام فقد أعطاه الله تعالى ما يضاهي ذلك ويوازيه في القدرة والنباهة، وهو ما روته الثقات وحملة الإثبات ونـطقت بـه الآثـار واشـتهرت بـه الأخبار.

---

(١) الغدير: ١١/٣٥٤، والقصيدة للشيخ عبد الرضا المقري الكاظمي.

(٢) البقرة: ٣٠.

* فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«مكتوب على باب الجنة، لا إله إلاّ الله، محمد رسول الله، علي أخو رسول الله، وذلك قبل أن يخلق الله تعالى السماوات والأرض بألفي عام»[1].

وروي أيضاً في المشهور من الأثر، أنه كتب على قائمة من قوائم عرشه قبل خلق آدم عليه السلام بألفي عام:

«لا إله إلاّ الله، محمد رسول الله، وأيدته ونصرته، بعليٍّ بن أبي طالب عليه السلام»[2].

وروي عن أبي الحمراء أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمّا أسري بيَّ إلى السماء، رأيت على ساق العرش الأيمن مكتوباً:

«لا إله إلا الله، محمد رسول الله، أيدته بعليّ بن أبي طالب عليه السلام ونصرته به»[3].

وأما الخلافة فإن الله سبحانه وتعالى جعل له على لسان نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله وسلم في مواضع كثيرة، ومواطن جمة، كقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنت وصيّي في أهلي، وخليفتي في أمتي».

وقد أنزل الله سبحانه في المهدي الحجة الخلف من ولده صلوات الله عليهم: ﴿وعد الله الذين أمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما

(١) حلية الأولياء: ٢٥٦/٧، تاريخ بغداد: ٣٨٧/٧ ح ٣٩١٩، تذكرة الخواص: ٢٢، المغازلي في المناقب: ٩١، ميزان الإعتدال: ٢٦٩، لسان الميزان: ٤٥٧/١، ذخائر العقبي: ٦٦، مجمع الزوائد: ١١/٩، منتخب كنز العمال: ٣٥/٥، الفردوس للديلمي: ١٢٣/٤ ح ٦٣٨٠.

(٢) الرياض النظرة: ٢٧٢/٢، ذخائر العقبى: ٦٩، تاريخ دمشق: ٣٥٣/٢، ح ٨٥٧، كنز العمال: ٣٥/٥، فرائد السمطين: ٢٣٥/١، المغازلي في مناقبه: ٣٩.

(٣) الرياض النظرة: ٢٧٢/٢، ذخائر العقبى: ٦٩، فرائد السمطين: ٢٣٥/١، كنز العمال: ٣٥/٥.

استخلف الذين من قبلهم﴾[١]، ومن استخلف الله تعالى فهو الخليفة.

وفي الآية تنبيه على أنّها ليست فيمن سواهم، لأن من أدعى الخلافة من غيرهم إنما استخلفه الناس، واختاره الخلق، ولم يستخلفه الله تبارك وتعالى، وقد قال الله عزّ من قائل: **﴿كما استخلف الذين من قبلهم﴾**[٢] ومن استخلفه الله كان مطهراً من الأدناس متميزاً بالعصمة من الناس، وليس ذلك من صفة تصدّى للأمر.

وقد روي عن آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم حقيقة ذلك، فيالها من مرتبة شريفة ومنقبة منيعة، وفضيلة باهرة، وحجة قاهرة.

الثانية:

أنه سبحانه وتعالى علم أدم الأسماء كلها وألهمه معانيها ثم قال للملائكة **﴿أنبئوني بأسماء هؤلاء أن كنتم صادقين﴾**[٣]، فلما عجزوا واعترفوا، قال لأدم عليه السلام **﴿أنبئهم بأسمائهم﴾**[٤]، فلما عرفت الملائكة فضيلته وأيقنوا برتبته، أمرهم بالسجود تكرمة له، فأذعن المخلصون وتمرد من كان من أهل النفاق، وجحد عناداً، وتكبر حسداً، وادعى أنه خيرٌ منه، واعتقد في نفسه ما لم يجعل الله له، فغضب الله عز وجل عليه، فطرد من بابه، ووسمه باللعنة، وأخرجه من جواره، وأهبطه عن داره، ومدح من أذعن لأمره، وانقاد لحكمه بالسجود له بقوله تعالى: **﴿بل عبادٌ مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾**[٥]، فميّز الله تعالى به بين المؤمن والمنافق، والمخلص والمدغل[٦].

---

(١) النور: ٥٥.

(٢) النور: ٥٥.

(٣) البقرة: ٣١.

(٤) البقرة: ٣٣.

(٥) الأنبياء: ٢٦-٢٧.

(٦) الدغل: الفساد «لسان العرب ـ دغل ـ» ١١/٢٤٤.

وقد أعطى الله تعالى أمير المؤمنين عليه السلام ما يماثل هذه الفضائل ويوازنها ويقاربها ويدانيها، وهو أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ما روي في المشهور من الأثر، والمنقول من الخبر «علمه ألف باب، ففتح له من كل باب ألف باب»[١].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها»[٢].

وبين صحة ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام: «سلوني عمّا دون العرش»[٣]، وقوله: «سلوني قبل أن تفقدوني»[٤].

وقوله: «ما من فئة تضل أو تهدي فئة، إلا أنبأتكم ـ لو شئت ـ بسائقها وقائدها وناعقها، ومحطّ رحالها إلى يوم القيامة»[٥].

وقوله وقد روى عنه عباية بن ربعي الأسدي، قال: سمعته وهو يقول: «سلوني قبل أن تفقدوني، ألا تسألوني عن علم البلايا والمنايا والأنساب»[٦].

---

(١) بصائر الدرجات: ٣٢٢ ـ باب ١٦ مناقب شهر اشوب: ٣٦/٢، فرائد السمطين: ١٠١/١ تاريخ دمشق: ٤٨٣/٢، مجمع الزوائد: ٢٣٦/٧، الغدير: ١٢٠/٣، كنز العمال: ١٠٠/١٥.

(٢) قد تواتر حديث «أنا مدينة العلم وعلي بابها» في كتب العامة والخاصة منها تهذيب التهذيب: ٣٢٠/٦، فيض القدير: ٤٦/٣، تاريخ بغداد: ٢٤٨/٤ بعدة طرق، والمستدرك على الصحيحين: ١٢٦/٣، ١٢٧. كنز العمال: ٦٠٠/١١ ح ٣٢٨٩٠، ١٤٧/١٣ ح ٣٦٤٦٣.
احقاق الحق وملحقاته: ٢٧٦/٤، ٢٧٧، ٥٢/٥، ١٤٩/٩، الغدير: ٧٩/٦، فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ٢٥٠/٢.

(٣) بصائر الدرجات: ٢٨٦ ـ باب ٢.

(٤) أمالي الصدوق: ٢٨٠ ح ١، التوحيد: ٩٢ ح٦، ٣٠٤ ح ٥، الإختصاص: ٢٣٥، المناقب: ٣٨/٢، الاحتجاج: ٢٥٨ ارشاد القلوب: ٣٧٤-٣٧٧.

(٥) أمالي الطوسي: ٥٨/١ ح ٨٦، نهج البلاغة: ١٨٢/١ ح ٨٩، شرح النهج ٤٤/٧ ح ٩٢، المناقب: ٣٩.

(٦) بصائر الدرجات: ٢٨٦ ح ١.

وحديث الجفر والجامعة، ومصحف فاطمة عليها السلام، وغير ذلك غير خاف عند علماء أهل البيت عليهم السلام وفي إحصاء ذلك كثرة.

* فقد روى أبو إسحاق السبيعي أنّ الحسن بن علي عليهما السلام، قال في الخطبة التي خطبها بعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام:

«وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوجهه ويكنفه، جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن شماله لا يرجع حتى يفتح الله على يده»[1].

ويصدق ذلك ما رواه جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«ما اعتصى عليَّ أهل مملكة قط إلاّ رميتهم بسهم الله» قلنا: يارسول الله، وما سهم الله؟

قال: عليّ بن أبي طالب ما بعثته في سرية قط إلاّ رأيت جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره وملك الموت أمامه في سحابة تظله حتى يعطي الله لحبيبي النصر الظفر»[2].

وبالنتيجة فأن الله سبحانه وتعالى ساواه مع آدم في أشياء: في العلم **﴿وعلّم آدم الأسماء كلّها﴾**[3]، وله «أنا مدينة العلم وعلي بابها» والتزويج لأنّه جرى تزويجهما في الجنة؛ وأنزل الحديد على آدم وأنزل على عليّ عليه السلام ذا الفقار؛ وآدم أبو الآدميين وعليّ عليه السلام أبو العلويّين: واعتذر عن آدم **﴿فنسي ولم نجد له عزماً﴾**[4]، وشكر عن

---

(١) أمالي الطوسي: ١/٢٧٦، تفسير فرات: ٧٢، الأرشاد المفيد: ١٨٨.
اعلام الورى: ٢٠٨، شرح النهج: ١٦/ ٣٠، مقاتل الطالبيين: ٣٠-٣١.

(٢) كفاية الطالب: ١٣٤، المناقب: ٢/١٣٩.

(٣) البقرة: ٣١.

(٤) طه: ١١٥.

عليّ عليه السلام ﴿يوفون بالنذر﴾[١]، وآمن آدم في قوله: ﴿ثم اجتباه ربه﴾[٢]، وكذلك لعليّ عليه السلام ﴿فوقاهم الله شرّ ذلك اليوم﴾[٣]، وكان آدم خليفة الله ﴿إنّي جاعل في الأرض خليفة﴾[٤]، وعليّ عليه السلام خليفة الله قوله عليه السلام: «من لم يقل إنّي رابع الخلفاء»[٥] الخبر.

خلق آدم من التراب فكان ترابيّاً ﴿فإنّا خلقناكم من تراب﴾[٦]، وسمّى النبيّ عليّاً أبا تراب؛ وقال آدم وقت خلقته وقد عطس: الحمد لله، فقال (الله): «رحمك الله ولهذا خلقتك، سبقت رحمتي غضبي»، فهو أوّل كلمة قالها، وعليّ عليه السلام لمّا ولد سجد لله على الأرض وحمده؛ وآدم خلق بين مكّة والطّائف وعليّ عليه السلام ولد في الكعبة؛ واصطفى الله آدم ﴿إنّ الله اصطفى آدم﴾[٧]، ولعليّ عليه السلام ﴿وآل عمران على العالمين﴾[٨]، والأنبياء كلّهم من صلب آدم وأوصياء النبي صلى الله عليه وآله وسلم من صلب عليّ عليه السلام؛ رفع آدم[٩] على مناكب الملائكة ورفع جنازة عليّ عليه السلام على مناكبهم أيضاً؛ نسب أولاد آدم إليه فقالوا: «آدميّ» ونسب أولاد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إليه فقالوا: «علويّ» أمر الله الملائكة بالسجود لآدم وعليّ عليه السلام أمر بأن يؤتى إليه، روى العبّاس بن بكّار عن شريك عن سلمة بن كهيل عن علي عليه السلام قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «يا علي

---

(١) الإنسان: ٧.

(٢) طه: ١٢٢.

(٣) الإنسان: ١١.

(٤) البقرة: ٣٠.

(٥) المقصود من كونه هنا رابع الخلفاء عليه السلام أنه رابع خليفة على ما ورد ذكر هذه اللفظة في القرآن الكريم لا الخلفاء الثلاثة الذين اغتصبوا الخلافة من أهلها الشرعيين.

(٦) الحج: ٥.

(٧) آل عمران: ٣٣.

(٨) آل عمران: ٣٣.

(٩) أي جنازته.

أنت بمنزلة الكعبة تؤتى ولا تأتي». آدم باع الجنة بحبات حنطة فأمر بـالخروج منها: ﴿قلنا اهبطوا منها جميعاً﴾[1]، وعـليّ عليه السلام اشـترى الجـنة بـقرص فأذن له بالدّخول فيها ﴿وجزاهم بما صبروا جنّة﴾[2]، ﴿وعلم آدم الأسماء كلّها﴾[3]، وكان اسم عليّ عليه السلام وأسماء أولاده عليهم السلام فعلّم الله آدم أسماءهم، أخبرني محمود بن عبد الله بن عبيد الله الحافظ، بإسناده عن زيد بن أسلم، عـن ابـن عـمر قـال رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يفتخر يوم القيامة آدم بابنه شيث وافتخر أنا بعليّ بن أبي طالب.

كان في علمه لآدم إذ علـ ـم شرح الأسماء والمكـنيّا

مقارنة مع نوح عليه السلام

ان من يقف مع قصة نوح عليه السلام ويتابعها قرآنياً يرى بكل وضوح إن أمراً له عليه السلام مشابها كبيراً جداً بل يفوقه في كثير من حالات، وهذا الأمر المشابه له، قد أثبتته الروايات المأثورة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام، فهذا الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يـقول في حديث يمثل فيهم أهل بيته كسفينة نوح والمزايا التي أعطاها الله تعالى لتـلك السفينة فالحديث يقول:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنما مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها غرق»[4].

فسفينة نوح حملت من كل زوجين إثنين، كما أخبر الله تعالى ذلك فـي كـتابه الكريم، حيث حمل نوح فيها أصل كل شيء من القضبان والبذور والحب والنوى،

---

(١) البقرة: ٣٨.

(٢) الإنسان: ١٢.

(٣) البقرة: ٣١.

(٤) المناقب لابن المغازلي: ١٣٢.

والحيوانات بكافة اصنافها واشكالها، وكذلك حمل عدد قليل من الذين أمنوا معه وصدقوا به، فكانت النتيجة ان من ركب معه نجا من الغرق والطوفان الذي أصاب الأرض ومن تخلف عنه غرق وهوى في سخط الله تعالى.

فمثال سفينة نوحعليه السلام في هذا الزمان وفي زمن نبينا محمدصلى الله عليه وآله وسلم هو أهل بيت رسول الله، فكما نجا من ركب مع نوح في السفينة فكذلك نجا من تمسك بولاية عليّ وآل عليّعليه السلام، لقول النبيّصلى الله عليه وآله وسلم المتقدم، والرسول قد نطق بهذه الحقيقة، فاذا مثل الرسولصلى الله عليه وآله وسلم شيئاً بشيء لا بد أن يكون حقاً وصدقاً واقعاً في صحة المثلية على الصحة والسداد بدليل ما تقدم.

فسفينة نوح لم ينج من الطوفان إلا من ركبها، فكذا لم ينج من أمته إلا من تمسك بولاية أهل بيته، وأمير المؤمنين عليّ صلوات الله عليه من أهل بيته.

وفي ذلك يقول الشعراء:

وبأسمه نوح نـجا مـن الغـرق   وفلكه جرى عـلى خـير نسـق

وقال آخر:

يا فلك نوح حـيث كـلّ بسـيطة   بـحر يـمور وكـل بـحر جـدول

وقال أخر:

وبكم يـونس اسـتغاث ونـوح   إذ طغا المـاء واسـتجد العـناءُ

وقال أخر:

وكنوح نجا من الهـلك مـن سير   فــي الفــلك إذا عـلا الجـودّ يـا

وقال أخر:

أنـــتم للـورى سـفينة نـوح   ليس عــنها للـعالمين غــناءُ

أنـــتم للـورى أمـــان كـما   الشهب أمان لمن حوته السماء

وقال أخر:

فلولا هم ما سار فلك ولا جرى ولا ذرأ الله الأنام ولا برى

كرام منى ما زرتهم عجّلو القرى وإن ذكر المعروف والجود في الورى

فبحر نداهم زاخر يتدفع

وقال بعضهم:

هو النبأ العظيم فلك نوح وباب الله وانقطع الخطابُ

وقال بعضهم:

إذا فاض طوفان المعاد فنوحه علي وإخلاص الولاء له فلك

سفينة نوح حبُ آل محمد وصدق الولا ينجي من الطوفان

فالسفينة التي قدرها الله تبارك وتعالى النوح عليه السلام سبباً لنجاه أهله من الماء، فإن الله سبحانه وتعالى جعل أهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم سفينة لنجاة أمته من النار فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح، فمن ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك»[1] فبيّن صلى الله عليه وآله وسلم أنهم نجاة أمته، كما أن بها نجاة قوم نوح عليه السلام من الغرق، وهذا دليل قاطع على أن الواجب أتباعهم والإقتداء بهم، لأن من آمن به واتبعه نجا، ومن لم يؤمن به ولم يركب السفينة هلك، ولمّا جعل، نفس أهل بيته السفينة، وأمرهم بركوبها، دل على أنهم المقتدى بهم، وهذا واضح لا يحتاج له التأمل والتدقيق.

وكما ورد ذلك في أدعية شهر شعبان المبارك حيث ورد في الدعاء: «اللهم صلي على محمد وآل محمد الفلك الجارية في اللجج الغامرة يأمن من ركبها ويغرق من تركها المتقدم لها مارق والمتأخر عنهم زاهق واللازم لهم لاحق...».

---

(١) المستدرك للحاكم: ١٥١/٣، تأريخ بغداد: ٩١/١٢، احقاق الحق: ٢٧٠/٩.

مساواة الإمام عليّ عليه السلام
مع نوح عليه السلام في خمسة عشر موضعاً قرآنياً

وعلى كل حال فإن الله سبحانه ساواه مع نوح في خمسة عشر موضعاً:

في الميثاق: ﴿**وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم**﴾[١]، ولعليّ عليه السلام ما روي: أنّ الله تعالى أخذ ميثاق على النبوة وميثاق اثنى عشر بعدي؛ وخصّ بطول العمر بطول العمر فلبث فيهم ألف سنة وطوّل عمر ولده القائم عليه السلام ﴿**ونريد أن نُمنّ على الذين استضعفوا**﴾[٢] الآية؛ ونوح شيخ المرسلين وعليٌّ عليه السلام شيخ الأئمة؛ وقيل لنوح عليه السلام: ﴿**يا نوح قد جادلتنا**﴾[٣]، ولعليّ عليه السلام: ﴿**فمن حاجّك فيه**﴾[٤]، ونبع الماء لنوح عليه السلام من بين النّار ﴿**وفار التنّور**﴾[٥]، وهوى النجم لعليّ من بئر الدار ﴿**والنجم إذا هوى**﴾[٦]، أجيبت دعوة نوح فهطلت[٧] له السماء بالعقوبة وأجيبت لعليّ عليه السلام بالرحمة فنبعثت له الأرض في أرض بلقع ويمنى السواد وغيرها، ذكر الله نوحاً في كتابه في اثنين وأربعين موضعاً أوّله قوله: ﴿**إنّ الله اصطفى آدم ونوح**﴾[٨]، وآخره ﴿**وقال نوح ربّ لا تذر**﴾[٩]، وذكر عليّاً في تسعة وثمانين موضعاً أنّه أمير

---

(١) الأحزاب: ٧.

(٢) القصص: ٥.

(٣) هود: ٣٢.

(٤) آل عمران: ٦١.

(٥) هود: ٤٠. المؤمنون: ٢٧.

(٦) النجم: ١.

(٧) هطل المطر: نزل متتابعاً متفرقاً عظيم القطر.

(٨) آل عمران: ٣٣.

(٩) نوح: ٢٦.

المؤمنين؛ وسمّي نوحاً لكثرة نوحه وزهادته وقال لعليّ عليه السلام: ﴿**أمّن هو قانت**﴾[١]، وسمّاه شكوراً ﴿**إنّه كان عبداً شكوراً**﴾[٢]، وسمّى عليّاً عليه السلام باسمه ﴿**وجعلنا لهم لسان صدق عليّاً**﴾[٣]، وأهلك جميع الخلق بالطوفان سوى قومه ﴿**فأنجيناه والّذين معه في الفلك**﴾[٤]، وأهلك أعداء عليّ عليه السلام في طوفان النصب فيلقى في جهنم ويفوز أحباؤه ﴿**إنّ للمتقين مفازاً**﴾[٥]. نوح أب ثانٍ وعليٌّ عليه السلام أبو الأئـمة والسّادات؛ واشتقّ لنوح اسمه من صفته لمّا ناح واشتقّ اسم عليّ عليه السلام من صفته لأنّه علا ﴿**قيل يا نوح اهبط بسلام منّا**﴾[٦]، وقيل لعليّ عليه السلام ﴿**سلام على آل يس**﴾[٧]، وحمله على السّفينة عند طوفان الماء ﴿**وحملناه على ذات ألواح ودسر**﴾[٨]، وقيل لعليّ عليه السلام: «**مثل أهل بيتي كسفينة نوح**» الخبر، فسفينة عليّ عليه السلام نجاة من النّار.

وكنوح نجا من الهلك من سـ ـير في الفلك اْذ علا الجوديّا

مقارنة مع إبراهيم الخليل عليه السلام

وأما إبراهيم خليل الله صلوات الله عليه فإن الله تعالى ذكر عدة آيات قرآنية بل سورة كاملة بإسم إبراهيم، قد بيَّن فيها أحواله ونبوّته وما لاقى فيها من قومه من الأذى والتعب وشدة المعانات وطول البلاء.

---

(١) الزمر: ٩.
(٢) الإسراء: ٣.
(٣) مريم: ٥٠.
(٤) الأعراف: ٦٤.
(٥) النبأ: ٣١.
(٦) هود: ٤٨.
(٧) الصافات: ١٣٠.
(٨) القمر: ١٣.

فمن الآيات القرآنية التي تحدثت حول قصة إبراهيم هو قوله تعالى: **﴿قلنا يا نارُ كوني برداً وسلاماً على إبراهيم * وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين﴾**[١].

والسبب في همّ نمرود بأحراقه، أنه لما خرج القوم إلى عيدهم، دخل إبراهيم عليه السلام إلى آلهتهم بقدوم[٢] فأخذها وكسرها إلا كبيرها، ثم وضع القدوم على عنقه، فلّما رأى نمرود ذلك أجج له ناراً عظيمة، وألقاه بالمنجنيق فيها، فوقاه الله حرّ النار، وجعلها عليه برداً وسلاماً.

وقوله تعالى: **﴿واتخذ الله ابراهيم خليلا﴾**[٣]، **﴿واذ قال إبراهيم ربي أرني كيف تحي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم إجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم إدعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم﴾**[٤].

والسبب في طلب إبراهيم عليه السلام إحياء الموتى من الله تعالى، أنه لمّا حاج نمرود **في ربه تعالى، قال إبراهيم: ربي الذي يحيى ويميت، قال: أنا أحيى وأميت** وموّه على الأغبياء، ودلس على الضعفاء بأطلاق من أراد قتله من السجن أو قتل من بريء من عرض الناس، فلما بهت لقوله تعالى: **﴿فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب﴾**[٥]، طالبه نمرود بإحياء الموتى فأخذ أربعة من الطير وقطعهن، وخلط أجزاءهن، وفرقها على جبال ودعاهن، وقد أخذ بيده رؤوسهن فأتينه سعياً.

---

(١) الأنبياء: ٦٩-٧٠.

(٢) القدوم: الآلة التي ينحت بها النجار «مجمع البحرين ـ قدم ـ» ١٣٧/٦.

(٣) النساء: ١٢٥.

(٤) البقرة: ٢٦٠.

(٥) البقرة: ٢٥٨.

وقد قيل إنَّ إبراهيم عليه السلام لما رأى جيفة تمزقها سباع البر والبحر طلب من ربه أن يطلعه على كيفية إحياء الموتى، فأمره تعالى عزَّ شأنه أن يأخذ أربعة من الطير....

مناقشات لابد منها في المقام

على إنني أنبه القاريء العزيز أنَّ هناك أصلاً أولياً يجب الأخذ به عند الوقوف مع الأنبياء في القرآن الكريم وملاحظة أحوالهم وقضاياهم، وهذا الأصل إنما نحرره لأن كثيراً من الناس وبالخصوص في هذا الزمن قد وقعوا في خلط كثير في فهم كثير من القضايا التي طرحها القرآن الكريم، والتي منها العصّمة عند الأنبيّاء، فالأصل في الأنبياء هو العصمة المطلقة الذاتية التي منحهم الله تبارك وتعالى إياها، على أن هذه العصمة إن صحّ التعبير كلي مشكك له مراتب عديدة[1]، كما إن ضوء

(١) العصمة لغة بمعنى المنع واصطلاحاً لطف خاص من الله سبحانه لمن اصطفى من عباده فهي قوة قدسية تمنعهم عن الذنوب والمعاصي ويتم ذلك بالأختبار فالقدر الجامع بين المعصومين هو العلم فبعلمهم اللّدني من الله سبحانه يمتنعوا عن كل شين من الذنوب والآثام، إلّا ان الأربعة عشر المعصومون أي الرسول الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله وسيدة النساء وفاطمة الزهراء عليها السلام والأئمّة الإثنا عشر أولهم أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وآخرهم القائم من آل محمّد الحجة بن الحسن العسكري عليهما السلام عصمهم الله بعصمة خاصّة هي أعلى مراتب العصمة التي ليس فيها حتى ترك الأوّلى فعصمتهم عصمة ذاتية مطلقة كبرى وإنما عصمهم الله تعالى بهذه العصمة بعد أختبارهم في العوالم السابقة بالصبر، كما في زيارة فاطمة الزهراء عليها السلام في كلّ يوم أحد كما في مفاتيح الجنان فراجع، وأما عصمة الأنبياء فهي عصمة ذاتية مطلقة أيضاً إلّا ان فيها ترك الأولى لحكمة إلهيّة كما هو مذكور في موضعه وكان اختبارهم بالزهد كما في بداية دعاء الندبة فراجع، ودون المرتبتين عندنا عصمة تسمى بالعصمة الإفعالية وهي عصمة جزئية في الأفعال بترك الذنوب والمعاصي منذ أيام التكليف الشرعي كما تكون هذه العصمة في أعلى مراتبها في مثل السيدة زينب الكبرى وأبي الفضل العباس وعلي الأكبر سلام الله عليهم

المصابيح مختلف فيه الشدة وفيه الضعف وفيه القوي ...الخ، كذلك فإن العصّمة كلي مشكك له المراتب المتعددة، وهذا ما نفهم من خلال طرح القرآن الكريم لأحوال الأنبيّاء والأوصيّاء، وعلى ذلك قامت الدلائل القرآنية والبراهين العلمية المنطقية، أما أعلى هذه العصمة ومراتبها وهو ما كان وما يزال موجوداً عند أهل بيت العصمة محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ويلزم على هذا الأصل أنّ يكون إبراهيم الخليل عليه السلام الذي عنده عصمة مطلقة ذاتية، قد طلب من الله تعالى كيفية الإحياء لا أصل الأحياء ونظير هذا أن يقول القائل: «كيف يقضي زيد في الناس»؟ وهو لا يشلء أنه يقضي بالقضاء فيهم، ولو كان سائلاً عن ثبوت القضاء كحكم يقول: «أيقضي زيد»؟

فالقائل في الأول لا شك له في أصل القضاء بل في كيفيته وإنما سأل إبراهيم الخليل عليه السلام أن يشاهد كيفية جمع أجزاء الموتى بعد تفرقها وايصال الأعصاب والجلود بعد تمزقها.

وفي ذلك يقول شهاب الدين الآلوس في تفسيره:

«يعجبني ما حرره بعض المحققين في هذا المقام وبسطه في الذبِّ عن الخليل عليه السلام من الكلام، وهو أنّ السؤال لم يكن عن شك في أمر ديني ـ والعياذ بالله ـ ولكنّه سؤال عن كيفية الإحياء ليحيط بها علماً، وكيفية الإحياء لا يشترط في الإيمان الأحاطة بصورتها، ويدّل على ذلك ورود السّؤال بصيغة «كيف» موضوعها والسؤال عن الحال ـ إلى أن قال ـ ومعنى الطمأنينة حينئذ سكون القلب عن الجولان في كيفيات الإحياء المتحملة بظهور التّصوير المشاهد؛ وعدم حصول هذه الطّمأنينة قيل لا ينافي حصول الإيمان بالقدرة على الإحياء على أكمل الوجوه، ولا

☜ أجمعين ودونهم تكون في الأولياء ثم مراجع التقليد ثم العلماء الصلحاء ثم أئمة الجماعة الأمثل فالأمثل، وفي المقام كلام مفصّل لا يسعه الهامش فتدبر. «السيّد العلوي»

أرى رؤية الكيفيّة زادته في إيمانه المطلوب منه عليه السلام شيئاً، وآنما أفادت أمراً لا يجب الإيمان به.

ومن هنا تعلم أنّ علياً ـ كرم الله وجهه ـ لم يثبت لنفسه مرتبة في الإيمان أعلى من مرتبة الخليل فيه بقوله: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً» كما ظنه جهلة الشيعة وكثير من أصحابنا لما لم يقف على ما حررناه تجشماً لدفع ما عسى أن يتوهم من كلاميَّ الخليل والأمير من أفضلية الثاني على الأوّل»[1].

أقول: إن من تدقق في هذا الكلام المنقول عن تفسير روح المعاني يجد ويتأمل قليل وبتدقيق مركز يجد أن هذا القول مردود عليه، وأنّه خلاف ما يتوهم من كونه رداً على الشيعة، فالوقوف على معنى الطمأنينة التي هي معناها الأستقرار والثبات على أمرٍ ما إنما يحصل هذا الإطمئنان بعد أن كان هناك حضور قلبي، وحالات عدم الإستقرار في الايمان المترسخ في فلجات القلب، فالذي يثبت هنا في المقام هو ثبوت الخواطر والحالات المحتاجة إلى برهان للوصول آلى درجة الإطمئنان القلبي الراسخ.

وفي ذلك يقول العلامة الطباطبائي رحمه الله في تفسيره «الميزان»[2]:

«والطمأنينة والإطمينان سكون النفس بعد إنزعاجها وإضطرابها، وهو مأخوذ من قولهم إطمأنت الأرض، وأرض مطمئنة إذا كانت فيها إنخفاض يستقر فيها الماء إذا سال إليها ـ إلى أن قال ـ قوله تعالى حكايه عنه عليه السلام: ﴿**ليطمئن قلبي**﴾ مطلق يدل على كون مطلوبه عليه السلام من هذا السؤال حصول الإيمان المطلق وقطع منابت كلّ حظور قلبي وأعراقه».

والذي يهمنا في هذا المقام هو ردّ كلام صاحب تفسير روح المعاني حين قال

(١) تفسير روح المعاني: ٣/٢٦.

(٢) الميزان في تفسير القرآن: ٢/٣٩٤.

﴿عسى أن يتوهم ....﴾، فأن قوله هذا باطل بدلالة عدة شواهد سواء عقلية، أو روائية نقلية، أو من خلال نفسء أقوال العلماء المفسرين الذين وقفوا مع هذه الآيات القرآنية، وفي ذلك يقول الفخر الرازي في تفسيره[1]: «قوله تعالى: **﴿قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾** قالوا: المراد منه أن يزول عنه الخواطر التي تعرض للمستدلّ».

حيث يظهر من هذا القول التفسيري إنّ إبراهيم الخليلعليه السلام طلب من الله تعالى عز وجل أن يريه الإحياء حتى يحصل له الإطمينان ويرتفع عنه كل خطور قلبي، وعلى هذا الأساس يظهر لنا أن في نفسه الشريفة حالات وخواطر، وإلا يكون مورد طلبه من الله تعالى لغوا وعبثاً وخلاف ما تقتضيه النفس النبوّية المسددة من قبل المولى عزّ وجل، فعندما نقف مع هذه الحالات والخواطر نجد أن لها محلا وموردأ للقبول في إثبات الأفضلية الثابتة لأمير المؤمنين، لأنها نفس هذه الحالات والخواطر مهما تكن لها مدخلية سواء في الإيمان أو في الإعتقاد أو في أي حالة من حالات المقايسة والمقارنة وثبوت أمر لأمر أخر، أقول نفسها تكون لها مدخلية وحقيقة في ثبوت الأفضلية الثابتة لأمير المؤمنين عليّعليه السلام.

والدليل على ذلك من القرآن الكريم الذي أثبت هذه الحقيقة الراسخة في حق أهل بيت العصمةعليهم السلام، وذلك في آية التطهير **﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾**، فأذا دققنا النظر واطلنا التفكير وكما هو ثابت في محله، فإن الآية قد نفت جميع أنواع الرجس بالإطلاق سواء كان عصياناً أو وسوسة أو ظناً أو شكاً في نفوسهم الشريفة، وعلى هذا البيان لا يبقى خافياً كون الأفضلية ثابت للإمام عليّعليه السلام وكما سنتحدث عن هذا الموضوع في الصفحات الآتية انشاء الله.

---

(١) التفسير الكبير: ٧/٤٠.

وربما قائل يقول أن هناك رواية قد طرحتها الكتب الروائية في كون مورد الإطمينان هو الخلة ـ أي كون إبراهيم سوف يكون خليلاً وعلى ذلك طلب البرهان ـ ولكن هذا لا يثبت مع الأصل الأولي الذي طرحناه وثبتناه في بداية الموضوع، حيث قلنا أنه لابد أولاً وقبل كل الشيء التسليم بكون الأنبيّاء عندهم عصمة مطلقة ذاتيّة، وهذا القول الذي يستشكل به المستشكل أي كان فإنه مردود بهذا الأصل، أي كونه منافياً هذا القول للعصمة، التي نقول بها للخليل عليه السلام، وعلى هذا القول الصحيح يظهر لنا في كون متعلق ومورد الإطمينان هو إحياء الموتى كما قلنا في الكيفية لا في أصل الموضوع.

والرواية التي أثارت هذه الشبهة عند المستشكل هي ما رواه علي بن محمد بن الجهم حيث قال:

«حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا عليه السلام، فقال له المأمون: يابن رسول الله! أليس من قولك أنّ الأنبيّاء معصومون؟

قال عليه السلام: بلى.

قال: فما معنى قول الله عز وجل: ﴿**وعصى آدم ربه فغوى**﴾[1] إلى ان قال: فأخبرني عن قول إبراهيم عليه السلام: ﴿**ربِّ أرني كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي**﴾[2].

قال الإمام الرضا عليه السلام: **إنّ الله كان أوحى إلى أبراهيم عليه السلام أنّي متخذ من عبادي خليلا إن سألني إحياء الموتى أجبته. فوقع في نفس إبراهيم أنه ذلك الخليل.**

فقال: **رب أرني كيف تحيى الموتى؟**

---

(١) طه: ١٢١.

(٢) البقرة: ٢٦٠.

قال: أولم تؤمن؟

قال: بلى ولكن ليطمئن قلبي على الخلة»[١].

أقول: إن الوقوف مع هذا الحديث من خلال إستظهار دلالته، نجده يخالف الأصل الأولي الذي تقدم، من كونه منافياً للعصمة المثبوتة في محلها للأنبياءعليهم السلام، وهو كما ترى متعلقه الخلة لا كيفية الإحياء للموتى، وقد علق عليه العلامة الطباطبائي بهذا القول الآتي بالرغم ما نقلته الكثير من الكتب الروائية أمثال تفسير البرهان، والعيون، فهو لا يخلو من وجهه للإشكال المخدوش به.

يقول العلامة الطباطبائي[٢]: «فما نقله (علي بن الجهم) من جوابهعليه السلام في آدم لا يوافق مذهب أهل البيتعليهم السلام المستفيض عنهم من عصمة الأنبياء من الصغائر والكبائر قبل النبوّة وبعدها، فالرواية لا تخلو عن شيء». والله أعلم.

مساواة الإمام عليّعليه السلام

مع إبراهيمعليه السلام في ثلاثين خصلة قرآنية

أما مساواتهعليه السلام مع إبراهيم الخليل فالذي يظهر من خلال تتبع آيات القرآن الكريم أنه ساواه في ثلاثين خصلة والله العالم، وهي كما يلي:

الإجتباء﴿**اجتباه وهداه**﴾[٣]، ولعليّعليه السلام: ﴿**إنّ الله اصطفى آدم**﴾[٤]، وفي الهدى: ﴿**وهداه إلى صراط**﴾[٥]، ولعليعليه السلام: ﴿**ولكل قوم هاد**﴾[٦]، وفي الحسنة:

---

(١) نور الثقلين: ١/٢٧٥.

(٢) تفسير الميزان: ١/١٤٧.

(٣) النحل: ١٢١.

(٤) آل عمران: ٣٣.

(٥) النحل: ١٢١.

﴿وآتيناه في الدنيا حسنة﴾[٧].

ولعليّ عليه السلام: ﴿من جاء بالحسنة﴾[٨]، وفي البركة: ﴿وباركنا عليه﴾[٩]، ولعليّ عليه السلام: ﴿وبركاته عليكم أهل البيت﴾[١٠]، وفي البشارة: ﴿وبشّرناه بإسحاق﴾[١١]، ولعليّ عليه السلام: ﴿وهو الّذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً﴾[١٢]، وفي السلام ﴿سلام على إبراهيم﴾[١٣]، ولعليّ عليه السلام: ﴿سلا على آل ياسين﴾[١٤]، وفي الخلّة ﴿واتّخذ الله إبراهيم خليلاً﴾[١٥]، ولعليّ عليه السلام: ﴿إنّما وليّكم الله﴾[١٦]، وفي الثّناء الحسن ﴿وجعلنا لهم لسان صدق عليّاً﴾[١٧]، ولعليّ عليه السلام: ﴿والّذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصدّيقون﴾[١٨]، وفي المقام ﴿واتّخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾[١٩]، ولعليّ عليه السلام: وهو أوّل من صلّى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

(٦) الرعد: ٧.

(٧) النحل: ١٢٢.

(٨) الانعام: ١٦٠.

(٩) الصافات: ١١٣.

(١٠) هود: ٧٣.

(١١) الصافات: ١١٣.

(١٢) الفرقان: ٥٤.

(١٣) الصافات: ١٠٩.

(١٤) الصافات: ١١٣٠.

(١٥) النساء: ١٢٥.

(١٦) المائدة: ٥٥.

(١٧) مريم: ٥٠.

(١٨) الحديد: ١٩.

(١٩) البقرة: ١٢٤.

وفي الإمامة: **﴿إنّي جاعلك للنّاس إماماً﴾**[١]، ولعليّ عليه السلام: **﴿وكلّ شيء أحصيناه في إمام مبين﴾**[٢] وجعل مثابته قبلة للخلق **﴿وإذ جعلنا البيت مثابة﴾**[٣] ولعليّ عليه السلام «حبّ علي إيمان» وبناؤه طواف المؤمنين **﴿وطهر بيتي للطّائفين﴾**[٤] ولعليّ: **﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾**[٥]، وأمر إبراهيم بتطهير البيت **﴿وطهّر بيتي﴾**[٦]، والله تعالى طهر بيت عليّ عليه السلام **﴿ويطهّركم تطهيراً﴾**[٧]، وملوك الرّوم من نسل إبراهيم والأئمة الاثنى عشر من صلب عليّ عليه السلام؛ وأثنى الله عليه أنّ إبراهيم كان أمّة لأنّه كان وحيداً في زمانه بالتّوحيد وعليٌّ عليه السلام أوّل من أسلم؛ وقال: **﴿إنّ إبراهيم كان أمّة قانتاً لله﴾**[٨]، ولعليّ عليه السلام: **﴿أمّن هو قانت﴾**[٩]، وقال له: **﴿ولكن كان حنيفاً مسلماً﴾**[١٠]، ولعليّ عليه السلام: على ملّة إبراهيم ودين محمد ومنهاج عليّ حنيفاً مسلماً؛ وقال له **﴿شاكراً لأنعمه﴾**[١١]، ولعليّ عليه السلام: **﴿الّذين يذكرون الله﴾**[١٢]، وقال: **﴿وإبراهيم الّذي**

---

(١) البقرة: ١٢٤.

(٢) يس: ١٢.

(٣) البقرة: ١٢٥.

(٤) الحج: ٢٦.

(٥) الحج: ٢٦.

(٦) الحج: ٢٦.

(٧) الاحزاب: ٣٣.

(٨) الأحزاب: ١٢٠.

(٩) الزمر: ٩.

(١٠) آل عمران: ٦٧.

(١١) النحل: ١٢١.

(١٢) آل عمران: ١٩١.

وفّى﴾[١]، ولعليّ عليه السلام: ﴿يوفون بالنذر﴾[٢] وقال: ﴿وإنّه في الآخرة لمن الصالحين﴾[٣]، ولعليّ، ﴿وصالح المؤمنين﴾[٤]، وقال: ﴿إنّ إبراهيم لحليم أوّاه منيب﴾[٥]، ولعليّ عليه السلام: ﴿يحذر الآخرة ويرجون رحمة ربّه﴾[٦]، وكان إبراهيم مؤذّناً للحجّ ﴿وأذّن في النّاس بالحجّ﴾[٧]، وعلي عليه السلام مؤذّن لله ﴿وأذان من الله ورسوله﴾[٨]، وإبراهيم فارق قومه ﴿واعتزلكم وما تدعون من دون الله﴾[٩]، فأخرج الله من نسله سبعين ألف نبيّ ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب﴾[١٠]، وعلي عليه السلام فارق قريشاً فجعله الله في أفضلها وهم بنو هاشم، وأعطاه النسل الطيّب؛ وعادى إبراهيم قومه ﴿فإنّهم عدوٌّ لي إلاّ ربّ العالمين﴾[١١]، وعادت قريش علياً عليه السلام فأبادهم[١٢] بالسيف؛ وقال إبراهيم: ﴿إنّ هذا لهو البلاء المبين﴾[١٣]، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أنا ابن الذبيحين ـ يعني اسماعيل وعبد الله ـ وابتلاء عليّ عليه السلام أكبر؛ ورمي إبراهيم مشدوداً على المنجنيق وهو مكره، ورمي علي المنجنيق في ذات

(١) النجم: ٣٧.

(٢) الانسان: ٧.

(٣) البقرة: ١٣٠. النحل: ١٢٢.

(٤) التحريم: ٤.

(٥) هود: ٧٥.

(٦) الزمر: ٩.

(٧) الحج: ٣٧.

(٨) التوبة: ٣.

(٩) مريم: ٤٨.

(١٠) الأنعام: ٨٤.

(١١) الشعراء: ٧٧.

(١٢) أي أهلكهم.

(١٣) الصافات: ١٠٦.

السّلاسل وهو مختار؛ وقال في حق إبراهيم ﴿فألقوه في الجحيم﴾[١]، وألقى عليّ عليه السلام نفسه في وادي الجنّ وحاربهم؛ وصارت نار الدّنيا على إبراهيم برداً وسلاماً ﴿قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً﴾[٢]، وتصير نار الآخرة على محبي علي عليه السلام برداً وسلاماً حتى تنادي الجحيم: جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبيّ؛ ادّعى في محبّة إبراهيم خلق فقال: ﴿فمن تبعني فإنّه منّي﴾[٣]، وادّعى في محبّة عليّ عليه السلام خلق فقال الله: ﴿إنّ أولى النّاس بإبراهيم للّذين اتّبعوه﴾[٤] الآية؛ وإبراهيم أوجس في نفسه خيفة من الملائكة وتكلم عليّ معهم؛ وسائر الأنبياء من نسله ﴿ملّة أبيكم إبراهيم هو سمّاكم المسلمين﴾[٥]، وسائر الأوصياء من ولد عليّ عليه السلام ﴿واتّبعتهم ذرّيّتهم بإيمان﴾[٦]، إبراهيم أسّس الكعبة ﴿إنّ أوّل بيت وضع للناس﴾[٧]، وعلي أظهر الإسلام وطهّر الكعبة من الأزلام؛ وإبراهيم كسّر أصناماً ﴿قالوا من فعل هذا بآلهتنا قال بل فعله كبيرهم هذا﴾[٨] يعني أفلون[٩]، وعلي كسر ثلاثمائة وستين صنماً أكبرها هبل؛ ابتلى الله إبراهيم بقربان الولد ﴿إنّي أرى في المنام أنّي أذبحك﴾[١٠] وأبات أبو طالب علياً عليه السلام على فراش رسول

(١) الصافات: ٩٧.

(٢) الأنبياء: ٦٩.

(٣) إبراهيم: ٣٦.

(٤) آل عمران: ٦٨.

(٥) الحج: ٧٨.

(٦) الطور: ٢١.

(٧) آل عمران: ٩٦.

(٨) الآية كذلك ﴿قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا أبراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا﴾ راجع سورة الأنبياء: ٦٢-٦٣.

(٩) الظاهر أنه اسم الصنم الكبير.

(١٠) الصافات: ١٠٢.

الله صلى الله عليه وآله وسلم كلّ ليلة في شعب، وأباته النبيّ ليلة الهجرة، وبين الفدائيّين فروق، وربّما يشفق الوالد على ولده فلا يذبحه وعليّ عليه السلام كان على يقين من الكفار، ويقول في ظنّ ولده أنّ أباه يمتحنه في طاعته فيزول كثير من الخوف ويرجو السّلامة وعليٌّ خائف بلا رجاء، وأمره مسند إلى الوحي فيجب الإنقياد وعليٌّ عليه السلام على غير ذلك[1] وأثنى الله على إبراهيم في خمسة وستين موضعاً أوّله ﴿ابتلى إبراهيم ربّه﴾[2] وآخره ﴿صحف إبراهيم وموسى﴾[3] وأنزل الله ربع القرآن في عليّ عليه السلام.

وله من صفات إسحاق حال	صار في فضلها لإسحاق سيّا
صبره إذ تلّ للذّبح حتّى	ظلّ بالكبش عندها مفدّيا
وكذا استسلم الوصيُّ لأسيـ	ـاف قريش اذ بيّتوه عتيّاً[4]
فوقى ليلة الفراش أخاه	بأبي ذاك واقياً ووليّاً
وله من أبيه ذي الأيد إسمـ	ـاعيل شبه ما كان عنّي خفيا
إنّه عاون الخليل على الكعـ	ـبة إذ شاد ركنها المبنيّاً[5]
ولقد عاون الوصيُّ حبيب اللـ	ـه أن يغسلان منه الصفيّا[6]
كان مثل الذّبيح في الصّبر والتّسـ	ـليم سمحاً بالنّفس ثم سخيّا

---

(١) أي وأمر عليّ غير هذا النهج.

(٢) البقرة: ١٢٤.

(٣) الأعلى: ١٩.

(٤) الأصح: عشياً.

(٥) شادالبناء: رفعه.

(٦) الظاهر أنه بضم الصاد أو كسرها جمع الصفاة: الحجر الصلد الضخم. أي أيمان أمير المؤمنين عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله في تطهير البيت عن الأصنام، فإن أكثرها كانت من الأحجار أو ما شابهه.

أبراهيم الخليل عليه السلام من شيعة الإمام عليّ عليه السلام

قال الله تعالى في محكم كتابه الشريف وبيانه المجيد: ﴿وإنّ من شيعته لإبراهيم﴾[١].

* عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«**قوله عزَّ وجلَّ وان من شيعته لإبراهيم أي إبراهيم عليه السلام من شيعة عليّ عليه السلام**».

على ضوء الآية الشريفة والحديث المبارك قد وقع اختلاف بين علماء التفسير في معرفة كلمة «شيعته» وعلى من تعود هذه الكلمة؟

حيث توجد ثلاث أقوال في هذه المسألة المطروحة، ونظراً للأهميتها العظمى وما يترتيب عليها من الأثر الكبير على المستوى العقائدي كان لابد لنا من طرح هذه المسألة على بساط البحث لمعرفة القول الفصل والحق فيها، فالأقوال الواردة في هذه الآية وتفسير كلمة «شيعته» ثلاثة وهي:

١ـ إنَّ الضمير في الشيعة يعود على النبيّ الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم كما نقل ذلك بعض المفسرين، ومنهم الطبري في تفسيره حيث قال: «وقد زعم بعض أهل العربية أنّ معنى ذلك: وإن من شيعة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم لإبراهيم»[٢].

وذهب إلى هذا القول القرطبي كما نقله في تفسيره[٣].

ومن القائلين بهذا القول الألوسي حيث قال: «وذهب الفراء إلى أن ضمير «شيعته» لنبينا محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ـ إلى أن قال: وقلما يقال للمتقدم هو شيعة المتأخر، ومنه قول الكميت رحمه الله:

ومالي إلاّ آل أحمد شيعة ومالي إلاّ مشعب الحق مشعب

---

(١) الصافات: ٨٣.

(٢) جامع البيان: ٢٤/٦٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ١٥/٩١.

٢ـ القول الثاني يقول أنّ الضمير في «شيعته» يعود على نبي الله نوح عليه السلام وذلك لكونه قد تقدم على إبراهيم الخليل في النبوة، وقد سار على أثره الخليل، خصوصاً ان كلاهما من أولي العزم، والظاهر من الآية هكذا إذا فسرت على ضوء التفسير الذي يقول أن الذي يشايع إنما يشايع من سبقه في أمر ما، فلا معنى على ضوء القول الإستظهاري على عودة الضمير في شيعته على متأخر في الظهور عليه، لأن الذي يشايع يشايع من سبقه فلهذه العلة قد قال جملة من المفسرين أن الظاهر عود الضمير على متقدم لفظاً وهو نوح عليه السلام، ويذهب إلى هذا القول وحسب ما استظهره من الآية ودلالتها هو صاحب التفسير الكبير الفخر الرازي حيث يقول:

«الضمير في قوله من «شيعته» إلى ماذا يعود؟

فيه قولان: الأول ـ وهو الأظهر ـ إنّه عائد إلى نوح عليه السلام[1].

٣ـ القول الثالث يقول: إنّ الذي يظهر من تفسير كلمة ـ شيعته ـ هو كل ما صدق انطباقه على هذا المفهوم سواء تقدم أو تأخر بحق عندئذ القول به، فكلمة شيعة تعني القوم المشايعون لغيرهم الذاهبون على أثرهم الملتزمون طريقتهم، الموافقون في عملهم ، فكل من وافق غيره ـ في الطريقة والعمل، والأثر، والالتزام ـ فهو من شيعته.

وعلى هذا الأساس يكون من إنطبقت عليه هذه المواصفات فهو سواء تقدم أو تأخر يكون من شيعته، وعليه يكون تفسير «شيعته» إما نوح إذا صدق عليه القول، أو نبينا محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ، هذا بالنسبة نحن والظاهر من التفسير.

ولكن إذا حكّمنا قول أهل بيت العصمة الذين هم أدرى وأعلم بما في القرآن الكريم، فإنه لا يبقى لنا أي شك في كون الهاء في شيعته يعود على النبيّ

---

(١) التفسير الكبير: ١٤٦/٢٦.

محمّد ﷺ، ومن هو نفس النبيّ، نعني به أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وخاصة إنّه قد دلّ الديل النقلي على ذلك.

وهو ما رواه الرواة عن الإمام الصادق عليه السلام حيث قال: «قوله عزّ وجلّ: **وإنّ من شيعته لأبراهيم أي إبراهيم** عليه السلام **من شيعة عليّ** عليه السلام»[1]، ويؤيد هذا القول المروي عن الإمام الصادق عليه السلام عدة شواهد قرآنية أو روائية ثبت كون عليّ عليه السلام هو نفس الرسول، وكل ما صدق على الرسول يصدق على عليّ عليه السلام إلاما خرج بالدليل والنبوّة وقد خرجت بالدليل، وإذا أردنا أن نتوسع في هذا المطلب لأحتجنا إلى كتاب مستقل في حد ذاته، وخصوصاً أنه ورد أنه عليه السلام سرّ الأنبياء أجمعين، ويكفي شاهداً أخراً على ما نقول: هو ما ورد على لسان جابر بن يزيد الجعفي حين سأل الإمام الصادق عليه السلام عن تفسير هذه الآية حيث قال لهفي تفسير ﴿**وإنّ من شيعته لإبراهيم**﴾: «إنّ الله سبحانه لمّا خلق إبراهيم عليه السلام كشف له عن بصره، فنظر فرأى نوراً إلى جنب العرش فقال: إلهي! ما هذا النّور؟ فقيل: هذا نور محمّد ﷺ صفوتي من خلقي وأرى نوراً إلى جنبه، فقال: إلهي! وما هذا النّور؟

فقيل له: هذا نور عليٍّ بن أبي طالب ناصر ديني.

ورأى إلى جنبهما ثلاثة أنوار، فقال: إلهي! وما هذه الأنوار؟

فقيل: هذه نور فاطمة فطمت محبيها من النّار، ونور ولديها الحسن والحسين.

فقال: إلهي وأرى تسعة أنوار قد حفّوا بهم (قد أحدقوا بهم) قيل يا إبراهيم! هؤلاء الأئمة من ولد عليّ وفاطمة، فقال إبراهيم: إلهي! بحق هؤلاء الخمسة إلاّ ما عرّفتني من التسعة؟

فقيل: يا إبراهيم! أوّلهم عليّ بن الحسين وابنه محمّد، وابنه جعفر، وابنه

---

(١) تفسير البرهان: ٤/ ٢٠.

موسى، وابنه عليّ، وابنه محمّد، وابنه علي، وابنه الحسن، والحجة القائم إبنه - صلوات الله عليهم أجمعين -.

فقال إبراهيم: إلهي وسيدي! أرى أنواراً قد أحدقوا بهم لا يحصى عددهم إلا أنت، قيل: يا إبراهيم! هؤلاء شيعتهم شيعة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

فقال إبراهيم: وبما تعرف شيعته؟

فقال: بصلاة أحدى وخمسين، والجهر ببسم الله الرَّحمن الرحيم، والقنوت قبل الركوع، والتختم في اليمين.

فعند ذلك قال إبراهيم: اللهم اجعلني منَ شيعة أمير المؤمنين، قال: فأخبر الله في كتابة فقال: وإنّ من شيعته لإبراهيم»[1].

مقارنة مع موسى عليه السلام

إنّ من يقف مع قصة موسى التي طرحها القرآن الكريم في كثير من أياته المباركة، يجد أيات كثيرة قد أثبتها الله تعالى لنبيه، كل ذلك لما له من المقام السامي العظيم عند الله تعالى، فهو من أولي العزم الذين ذكرهم القرآن الكريم، والقصص القرآني الذي اختص به موسى عليه السلام فيه الكثير من العظات والعبر والدروس التي لابد للإنسان المؤمن التنوَّر بهداها والإستفادة من قيمها والمباديء التي أعطتها للأمم وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿إن في قصصهم لعبرة﴾، على أن هناك آيات عظيمة قد زوّد الله تعالى بها نبيه موسى عليه السلام، ابتداءً من أول آية قد أظهرها الله لموسى عليه السلام، حيث أنه خلقه الله تعالى في بطن أمه بحيث لم يعرف أحد بأنها حامل، وستر عن جميع الخلق، حفظاً له عليه السلام، لأن فرعون كان يطلبه، ويشق في

(١) تفسير البرهان: ٤/ ٢٠.

طلبه بطون الحبالى، ولما قيل له أن زوال ملكه يكون على يد مولود يكون من شأنه كذا وكذا، فصنع الله تعالى لهعليه السلام بذلك ما خفي على الناس أمره.

على أنه قد اعطى الله تعالى ما يضاهي ذلك لمولانا صاحب الزمان صلوات الله عليه، حيث طلب بنو العباس أثره،وراقبوا أمر أبيه، لمّا سمعوا أن زوال ملكهم يكون على يد ولد الحسن بن عليّعليه السلام، فأخفى الله تعالى أمره، حتى لم يعرف أهله بأنه أمّه حامل، أن حكيمةعليها السلام قالت حين قال لها أبو محمّدعليه السلام: **«الليلة يولد حجة الله من نرجس»** قالت: وما نرى بها أثر حبل؟ فقال: **«سيظهر لك وقت الصبح»** ثم وضع صنع الله تعالى له ما يبهت العقول، حتى خفي على الناس أمره.

على العموم كان هذا الكلام استطراداً لا أقل، فموسىعليه السلام قد أعطاه الله تعالى آيات كثيرة من اليد البيضاء من غير سوء وإنقلاب العصا حيّة، وفلق البحر ونتق الجبل فوق أمته، وإنزال المن والسلوى عليه وعلى أمته في التيه، وإنفجار الحجر بالماء، وإبتلاع الأرض لقارون بأمره، وإظلال الغمام على رأسه ورأس أمتّه.

آيات موسىعليه السلام القرآنية

قال الله عز وجل في قصة موسىعليه السلام حين أخرج يده وهي بيضاء: **﴿فلما أتيٰها نودي من شاطيء الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أنْ يا موسى إنّي أنا الله ربُ العالمين * وأن ألق عصاك فلما راها تهتز كأنها جان ولى مُدبراً ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين * اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب فذانك بُرهانان من ربّك إلى فرعون وملإيه إنهم كانوا قوماً فاسقين * قال رب إني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون﴾**[1].

(١) القصص: ٣٠-٣٣.

وقد أعطى الله تعالى سبحانه للإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ما يقارب جميع ذلك ويماثله ويدانيه ويشاكله وخصوصاً لو قارنا بين مخافة موسى عليه السلام وتضحية الإمام عليّ عليه السلام في مبيته على فراش الرسول الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه، وذلك حين أراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم الهجرة من مكة أمره عليه السلام أن ينام ويبيت في فراشه، وهو قوله عزَّ وجلَّ:

﴿ومن النّاس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد﴾[١].

※ وقد روى كثير من علماء العامة نزولها في أمير المؤمنين عليه السلام قال الفخر الرازي: «في سبب النزول روايات «والرواية الثالثة» نزلت في عليّ بن أبي طالب، بات على فراش رسول الله ليلة خروجه إلى الغار ويروى أنه لمّا نام على فراشه قام جبرئيل عليه السلام عند رأسه، وميكائيل عند رجليه، وجبرئيل ينادي: بخ بخ من مثلك يا بن أبي طالب؟ يباهي الله بك الملائكة، ونزلت الآية»[٢].

※ وقال أبو حيان الأندلسي: «وقيل: نزلت في عليّ عليه السلام حين خلفه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكة لقضاء ديونه وردّ الودائع، وأمره بمبيته على فراشه ليلة خرج مهاجراً صلى الله عليه وآله»[٣].

※وقال الألوسيُّ: « وقال الإماميّة وبعض منّا: إنها نزلت في عليّ ـ كرم الله تعالى وجهه ـ حين استخلفه النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم على فراشه بمكة لمّا خرج إلى الغار»[٤].

※ وقال القرطبي: «وقيل: نزلت في عليّ رضي الله عنه حين تركه النبي صلى الله عليه وآله وسلم على

---

(١) البقرة: ٢٠٧.

(٢) التفسير الكبير: ٥/٢٢٣.

(٣) البحر المحيط: ٢/١١٨.

(٤) روح المعاني: ٢/٩٧.

فراشه ليلة خرج إلى الغار على ما يأتي بيانه في براءة انشاء الله»[١].

* وقال عبد الكريم الخطيب: «لقد دعا رسول الله علياً ليلة الهجرة، وطلب إليه أن يبيت في المكان الذي اعتاد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن يبيت فيه، وأن يتغطى بالبرد الحضرمي الذي كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتغطى به حتّى إذا نظر ناظر من قريش إلى الدار رأى كأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قائم في مكانه مغطى بالبرد الذي يتغطى به، وهذا الذي كان من عليّ عليه السلام في ليلة الهجرة، إذا نظر إليه في فجر الأحداث التي عرضت للإمام عليّ عليه السلام في حياته بعد تلك الليلة، فإنه يرفع لعين الناظر أمارات واضحة واشارات دالة على أنَّ هذا التدبير الذي كان في تلك الليلة لم يكن أمراً عارضاً، بل هو عن حكمة لها أثارها ـ إلى ان قال: ـ إنّه إذ غاب شخص الرسول كان عليُّ عليه السلام هو الشخصية المهياة لأن تخلفة وتمثل شخصه وتقوم مقامه.

حين نظرنا إلى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وهو في برد الرسول وفي مثوى منامه الذي اعتاد أن ينام فيه قلنا: هذا خلف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والقائم مقامه»[٢].

* وقال الحافظ القندوزي: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أوحى الله إلى جبرئيل وميكائيل: أنّي آخية بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر صاحبه فأيكما يؤثر أخاه‌عمره؟ فكلاهما كرها الموت، فأوحى الله إليهما: أنّي آخيت بين عليٍّ وليٍّ وبين محمّد نبيٍّ، فأثر عليّ حياته للنبيّ، فرقد على فراش النبيّ، يقيه بمهجته، أهبطا إلى الأرض واحفظاه من عدوّه، فهبطا فجلس جبرئيل عند رأسه، وميكائيل عند رجليه، وجعل جبرئيل يقول: بخٍّ بخٍّ، من مثلك يا ابن أبي طالب؟ والله عزَّ وجلَّ يباهي بك الملائكة، فأنزل الله الآية»[٣].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٣/٢١.

(٢) من كتاب عليّ بن أبي طالب عليه السلام بقية النبوة وخاتم الخلافة: ١٠٣، ١٠٧.

(٣) ينابيع المودة: ٩٢.

※ وأما انفلاق البحر لموسى عليه السلام فكما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أن أضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرقٍ كالطود العظيم﴾[١]، وقد خرج موسى عليه السلام من مصر فأتبعه فرعون بجنوده، فلمّا قارب البحر قال أصحاب موسى: ﴿إنا لمدركون ※ قال كلا إنّ معي ربّي سيهدين﴾[٢]، فأمره تعالى أن يضرب بعصاه البحر، فضربه فظهر أثنا عشر طريقاً في البحر، فسلك كل سبط من بني إسرائيل طريقاً.

وقد أظهر الله سبحانه وتعالى لأمير المؤمنين عليه السلام ما يداني ذلك ويضاهيه وهو ما حدّث به أبو بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، أنّه قال: «مدّ الفرات عندكم على عهد أمير المؤمنين عليه السلام، فأقبل إليه الناس فقالوا: ياأمير المؤمنين، نحن نخاف الغرق لأن الفرات قد جاء بشيء من الماء لم نر مثله قط، وقد امتلأت جنبتاته فالله الله.

فركب أمير المؤمنين عليه السلام، والناس حوله يميناً وشمالاً، حتى انتهى إلى الفرات وهو يزجر بأمواجه، فوقف الناس ينظرون فتكلم بكلام خفي عبراني ليس بعربي، ثم إنّه قرع الفرات قرعة واحدة، فنقص الفرات ذراعاً، وأقبل الناس.

وفي رواية أخرى فقال لهم: «هل يكفيكم ذلك؟» فقالوا: زدنا يا أمير المؤمنين. فقرع قرعة أخرى، فنقص ذراعاً أخر فقالوا: يكفينا فقال عليه السلام: لو أردت لقرعته حتى لا يبقى فيه شيء من الماء»[٣].

※ وأمّا إنزال المن والسلوى عليه وعلى أمته في التيه، وهو أنه لما بقي هو وأمّته في التيه أربعين سنة، واحتاجوا إلى القوت، أنزل الله تعالى كل غدوة عليهم المن والسلوى، كما قال الله تعالى: ﴿وأنزلنا عليهم المنَّ والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾[٤] فقد أعطى الله تبارك وتعالى الأئمة عليهم السلام ما يزيد عليه ولم ينقص عنه،

---

(١) الشعراء: ٦٣.

(٢) الشعراء: ٦١-٦٢.

(٣) خصائص أمير المؤمنين: ٢٦، اليقين: ١٥٤، اثبات الهداة: ٢/٤١٥.

(٤) الأعراف: ١٦٠.

مما يشاكله ويدانيه، وهو ما حدّث به الثقات، أن أمير المؤمنين عليه السلام، لما أمتد مقامه بصفين، شكوا إليه نفاد الزاد والعلق، بحيث لم يجد أحد من أصحابه شيئاً يؤكل، فقال عليه السلام لهم: «غداً يصل إليكم ما يكفيكم»

فلمّا أصبحوا تقاضوه صعد عليه السلام على تل كان هناك ودعا بدعاء وسأل الله تعالى أن يطعمهم ويعلف دوابهم، ثم نزل فرجع إلى مكانه، فما استقر قراره، إلا وقد أقبلت العير بعد العير، وعليها اللجمان والتمور والدقيق، حتى امتلأت به البراري، وفرغ أصحاب الجمال جميع الحمال من الأطعمة، وما كان معهم من علف الدواب، وغيرها من الثياب، وجلال الدواب وجميع ما تحتاجون إليه، ثم أنصرفوا ولم يدر من أي البقاع وردوا، أو من إنس كانوا أم من الجنّ وتعجب الناس من ذلك[1].

وأما تظليل الغمام على قوم موسى عليه السلام فهو أنّ موسى عليه السلام لمّا مكث بقومه في التيه أربعين سنة، أثر فيهم حرّ الشمس فظلل الله الغمام عليهم، وقاية لهم من حرّ الشمس، كما قال الله تعالى: ﴿**وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى**﴾[2].

فقد أعطى الله تعالى أمير المؤمنين عليه السلام ما يشابه ذلك ويدانيه ويحاكيه، وهو ما رواه جابر بن عبد الله الأنصاري رحمه الله عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «**ما بعثته قط في سرية إلا ورأيت جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، وملك الموت أمامه في سحابه تظلله، حتى يعطي الله حبيبي النصر والظفر**»[3].

※وأما إحياء الموتى، وهو ما قاله الله تعالى: ﴿**فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يُحيى الله الموتى**﴾[4].

---

(١) الخرائج والجرائح: ٢/٥٤٣ ح ٤، أثبات الهداة: ٢/٤٥٨ ح ١٩٧.

(٢) الاعراف: ١٦٠.

(٣) الخرائج والجرائع: ١/١٧٤ ح ٦، مدينة المعاجز: ٤٠/٦٧.

(٤) البقرة: ٧٣.

وشرح ذلك أنّه وجد على طريق سبط من الأسباط قتيل فتدارؤا به والتجأوا إلى موسىعليه السلام، فأمرهم الله تعالى بذبح بقرة على ما شرح في كتابه العزيز، فلمّا فعلوا ذلك وضربوا ببعض لحمها القتيل، أحياه الله تعالى حتى قال: قتلني فلان بن فلان.

وقد أعطى الله تبارك وتعالى أمير المؤمنينعليه السلام ما يشابه ذلك وهو:

ما حدّث به الإمام الباقرعليه السلام، قال: «**إنّ عليّاًعليه السلام مرّ يوماً في أزقة الكوفة فانتهى إلى رجل قد حمل جريثاً**[1].

فقال: انظروا إلى هذا قد حمل إسرائيلياً، فأنكر الرجل، وقال: متى كان الأسرائيلي جريثاً؟!

فقالعليه السلام: أما إنّه إذا كان اليوم الخامس ارتفع لهذا الرجل من صدغه دخان فيموت مكانه.

فأصابوه في اليوم الخامس كذلك، فمات إلى قبره، فلمّا دفن جاء أمير المؤمنينعليه السلام إلى قبره، فدعا الله ثم رفسه برجله، فأذا الرجل قام قائماً بين يديه، وهو يقول: الراد على عليّ كالراد على الله وعلى رسوله.

قالعليه السلام: عد في قبرك، فعاد فيه، فانطبق عليه»[2].

مساواة الإمام عليّعليه السلام مع موسىعليه السلام قرآنياً

وعلى هذا البيان المتقدم يظهر لنا كيفية مساواة عليّ مع نبي الله موسىعليه السلام حيث رُبّي موسى في حجر عدوّ الله فرعون، وربّي عليّعليه السلام في حجر حبيب الله

---

(١) الجريث: ضرب من السمك يشبه الحيّات، ويقال له بالفارسية: مارماهي. «مجمع البحرين ـ جرث ـ ٢/٢٤٣.

(٢) الخرائج والجرائح: ٦٢٩ ح ٢٩.

محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وهو موسى بن عمران وعليّ آل عمران، وقالوا: إنّ اسم أبي طالب عمران؛ وحفظ الله موسى عليه السلام من صغره من فرعون وفي كبره من البحر، وحفظ عليّاً عليه السلام في صغره من الحيّة حين قتلها، وفي كبره من الفرات حين أغارها، وكان لموسى عليه السلام انفلاق البحر وهو نيل مصر **﴿اضرب بعصاك البحر﴾** وانشق نهروان بإشارة عليّ عليه السلام حين يبس؛ ضرب موسى بعصاه على البحر وقال: اخرجي أيّتها الضفادع فخرجت، وأطاعت الحيّة والثعبان عليّاً وذلك أهول؛ وسخّر لموسى الجراد والقمّل وسخّر لعليّ عليه السلام حيتان نهروان إذ نطقت معه وسلّمت عليه، وسخر لموسى الدم **﴿آيات مفصّلات﴾**[١]، وعليّ عليه السلام أراق دماء الكفّار حتّى سمّوه الموت الأحمر؛ وكان موسى صاحب تسع آيات بيّنات وعليّ عليه السلام صاحب كذا وكذا معجزات؛ وأحيا الله بدعاء موسى قوماً **﴿ثم بعثناكم من بعد موتكم﴾**[٢]، وأحيا بدعاء عليّ سام بن نوح وأصحاب الكهف وبوادي صرصر وغيرها؛ وذكر الله موسى في كتابه في مائة وثلاثين موضعاً وسمّى عليّاً عليه السلام في كتابه في ثلاثمائة موضع؛ وقيل لموسى عليه السلام: **﴿وقرّبناه نجيّاً﴾**[٣] وقيل لعليّ عليه السلام: **﴿وجعلنا لهم لسان صدق عليّاً﴾**[٤]، وكلّم الله موسى عليه السلام تكليماً، وعليٌّ عليه السلام علّمه الله تعليماً **﴿الرّحمن علّم القرآن خلق الإنسان علّمه البيان﴾**[٥].

وسخّرت الأرض لموسى عليه السلام حتّى خسف بقارون ودمّر عليّ عليه السلام أعداء النبيّ **﴿فإنّا منهم منتقمون﴾**[٦]، وقال موسى عليه السلام: **﴿اجعل لي وزيراً من أهلي هارون**

---

(١) الأعراف: ١٣٣.

(٢) البقرة: ٥٦.

(٣) مريم: ٥٢.

(٤) مريم: ٥٠.

(٥) الرحمن: ١ – ٤.

(٦) الزخرف: ٤١.

أخي﴾[1]، وفي آية أخرى **﴿اخلفني في قومي﴾**[2]، وقال الله تعالى: **﴿قد أوتيت سؤلك يا موسى﴾**[3]، وقال الله تعالى ليلة المعراج: اخلف عليّاً، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: أنت مني بمنزلة هارون من موسى؛ وسقى الله موسى من الحجر **﴿فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً﴾**[4]، وعليّ عليه السلام **﴿هو الّذي خلق من الماء بشراً﴾**[5] اثنا عشر أماماً.

وأخو المصطفى الّذي قلب الصّخـ ـــرة عن مشرب هناك رويّا

بعد أن رام قلبها الجيش جمعاً فـــرأوا قلبها عليهم أبيّا

وأنزل الله على موسى المنّ والسلوى، وعليٌّ عليه السلام أعطاه النبيّ من تفّاح الجنّة ورمّانها وعنبها وغير ذلك؛ خاصم موسى وهارون مع فرعون في كثرة خيله، قال الطبري: كان الذّهليّ والبوقيّ[6] أربعة آلاف رجل وظفرا بهم، وإنَّ محمّداً وعليّاً خاصما اليهود والنّصارى والمجوس والمشركين والزّنادقة وقد ظفرا عليهم **﴿هو الّذي أيّدك بنصرهوبالمؤمنين﴾**[7]، وكان خصم موسى وهارون فرعون وهامان وقارون وجنودهما، وخصماء محمّد وعليّ عليهما السلام المعاندين والمنكرين من الأوّلين والآخرين؛ وأغرق الله أعداءهما في البحر **﴿وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثمَّ**

---

(١) طه: ٢٩-٣٠.

(٢) الأعراف: ١٤٢.

(٣) طه: ٣٦.

(٤) البقرة: ٦٠.

(٥) الفرقان: ٥٤.

(٦) ذهل بن شيبان أبو قبيلة من العرب. والنسبة إليه «ذهلي». وبوق كورة ببغداد وبوقة: من قرى انطاكية وفي المصدر «والبوقى» برقاء: قرية على شرق النيل في الصيد الأدنى والبرقاء: أيضاً في البادية، ويضاف إلى أماكن ذكر بعضها في المراصد ج ١، ١٨٥-١٨٦.

(٧) الانفال: ٦٢.

أغرقنا الآخرين﴾[١] وسيلقي الله أعداء محمّد وعليّ عليه السلام في جهنم ﴿**ألقيا في جهنم كلّ كفّار عنيد**﴾[٢] وينجيّهما وأحباءهما الله ﴿**ثمّ ننجّي الّذين اتّقوا**﴾[٣] عدوّ موسى برص ومن عادي عليّاً عليه السلام برص، قال أنس: هذه دعوة عليّ عليه السلام؛ خاف موسى من الحيّة في كبره فقيل: ﴿**خذها ولا تخف**﴾[٤] ومزق عليٌّ عليه السلام الحيّة في صغره، وتقول العامّة من هذا الوجه «حيدر» خاف موسى وهارون من الاستهزاء فقال: ﴿**لا تخافا انّني معكما**﴾[٥] ولم يخف محمّد وعليّ عليهما السلام منه ﴿**الله يستهزىء بهم**﴾[٦].

خاف موسى من عصاه ﴿**خذها ولا تخف**﴾[٧]، ولم يخف عليّ من الثّعبان وكلّمه، كان لموسى عصاً ولعليّ عليه السلام سيف؛ وكان في عصا موسى عجائب عجزت السّحرة عنها، وفي سيف عليّ عجائب عجزت الكفرة عنها؛ وفي عصا موسى أربعة أحوال ﴿**هي عصاي**﴾[٨] ثمّ تحرّكت ﴿**حيّة تسعى**﴾[٩] ثمّ كبرت ﴿**فإذا هي ثعبان**﴾[١٠] ثمّ لقفت ﴿**فإذا هي تلقف**﴾[١١] وفي سيف عليّ أربعة أحوال مذكورة في بابه؛ نزل جبرائيل بعصا موسى فأعطاها شعيباً وأعطاها شعيب موسى ثمّ أنزل ذا

---

(١) الشعراء: ٦٥-٦٦.

(٢) ق: ٢٤.

(٣) مريم: ٧٢.

(٤) طه: ٢١.

(٥) طه: ٢١.

(٦) طه: ٤٦.

(٧) البقرة: ١٥.

(٨) طه: ١٨.

(٩) طه: ٢٠.

(١٠) الإعراف: ١٠٧. الشعراء: ٣٢.

(١١) الإعراف: ١١٧. الشعراء: ٤٥ ولقف الشيء: تناوله بسرعة.

الفقار فأعطي محمّد[١] وأعطاه محمّد عليّاً؛ وكانت عصا موسى من اللّوز المرّ وشجرة طوبى في دار فاطمة وعليّ عليه السلام ؛ وكان رأسها ذا شعبتين وكان ذو الفقار ذا شعبتين، وعين اسم عليّ ذو شعبتين؛ موسى قذفته أمّه في تنّور مسجور وقذف عليّ عليه السلام من منجنيق؛ إن موسى ابتلى بفرعون، ابتلى عليّ عليه السلام بفراعنة؛ وقيل لموسى: **﴿اخلع نعليك﴾**[٢] وأمر عليّ عليه السلام أن يضع رجله على كتف **محمّد** صلى الله عليه وآله وسلم ؛ وكان موطىء موسى حجراً وموطىء عليّ عليه السلام منكب **محمّد** صلى الله عليه وآله وسلم **ارتفع موسى** على الطور وارتفع عليّ عليه السلام على كتف الرّسول؛ وقال الله سبحانه **لموسى:** **﴿وألقيت عليك محبّة مني﴾**[٣] فكان كلّ من رآه أحبّه وفرض حبّ عليّ عليه السلام على الخلق وحُبّه يميّز بين الحقّ والباطل «لا يحبك إلاّ مؤمن تقيٌّ» الخبر؛ وقال لموسى: **﴿وأنا اخترتك﴾**[٤]، ولعليّ عليه السلام : **﴿وربّك يخلق ما يشاء ويختار﴾**[٥] وقال لموسى: **﴿واصطنعتك لنفسي﴾**[٦] ولعلي عليه السلام : **﴿إنّما وليّكم الله﴾**[٧] الآية؛ وقال لموسى **﴿إنّه كان مخلصاً﴾**[٨] ولعليّ عليه السلام **﴿إنّما نطعمكم لوجه الله﴾**[٩].

﴿وإذ قال موسى لفتاه﴾[١٠]، وكان فتى موسى يوشع وفتى محمّد صلى الله عليه وآله وسلم عليّ عليه السلام ، ولا فتى إلاّ عليّ؛ وكان لموسى شبّر وشبّير ولعليّ شبيّر وشبّر ـ أي الإمام

---

(١) كذا في النسخ.
(٢) طه: ١٢.
(٣) طه: ٣٩.
(٤) طه: ١٣.
(٥) القصص: ٦٨.
(٦) طه: ٤١.
(٧) المائدة: ٥٥.
(٨) مريم: ٥١.
(٩) الإنسان: ٩.
(١٠) الكهف: ٦٠.

الحسن والإمام الحسين سيد الشهداءعليهما السلام - وكان ولاية موسى في أولادهـارون وولاية محمّدصلى الله عليه وآله في أولاد عليّعليه السلام، عبدوا العجل وتـركوا هـارون **﴿عـجلاً جسداً له خوار﴾**[١]، وتركوا عليّاًعليه السلام وعبدوا بني أميّة ومن قبلهم **﴿إذا قومك منه يصدُّون﴾**[٢]، موسى ساقي بنات شعيب **﴿ووجد من دونهم امرأتين تذودان﴾**[٣] وعليّعليه السلام ساقي المؤمنين يوم القيامة، والوالدان سقاة أهل الجنّة والمولى[٤]ساقي عليّ «**وسقاهم؛ ووقاهم؛ ولقّاهم؛ وجزاهم**»[٥] وجرّ موسى الحجر مـن رأس البـئر .كان يجرّونه أربعون رجلاً **﴿ولمّا ورد ماء مدين﴾**[٦]، وعليّعليه السلام جرّ الحجر من عين زاحوما وكانت مئة رجل عجزت عن قلعه.

كان فيه من الكـليم خـلال لم يكن عنك علمها مطويّا
كلّم الله ليلة الطور مـوسى واصطفاه على الأنام نـجيّا
وأبان النبيّ فـي ليـلة الطـ ـائف أنَّ الإله نـاجى عـليّا
وله منه عـفوة عـن أنـاس عكفوا يعبدون عجلاً حُـليّا
حرّق العجل ثمّ منَّ عـليهم إذ أنابوا وأمـهل السـامريّا
وعليّ فقد عفا عـن أنـاس شرعوا نحوه القـنا الزاعـيّا

❊ ❊ ❊

(١) الأعراف: ١٤٨. طه: ٨٨.
(٢) الزخرف: ٥٧.
(٣) القصص: ٢٣.
(٤) اي الله تعالى.
(٥) كل كلمة إشارة آلى أية من أيات سورة الدهر.
(٦) القصص: ٢٣.

مساواته عليه السلام مع هارون عليه السلام

أما مساواته عليه السلام مع هارون فيظهر لنا من خلال قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يوم بيعة العشيرة ويوم أحد ويوم تبوك وغيرها: «**يا عليّ أنت منّي بمنزلة هارون من موسى**» فالمؤمنون أحبّوا علياً كما أحبّ أصحاب هارون هارون، ولم يكن لأحد منزلة عند موسى كمنزلة هارون، ولا لأحد عند النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كمنزلة عليّ عليه السلام؛ وكان هارون خليفة موسى وعليّ عليه السلام خليفة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم؛ ولمّا دخل موسى على فرعون ودعاه إلى الله قال: ومن يشهد لك بذلك؟ قال: هذا القائم على رأسك ـ يعني هارون ـ فسأله عن ذلك قال: أشهد أنّه صادق وأنّه رسول الله إليك، قال: أما إنّي لا أعاقبه إلاّ بإخراجه من تكرمتي وإلحاقه بدرجتك، فدعا له بجبّة صوف وألبسه إيّاها، وجاء بعصاً فوضعها في يده، فعوّضه الله من ذلك أن ألبسه قميص الحياة، فكان هارون آمناً في سربه ما دام عليه ذلك، وكذلك ألبس الله علياً عليه السلام قميص الأمن بقول النبيّ صلى الله عليه وآله: «**إنّ من المحتوم أن لا تموت إلاّ بعد ثلاثين سنة بعد أن تؤمّر وتقاتل النّاكثين والقاسطين والمارقين ثمَّ يخضب لحيته من دم رأسه وقت كذا**» فكان هارون إذا نزع القميص مخوفاً وكان عليّ عليه السلام آمناً على كلّ حال؛ وكان أوّل من صدَّق بموسى هارون وهكذا أوّل من صدق بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم عليّ عليه السلام.

إنّ هارون كان يخلف موسى	وكذا استخلف النبيّ الوصيّا
وكذا استضعف القبائل هارو	ن وراموا له الحمام الوحيّا[1]
نصبوا للوصي كي يقتلوه	ولقد كان ذا محال قويّا
وأخو المصطفى كما كا هارو	ن أخاً لابن أمّه لا دعيّا

---

(١) الحمام ـ بكسر الحاء ـ، الموت والوحيّ: السريع.
اي قصدوه بالموت السريع وكادوا يقتلونه، كما يستفاد من الأية ﴿إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني﴾ الأعراف: ١٥٠.

مقارنة مع داود عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿**يا جبال أوبي معه والطير وألنّاله الحديد * أن أعمل سابغات وقدر في السرد**﴾[١].

قد أعطى الله تعالى لنبيه داود عليه السلام عدة معجزات وكرامات باهرات للعقول، وقد زوده بقدرات عقلية وجسمانية كبيرة جداً بحيث استطاع أن يلين الحديد ليتخذ منه الدروع والسبوق وغير ذلك من آلالآت الحرب، كل ذلك ليبين لعباده أنذاك القدرات الجبارة التي زود بها الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام.

وقد أعطى الله تعالى لأمير المؤمنين عليه السلام مثل ذلك القدرة والقوة سواء العقلية أو الجسدية وهو: ما روى بعض مواليه أنه دخل عليه، ورأى بين يديه حديداً، وهو يأخذ بيده منه، ويدقه، ويجعله حلقاً ويسرده[٢] كأنه الشمعة في يده قال: فسألته عنه، فقال: «أصنع الدرع»[٣] ومما يصحح ذلك، ويشهد بصحته حديث خالد بن الوليد وهو حديث طويل قد اقتصرنا على الموضع المقصود لشهرته.

وحدث به عبد الرحمن بن العبّاس وجابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال:

كنا جلوساً عند أبي بكر وقد أضحى النهار، فإذا بخالد بن الوليد قد وافى في جيش قام غباره، وكثرت صواهل خيله، فإذا بقطب رحى ملوي في عنقه، وقد فتل فتلاً، فنزل عن فرسه، ووقف بإزاء أبي بكر، فرمقه الناس بأعينهم وراعهم منظره، فابتدأ وقال:

---

(١) سبأ: ١٠-١١.

(٢) السرد: اسم جامع للدروع وسائر الحلق وما أشبهها، وسمي سرداً لأنه يسرد ويثقب طرف كل حلقه بالمسمار. «لسان العرب ـ سرد ـ ٣/٢١١».

(٣) مناقب شهراشوب: ٢/٣٢٥، وعنه مدينة المعاجز: ٨٩.

إعدل يا بن أبي قحافة حيث جُعلت في الموضع الذي لست له بأهل. وما ارتفعت إلى هذا المكان إلا كما يرتفع الطافي من السمك على الماء. ـ في كلام طويل أعرضنا عن ذكره ـ ثم قال: إنّي رجعت مُنكفئاً من الطائف إلى هذه (جدة) في طلب المرتدين، فرأيت ابن أبي طالب عليه السلام ومعه رهط عصاة عتاة من الذين شزرت حماليق[1] أعينهم من حسدك، وبدرت حقداً عليك، وفرحت أفئدتهم لمكانك، منهم عمار بن ياسر ابن سمية السوداء، والمقداد، وأخا غفار، وابن العوام، وغلامين أعرف أحدهما بوجهه، وغلام أسمر حبشي قد بقل وجهه[2] فتبين لي المنكر من قلوبهم والحسد في احمرار أعينهم، وقد توشّح بدرع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولبس رداءه، وقد أسرج له دابته، وقد نزل على عين ماء، فلمّا رآني اشمأزوا بربر[3]، وأطرق موحش فقبض على لحيته، فبادرته بالسلام استكفي شره واتقي وحشته فنزلت، ونزل معي بحيث نزلوا اتقاءً من مراوغته فبدأ بي ابن ياسر بقبيح لفظه، وممض عداواته، يقرعني بما كنت (تقدمت به إلي)، فالتفت إليَّ الأصلع الرأس، وقد ازدحم الكلام في حلقه كهمهمة الأسد، وكقعقعة الرعد. فقال لي بغضب منه: « أو كنت فاعلاٍ يا أبا سليمان؟»

فقلت: وايم الله، لو أقام على رأيه لضربت الذي فيه عيناك؛ فأغضبه قولي إذ صدقته، وأخرجه إلى طبعه الذي أعرفه له عند الغضب، وبدرت عيناه عليَّ، فعلمت أنه قد عزب عنه عقله، فقال لي: «يا ابن اللخناء، مثلك يقدر على مثلي، ويجسر أن يدير اسمي في لهواته التي لا عهد لها بكلمة حكمة، ويلك إنّي لست من قتلاك وقتلى صاحبك، وآني لأعرف بمنيتي ومقتلي منك بنفسك».

---

(١) حماليق جمع حملاق: باطن أجفان العين «مجمع البحرين ـ حملق ـ ٥/١٥٢».

(٢) بقل وجهه: أول ما نبتت لحيته. «لسان العرب ـ بقل ـ ١١/٦١».

(٣) البربرة: الصوت وكلام من الغضب. «لسان العرب ـ برر ـ ٤/٥٦».

ثم ضرب بيده إلى ترقوتي فنكسني عن فرسي، وجعل يسوقني إلى وحي الحارث بن كلدة فعمد إلى القطب الغليظ فمدّ عنقي بكلتا يديه ولواه في عنقي، ينفتل له كالعلك المسخن وأصحابي هؤلاء وقوف ما أغنوا عني سطوته، ولا كفوني شره، فلا جزاهم الله عني خيراً، فإنهم لمّا نظروا إلى بريق عينيه سجدوا فرقاً، وسالت جباههم عرقاً، وخمدت أرواحهم كأنما نظروا إلى ملك موتهم، فوالذي رفع السماء بغير أعمادها لقد إجتمع على فكّ هذا القطب مائة رجل ـ أو يزيدون ـ من أشداء العرب، فما قدروا على فكه، فدلني عجز الناس عن فتحه أنّه سحر منه، أو قوة ملك قد ركبت فيه، ففك هذا الآن عني إن كنت فاكه، وخذ لي منه بحقيإن كنت آخذه، وإلاّ لحقت بدار عزتي ومستقر كرامتي، فقد ألبسني ابن أبي طالب من العار صرت به ضحكة لأهل الديار.

فالتفت أبو بكر إلى عمر، وقال: أما ترى إلى ما يخرج من هذا الرجل ـ في كلام طويل ـ إلى أن دعوا قيس بن سعد بن عبادة، وقال لهم ما هو مشهور، فصبروا إلى ان وافوا واخوا أمير المؤمنين عليه السلام، فقاموا بأجمعهم إليه واستأذنوا عليه، فدخلوا ومعهم خالد فلما بصر إلى خالد قال:

«نعمت صباحاً يا أبا سليمان، نعم القلادة قلادتك» ـ في كلام طويل شرحه ـ

وتشفع أبو بكر فلم يجب إلى ذلك، إلى أن قام بريدة الأسلمي، وطارق بن شهاب، والأشجع بن حمدان العجلي[1] فقالوا:

يا أبا الحسن، والله ما لخالد وعنقه إلاّ من حمل باب خيبر بقوة يده، ودحا به وراء ظهره، وحمله حتى عبر الناس عليه.

وقام عمار بن ياسر رضي الله عنه وخاطبه أيضاً في جملة من سأله، فلم يجب أحداً، إلى أن قال أبو بكر:

---

(١) في ارشاد القلوب: عامر بن الأشجم، ولعله تصحيف الأشبح العبدي، انظر أسد الغابة: ٩٦/١.

سألتك بحق أخيك محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا ما رحمت خالداً، فككت عن عنقه هذا الحديد.

فلمّا سأله بحق أخيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استحيا، وكان كثير الحياء، فجذب خالداً إليه، فأدنه، وقبض على رأس الحديد وجعل يفتل منه شيئاً فشيئاً، فرمى به، كفتل أحدكم العلك المحمى بالنار، حتى أتى على آخره، فكبر الناس، وعجب من حضر من فعله، فقال لهم: «إنّ الله بكرمه وفضله سيشتت شملكم ويأخذ بحقي منكم، فبئس القوم أنتم»[١].

فتمثل عمار بن ياسر ببيتي شعر وهما:

يزاول[٢] سرحان[٣] مساواة ضيغم[٤] فضعضه إذ رام ذاك فهشما

وأهوى له إذ رام ما لا يناله إلى رأسه بالكف منه فحطما

مقارنة مع سليمان عليه السلام

﴿وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين * ففهمناها سليمان وكلا أتينا حكماً وعلماً وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين * وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون * ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين﴾[٥].

(١) المناقب لابن شهراشوب: ٢/ ٢٩٠، ارشاد القلوب: ٣٧٨، بأختلاف، الخرائج والجرائح: ٢/٧٥٧ بأختصار، اثبات الهداة: ٥٠٩.

(٢) يزاول: من المزواله وهي المحاولة والمعالجة. «لسان العرب ـ زول ـ ٣١٦».

(٣) السرحان: الذئب. «لسان العرب ـ سرح ـ ١٢/ ٤٨١».

(٤) الضيغم: الأسد. «لسان العرب ـ ضيغم ـ ١٢/ ٣٥٧».

(٥) الأنبياء: ٧٨-٨١.

إنّ الله سبحانه وتعالى أعطى سليمانعليه السلام آيات باهرة وقد ذكر في كتابه العزيز منها أنّه أعطاه الحكمة صبياً، فسخر له الريح وعلمه منطق الطير، وسخر له الجن والسباع والطير، وأسال له عين القطر.

ومن جملة ما أعطاه الله تعالى تسخير الرياح وهو ما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر﴾[1].

وإنّ سليمانعليه السلام لمّا أراد أن يركب الريح، أمر بفرش البساط ففرش بساطه، ووضع عليه سريره، ووضع الكراسي حول السرير وجلس وزراؤه وقواده على الكراسي حول السرير، وجلس هو فوق البساط، وأمر الريح بأن تحمل البساط، وتحمل ما فوقه وتسير غدوة مسيرة شهر، وترجع رواحاً مثله.

وإن الله تعالى أعطى الإمام عليّ بن أبي طالبعليه السلام ما يشابه ويضاهي ذلك وهو ما حدّث به معمر، عن الزهريّ، عن قتادة، عن أنس، قال: كنا جلوساً في المسجد عند النبيصلى الله عليه وآله وسلم، وقد كان أهدي إليه بساط فقال لي:

«ادع عليّ بن أبي طالبعليه السلام فدعوته، ثم أمرني أن أدعو أبا بكر وعمر وجميع أصحابه، فدعوتهم كما أمرني نبي اللهصلى الله عليه وآله وسلم وأمرني أن أبسط البساط فبسطته، ثم أقبل على عليّعليه السلام فأمره بالجلوس على البساط، وأمر أبا بكر وعمر وعثمان بالجلوس مع أمير المؤمنينعليه السلام، فجلست مع من جلس فلما استقر بنا المجلس أقبلصلى الله عليه وآله وسلم على عليّعليه السلام وقال: «يا أبا الحسن قل: يا ريح الصبا إحمليني والله خليفتي عليك وهو حسبي ونعم الوكيل».

قال أنس: فنادى أمير المؤمنين عليّعليه السلام كما أمره النبيصلى الله عليه وآله وسلم، فو الذي بعث محمد بالحق نبيا ما كان إلا هنيهة حتى صرنا في الهواء، ثم نادى: «يا ريح الصبا،

(١) سبأ: ١٢.

ضعيني» فإذا نحن في الأرض، فأقبل عليّ علينا وقال: «يا معشر الناس، أتدرون أين أنتم؟ وبمن قد حللتم؟» فقلنا: لا.

فقال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «أنتم عند أصحاب الكهف والرقيم الذين ﴿كانوا من آياتنا عجبا﴾[1] فمن أحب أن يسّلم على القوم فليقم».

فأول من قام أبو بكر فسلم على القوم فلم يرّدوا عليه جواباً ثم قام عمر وسلم عليهم، فلم يرُدوا عليه جواباً، فلم يزالوا يقومون واحداً واحداً بعد واحد، ويسلمون ولم يردوا عليهم جواباً،إلى أن قام أمير المؤمنين عليه السلام ، فنادى: «السلام عليكم أيتها الفتية، فتية أصحاب الكهف والرقيم، الذين ﴿كانوا من آياتنا عجبا﴾» فقالوا: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته أيها الإمام وابن عم سيد الأنام محمّد صلى الله عليه وآله وسلم .

فلما سمع القوم كلامهم لأمير المؤمنين عليه السلام ، قالوا يا أبا الحسن، بحق ابن عمك محمد صلى الله عليه وآله وسلم سل القوم ما بالهم سلّمنا عليهم فلم يردوا علينا الجواب.

فقال عليه السلام : «أيتها الفتية، ما بالكم لم تردّوا السلام على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟»

فقالوا: يا أبا الحسن، قد أمرنا أن لا نسلم إلا على نبيّ أووصي نبيّ، وأنت خير الوصيّن، وابن عم خير النبيين وأنت أبو الأئمة المهديّن، وزوج فاطمة سيدة نساء العالمين من الأولين والأخرين، وقائد الغر المحجلين إلى جنات النعيم.

فلما استتم القوم كلامهم أمرنا بالجلوس على البساط، ثم نادى: «يا ريح الصبا، احمليني» فإذا نحن في الهواء، ثم نادى: «يا ريح الصبا ضعيني» فإذا نحن في الأرض.

قال: فوتر الأرض برجله، فإذا نحنّ بعين ماء، فقال:

---

(١) تضمن من سورة الكهف: ٩.

«يا معاشر الناس، توضوأ للصلاة، فإنكم تدركون صلاة الفجر مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم».

قال: فتوضأنا، ثم أمرنا بالجلوس على البساط فجلسنا ثم قال: «يا ريح الصبا احمليني» فإذا نحن في الهواء ثم نادى: «يا ريح الصبا ضعيني» فاذا نحن في الأرض في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد صلى ركعة واحدة، فصلينا معه ما بقي من الصلاة، وما فات بعده، وسلمنا على النبيّ عليه السلام، فأقبل بوجهه الكريم علينا وقال:

«يا أنس، أتحدثني أم أحدثك؟» فقلت الحديث منك أحسن، فحدثني حتى كأنّه كان معنا[1].

وقد نظم هذا المعنى بعض الشعراء:

من هو فوق البساط تحمله الر ... يح إلى الكهف والرقيمين

فعاين الفتية الكرام بها ... وكلبهم باسط الذراعين

فقال قوماً فسلّما سترى ... مني ومن أمرهم عجيبين

فسلما فلم يجبهما أحد ... ولم يكونا هما رشيدين

فسلّم المرتض فقيل له ... لبيك لبيك دُون هذين

مساواته عليه السلام مع داود عليه السلام

أما مساواته[2] مع نبي الله داود وسليمان وطالوت فهذا مما ورد في القرآن

(١) الطرائف: ٨٣ ح ١١٦، الخرائج والجرائح ١/ ٢١٠ بأختصار سعد السعود: ١١٣، مناقب ابن المغازلي: ٢٣٢ ح ٢٨٠، العمدة لابن بطريق: ٣٧٢ ح ٧٣٢، احقاق الحق: ٤/ ١٢٥، عيون المعجزات: ١٤، اثبات الهداة: ٢/ ٤١٩ ح ٥٩ بأختصار.

(٢) راجع مساواته عليه السلام مع أكثر الأنبياء البحار: ٣٩/ ٣١-٦٢.

الكريم حيث يقول الله تعالى: ﴿**يا داود إنّا جعلناك خليفةً في الأرض**﴾[١]، وعليّ عليه السلام: «من لم يقل إنّي رابع الخلفاء»[٢] الخبر؛ وقال: ﴿**وقتل داود جالوت**﴾[٣] وقتل عليّ عليه السلام عمرو ومرحباً؛ وكان له حجر فيه سبب قتل جالوت، ولعليّ عليه السلام سيف يدمر الكفّار؛ وقال لداود: ﴿**بقيّة ممّا ترك آل موسى وآل هارون**﴾[٤]، ولعليّ عليه السلام وولده ﴿**بقيّة الله خيرٌ لكم**﴾[٥] وبقيّة الله خير من بقيّة موسى؛ ولداود سلسلة الحكومة، وعليّ عليه السلام فلاّق الأغلاق[٦] أقضاكم عليٌّ؛ وقال لداود: «الحمد لله الّذي فضّلنا على العالمين»[٧] وهذا دعوى وقال الله لعليّ ﴿**فضّل الله المجاهدين**﴾[٨] وهذا دليل؛ وقال الله لداود: ﴿**والطير محشورة كل له أوّاب**﴾[٩]، وقوله: ﴿**يا جبال أوّبي معه**﴾[١٠] وكان عليٌّ عليه السلام يسبّح بالحصى ويسبّحن معه. وقال الله لداود: ﴿**عُلّمنا منطق الطير**﴾[١١]، وكان لعليّ عليه السلام صوت يميت الشجعان وتكلّمه الطير في الهواء. وقال لداود: ﴿**وآتيناه الحكمة وفصل**

---

(١) ص: ٢٦.

(٢) يعني رابع خليفة ذكر في القرآن لا بكونه رابع خليفة في زمن الخلفاء الغاصبين للخلافة.

(٣) البقرة: ٢٥١.

(٤) البقرة ٢٤٨.

(٥) هود: ٨٦.

(٦) فلق الشيء: شقه. والإغلاق جمع الغلق: المشكل وما يصعب فهمه.

(٧) ليست الآية كذلك وهي ﴿**الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين**﴾ راجع سورة النحل: ١٥.

(٨) النساء: ٩٥.

(٩) ص: ١٩.

(١٠) سبأ: ١٠.

(١١) النمل: ١٦.

الخطاب﴾[١]، وقال لعليّ عليه السلام: **﴿قل كفى بالله شيهداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾**[٢]، وقال: **﴿واذكر عبدنا داود ذا الأيد﴾**[٣] وقال في علي عليه السلام: **﴿هو الّذي أيّدك بنصره وبالمؤمنين﴾**[٤]، وداود خطيب الأنبياء وعليّ عليه السلام أوتي فصل الخطاب؛ وقال: **﴿فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت﴾**[٥]، وعليّ عليه السلام هزم جنود الكفر والبغي.

كان داود سيف طالوت حتّى ... هزم الخيل واستباح العديّا[٦]

وعليّ سيف النبيّ يسلّع[٧] ... يوم أهوى بعمرو المشرفيّا

فتولّى الأحزاب عنه وخلّوا ... كبشهم ساقطاً يخال كريّا[٨]

أنبأ الوحي أنّ داود قد عـ ... ـان بكفّيه صانعاً هالكيّا[٩]

وعليّ من كسب كفّيه قد أعـ ... ـتق ألفاً بذاك وكان جزيّا

وقال داود: **﴿انّ الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنّى يكون له الملك علينا ونحن أحقّ بالملك منه ولم يُؤت سعةً من المال﴾**[١٠]، ولمّا أقام النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) ص: ٢٠.

(٢) الرعد: ٤٣.

(٣) ص: ١٧.

(٤) الأنفال: ٦٢.

(٥) البقرة: ٢٥١.

(٦) العديّ: جماعة القوم يعدون للقتال.

(٧) سلع الرأس: شقه.

(٨) الكبش: سيد القوم. الكريّ: الناعس.

(٩) الهالكي: الحداد.

(١٠) البقرة: ٢٤٧.

علياً عليه السلام مقامه قالوا نحن[١] فقال النبيّ: عليّ مع الحقّ؛ وقال في طالوت: **﴿إنّ الله أصطفاه عليكم﴾**[٢]، وقال في عليّ عليه السلام: **﴿وآل عمران على العالمين﴾**[٣]، وقال في طالوت **﴿والله يؤتي ملكه من يشاء﴾**[٤]، وقال لعليّ عليه السلام: **﴿وربّك يخلق ما يشاء ويختار﴾**[٥]، وقال في طالوت: **﴿وزاده بسطةً في العلم والجسم﴾**[٦]، وكان عليّ عليه السلام أعلم الأمّة وأشجعهم، وعطش بنو أسرائيل في غزاة جالوت فقال طالوت: **﴿إنّ الله مبتليكم بنهر﴾**[٧]، وهو نهر فلسطين **﴿فمن شرب منه فليس منّي فشربوا منه إلاّ قليلاً منهم﴾**[٨]، وكانوا أربعمائة رجل وقيل: ثلاثمائة وثلاثة عشر من جملة ثلاثين ألفاً، فقال[٩] لم تطيعوني في شربة ماء فيكف تطيعوني في الحرب؟ فخلّفهم، وعليّ عليه السلام أتوه فقالوا: أمدد يدك نبايعك فقال: «**إن كنتم صادقين فاغدوا عليّ غداً محلقين**» الخبر؛ قصد جالوت إلى قلع بيت داود فقتل داود جالوت واستقرّ الملك عليه، وطلب أعداء عليّ عليه السلام قهره فقتلهم أو ماتوا قبله وبقيت الإمامة له ولأولاده **﴿يريدون ليطفئوا نور الله﴾**[١٠].

سليمان عليه السلام سأل خاتم الملك **﴿هب لي ملكاً﴾**[١١]، وعلي عليه السلام أعطى خاتم

---

(١) أي قالوا: ﴿نحن أحق بالملك منه﴾

(٢) البقرة: ٢٤٧.

(٣) آل عمران: ٣٣.

(٤) البقرة: ٢٤٧.

(٥) القصص: ٦٨.

(٦) البقرة ٢٤٧.

(٧) البقرة: ٢٤٩.

(٨) البقرة: ٢٤٩.

(٩) الاصح: فقال لهم.

(١٠) الصف: ٨.

(١١) ص: ٣٥.

الملك ﴿يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾[١]، واليد العلياً خير من اليد السّفلى، فكان سليمان سائلاً وعليٌّ عليه السلام معطياً؛ سليمان قال: ﴿هب لي ملكاً﴾[٢]، وعلي عليه السلام قال: ياصفراء يا بيضاء غرّي غيري؛ سليمان سأل ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأعطي وكان فانياً وأعطي عليٌّ عليه السلام ملكاً باقياً بلا سؤال ﴿نعيماً وملكاً كبيراً﴾[٣]، سليمان لمّا سأل الملك أعطي ﴿غدوّها شهر ورواحها شهر﴾[٤]، وحبا المرتضى خاتم الملك فأعطي السيّادة في الدّنيا ﴿إنّما وليّكم الله﴾[٥] الآية، والملك في العقبى ﴿وإذا رأيت ثم رأيت﴾[٦]، وقال عن سليمان: ﴿عُلّمنا منطق الطير﴾[٧] كما أخبر عن الهدهد وعن النملة، وروى جابر لعليّ عليه السلام أنّه قال للطير: أحسنت أيها الطير؛ وقال لسليمان: ﴿إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد﴾[٨]، وكانت من غنيمة دمشق ألف فرس، فلمّا رآه الله[٩] تعالى فاتت صلاته ردّ الشّمس عليه فصلّى إذاً، وقد ردّت الشمس لعليّ عليه السلام غير مرّة؛ وقال لسليمان: ﴿فسخّرنا له الرّيح﴾[١٠] وعليٌّ قلّب الرّياح[١١] في بئر ذات العلم وأطاعته وقت خروجه إلى أصحاب الكهف؛ وقال في سليمان: ﴿وحُشر لسليمان جنوده من الجنّ والإنس

---

(١) المائدة: ٥٥.

(٢) ص: ٣٥.

(٣) الإنسان: ٢٠.

(٤) سبأ: ١٢.

(٥) المائدة: ٥٥.

(٦) الإنسان: ٢٠

(٧) النمل: ١٦.

(٨) ص: ٣١.

(٩) والأصح: فلما رأى الله.

(١٠) ص: ٣٦.

(١١) والأصح: الريح.

والطير﴾[١]، وسخّر عليٌّ عليه السلام الجنّ والانس بسيفه وقال له رسول الجنّ: «لو أنّ الإنس أحبوك كحبّنا» الخبر؛ وقال سليمان: **﴿عُلّمنا منطق الطير﴾**[٢] قال في عليّ عليه السلام: **﴿وكلّ شيء أحصيناه في إمام مبين﴾**[٣]، وأضاف النّاس سليمان وعجز عن ضيافتهم وعليّ عليه السلام قد وقعت ضيافته موقع القبول: **﴿ويطعمون الطعام على حبّه﴾**[٤]، وتزوّج سليمان من بلقيس بالعنف وزوّج الله عليّاً من فاطمة باللطف؛ وقال سليمان: **﴿ومن يزغ منهم عن أمرنا﴾**[٥] الآية، وقال في عليّ عليه السلام: **﴿ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله﴾**[٦]الآية، وقال في سليمان: **﴿ففهّمناها سليمان﴾**[٧] فكان يحكم بالغرائب وفي عليّ عليه السلام: **﴿فاسألوا أهل الذّكر﴾**[٨].

مقارنة مع عيسى عليه السلام

قال الله تعالى: **﴿إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلاً وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بأذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بأذني وتبرىء الأكمه والأبرص بأذني وإذ تخرج الموتى بإذني﴾**[٩].

---

(١) النمل: ١٧.

(٢) النمل: ١٦.

(٣) يس: ١٢.

(٤) الانسان: ٨.

(٥) سبأ: ١٢.

(٦) المائدة: ٥.

(٧) الأنبياء: ٧٩.

(٨) النحل: ٤٣. الأنبياء: ٧.

(٩) المائدة: ١١٠.

وقال الله تعالى: ﴿**ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وأخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين**﴾(١).

وقال الله تعالى في حق أمه وهو في بطنها: ﴿**وهزّي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً**﴾(٢).

وقال الله تعالى: ﴿**كلمّا دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب**﴾(٣).

هذه أحوال عيسى عليه السلام القرآنية وما أعطاه الله تبارك وتعالى ولأمه من الكرامات والمقامات، فأمه مريم عليها السلام كفلها زكريا، وضمها إليه، وجلست هي في محرابها تعبد الله عز وجل ويأتيها رزقها بكرة وعشيا.

ما أعطي الإمام عليّ عليه السلام

وقد أعطى الله تبارك وتعالى لأم أمير المؤمنين عليهما السلام ما يضاهي ذلك ويوازيه وهو ما رواه سعيد بن جبير قال: قال يزيد بن قعنب: كنت جالساً مع العباس بن عبد المطلب وفريق من بني عبد العزى بإزاء بيت الله الحرام إذ أقبلت فاطمة بنت أسد عليها السلام ـ أمُ أمير المؤمنين عليه السلام ـ وكانت حاملة لتسعة أشهر وقد أخذها الطلق، فقال: ربّ إنّي مؤمنة بك، وبما جاء من عندك من رسل وكتب وإنّي مصّدقة بكلام جدي إبراهيم الخليل عليه السلام، وأنه بنى البيت العتيق، فبحق الذي بنى هذا البيت العتيق وبحق المولود الذي في بطني لما يسرت عليّ ولادتي.

قال يزيد بن قعنب: فرأينا البيت قد انفتح عن ظهر ودخلت فاطمة فيه، وغابت

---

(١) المائدة: ١١٤.

(٢) مريم: ٢٥.

(٣) آل عمران: ٣٧.

عن أبصارنا، والتصق الحائط، فأرمنا أن ينفتح لنا قفل الباب فلم ينفتح، فعلمنا أن ذلك أمر من الله تعالى، ثم خرجت بعد الرابع، وبيدها عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه، ثم قالت: إني فضلت على من تقدمني من النساء، لأن آسية بنت مزاحم امرأة فرعون عبدت الله سراً في موضع لا يحب أن يعبد الله فيه إلا إضطراراً، وإنّ مريم بنت عمران هزت النخلة اليابسة بيدها حتى أكلت منها رطباً جنياً، وإني دخلت بيت الله الحرام، وأكلت من ثمار الجنة وأرزاقها، فلما أردت أن أخرج هتف بي هاتف: يا فاطمة سميه عليّاً وهو عليّ. والله تعالى العلي الأعلى، يقول: إني شققت اسمه من إسمي، وأدبته بأدبي، ووقفته على غوامض علمي، وهو الّذي يؤذن فوق ظهر بيتي، ويقدسني، ويمجدني فطوبا لمن أحبه وأطاعه وويل لمن أبغضه وعصاه[1].

أمّا ما كان من عيسى عليه السلام في أحياء الموتى ويبرىء الأكمه والأبرص، فقد أعطى الله تعالى لأمير المؤمنين مثل ذلك وهو ما رواه عمر بن أذينة، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**دخل الأشتر على عليّ صلوات الله عليه فسلم فأجابه، ثم قال: ما أدخلك عليّ في هذه الساعة؟**

قال: حبك يا أمير المؤمنين.

قال: فهل رأيت ببابي أحداً؟ قال: نعم، أربعة نفر. فخرج والأشتر معه، فإذا بالباب أكمه[2]، ومكفوف، وأبرص، ومقعد، فقال: ما تصنعون هاهنا؟ قالوا: جئناك لما بنا، فرجع ففتح حُقاً له، فأخرج رقاً أبيض، فيه كتاب أبيض، فقرأ عليهم، فقاموا كلهم من غير علة»[3].

---

(١) علل الشرائع: ١٣٥، أمالي الصدوق: ١١٤ ح ٩، معاني الأخبار: ٦٢، بشارة المصطفى: ٨، روضة الواعظين: ٧٦، كشف اليقين: ٦، الخرائج والجرائح: ١/١٧١، كشف الغمة: ١/٦٢، اثبات الهداة: ٢/٤٢٩.

(٢) الأكمه: المولود أعمى «مجمع البحرين ـ كمه ـ ٦/ ٣٦٠».

(٣) الخرائج والجرائح: ١/١٩٦.

وروى عبد الواحد بن زيد، قال: حججت، فرأيت عند الكعبة جاريتين تقول إحداهما للأخرى: لا وحق المنتجب للوصية، الحاكم بالسوية، العادل في القضية، بعل فاطمة المرضية، ما فعلت كذا وكذا.

فقلت لها: أيتها الجارية، ومن الذي تصفينه بهذه الصفة؟ قالت: ذلك والله علم الأعلام، وباب الأحكام، رباني الأمة ورئيس الأئمة: عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

فقلت لها: وأنت تعرفينه؟! قالت: كيف لا أعرف؟!

وقد قُتل أبي وابن عمي ـ وذكرت جماعة من عشيرتها ـ بين يديه، ولقد دخل ذات يوم على والدتي فسلّم، وقال: «يا أمّ الأيتام، كيف أنت؟»

فقالت أمّي: يا أمير المؤمنين، كيف حال من فقدت قيمها، وهي ممتحنة بأولادها، وأخرجتني وبي جدري، وقد ذهبت عيناي، فلّما نظر إليّ توجع، ومسح بيده على عيني، فردهما الله عليّ في الحال، وإني لأنظر ببركته في الليلة الظلماء إلى الجمل الشارد.

قال عبد الواحد: فعمدت إلى نفقتي وحللت ديناراً فأعطيتها، فرمت به إليّ، وقالت: أتحقر محبّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام؟! ثم تولت وأنشأت تقول، هذه الأبيات:

ما بث حبّ عليّ في جنان فتى ... إلا وقد شهدت بالنعمة النعم

ولاله قدم زلّ الزمان بها ... إلا وقد ثبتت من بعدها قدم

ما سرّني أن أكن من غير شيعة ... لو أنّ لي ما حوته العرب والعجم

ثم قالت: نحن والله اليوم في عيال أكرم خلق من أفضل سلف نحن في عيال أبي محمّد الحسن صلوات الله عليه[1]، وأعجب ما ذكرنا من هذا كله في قضية أحياء الموتى للإمام أمير المؤمنين هو ما روّاه عبد الرحمن بن كثير الهاشمي، مولى أبي

(١) الخرائج والجرائح: ٢/٥٤٣ ح ٥، بشارة المصطفى: ٧١، مناقب ابن شهراشوب: ٢/٣٣٤، أربعين منتجب الدين: ٧٥ح ١.

جعفر ـ عن أبي عبد الله عليه السلام ـ قال: «خرج أمير المؤمنين عليه السلام بالناس يريد صفين حتى عبر الفرات وكان قريباً من الجبل بصفين إذ حضرت صلاة المغرب، فأمر بالنزول فنزلوا، ثم توضأ وأذّن، ولمّا فرغ، من الآذّان إنفلق الجبل عن هامة بيضاء، بلحية بيضاء، ووجه أبيض، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، مرحباً بوصي خاتم النبيين، وقائد الغر المحجلين والعالم المؤمن، والفاضل الفائق ميراث الصديقين، وسيد الوصيين»، فقال: «وعليك السلام يا أخي شمعون بن حمون وصي عيسى بن مريم ـ روح الله ـ كيف حالك؟!».

قال: بخير رحمك الله، وأنا منتظر روح الله ينزل، ولا أعلم أحداً أعظم بلاءً في الله، ولا أحسن غداً ثواباً ولا أرفع مكاناً منك، أصبر ياأخي على ما أنت فيه حتى تلقى الحبيب غداً، وقد رأيت أصحابك بالأمس ما لقوا من بني إسرائيل، نشروهم بالمناشير، وحملوهم على الخشب فلو تعلم هذه الوجوه (المارقة المفارقة لك) ما أعدَّ لهم من عذاب ربّك وسوء نكاله لم يقروا، ولم تعلم هذه الوجوه المبيضة ما أعد الله لهم من الثواب الجزيل تمنت لو أنها قرضت بالمقاريض، والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

ثم التأم الجبل، وخرج أمير المؤمنين عليه السلام إلى قتال القوم، فسأله عمار بن ياسر، وابن عباس، ومالك الأشتر، وهشام بن عتبة، وأبو أيّوب الأنصاري، قيس بن سعد وعمرو بن الحمق، وعبادة بن الصامت، وأبو هيثم بن التيهان رضي الله عنهم عن الرجل، فأخبرهم أنه شمعون بن حمون وصي عيسى عليه السلام ، (وكانوا قد) سمعوا منه كلامه فازدادوا بصيرة، فقال له عبادة بن الصامت وأبو أيوب الأنصاري لا يهلعن قلبك يا أمير المؤمنين، بآيائنا وامّهاتنا نفديك فو الله لننصرنك نصرة أخيك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا نتخلف عنك من المهاجرين والأنصار إلاشقي فقال: لهما معروفاً وذكرهما بخير[1].

(١) بصائر الدرجات: ٢٦٩ ح ١٦، أمالي المفيد: ١٠٤ ح ٥، الخرائج والجرائح: ٧٤٣/٢ ح ٦٢، مناقب ابن شهر اشوب: ٢٤٦/٢.

ونكتفي بخبر آخر عن أحياء الموتى وتكليم الإمام عليّ عليه السلام لهم، ليثبت لأصحابه ومن يأتي من بعده أنه ما اعطاه الله تبارك وتعالى هذه الكرامات والمنزلة العظيمة إلا لقربه منه تعالى وفنائه في ذات الله تعالى، وهذا المأثور الذي ورد هو ما رواه محمّد بن أبي عمير عن حنان بن سدير عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«لما صلى أمير المؤمنين عليه السلام صلاة الظهر بأرض بابل التفت إلى جمجمة ملقاة، وكلمها، وقال:

«أيتها الجمجمة، من أنت؟» فقالت أنا فلان بن فلان، ملك بلد فلان.

قال عليّ عليه السلام: «أنا أمير المؤمنين فقصي عليّ الخبر وما كنت وما كان في عمرك» فأقبلت الجمجة وقصت خبرها وما كان في عصرها من خير وشر»[١].

وقيل: مسجد الجمجمة معروف بأرض بابل، وقد بنى مسجد على الموضع الذي تكلمت فيه الجمجمة، ولعله لم يبق منه أثراً إلى هذا اليوم.

مساواته عليه السلام مع عيسى عليه السلام قرآنيا

خلقه الله روحانيّاً: ﴿**فنفخنا فيه من روحنا**﴾[٢]، وخلق علياً عليه السلام من نور؛ وعيسى خرجت أمّه وقت الولادة من المسجد ﴿**فانتبذت به مكاناً قصياً**﴾[٣]، ودخلت أمّ عليّ في الكعبة وقت ولادته؛ وعيسى قرأ التوراة والإنجيل في بطن أمّه حتى سمعته أمّه، وكان عليّ عليه السلام يتكلّم في بطن أمّه وتخرّ له الأصنام؛ وقال عيسى في مهده: ﴿**إنّي عبد الله آتاني الكتاب**﴾[٤]، وعليّ عليه السلام آمن في صغره؛ وقال

---

(١) علل الشرائع: ٣٥١ ح ١، مناقب شهر اثوب: ٢/٣٣٦.

(٢) التحريم: ١٢.

(٣) مريم: ٢٢.

(٤) مريم: ٣٠.

عيسى: ﴿**وجعلني مباركاً أين ما كنت**﴾[1]، وعليّ عليه السلام سمّته ظئرة ميموناً ومباركاً؛ وقال: ﴿**أوصاني بالصلاة والزّكاة**﴾[2] وعليّ عليه السلام صلّى وزكى في حالة واحدة: ﴿**إنّما وليكم الله**﴾[3] الآية؛ وقال: ﴿**والسّلام عليَّ يوم ولدت**﴾[4]، وقال لعليّ عليه السلام: ﴿**سلام على آل ياسين**﴾[5]، وكانت أمّه بتولاً وزوجة عليّ عليه السلام بتول؛ عيسى قدّم الإقرار ليبطل من يدّعي فيه الربوبية، وكان الله تعالى قد أنطقه بذلك لعلمه بما يتقوّله الغالون فيه، وكذا حكم عليّ عليه السلام لما ولد في الكعبة شهد الشهادتّين ليتبرّأ من قول الغلاة فيه؛ وقال في عيسى: ﴿**ويكلّم النّاس في المهد**﴾[6]، وعليّ عليه السلام تكلم في صغره مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ وقال عيسى: ﴿**إنّي عبد الله**﴾[7]، هو أوّل من تكلّم بهذا وقال عليّ عليه السلام: **أنا عبد الله وأخو رسول الله** صلى الله عليه وآله؛ وأنزل الله عليه الوحي في ثلاثين سنة وكانت أمامة عليّ عليه السلام ثلاثين سنة؛ وقال عيسى: ﴿**ربّنا أنزل علينا مائدة**﴾[8]، ولعليّ عليه السلام أنزل موائد؛ ولعيسى: ﴿**يعلّمه الكتاب**﴾[9]، ولعليّ عليه السلام ﴿**ومن عنده علم الكتاب**﴾[10]، وخصّ عيسى بالخطّ حتّى قالوا: الخطّ عشرة أجزاء فتسعة لعيسى وجزء لجميع الخلق، ولعليّ كانت علوم الكتب والصحف؛ وقال لعيسى:

---

(١) مريم: ٣١.

(٢) مريم: ٣١.

(٣) المائدة: ٥٥.

(٤) مريم: ٣٣.

(٥) الصافات: ١٣٠.

(٦) آل عمران: ٤٦.

(٧) مريم: ٣٠.

(٨) المائدة: ١١٤.

(٩) آل عمران: ٤٨.

(١٠) الرعد: ٤٣.

﴿**وتبرىء الأكمه والأبرص**﴾[١]، وعليّ عليه السلام طبيب القلوب في الدّنيا وفي العقبى: ﴿**إلاّ من أتى الله بقلب سليم**﴾[٢]، وقال عيسى: ﴿**وأحيي الموتى بإذن الله**﴾[٣]، وعلي عليه السلام أحيا بإذن الله سام[٤] وأصحاب الكهف؛ وقال لعيسى: ﴿**بكلمة منه أسمه المسيح**﴾[٥]، ولعليّ عليه السلام ﴿**ويحقّ الله الحقّ بكلماته**﴾[٦]، ولعيسى: ﴿**وأوصاني بالصّلاة**﴾[٧]، ولعليّ عليه السلام ﴿**سيماهم في وجوههم**﴾[٨] وقال عيسى: ﴿**والزّكاة مادمت حيّاً**﴾[٩]، ولم تكن الزكاة عليه واجبة، ولعلي عليه السلام ﴿**إنّا وليّكم الله ورسوله**﴾[١٠] الآية، ولم تكن الزّكاة عليه واجبة. وقال عيسى: ﴿**ومبشّراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد**﴾[١١]، وعلي عليه السلام ناصره ووصيّه وختنه وابن عمّه وأخوه؛ وتكلّم الأموات مع عيسى وتكلّم مع عليّ عليه السلام جماعة من الموتى؛ وإنّ الله تعالى حفظه من اليهود، وقال: ﴿**وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه لهم**﴾[١٢]، وحفظ عليّاً عليه السلام على فراش الرسول [١٣] من المشركين ﴿**ومن النّاس من يشري**

---

(١) المائدة: ١١٠.

(٢) الشعراء: ٨٩.

(٣) آل عمران: ٤٩.

(٤) الأصح: ساماً.

(٥) آل عمران: ٤٥.

(٦) يونس: ٨٢.

(٧) مريم: ٣١.

(٨) الفتح: ٢٩.

(٩) مريم: ٣١.

(١٠) المائدة: ٥٥.

(١١) الصف: ٦.

(١٢) النساء: ١٥٧.

(١٣) الأصح: في فراس رسول الله.

نفسه﴾[١] وقال لعيسى: ﴿وأيّدناه بروح القدس﴾[٢]، وقال لمحمّد وعليّ عليه افض الصلاة والسلام؛ ﴿وأيّده بجنود لم تروها﴾[٣]، وعيسى ولد لستّة أشهر وعليّ عليه السلام ولده الحسين عليه السلام مثله؛ وسلّمته أمّه إلى المعلّم فقرأ التوراة عليه وقال عليّ عليه السلام: «لو ثنّيت لي الوسادة لحكمت أهل التوراة بتوارتهم والإنجيل بإنجيلهم...» الخبر؛ وأحيا الله الموتى بدعاء عيسى والقلب الميّت يحيا بذكر عليّ عليه السلام ﴿أومن كان ميتاً فأحييناه﴾[٤]، وقال له المعلّم: قل «أبجد» فقال: ما معناه؟ فزجره، فقال عيسى: أنا أفسّر لك تفسيره، وعليٌّ عليه السلام استكتب من بعض أهل الأنبار[٥] فوجده أكتب منه؛ وكان عيسى ينبىء الصبيان بالمدّخر في بيوتهم والصبيان يطالبون أمّهاتهم به، وعلي عليه السلام أخبر بالغيب كما تقدّم؛ وسلّمته أمّه مريم إلى صبّاغ فقال الصبّاغ: هذا للأحمر وهذا للأصفر وهذا للأسود، فجعلها عيسى في حبّ، فصرخ الصبّاغ، فقال: لا بأس أخرج منه كما تريد، فأخرج كما أراد، فقال الصبّاغ: أنا لا أصلح أن تكون تلميذي! وعليّ قد عجزت قريش عن أفعاله وأقواله؛ وكان عيسى زاهداً فقيراً، وسئل النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: من أزهد النّاس وأفقرهم؟ فقال: عليّ وصيّ وابن عمي وأخي وحيدري وكرّاري وصمصامي وأسدي وأسد الله؛ واختلفوا في عيسى: قالت اليعقوبيّة[٦]: هو الله! وقالت النسطوريّة[٧] هو ابن الله! وقالت الإسرائيلية: هو ثالث ثلاثة وقالت اليهود: هو كذّاب ساحر! وقالت المسلمون: هو

---

(١) البقرة: ٢٠٧.

(٢) البقرة: ٨٧ و ٢٥٣.

(٣) التوبة: ٤٠.

(٤) الأنعام: ١٢٢.

(٥) راجع المراصد ١ : ١٢٠.

(٦) هم أصحاب يعقوب البرذغاني وكان راهباً بالقسطنطينة.

(٧) هم أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون وتصرف في الاناجيل بحكم رأيه.

عبد الله كما قال عيسى: ﴿إنّي عبد الله﴾[1] واختلفت الأمة في أمير المؤمنين عليّ عليه السلام فقالت الغلاة: إنّه المعبود! وقالت الخوارج: إنّه كافر! وقالت المرجئة: إنّه المؤخّر وقالت الشيعة: إنّه المقدّم. وقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: يدخل من هذا الباب رجل أشبه الخلق بعيسى عليه السلام فدخل عليٌّ عليه السلام فضحكوا من هذا القول، فنزل: ﴿ولمّا ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدّون﴾[2] الآيات.

* مسند الموصليّ قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لعليّ عليه السلام: **فيك مثل من عيسى بن مريم، أبغضته اليهود حتّى بهتوا أمّه، وأحبته النّصارى حتّى أنزلوه بالمنزلة الّتي ليست له.**

وله من مراتب الرّوح عيسى رتب زادت الوصيّ مزيّا
مثل ما ضلّ في ابن مريم ضربـ ـان من المسرفين جهلاً وغيّاً

شباهته عليه السلام بذي القرنين

عن ابن نباتة قال: قام ابن الكوّاء إلى عليّ عليه السلام وهو على المنبر فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن ذي القرنين أنبيّاً أم ملكاً؟ وأخبرني عن قرنه أمن ذهب كان أم من فضّة؟ فقال له: **لم يكن نبيّاً ولا ملكاً ولم يكن قرناه من ذهب ولا من فضة، ولكن عبداً أحبّ الله فأحبّه الله، ونصح لله ونصحه الله، وإنّما سمّي ذا القرنين لأنّه دعا قومه إلى الله عز وجل فضربوه على قرنه فغاب عنهم حيناً ثمَّ عاد إليهم، فضرب على قرنه الآخر، وفيكم مثله**[3].

وعند الوقوف مع هذه الرواية نجد أن هناك قاسماً مشتركاً بين أمير المؤمنين

---

(١) مريم: ٣٠.

(٢) الاحزاب: ٥٧.

(٣) علل الشرائع: ٢٥، الإحتجاج: ١٢٢، كمال الدين: ٢٢٠.

عليّ بن أبي طالب عليه السلام وذو القرنين الذي حكى الله قصته في القرآن الكريم في بعض الموارد التي تكلم حول قصة يأجوج ومأجوج، حيث يقول: الله تعالى: **﴿ويسئلونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكراً * إنّا مكنّا له في الأرض وأتيناه من كل شيء سببا * فأتبع سببا * حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوماً قلنا يذا القرنين أما أن تعذب وأما أن تتخذ فيهم حُسنا * قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يُردُ إلى ربه فيعذبه عذاباً نكرى * وأما من أمن وعمل صالحاً فله جزاءً الحسنى وسنقول له من أمرنا يُسرا * ثم أتبع سببا * حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا كذلك وقد أحطنا بما لديه خُبرا * ثم أتبع سببا * حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً * قالوا يذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدين في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سدا * قال ما مكنّي فيه ربّي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً * ءاتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال ءاتوني أُفرغ عليه قطرا * فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا * قال هذا رحمة من ربى فإذا جاء وعد ربّي جعله دكاءَ وكان وعد ربّي حقا﴾**[1].

هذه قصة ذي القرنين كما ذكرها القرآن الكريم على الأختصار فمن أراد الوقوف على دقائق وتفصيل هذه القصة فليرجع إلى تفاسير القرآن الكريم وبالخصوص تفسير الميزان ليطلع على قضيته وقصته ودقائق الأمور فيها.

وعلى الأجمال فان هناك شبهاً عظيماً بين ذي القرنين وأمير المؤمنين عليّ عليه السلام، وخصوصاً عندما نستظهر دلالة الرواية المتقدمة نجد أن ذا القرنين لم يكن نبياً ولا ملكاً، وكذلك الحال مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام حيث لم يكن نبياً ولا ملكاً، وكذلك

(١) الكهف: ٨٣-٩٨.

نرى أن ذا القرنين لم يكن له قرنان كما يتصور البعض وهما من ذهب وفضة كلا؟

فأنه عبد من عبيد الله تعالى في الأرض يحب الله تعالى ويحبه الله تعالى وينصح لله تعالى ونصحه الله تعالى، وهذا عينه موجوداً عند ولي الله المطلق تسميته بذي القرنين لأنه دعا قومه إلى الله عز وجل دعوة حق وإيمان وتقوى فضربوه على قرنه فغاب عنهم حيناً ثم عاد فضرب على قرنه الآخر ضربة أخرى لذلك سمي بتلك التسمية، وعند ملاحظة تأريخ أمير المؤمنين نجده مثله في الأوصاف المذكور، لكونه عليه السلام دعا قومه إلى الإيمان بالله تعالى ورسوله فضربوه كما ورد في غزوة الخندق، والضربة الأخرى في مسجد الكوفة حيث كانت شهادته عليه السلام، لذا نجد سلام الله عليه يعبر عنه ـ اي ذو القرنين ـ إنّه فيكم مثّله ويقصد نفسه الشريفة.

أوجه الشبه

وعلى المشهور في الحديث أنّه عليه السلام ذو قرني هذه الأمة لعدة وجوه شبه بينهما نذكر المهم منها في المقام ونترك الباقي للباحث المتأمل في عرفان سيرة أمير المؤمنين عليه السلام، ومن جملة هذه الوجوه.

١ـ أنّه قد عاش قرنين متداخلين أحد هذين القرنين مع الرسول صلى الله عليه وآله، والأخر من بعده، ولكن هذا الوجه لا يحتمله المفهوم العرفي لأن الغيبة لم تتوسط بين هذين القرنين ولم يضرب بقرنه عنئذ.

٢ـ أنّه يشبهه في كونه عبداً صالحاً مؤيداً ملهماً بإلهام الله تعالى، مطاعاً للخلق بأذنه تعالى مع كونه غير نبيّ، وعليه تدل جملة من الأخبار في المقام، فيكون هذا الوجه من الشبهه مستحكماً لوجود العلة المقتضية لذلك، وهو كونه عليه السلام ليس نبياً ولا ملكاً.

٣ـ إنَّ وجه الشبه متعين في ضرب كل منهما على قرنيه، فهذا قومه ضربوه على رأسه مرتين وكذلك الحال في أمير المؤمنين عليه السلام.

٤ـ كونه سلام الله عليه صاحب القوتين العظيمتين في الدنيا والدين.

٥ـ أنَّه يشبهه في أنَّه دعاهم إلى ما فيه الخير والفلاح في الدنيا والآخرة، فضربوه على قرنه، وسيرجع إلى الدنيا، وينقاد له شرق الأرض وغربها.

٦ـ أنَّه خلق الله تعالى له طرفي الأرض: شرفها وغربها، وسيملكهما إياه وخلف له الجنّة، فهو قسيم النار والجنّة.

٧ـ وقال الجزريّ في النهاية:

فيه أنّه قال لعليّ عليه السلام «إنّ لك بيتاً في الجنة وإنّك ذو قرنيها» أي طرفي الجنّة وجانبيها، قال أبو عبيد: وأنا أحسب أنّه ذو قرني الأمّة فأضمر؛ وقيل أراد الحسن والحسين عليهما السلام وأرضاهما ومنه حديث عليّ عليه السلام وذكر قصّة ذي القرنين ثمّ قال: «وفيكم مثله» فترى أنّه إنّما عنى نفسه، لأنّه ضرب على رأسه ضربتين: إحداهما يوم الخندق والأخرى ضربة ابن ملجم لعنه الله، انتهى[1].

أقول: وفي رواية أخرى تفيد نفس المعنى إلا بأختلاف يسير وهو أنَّ لعلي كنزاً في الجنة، فيظهر من خلال ذلك فرقاً واضحاً، بين الروايتين، الرواية مروية عن أبي الطفيل عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال له:

«يا عليّ إنّ لك كنزاً في الجنّة وأنت ذو قرنيها».

قال الصّدوق رحمه الله: معنى قوله صلى الله عليه وآله: **«إنَّ لك كنزاً في الجنّة»** يعني مفتاح نعمها، وذلك أنَّ الكنز في المتعارف لا يكون إلاّ المال من ذهب أو فضة، ولا يكنز إلاّ خيفة

---

(١) النهاية: ٣/٢٤٧-٢٤٨.

الفقر، ولا يصلحان إلاّ للإنفاق أوقات الافتقار إليهما، ولا حاجة في الجنّة ولا فقر ولا فاقة، لأنّها دار السلام من جميع ذلك ومن الآفات كلّها، وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين وهذا الكنز هو المفتاح، وذلك أنّه عليه السلام قسيم النار الجنّة، وإنّما صار عليه السلام قسيم الجنّة والنار لأنَّ قسمة الجنّة والنّار إنّما هي على الإيمان والكفر، وقد قال له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «يا عليّ حبّك إيمان وبغضك نفاق وكفر»، فهو عليه السلام بهذا الوجه قسيم الجنّة والنّار، وقد سمعت بعض المشائخ يذكر أنَّ هذا الكنز هو ولده المحسن عليه السلام وهو السقط الّذي ألقته فاطمة عليها السلام لمّا ضغطت بين البابين، واحتجَّ على ذلك بما روي في السّقط أنّه يكون محنطئاً على باب الجنّة، فيقال له: ادخل الجنّة فيقول لا حتّى يدخل أبواي قبلي؛ وما روى أنَّ الله تعالى كفّل سارة وإبراهيم أولاد المؤمنين يغذونهم بشجر في الجنّة لها أظلاف كأظلاف البقرة، فإذا كان يوم القيامة ألبسوا وطيّبوا وأهدوا إلى آبائهم فهم في الجنّة ملوك مع آبائهم؛ وأمّا قوله صلى الله عليه وآله: «وأنت ذو قرنيها» فإنّ قرنيها الحسن والحسين عليهما السلام لما روي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ يزيّن بهما جنّته كما تزيّن المرأة بقرطيها؛ وفي خبر آخر: يزيّن الله بهما عرشه.

وفي وجه آخر معنى قوله صلى الله عليه وآله: «وأنت ذو قرنيها» أي إنّك صاحب قرني الدّنيا؛ وإنّك الحجّة على شرق الدّنيا وغربها، وصاحب الأمر فيها والنهي فيها، وكلّ ذي قرن في الشّاهد إذا أخذ بقرنه فقد أخذ به، وقد يعبّر عن الملك بالآخذ بالنّاصية كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿ما من دابّة إلاّ هو آخذ بناصيتها﴾[1]، ومعناه على هذا أنّه عليه السلام مالك حكم الدّنيا في إنصاف المظلومين والأخذ على أيدي الظّالمين، وفي إقامة الحدود إذا وجبت وتركها إذا لم تجب، وفي الحلّ والعقد وفي النّقض والابرام، وفي

(١) هود: ٥٦.

الحظر والإباحة، وفي الأخذ والإعطاء، وفي الحبس والإطلاق، وفي الترغيب والترهيب.

وفي وجه آخر معناه أنّه عليه السلام ذو قرني الأمّة كما كان ذو القرنين لأهل وقته، وذلك أنَّ ذا القرنين ضرب على قرنه الأيمن فغاب ثمَّ حضر، فضرب على قرنه الآخر، وتصديق ذلك قول الصادق عليه السلام:

«إنَّ ذا القرنين لم يكن نبيّاً ولا ملكاً وإنّما كان عبداً أحبَّ الله فأحبّه الله ونصح لله فنصحه الله وفيكم مثله» يعني بذلك أمير المؤمنين عليه السلام وهذه المعاني كلّها صحيحة يتناولها ظاهر قوله صلى الله عليه وآله:

«لك كنز في الجنّة وأنت ذو قرنيها»[١].

* وقال الرضي في مجازات الآثار النبوية عن رأس الأمّة:

إنَّ القرنين إنّما يكونان فيه، وهذا يدلّ على أنّه كان رأس أمّته ورئيس أسرته، يقال: أي كذي القرنين أي الإسكندر الرومي، ويدل أيضاً على سيادته لأنّه كان قد أخذ بأزمّة الملوك، وإن أراد اسم من نبيّ من الأنبياء فهو أفضل أهل زمانه، كما كان ذو القرنين في زمانه.

وقال ثعلب: كان وصفه ببلوغ غايات المثابين في الجنّة كأنه أخذ طرفي الجنّة. وقال ثعلب أيضاً: أي ذو جبليها يعني الحسن والحسين عليهما السلام؛ وقال: أي طرفي الأمّة أي أنت إمام في الابتداء والمهديّ ولدك إمام في الإنتهاء، ويجوز من قولهم: «عصرت الفرس قرناً أو قرنين» أي استخرجت عرقه بالجري مرّة أو مرّتين وكأنّه ذو اقتباس العلم الظاهر واستخراج العلم الباطن[٢].

(١) معاني الأخبار: ٢٠٥-٢٠٧.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ١/٥٦٩-٥٧٠.

في مساواته عليه السلام مع النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله [١]

اعلم ان للنبيّ صلى الله عليه وآله الكتاب ولعليّ عليه السلام السيّف والقلم، وللنبيّ معجزان عظيمان: كلام الله وسيف عليّ وللنبي صلى الله عليه وآله وسلم انشقاق القمر ولعليّ انشقاق النهروان، وأوجب الله على جميع الأنبياء الإقرار به: ﴿**وإذ أخذ الله ميثاق النبيّين**﴾[٢]، وقال في عليّ عليه السلام: ﴿**واسأل من أرسلنا**﴾[٣]، جعله الله إمام الأنبياء ليلة المعراج وجعل عليّاً إمام الأوصياء ليلة الفراش ويوم الغدير وغيرهما، ركب النبي صلى الله عليه وآله وسلم على البراق وركب عليّ عليه السلام على عاتق النبيّ. وقال فيه: ﴿**بالمؤمنين رؤوف رحيم**﴾[٤]، وقال في عليّ عليه السلام: ﴿**وجعلنا لهم لسان صدق عليّاً**﴾[٥]، وقال للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿**ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخر**﴾[٦]، وقال لعليّ عليه السلام: ﴿**فوقاهم الله شرّ ذلك اليوم**﴾[٧]، وأقسم بنبيه: ﴿**والضحى واللّيل إذا سجى**﴾[٨]، وأقسم بعليّ عليه السلام ﴿**والفجر وليال عشر**﴾[٩]، سمّاه ﴿والنجم إذا هوى﴾[١٠]، ولعليّ عليه السلام ﴿**وعلامات وبالنّجم هم يهتدون**﴾[١١]، وقال فيه ﴿أم يحسدون **النّاس**﴾[١٢]، وفي عليّ عليه السلام

---

(١) البحار: ٣٩/٥٣-٦١.

(٢) آل عمران: ٨١.

(٣) الزخرف: ٤٥.

(٤) التوبة: ١٢٨.

(٥) مريم: ٥٠.

(٦) الفتح: ٢.

(٧) الإنسان: ١١.

(٨) الضحى: ١-٢.

(٩) الفجر: ١-٢.

(١٠) النجم: ١.

(١١) النحل: ١٦.

(١٢) النساء: ٥٤.

﴿**ومن النّاس من يشري نفسه**﴾[١]، وقال فيه: ﴿**يعرفون نعمة الله ثمّ ينكرونها**﴾[٢]، وفي عليّ عليه السلام ﴿**وأتممت عليكم نعمتي**﴾[٣]، وقال فيه: ﴿**الله نور السماوات والأرض**﴾[٤]، وفي علي عليه السلام ﴿**يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم**﴾[٥]، وفيه: ﴿**وما أرسلناك إلاّ رحمة**﴾[٦]، وفي عليّ عليه السلام ﴿**قل بفضل الله وبرحمته**﴾[٧]، وقال فيه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿**ذكراً * رسولاً**﴾[٨] وفي عليّ عليه السلام: ﴿**وأنزلنا إليك الذّكر**﴾[٩]، وقال فيه: ﴿**على رجل منكم**﴾[١٠]، وفي عليّ عليه السلام: ﴿**رجال لا تلهيهم تجارة**﴾[١١]، وقال فيه: ﴿**ثمّ دنا فتدلّى**﴾[١٢]، وكان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يجد شبه عليّ عليه السلام في معراجه؛ وكانت علامة النبوّة بين كتفيه وعلامة الشجاعة في ساعديّ عليّ عليه السلام؛ نزلت الملائكة يوم بدر بنصرته: ﴿**يمددكم ربّكم**﴾[١٣]، وكان جبرائيل يقاتل عن يمين عليّ عليه السلام وميكائيل عن يساره وملك الموت من قدّامه؛ أرسله الله إلى النّاس كافّة وعليّ إمام الخلق كلّهم؛ كان النبيّ من أكرم العناصر: ﴿**الّذي يراك حين تقوم**

---

(١) البقرة: ٢٠٧.

(٢) النحل: ٨٣.

(٣) المائدة: ٣.

(٤) النور: ٣٥.

(٥) الصف: ٨.

(٦) الأنبياء: ١٠٧.

(٧) يونس: ٥٨.

(٨) الطلاق: ١٠-١١.

(٩) النحل: ٤٤.

(١٠) الأعراف: ٦٣و٦٩.

(١١) النور: ٣٧.

(١٢) النجم: ٨.

(١٣) آل عمران: ١٢٥.

وتقلّبك في السّاجدين﴾[١]، وعليّ عليه السلام منه: ﴿هو الّذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً﴾[٢] وقال فيه: ﴿ومنهم الّذين يؤذون النبيّ ويقولون هو أذن﴾[٣]، وقال لعليّ عليه السلام: ﴿وتعيها أذن واعية﴾[٤]، وقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «نصرت بالرّعب» وقال: «يا عليّ الرعب معك يقدّمك أينما كنت».

❊ عن سهل بن عبد الله، عن محمّد بن سوّار، عن مالك بن دينار، عن الحسن البصريّ، عن أنس في حديث طويل: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: أنا خاتم الأنبياء وأنت يا عليّ خاتم الأولياء.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: ختم محمّد ألف نبيّ وإنّي ختمت ألف وصي وإنّي كلّفت مالم يكلّفوا.

❊ عن ابن عباس: سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول: أعطاني الله خمساً وأعطى عليّاً خمساً: أعطاني جوامع الكلم وأعطى عليّ جوامع الكلام، وجعلني نبيّاً وجعله وصيّاً، وأعطاني الكوثر وأعطاه السّلسبيل، وأعطاني الوحي وأعطاه الإلهام، وأسري بي إليه وفتح له أبواب السّماوات والحجب.

❊ عن عبد الرّحمن الأنصاريّ: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أعطيت في عليّ تسعاً: ثلاثة في الدّنيا وثلاثة في الآخرة واثنتان أرجوهما له وواحدة أخافها عليه، فأما الثّلاثة التي في الدّنيا فساتر عورتي[٥]، والقائم بأمر أهلي، ووصيّي فيهم؛ وأمّا الثّلاثة الّتي في الآخرة فإنّي أعطي يوم القيامة لواء الحمد فأدفعه إلى عليّ بن أبي طالب فيحمله عني، وأعتمد عليه في مقام الشّفاعة، ويعينني على مفاتيح الجنّة؛ وأمّا اللّتان أرجوهما له فإنّه لا يرجع من بعدي ضالاً ولا كافراً؛ وأمّا التي أخافها فغدر قريش به من بعدي.

---

(١) الشعراء: ٢١٨-٢١٩.

(٢) الفرقان: ٥٤.

(٣) التوبة: ٦١.

(٤) الحاقة: ١٢.

(٥) يطلق على البنت فمعناه انه زوج بنتي فاطمة الزهراء عليها السلام. «السيّد العلوي»

في المساواة مع سائر الأنبياء عليهم السلام[١]

سمّى الله تعالى[٢] سبعة نفر ملكاً: ملك التدبير ليوسف ﴿**ربّ قد آتيتني من الملك**﴾[٣] وملك الحكم والنبوّة لإبراهيم: ﴿**فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً**﴾[٤]، وملك العزّة والقوّة لداود: ﴿**وشددنا ملكه**﴾[٥]، وقوله: ﴿**وألنا له الحديد**﴾[٦]، وملك الرئاسة لطالوت: ﴿**إنّ الله قد بعث لكم طالوت ملكاً**﴾[٧]، وملك الكنوز لذي القرنين: ﴿**إنّا مكّنّا له في الأرض**﴾[٨]، وملك الدّنيا لسليمان: ﴿**وهب لي ملكاً**﴾[٩]، وملك الآخرة لعليّ عليه السلام: ﴿**وإذا رأيت ثمّ رأيت نعيماً وملكاً كبيراً**﴾[١٠].

وقد سمّى الله تعالى ستّة نفر صدّيقين: ﴿**يوسف أيّها الصدّيق**﴾[١١]، ﴿**واذكر في الكتاب إدريس إنّه كان صدّيقاً**﴾[١٢]، ﴿**واذكر في الكتاب إبراهيم إنّه كان صدّيقاً**﴾[١٣]، ﴿**واذكر في الكتاب إسماعيل إنّه كان صادق الوعد**﴾[١٤]، ﴿**وأمّه**

---

(١) البحار: ٣٩/٥٤-٥٥.

(٢) الظاهر: أعطى الله تعالى.

(٣) يوسف: ١٠١.

(٤) النساء: ٥٤.

(٥) ص: ٢٠.

(٦) سبأ: ١٠.

(٧) البقرة: ٢٤٧.

(٨) الكهف: ٨٤.

(٩) ص: ٣٥.

(١٠) الإنسان: ٢٠.

(١١) يوسف: ٤٦.

(١٢) مريم: ٥٦.

(١٣) مريم: ٤١.

(١٤) مريم: ٥٤.

صدّيقة﴾[١]، يعني مريم ﴿والّذي جاء بالصدّق﴾[٢]، (يعني محمّد صلى الله عليه وآله وسلم) ﴿وصدّق به﴾[٣]، يعني عليّاً عليه السلام وكذلك قوله: ﴿والّذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون﴾[٤].

وإخوة يوسف عادوه فصاروا له منقادين، وأحبّه أبوه فبشّر به: ﴿فلمّا أن جاء البشير﴾[٥]، وعادى إدريس قومه فرفعه الله إليه، وإبراهيم عاداه نمرود فهلك، وأحبّته سارة فبشّرت: ﴿فبشّرناها بإسحاق﴾[٦]، وعادت اليهود مريم فلعنت، وأحبّها زكريّا فبشّر: ﴿يا زكريا إنّا نبشّرك﴾[٧]، وعادت النواصب عليّاً عليه السلام فلعنهم الله في الدّنيا والآخرة وأحبّته الشّيعة فبشّرهم بالجنّة: ﴿يبشّرهم ربّهم برحمة منه﴾[٨].

وخمسة نفر فارقوا قومهم في الله: قال نوح: ﴿يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي﴾[٩]، وقال هود حين قالوا:﴿إن نقول إلاّ اعتراك بعض آلهتنا بسوء﴾[١٠] ﴿إنّي أشهد الله﴾[١١]، وقال إبراهيم:﴿وأعتزلكم وما تدعون من دون الله﴾[١٢]

(١) المائدة: ٧٥.

(٢) الزمر: ٣٣.

(٣) الزمر: ٣٣.

(٤) الحديد: ١٩.

(٥) يوسف: ٩٦.

(٦) هود: ٧١.

(٧) مريم: ٧.

(٨) التوبة: ٢١.

(٩) يونس: ٧١.

(١٠) هود: ٥٤.

(١١) هود: ٥٤.

(١٢) مريم: ٤٨.

الآيات، وقال محمّد صلى الله عليه وآله وسلم: **﴿إنّي نهيت أن أعبد الّذين تدعون مـن دون الله﴾**[(١)] وقال عليّ عليه السلام **فأغضيت على القذى وشربت على الشجى وصبرت عـلى أخـذ الكظم وعلى أمر من العلقم**[(٢)].

وخمسة من الأنبياء وجدوا خمسة أشياء في المحراب: وجد سليمان ملك سنة بعد موته: **﴿ما دلّهم على موته إلاّ دابّة الأرض﴾**[(٣)]، ووجد داود العفو: **﴿فاستغفر ربّه وخرّ راكعاً وأناب﴾**[(٤)]، ووجدت مريم طعام الجـنّة: **﴿كلّما دخل عليها زكريّا المحراب وجد عندها رزقاً﴾**[(٥)]، ووجد زكريّا بشارة يحيى: **﴿فنادته الملائكة وهو قائم يـصلّي فـي المـحراب﴾**[(٦)]، ووجـد عـليّ عليه السلام الإمـامة: **﴿إنّـما وليّكـم الله ورسوله﴾**[(٧)] الآية.

وقد ساواه الله تعالى مع نوح في الشّكر: **﴿إنّه كان عـبداً شكـوراً﴾**[(٨)]، وقـال لعليّ عليه السلام: **﴿لانريد منكم جزاءً ولا شكوراً﴾**[(٩)]، وبالصبر مع أيوب: **﴿إنّا وجـدناه صابراً﴾**[(١٠)]، وفي عـليّ عليه السلام: **﴿وجزاهم بما صبروا﴾**[(١١)]، وبـالملك مـع سـليمان:

---

(١) الأنعام: ٥٦. المؤمن: ٦٦.

(٢) من نهج البلاغة (عبده ط مصر ١: ٤٦٤) كذا: فأغضيت على القذى، وجرعت ريقي على الشجى، وصبرت من كظم الغيظ على أمر من العلقم. والعلقم: الحنظل وكل شيء مرّ.

(٣) سبأ: ١٤.

(٤) ص: ٢٤.

(٥) آل عمران: ٣٧.

(٦) آل عمران: ٣٩.

(٧) المائدة: ٥٥.

(٨) الاسراء: ٣.

(٩) الإنسان: ٩.

(١٠) ص: ٤٤.

(١١) الانسان: ١٢.

﴿وهب لي ملكاً﴾[١]، وقال في عليّ عليه السلام: ﴿وملكاً كبيراً﴾[٢]، وبالبرّ مع يحيى: ﴿وبرّاً بوالديه﴾[٣]، وقال في عليّ عليه السلام: ﴿إنّ الأبرار يشربون﴾[٤]، وبالوفاء مع إبراهيم: ﴿وإبراهيم الّذي وفّى﴾[٥].

وقال في عليّ عليه السلام: ﴿يوفون بالنّذر﴾[٦]، وبالإخلاص مع موسى: ﴿إنّه كان مخلصاً﴾[٧]، وقال في عليّ عليه السلام: ﴿إنّما نطعمكم لوجه الله﴾[٨]، الآية وبالزكاة مع عيسى: ﴿وأوصاني بالصّلاة والزّكاة﴾[٩]، وقال في عليّ عليه السلام: ﴿إنّما وليّكم الله ورسوله﴾[١٠] الآية وبالأمن مع محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم: ﴿ليغفر لك الله﴾[١١]، وقال في عليّ عليه السلام: ﴿فوقاهم الله شرّ ذلك اليوم﴾[١٢]، وبالخوف مع الملائكة: ﴿يخافون ربّهم من فوقهم﴾[١٣]، وقال في عليّ عليه السلام: ﴿إنّا نخاف من ربّنا﴾[١٤]، وبالجود مع نفسه ﴿وهو يطعم ولا يطعم﴾[١٥]، وقال فيه: ﴿إنّما نطعمكم لوجه الله﴾[١٦].

---

(١) ص: ٣٥.

(٢) الإنسان: ٢٠.

(٣) مريم: ١٥.

(٤) الإنسان: ٥.

(٥) النجم: ٣٧.

(٦) الإنسان: ٧.

(٧) مريم: ٥١.

(٨) الإنسان: ٩.

(٩) مريم: ٣١.

(١٠) المائدة: ٥٥.

(١١) الفتح: ٢.

(١٢) الإنسان: ١٠.

(١٣) النحل: ٥٠.

(١٤) الإنسان: ١٠.

(١٥) الأنعام: ١٤.

(١٦) الإنسان: ٩.

※ وخمس فضائل في خمسة من الأنبياء وقد استجمع في عليّ عليه السلام كلّها ﴿**هل أتاك حديث ضيف إبراهيم**﴾[١]، ﴿**وكلّم الله موسى تكليماً**﴾[٢]، ﴿**ما هذا بشراً**﴾[٣] يعني يوسف ﴿**وكأيّن من نبيّ قاتل معه**﴾[٤]، يعني زكريّا ويحيى ﴿**فيستحيي منكم**﴾[٥] يعني محمّد صلى الله عليه وآله وقال في عليّ عليه السلام: ﴿**ويطعمون الطعام**﴾[٦] وقد كلّمه الجانّ والشّمس والأسد والذئب والطير: ﴿**وهو الّذي خلق من الماء بشراً**﴾[٧]، وكان يونس في بطن الحوت محبوساً: ﴿**فنادى في الظلمات**﴾[٨]، ويوسف في الجب مطروحاً: ﴿**فألقوه في غيابة الجبّ**﴾[٩]، وموسى في التابوت مقذوفاً: ﴿**فاقدفيه في اليمّ**﴾[١٠]، ونوح في السّفينة راكباً: ﴿**أن اصنع الفلك**﴾[١١]، وعلي عليه السلام في السقيفة مظلوماً ﴿**ألم * أحسب النّاس أن يتركوا**﴾[١٢]، فظفر الله جميعهم وأهلك عدوّهم.

أربعة أشياء يخافه كلّ حتّى الأنبياء: الشّيطان والحيّة والقتل والجوع، بيانه

---

(١) الذاريات: ٢٤.

(٢) النساء: ١٦٤.

(٣) يوسف: ٣١.

(٤) آل عمران: ١٤٦.

(٥) الأحزاب: ٥٣.

(٦) الإنسان: ٨.

(٧) الفرقان: ٥٤.

(٨) الأنبياء: ٨٧.

(٩) يوسف: ١١.

(١٠) طه: ٣٩.

(١١) المؤمنون: ٢٧.

(١٢) العنكبوت: ٢.

﴿وقل ربّ أعوذ بك من همزات الشّياطين﴾[١] ﴿فأوجس في نفسه خيفة﴾[٢] ﴿إنّي قتلت منهم نفساً﴾[٣] ﴿وقال لفتاه آتنا غداءنا﴾[٤]، وعليّ عليه السلام حارب الشيطان وكلّم الثعبان وقاتل الكفّار وأطعم المسكين واليتيم والأسير.

وقد وضع الله خمسة أنوار في خمسة مواضع فأثمرت خمسة أشياء: في عارض إبراهيم فأثمر الرّحمة، وفي وجه يوسف فأثمر المحبّة، وفي يد موسى فأثمر المعجز، وفي جبين محمّد صلى الله عليه وآله وسلم فأثمر الهيبة، قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «نصرت بالرعب» وفي ساعد عليّ عليه السلام فأثمر الإسلام: ﴿هو الّذي أيدك بنصره وبالمؤمنين﴾[٥].

* عن النطنزيّ في الخصائص قال: أخبرني أبو عليّ الحدّاد قال: حدّثني أبو نعيم الإصفهاني بإسناده عن الأشجّ قال: سمعت عليّ بن أبي طالب عليه السلام يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يا عليُّ إنّ اسمك في ديوان الأنبياء الّذين لم يوح إليهم.

وقال الله تعالى لسائر الأنبياء: ﴿إنّ الله اصطفى آدم ونوحاً﴾[٦] الآية ولعليّ عليه السلام خاصّة ﴿الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن النّاس﴾[٧]، وقال في قصة موسى: ﴿وكتبنا له في الألواح من كلّ شيء﴾[٨] و «من» للتبعيض وقال في قصّة

---

(١) المؤمنون: ٩٧.

(٢) طه: ٦٧.

(٣) القصص: ٣٣.

(٤) الكهف: ٦٢.

(٥) الانفال: ٦٢.

(٦) آل عمران: ٣٣.

(٧) الحج: ٧٥.

(٨) الأعراف: ١٤٥.

عيسى عليه السلام ﴿ولأبيّن لكم بعض الّذي تختلفون فيه﴾[١] بلفظة البعض، وقال في قصّة عليّ عليه السلام ﴿وكلّ شيء أحصيناه في إمام مبين﴾[٢]، وقال الله تعالى في حقّ الملائكة: ﴿يخافون ربّهم من فوقهم﴾[٣]، وفي حقّ عليّ عليه السلام ﴿إنّا نخاف من ربّنا﴾[٤].

سأل جبرائيل فحباه ﴿إنّما وليّكم الله﴾[٥]، وسأل ميكائيل الطعام فأعطاه ﴿ويطعمون الطعام على حبّه﴾[٦]، وسأل المصطفى الرّوح ففداه ﴿ومن النّاس من يشري نفسه ابتغاء﴾[٧]، وسأل الله السرَّ والعلانية فآتاه ﴿الّذين ينفقون أموالهم﴾[٨] الآية.

* عن فردوس الديلميّ عن جابر قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: **إنّ الله تعالى يباهي بعليّ بن أبي طالب عليه السلام كلّ يوم الملائكة المقرّبين حتى يقولون: بخّ بخّ لك يا عليّ.**

قال جبرائيل: أنا منكما يا محمّد، والنبيّ قال: ﴿أنفسنا وأنفسكم﴾[٩] وقال جبرائيل: ﴿وما منّا إلاّ له مقام معلوم﴾[١٠] ومقام عليّ عليه السلام أشرف، وهو منكب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم. وجبرائيل جاوز بلحظة واحدة سبع سماوات وسبع حجب حتّى وصل

(١) الزخرف: ٦٣.
(٢) يس: ١٢.
(٣) النحل: ٥٠.
(٤) الإنسان: ١٠.
(٥) المائدة: ٥٥.
(٦) الأنسان: ٨.
(٧) البقرة: ٢٠٧.
(٨) البقرة: ٢٧٤.
(٩) سورة آل عمران: ٦١.
(١٠) سورة الصافات: ١٦٤.

إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من عند العرش ما كان لم يقطع في خمسين ألف سنة، وعليّ عليه السلام رآه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في معراجه في أعلى مكان؛ وعليّ عليه السلام في المكانة والأمانة عند النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كجبرائيل وميكائيل في المكانة والأمانة عند الله تعالى.

في المفردات العلويّة[١]

عليّ عليه السلام أوّل هاشمي ولد من هاشميّين، وأول من ولد في الكعبة، وأوّل من آمن وأوّل من صلّى، وأوّل من بايع، وأوّل من جاهد، وأوّل من تعلّم من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأول من صنّف، وأوّل من ركب البغلة في الإسلام بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ولذلك أخوات كثيرة[٢]، وعليّ عليه السلام أخو الأوصياء، وآخر من آخى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وآخر من فارقه عند موته وآخر من وسّده في قبره وخرج.

ومن نوادر الدّنيا هاروت وماروت في الملائكة، وعزير في بني آدم، وولادة سارة في الكبر، وكون عيسى بلا أب، ونطق يحيى وعيسى في صغرهما، والقرآن في الكلام، وشجاعة عليّ بين النّاس.

ومن العجائب كلب أصحاب الكهف، وحمار عزير، وعجل السامريّ، وناقة صالح، وكبش إسماعيل، وحوت يونس[٣]، وهدهد سليمان ونملته، وغراب نوح، وذئب أوس بن أهنان[٤]، وسيف عليّ.

---

(١) أي في المفردات من مناقبه عليه السلام نقلا عن البحار ج ٣٩ ص ٥٨ ـ ٦١.

(٢) في المصدر: ولذلك أخرات كثيرة.

(٣) في المصدر: وسمك يونس.

(٤) كذا في النسخ، والصحيح «أهبان بن أنس» قال المحدث القمي في السفينة (١: ٥٥ مادة أهل): روي أن ذئباً شد على غنم لأهبان بن أنس، فأخذ منها شاة، فصاح به فخلاها، ثم نطق

الذئب

وقد منّ الله على المؤمنين بثلاثة: بنفسه ﴿يمنّون عليك أن أسلموا﴾[١] وبالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً﴾[٢] الآية، وبعليّ عليه السلام ﴿قل بفضل الله وبرحمته﴾[٣].

وقد سمّى الله ستّة أشياء رحمة: ﴿فانظر إلى آثار رحمة الله﴾[٤]، المطر: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾[٥]، التوفيق: ﴿يدخل من يشاء في رحمته﴾[٦] الإسلام ﴿وآتاني منه رحمة﴾[٧]، الإيمان: ﴿وما أرسلناك إلّا رحمة﴾[٨]، النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ﴿قل بفضل الله وبرحمته﴾[٩] عليّ عليه السلام.

وقد مدح الله حركاته وسكناته، فقال: ﴿إلّا المصلّين﴾[١٠]، ولقنوته: ﴿أمّن هو

☜ الذئب فقال: أخذت مني رزقاً رزقنيه الله، فقال أهبان: سبحان الله ذئب يتكلم! فقال الذئب: أعجب من كلامي أن محمّداً صلى الله عليه وآله يدعو النّاس إلى التوحيد بيثرب ولا يجاب، فساق أهبان غنمه وأتى المدينة، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بما رآه. فقال: هذه غنمي طعمة لأصحابك، فقال: أمسك عليك غنمك، فقال: لا والله لا أسرحها أبداً بعد يومي هذا فقال صلى الله عليه وآله: اللّهم بارك عليه وبارك لي في طعمته، فأخذها أهل المدينة فلم يبق في المدينة بيت إلّا ناله منها. انتهى. وقال في القاموس (١: ٣٧ مادة أهب): أهبان كعثمان صحابي. وترجم له ابن حجر في الإصابة ١: ٩١ ونقل ملخص هذه القصة.

(١) الحجرات: ١٧.

(٢) آل عمران: ١٦٤.

(٣) يونس: ٥٨.

(٤) مريم : ٥٠.

(٥) النساء: ٨٣. النور: ١٠ و ١٤ و ٢٠ و ٢١.

(٦) الشورى:٨. والإنسان: ٣١.

(٧) هود: ٦٣.

(٨) الأنبياء : ١٠٧.

(٩) يونس: ٥٨.

(١٠) المعارج: ٢٢.

قانت﴾[١]، ولصومه: ﴿وجزاهم بما صبروا﴾[٢]، ولزكاته: ﴿ويؤتون الزكاة﴾[٣] ولصدقاته: ﴿الذين ينفقون أموالهم﴾[٤]، ولحجّه: ﴿وأذان من الله ورسوله﴾[٥]، ولجهاده: ﴿أجعلتم سقاية الحاجّ﴾[٦]، ولصبره: ﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة﴾[٧] ولدعائه: ﴿والذين يذكرون الله﴾[٨]، ولوفائه: ﴿ويوفون بالنذر﴾[٩]، ولضيافته: ﴿إنّما نطعمكم لوجه الله﴾[١٠]، ولتواضعه: ﴿إنّما يخشى الله من عباده العلماء﴾[١١]، ولصدقه ﴿وكونوا مع الصادقين﴾[١٢]، ولآبائه: ﴿وتقلّبك في الساجدين﴾[١٣]، ولأولاده: ﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت﴾[١٤]، ولعلمه: ﴿ومن عنده علم الكتاب﴾[١٥].

قال النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: يا عليّ ما عرف الله حقّ معرفته غيري وغيرك، وما عرفك حقّ معرفتك غير الله وغيري.

---

(١) الزمر: ٩.
(٢) الإنسان: ١٢.
(٣) المائدة: ٥٥.
(٤) البقرة: ٢٧٤.
(٥) التوبة : ٣.
(٦) التوبة: ١٩.
(٧) البقرة: ١٥٤.
(٨) آل عمران: ١٩١.
(٩) الإنسان: ٧.
(١٠) الإنسان: ٩.
(١١) فاطر: ٢٨.
(١٢) التوبة : ١١٩.
(١٣) الشعراء: ٢١٩.
(١٤) الأحزاب: ٣٣.
(١٥) الرعد: ٤٣.

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: عليّ في السماء كالشّمس في النّهار في الأرض، وفي السّماء الدّنيا كالقمر باللّيل في الأرض.

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: مثله كمثل بيت الله الحرام يُزار ولا يزور، ومثله كمثل القمر إذا طلع أضاء الظلمة، ومثله كمثل الشمس إذا طلعت أنارت.

والماء على ضربين: طاهر ونجس، فعليّ طاهر لقوله ﴿وهو الّذي خلق من الماء بشراً﴾[1] وعدوّه نجس: ﴿إنّما المشركون نجس﴾[2]، الطهور طاهر ومطهّر، والنجس نجس عينه كيف يطهّر غيره؟ ﴿فلم تجدوا ماءً فتيمّموا﴾[3]، فمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم الطّهور وعليّ عليه السلام الصعيد، لأن محمّداً أبو الطاهر وعليّ أبو التراب عليهما السلام.

قوله تعالى: ﴿أو من؛ أم من﴾ في القرآن في عشرة مواضع، وكلّها في أمير المؤمنين وفي أعدائه ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً﴾[4] ﴿أم من هو قانت﴾[5] ﴿أفمن من كان على بيّنة﴾[6] ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام﴾[7] ﴿أفمن يعلم إنّما أنزل إليك من ربّك الحقّ﴾[8] ﴿أفمن يمشي مكبّاً على وجهه﴾[9] ﴿أفمن زيّن

---

(١) الفرقان: ٥٤.

(٢) التوبة: ٢٨.

(٣) النساء: ٤٣. والمائدة: ٦.

(٤) السجدة: ١٨.

(٥) الزمر: ٩.

(٦) هود: ١٧. ومحمّد: ١٤.

(٧) الزمر: ٢٢.

(٨) الرعد: ١٩.

(٩) الملك: ٢٢.

له سوء عمله﴾[1] وقد تقدّم شرح جميعها، قال الصادقعليه السلام: ﴿**أو من كان ميتاً**﴾[2] عنّا «فأحييناه» بنا.

* عن أبي معاوية الضرير، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن ابن عبّاس قال: نزلت قوله: ﴿**أفمن وعدناه وعداً حسناً**﴾[3] في حمزة وجعفر وعليّعليهم السلام.

* عن مجاهد وابن عبّاس في قوله: ﴿**أفمن يلقى في النّار خير**﴾[4] يعني الوليد بن المغيرة: ﴿**أم من يأتي آمناً**﴾[5] من غضب الله وهو أمير المؤمنينعليه السلام ثمَّ أوعد أعداه فقال: ﴿**اعملوا ما شئتم**﴾ الآية.

* عن الأغاني: كان إبراهيم بن المهديّ شديد الإنحراف عن أمير المؤمنينعليه السلام فحدّث المأمون يوماً قال: رأيت عليّاً في النوم فمشيت معه حتى جئنا قنطرة[6]، فذهب يتقدّمني لعبورها فأمسكته وقلت له إنّما أنت رجل تدّعي هذا الأمر بامرأة[7] ونحن أحقّ به منك، فما رأيته بليغاً في الجواب! قال: وأيّ شيء قال لك؟ قال: ما زادني على أن قال: سلاماً سلاماً، فقال المأمون: قد والله أجابك أبلغ جواب قال: كيف؟ قال: عرّفك أنّك جاهل لا تجاب، قال الله عزّوجلّ: ﴿**وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً**﴾[8].

* عن أبي منصور الثعالبيّ في كتاب الإقتباس من كلام ربّ النّاس أنّه رأى

---

(١) فاطر: ٨.

(٢) الأنعام: ١٢٢.

(٣) القصص: ٦١.

(٤) فصلت : ٤٠.

(٥) فصلت: ٤٠.

(٦) القنطرة: ما يبني على الماء للعبور.

(٧) يعني فاطمةعليها السلام.

(٨) سورة الفرقان: ٦٣.

المتوكّل في منامه عليّاً بين نار موقدة، ففرح بذلك لنصبه، فاستفتى معبّراً، فقال المعبّر، ينبغي أن يكون هذا الّذي رآه أمير المؤمنين نبياً أو وصيّاً، قال: من أين قلت هذا؟ قال: من قوله تعالى: **﴿أن بورك من في النّار ومن حولها﴾**(١).

※ عن الحريريّ في درّة الغوّاص أنّه ذكر شريك بن عبدالله النخعيّ فضائل عليّ عليه السلام فقال أمويّ: نعم الرجل عليّ، فغضب وقال: ألعليّ يقال نعم الرّجل فقال: يا عبدالله ألم يقل الله في الإخبار عن نفسه: **﴿فقدرنا فنعم القادرون﴾**(٢)، وقال في أيّوب **﴿إنّا وجدناه صابراً نعم العبد﴾**(٣)، وقال في سليمان: **﴿ووهبنا لداود سليمان نعم العبد﴾**(٤) أفلا ترضى لعليّ ما رضي الله لنفسه ولأنبيائه؟ فاستحسن منه. وقال بعض النحاة: هذا الجواب ليس بصواب، وذلك أنّ «نعم» من الله تعالى ثناء على حقية الوصف، تقريباً على فهم السّامعين لمكان إنعامه عليهم، وفي حقّ أنبيائه تشريفاً لهم، فأمّا من الآدمي في حقّ الأعلى فهو يقرب من الذم وإن كان مدحاً في اللّفظ، كما يقال في حقّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «محمّد فيه خير» فهو صادق إلّا أنّه مقصّر.

وكان أبو بكر الهرويّ يلعب بالشطرنج، فسأله جبلّي عن الإمام بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فوضع الهرويّ شاه وأربع بياذق فقال: هذا نبيّ وهذه الأربعة خلفاؤه، فقال الجبليُّ: الّذي في جنبه ابنه؟ قال: لا ولم يبق له سوى بنت، قال: هذا ختنه؟ قال: وإنّما هو ذاك الأخير، قال: هذا أقربهم إليه أو أشجعهم أو أعلمهم أو أزهدهم؟ قال: لا إنّما ذلك هو الأخير، قال: فما يصنع هذا بجنبه؟(٥).

---

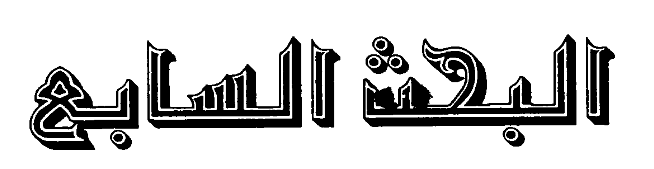
(١) النمل: ٨.

(٢) المرسلات: ٢٣.

(٣) ص: ٤٤.

(٤) ص: ٣.

(٥) مجمل مساواته عليّ مع الأنبياء اقتطفناها من كتاب البحار للعلّامة المجلسي لما لها من الأهمية في معرفة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام مع مقارنته ومساواته للأنبياء أجمعين عليهم السلام.



أفضلية عليّ عليه السلام
في الكتاب والسنّة

قصيدة شعريّة

آدم لمّا أن عصى زال فضله
وفي هل أتى شكر الإمام على الرِّفد

وامرأتا نوح ولوطٍ فخانتا
ونور الورى عن طهر فاطمة يبدي

وقد سأل إبراهيم إحياء ميّت
ليطمئن منه القلب بالواحد الفرد

ولو كشف المستور مولاي لم يزد
يقيناً على ما كان في سالف العهد

وقد خاف موسى حين ولّى مبادراً
وبات عليٌّ لم يخف سطوة الضِّدِّ

سليمان جاء الذِّكر فيه بقوله
هب الملك لا تحبيه من أحد من بعدي

ودنيا أتت مولاي زيَّ بثينه
فقال اعزبي عني ولا تمكثي عندي

فقد عرّف التَّفضيل حقّاً لطالب
لحقٍّ ولم يحتج إلى متعب الكدِّ

فقد ضلَّ من قاس العتيق بحيدر
ولا ملحة فيه لمنفعة تجدي



البحث السابع

أفضلية الإمام علي عليه السلام
في الكتاب والسنّة

تمهيد:

إنَّ مَنْ يقف مع المنقولات الواردة في كتب العامة والخاصة يجد زخماً كبيراً من المأثورات الروائية المنقولة عن النبيّ وآله عليهم افضل الصلاة والسلام في حقيقة أفضليتهم على الخلق، على أن هذه الأفضلية لم تأت اعتباطاً وإنما جاءت على لسان ذاتهم الشريفة التي استحقت ذلك بالفضل الرباني الذي يخص به من يشاء من عباده، فهذا القرآن الكريم المصدر الأول للمسلمين قد حوى بين دفتية الأدلة البرهانية الإستدلالية على عظمتهم وأفضليتهم على البرية.

والسؤال المطروح في المقام هو بماذا استحقوا هذه الأفضلية؟

إذا كانت الأفضلية ثابتة لهم لماذا لم يخلقوا أول الخلق في عالم المادة والجسم؟

وما الذي يترتب على هذه الأفضلية الحقيقية في الوجود العقائدي لأصول المؤمن؟

كل هذه الاسئلة لا بد من الأجابة عليها قبل الدخول في صميم البحث الذي له من الآثار العظيمة على المستوى العقائدي للفرد المؤمن، وخصوصاً ان قضية العقيدة التي يحملها الإنسان المؤمن لابد أن تكون من الرسوخ والثبات في أعلى مستوياتها الإيجابية لأن عليها يحيا ويموت، وعليها يسأل ويثاب ويعاقب الفرد المؤمن.

أقول: على ضوء الأسئلة المتقدمة يكون الحديث حول الأفضلية لأهل بيت

العصمة والطهارة على غيرهم من البرية بما فيهم الأنبيّاء والمرسّلين على مرّ العصور والأزمنة ما خلا نبيّنا محمّدﷺ فهو الأفضل والأشرف على البشرية جمعاء.

أما السؤال الأوّل في كون الأفضلية ثابتة لهم دون غيرهم من الخلق فهذا لا يحتاج إلى تدقيق كثير في إثبات هذا الثبوت الحقيقي كما هو مثبوت في محله من علم الكلام، إن أول من لبى وأقر بالوحدانية لله تعالى هو محمّد وآل محمّدﷺ كما ورّد ذلك في عدة أحاديث تثبت هذه الحقيقة حقيقة الإقرار بالوحدانية لله عز وجل، حيث كان الإقرار في عالم الميثاق والذر أو كما يعبر عنه القرآن الكريم عالم ﴿ألست بربكم﴾، وعلى هذا الأساس المرتكز في الكتاب الكريم ومعاضدته بالروايات الشريفة نجد إن الأفضلية للخلق إنما تكون لأول من يستجيب ويقر بالوحدانية، وهذا لا يختلف فيه إثنان من العقلاء، لأن المفهوم العرفي دال عليه من كون من يعطي هدية لأول من يصل إلى المطلوب أو المقام الفلاني فانه يستحق الفوز والتفضيل على الغير بالهدايا والعطايا، فكيف بخالق العقل وسيد العقلاء وهو المولى عز وجل؟!

أما إستحقاقهم لهذه الأفضلية فقد تبين على ضوء البيان المتقدم حيث كونهم أول من أقر وسبق إلى الطاعة الربانية، فهم ذاتهم أشرف وأعلى مرتبة من بقية الذوات.

أما كون خلقهم بعد بعثة عدة أنبياء ومرسلين وأولياء وأوصياء فهذا ليس فيه ميزة تفضل غيرهم عليهم، فمسألة التأخر الخلقي في عالم المادة والجسم على الغير لا توجد فيه دلالة على كون المتأخر رتبة في الظهور المادي والجسمي أعلى مقاماً وأجل شأناً، فهذا الرسول الأعظم محمّدﷺ يقول في مضمون عدة أحاديث ان أفضل المؤمنين الذين يؤمنون بي ويصدقون برسالتي وولاية أهل بيتي يكونون في آخر الزمان عند قرب الظهور خاتم الأوصياء الحجة بن الحسن العسكري عجل الله تعالى فرجه وجعلنا من خلص شيعته وانصاره، فكون الذين عاشوا مع الرسول فقط

هم الأصحاب والأفضل في نظر الآخرين يحتاج إلى الدليل والبرهان على ذلك، وبالجملة فإن خلق الجسم والمادة ليست فيه دلالة على تقدم الرتبة والمقام على الغير إنَّ تأخر في الظهور، والذي يظهر لنا من خلال استقراء الروايات الواردة في المقام نجد أن هناك عدداً كبيراً من المأثورات العصمية تثبت أحقية تقدم خلقة عالم الأنوار على خلقة عالم الجسم والمادة، كيف لا؟ وقد مرّ بك إنَّ الأفضلية ثبتة بالإستحقاق نتيجة الإقرار بالوحدانية العظمى في عالم الميثاق، ويكفي شاهداً على ما نقول في تقدم خلقة أنوار محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام على بقية أنوار الأقل درجة في الظهور منهم، حيث كان النبيّ وأخيه أمير المؤمنين عليه السلام نوراً قد علّموا الملائكة التسبيح والتهليل والتكبير، فالمعلم أولى بالتقديم والتفضيل على الغير، وإذا كان الرسول هو المعلم لغيره وخصوصاً الملائكة فكيف بالبشر؟!

والشاهد على ذلك ما روي عن ابن عباس حيث قال:

«كنّا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأقبل عليٌّ عليه السلام، فلمّا رأه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم تبسم في وجهه فقال: مرحباً بمن خلقه الله قبل كل شيء. خلق نوراً فقسمه نصفين فخلقني من نصفه وخلق عليّاً من النصف الآخر قبل الأشياء، فنورها من نوري ونور عليّ، فسبحنا وسبحت الملائكة وكبرّنا وكبرّ الملائكة وكان ذلك من تعليمي وتعليم عليّ عليه السلام»[1].

أذن بعد معرفة مسألة الخلقة النورانية التي هي الأساس لميزة الأفضلية وحسب ما ورّد أول ما صدر نور النبيّ الأعظم وهو الصادر الأول عن الباري عز وجل وهو الشريف الأول الذي صدرت عنه الموجودات حسب قاعدة الأشرفية المثبوت في محلها من علم الحكمة والفلسفة والكلام.

أقول: أقتضت هذه المعرفة الإستدلالية العلمية أن تكون نظرية التطور في بعثة

(١) عبقات الأنوار المعرب: ٤/١٢٥.

الأنبياء والمرسلين وحسب احتياجات أممهم وشعوبهم لتلبية الإحتياج الفكري والعملي في جانب الإنسان، حيث استمرت عملية الكمال في بعثة الأنبياء إلى آخر نبيّ، وهو نبينا محمّد صلى الله عليه وآله وسلم فهو المتمم والمكمل لكافة الرسالات، وبعبارة أخرى جاء بأكمل رسالة وأتم نبوّة حيث ختمت كل النبوات السابقة، فأقتضت هذه الخاتمية نظراً لمرحلة التكامل والكمال في النبوات أن تكون الأشرف والأفضل من البقية، وكل ما ثبت للنبوة الخاتمية فهو ثابت للولايّة المطلقة التي هي باطن الرسالة إلا ما خرج بالدليل والذي خرج بالدليل هو النبوة والوحي وغير ذلك من ملازمة النبوة الخاصة بها.

وعلى هذا البيان يظهر لنا جلياً إنه لاميزة في التأخر الوجودي في عالم المادة على مقام الأفضلية، بل بالعكس من اقتضاء هذا الظهور الوجودي في عالم الهيولى والمرتبط بالسماء، أن تكون الأفضل والأحسن والأكمل ولا يقدح تقدم الغير عليهم في عالم الجسم والمادة.

وإنّي وإن كنت ابن آدم صورة ... فلي منه معنى شاهد بأبوّتي
ولاقائل إلاّ بنطقي محدِّث ... ولا ناظر إلاّ بناظر مقلتي
وروحي للأرواح وكلّما ... ترى حسناً في الكون من حسن طينتي

الفصل الأوّل

أثبات الأفضلية من الأستدلالات القرآنية

إذن بعد وقوفنا على الأسئلة المطروحة المتقدمة ظهر لنا المقام الأفضلية الذي لا يضر معه بعض الأمور التي منها أنها تقدح في الأفضلية،وإلى هنا يكون قد وصلنا إلى الإستدلالات القرآنية والروائية على أفضلية عليّ بن أبي طالب عليه السلام على غيره بالخصوص الأنبياء ـ سوى نبينا محمّد صلى الله عليه وآله وسلم حيث أنه الأفضل على الخلق

أجمعين، والذي يظهر لنا من خلال التدقيق في الآيات القرآنية الواردة في حق أهل بيت العصمة والطهارة عليهم أفضل الصلاة والسلام أنَّ هناك خمس أيات قرآنية تدلل على أفضليتهم عليهم السلام على الخلق، وذلك من خلال الوقوف مع تفسير هذه الآيات واستظهارها ومعرفة متنها بالدراية الصحيحة للفهم القرآني، وعلى ضوء الإستدلالات المنطقية والعلمية العقلية للبرهان الثابت، وهذه الآيات هي:

١ـ «آية المباهلة» وهي قوله تعالى:

﴿فمن جاجك فيه من بعد ماجاءك من العلم فقل تعالوا ندعُ أبناءَنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾(١).

٢ـ «آية التطهير» وهي قوله تعالى: **﴿إنّما يُريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾**(٢).

٣ـ «آية الشاهد» وهي قوله تعالى: **﴿أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهدٌ منه ومَنْ قبله كتاب موسى إماماً ورحمة﴾**(٣).

٤ـ «آية الشهادة» وهي قوله تعالى: **﴿ويقولُ الذين كفروا لست مرسلاً قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾**(٤).

٥ـ «آية خير البرية» وقي قوله تعالى: **﴿إنَّ الّذين آمنوا وعملوُا الصالحات أوُلئِكَ هُمْ خَيرُ البَرِيَّةِ﴾**(٥).

وإليكم تفصيل ذلك:

---

(١) آل عمران: ٦١.

(٢) الاحزاب: ٣٣.

(٣) هود: ١٧.

(٤) الرعد٦ ٤٣.

(٥) البينة: ٧.

الإستدلال بآية المباهلة

قال الله تعالى:

﴿فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندعُ أبناءَنا وأبناءَكم ونساءَنا ونساءَكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾[1].

لقد وقف العلماء مع هذه الأية المباركة وقوف متأمل ومدقق في معانيها ومدلولاتها، والسبب في نزولها، لأنها تشكل عموداً أساسياً لمنزلة عظيمة قد صرح بها القرآن الكريم لخير البشر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حيث نطق الصادق الأمين بهذه الآية الشريفة ليثبت أن الذي له المقام الأسمى والمنزلة العظمى عند الله تعالى هم عليّ وآل عليّ عليهم السلام، بحيث يدعو الباري عز وجل حبيبه بأخراج هذا الرهط المبارك للمباهلة، لأثبات أحقية أتباع هذا الدين الحنيف، وليثبت إرتباط هؤلاء الخمسة الذين بأهل بهم النبيّ بالسماء والنبع الصافي للرسالة في كل وجودها الميمون.

ولقد تسالم المحدثون والمفسرون والمؤرخون والمتكلمون على نزول هذه الآية المباركة بحق أصحاب الكساء الخمسة، وهم الذين عبر عنهم القرآن الكريم بأهل بيت النبوة والرسالة، بل تجاوز الأمر إلى أبعد من أرسال المسلمات في نزولها في حقهم عليهم السلام، حيث تعد هذه الآية الشريفة من الضروريات الثابتة في شأن منزلة أصحاب الكساء الخمسة عند الله تعالى.

(١) آل عمران: ٦١.

ومن المفسرين العامة الذين ذكروا شأن نزول الآية في حق أهل البيت عليهم السلام ـ أي أصحاب الكساء الخمسة ـ الطبري في تفسيره (جامع البيان) والحاكم في مستدركه حيث يقول:

عن جابر الأنصاريّ، قال: «قدم على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم العاقب والسيّد فدعاهما إلى الإسلام ـ إلى أن قال: ـ فدعاهما إلى الملاعنة فوعداه، فغدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخذ بيد عليّ وفاطمة والحسن والحسين ثمّ أرسل إليهما فأبيا أن يجيباه ـ إلى أن قال: **﴿أنفسنا وأنفسكم﴾** رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليّ، و**﴿أبناءنا﴾ الحسن والحسين** و **﴿نساءنا﴾ فاطمة**»[1].

ولعل سائل يقول لماذا خرج النبيّ للمباهلة؟

فنقول: بعدما نزلت الآيات التي تتحدث عن شأن عيسى عليه السلام وما جرى عليه، وبعدما قصّ الرسول قصة عيسى عليه السلام أمره الله تعالى أن يباهل وفد نجران من النصارى حيث قال لهم الرسول: أقبلوا وليدع كلٌ منا أبناءه ونساءه وأنفسه للمباهلة، **فنجعل لعنة الله على الذين يفترون**.

لذا قال أكثر المفسرين والمحدثين أن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قد خرج بأحب الخلق إلى الله تعالى وهم عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، حيث أنّه صلى الله عليه وآله وسلم أورد الدلائل على نصارى نجّران، ثمّ إنّهم أصرّوا على جهلهم فقال عليه السلام: **إنّ الله أمرني إن لم تقبلوا الحجّة أن أباهلكم، فقالوا: يا أبا القاسم! بل نرجع فننظر في أمرنا ثمّ نأتيك. فلمّا رجعوا قالوا للعاقب ـ وكان ذا رأيهم ـ يا عبد المسيح! ما ترى فقال: والله، لقد عرفتم، يا معشر النصارى! أنّ محمّداً نبيٌّ مرسل، ولقد جاءكم بالكلام الحقّ في أمر صاحبكم ـ إلى أن قال: ـ وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج وعليه مرط من شعر أسود، وكان قد احتضن الحسين، وفاطمة تمشي خلفه، وعليٌّ رضي الله عنه خلفهما،**

---

(١) الدر المنثور: ٢/٣٨، جامع البيان «الطبري»: ٣/٢٩٩.

وهو يقول: إذا دعوت فأمنّوا، فقال اسقف نجران: يا معشر النّصارى! إنّي لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصرانيٌّ إلى يوم القيامة»[١].

«وروي أنّه عليه السلام لما خرج في المرط الأسود فجاء الحسن رضي الله عنه فأدخله، ثم جاء الحسين رضي الله عنه فادخله ثمَّ فاطمة، ثمَّ عليٌّ رضي الله عنهما؛ ثمَّ قال: **إنّما يُريدُ الله ليُذهبَ عَنكُم الرِّجسَ أهلَ البيتِ ويُطَهِّرَكُمْ تَطهيراً**. وأعلم أنَّ هذه الرّواية كالمتّفق على صحتها بين أهل التفسير والحديث»[٢].

هذا تمام قول الفخر الرازي في تفسير الآية وشأن نزولها، أما الزمخشري فقد عاضد قوله لقول الرازي، وأثبت نفس الحقيقة التي لا غبار عليها حيث قال في تفسيره:

«فأتوا (يعني نصارى نجّران) رسول الله صلى الله عليه وآله وقد غدا محتضناً الحسين، آخذ بيد الحسن، وفاطمة تمشي خلفه، وعليّ خلفهما وهو يقول: إذ أنا دعوت فأمّنوا، فقال أسقف نجران: يا معشر النّصارى! إنّي لأرى وجوهاً لو شاء الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا ـ إلى أن قال: ـ وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام ـ الخ»[٣].

وقال الحافظ أحمد بن حنبل في مسنده الذي هو من المصادر المهمة لدى العامة ويعتبرونه من الصحاح الستة التي يعوّل عليها في الأخذ والأعتبار للأحاديث التي يرونها ما نصه:

«ولما نزلت هذه الأية: ﴿**ندعُ أبناءنا وأبناءكم**﴾ دعا رسول الله صلى الله عليه وآله علياً

---

(١) التفسير الكبير للرازي: ٨/٨٥.

(٢) التفسير الكبير: ٨/٨٥.

(٣) تفسير الكشاف: ٤٣٤.

وفاطمة وحسناً وحسيناً ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ فقال: **اللهم هؤلاء أهلي**»[١].

وعاضده في هذا القول الحافظ الكنجي وأبو حيان الأندلسي والسبط ابن الجوزي في كتبهم[٢].

ويكفي شاهداً على ما نقول في سبب النزول ومن هم المقصودون في هذه الاية المباركة، هو ما ورد في تفسير القرطبي حيث قال ما نصه:

«أبناءنا دليل على أنّ أبناء البنات يسّمون أبناء؛ وذلك أن النبيّ صلى الله عليه وآله جاء بالحسن والحسين وفاطمة تمشي خلفه وعليٌّ خلفها، وهو يقول لهم: **إن أنا دعوت فأمنوا**»[٣].

وبالجملة فإن هذه الأقوال التي تضمنت بين طياتها معرفة الآية ونزولها فيها دلالة قاطعة لا شكاً ولا ريباً يعتريها في كون المقصود من كلمة النفس هي نفس أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ويكفي في إثبات كونه نفس الرسول دلالة هذه الآيات على هذا القول الذي يعضد بعضه البعض الآخر.

وعلى هذا الأساس يفهم من الآية وتفسيرها، والمعنى المنطوي عليها في سترها، أن ضم الحسن والحسين وفاطمة وعليّ عليهم السلام إليه في المباهلة ليؤكد تأكيداً لا يعتريه الشك في كونهم أعز الخلق إليه وأقربهم منزلة منه حيث خصهم بهذه المكرمة العظيمة بالتوسل إلى الله بهم في إثبات الأمر العظيم في صدقه بالرسالة المحمديّة السمحاء، وهذا الإقتران والأصطحاب لهم عليهم السلام لفيه دلالة واضحة على مكانتهم وقرب منزلتهم عند الله تعالى، ولُيُعلم للناس بأنهم المقدمون على كل حال.

وعلى هذا البيان الجلي قد وقف العلماء الذين غاصوا في بحار معرفة الآية

---

(١) مسند أحمد: ١٥٨/١.

(٢) كفاية الطالب: ١٤٢ باب ١٣٢، وتذكرة الخواص: ١٨، البحر المحيط: ٤٧٩/٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ١٠٤/٤.

ليخرجوا منها اللآلىء الثمينة في معرفة أحوال ومقامات أولئك الطيبين الطاهرين، ومنهم السيد شرف الدين رحمه الله حيث يقول:

«وهناك نكتة يعرف كنهها علماء البلاغة، ويقدر قدرها الرَّاسخون في العلم العارفون بأسرار القرآن، وهي أنَّ الآية الكريمة ظاهرة في عموم الأبناء والنّساء والأنفس كما يشهد به علماء البيان ولا يجهله أحدممّن عرف أنَّ الجمع المضاف حقيقة في الإستغراق، وإنّما أطلقت هذه العمومات عليهم بالخصوص تبياناً لكونهم ممثّلي الإسلام، وإعلاناً لكونهم أكمل الأنام، وأذاناً بكونهم صفوة العالم، وبرهاناً على أنّهم خيرة الخيرة من بنى آدم، وتنبيهاً إلى أنّ فيهم الرّوحانيّة الإسلامية والإخلاص لله في العبودية ما ليس في جميع البريّة، وإنّ دعوتهم إلى المباهلة بحكم دعوة الجميع، وحضورهم خاصّة فيها منزّل منزلة حضور الأمّة عامّة، وتأمينهم على دعائه مغن عن تأمين من عداهم، وبهذا جاز التَّجوّز بإطلاق تلك العمومات عليهم بالخصوص. ومن غاص في أسرار الكتاب الحكيم وتدَّبره ووقف على أغراضه يعلم أنَّ إطلاق هذه العمومات عليهم بالخصوص إنّما هو على حدِّ قول القائل:

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

إلى أن يقول: «بقيت نكتة يجب التّنبّه بها، وحاصلها: أنَّ اختصاص الزَّهراء من النّساء والمرتضى من الأنفس مع عدم الإكتفاء بأحد السِّبطين من الأبناء دليل على ما ذكرناه من تفضيلهم عليهم السلام، لأنَّ عليّاً وفاطمة لمّا لم يكن لهما نظير في الأنفس والنّساء كان وجودهما مغنياً عن وجود من سواهما بخلاف كلّ من السِّبطين فإن وجود أحدهما لا يغني عن وجود الآخر لتكافئهما، ولذا دعاهما صلى الله عليه وآله وسلم جميعاً ولودعا أحدهما دون صنوه كان ترجيحاً بلا مرجِّح وهذا ينافي الحكمة والعدل، نعم لو كان ثمَّة في الأبناء من يساويهما لدعاه معهما، كما أنّه لو كان لعليّ نظير من

الأنفس أو لفاطمة من النِّساء لمّا حاباهما، عملاً بقاعدة الحكمة والعدل والمساوة»[١].

أما المستفاد من الآية من الدلالات الواضحة في قضية المباهلة والملاعنة فهذا لا يخلوا من أربعة وجوه في الوجود الذهني للإنسان العاقل الذي يدرك الحقائق ويتصورها على ما تقتضيها الإدراكات البشرية الصحيحة وهي:

الأوّل: أن تستجاب مباهلة كل واحد من الطَّرفين، فتكون هذه سبباً لأستيصالهما وهلاكة كلٍّ واحد منهما.

الثاني: أن لا تستجاب مباهلة كلٍّ من الخصميّن كليهما، فيكون هذا سبباً لسقوطهما عن أعين النّاس لا سيّما إذا كان المباهلون من ولاة الأمر الدّعاة إلى الدِّين كما فيما نحن فيه.

الثالث: أن تستجاب مباهلة أهل نجّران فتكون سبباً لوقوع العذاب على مخالفهم.

الرابع: أن تستجاب مباهلة وملاعنة أهل البيت ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ فتكون سبباً لهلاكة خصمهم. فالغالب من هذه الإحتمالات يمنع كلَّ واحد من الخصمين عن الإقدام على المباهلة لأنَّ فيه الإطمينان مظنَّة الهلكة والاستيصال والعذاب. فإذا اتضح هذا يعلم منه أنَّ الخمسة الطيبين عليهم السلام كانوا في أعلى درجات اليقين والإطمينان، فلو كان في نفوسهم الشريفة ـ العياذ بالله ـ قلق، أو اضطراب، أو وسوسة في الإجابة وعدمها لم يقدموا أبداً على المباهلة، لأنَّ في إقدامهم عليهم السلام فيها إمّا احتمال الهلكة والنَّقمة والعذاب أو سقوط منزلتهم وهيبتهم عن أعين النّاس. ولهذه الوساوس والشَّكِّ والرَّيب امتنع أهل نجران وانصرفوا ولم يجرؤوا على

(١) الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء عليها السلام ٣٦.

المباهلة؛ وبعد إنصرافهم عن الملاعنة والمباهلة قال رسـول الله ﷺ: «والّـذي نفسي بيده، إنَّ الهلاك قد تدلّى على أهل نجران، ولو لاعنوا لمسخوا قردة خنازير، ولاضطرم عليهم الوادي ناراً، ولأستأصل الله نجران وأهـله حـتى الطـيور عـلى رؤوس الشَّجر، ولمّا حال الحول على النّصارى حتّى يهلكوا»[١].

وإلى بعض هذه المعاني أشار العلامة الطباطبائي في تفسيره حيث يقول:

«وههنا نكتة أخرى وهي أنَّ في تذكيره ﷺ بالعلم تطييباً لنفسه الشَّريفة أنّه غالب بإذن الله وأنّ ربّه ناصره وغير خاذله البتّة».

وقال أيضاً: «والمباهلة والملاعنة وإن كانت بـحسب الظّـاهر كـالمحاجَّة بـين رسول الله ﷺ وبين رجال النّصارى لكن عمَّت الدَّعوة للأبناء والنِّساء ليكـون أدلَّ على إطمينان الدَّاعي بصدق دعواه وكونه على الحقِّ لما أودعه الله سبحانه في قلب الإنسان من محبَّتهم والشَّفقة عـليهم فـتراه يـقيهم بـنفسه ويـركب الأهـوال والمخاطرات دونهم وفي سبيل حمايتهم والغيرة عليهم والذَّ بِّ عنهم، ولذلك بعينه قدَّم الأبناء على النّساء لأنَّ محبَّة الإنسان بالنِّسبة إليهم أشدُّ وأدوم».

وقال أيضاً: « وقوله عزَّ وجلَّ: **فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ** كـالبيان للإبـتهال، وقـد قـيل: فنجعل، ولم يقل: فنسأل، إشارة إلى كونها دعوة غير مردودة حيث يمتاز بها الحقُّ من الباطل».

وقال أيضاً: « قوله عزَّ وجلَّ: ﴿**الْكاذِبِينَ**﴾ مسوق سوق العهد، دون الإستغراق أو الجنس، إذ ليس المراد جعل اللّعنة عليّ كلِّ كاذب أو على جنس الكاذب، بل على الكاذبين الواقعين في أحد طرفي المحاجَّة الواقعة بينه ﷺ وبين النَّصارى، حيث قال ﷺ: إنَّ الله لا إله غيره وإنَّ عيسى عبده ورسوله، وقالوا: إنَّ عيسى هو

(١) تفسير أبي السعود: ٢/٤٧.

الله، أو إنّه ابن الله، أو إنّ الله ثالث ثلاثة. وعلى هذا، فمن الواضح أن لو كانت الدَّعوى والمباهلة عليها بين النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وبين النّصارى، أعني كون أحد الطَّرفين مفرداً والطرف الآخر جمعاً كان من الواجب التَّعبير عنه بلفظ يقبل الإنطباق على المفرد والجمع معاً كقولنا: فنجعل لعنة الله على من كان كاذباً. فالكلام يدلّ على تحقّق كاذبين بوصف الجمع في أحد طرفي المحاجَّة والمباهلة على أيٍّ حال آمّا في جانب النَّبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وإمّا في جانب النصارى، وهذا يعطى أن يكون الحاضرون للمباهلة شركاء في الدَّعوى فإنَّ الكذب لا يكون إلاّ في الدَّعوى، فلمن حضر مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهم عليٌّ وفاطمة والحسنان عليهم السلام شركة في الدّعوى والدّعوة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا من أفضل المناقب الّتي خصَّ الله به أهل بيت نبيه عليهم السلام كما خصَّهم بأسم الأنفس والنِّساء والأبناء لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم من بين رجال الأمة ونسائهم وأبنائهم»[1].

وجه الإستدلال على الأفضلية

أمّا وجه الإستدلال على الأفضلية من خلال الرجوع إلى الفهم العرفي لمعنى كلمة ﴿أنفسنا﴾ التي جاءت ضمن سياق الآية المباركة، والذي يظهر من مدلولها أنها تعني المراد من أنفسنا هو عليّ عليه السلام كما ظهر لنا من الروايات الواردة في المقام، وأقوال المؤرخين والمحدثين في تفسير هذا المعنى أدل دليل على هذا القول الذي لا يخالف السليقة العربية في أساسياتها.

ولعل قائل يقول كيف يكون الإمام عليّ عليه السلام نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟

نقول: إن إتحاد شخصين بالمعنى الحقيقي غير ممكن ومحال عقلاً، وهذا الإتحاد

---

(١) تفسير الميزان: ٣/٢٢٣-٢٢٥.

الذي يفهم من المعنى الظاهر للتفسير لا يكون حقيقياً بالمعنى العقلي الدقيق، وإنّما يكون هذا الإتحاد ـ بين نفس الرسول ونفس الإمام عليّ عليه السلام ـ اتحاداً مجازياً لوجود القرينة الصارفة عن ذلك الحقيقي، وهذه القرينة والمناسبة بين المعنيين انما هي وجود القائل بالإتحاد الذي يفهم من المبَّين لهذا المعنى الاتحادي الذي قد يقال في وجوديهما.

وهذا الإتحاد الذي يكون على أساس متعارف بين العرف العقلائي عبارة عن كون المحبة والمودة والألفة بين وجوديين لشخصيتين إذا وصلت أعلى مراتبها بحيث تصبح المنطلقات واحدة والتصرفات نابعة من أساس متين مركز في كلا الوجودين، فتكون متشابهة ومتماثلة، عندئذ يعبر عن الوجودين أو النفسيّن بالنفس الواحدة مجازاً.

همومُ الرجالِ في أمورٍ كثيرة ... وهمي في الدنيا صديق مساعد
يكون كروح بين جسمين قسمت ... فجسمهما جسمان والروح واحدُ

والشاهد على ذلك هو قول ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة[1] حيث يقول:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا ... نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبعدتني أبعدته ... وإذا أبعدته كان أنا
فإذا أبصرتني أبصرته ... وإذا أبصرته كان أنا
روحه روحي وروحي روحه ... من رأى روحين حلا بدنا؟!

«انظروا إلى أخلاقهما وخصائصهما، وهذا شجاع وهذا شجاع، هذا فصيح وهذا فصيح، وهذا سخي جواد وهذا سخي جواد، هذا عالم بالشرائع والأمور الإلهية وهذا

(١) شرح نهج البلاغة: ١٠/ ٢٢١.

عالم بالفقه والشريعة والأمور الإلهية الدقيقة الغامضة، هذا زاهد في الدنيا غير نَهم ولا مستكثر منها، وهذا زاهد في الدنيا تارك لها غير متمتّع بلذّاتها، هذا مذيب نفسه في الصلاة والعبادة، وهذا مثله، وهذا غير محبَّب إليه شيء من الأمور العاجلة وهذا مثله، وهذا ابن عبد المطلب بن هاشم وهذا في قعدده[1] وأبواهما أخوان لأمّ ولأب واحد دون غيرهما من بني عبد المطلب.

ورُبّي محمّد صلى الله عليه وآله في حجر والد هذا، وهذا أبو طالب فكان جارياً عنده مجرى أحد أولاده، ثمّ لمّا شب صلى الله عليه وآله وكبر استخلصه من بني أبي طالب وهو غلام، فربّاه في حجره مكافأة لصنيع أبي طالب به، فامتزج الخُلُقان وتماثلت السجيتان.

وإذا كان القرين مقتدياً بالقرين، فما ظنُّكَ بالتربية والتثقيف الدائم؟!

فواجب أن تكون أخلاق محمّد صلى الله عليه وآله وسلم كأخلاق أبي طالب، وتكون أخلاق عليّ عليه السلام كأخلاق أبي طالب أبيه محمّد صلى الله عليه وآله مربّيه، وأن يكون الكلّ شيمة واحدة وسوساً[2] واحداً وطينة مشتركة، ونفساً غير منقسمة ولا متجزّئة، وألاّ يكون بعض هؤلاء وبعض فرقٌ ولا فضل، لولا أن الله تعالى اختص محمّد صلى الله عليه وآله برسالته واصطفاه لوحيه، لما يعلمه من مصالح البريّة في ذلك، ومن أنّ اللطف به أكمل، والنفع بمكانه أتمّ وأعم، فأمتاز رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك عمّن سواه وبقى ما عدا الرسالة على أمر الإتحاد، وإلى هذا المعنى أشار صلى الله عليه وآله بقول: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلاّ أنه لانبيَّ بعدي» فأبان نفسه منه بالنبوة، وأثبت له ما عداها من جميع الفضائل والخصائص مشتركاً بينهما».

إذن على هذا البيان يفهم إنَّ نفس الرسول ونفس عليّ بن أبي طالب عليه السلام متحدتان مجازاً لا حقيقة، وإنّ كان في الحقيقة أنوارهم واحدة ولكن بأعتبار الواقع

---

(١) القعدد: القريب الآباء من الجدّ الأعلى.

(٢) سوساً واحداً: أصلاً واحداً.

الخارجي الذي تترتب عليه الآثار الخارجية تكون المشابهة في الفضائل النفسية والمماثلة في السلوكيات الصحيحة واحدة، إلا ما خرج بالنص والدليل، وهو مقام النبوة الخاصة وشرائطها، التي منها نزول الوحي على قلب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فأن الرسالة وملازماتها من نزول الوحي خاص، بالرسول الأعظم دون المرتضى عليه السلام، لأن الرسالة إقتضت كمال خاص بها وهذا الكمال لم يوجد ألّا في الخاتم النبيّ الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا الكمال لا يشاركه ولا يساويه فيه واحد إلا ان سائر الكمالات الأخرى النفسية والفضائل الروحية قد شاركه فيها عليّ عليه السلام فهو نفسه كما بيّنا في أكثر من حديث، في كونه نفس الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، بل يعتبر القرآن الكريم في كونه ﴿أنفسنا﴾، حيث إنّ عليّاً عليه السلام نفس الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بنص القرآن الكريم، وكما قلنا هذا التعبير مجازي واتحاد اعتباري لا حقيقي، وهذا من قبيل ما قيل في علم الأصول من كون حمل اللفظ على المعنى المجازي الأقرب أولى من حمله على الأبعد، وفيما نحن فيه، أقرب المعاني المجازية لا تحاد النفسين وتساويهما في جميع الأمور النفسية، وتماثلهما في جميع الصفات الكمالية اللازمة لها إلا ما خرج بالدليل، وتبين لنا إنّ الخارج بالدليل هو نزول الوحي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم دون عليّ وعدم تساوي الإمام مع النبيّ في النبوة الخاصة به.

إذن على ضوء الروايات التي رواها العامة والخاصة في كون أنفسنا هي نفس عليّ عليه السلام، ويساند ويؤيد هذا الرأي جملة من الروايات المروية على لسان العامة في تفسير كلمة أنفسنا، وبدلالة روايات أخرى في غير قضية المباهلة جاءت على هذا المنوال وهي كالآتي:

* قال ابن حجر الهيثميُّ المكّيّ: «عن عبد الرّحمن بن عوف قال: لمّا فتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكّة انصرف إلى الطّائف فحصرها سبع عشرة ليلة أو تسع عشرة ليلة، ثمّ قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أوصيكم بعترتي خيراً، وإنّ موعدكم

الحوض، والّذي نفسي بيده لتقيمنّ الصّلاة ولتؤتنّ الزكاة أو لأبعثنّ إليكم رجلاً منّي كنفسي، يضرب أعناقكم، ثم أخذ بيد عليّ بن أبي طالب عليه السلام ثمّ قال: هو هذا»[١].

※ وقال الحافظ أخطب خوارزم: «عن المطلّب بن عبد الله بن حنطب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لوفد ثقيف حين جاؤوه: لتسلمنّ أو ليبعثنّ الله رجلاً منّي ـ أو قال: مثل نفسي»[٢]. وقال: «قالت عائشة: من خير النّاس بعدك يا رسول الله؟ قال: عليُّ بن أبي طالب، هو نفسي وأنا نفسه»[٣].

※ وقال الحافظ العلاّمة الكنجيّ: «... فقالت فاطمة عليها السلام: يا رسول الله ما أراك قلت في عليٍّ شيئاً! فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ علياً نفسي، هل رأيت أحداً يقول في نفسه شيئاً؟»[٤].

※ وقال العلاّمة المجلسيُّ رحمه الله: «سئل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عن بعض أصحابه، فذكر فيه، فقال له قائل: فعليٌّ؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إنّما سألتني عن النّاس ولم تسألني عن نفسي»[٥].

وقال أيضاً: «قال صلى الله عليه وآله وسلم (عند المباهلة مع نصارى نجران): اللّهمّ هذا نفسي وهو عندي عدل نفسي، اللّهمّ هذه نسائي أفضل نساء العالمين، وقال: اللّهمّ هذان ولداي وسبطاي، فأنا حرب لمن حاربوا، وسلم لمن سالموا»[٦].

---

(١) الصواعق المحرقة: ١٢٦.

(٢) المناقب للخوارزمي: ٨١.

(٣) المناقب للخوارزمي: ٩٠.

(٤) كفاية الطالب: الباب ٧١: ٢٨٩.

(٥) البحار: ٢٩٦/٣٨.

(٦) البحار: ٤٩/٣٧.

وقال ـ أيضاً ـ عند ذكر غزوة أحد حين انهزم النّاس يوم أُحد وما بقي أحد إلاّ عليٌّ عليه السلام وأبو دجانة سماك بن خرشة: «فدعاه النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا أبا دجانة انصرف وأنت في حلٍّ من بيعتك، فأمّا عليٌّ فهو أنا، وأنا هو. فتحوّل وجلس بين يدي النّبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وبكى وقال: لا، والله...»[1].

وقال أيضاً: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا ابن أبي طالب إنّما أنت عضو من أعضائي، تزول أينما زلت»[2].

❊ وقال العلاّمة سبط ابن الجوزيّ في قضيّة بني وليعة: «عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لينتهينَّ بنو وليعة، أو لأبعثنَّ إليهم رجلاً كنفسي، يمضي فيهم أمري، ويقتل المقاتلة، ويسبي الذّرية. قال أبو ذر: فما راعني إلاّ برد كفٍّ عمر من خلفي فقال: من تراه يعني؟ قال: فقلت: ما يعنيك، وإنّما يعني خاصف النّعل عليّ بن أبي طالب». وبنو وليعة قوم من العرب[3].

❊ وقال العلاّمة القندوزيّ: «قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم: عليٌّ منّي كنفسي، طاعته طاعتي، ومعصيته معصيتي[4]».

❊ وقال الحافظ الكنجيّ: «قال ابن عبّاس: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خلق الله قضيباً من قبل أن يخلق الدّنيا بأربعين ألف عام، فجعله أمام العرش حتّى كان أوّل مبعثي، فشقَّ منه نصفاً، فخلق منه نبيّكم، والنّصف الآخر عليّ بن أبي طالب[5]».

❊ وقال الحافظ محبّ الدّين الطّبريّ: «عن البراء بن عازب قال: قال رسول

---

(١) بحار الأنوار: ١٠٧/٢٠.

(٢) بحار الأنوار: ٣١١/٣٨.

(٣) تذكرة الخواص: ٣٩.

(٤) ينابيع المودة: ٥٥.

(٥) كفاية الطالب: الباب ٣١٤/٨٧.

الله صلى الله عليه وآله وسلم: عليّ منّي بمنزلة رأسي من جسدي[1]».

وقال العلّامة، السيِّد الرَّضيّ: «ومن سأل عن قوله تعالى: فمن حاجَّكَ فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ـ الآية، فقال: أما دعاء الأبناء والنّساء فالمعنى فيه ظاهر، فما دعاء الأنفس؟ والإنسان لا يصحُّ أن يدعو نفسه كما لا يصحّ أن يأمر و ينهي نفسه.

فالجواب عن ذلك: أنّ العلماء أجمعوا والرّواة أطبقوا على أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمّا قدم عليه وفد نصارى نجران وفيهم الأسقف (وهو ابو حارثة بن علقمة) والسيّد والعاقب، وغيرهم من رؤسائهم، فدار بينهم وبين رسول صلى الله عليه وآله وسلم في معنى المسيح عليه السلام ما هو مشروح في كتب التفاسير (ولا حاجة بنا إلى استقصاء شرحه لأنّه خارج عن غرضنا في هذا الكتاب). فلمّا دعاهم صلى الله عليه وآله وسلم إلى الملاعنة أقعد بين يديه أمير المؤمنين علياً، ومن ورائه فاطمة، وعن يمينه الحسن، وعن يساره الحسين عليهم السلام أجمعين، ودعاهم (وهو) صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن يلاعنوه، فامتنعوا من ذلك خوفاً على أنفسهم وإشفاقاً من عواقب صدقه وكذبهم.

وكان دعاء الأبناء مصروفاً إلى الحسن والحسين عليهما السلام، ودعاء النَّساء مصروفاً إلى فاطمة عليها السلام، ودعاء الأنفس مصروفاً إلى أمير المؤمنين عليه السلام، إذ لا أحد في الجماعة يجوز أن يكون ذلك متوجّها إليه غيره، لأنَّ دعاء الإنسان نفسه لا يصحُّ كما لا يصحُّ أن يأمر نفسه، ولأجل ذلك قال الفقهاء: إنَّ الآمر لا يجوز أن يدخل تحت الأمر، لأنَّ من حقِّه أن يكون فوق المأمور في الرُّتبة ويستحيل أن يكون فوق نفسه.

وممّا يوضح ذلك ما رواه الواقديُّ في كتاب «المغازي» من أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمّا أقبل من بدر ومعه اسارى المشركين كان سهيل بن عمرو مقروناً إلى ناقة

---

(١) ذخائر العقبى: ٦٣.

النبيّ ﷺ، فلمّا صار من المدينة على أميال انتشط (اجتذب) نفسه من القرن (الحبل) وهرب. فقال النبيّ ﷺ: من وجد سهيل بن عمرو فليقتله، وافترق القوم في طلبه فوجده النّبيّ ﷺ من بينهم منقبعاً إلى جذع شجرة (مستتراً في أصل الشَّجرة) فلم يقتله وأعاده إلى الوثاق لأنّه لم يصحّ دخوله تحت أمر نفسه، ولو وجد غيره من أصحابه لوجب عليه أن يقتله لما صحّ أن يدخل تحت أمر النبيّ ﷺ...

ومن شجون (شعبة) هذه المسألة ما حكي عن القاسم بن سهل النّوشجانيّ، قال: «كنت بين يدي المأمون في ايران مع أبي مسلم بمرو وعليّ بن موسى الرضا عليه السلام قاعد عن يمينه، فقال لي المأمون: يا قاسم! أيّ فضائل صاحبك أفضل؟ فقلت: ليس شيء منها أفضل من آية المباهلة فإنّ الله سبحانه جعل نفس رسوله ﷺ ونفس عليّ عليه السلام واحدة. فقال لي: إن قال لك خصمك: إنّ النّاس قد عرفوا الأبناء في هذه الآية والنّساء وهم الحسن والحسين وفاطمة، وأمّا الأنفس فهي نفس رسول الله وحده، بأي شيء تجيبه؟».

قال النّوشجانيّ: «فأظلم عليَّ ما بينه وبيني وأمسكت لا اهتدي بحجّة. فقال المأمون للرّضا عليه السلام: ما تقول فيها يا أبا الحسن؟ فقال له: في هذا شيء لا مذهب عنه. قال: وما هو؟ قال: هو أنَّ رسول الله ﷺ داع ولذلك قال الله سبحانه: ﴿**قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم...**﴾ الآية، والدّاعي لا يدعو نفسه إنّما يدعو غيره، فلمّا دعا الأبناء والنِّساء ولم يصحّ أن يدعو نفسه لم يصحّ أن يتوجّه دعاء الأنفس إلّا إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام إذ لم يكن بحضرته ـ بعد من ذكرناه ـ غيره ممّن يجوز توجّه دعاء الأنفس إليه، ولو لم يكن لك كذلك لبطل معنى الآية».

قال النّوشجانيّ: «فانجلى عن بصري، وأمسك المأمون قليلاً ثمّ قال له: يا أبا الحسن إذا اصيب الصّواب انقطع الجواب»[1].

---

(١) حقائق التأويل: ٥/١٠٩.

أقول: بعد الوقوف على المقصود من كلمة أنفسنا في الآية الشريفة، وما قاله أكثر علماء العامة في كونها المراد منها هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وبعد معرفة معنى أنفسنا من خلال الروايات التي نطق بها الصادق الأمين في أكثر من موضع، بقى أن نذكر مناقشة لا تخلو من فائدة مهمة أوردها صاحب التفسير الكبير الفخر الرازي على نفسه من حيث لا يشعر ووقف أزاءه علماءنا الأبرار في بيان خطئه، واشتباهه في عدم فهم المقصود من الكلام الذي أورده محمّد بن الحسن الحمصي الذي يعتبر من الشيعة الأثنى عشرية حيث يقول الرازي في تفسيره ما نصه:

«المسألة الخامسة: كان في الرّي رجل يقال له: محمود بن الحسن الحمصيّ، وكان معلّم الأثني عشريّة؛ وكان يزعم أنَّ علياً رضي الله عنه أفضل من جميع الأنبياء سوى محمّد صلى الله عليه وسلم، قال: والّذي يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿**أنفسنا وأنفسكم**﴾، وليس المراد بقوله ﴿**أنفسنا**﴾ نفس محمّد صلى الله عليه وسلم لأنَّ الإنسان لا يدعو نفسه بل المراد به غيره، وأجمعوا على أنَّ ذلك الغير كان عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فدلت الآية على أنَّ نفس عليّ عليه السلام هو نفس محمّد صلى الله عليه وسلم، ولا يمكن أن يكون المراد منه أنَّ هذه النَّفس هي عين تلك النفس، فالمراد أنَّ هذه النَّفس مثل تلك النَّفس، وذلك يقتضي الأستواء في جميع الوجوه. وترك العمل بهذا العموم في حقِّ النّبوّة وفي الفضل لقيام الدَّلائل على أنَّ محمّداً صلى الله عليه وسلم كان نبيّاً وما كان عليٌّ كذلك. ولأنعقاد الإجماع على أنَّ محمّداً صلى الله عليه وآله كان أفضل من عليٍّ رضي الله عنه فيبقى فيما وراءه معمولاً به، ثمَّ الإجماع دل على أنَّ محمّداً صلى الله عليه وآله كان أفضل من سائر الأنبياء عليهم السلام فيلزم أن يكون عليّ أفضل من سائر الأنبياء. فهذا وجه الاستدلال بظاهر الآية»[1].

ثم قال «أي الحمصي»:

ويؤيّد الإستدلال بهذه الآية الحديث المقبول عند الموافق والمخالف وهو

---

(١) التفسير الكبير: ٨/٨٦، النقل بالمضمون والمعنى.

قوله عليه السلام: « من أراد أن يرى آدم في علمه، ونوحاً فيّ طاعته، وإبراهيم في خلّته، وموسى في هيبته، وعيسى في صفوته، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام »[1].

فالحديث دلَّ على أنّه اجتمع فيه ما كان متفرقاً فيهم، وذلك يدلُّ على أنَّ عليّاً رضي الله عنه أفضل من جميع الأنبياء، سوى نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، و أمّا سائر الشيّعة فقد كانوا قديماً وحديثاً يستدلّون بهذه الآية على أنَّ عليّاً رضي الله عنه مثل نفس محمّد صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ فيها خصَّه الدَّليل، وكان نفس محمّد صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من الصَّحابة فوجب أن يكون نفس عليٍّ صلى الله عليه وآله وسلم أفضل أيضاً من سائر الصَّحابة».

ثم قال الفخر الرازي: «والجواب أنّه كما انعقد الإجماع بين المسلمين على أنَّ محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من عليٍّ صلى الله عليه وآله وسلم فكذلك انعقد الإجماع بينهم قبل ظهور هذا الإنسان على أنَّ النَّبيَّ أفضل ممّن ليس بنبيٍّ، وأجمعوا على أنَّ عليّاً رضي الله عنه ما كان نبيّاً، فلزم القطع بأنَّ ظاهر الآية كما أنّه مخصوص في حقِّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم فكذلك مخصوص في حقِّ الأنبياء عليهم السلام »[2].

ولقد هبَّ علماءنا الأتقياء في الرّد على كلام الرازي وعدم إدراكه للقول، مع إعترافه بالأفضلية من حيث لا يشعر بما روّاه من الكلام المنسوب إلى الحمصي، ومن جملة العلماء الذين ردوه العلامة السبيتي بعد نقل كلام الرازي بتمامه حيث يقول:

«والقارىء يلاحظ معنا أنّه لم يناقش في دلالة الآية على أفضليّة عليٍّ عليه السلام على سائر الصَّحابة، ويلاحظ أيضاً أنّه لم يناقش في اتفاق المسلمين على صحَّة الخبر الدّالَّ على أنَّ ما تفرق من الصِّفات في الأنبياء عليهم السلام قد اجتمعت جميعاً في شخص

---

(١) قد مّر بك حديث تشبية الإمام علي عليه السلام بالأنبيّاء في الصفحات المتقدمة.

(٢) التفسير الكبير: ٨/٨٦.

عليٍّ عليه السلام، وهذا يتّضح من جوابه على دعوى ابن الحسن الحمصي أنَّ علياً أفضل من سائر الأنبياء سوى محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، وكذلك لم يردّ على الشّيعة ما استفادوه من دلالة الآية الكريمة على أفضليّة عليٍّ عليه السلام، وكلّ ما في الأمر أنّه ناقش ابن الحسن الحمصيَّ فيما ادَّعاه من الإجماع بإجماع ادّعاه هو نفسه وفرضه على المسلمين فرضاً. ولمحمود الحمصيِّ أن يقول: إنَّ إجماع يخرج منه النّخبة الممتازة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويخرج منه الهاشميّون جميعاً ويخرج منه الشِّيعة ليس بإجماع على كلِّ تفسير يفسر به الفخر الرَّازيّ الإجماع، ولايقام لهذا الإجماع وزن بين الإجماعات الّتي يدّعيها المسلمون. وغير جائز في العقل أن يكون إجماع ونصف المسلمين على التّقريب يقولون بأفضليّة عليٍّ عليه السلام على سائر الأنبياء.

ثم يعود محمود بن الحسن الحمصي فيقول: إنَّ المسلمين والنّخبة الممتازة من صحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أجمعوا قبل أن يخلق الله هذا الانسان (أعني الفخر الرازيَّ) ومن على رأيه على أنَّ علياً عليه السلام أفضل من خلق الله باستثناء محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ويبدو لنا أنَّ هذا صحيح من وجهة الأمر الواقع، وأنَّ هذا الإجماع هو الإجماع الصَّحيح المعتبر الّذي يصحّ أن يحتجَّ به المسلمون إذا راجعنا إلى شروط حجّيّة الإجماع وإمكان تحققّه ووقوعه»[1].

* وقال العلامة المجاهد المرحوم محمّد الحسن المظفر رحمه الله حول كلام الرازي حول الإستدلال بالأفضلية:

«ويستفاد من الرّازي في تفسير الآية تسليم دلالتها على أفضليّته من الصّحابة لأنّه نقل عن الشّيخ محمود بن الحسن الحمصيِّ أنّه استدلَّ بجعل عليٍّ عليه السلام نفس النّبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم على كونه أفضل من جميع الأنبيّاء سوى محمّد لأنَّ النّبيَّ أفضل منهم

(١) المباهلة: ١٠١.

وعليٌّ نفسه، ونقل عن الشيعة قديماً وحديثاً الإستدلال بذلك على فضل عليّ على جميع الصَّحابة، وما أجاب الرَّازيُّ إلاّ عن الأوّل بدعوى الإجماع على أنَّ الأنبياء أفضل من غيرهم قبل ظهور الشّيخ محمود.

وفيه: أنَّ الإجماع إنّما هو على فضل صنف الأنبياء على غيرهم من الأصناف، وفضل كلِّ نبيٍّ على جميع امّته لافضل شخص من الأنبياء على كلّ من عداهم حتّى لو كان من امم غيرهم ـ إلى أن قال: ـ ولم يختصَّ تفضيل أمير المؤمنين علي من عدا محمّدﷺ من الأنبياء بالشّيخ محمود حتّى ينافي ما ادَّعاه الرَّازي من الإجماع بل قال به الشَّيعة قبل وجود الشيَّخ محمود وبعده مستدلين بالآية الكريمة وغيرها من الآيات»[1].

❊ وقال العلامة المجاهد السيد شرف الدين رحمه الله تعليقاً على كلام الرازي:

«وأمعن النّظر تجده قد أوضح دلالة الآية على ذلك غاية الإيضاح ونادى (من حيث لا يقصد) حيَّ على الفلاح، لم يعارض الشَّيعة فيما نقله عن قديمهم وحديثهم ولا ناقشهم فيه بكلمة واحدة فكأنَّه أذعن لقولهم واعترف بدلالة الآية على رأيهم، وإنما ناقش المحمود بن الحسن كما لا يخفى؛ على أنَّ الاجماع الّذي صال به الرَّازي على محمود لا يعرفه محمود ومن يرى رأيه، فافهم»[2].

وبهذا القول ينتهي بنا البحث حول دلالة الآية ـ آية المباهلة ـ في كونها أدل دليل على إثبات أفضلية الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام على الأنبياء عليهم السلام. والحمد لله رب العالمين.

❊ ❊ ❊

(١) دلائل الصدق: ٢/٨٦.

(٢) الكلمة الغراء: ٥.

الاستدلال بآية التطهير

قال الله تعالى:

﴿إنما يُريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾[1].

أنّ آية التطهير من الآيات العظّيمة التي نزلت في حق أهل بيت العصمة والطهارة عليهم أفضل الصلاة والسلام، ولقد وقف المفسرون والكّتاب وأهل التحقيق والتدقيق، من أهل المعرفة والدرّاية بالروايات مع هذه الآية، وسبب نزولها، وعلى أي شيء تدل في متنها ودلالتها؟

ولقد تعرّضنا بشيء من التفصيل في كتابنا الأسرار الفاطميّة في بحث عصمة الصديقة الطاهرة في الوقوف على تفسير هذه الآية، والمراد من أداة الحصر «إنما» وما هو «الرجس»؟ ومعنى أهل البيت الوارد في الآية المباركة.

وقبل الإستدلال بهذه الآية على أفضلية عليّ وآل عليّ عليهم السلام على الأنبيّاء وجميع البشر وكيفية هذا الاستدلال لابّد لنا من الوقوف ولو بصورة إجمالية على تفسير هذه الآية وبيان معانيها والمراد من مفرادتها التي نزلت بها، ولو على سبيل الإيجاز دون الإطناب والتوسع، فأن هذه الآية قد ألّفت فيها الكثير من الكتب والمؤلفات الدقيقة لما لها من الأهميّة العظمى في المحاورات العقائدية، ولكّن من باب ما لا يدرك كله لا يترك جلّه، نقف مع الأخبار الواردة من العامة والخاصة في هذه الآية وشأن نزولها وبيان معانيها، ثم نعّرج على الإستدلال بها على أفضّلية عليّ عليه السلام على الأنبيّاء دون الخاتم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

أهل البيت عليهم السلام

أجمع أصحابنا الإمامية أن المراد من أهل البيت في الآية المباركة إنما هم محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم أفضل الصلاة والسلام، وقد تسالم أصحابنا على هذا الأمر وأخذوه أخذ المقطوع به دون شك وريب، ويؤيد هذا القول ما رواه العامة في المراد من أهل البيت في الآية وإليك جملة من الأحاديث في ذلك:

١ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «نزلت هذه الآية في خمسة: فيَّ وفي عليٍّ رضي الله عنه والحسن رضي الله عنه والحسين رضي الله عنه وفاطمة رضي الله عنها: **إنّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطهيراً.**

٢ـ عن عائشة: «خرج النّبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم ذات غداة وعليه مرط مرجّل من شعر أسود، فجاء الحسن فأدخله معه، ثمَّ جاء عليٌّ فأدخله معه، ثمَّ قال: **إنّما يُريدُ اللهُ ليُذهبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أهلَ البيت ويُطهركم تِطهيراً.**

٣ـ عن أنس: «أنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يمرّ ببيت فاطمة ستة أشهر كلّما خرج إلى الصلاة فيقول: الصلاة أهل البيت، **إنّما يُريدُ الله لِيُذهبَ عِـنكُمُ الرِّجس أل البـيت ويطهركم تطهيراً.**

٤ـ عن شهر بن أشوب، عن أُمِّ سلمة قالت: «كان النبيُّ عندي وعليُّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فجعلت لهم خزيرة فأكلوا وناموا وغطّى عليهم عباءة أو قطيفة، ثمَّ قال: **اللّهم هؤلاء أهل بيتي أذهب عنهم الرِّجس وطهرهم تطهيراً**».

٥ـ عن أبي الحمراء قال: «رابطت المدينة سبعة أشهر على عهد النـبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، قال: رأيت النّبيَّ إذا طلع الفجر جاء إلى باب عليٍّ وفاطمة فقال: الصَّلاة، الصَّلاة، **إنّما يُريدُ الله ليُذهبَ عَنكُمُ الرِّجس أهْلَ البيت ويُطَهِّرَكُمْ تَطهيراً.**

٦ـ يونس بن أبي إسحاق بإسناده عن النّبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم مثله.

٧ـ عن أبي عمّار قال: «إنّي لجالس عند واثلة بن الأسقع إذا ذكروا عليّاً رضي الله عنه فشتموه، فلمّا قاموا، قال: أجلس أُخبرك عن هذا الّذي شتموه، إنّي عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ جاءه عليٌّ وفاطمة والحسن والحسين، فألقى عليهم كساء له، ثمَّ قال: **اللّهم هؤلاء أهل بيتي، اللّهم أذهب عنهم الرِّجس وطهِّرهم تطهيراً**».

٨ـ عن أبي سعيد الخدريِّ، عن أُمِّ سلمة، قالت: «لمّا نزلت هذه الآية **إنّما يُريدُ اللهُ ليذهب عنكم الرِّجس أهلَ البيت ويطهركم تطهيراً**. دعا رسول الله عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً فحال عليهم كساء خيبريّاً فقال: **اللّهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم أذهب عنهم الرِّجس وطهِّرهم تطهيراً**». قالت أمّ سلمة: ألست منهم؟ قال: أنت إلى خير».

٩ـ عن عطيّة، عن أبي سعيد، عن أُمِّ سلمة زوجة النّبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم: أنَّ هذه الآية نزلت في بيتها إنّما **يريدُ اللهُ ليذهبَ عنكمُ الرِّجس أهلَ البيت ويطهركم تطهيراً**. قالت: وأنا جالسة على باب البيت، فقلت: أنا يارسول الله ألست من أهل البيت؟ قال: إنّك إلى خير، أنت من أزواج النّبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم. قالت: وفي البيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليٌّ وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم».

١٠ـ عن أبي الدَّيلم، قال: قال عليّ بن الحسين عليه السلام لرجل من أهل الشّام: «أما قرأت في الأحزاب: **إنّما يريدُ اللهُ ليذهبَ عنكمُ الرِّجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**؟ قال: ولأنتم هم؟ قال: نعم»[١].

وأورد العلاّمة، جلال الدّين السُّيوطيُّ في تفسيره «الدُّر المنثور» عشرين رواية من طرق متعدِّدة في أنَّ المراد من أهل البيت هم الخمسة صلوات الله عليهم أجمعين. قال: أخرج الطَّبرانيُّ عن أُمِّ سلمة رضي الله عنها أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لفاطمة رضي الله عنها: أيتيني بزوجك وابنيه، فجاءت بهم، فألقى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(١) جامع البيان: ٢٢/٥، حيث نقل جميع هذه الأحاديث عن أبي سعيد الخدري.

عليهم كساء فدكيّاً، ثمَّ وضع يده عليهم ثمَّ قال: **اللّهم إنَّ هؤلاء أهل محمّد** (وفي لفظ آخر: **آل محمّد**) **فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمّد كما جعلتها على آل إبراهيم، إنّك حميد مجيد**. قالت أُمّ سلمة رضي الله عنها: فرفعت الكساء لادخل معهم، فجذبه من يدي وقال: إنّك على خير»[1].

❊ وقال الراغب في المفردات في معنى أهل البيت: «أهل الرَّجل من يجمعه وإيّاهم نسب، أو دين، أو ما يجري مجراهما من صناعة، وبيت، وبلد فأهل الرَّجل في الأصل من يجمعه وإيّاهم مسكن واحد، ثمَّ تجوَّز به فقيل أهل بيت الرّجل لمن يجمعه وإيّاهم نسب، وتعورف في أُسرة النبيِّ عليه (وآله) الصّلاة والسّلام مطلقاً إذا قيل أهل البيت، لقوله عزَّ وجلَّ: **إنّما يُريدُ اللهُ ليُذهب عنكم الرِّجس أهل البيت ـ الآية**.

وقال أيضاً في مادَّة «بيت»: «أصل البيت مأوى الإنسان باللّيل لأنّه يقال: بات أقام باللّيل، كما يقال: ظلَّ بالنّهار. ثمَّ قد يقال للمسكن: بيت، من غير اعتبار اللّيل فيه ـ إلى أن قال: ـ وصار أهل البيت متعارفاً في آل النبيّ عليه (وآله) الصّلاة والسّلام».

❊ وقال ابن منظور في «لسان العرب»: «والبيت من الشعر مشتق من بيت الخباء لأنّه يضم الكلام كما يضم البيت أهله».

❊ وقال العلّامة الطباطبائي رحمه الله: «وبالبناء على ما تقدَّم لفظة أهل البيت إسماً خاصاً في عرف القرآن بهؤلاء الخمسة، وهم النّبيّ وعليّ وفاطمة والحسنان ـ عليهم الصّلاة والسّلام ـ لا يطلق على غيرهم، ولو كان من أقربائه الأقربين، وإن

---

(١) الدر المنثور: ٥/ ١٩٨.

صحّ بحسب العرف العامّ إطلاقه عليهم»[١].

وأقوى دليل على أنّ المراد بأهل البيت هم الخمسة الطّيبة والأئمة المعصومون عليهم السلام[٢] هو ما كان يفعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد نزول قوله تعالى: **﴿وأمُرْ أهلَكَ بِالصَّلاةِ واصْطَبِرْ عَلَيْها﴾**[٣]، فإنّه صلى الله عليه وآله وسلم بعد نزولها كان يمرُّ على بيت أمير المؤمنين وفاطمة عليهما السلام ويقول: «الصَّلاة رحمكم الله ـ **﴿إنّما يُريدُ اللهُ ليذهبَ عنكمُ الرِّجسَ أهلَ البيت وَيطهركم تَطهيراً﴾**.

ماذا تفيد **﴿إنّما﴾**؟

ولفظة **﴿إنّما﴾** تفيد الحصر والقصر كما هو وارد في اللغة العربية وفي ذلك يقول الطوسي رحمه الله:

«إنَّ لفظة **﴿إنّما﴾** تجري مجرى ليس. وقد دلّلنا على ذلك فيما تقدَّم وحكيناه

---

(١) تفسير الميزان: ١٦/٣٣٠.

(٢) حسب التتبع يطلق أهل البيت في الأحاديث والروايات الشريفة على معان أربعة:

أوّلاً: أصحاب الكساء الخمسة الطاهرين عليهم السلام الذين نزلت فيهم آية التطهير وسمينا هذا الإطلاق (أهل البيت عليهم السلام بالمعنى الأخص).

ثانياً: يطلق ويراد به خصوص الأئمّة الأثني عشر أو بالاحرى الأربعة عشر معصوم عليهم السلام أي الرسول الأعظم وبنته فاطمة الزهراء والأئمّة والأثني عشر عليهم السلام كما في حديث الثقلين وحديث السفينة وسميناه (أهل البيت عليهم السلام بالمعنى الخاص).

ثالثاً: يطلق ويراد به ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله إلى يوم القيامة وسميناه (أهل البيت بالمعنى العام).

رابعاً: يطلق ويراد به امّة النبيّ صلى الله عليه وآله ومن كان على خطاه وهديه وسنّته ويتأسى به ويقتبس من علومه كسلمان المحمّدي رضوان الله عليه (سلمان منّا أهل البيت) وسميناه (أهل البيت بالمعنى الأعم) أذا أردت التفصيل والشواهد فراجع كتابنا (المأمول في تكريم ذرية الرسول). «السيّد العلوي».

(٣) طه: ١٣٢.

عن جماعة من أهل اللّغة كالزَّجّاج وغيره، فيكون تلخيص الكلام: ليس يريد الله إذهاب الرِّجس على هذا الحدِّ إلاّ عن أهل البيت. فدلَّ ذلك على أنَّ إذهاب الرِّجس قد حصل فيهم، وذلك يدلُّ على عصمتهم»[١].

وقال الطبرسي رحمه الله: «فإن قول القائل: إنّما لك عندي درهم، وإنّما في الدّار زيد، يقتضي أنّه ليس له عنده سوى الدِّرهم، وليس في الدّار سوى زيد».

وأمّا الإرادة، فهي المصدر من باب الإفعال لـ«أراد، يريد» منقولة من «راد، يرود». قال الرّاغب في «معجم مفردات الفاظ القرآن»: «والإرادة منقولة من «راد، يرود» إذا سعى في طلب شيء والإرادة في الأصل قوّة مركّبة من شهوة، وحاجة، وأمل، وجعل إسماً لنزوع النفّس إلى الشّيء مع الحكم فيه، ينبغي أن يفعل أو لا يفعل، ثمَّ يستعمل مرَّة في المبدء، وهو نزوع النفس إلى الشيء، وتارة في المنتهى وهو الحكم فيه بأنّه ينبغي أن يفعل أو لا يفعل، فاذا استعمل في الله فإنّه يراد به المنتهى دون المبدء، فإنّه يتعالى عن معنى النّزوع».

وقال الشيخ الطوسي رحمه الله: «ليس يخلو إرادة الله الإذهاب الرِّجس عن أهل البيت من أن يكون ما أراد منهم من فعل الطّاعات واجتناب المعاصي، أو يكون عبارة عن أنّه أذهب عنهم الرِّجس بأن فعل لهم لطفاً اختاروا عنده الإمتناع من القبائح. والأوَّل لا يجوز أن يكون مراداً؛ لأنَّ هذه الإرادة حاصلة مع جميع المكلفين فلا إختصاص لأهل البيت في ذلك، ولا خلاف في أنّ الله تعالى خصَّ بهذه فلا إختصاص الآية؟ أهل البيت بأمر لم يشركهم فيه غيرهم، فكيف يحمل على ما يبطل هذا التّخصيص ويخرج الآية من أن يكون لهم فيها فضيلة ومزيّة على غيرهم؟».

وإذا لم يكن سوى آية التطـ ـهير فيكم لكان فيها اكتفاءُ

---

(١) التبيان للطوسي: ٨/ ٣٢٠.

وقال العلّامة الطباطبائي رحمه الله: «والمعنى أنّ الله سبحانه تستمرّ إرادته أن يخصّكم بموهبة العصمة بإذهاب إعتقاد الباطل وأثر السَّيِّىء عنكم أهل البيت»[١].

وأما مفهوم الإذهاب، فهو يستعمل على قسمين، مرّة يطلق ويراد منه إزالة الشّيء عن المحلّ بعد ثبوته، كقول الفقيه: «الماء يذهب القذارة والنّجاسة» أو «أذهبت التّوبة والإنابة ذنبي»، وتارة يطلق ويراد منه دفع الشيّء عن المحلّ قبل عروضه وإن كان المحلّ ممكناً في حدّ ذاته لعروضه، كقولك لخليلك: «أذهب حبّك والوصول إليك مشقّة الطّريق عنّي» أو «أذهب الله عنك السّوء والبلاء» أو كقولك للحفّار: «ضيّق فم الرَّكيّة» وكقول النّحاة: «جرّد المبتدء عن العوامل اللّفظيّة» أو «إنَّ مصيبة فلان أذهب عنّى النّوم». أي فإنَّ حبّك والوصول إليك يمنع عروض التعب عليَّ، فإنَّ الله يدفع عنك السّوء والبلاء، وفإنَّ الحفّار يضيّق فم الرَّكبّة من بدء الأمر، والمبتدء جاء ابتداء من دون العوامل اللّفظيّة. فإنَّ هذه الأمثال كلّها للدَّفع بخلاف الأمثال الأوليّة، فإنَّ الماء أذهب القذارة بعد عروضه في المحلّ، والتّوبة والإنابة الذَّنب بعد وقوعه في النَّفس.

وأمّا مفهوم الرِّجس، فهو ما قال الرّاغب في «المفردات»: «الرّجس الشيء القذر، والرِّجس يكون على أربعة أوجه: إمّا من حيث الطّبع، وإما من جهة العقل، وإمّا من جهة الشّرع، وإمّا من كلّ ذلك كالميتة، تعاف طبعاً وعقلاً وشرعاً. والرِّجس من جهة الشّرع الخمر والميسر، وجعل الكافرين رجساً من حيث إنَّ الشّرك بالعقل أقبح الأشياء»[٢].

«والرجس ـ بالكسر فالسّكون ـ صفة من الرَّجاسة وهي القذارة، والقذارة هيئة في الشّيء توجب التّجنّب والتّنفّر منها، وتكون بحسب ظاهر الشّيء كرجاسة

---

(١) تفسير الميزان: ١٦/ ٣٣٠-٣٣١.

(٢) تفسير الميزان: ١٦/ ٣٣٠.

الخنزير، وبحسب باطنه وهو الرِّجاسة والقذارة المعنويّة كالشِّرك والكفر ـ إلى أن قال: ـ وأيّاماً كان فهو إدراك نفسانيٌّ وأثر شعوريٌّ من تعلّق القلب بالإعتقاد الباطل أو العمل السّيِّيء»[١]، ثمَّ إنَّ الرِّجس الّذي هو معرَّف باللاّم في الآية وإن كان في حدِّ ذاته لا يفيد العموم لإنه في السياق الإثبات إلاّ أنّه يفيد بإعتبار وقوعه مفعولا ليذهب، لأنَّ الإذهاب في معنى سلب الرِّجس ونفيه، ولا يصدق سلبه إطلاقاً إلاّ بانتفاء كلِّ فرد منه خصوصاً مع قوله تعالى: ﴿**ويطهِّركم تطهيراً**﴾ ضرورة عدم حصول التّطهير برفع بعض الأقذار دون بعض فبناء على هذا فالآية الكريمة تدلّ على تنزّههم عليهم السلام عن كل رجس يصدق عليه عنوان الرِّجس سواء كان ذنباً أو غير ذنب، بل مطلق اتباع الهوى ولو في المباحات.

أقول: بعد هذا البيان والأطلاع على كلام المفسرين وأهل اللغة في توضيح مفردات آية التطهير مع مراعاتنا للإختصار، تبيّن لنا المراد من أهل البيت عليهم السلام، ومعنى إذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم من كل دنس، حيث ثبت لهم العصمة الذاتية المطلقة في كل الأحوال والظروف سواء التبليغية أو غير ذلك، وكذلك أذهب الله عنهم الرجس سواء المادي أو المعنوي بل بكل اصنافه وأنواعه، فبعد معرفة البيان يتضح لنا وجه الإستدلال على الأفضلية الثابتة لهم من قبل الله تعالى.

وجه الإستدلال

لما ثبتت العصمة الذاتية المطّلقة للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الأطهار بنص ودلالة آية التطهير وبعد التسليم بعصمة الأنبيّاء أجمعين كما هو مثبوت في محله من الكتب الكلامية نقول:

إنّ العصمة كليّ مشكك تمتاز بالشدة والضعف ولا نعني أنها تكون مميزة في

(١) تفسير الميزان: ١٦/ ٣٣١.

بعض الحالات بالضعف أي تكون ملازمة للذنوب الصغيرة مثلا، كـلا! فأن الأمـر أعلى وأجل من ذلك، لأن العصّمة وإن كانت في بعض مراتبها ضعيفة فهذا لا يعني انها منتفية عن العصمة المطلقة بل العصمة المطلقة ثابتة بكل الأحوال، ولكنها هنا شديدة جداً تكون في أعلى مراتبها، وهناك تكون أضعف حـالا مـن الأولى مـع التسليم ببقاء العصمة المطلقة الذاتية،في كلتا الحالتين أعني الشدة والضعف.

وعلى هذا البيان يظهر لنا أن العصمة تمتاز عند بعض الأنبيّاء بالشدة وتكون في أعلى مراتبها وأعلى مراتب العصمة الذاتية المـطلقة قـد تـجلت فـي مـحمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، لأنه لما ثبت في محله إن أفضل الأنبيّاء وأحسنهم وأكملهم هو النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، يلازم هذا القول مع القول بالعصمة العالية في أعلى مراتبها وتفضيله على الغير فالقول بالأفضلية بالنسبة إليه يستلزم كونه في أعـلى مـراتب العـصمة المطلقة، ومن هذا يفهم أن القول بالعصمة المطلقة الذاتية المشكك حسب المفهوم الفلسفي، يقتضي كون الأنبياء في مراتب تختلف بعضها عن البعض الأخر بالقرب والبعد من الله تعالى، وأدل دليل على ذلك هو ما ورد في القرآن الكريم في قـوله تعالى ﴿**تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض**﴾، فالتفضيل ثـابت بـلسان القـرآن الكريم، وهذا فيه دلالة على أن التفّضيل يقتضي كون العصمة ذات مراتب فهي كلي مشكك تمتاز بالشدة والضعف وقد يقول البعض أن هذه الملازمة غير ثابتة فمن أين أتت هذه الملازمة بين التفضيل بلسان القرآن الكريم وبين العصمة المطلقة الذاتية التي هي حسب تعبير كلي مشكك؟

نقول في الجواب على هذه المؤاخذة: أنّه لما كانت الأفضّلية والتفضيل ثـابت بلسان القرآن الكريم لابد أن يكون هناك منشأ لهذا التفضيل بين الأنبيّاء وإلا كيف كان التفضيل، ومن خلال إستقراء أيات القرآن الكريم في هذا المجال أي تفضيل الأنبياء بعضهم على البعض الأخر ـ نجد ان القرآن الكريم قد أثبت اختلاف الأنبياء

في مراتبهم بالقرب من الله تعالى، فهذه قضية موسى عليه السلام والخضر عليه السلام «العبد الصالح»، وكذلك قضية إبراهيم وطلبه للبرهان على كيفية احياء الموتى، وكذلك قضية داود في الغنم، وغير ذلك من القضايا القرآنية التي تثبت هذه الأفضلية على أساس التفاضل في التصرفات والسلوكيات التي يسلكها الأنبياء إتجاه الأمور المطروحة عليهم.

ومن هنا يعلم أن العصّمة قد تجلت أعلى مراتبها في أفضل الرسل والأنبيّاء وهم أولي العزم من الرسل «نوح، إبراهيم، موسى، عيسى، محمّد» عليهم أفضل صلاة المصلين، فهم يملكون أعلى مراتب العصمة الذاتية المطلقة ومن بينهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم المختصه من دون غيره بأعلى مراتب العصمة المطلقة الذاتية،فأن كل واحد من الأنبياء من أولي العزم فضلا عن غيرهم من الأنبياء سوى نبينا محمّد صلى الله عليه وآله وسلم يمتاز بشؤون تختلف عن الآخر.

ولما ثبت أن أعلى مراتب العصمة للنبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، ثبت أيضاً ذلك لمن هو نفسه بنص آية المباهلة ـ أعني به أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، فهو نفس النبيّ، ولما كان النبيّ الأفضل والأعلى شأناً في كل مراتب العصمة، وبدليل أية التطهير ثابت ذلك ايضاً لعليّ عليه السلام كيف لا؟ وعندنا روايات مأثورة عن أهل بيت العصمة والطهارة تؤكد على كون ولاية أهل البيت التي بعث بها الأنبيّاء باطناً كما مرّ بنا ذلك في البحوث المتقدمة هي الأساس لجعل الأنبيّاء مرسلين وغير مرسلين والملائكة مقربين وغير مقربين[1]، فأمر أهل البيت الذي جعل هذا التمييز بين الأنبيّاء يكون أدل دليل على أفضليتهم على غيرهم لأنه إذا كان أمرهم هكذا شأنه فكيف بالذي يتميز بهذا الأمر؟ فأنه لا بد أن يكون الأفضل والأحسن والأكمل وفي ذلك يقول

(١) راجع بصائر الدرجات لابن الصفار للاطلاع على هذه الأحاديث.

نابغة الدهر الشيخ محمّد حسين الأصفهاني رحمه الله:

ومذ تجلّى مشرقاً نور الهدى	خرّت له الأصنام طرّاً سُجدا
وفي اسمه كنز النّجاح والفرج	حدِّث بما شئت هنا ولا حرج
سمّاه باسمه العليّ الأعلى	تكرماً منه له وفضلاً
اسمٌ سَما في عالم الأسماء	كالشمس في كواكب السّماء
اسمٌ به يُستدفَع البلاءُ	وإن يكن أبرمه القضاءُ
اسم به أورقت الأشجار	إسم به أينعت الثمار
وقامت السبع العلى بلا عمد	باسم عليّ فهو خير معتمد
اسم به استدارت الأفلاك	اسم به استجارت الأملاك
اسم به آدم نال الصفوة	من ربّه ونال منه عفوه
وباسمه نوح نجا من الغَرَق	وفلكه جرى على خير نسق
وباسمه نال الخليل الخُلّة	شرّفه الله بتلك الحُلّة
ونال منه البرد والسلامة	بل منه نال منصب الإمامة
وباسمه موسى غدا كليما	ونال منه منزلاً كريماً
وباسمه سما المسيح ذو العلى	إلى السماء آمناً من البلا
وباسمه استغاث سيّد الورى	حين الّذي جرى عليه ما جرى
وباسمه كلّ نبيّ ووليّ	نجى من الشرّ الّذي به ابتُلي[1]

❁ ❁ ❁

(١) الانوار القدسية: ٣١-٣٢.

الإستدلال بآية الشاهد

قال الله تعالى:

﴿أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة﴾(١).

وقف المفسرون مع هذه الآية المباركة موقفاً آخذاً بين التفصيل في مدلولالتها وما تدل عليه، وبين الإيجاز والأكتفاء بما هو الظاهر في تفسيرها، على أن منشأ هذه الأختلاف فيها من كون المعنى الذي تتضمنه، وكيفية اعرابها الأعراب الصحيح، ومن الأمثلة على ذلك أختلافهم في فهم المراد من الموصول فيها أهو النبيّ ﷺ أو المؤمنون من أصحابه، أو غيرهم ممن هو على الحق من أهل الكتاب وفي أي زمان كانوا؟ وأيضاً تحيروا في المراد من البيّنة أهي القرآن الكريم أم قضية إلهية آخرى يترتب عليها البصيرة والهداية؟ وكذلك النزاع جرى في معرفة الضمير في كلمة «يتلوه» ما المراد منه؟

أهو التلاوة التي يقرأ بها القرآن المقصود بها، أم المراد التلو؛ وما هو المراد من الضمير المنصوب فيه أهو عائد إلى الموصول أو إلى البينة بأعتبار المعني.

أما الشاهد الذي عنته الآية المباركة ﴿ويتلوه شاهد﴾، قد كان للمفسرين فيه كلام، من كونه جبرئيل، أو لسان رسول الله ﷺ، أو وجهه، أو هو عليّ بن أبي

---

(١) هود: ١٧.

طالب عليه السلام، وكذلك الحال في المراد من الضمير المجرور في «**منه**» أهو عائد إلى الله عز وجل أو إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم؟ والمراد من الضمير المجرور في «**قبله**» أهو عائد إلى الموصول أو إلى البيّنة؟ والمراد من «**إماماً ورحمة**» هل هما حالان من الشاهد أو من كتاب موسى عليه السلام؟ إلا أن التدقيق في مدلولات هذه الآية خصوصاً لمن أعطاه الله تبارك وتعالى الفهم الصحيح والتدقيق الفعلي الصحيح يجد أن مسألة إختلاف القوم في تفسير هذه الأية إنما هو ناشيء من عدم الوقوف على أصول التفسير الصحيحة التي لا بّد أن تتوفر في المفَّسر للقرآن الكريم، فهو كتاب الله الذي لا يمسه إلا المطهرون والذي لا يصل إلى دقائق أسراره، ولطائف أخباره إلا من أعطاه الله تعالى نور الإيمان الذي يكون له دليلاً على وجدان ما يجده من التفسير الصحيح، لذا نجد العلّامة الطباطبائي في تفسيره الميزان يقول:

«وأمر الآية فيما يحتمله مفردات ألفاظها وضمائرها عجيب فضرب بعضها في بعض يرقى إلى الوان من المحتملات بعضها صحيح وبعضها خلافه»[١].

وبالجملة فأن هذه الآية المباركة تعتبر من الآيات الدالة على أفضلية أمير المؤمنين عليه السلام على جميع البشر حتى الأنبيّاء والرسل عليهم السلام سوى نبينا محمّد صلى الله عليه وآله وسلم الخاتم والأشرف والأفضل على البرية.

أما كيفية كونها من الدلائل الباهرات والواضحات على الأفضّلية فهذا بعد الوقوف على كون الآية المباركة وبمعونة الأخبار الكثيرة المستفيضة في المقام والتي جاءت من طريق العامة والخاصّة والتي تدل على أن من كان على بينة من ربه هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأن الشاهد التالي منه هو عليّ المرتضى عليه السلام، وأنّه منه أي كأنّه بعض من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجزء منه، بل أوصياؤه الكرام عليهم السلام شهداء منه واحداً بعد واحد.

---

(١) تفسير الميزان: ١٠/١٩٢.

أمّا كونه عليه السلام بعض من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعضوا منه، فهذه المناقب العظيمة له عليه السلام، وليس هذا مجرد احتمال أو وهم خيال وإنما بدليل معتبر وهو الإستفاضة في الأحاديث التيّ تدل على هذا الأمر، وهذه الأحاديث فيها دلالة قطعية لا يعتريها الشك على كونه بعض منه ولحمه ودمه، حيث روى الفريقين هذه الأخبار بعدة أسانيد معتبرة في سهادتها بهذا الأمر، ومن جملة هذه الأحاديث هو ما نذكره باختصار:

١ـ قال ابن أبي الحديد في شرحه: «عن عليّ عليه السلام قال: كنت في أيّام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كجزء من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينظر إليّ النّاس كما ينظر إلى الكواكب»[١].

٢ـ وقال أيضاً: «عن عليّ عليه السلام: أنا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كالعضد من المنكب، وكالذراع من العضد»[٢].

٣ـ قال العلاّمة الشّيخ سليمان القندوزيّ: «عن عليٍّ عليه السلام: أنا من أحمد كالكفِّ من اليد، وكالذِّراع من العضد، وكالضَّوء من الضَّوء»[٣].

٤ـ وعنه: « قال أبو ذرٍّ رفعه: إنَّ الله تبارك وتعالى ايَّد هذا الدين بعليٍّ، وإنَّه منِّي وأنا منه، وفيه أنزل: أفمن كان على بيِّنة من ربِّه» الآية[٤].

٥ـ وروى العلاّمة المناويّ: «عليّ منِّي بمنزلة رأسي من بدني». وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «عليٌّ مني وأنا من عليٍّ، ولا يؤدِّي عنِّي إلاّ أنا أو عليٌّ». وقال في شرحه: «أي هو متَّصل بي وأنا متَّصل به في الإختصاص والمحبّة وغيرهما»[٥].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٣٢٦/٢٠.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٣١٦/٢٠.

(٣) ينابيع المودة: ١٣٨.

(٤) ينابيع المودة: ٢٥٦.

(٥) فيض القدير: ٣٥٦/٤.

٦ـ قال الحافظ المحدِّث الكبير، الجوينيُّ الخراسانيُّ: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم... فعليّ منيّ وأنا منه، لحمه من لحمي، ودمه من دمي»[١].

٧ـ قال الحافظ المحدِّث محمّد بن طلحة الشّافعيُّ: «عن براء بن عـازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعليّ عليه السلام: أنت منّي وأنا منك»[٢].

٨ـ قال أحمد بن حنبل الشَّيبانيُّ: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (في حديث أخذنا منه موضع الحاجة): أما أنت، يا جعفر! فأشبهت خَلقي وخُلقي، وأمّا أنت، ياعليّ! فمنّي وأنا منك، وأمّا أنت، يا زيد! فأخونا ومولانا، والجارية عـند خـالتها، والخـالة والدة»[٣].

٩ـ قال الحافظ أبو عبد الله الكنجيُّ الشّافعي: «عن زادان، عـن سـلمان قـال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: كنت أنا وعليٌّ نوراً بين يدي الله مطيعاً، يسبِّح ذلك النّور ويقدسه قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلمّا خلق الله آدم ركز ذلك النّور في صلبه، فلم يزل في شيء واحد حتّى افترقنا في صـلب عـبد المـطَّلب، فجزءأنا، وجزء عليّ»[٤].

١٠ـ وقال أيضاً: «قال صلى الله عليه وآله وسلم: أنَّ الله خلق الأنبياء من أشجار شتّى، وخـلقني وعلياً من شجرة واحدة؛ فانا أصلها، وعليّ فـرعها، وفـاطمة لقـاحها، والحسـن والحسين ثمرها، فمن تعلّق بغصن من أغصانها نجا، ومن زاغ عنها هوى»[٥].

---

(١) فرائد السمطين: ١/٤٣.

(٢) مطالب السؤول: ١٨.

(٣) مسند أحمد: ١/٩٨.

(٤) كفاية الطالب: ٣١٥ باب ٨٧.

(٥) كفاية الطالب: ٣٣٧ باب ٨٧.

١١ـ وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا عليّ! خلقت أنا وأنت من شجرة واحدة، وأنا أصلها، وأنت فرعها، والحسن والحسين أغصانها. فمن تعلّق بغصن منها دخل الجنّة»[١].

١٢ـ وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: خلقت أنا وهارون بن عمران ويحيى بن زكريا وعليٌّ بن أبي طالب من طينة واحدة»[٢].

١٣ـ وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لأم سلمة: «أتعرفينه (يعني عليّاً) قالت: نعم، هذا عليّ بن أبي طالب، قال: صدقت، سجيته سجيتي، ودمه دمي»[٣].

١٤ـ وقوله عليّ عليه السلام: «إنّ الحسن والحسين عليهما السلام سبطا هذه الأمة، وهما من محمّد كمكان العينين من الرّأس، وأمّا أنا فكمكان اليد من البدن، وأمّا فاطمة فكمكان القلب من الجسد؛ مثلنا مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق»[٤].

١٥ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنت منّي كروحي من جسدي» وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أنت زرّي من قميصي» وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أنت منّي كالضّوء من الضّوء».

أقول: بعد هذا البيان الذي ظهر فيه كون أمير المؤمنين عليّ عليه السلام هو جزء وبعض من الرسول الأعظم بالمعنى الذي عرفت، بقيَّ لنا الوقوف مع تفسير هذه الآية الشريفة وما قاله فيها المفسرون من أقوال، حيث قال جُلّ المفسرين أنها المقصود بها أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، فهلم بنا نطّلع على أقوال القوم فيها وخصوصاً من كتب العامة، ومن بعد ذلك نقف مع وجه الإستدلال بها على الأفضلية.

(١) نفس المصدر.

(٢) كفاية الطالب: باب ٨٧.

(٣) نفس المصدر.

(٤) بحار الأنوار: ٣٩/٣٥٣.

آية الشاهد في كلام المفسرين

* قال العلاّمة سليمان الحنفيّ: «أخرج الحافظ جمال الدِّين الزَّرنديُّ المدنيُّ في «درر السّمطين» بسنده عن أبي الطُّفيل عامر بن وائلة وجعفر بن حيّان قالا: خطب الحسن بن عليٍّ رضي الله عنهما بعد شهادة أبيه قال: **أيّها النّاس!** أنا ابن البشير، وأنا ابن النّذير، وأنا ابن السّراج المنير ـ إلى أن قال: ـ فأخرج جدّي صلى الله عليه وآله وسلم يوم المباهلة من الأنفس أبي، ومن البنين أنا وأخي الحسين، ومن النِّساء امّي فاطمة؛ فنحن أهله ولحمه ودمه، ونحن منه وهو منّا، وهو يأتينا كلَّ يوم عند طلوع الفجر فيقول: الصّلاة، يا أهل البيت ـ يرحمكم الله ـ ثم يتلو: **إنّما يُريدُ اللهُ ليذهبَ عنكمُ الرِّجس أهلَ البيت ويطهركم تَطهيراً**، وقال الله تعالى: **أَفَمَنْ كانَ عَلى بَيِّنَةٍ من ربّه ويَتلُوهُ شاهدٌ منْهُ**، فجدّي صلى الله عليه وآله وسلم على بينة من ربِّه، وأبي الّذي يتلوه وهو شاهد منه»[1].

* وقال الإمام الحافظ، أبو جعفر، محمّد بن جرير الطَّبريّ في تفسيره: وقال آخرُونَ: هو عليّ بن أبي طالب. حدثني محمّد بن عمارة الأسديّ، قال: حدّثنا زريق ابن مرزوق، قال: حدّثنا صباح الفرّاء، عن جابر بن عبد الله بن يحيى، قال: قال عليّ رضي الله عنه ما من رجل من قريش إلاّ وقد نزلت فيه الآية والآيتان. فقال له رجل: فأنت فأي شيء نزل فيك؟ فقال عليٌّ: **أما تقرأ الآية الّتي نزلت في هود: يتلوهُ شاهدٌ منْهُ؟**[2].

* وقال جلال الدِّين السيّوطي في تفسيره: «أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه وأبو نعيم في المعرفة عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال عليه السلام: **ما من رجل من قريش**

---

(١) ينابيع المودة: ٤٧٩.

(٢) جامع البيان: ١٢/١٤.

إلاّ نزل فيه طائفة من القرآن. فقال له رجل، ما نزل فيك؟ قال عليه السلام: أمّا تقرأ سورة هود: **أَفَمَنْ كان على بينة من ربه ويتلوه شاهدٌ منْه** رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على بينة من ربه، وأنا شاهد منه».

وأخرج ابن مردويه وابن عساكر عن عليّ رضي الله عنه في الآية، قال: «رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على بيّنة من ربّه، وأنا شاهد منه»[١].

وأخرج ابن مردويه من وجه آخر، عن عليّ رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **أفمن كان على بيّنة من ربه** أنا. **ويتلوه شاهد منهُ** قال: عليّ»[٢].

❊ وقال الفخر الرازي في تفسيره الكبير:

«وثالثها (أي من الأقوال) أنَّ المراد هو عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، والمعنى أنّه يتلو تلك البيّنة. وقوله «منه» أي هذا الشّاهد من محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وبعض منه. والمراد منه تشريف هذا الشّاهد بأنّه بعض من محمّد صلى الله عليه وآله وسلم»[٣].

❊ وقال القرطبي في تفسيره: «روي عن ابن عبّاس أنّه قال: هو عليّ بن أبي طالب. وروي عن عليّ أنّه قال: ما من رجل من قريش إلاّ وقد أنزلت فيه الآية والآيتان، فقال له رجل: أيُّ شيء نزل فيك؟ فقال عليٌّ: ويتلوه شاهد منه»[٤].

❊ وقال الحافظ أبو حيّان الاندلسيّ في تفسيره: « وروي المنهال عن عبادة بن عبد الله: قال عليّ كرم الله وجهه ـ: ما في قريش أحد إلاّ وقد نزلت فيه آية؛ قيل: فما نزل فيك؟ قال عليه السلام: ويتلوه شاهد منه»[٥].

---

(١) الدر المنثور: ٣/٣٢٤.

(٢) نفس المصدر.

(٣) التفسير الكبير: ١٧/٢٠٠.

(٤) الجامع الأحكام القرآن: ٩/١٦.

(٥) البحر المحيط: ٥/٢١١.

*وقال الآلوسي البغداديّ في تفسيره: « وأخرج ابن مردويه بوجه آخر عن عليٍّ ـ كرم الله تعالى وجهه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أفمن كان على بينة من ربِّه**» أنا، «**ويتلوه شاهد منه**» عليّ. و «**يتلوه**» اي يتبعه «**شاهد**» عظيم يشهد يكونه من عند الله تعالى شأنه. ومعنى كونه «منه» أنَّه غير خارج عنه»[1].

* وقال العلاّمة، السيّد عليّ الموسويّ البهبهانيُّ في كتابه «مصباح الهداية»: « وأمّا المقام الثّالث وهو الإحتواء على المنقبة الفاضلة فيظهر من مواضع منها (أي من آية الشّاهد). الأول: كونه عليه السلام شاهداً لرَّسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على رسالته. والثاني: أنَّه من الرَّسول. والثالث: أنّه تالٍ له. والرابع والخامس: أنّه إمام ورحمة.

توضيح الأمر

إنَّ من الآثار المترتِّبة على الشَّهادة برسالته صلى الله عليه وآله وسلم إسلام الشّاهد، وهو مترتِّب عليها في جميع الموارد سواء كان الشّاهد معصوماً، أم لا. ومنها ثبوت الرِّسالة بها، وهو إنما يترتَّب عليها إذا كان الشّاهد عالماً معصوماً من الخطأ والزّلل عمداً وسهواً وجهلاً. والغرض في المقام إنما هو الثّاني لا الأوّل، ضرورة أنّه عزَّ وجلَّ في مقام إثبات رسالة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بالحجج القاطعة الّتي لا ينبغي الإرتياب فيها ممَّن له حظٌّ من مراتب التَّعقّل، فلو لم يكن هذا الشّاهد الّذي ذكره تعالى معصوماً من الجهل والزَّلل عمداً وسهواً لم يكن لذكره في هذا المقام وجعل شهادته في مقابل بينة الرَّبِّ تعالى مقدمة على شهادة كتاب موسى مجال... هذا كلّه بالنِّسبة إلى كونه عليه السلام شاهداً لرَّسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على رسالته، وأمّا كونه من الرَّسول صلى الله عليه وآله وسلم فمنقبة اخرى قد كشف عنها الرَّسول صلى الله عليه وآله وسلم على ما رواه الفريقان أنّه قال صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا وعليّ من

---

(١) تفسير روح المعاني: ١٢/٢٥.

شجرة واحدة، والنّاس من أشجار شتى» و «عليٌّ منّي وأنا منه» وهي منقبة جليلة دالّة على اتّحادهما وتساويهما في الكمال، وعدم ارتقاء أحد من النّاس مرتبته ودرجته.

وأمّا كونه تالياً للرّسول صلى الله عليه وآله وسلم ـ بناء على أخذ يتلوه من التّلو ورجوع ـ الضّمير المنصوب إلى الموصول كما هو الظاهر بقرينة مع قوله عزَّ وجلَّ ومن قبله كـتابُ موسى وتذكير الضمير الظّاهر في الرُّجوع إلى المذكّر وهو الموصول لا البيّنة، فهو دليل على أنّه عليه السلام خير النّاس وأفضلهم بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وخلافته عليه السلام بلا فصل، اذ لو تلاه غيره ابتداءاً لكان أحقَّ بالذِّكر، بل لا مجال لذكر المتأخر وترك المتقدم»[1].

أقول: وعلى ضوء هذا البيان في تفسير الآية المباركة يتضح لنا بصورة جلية، كون أمير المؤمنين هو الشاهد على الرسالة، ولا يكـون الشـاهد عـلى خـاتمية الرسالات إلا من كان عند الله بمنزلة عظيمة بحيث تقتضي هذه المنزلة التي تترتب عليها الشهادة، كونه معصوماً بالعصمة الذاتية المطلقة، فشهادة أمير المؤمنين على رسالة خاتم الأنبيّاء بدلالة الآية، وبأضافة كونه منه ـ أي من الرسول ـ وهو بعضه ودمه ولحمه يقتضي ذلك كون الإمام أشرف وأفضل لملازمته للأشرف والأكمل، وكما قلنا فهو نفسه الشريفة تكون مشابهة لنفس الرسول الأعظم كما مر بنا في آية المباهلة.

قـال طـه: إنّ النّـبيّين أسـمى ... مـن جـميع المـلائك الأصـفياء
وأنـا أفـضل النّـبيّين شأناً ... ومـقاماً وأكـرم السُّـفراء
ولك الفضل فـي الخـلائق بـعدي ... ولبـاقي الأئـمة الأتـقياء
يـا عـليّ لم يـخلق الخـلق لولانـا ... ولا كـان مـنه خـلق السـماء
وانطوى الكون من جنان ومن نار ... ومـن آدم ومـن حـوّاء[2]

---

(١) مصباح الهداية للبهبهاني: ٥٩.

(٢) ملحمة أهل البيت للفرطوسي: ٧٠.

الإستدلال بآية الشهادة

وهي قوله تعالى:

﴿ويقول الذين كفروا لست مرسلاً قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾[١].

وقف المشركون بوجه الرسالة وصاحبها الرسول الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وكانت طبيعة تلك الوقفة ان تكون هناك عدة مواجهات مع الرسول محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ورسالته التي أرسله بها الباري عز وجل، وعلى أثر ذلك نجدهم كانوا يتهمون الرسول بعدة إتهامات من خلالها يحاولون أن يحّطوا من شخصّيته وما تدعوا إليه، فنجدهم يتهمونه بالسحر والجنون، وأخرى يقولون لولا نزل القرآن على رجل من القريتين عظيم، وغيرها من التهمة التي لم تستطيع الوقوف بوجه من كانت السماء ترفده بالقوة والإقتدار الذي كان تتمتع به الرسالة.

لذا نجّد أن القرآن الكريم والرسول الأعظم قد تحداهم بأن يأتوا بآية واحدة من مثل القرآن الكريم، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، وعلى هذا الأساس لم يستطيعوا ردّ تلك المعجزة الباهرة للعقول، مما أدى إلى قولهم للرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأنك لست مرسلاً من قبل السماء، وعلى أثر ذلك حاربوا الرسول وواجهوه بالقتال والقوة والنفير العام، ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون.

إذن على ضوء هذه الآية المباركة أخبر الله تعالى وحكى عن الكفار أنهم أنكروا كون محمّد صلى الله عليه وآله وسلم نبيه مرسلاً من جهته وهو جل جلاله لقن رسوله في ردّ قولهم

---

(١) الرعد: ٤٣.

من خلال إلاحتجاج عليهم بأمرين:

الاول: شهادة الله تعالى على صحة رسالته.

الثاني: شهادة من عنده علم الكتاب.

وجملة كلامنا في المقام هو في كون هذه الآية من الآيات الدَّالّة على أفضلية أمير المؤمنين عليه السلام وتقدمه على جميع البرية سوى نبينا محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، وسيكون حديثنا وبحثنا حول الشهادة ومعناها وإلى، كم قسم تنقسم، وكيفية هذه الشهادة كانت، وما هو وجه الإستدلال بها الذي سوف يتضح لنا من خلال طيات البحث الآتي.

وفي البداية لا بّد من الإلتفات إلى أن المقصود هنا من الشهادة هي الشهادة الخاصة بالقول والفعل كما سيتضح ذلك، وليس المراد منها الشهادة في سوح القتال في سبيل الله تعالى وإن كان لها معنى الشهادة.

اقول: أودّ أن أشير إلى قاعدة كلية قد يغفل عن إدراكها الكثير من الباحثين، وقد أقرها القرآن الكريم في عدة مواضع منه، وخصوصاً في التدبيرات الالهية من الاحياء والأماتة والخلق والرزق والهداية والشفاعة والشهادة: وعلم الغيب...الخ.

استنتاج قاعدة قرآنية

وهذه القاعدة تتمثل لنا من خلال ثلاث مقدمات من خلالها يتضح لنا كيفية ترتب هذه القاعدة الكليه السيّالة في كثير من التدبيرات الكونية، والتي ربما تكون هي الأساس لثبوت الولايّة التكويّنية، بل هي الأصل في الولاية التكوينية حيث أنها مثبوت في محلها، أما المقدمات الثلاثة التي تتركز عليها القاعدة الكلية فهي:

١ـ أن ننفي التدبيرات الكونية أولا وقبل كل شيء عن الخلق بها فيهم الأنبيّاء والأوصياء والمؤمنون فالأمثل فالأمثل، فلا يستطيعون الخلق أياً كان الإحياء ولا

الإماتة والشفاعة والرزق وغير ذلك من التدبيرات الكونية، فالمتتبع لآيات القرآن الكريم يجد هذه الحقيقة واضحة، وهي إنَّ الله تبارك وتعالى في مقام هذه التدبيرات الكونية ينفيها عن أي خلق كان، وإذا شئت راجع آيات الشفاعة والخلق والموت والعلم الغيبي... الخ.

٢ـ إثبات التدبيرات الكونية بكل وجوداتها وانحائها للذات الشريفة أي الله تعالى وبصورة مطلقة.

فالخلق والشفاعة والموت والإحياء والرزق كل ذلك بيد الله تعالى ولا يستطيع أحد أن يفعل خلاف الإرادة الإلهيّة في تدبيراتها الكونية.

٣ـ إثبات هذه التدبيرات للأنبيّاء والأوصياء وعباد الله الصالحين على نحو التبعية وعدم الإستقلالية، وبعبارة أخرى تكون هذه ثابتة بنحو الأذن من الله تعالى أو التبعية له في أصل وجودها والقدرة عليها.

فأذا إتضح للباحث هذه القاعدة الكلية وكيفية تسلسلها حيث استنبطناها من القرآن الكريم فهو الذي أثبتها لنا، أقول: إذا تبينا ذلك كله، فالكلام سيكون في الشهادة عند الأنبيّاء وكيفية إثباتها، من قبل المولى عز وجل لهم؟

جاءت في القرآن الكريم عدة آيات قرآنية مباركة تثبت حقيقة الشهادة عند الله تعالى، فهو الشاهد الحقيقي على الخلق وكما ورد في قوله تعالى: **﴿وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة﴾**، وقوله تعالى: **﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة﴾**، وقوله تعالى: **﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط﴾**.

فهذه جملة من الآيات الشريفة بين الله تعالى فيها أنه الشاهد على الخلق وهو يعلم الغيب وما يكون في عالم الشهادة، الذي يشهد فيه أعمال الخلائق أجمعين، فهو الشاهد على الخلق وحسب القاعدة التي قلنا بها، فأن الله تعالى قد أثبت أولا

وقبل كل شيء هذه الشهادة لنفسه ونفاها عن غيره.

أما أثباتها للأنبيّاء والمرسلين فهذا ما ورّد في لسان قضية عيسى عليه السلام وكيف كان شاهداً على قومه حيث قال الله تعالى:

﴿وكنتُ شهيداً عليهم ما دمتُ فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيداً﴾.

فعيسى عليه السلام كانت لديه وظيفة الأنبيّاء وهي النبوّة في قومه ووظيفة أخرى وهي عبارة عن الشهادة على قومه وعلى أعمالهم، واللطيفة هنا أنّه من خلال التمعن في مدلولات الآية المباركة نجد شهادة عيسى عليه السلام على قومه كانت متزامنة مع نبوته فلمّا انتهت مدة نبوته انتهت شهادته على قومه، وهذا بلسان الآية المباركة **﴿وكنتُ شهيداً عليهم﴾** ولكن متى كانت شهادته؟

وذلك عندما كان فيهم **﴿ما دمت فيهم﴾** وانتهت شهادته عليهم عندما **﴿توفيتني﴾** حيث كان الشاهد الحي الذي لا يموت وهو الله **﴿وكنت أنت الرقيب عليهم﴾**، فالله هو الرقيب والرقابة هنا معناها الشهادة على الخلق أي يشهدهم، إذ بمجرد انتقال عيسى عن هذا العالم انتهت مدة شهادته على الخلق، وهذا بدوره يدل دلالة قطعية على قضية سوف نتطرق إلى أثباتها من خلال البحث من كون النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وآله هم الشهداء على الخلق **﴿وشهداء على خلقه﴾** نفس القرآن الكريم قد أثبت هذه القضية في قوله تعالى: **﴿ياأيها النبيّ أنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا﴾.**

فالرسول الأعظم شاهداً على الخلق بالأضافة إلى نبوته الخاتميّة ورسالته العالميّة. فنحن ودلالة هذه الآية حيث يظهر ويتبين لنا أنَّ الرسول كان شاهداً على العالمين **﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾**، فعليه تكون الشهادة ثابتة للأنبيّاء، وللنبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ولكن لكل منهم خصوصية في الشهادة ومستوى معين فيها إلا الرسول الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

إذن بعد أن فهمنا هذه القضية واثبتناها للأنبيّاء بلسان القرآن الكريم يأتي دور مدى شمولية واستيعاب هذه الشهادة على المستوى الحياتي للإنسان سواء في الدنيا وفي الأخرة، وما الذي نستفيد من الشهادة؟ بعبارة أخرى أي حقيقة تثبت لنا هذه الشهادة؟

فلربما تكون هذه الشهادة على الخلق منشأها العصمة المطلقة للشاهد وإلا كيف يكون بهذا المستوى من الشهادة بحيث يشهد على صدق الرسول ورسالته!؟!

قال الله تعالى: **﴿يوم نبعث في كل إمة شهيداً عليهم من أنفسهم﴾**.

إذا تأملنا في هذه الآية المباركة ودلالتها نجد أنها تقرر حقيقة ظاهرة البرهان، وهي أنّ الله تعالى يبعث في كل إمة شهيداً عليهم، وهذا الشهيد لا يكون من جنس الملائكة أو الجن ـ وإنّ كان الملائكة والأعضاء اللسان واليد والرجل كل تشهد على الإنسان ـ بل يكون من جنس الإنسان نفسه، فنحن ودلالة هذه الآية التي تقتضي أنه في كل زمان لا بد من شاهد على الخلق، لأن كلمة أمة لا يقصد بها فقط أمّة زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المخاطبة بهذه الآية المباركة، بل الأمر يتعدى إلى زماننا هذا في كون الشهيد على هذه الأمة من يكون؟ وما هي المميزات والخصوصيات التي لابدّ من أن تتوفر فيه؟

ونفهم من خلال قوله تعالى: **﴿فكيف إذا جئنا من كل إمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾** أنّه لابدّ من أن يكون في كل أمّة شهيداً عليهم من أنفسهم كما بينت الآية السابقة ذلك، والذيّ يظهر من هذه الآية المباركة أنّ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي يكون الشاهد على هؤلاء الشهداء في كل زمان، وهذا يقتضي كون الرسول شاهداً على كل شاهد من كل أمة، حيث وردّت الأخبار الشريفة في تفسير هذه الآية المباركة أنها نزلت في (أمة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم خاصة في كل قرن منهم إمام شاهد

عليهم ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم شاهد علينا)[١].

وجاء قوله تعالى: **﴿وكذلك جعلناكم إمة وسطاً لتكونوا شهداء على النّاس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾**[٢].

ليقول أنّ الرسول هو الشاهد على الشهداء على الخلق والذي عبرت عنهم الآية المباركة **﴿أمة وسطا﴾**، والأمّة الوسط هم الأئمّة عليهم السلام بدلالة أحاديث وردت في كتاب الكافي حيث يقول مضمون الحديث **(الرسول شهيداً علينا - أي أهل البيت عليهم السلام - بما بلغنا عن الله عز وجل ونحن الشهداء على الناس فمن صدق صدقناه، يوم القيامة، ومن كذب كذبناه يوم القيامة)**.

إذنّ بعد أن عرفّنا هذا الأمر يترتب عليه قضية أخرى وبيانها كالآتي:

إنّ مسألة الشهادة في باب القضاء والمرافعات العرفية بين الناس عند الحاكم والقاضي قد اتفقت الشرائع السماوية والوضعية فيه على أن البينة على من ادعى واليمين على من أنكر، وهذا معناه أنّه يوجد إنسان يدعي إدعاءاً، فعليه البينة والآخر منكراً، وعليه لابدّ أن يأتي بشيء يقدح بالدعوى، مثلا أنّ يقول له الحاكم لابد أن تأتي بما يقدح بهذه البينة، وإلا سوف يكون عليك الأمر متحققاً وثابتاً، فإذا جاء المنكر بالشهود وهما شاهدان ويشترط فيهما:

١ـ العدالة.

٢ـ التزكية.

٣ـ العلم بالقضية التي يريدا أن يشهدا بها.

٤ـ أن تتفق شهادتهما بالمفهوم والمنطوق.

---

(١) الكافي ١/١٦ ١٩٠.

(٢) البقرة: ١٣٨.

وعلى أثر ذلك تقبل شهادتهما، ويقول القاضي للمدعي عليك بما يقدح بهذه الشهادة، فأن لم يكن هناك قدح في الشهادة أمهله الحاكم ثلاث أيام وإلّا حكم الحاكم بما تستدعيه شهادة المنكر.

وعلى هذا البيان تكون هكذا شهادة ضرورية، ولها آثار كبيرة جداً في المحاكم حيث يترتب عليها إما الإعدام أو السجن أو الغرامة المادية وغير ذلك، لأن من شأنها أن تحافظ هذه الشهادة على حقوق الآخرين وإقامة العدل والمساواة في المجتمع على أنّه لابدّ للشاهد أن يشهدبعلم حسي يراه ويحس به، لذلك نرى التأكيد من أهل البيتعليهم السلام على هذه الشهادة الحسية حيث يقول الإمام الصادقعليه السلام: **(لا تشهدن بشهادة حتى تعرفها كما تعرف كفك)**

وقولهعليه السلام: **(من شهد شهادة حق ليحيي بها حق إمري مسلم أتى يوم القيامة ولوجهه نور مد البصر يعرفه الخلائق بأسمه ونسبه)**.

فالشهادة في القضاء على أساس ذلك لها أثاراً مهمة جداً لما لها من الدور الكبير في الحفاظ على حقوق الآخرين وتمييز الحقّ من الباطل، وإقامة العدل البشري فيما بينهم في القانون الإجتماعي.

ومن أجل ذلك يظهر لنا بصورة واضحة جداً إنّ الشهادة إذا كان حالها من الناس والشروط التي يثبتها العامّة والخاصّة في الأبواب الفقهية هكذا وضعها؟ والحال نحن في محكمة الدنيا لا الآخرة فما بال الشهادة في محكمة الله تعالى يوم القيامة؟ وكيف تكون الشهادة أنذاك؟ وكيف تكون شهادة الشاهد على الخلق أمام الله تعالى؟

لابدّ أن تكون هناك شروط دقيقة ومهمه جداً متوفرة في الشاهد على الخلق، وبالقطع اليقيني أنّ الشروط هي العدالة والعلم والتزكية والمطابقة الواقعية والعلم الواقعي، وجميع هذه الشروط تكون بأعلى درجاتها المطلوبة، لأن القاضي وهو الله تعالى الشاهد لابدّ أن تكون شهادته تناسب مع وضع المحكمة التي هو يكون

شاهداً فيها، وعليه يكون الشاهد في كل أمة عند الله تعالى شاهداً ممن تتوفر فيه هذه الشروط، وهذا معناه أن تكون عصمة عند الشاهد على الخلق، وهذه العصمة تنشأ من لطف رباني ومن ملازماتها العلم الذي هو منشأ الابتعاد عن الذنوب، فمن يقدم مثلا لك إناء فيه ماء مسموم، وتعلم بالقطع بأنه مسموم هذا الماء، فهل يمكن ان تشربه بعد علمك بأنه سوف يؤدي إلى قتلك؟ كلا وألف كلا، لأنك علمت أنه قاتلك هذا الماء المسموم، وهكذا الحال عند الإمام المعصوم فهو يعلم أثار الذنوب ويرى أثارها بكل وضوح، وكأنها السم في الماء، فياترى هل تراه يتقرب إليها ـ أي الذنوب ـ مع علمه بها وما تؤول إليها عاقبتها[1]؟ فهو العالم وهم العلماء الذين أعطاهم الله تبارك وتعالى العلم القطعي اليقيني (لو كشف لي الغطاء ما أزددت يقينا).

وأول دليل على ذلك هو أية التطهير الدالة على عصمتهم وطهارتهم، وعلمهم الذي تحدثت عنه الركبان، فعند ذلك يعلم أنهم الشهّداء على الخلق، كيف لا؟ وهذا القرآن الكريم يقول:

﴿ولا يملكون الذين يدعون من دونهم الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون﴾، وهذا يعني الذي يشهد ويشفع يوم القيامة لابدّ أن يكون:

١ـ يشهد بالحق.

٢ـ أن يكون عادلاً مطلقاً.

٣ـ يعلم علماً قطعياً يقينياً.

والذي يفهم من هذه الشروط كون الشاهد معصوماً بالعصمة التي تؤدي إلى هذه الشهادة، لأن هذه الشروط تكون بأعلى مراتبها متحققة في ذلك الشاهد، وهذا يلزم

---

(١) ولا يفهم من هذا البيان ان العلة التامة للعصمة الذاتية هو العلم، بل هو جزء علة.

أن يكون معصوماً، وإذا ثبت هذا، فالذي نراه المصداق الأمثل والأكمل لهذه الشروط هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام، لأنه كما ورد في الأحاديث الشريفة أنه يحمل الحق ويشهد بالحق، وهو الحق نفسه، وكما ورد ذلك في الحديث المعروف عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: (عليّ مع الحق والحق مع عليّ) فهو الذي يشهد بالحق، وكذلك جاء في لسان المأثورات الروائية أنّه عليه السلام: **(عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ)** فأحدهما يصدق الأخر، فهما معصومان، فالقرآن معصوم والإمام عليّ عليه السلام معصوم، وأيضاً نقل لنا الرواة أنَّ الذي عنده علم الكتاب هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

اذن على هذا الأساس يكون عليّ عليه السلام الشاهد لتحقق الشروط الثلاث فيه، أي كونه يشهد بالحق، ويعلم علماً قطعياً، وهو العادل بالعدالة المطلقة كما أثبت التأريخ هذه النقاط عملياً من خلال سيرته الذاتية التي عاشها أنذاك، ولا أظن أحداً يخالفني في هذا القول إلا من هو معاند أو ضال عن الطريق، لأن كتب التأريخ قد أطبقت على هذه الصفات المتوفرة فيه عليه السلام.

وبالحملة فان الآية الكريمة أثبتت أنّ الشاهد هو الله تعالى، والذي يشهد؟ أيضاً هو الإمام عليّ عليه السلام بنص الآية. لأن الآية قالت **﴿ومن عنده علم الكتاب﴾** أي الذي عنده علم الكتاب هو الذي يشهد مع الله على كون الرسول هو الذي بعث رحمة للعالمين.

وهناك شواهد كثيرة جداً تدل على كون الشاهد علياً عليه السلام حيث يقول الله تعالى في كتابه الكريم: **﴿أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه﴾**، أي من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الشاهد يكون وقد مر بك في الأحاديث المتقدمة أنّ الإمام علي عليه السلام من الرسول بل هو نفس الرسول وكذلك قوله تعالى: **﴿ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء....﴾** حيث فرقت الآية بين النبيّ وعطف عليها بالشهداء الذين يشهدون على الخلق، وهذا العطف يقتضي كون الشاهد غير النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فالعطف يدل على المغايرة بين الحالين.

وتوجد أدلة أخرى مثبوتة في محلها حول شهادة الأئمّة والإمام الحجة عجل الله فرجه الشريف على الخلق **﴿وقل اعملوا فسير الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾** والمقصود بالمؤمنين هنا هم الأئمة من آل محمّدﷺ كما ورّد ذلك في الأحاديث الشريفة.

والشاهداً الآخر على ذلك هو ما ورّد في الزيارة الجامعة (وشهداء على خلقه...) وكذلك في زيارة الإمام الحجة بن الحسنعليه السلام (فاشهد بما أشهدتك على....) ونختم القول في هذا المقام في كون الإمام عليّعليه السلام وأولاده هم الشهداء على الخلق، هو ما ورّد على لسان أمير المؤمنينعليه السلام حيث قال:

«إن الله تبارك وتعالى طهّرنا وعصمنا وجعلنا شهداء على خلقه وجعلنا مع القرآن وجعل القرآن معنا لا نفارقه ولا يفارقنا) وجاء هذا القول مطابقاً للقرآن الكريم في كثير من الآيات المباركة منها قوله تعالى:

﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا....﴾ وقوله تعالى: **﴿واجعل افئدة من الناس تهوى اليهم...﴾** وقوله تعالى: **﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾** وقوله تعالى: **﴿الذي هو تبياناً لكل شيء﴾** فعليّعليه السلام هو الشاهد وهو الذي يهدي بأمر الله تعالى وهو الذي علم الكتاب عنده.

بقيت مسألة مهمة جداً وهي كيفية الشهادة من الله تعالى ومن أمير المؤمنين على الرسالة بعد ثبوت هذه الشهادة لهعليه السلام.

فنقول: لقد دلت الآيات الشريفة على شهادة الله تعالى للرسول الأعظم محمّدﷺ، في أكثر من مورد، على أن هذه الشهادة لم تكن من قبل الشهادة المتعارفة فيما بيننا في الواقع العرفي الذي نعيشه، بل كانت الشهادة فعلية، بالفعل والبرهان، فالدلائل الواضحة والحجج القاطعة من إظهار المعجزات وخوارق العادات على يدي الرسولﷺ، فيها دلالة قطعية واضحة على صدق رسالته،

وهذه البراهين الساطعة أدل دليل على شهادة الله تعالى الفعلية، فالآيات القرآنية بينت هذه الشهادة كما في قوله تعالى ﴿**شهد الله أنّه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم**﴾

فالله تعالى شهد لنفسه بالوحدانية من خلال الآيات الباهرة والخلقة العجيبة، والحكمة البالغة التي أودعها في هذا العالم.

فالقيام بالقسط أشارة إلى البرهان على صدق شهادته تعالى في الآفاق والأنفس، فإن وحدة النظام تدلُّ على وحدة واضعه ومنظمه، ولو لاحظنا في آخر الآية الشريفة لرأينا كيف تظهر وتتجلى لنا هذه الحقيقة التي لا يعتريها الشك كما في هو في قوله تعالى: ﴿**لا إله إلا هو العزيز الحكيم**﴾ فهو ذو حكمة بالغة تغني عن النذر، فهو الذي تفرد بالألوهية وكمال العزة والحكمة، فلا يستطيع أحد أن يظهر أمره على أمر الله تعالى للحكمة والقسط والعدل الذي قامت به السماوات والأرض فأذا تبين لنا هذا القول، ظهر لنا كيفية شهادة الله تعالى بالرسالة لرسوله مع تأييده بالمعجزات والدلائل الواضحة والتي كان من أهمها القرآن الكريم المعجزة الخالدة للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

معنى شهادة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام

أما شهادة عليّ بن أبي طالب عليه السلام الذي عنّده علم الكتاب كله، فهي برهان مستقل عن شهادة الله تعالى للرسول بالرسالة، هي شهادة قولية وفعلية، فقد شهد الإمام عليه السلام للرسول بالرسالة فعلاً وقولاً، وسيتضح لك ذلك من خلال بيان الآية وما قاله المفسرون فيها، ولا يخطر على ذهن من يفهم من هذا أن شهادة الله تعالى محتاجة إلى شهادة أمير المؤمنين في المقام من قبيل في المفهوم العرفي من كون شهادة العدل لابد لها من شهادة عدل أخر، كلا فأن الأمر أعلى وأجل من هذا القول،

ولا يظن أحد أن هذه الشهادة من قبيل دليل ظني تحتاج في نفسها إلى جعل جاعل؟

بل الشهادتان ـ أعني شهادة الله تعالى للرسول وشهادة الإمام عليّ عليه السلام ـ كل منهما برهان مستقل في نفسه، فشهادة أمير المؤمنين برهان مستقل يضاف إلى برهان الله تعالى على صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وهذا يستلزم أن يكون الشاهد ذو عصمة مطلقة، وإلّا كيف يصح أن يكون شاهداً على هكذا أمر عظيم؟ ولقد أثبتنا كيفية دلالة بعض الأيات على عصمة الإمام عليّ عليه السلام.

إذن بعد هذه الوقفة يحسن بنا أن نقف مع تفسير هذه الآيات الدالة على افضلية أمير المؤمنين عليّ عليه السلام على الأنبياء سوى نبينا محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

معنى الآية عند المفسّرين العامّة والخاصة

من طريق الخاصة

❊ قال العلّامة الفيض الكاشاني في تفسيره: «وفي الإحتجاج: سأل رجل عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه عن أفضل منقبة له، فقرأ الآية وقال: إيّاي عنى بمن عنده علم الكتاب»[1].

❊ وعلي بن إبراهيم القمّي، عن الصادق عليه السلام: «والّذي عنده علم الكتاب هو أمير المؤمنين عليه السلام. وسئل عن الّذي عنده علم من الكتاب أعلم أم الّذي عنده علم الكتاب؟ فقال: ما كان علم الّذي عنده علم من الكتاب عند الّذي عنده علم الكتاب إلّا بقدر ما تأخذ البعوضة بجناحها من ماء البحر»[2].

---

(١) تفسير الصافي: ٣/٧٧.

(٢) تفسير القمّي: ١/٣٦٧.

* وعن الإمام الصادق عليه السلام: «علم الكتاب والله كلّه عندنا، والله كلّه عندنا»(١).

*العيّاشيّ، عن الباقر عليه السلام: «أنّه قيل له: هذا ابن عبد الله بن سلام يزعم أنَّ أباه الّذي يقول الله: **قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عندهُ علم الكتاب**، قال عليه السلام: كذب، هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام»(٢).

وقال العلاّمة سماحة الحُجة، آية الله العظمى، السيّد الخوئي في تفسّيره في تصديق عليٍّ عليه السلام الرِّسالة. قال رحمه الله: «إنَّ تصديق عليٍّ عليه السلام ـ وهو على ما عليه من البراعة في البلاغة والمعارف وسائر العلوم ـ لاعجاز القرآن هو بنفسه دليل على أنَّ القرآن وحيٌ إلهيٌّ، فإنَّ تصديقه بذلك لا يجوز أن يكون ناشئاً عن الجهل والاغترار، كيف وهو ربّ الفصاحة والبلاغة، وإليه تنتهي جميع العلوم الإسلامية وهو المثل الأعلى في المعارف، وقد اعترف بنبوغه وفضله المؤالف والمخالف؟

وكذلك لا يجوز أن يكون هذا تصديقاً صورياً ناشئاً عن طلب منفعة دنيويّة من جاه أو مال كيف وهو منار الزهد والتقوى وقد أعرض عن الدنيا وزخارفها، ورفض

---

(١) تفسير القمي: ١/٣٦٧.

(٢) تفسير العيّاشي: ٢/٢٢٠.

وليعلم أن معنى ﴿من عنده علم الكتاب﴾ معنى عام ينطبق على كل من كان له تلك الصفة، والمراد بالكتاب إن كان هو القرآن فظاهر كون «من عنده» علي عليه السلام دون سائر الناس، أمثال ابن سلام وأضرابه. وإن كان المراد التوراة ـ كما هو الظاهر من السياق ـ فكون علمها عند عبد الله بن سلام لا ينافي كونها عند علي عليه السلام. والحق، أنّ المراد بمن عنده علم الكتاب في هذه الامّة عليّ بن أبي طالب عليه السلام لاغيره. ومن أمة موسى عليه السلام عبد الله بن سلام. فإن كان المراد بالكتاب مطلق الكتب السماوية فلا خلاف في كون المراد بمن عنده علي عليه السلام، وإن كان خصوص التوراة فعبد الله بن سلام أيضاً يعلمها، ولو كان حينذاك في المدينة ولم يسلم بعد، فلا مانع من شهادة بصدق النبيّ لبشارة التوراة والمطلوب هنا شهادة المخالف لا الموافق فلا منافاة بين الاخبار والأقوال. «للغفاري».

زعامة المسلمين حين اشترط عليه أن يسير بسيرة الشّيخين، وهو الّذي لم يصانع معاوية بإبقائه على ولايته أيّاماً قليلة مع علمه بعاقبة الأمر إذا عزله عن الولايـة، وإذن فلابد من أن يكون تصديق بإعجاز القرآن تصديقاً حقيقياً مطابقاً للواقع ناشئاً عن الإيمان الصّادق وهذا هو الصحيح والواقع المطلوب[1] ـ انتهى».

وقال الواقديّ المؤرِّخ في شهادة عليّ عليه السلام على إثبات الرِّسالة نـظير مـا قـاله العلاّمة الحجّة الخوئي رحمه الله.

قال: ابن النّديم في «الفهرست[2]»: «روى (الواقـديُّ) أنَّ عـليّاً عليه السلام كـان مـن معجزات النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كالعصا لموسى عليه السلام وإحياء الموتى لعيسى بن مريم عليه السلام».

إن قلت: المنكر للأصل ـ وهو النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فلا يكون شهادته قاطعة للخصومة بالنِّسبة إلى النبوَّة، فكيف يستشهد الله عزَّ وجلَّ بشهادته على ثبوت النُّبوَّة ويحتجُّ بها على منكري النُّبوَّة والرِّسالة؟

يقال: إنّما لا يجوز الإكتفاء بشهادة الفرع إذا كان القبول مستنداً إلى مجرَّد الأقرار والاعتراف مع قطع النَّظر عن ظهور مقامه ودرجته من كونه عالماً بالكتاب، واقفاً على كلِّ شيء، قادراً على إظهار المعجزات وخـوارق العـادات المـلازم للـعصمة والصّدق عقلاً؛ وأمّا إذا كان الإستشهاد به من حيث كونه كذلك ـ كما في المقام ـ حيث لم يذكر الشّاهد باسمه بل بوصفه لينظر المنكر في شأنه، ويراجع إليه، ويظهر عنده ثبوت آثاره، فينكشف عنده الوصف للشّاهد وأحقِّيَّة المشهود به فهو قـاطع للخصومة ومثبت للدَّعوى بالضَّرورة وإن لم يعترف به المنكر عناداً.

---

(١) البيان في تفسير القرآن: ٩١.

(٢) ينابع المودة: الباب ٣٠.

من طرق العامّة

أمّا ما ورد في تفسير الآية من طريق العامة فمنها ما:

١ـ قال العلاّمة سليمان بن إبراهيم الحنفيُّ القندوزي في تفسير قوله: **﴿قُلْ كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾** الثَّعلبيُّ وابن المغازليُّ بسنديهما عن عبد الله بن عطاء قال: «كنت مع محمّد الباقر عليه السلام في المسجد فرأيت ابن عبد الله ابن سلام، قلت: هذا ابن الذي عنده علم الكتاب. قال: إنَّما ذاك عليُّ بن أبي طالب»[1].

٢ـ الثَّعلبيُّ وابو نعيم بسنديهما عن زاذان، عن محمّد بن الحنفيَّة، قال: «من عنده علم الكتاب عليّ بن أي طالب عليه السلام».

٣ـ عن الفضيل بن يسار، عن الباقر عليه السلام، قال: «هذه الآية نزلت في عليٍّ عليه السلام، إنّه عالم هذه الأمة». وفي رواية عنه عليه السلام قال: «إيّانا عنى خاصَّة، وعليٌّ أفضلنا وأولنا وخيرنا بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم».

٤ـ عن عمر بن أذينة، عن جعفر الصادق عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين ـ صلوات الله عليه ـ، «ألا إنَّ العلم الّذي هبط به آدم عليه السلام من السّماء إلى الأرض وجميع ما فضّلت به النّبيّون إلى خاتم النّبيين في عترة خاتم النّبيّين صلى الله عليه وآله وسلم».

٥ـ وقال الصّادق عليه السلام: «علم الكتاب كلّه ـ والله ـ عندنا، وما أعطي وزير سليمان بن داود عليه السلام إنّما عنده حرف واحد من الإسم الأعظم وعلم بعض الكتاب كان عنده، قال تعالى: **﴿قال الذي عنده علم من الكتاب ـ أي بعض الكتاب ـ أنَا آتيك به قبل أنْ يرتد إليك طرفك﴾**[2]. قال تعالى لموسى عليه السلام: **﴿وكتبنا له في**

---

(١) البيان في تفسير القرآن: ١١١.

(٢) النمل: ٤٠.

الألواح من كلٍّ شيء موعظة﴾[1] بمن التَّبعيض. وقال في عيسى عليه السلام: **﴿ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه﴾**[2] بكلمة البعض. وقال في عليٍّ: **﴿ومن عنده علم الكتاب﴾** أي كل الكتاب، وقال: **ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين**[3]، وعلم هذا الكتاب عنده عليه السلام».

٦ـ عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه قال: «سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه الآية **الذي عنده علم الكتاب** قال: ذاك وزير أخي سليمان بن داود. وسألته عن قوله عزَّ وجلَّ: **قل كفى بالله شهيد بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب** قال: ذاك أخي عليّ بن أبي طالب».

٧ـ عن محمّد بن مسلم، وأبي حمزة الثّماليّ، وجابر بن زيد، عن الباقر عليه السلام، وروي (عن) عليّ بن فضال والفضيل يسار وأبي بصير، عن الصادق عليه السلام؛ وروي أحمد بن محمّد الحلبي ومحمد بن فضيل، عن الرِّضا عليه السلام؛ وقد روي عن موسى بن جعفر وعن زيد بن عليّ عليه السلام وعن محمّد بن الحنفيَّة؛ وعن سلمان الفارسيّ وعن أبي سعيد الخدريّ وإسماعيل السّدّيّ أنّهم قالوا في قوله تعالى: **﴿قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾** هو عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام».

٨ـ وسئل سعيد بن خبير: «ومن عنده علم الكتاب عبد الله بن سلام؟ قال: لا، وكيف وهذه السّورة مكية، وعبد الله بن سلام أسلم في المدينة بعد الهجرة».

٩ـ وابن عبّاس رضي الله عنهما ـ قال: «من عنده علم الكتاب إنما هو عليٌّ، لقد كان عالماً بالتّفسير والتأويل والنّاسخ والمنسوخ».

١٠ـ وعن محمّد بن الحنفية رضي الله عنه قال: «عند أبي أمير المؤمنين عليٍّ صلوات الله عليه علم الكتاب الأوّل والآخر».

---

(١) الاعراف: ١٤٥.

(٢) الزخرف: ٦٣.

(٣) الأنعام: ٥٦.

١١ـ عن قيس بن سعد عبادة، قال: «**ومن عنده علم الكتاب** عليٌّ. قال معاوية بن أبي سفيان: هو عبد الله بن سلام، قال قيس: أنزل الله: **إنّما أنت منذر ولكل قوم هاد**[1]، وأنزل :**أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه**[2]، فالهاد من الآية الأولى، والشاهد من الثّانية عليٌّ، لأنّه نصبه صلى الله عليه وآله وسلم يوم الغدير وقال: «**من كنت مولاه فعليٌّ مولاه**» وقال: **أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبي بعدي**»

فسكت معاوية ولم يستطع أن يردّها».

وما قاله بعض المحققين في تحمل أسرار القرآن الكريم المتمثلة في شخصية الإمام عليّ عليه السلام ما نصه:

إن الله تبارك وتعالى بعث خاتم أنبيائه وأشرف رسله وأكرم خلقه بمنّه وفضله بسابق علمه ولطفه بعد أخذه العهد والميثاق على أنبيائه وعباده بمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: ﴿**لتؤمنن به ولتنصرنه**﴾[3]، ولمّا فتح الله أبواب السّعادة الكبرى والهداية العظمى برسالة حبيبه على العرب وقريش وخصوصاً على بني هاشم بقوله تعالى: ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾[4]، ورهطك المخلصين اقتضى العقل أن يكون العالم بجميع أسرار كتاب الله لابد أن يكون رجلاً من بني هاشم بعد النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لأنّه أقرب به من سائر قريش، وأنَّ يكون إسلامه أوّلاً ليكون واقفاً على أسرار الرِّسالة وبدء الوحي، وأن يكون جميع الأوقات عنده بحسن المتابعة، ليكون خبيراً عن جميع أعماله وأقواله، وأن يكون من طفوليّته منزَّهاً عن أعمال الجاهليّة ليكون متخلقاً بأخلاقه ومؤدَّباً بآدابه ونظيراً بالرشيد من أولاده؛ فلم توجد هذه الشّروط

---

(١) الرعد: ٧.

(٢) هود: ١٧.

(٣) آل عمران: ٨١.

(٤) الشعراء: ٢١٤.

لأحد إلاّ في عليّ عليه السلام. وأمّا عبد الله بن سلام لم يسلم إلاّ بعد الهجرة، فلم يعرف سبب نزول السور الّتي قبل الهجرة؛ ولمّا كان حاله هذا لم يعرف حقَّ تأويلها بعد إسلامه، من أنَّ سلمان الفارسيّ الّذي صرف عمره الطّويل ثلاث مائة وخمسين سنة في تعلّم أسرار الإنجيل والتّوراة والزّبور وكتب الأنبياء السّابقين والقرآن لم يكن مَنْ عنده علم الكتاب لفقده الشّروط المذكورة، فكيف يكون مَنْ عِنْدَه علم الكتاب ابن سلام الذي لم يقرأ الإنجيل، ولم يوجد فيه الشّروط، ولم يصدر منه مثل ما صدر من عليٍّ يعسوب الدِّين من الأسرار والحقائق في الخطبات، مثل قوله: «سلوني قبل أن تفقدوني، فإنَّ بين جنبيَّ علوماً كالبحار الزَّواخر»، ومثل ما صدر من أولاده الأئمة الهداة عليهم سلام الله وبركاته من المعارف والحكم في تأويلات كتاب الله وأسراره»[1].

١٢ـ قال القرطبيُّ في تفسيره: «قال عبد الله بن عطاء: قلت لأبي جعفر بن بن الحسين بن عليٍّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ زعموا أنَّ الّذي عنده علم الكتاب عبد الله بن سلام، فقال: انّما ذلك عليُّ بن أبي طالب عليه السلام، كذلك قال محمّد بن الحنفيّة»[2].

١٣ـ قال أبو حيّان الاندلسيُّ المغربيُّ في تفسيره: «قال قتادة: كعبد الله بن سالم وتميم الدّاريّ وسلمان الفارسيّ». وقال مجاهد: عبد الله بن سلام خاصّة. وهذان القولان لا يستقيمان إلا أن تكون الآية مدنية، والجمهور على أنّها مكية. وقال محمّد ابن الحنفيّة والباقر عليه السلام: هو عليّ بن أبي طالب»[3].

١٤ـ قال الآلوسيُّ في تفسيره: «قال محمّد ابن الحنفيّة والباقر عليه السلام: المراد بـ«من» عليٌّ كرَّم الله تعالى وجهه»[4].

---

(١) ينابيع المودة: ١٠٢-١٠٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٣٣٦/٩.

(٣) البحر المحيط: ٤٠١/٥.

(٤) روح المعاني: ١٥٨/١٣.

نفي شهادة عبدالله بن سلام

أقول: بعد الذي بيناه من أقوال المفسرين والمحدّثين من الخاصة والعامة في كون الشاهد عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وبعد ملاحظة كيفية اثبات كون شهادة الإمام عليه السلام فعلية وقوليّة، وأنها صارت كالمعجزة الخالدة لرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وبعد معرفة الموصول في الآية ﴿**ومن عنده علم الكتاب**﴾ وهو أمير المؤمنين عليه السلام.

تبقى لدينا مسألة مهمة جداً قد تعرض بعض المفسرين من هنا وهناك حول الأقوال المنسوبة إلى كون الموصول في الآية هو ليس أمير المؤمنين وإنما أشخاص أخرون هم المقصودون بالموصول في الآية، ومنهم علماء أهل الكتاب أمثال عبد الله بن سلام، وتميم الداريّ وسلمان الفارسي.

فلابّد من معرفة الحقيقة في صدق هذه الأقوال أو كذبها، والرد عليها من كتاب الله الكريم وما قاله أهل الفن في التفسير، وبعد معرفة سبب النزول الخاص بالآية يتضح القول الفصل في المراد من الموصول من الآية الكريمة.

أقول: إنّ الذي يظهر من مراجعة تفاسير العامة في سبب نزول الآية أنهم اتفق الأكثرية منهم على نزولها في مكة المكرمة فهذه الآية مكية، والحال إن عبد الله بن سلام قد أسلم في المدينة فكيف يكون هو المعني في الموصول في الآية المباركة؟

أضف إلى ذلك إنَّ بعض العامة قال: «أنكر أن تكون شيء من القرآن نزل فيه ـ أي في عبد الله بن سلام ـ»[1] أما ما استدل به من القرآن الكريم من كون الشاهد هو من بني اسرائيل فهذا مردود لأن الآية التي أُستدل بها القوم في ذلك هي من المكي لا من النزول المدني، وكما تبين لك إن عبد الله بن سلام هو من الذين أسلموا في المدينة.

---

(١) روح المعاني: ١٣/ ١٥٨.

وإليك تفصيل الأقوال عند المفسرين في شأن نزول الآية وما قيل فيها من شأن:

* قال الألوسي في تفسيره: «واجيب عن شبهة ابن جبير بأنّهم قد يقولون: إنّ السورة مكّية وبعض آياتها مدنيّة، فلتكن هذه من ذلك. وأنت تعلم أنّه لابّد لهذا من نقل. وفي البحر: أنَّ ما ذكر (يعني كون الآية في شأن ابن سلام) لا يستقيم إلاّ أن تكون هذه الآية مدنيّة والجمهور على أنَّها مكّيّة؟. والشّعبيّ أنكر أن يكون شيء من القرآن نزل فيه»[1].

* وقال الطبري في تفسيره: «عن أبي بشر قال: قلت لسعيد بن جبير **ومن عندهُ علم الكتاب** أهو عبد الله بن سلام؟ قال: هذه السّورة مكّيّة فكيف يكون عبد الله بن سلام»[2].

وقال القرطبي في تفسيره: «قال ابن جبير: السورة مكية وابن سلام أسلم بالمدينة بعد هذه السورة فلا يجوز أن تحمل هذه الآية على بن سلام»[3].

وقال الفخر الرازي في تفسيره:

«إثبات النّبوة بقول الواحد والإثنين مع كونهما غير معصومين من الكذب لا يجوز، وهذا السّؤال واقع»[4].

إن قلت: ما تقول في الآية الّتي تصرِّح على أنَّ أحداً من بني إسرائيل شهد على صحَّة الرِّسالة والنّبوّة وهي قوله تعالى في سورة الأحقاف (الآية ١٠): ﴿**قل أريتم إنْ كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إنَّ الله لا يهدي القوم الظالمين**﴾ قلنا: وإن قال بعض المفسِّرين إنّ

(١) روح المعاني: ١٣/١٥٨.

(٢) جامع البيان: ٢٦/١٠٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ٩/٣٣٦.

(٤) التفسير الكبير: ١٩/٧٠.

الشّاهد هو عبد الله بن سلام؛ إلاّ أنَّ هذا القول مردود لأنّ سورة الأحقاف كلّها مكّيّة، وعبد الله بن سلام أسلم بالمدينة.

وقال الطبري في تفسيره: «قوله: **وشهد شاهدٌ من بني إسرائيل على مثله** اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله، وهو موسى بن عمران عليه السلام، على مثله يعني على مثل القرآن، قالوا: ومثل القرآن الّذي شهد عليه موسى بالتّصديق التّوراة». وقال أيضاً: «سئل داود عن قوله: **قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به** ـ الآية، قال داود: قال عامر: قال مسروق: والله، ما نزلت في عبد الله بن سلام، ما نزلت إلاّ بمكة وما أسلم عبد الله إلاّ بالمدينة، ولكنّها خصومة خاصم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم بها قومه. قال: فالتّوراة مثل القرآن، وموسى مثل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم فآمنوا بالتّوراة وبرسولهم وكفرتم»[1].

إذن بعد إطلاعنا على أقوال المفسرين، ومعرفة شأن النزول يتضح لنا بصورة كلية أنه لا معنى لكون الشاهد هو عبد الله بن سلام، بل الذي يظهر من هذه الأقوال إن الآية نزلت بمكة، والحال إنَّ عبد الله بن سلام قد أسلم بمكة، فما إدعوه في المقام يعود عليهم من كونه استنباط بغير حجة تثبت أقوالهم، والعقل يرد هكذا احتجاج واستنباط بغير دليل ولا برهان صدق على مدعاه، بالملازمة العقلية مما هو عطف على الذات وهذا قبيح غير متوجه، مضافاً إلى ذلك أن الأخبار مع أقوال المفسرين تشكل أدل دليل على قول الخاصة فيما يقولون به من كون الشاهد هو الإمام عليّ عليه السلام.

وأمّا المراد من الصّلة وعلم الكتاب، ففيها عدة أقوال ناشيء من التفسير الذي إدعوه في المقام، وقد تبين لك كيفية الردّ عليهم بما لا شبهة فيه، خاصة أن الحجة لا تنهض بما إدعوه والأقوال هي:

(١) جامع البيان: ٢٦/٦.

ما المراد من الصلة

١ـ المراد من الصّلة هو التوراة والأنجيل، وهذا مردّود بكون التفسير على هذا القول يعني ان المراد من «من» الموصولة هو علماء أهل الكتاب، وهذا معناه يخالف ويعارض القول من كون السورة مكية والحال أنهم أسلموا في المدينة.

٢ـ وقال البعض أن المراد هو التوراة بالخصوص، وهذا باطل كما مرّبك.

٣ـ وقيل هو اللوح المحفوظ، ومبناه في ذلك هو الإعتقاد بكون الموصول هو الله تعالى ويرده انه عطف الذات مع صفته على الذات وهذا قبيح غير جائز.

٤ـ إن المراد بها هو القرآن الكريم يعني من تحمل هذا الكتاب وتحقق بعلمه واختص به ويعلم تأويله وتنزيله وظهره وبطنه وناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومطلقه ومقيده ومجمله ومبنيه.

وان قيل هذا القول من أين منشأ العموم والاستغراق فيه من كون الكتاب هو القرآن الكريم كله؟

قلنا: ان إضافة العلم في الأية المباركة إلى الكتاب تعني وتفيد العموم الاستفراقي، فيكون المراد من العلم، العلم بكل الكتاب بما فيه من أسرار وغوامض وحقائق، وهذا يستلزم ان يكون من يحمل هذا العلم معصوماً بكل معنى العصمة المثبوتة للقرآن الكريم.

وفي ذلك يقول الهمداني على ضوء هذا التفسير:

إنَّ العلم بظهر الكتاب وبطنه لا يحصل بالإكتساب، إنّما هو موهبة جليلة لا يليق بها إلاّ من اجتمعت فيه الفضائل الكريمة، منها العصمة والطّهارة يؤتيها الله من يشاء حسب مراتب استعداده، ولذا اختلف نصيب الأنبياء في العلم والكمال، فمنهم من اوتي حرفاً واحداً، ومنهم أوتي حرفين أو ثلاثة أو أزيد، ولم يؤت الجميع أحد من

الأنبياء وأوصيائهم عليهم السلام إلاّ نبيّنا وأوصياؤه ـ صلى الله عليهم أجمعين ـ ولم يكن منع الجميع من بخل من المبدأ الفيّاض ـ تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً ـ بل من جهة عدم استعدادهم له ـ وهذا يدل على ارتفاعهم عليهم السلام درجات الكمال ظاهرها وباطنها وأوّلها إلى آخرها ألف ألف مرّة بحيث لا يتصوَّر فوقها درجة ومرتبة[1].

وإلى ذلك تشير الزيارة الجامعة الكبيرة: «فبلغ الله بكم أشرف محلِّ المكرمين، وأعلى منازل المقرّبين وأرفع درجات المرسلين حيث لا يلحقه لاحق، ولا يفوقه فائق ولا يسبقه سابق، ولا يطمع في إدراكه طامع»[2].

وجه الإستدلال على الأفضلية

ومن هذا كله يتبين لنا كيفية كون الإمام عليّ أفضل من الأنبياء عليهم السلام بما فيهم أولو العزم من الرسل سوى نبينا محمّد صلى الله عليه وآله وسلم حتى ثبت في محله أفضليته على الكل، والذي يدل على هذه الأفضلية هو:

١ـ ورد في الزيارة الجامعة «وشهداء على خلقه» فتقتضي أنهم يشهدون على كل الخلق، ومن يشهد على الخلق يكون الأفضل لاقتضاء مقام الشهادة عند الله العصمة المطلقة كما مرّبك ﴿**إلا من شهد بالحق وهم يعلمون**﴾.

٢ـ الذي يشهد لخاتم الأنبياء على رسالته وتصديقه يكون بالأولية يشهد على الأنبياء الأخرين، وتكون الأفضلية متحقق فيه، لأنه شهد على خاتمهم، وخاتمهم أفضلهم.

٣ـ الشاهد معصوم بالعصمة المطلقة الذاتية التي اثبتناها بأعلى مراتبها له عليه السلام،

---

(١) الإمام عليّ عليه السلام: ٢٦١.

(٢) الزيارة الجامعة الكبيرة، مفاتيح الجنان.

لذا يكون أفضل من المعصومين من الأنبياء، لأنه بأعلى مراتب العصمة ـ إلا ما خرج بالدليل ـ ولأنه يشهد بالعلم القطعي اليقيني «**لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقينا**» ولا يعني هذا أنهم عليهم السلام ليسوا معصومين بل هم كذلك ولكن العصمة بأعلى مراتبها عند الرسول ووصيه.

٤ـ ان مطلق الروايات تشهد بهذه الأقوال وتعاضدها وسياتي بنا بعض الروايات الشريفة تؤكد هذه الحقيقة.

٥ـ الشاهد عنده علم الكتاب كله، وهذا يدل على أنه أعلى وأفضل من أولي العزم من الأنبياء عليهم السلام لأن علومهم محدودة وليس عندهم علم الكتاب كله.

ويدل على ذلك الآيات والروايات في المقام، ومن الآيات الدالة على هذا القول التي جاءت في شأن سليمان بن داود ووزيره ووصيه وهي قوله تعالى:

﴿قال ياأيها الملأُ أيكم يأتيني بعرشها قبل أنْ يأتوني مسلمين * قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقويٌّ أمين * قال الذي عنده علم من الكتاب أنَا أتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني ءأشكرُ أم أكفر ومن شكر فأنما يشكر لنفسه ومن يكفر فان ربي غني كريم﴾[1].

فقوله تعالى **﴿قال الذي عنده علم من الكتاب﴾** يدل على أن من هنا للتبعيض، أي انه يعلم بعض من الكتاب لا كل الكتاب، سواء كان المراد من الكتاب هنا اللوح المحفوظ أو جنس الكتب المنزلة أو كتاب سليمان.

ويكفي شاهداً على ما نقول هو ما ورد عن أبي سعيد الخدري (رض) قال: «سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه الآية **الذي عنده علم من الكتاب** قال: ذاك وزير

(١) النمل: ٣٨-٤٠.

أخي سليمان بن داود عليهما السلام وسألته عن قول الله عزَّ وجلَّ: **قُل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب** قال صلى الله عليه وآله وسلم: ذاك أخي عليّ بن أبي طالب عليه السلام»[1].

وعن أمير المؤمنين أنّه قال: «فأيّما أكرم على الله نبيّكم، أم سليمان عليه السلام؟ فقالوا: بل نبيّنا أكرم يا أمير المؤمنين. قال: فوصيُّ نبيِّكم أكرم من وصيِّ سليمان عليه السلام، وإنّما كان عند وصيِّ سليمان من اسم الله الأعظم حرف واحد سأل الله ـ جلّ اسمه ـ فخسف له الأرض ما بينه وبين سرير بلقيس فتناوله في أقلّ من طرف العين، وعندنا من اسم الله الأعظم اثنان وسبعون حرفاً، وحرف عند الله تعالى استأثر به دون خلقه. فقالوا: ياأمير المؤمنين! فإذا كان هذا عندك فما حاجتك إلى الأنصار في قتال معاوية وغيره واستنفارك النّاس إلى حربه ثانية؟ فقال عليه السلام: «**بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون** » إنّما أدعو هؤلاء القوم إلى قتاله ليثبت الحجَّة وكمال المحنة»[2].

وعن عبد الله بن الوليد السّمّان، قال:

قال أبو عبد الله عليه السلام: «ما يقول النّاس في أولي العزم وصاحبكم أمير المؤمنين عليه السلام؟ قال: قلت: ما يقدِّمون على أولي العزم أحداً. قال: فقال: أبو عبد الله عليه السلام: إنَّ الله تبارك وتعالى قال لموسى عليه السلام: **وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة**[3] ولم يقل: كلَّ شيء؛ وقال لعيسى عليه السلام: **ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه**[4] ولم يقل: كلَّ شيء، وقال لصاحبكم أمير المؤمنين عليه السلام: **قل كفى بالله شهيداً**

---

(١) ينابيع المودة: باب ٣٠ ص ١٠٣.

(٢) تفسير البرهان: ٣/٢٠٥.

(٣) الأعراف: ١٤٥.

(٤) الزخرف: ٦٣.

بيني وبينكم ومن عنده علمُ الكتابِ[١] وقال الله عزَّ وجلَّ: ولا رطب ولا يابسٍ إلا في كتابٍ مبينٍ[٢] وعلم هذا الكتاب عنده عليه السلام»[٣].

وعنه قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «أيُّ شيء تقول الشيعة في عيسى وموسى وأمير المؤمنين عليه السلام؟ قلت: يقولون: إنَّ عيسى وموسى أفضل من أمير المؤمنين عليه السلام. فقال عليه السلام: أتزعمون أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام قد علم ما علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قلت: نعم، ولكن لا تقدّمون على أولي العزم أحداً، فقال أبو عبد الله عليه السلام: فخاصمهم بكتاب الله، قلت: وفي أي موضع منه اخاصمهم؟...» فذكر عليه السلام عين ما تقدَّم[٤].

وفي ذلك يقول الشيخ محمد باقر الايرواني:

كيف لتحصى صفاتك الكتاب	ومزايك ما لهنَّ حساب
ليت شعري وهل يحيط بمعناك	خبيرٌ كما أحاط الكتاب
فلعمري ما أنت في الناس إلاّ	نفس طه وما بذاك ارتياب

❊ ❊ ❊

عليٌّ كالنبيّ بكلّ فضل سوى	فضل النّبوّة قد عداه
هو المعنى بالباب الّذي مَن	أتى الهادي النبيّ فقد أتاه
فتى في كنهه خبط البرايا	وفي معنى الحقيقة منه تاهوا[٥]

❊ ❊ ❊

(١) الرعد: ٤٣.

(٢) الأنعام: ٥٩.

(٣) تفسير نور الثقلين: ٢/٦٨.

(٤) نفس المصدر.

(٥) ديوان شعراء الحسين: ٢٢٦.

الإستدلال بآية خير البرية

وهي قوله تعالى:

﴿أنّ الذين آمنوا وعَمِلُوا الصّالِحات أُولئكَ هم خَيرُ البريَّة﴾[١].

هي من الآيات البينات الدّالة على أفضلية أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام على سائر الخلق ـ سوى نبينا محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ـ كما يظهر ذلك من مراجـعة أقـوال المفسرين والمحدثين في تفسير هذه الآية الشريفة، فالآية قد قدمت مواصفات من يكونون خير البرية، حيث وصفتهم بالذين أمنوا على مستوى التوحيد والعقيدة بكل جوانبها، وعلى مستوى العمل الصالح، ففي الآية المباركة إشـارة دقـيقة إلى أهـم القضايا في الدين الإسلامي بل هما الركنان الاساسيان للدين الحـنيف، ألا وهـما العقيدة على مستوى الأصول، والعمل على مستوى الفروع، فالعقيدة الإسلامية لا تثبت وتترسخ وتعقد في قلب وروح الإنسان المؤمن إلا إذا قرناها بالعمل الصالح على مستوى فروع الدين لذا تقرأ في القرآن الكريم قوله تعالى: **﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾**، فالكلم الطيب الذي هو عبارة عن العقائد الصحيحة لا يصعد ولا يرتفع بروح الانسان المؤمن إلا بجناح العمل الصالح الذي يثبت تلك العقيدة الإسلامية[٢].

---

(١) البينة: ٧.

(٢) العقائد الصحيحة بنفسها تُنجي الإنسان يوم القيامة وان كان مذنباً ومات من دون التـوبة، فإنه يطهر عند نزع روحه أو في عالم البرزخ، وأما يوم القيامة فـينجو بـعقائده الصـحيحة وبشفاعة محمّد وآل محمّد عليهم السلام، نعم إنما ترتفع درجات المؤمن في كل العوالم في دنياه وبعد

وعلى هذا الأساس قد تعرضت الآية المباركة إلى هذين الركنين الأساسيين اللذين يعتبران العمود الفقري لإثبات أفضل البرية.

على أن المصداق الأتم والأشمل والأكمل لهذه الآية المباركة هم محمّد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومن يمثلهم في صدارة الإمامة والولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ولا يكون هذا مجرد إدعاءً من دون دليل داله عليه، بل هو مما اتفق عليه الخاصّة والعامّة في شأن نزول هذه الآية ومن المعني بها؟ أي المولى عليّ عليه السلام.

الآية في كلام المفسّرين

* أخرج ابن مردويه، عن عليّ عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ألم تسمع قول الله **إنَّ الذين آمنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ أُوْلئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ** أنت وشيعتك»[1].

* وقال العلاّمة، أبو جعفر، محمّد بن جرير الطَّبريّ في تفسيره: «وقوله إنَّ الّذين آمنوا... يقول الله ـ تعالى ذكره ـ إنَّ الّذين آمنوا بالله ورسوله محمّد، وعبدوا الله مخلصين له الدِّين حنفاء، وأقاموا الصّلاة وآتوا الزّكاة، وأطاعوا الله فيما أمر ونهى، أولئك هم خير البريّة. يقول: من فعل ذلك من النّاس فهم خير البريّة. وقد حدَّثنا ابن حميد قال: حدَّثنا عيسى بن فرقد، عن أبي الجارود، عن محمّد بن عليٍّ **﴿اولئك هم خير البريّة﴾** فقال النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: **أنت عليٌّ وشيعتك**»[2].

* وقال العلاّمة الحافظ، الكنجيُّ الشّافعي: «عن جابر بن عبد الله، قال: كنّا عند

☜ رحلته منها بالإيمان والعمل الصالح كما جاء في أكثر من سبعين موضع من القرآن الكريم ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ وسماحة الكاتب المؤلف القدير إنما أراد هـذا المعنى فتدبر. «السيّد العلوي»

(١) الدر المنثور: ٦/٣٧٩.

(٢) جامع البيان: ٢٩/ ذيل الاية.

النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فأقبل عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: قد أتاكم أخي، ثمَّ التفت إلى الكعبة فضربها بيده، ثمَّ قال: والّذي نفسي بيده، إنَّ هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة، ثمَّ إنَّه أوَّلكم إيماناً، وأوفاكم بعهد الله، وأقومكم بأمر الله، وأعدلكم في الرَّعيَّة، وأقسمكم بالسّويَّة، وأعظمكم عند الله مزيَّة. قال: ونزلت: **إنّ الذين آمنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ أُولئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيةِ** قال: « وكان أصحاب النّبيّ محمد صلى الله عليه وآله وسلم إذا أقبل عليٌّ عليه السلام قالوا: جاء خير البريَّة».

قلت: هكذا رواه محدَّث الشّام في كتابه بطرق شتّى، وذكرها محدِّث العراق ومؤرّخها عن زرٍّ، عن عبد الله، عن عليٍّ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من لم يقل عليّ خير النّاس فقد كفر». وفي رواية عن حذيفة قال: سمعت النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «عليّ خير البشر من أبى فقد كفر».

وفي رواية لعائشة، عن عطاء قال: سألت عائشة عن عليٍّ، فقالت: ذاك خير البشر، ولا يشك فيه إلاّ كافر....»[1].

وقال الآلوسيُّ البغدادي في تفسيره: « أخرج ابن مردويه، عن عليّ كرم الله وجهه قال: **قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ألم تسمع قول الله تعالى إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البريَّة؟**

هم أنت وشيعتك، وموعدي وموعدكم الحوض إذا جاءت الامم للحساب يدعون غُراً محجلين».

وفي رواية: «**هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيّين**».

قال الآلوسي: وأنت تعلم أنَّ هذا ظاهر في أنَّ المراد بالبريَّة الخليقة مطلقاً... والإماميَّة وإن قالوا: إنّه رضي الله عنه خير من الأنبياء وحتّى أولي العزم عليهم السلام ومن الملائكة المقرَّبين عليهم السلام لا يقولون بخيريتّه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإن قالوا: بأنَّ البريَّة على

---

(١) كفاية الطالب: ٢٤٥.

ذلك مخصوصة بمن عداه ـ عليه الصلاة والسلام ـ للدَّليل الدَّالّ على أنّه ﷺ خير منه كرم الله تعالى وجهه قيل: إنّها مخصوصة ـ أيضاً ـ بمن عدا الأنبياء والملائكة»[١].

أقول: بعد مراجعة المصادر اللغوية والوقوف على المعنى اللغوي للبرية، والمشتق الذي اشتقت على ضوئه هذه الكلمة، نرى بوضوح عندئذ ان معنى البرية هو فعلية من برأ الله الخلق إلاّ أنه ترك فيها الهمزه ويجوز أن تكون من البري وهو التراب، قال ابن المنظور في «برأ»: «والبرية الخلق أو أصلها الهمزه وقد تركت العرب همزها، ونظيره النبيُّ والذرية، وأهل مكة يخالفون غيرهم من العرب يهمزون البريئة والنبي والذريئة من ذرأ الله الخلق».

وعلى هذا البيان يظهر لنا جليا وبصورة واضحة لا يعتريها الشك من كون الآية المباركة من الآيات الدالة على أفضلية أمير المؤمنين على الخلق، ولا يضر ما قاله الآلوسي في عدم دلالة الآية على أفضليته عليه السلام على الأنبياء والملائكة لأن أخراجه للأنبياء والملائكة عن قيد البريّة وعدم كونهم من الخلق يحتاج إلى دليل يدل عليه والحال أن الثابت هو ما قلناه أن الخلق بما فيهم الأنبياء داخلين تحت قيد البرية إلا ما استثناه الباري عز وجل وهو النبيّ محمّد ﷺ[٢].

أضف إلى ذلك أنّ دلالة عدة أحاديث شريفة تؤكد على أفضلية أمير المؤمنين عليه السلام وهذا ما سيأتينا في الأمر اللاحق من الفضل الآتي لهذا الموضوع.

ولقد أجاد الشعراء في نظمهم لأفضلية أمير المؤمنين على البرية في دواوينهم الشعرية ننقل بعضها على سبيل المعرفة والفضل:

---

(١) روح المعاني: ٣٠/٢٠٧.

(٢) تخصيصها بالأنبياء والملائكة يحتاج إلى دليل وحيث لا دليل فعدم الدليل دليل العدم واما تخصيصها بخاتم الأنبياء فلما ثبت في محله أنّه أفضل الخلق وأنه النور الأوّل اشتق من نور الله فتدبر. «السيّد العلوي»

أشعار ولائية في كونه عليه السلام خير البرية

الصّاحب بن عبّاد

لآل محمّد أصبحت عبداً   وآل محمّد خيرِ البريّة
أُناسٌ حلَّ فيهم كلُّ خير   مواريث النّبوّة والوصيّة

البياري

أمير المؤمنين لنا إمام   له العلياء والرتب السنيّة
فلم أنكرتم لو قلت يوماً   بأنّ المرتضى خير البريّة[1]
ستذكر بغضه وغلاه يوما   أتاك رداً حمّ لك المنية

أبو الحسين فاذشاه

من قال ليس المرتضى خير الورى   بعد النبيّ فهو في قعر لظى[2]

الحميري

أشهد بالله والآئه   والله عمّا قلته سائل
إنَّ عليّ بن أبي طالب   لخير ما حاف وما ناعل[3]

* * *

الخطيب الخوارزمي

إنّ عليّ بن أبي طالب   خير الورى والطالب الغالب
خير الورى والطالب الغالب   بعد النّبيّ ابن أبي طالب

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٣/٦٧-٧١.

(٢) نفس المصدر.

(٣) مناقب آل أبي طالب: ٣/٦٧-٧١.

الحسن بن حمزة العلوي

جـــاء إليـــنا فـــي الخـــبر بأنّـــــه خـــير البشـــر

فـــمن أبـــى فـــقد كـــفر بــــفضل مـــن يـــفاضل

أبو الطفيل الكناني

أُشـــــهد بـــالله وآلائـــه وآل يـــــاسين وآل الزمـــر

إنّ عـــليّ بـــن أبـــي طـالب بـــعد رسـول الله خـــير البشـــر

لو يـسـمعوا قـول نـــبيّ الهـدى مـــن حـاد عـــن حبّ عـليّ كـفر

عمر النواقاني

أشـــــهد بـــالله وآلائـــه شـــهادة بـــالحقّ لا بـــالمرا

إنّ عـــليّ بـــن أبـــي طـالب خير الورى من بـعد خير الورى

ابن حجّاج

فـمذهبي أنّ خـير النّـاس كـلّهم بعد النبيّ أمـير المـؤمنين عـليّ[١]

الحميرى

ألم يَك خـــيرهم أهـــلاً وولداً وأفـــضلهم مـــعالاً يـنكرونا

ألم يك أهـــله خـــير الأنـــام وســـبطاه رئـــيس الفـــائزينا

الناشي

إنّ الإمـــام عـــليّ عـــند خـــالقه غـداه فـينا أخـوه فـاعرف الذنـبا

هـــذا نـــبيّ وهـــذا خـــير أُمـــته ديناً وأعـلى البـرايـا كـلّهم نسـباً

---

(١) من المناقب لابن شهراثوب: ٣/٦٧-٧١.

الفضل بن عتبة

ألا إنّ خـير النـاس بـعد مـحمّد مُهَيمنه التاليه في العـرف والنّكـر

ديك الجنّ

إنّ عـلياً خـير أهـل الأرض بـعد النبيّ فـاربعي أو امـضي[١]

البشنويّ الكرديّ

خير البـريَّة خـاصف النعل الّـذي شـهد النبيّ بـحقِّه فـي المشـهد

وبـعلمه وقـضائه وبسـيفه شهد الرسول مع الملائك فاشهدِ[٢]

ابن الحجاج

أهـلاً وسـهلاً بـالأغر ابـن المـيامين الغـرر

أهـلاً وسـهلاً يـا بـن زمـ زم والمشـاعر والحـجر

يـابن الّـذي لولاه مـا اقـتربت ولا انشـق القـمر

يـابن الّـذي هـو والنـبيّ مـحمّد خـير البشـر

ومـن اسـتجاز خـلاف ذلك أو رواه فـقد كـفر

ابن شهرآشوب

ألا إنّ خـير النـاس بـعد نـبينا عـليّ وليّ الله وابـن المـهذّب

بـه قـام للـدين الحـنيف عـموده وصـار رفـيقاً ذا رواق مـطنّب

❋ ❋ ❋

(١) المناقب: ٣/٦٧-٧١.

(٢) الغدير: ٤/٣٩.

عن الحميدي

عليّ أمير المؤمنين أخو الهدى وأفضل ذي نعل ومن كان حافيا

أسر إليه أحمد العلم جملة وكان له دون البريَّة واعياً[(١)]

مما قيل على لسان الأشعث بن قيس الكندي

أتانا الرّسول رسول الوصيّ عليّ المهذّب من هاشمِ

رسول الوصيّ وصيّ النبيّ وخير البريَّة من قائم

وزير النبيّ وذو صهره وخير البريّة في العالم

له الفضل والسبق بالصّالحات لهدي النبيّ به يأتمي[(٢)]

* * *

(١) المناقب: ١/٢٦٠.

(٢) الغدير: ١٠/١٤.

الفصل الثاني

قصيدة ولائية

أمــير المـؤمنين فـدتك نـفسي ... لنـا مـن شأنك العجب العجاب

تـولاّك الأولى سـعدوا فـفازوا ... ونـاواك الّـذين شـقوا فـخابوا

ولو عـلم الورى مـا أنت أضـحوا ... لوجـهك سـاجدين ولم يـحابوا

يـمين الله لو كشـف المـغطّى ... ووجـه الله لو رفـع الحـجاب

خفيت عـلى العيون وأنت شـمس ... سـمت مـن أن يـجللّها سـحاب

وليس عـلى الصـباح إذا تـجلّى ... ولم يـبصره أعـمى العين عـاب

لسـرّ مـا دعـاك أبـا تـراب ... مـحمّد النـبيّ المسـتطاب

فكـان لكـلّ مـن هـو مـن تـراب ... إليك وأنت عـلته انـتساب

فـلولا أنت لم يـخلق سـماء ... ولولا أنت لم يـخلق تـراب

وفـيك وفـي ولائك يـوم حشـر ... يـعاقب مـن يـعاقب أو يـثاب

بـفضلك أفـصحت تـوراة مـوسى ... وإنـجيل ابـن مـريم والكـتاب

وهـل لسـواك بـعد غـدير خـمّ ... نـصيب فـي الخـلافة أو نـصاب

ألم يـجعلك مـولاهم فـذلّت ... عـلى رغـم هـناك لك الرقـاب

وكـم سـفهتْ عـليك حـلوم قـوم ... فكـنت البـدر تـنبحه الكـلاب[1]

---

(١) الغدير: ١١/٣٤٦، للسيد عليّ خان.

أفضلية الإمام عليّ عليه السلام في الأحاديث الشريفة

تمهيد:

قد يقال: إنّ الوقوف مع القرآن الكريم وحدهُ كدليل لمعرفة الأفضلية غير كاف في المقام، لأن القرآن الكريم قد يقال إن فيه محكم ومتشابه ومجمل ومطلق وعموم وغير ذلك من الأمور التي تعتبر المفاهيم هي التي تحددها وعلى هذا الإساس لابّد من الرجوع إلى السنة الشريفة التي تعتبر كدليل ثان بعد القرآن الكريم وبما فيها ـ أي السنة ـ أقوال وأفعال وتقريرات المعصومين عليهم السلام.

ان هذا القول وان كان له وجه من الصحة من كون القرآن فيه مجمل ومتشابهه وغير ذلك، إلّا أنَّ الآيات القرآنية التي أستدللنا بها لا يوجد أي شبهة وريب فى كون دلالتها دالة على الأفضلية حيث عاضدتها الروايات الشريفة.أضف إلى ذلك أقوال المفسرين في مقام بيان المراد على التفسير الصحيح للآيات، فلقد فسر المفسرون هذه الآيات المتقدمة ـ أمثال آية الشاهد والمباهلة، والتطهير، فلا يبقى مجالاً فى الطعن في دلالتها على المطلوب.

وجاء الآن دور الأحاديث الشريفة المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام والتي أكدت في طياتّها مضمونها هذه الحقيقة، في ثبوت أفضلية أمير المومنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام جميع البشر ـ سوى نبينا محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ـ وقبل الدخول في الإستدلال بالأحاديث لابّد من بيان مطلب مهم جداً وهو كون هذه الأحاديث تشكل مع بعضها البعض الآخر دليلاً قوياً يتمسك به لأثبات الأفضلية، وكذلك تبين هذه الأحاديث في طياتها بعض الأدلة العقلية والاستدلالات البرهانيّة على ضوء القياس الصحيح على تلك الأفضلية.

دلالة الأفضلية في الأحاديث الشريفة

١ ـ حديث التشبيه:

{من أراد أن يرى آدم في علمه، ونوحاً في طاعته، وإبراهيم في خلته، وموسى في هيبته، وعيسى في صفوته، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام }.

أقول: قد تقدم بنا في الصفحات السابقة الحديث حول التشبيه ووجه الشبه بين الإمام والأنبياء، وبيّنا سند هذه الأحاديث التي جاء في مضمونها جميعاً أنَّ علياً عليه السلام يشابه الأنبياء في استخلاصهم وصفاتهم ومميزاتهم التي تميزوا بها بين أممهم، وبقي الان وجه الإستدلال بهذه الأحاديث على الأفضلية، حيث يظهر من الدليل، إنّ سنده مما لا شك فيه ولا ريب لأنه صحيح السند ووردت روايته عند العامة والخاصة، ويكفي شاهداً على ذلك ما أورده في استدلاله الفخر الرازي والشيخ الحمصي وأحمد بن حنبل والحاكم النيسابوري وأبو حاتم الرازي وأبو نعيم الاصفهاني فسند الحديث مما لاغبار عليه فهو صحيح عند العامة فضلا عن الخاصة.

دلالة أحاديث التشبيه

أما دلالة أحاديث التشبيه، فهي تدل دلالة قطعية على أفضلية أمير المؤمنين من الأنبياء السابقين ووجه الإستدلال، يكون من خلال ملاحظة ما إجتمعت في الإمام علي عليه السلام من الخصال والصفات ما تفرق في الأنبياء من الصفات المذكورة في الأحاديث الخاصة لتشبيه والذي تجتمع فيه تلك الصفات المذكورة في الحديث والمتفرقة في جماعة الأنبياء، يكون على ضوء ذلك ـ هذا الشخص ـ الذي اجتمعت فيه الخصال أفضل من الأنبياء الذين تفرقت فيهم الصفات، وهذا الوجه في الاستدلال لا يحتاج إلى كثرة بيان.

أماما قيل[١] في الرّد على هذا الحديث من كونه موضوعاً، وأثر الوضع ظاهر عليه، فإنهُ بالنتيجة مسلم بكون دلالة الحديث ظاهرة في ثبوت الأفضلية، ولما لم يكن هناك خدش في الدلالة يضطر المنكر إلى الطعن بالسند، ومع القطع الذي قلنا به في صحة ثبوت السند عند العامة لا يبقى بعد ذلك للخدش في سند الحديث مجالاً.

ونفس هذا الإستدلال قد ذكروه جمّلة من المفسرين ولكن لأثبات أفضلية محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الأنبياء السابقين، وعلى هذا إذا ثبت هذا الإستدلال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وبنفس الطريقة يثبت للمولى عليّ عليه السلام لأنه نفس الرسول وإليك الاستدلال بالأفضلية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم على الأنبياء السابقين:

قال تعالى: ﴿**ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلاً هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلا فضلنا على العالمين ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ماكانوا يعملون أؤلئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فأن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده**﴾[٢].

محل الاستدلال

محل الإستدلال كما ذكره الرازي وغيره من المفسرين: إنّ هذه الآيات المباركة تدل على أفضلية نبيّنا من سائر الأنبياء، لأنّ قوله تعالى: ﴿**فبهداهم أقتده**﴾ دليل

(١) راجع دلائل الصدق: ٢/٥١٨.

(٢) الأنعام: ٨٤-٩٠.

على أنّه قد اجتمعت فيه الخصال المحمودة المتفرقة فيهم، كالشكر في داود وسليمان والصبر في أيوب، والزهد في زكريا وعيسى ويحيى، والصدق في إسماعيل، والتضرع في يونس، والمعجزات الباهرة في موسى وهارون فيكون منصبه ـ منصب نبينا محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ـ أجل من منصبهم ومقامه أفضل من مقامهم.

وهذا نفس الإستدلال الذي نستدل به على ضوء حديث التشبيه بأنّ عليّاً قد جمع ما تفرق في أولئك الأنبياء نفس الاستدلال في هذه الآية، بحسب ما ذكره المفسّرون. وإذا جرى نفس الإستدلال بالآيات على الأفضلية وكان تاماً، فحينئذ يتم إستدلالنا بحديث التشبيه هذا من جهة.

ومن جهة أخرى: إذا كان بهذه الآيات رسول الله أفضل من الأنبياء السابقين، فعليّ عليه السلام ساوى رسول الله عليه السلام فهو أيضاً أفضل من الأنبيّاء السابقين.

وللأطلاع على هذا الحبث لاحظ تفسير المفسرين في ذيل الآية، كتفسير الفخر الرازي[١] وتفسير النيسابوري[٢] وتفسير الخطيب الشربيني[٣].

اسناد إستدلالنا

ويساند إستدلالنا هذا على وجه الأفضلية ما حدّثنابه المؤرخون حيث قالوا أنه عليه السلام في آخر يوم من حياته الكريمة حينما كان على فراش الموت والشهادة، حضر عنده جماعة من أصحابه لعيادته، وممّن حضر صعصعة بن صوحان، وهو من كبار الشيعة في الكوفة، وكان خطيباً بارعاً، ومتكلماً لامعاً، وهو من الرواة الثقات حتّى عند أصحاب الصحاح الستّة وأصحاب المسانيد عندكم، فإنّهم يروون عنه ما ينقله من الإمام عليّ عليه السلام، وقد ترجم له كثير من أعلامكم مثل ابن عبد البر في

(١) تفسير الفخر الرازي: ١٣/٦٩ ـ ٧١.

(٢) تفسير النيسابوري (هامش الطبري): ٧/١٨٥.

(٣) تفسير السراج المنير: ١/٤٣٥.

«الاستيعاب» وابن سعد في «الطبقات الكبرى» وابن قتيبة في «المعارف» وغيرهم، فكتبوا أنّه كان عالماً صادقاً، وملتزماً بالدين، ومن خاصة أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وفي ذلك اليوم سأل صعصعةُ الإمام علياً عليه السلام قائلاً:

يا أمير المؤمنين! أخبرني أنت أفضل أم آدم عليه السلام؟

فقال الإمام عليه السلام: يا صعصعة! تزكية المرء نفسهَ قبيحٌ، ولولا قول الله عز وجل: ﴿وأمّا بنعمة ربّك فحدّث﴾[1] ما أجَبْتُ.

يا صعصعة! أنا أفضل من آدم؛ لأن الله تعالى أباح لآدم كلّ الطيّبات المتوفّرة في الجنة ونهاه عن أكل الحنطة فحسب، ولكنّه عصى ربّه وأكل منها!

وأنا لم يمنعني ربّي من الطيبات، وما نهاني عن أكل الحنطة، فأعرضت عنها رغبةً وطوعاً.

(كلامه عليه السلام كناية عن أنّ فضل الإنسان وكرامته عند الله عزَّ وجلَّ بالزهد في الدنيا وبالورع والتقوى، وأعلى مراتبه أن يجتنب الملاذّ ويعرض عن الشهوات والطيّبات المباحة ـ من باب رياضة النفس ـ حتّى يتمكن منها، ويمسك زمامها، فيسوقها في طريق الورع والتقوى[2]، قال صعصعة: أنت أفضل أم نوح؟

فقال عليه السلام: أنا أفضل من نوح؛ لانّه تحمّل ما تحمّل من قومه، ولما رأى منهم العناد دعا عليهم وما صبر على أذاهم، فقال: ﴿ربِّ لاتذر على الأرض من الكافرين ديّارا﴾[3].

---

(١) الضحى: ١١.

(٢) قال عليه السلام في كتابه لعثمان بن حُنيف واليه على البصرة..... وإنّما هي نفسي أُروِّضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر، وتثبت على جوانب المزلق.

ولو شئت لأهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل، ولُباب هذا القمح، ونسائج هذا القز، ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي إلى تخير الأطعمة.... إلى آخر مقاله القيم الثمين.

(٣) نوح: ٢٦.

ولكنّي بعد حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله تحمّلتُ أذى قومي وعنادهم، فظلموني كثيراً فصبرت وما دعوت عليهم[١].

(كلامه عليه السلام كناية عن أقرب الخلق إلى الله سبحانه أصبرهم على بلائه وأكثرهم تحمّلاً من جهال زمانه سوءَ تصرفهم، وهو يقابلهم بالحكمة والموعظة الحسنة وبحسن سلوكه وأخلاقه، قربة إلى الله تعالى).

فقال صعصعة: أنت أفضل أم إبراهيم؟

فقال عليه السلام: أنا أفضل؛ لأنّ إبراهيم قال: **﴿ربّ أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئنّ قلبي﴾**[٢].

ولكنّي قلت وأقول: لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً[٣].

(كلامه عليه السلام كناية عن أنّ مرتبة العبد عند الله سبحانه تكون بمرتبة يقينه، فكلّما ازداد العبد يقيناً بالله عزّ وجلّ وبالمعتقدات الدينية، ازداد قرباً من الله سبحانه وتعالى).

قال صعصعة: أنت أفضل أم موسى؟

قال عليه السلام: **أنا أفضل من موسى؛ لأنّ الله تعالى لمّا أمره أن يذهب إلى فرعون**

---

(١) في الخطبة المعروفة بالشقشقية والمذكورة في «نهج البلاغة» يصف سلام الله عليه جانباً من الوضع الذي قاساه فصبر، قال.....

وطفقتُ ارتئي بين أنْ أصول بيد جذّاء، أو أصبر على طَخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتّى يلقى ربّه ، فرأيت أنّ الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذىً، وفي الحلق شجاً، أرى تراثي نهباً....

(٢) البقرة: ٢٦٠.

(٣) جاء في كتاب «مطالب السؤول» لمحمد بن طلحة القرشي الشافعي ١/٨٩ط دار الكتب، قال: وقد كان عليٌّ عليه السلام منطوياً على يقين لاغاية لمداه، ولانهاية لمنتهاه، وقد صرح بذلك تصريحاً مبيناً، فقال عليه السلام: لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً....إلى آخره.

ويبلّغه رسالته ﴿قال ربّ إني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون﴾[١].

ولكني حين أمرني حبيبي رسول الله ﷺ بأمر لله عزّ وجل حتّى أُبلّغ أهل مكّة المشركين سورة براءة، وأنا قاتل كثير من رجالهم وأعيانهم!مع ذلك أسرعت غير مكترث، وذهبت وحدي بلا خوف ولا وجل، فوقفت في جمعهم رافعاً صوتي، وتلوت الآيات من سورة براءة، وهم يسمعون!!

(كلامه كناية عن .ن فضل الإنسان عند الله سبحانه بالتوكل عليه عزّ وجلّ والإقدام في سبيل الله وأن لا يخشى العبد أحداً إلا ربّه تعالى شأنه)).

قال صعصة: أنت أفضل أم عيسى؟

قال عليه السلام: أنا أفضل؛ لأنّ مريم بنت عمران لمّا أرادت أن تضع عيسى، كانت في البيت المقدّس، جاءها النداء يا مريم اخرجي من البيت هاهنا محل عبادة لا محل ولادة، فخرجت ﴿فأجاءها المخاضُ إلى جذع النخلة﴾[٢] ولكن أُمي فاطمة بنت أسد لمّا قرب مولدي جاءت إلى بيت الله الحرام والتجأت إلى الكعبة، وسألت ربّها أن يسهل عليها الولادة، فانشق لها جدار البيت الحرام وسمعت النداء: يا فاطمة أدخلي! فدخلت ورُدّ الجدار على حاله فولدتني في حرم الله وبيته.

٢ ـ مع حديث الطيّر:

روى العلّامة ابن المغازليّ، عن أبي جعفر السباك، عن أنس بن مالك، قال: «أُهدي لرسول الله ﷺ طائر مشويٌّ أهدته له امرأة من الأنصار، فدخل رسول الله ﷺ فوضعت ذلك بين يديه. فقال: اللّهمَّ أدخل عليَّ أحبّ خلقك إليك من الأوّلين والآخرين ليأكل معي من هذا الطائر؛ قال أنس : فقلت في نفسي: اللّهم

(١) القصص: ٣٣.

(٢) مريم: ٢٣.

اجعله رجلاً من الأنصار من قومي، فجاء عليٌّ فطرق الباب، فرددته وقلت: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متشاغل، ولم يعلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لذلك، فقال: اللّهمّ أدخل عليّ أحبَّ خلقك إليك من الأولين والآخرين يأكل معي من هذا الطائر؛ قلت: اللّهمّ اجعل رجلاً من قومي الأنصار: فجاء عليّ فرددته، فلمّا جاء الثالثة قال لي رسول الله: قم فافتح الباب لعليٍّ، فقمت ففتحت الباب، فأكل معه؛ فكانت الدّعوة له»[1]

السند والدلالة

إنّ من يقف مع هذا الحديث من حيثية السند والدلالة يجده تاماً من كلا الجهتين، ولا كلام فيهما، أما من جهة السند فهو معتبر ومتواتر إجمالاً، ومرويٌّ من طرق عديدة من العامّة والخاصة، وبصورة مختلفة وعبارات متوافقة في مضمونها جميعاً، مع دلالتها في المعنى الواحد[2].

وأما دلالة الحديث على الأفضلية فهذا يحتاج إلى ذكر بعض نصوص الحديث لنطلع عليها ونرى على أي شيء تدل دلالتها الظاهرية.

مع النصوص الروائية في الطير

١ ـ عن حميد الطويل عن أنس بن مالك، قال: «أُهدي إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم نحامة[3] مشويّة، فقال: اللهم ابعث إليَّ أحبَّ خلقك إليك وإلى نبيّك يأكل معي من هذه المائدة. قال: فأتي عليّ ـ الحديث»[4].

(١) مناقب عليّ بن أبي طالب: ١٦٨.

(٢) نقله المستدرك: ٣/١٣٠، تاريخ دمشق: ٢/١١٢. كفاية الطالب: ١٥٢.

(٣) النحامة: طائر أحمر له بالفارسية: سرخ آوى (ابن منظور: لسان العرب).

(٤) مناقب عليّ بن ابي طالب عليه السلام: ١٦٧ ـ ١٥٦.

٢ ـ عن إسماعيل بن أبي المغيرة، عن أنس بن مالك، قال: «اهدي لرسول الله ﷺ أطيار، فقسمها بين نسائه، فأصاب كلَّ امرأة منهنَّ ثلاثة؛ فأصبح عند بعض نسائه قطاتان[١]، فبعثت بهما إلى النبيّ ﷺ فقال: اللّهمَّ ائتني بأحبِّ خلقك إليك وإلى رسولك يأكل معي من هذا الطعام. فقلت: اللّهمَّ اجعله رجلاً من الأنصار؛ فجاء عليٌّ ـ الحديث»[٢].

٣ ـ عن عثمان الطَّويل، عن أنس بن مالك، قال: «أهدي للنَّبيِّ ﷺ طير كان يعجبه أكله، فقال: اللّهمَّ ائتني بأحبِّ خلقك إليك يأكل من هذا الطائر معي، فجاء علي ـ الحديث»[٣].

٤ ـ عن زبير بن عديٍّ، عن أنس قال: «اهدي إلى رسول الله ﷺ طير مشويّ، فلمّا وضع بين يديه قال: اللّهمَّ ائتني بأحبِّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطّائر، قال: فقلت في نفسي: اللّهمَّ اجعله رجلاً من الأنصار؛ قال: فجاء عليّ ـ الحديث»[٤].

٥ ـ عن ابن عبّاس، قال: «أُتي النبيّ ﷺ طائر، فقال: اللّهمَّ ائتني برجل يحبّه الله ورسوله ، فجاء عليّ ـ الحديث»[٥].

٦ ـ عن نافع: عن أنس بن مالك: «إنَّ رسول الله ﷺ قرِّب إليه طير، فقال: اللّهمَّ ائتني بأحبِّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطّير؛ فجاء عليّ يأكل معه»[٦].

---

(١) المصدر.

(٢) المصدر.

(٣) المصدر.

(٤) مناقب عليّ بن ابي طالب عليه السلام: ١٦٧ ـ ١٥٦.

(٥) المصدر.

(٦) مناقب عليّ بن ابي طالب عليه السلام: ١٦٧.

٧ ـ عن عبدالله بن أنس، عن أنس بن مالك قال: «اهـدي لرسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم حجل مشويّ[١] بخبزة وصنابة، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم اللّهم ئتني بأحب خـلقك إليك يأكل معي من هذا الطعام فقالت عائشة اللّهمَّ اجلعه أبي، وقالت حـفصة: اللّـهمَّ اجعله أبي؛ قال أنس: اللّهمَّ اجعله سعد بن عبادة، فسمعت حركة بالباب فخرجت فإذا عليٌّ بالباب»[٢].

أقول: الذي يظهر من هذه الأحاديث الشريفة إن مصدر هذا الطير المشوي يكاد يكون غير معين، لكون بعض هذه الأحاديث تقول: قُدِّم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو أهدي أو وضع بين يديه الخ..» وما قارب ذلك، وقد يفهم من هذه النصوص إن مصدر الطير هو السماء كما أخبر بذلك صاحب كتاب البحار[٣].

ويشير الحديث في دلالته إلى فائدة مهمة جداً، حيث المستفاد من هذه النصوص الروائية أن عليّاً عليه السلام أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكونه خير البشر مما لا مجال للشك في ذلك، كما ساند ذلك عدة من الأحاديث الشريفة.

فدلالة هذا القول المعصومي واضحاً جداً وهو: «اللّهمَّ أدخل عليَّ أحب خلقك إليك من الأوّلين والآخرين ليأكل معي من هذا الطير» فجاء عليّ عليه السلام.

وأيضاً: «اللهم ائتني بأحبِّ خلقك إليك يأكل مـن هـذا الطـائر مـعي، فـجاء عليّ عليه السلام».

ويؤيد قولنا ما قاله العلّامة الكنجيّ الشافعي في دلالة حديث الطير: «وفيه دلالة واضحة على أنّ عليّاً عليه السلام أحبُ الخلق إلى الله».

---

(١) الحجل: القبج: وبالفارسية: كبك، وهو طائر معروف. والصناب ـ بالكسر ـ ادام يتخذ مـن الخردل والزبيب، أو الخردل والزيت.

(٢) تاريخ دمشق: ٢/١١٢.

(٣) البحار: ٣٨/٣٤٨.

وأدلّ الدلالة على ذلك إجابة دعاء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال عزّوجلّ: ﴿**أدعوني استجب لكم**﴾ فأمر بالدعاء ووعد بالإجابة، وهو عزّوجلّ لا يخلف الميعاد، وما كان الله ليخلف رسله وعده، ولا يردُّ دعاء رسوله لأحب الخلق إليه، ومن أقرب الوسائل إلى الله تعالى محبته ومحبة من يحبّه لحبه كما أنشدني بعض أهل العلم في معناه:

بالخمسة الغرِّ من قريش وسادس القوم جبرئيل

بحبهم ربِّ فأعف عنيِّ بحسن ظنّي بلء الجميل[1]

وقفه مع أقوال المشككين

بالجملة فأن حديث الطير مما لا مجال للطعن في دلالته وسنده التام، ويبقى بعض أقوال المشككين الغافلين عن نعمة الله الكبرى، حيث قدحوا بالحديث في دلالات أخرى لا بد من التعرض لها والرد عليها لكي يتبين لنا الغث من السمين والحق من الباطل، والمفيد من المضر في الأقوال، ولا يخفى على المتتبع المتفحص أنّ هذه الشبهات والافتراءات إنما وقعت لمن هو مخالف لمذهب أهل البيت عليهم السلام أمثال المعاند ابن تيمية الحرّاني[2].

قال المضّل ابن تيمية الحرانيّ من مشلغ الوهابيّة: «إنّ الطّير ليس فيه أمر عظيم هنا يناسب أن يجيء أحبّ الخلق إلى الله ليأكل معه فإنَّ إطعام الطَّعام مشروع للبّر والفاجر، وليس في ذلك زيادة وقربة عند الله لهذا الآكل ولا معونة على مصلحةدين ولا دنيا، فأيّ أمر عظيم يناسب أن يجيء أحبُّ الخلق إلى الله يفعله؟»[3].

---

(١) كفاية الطالب: ١٥١ باب ٣٣.

(٢) منهاج السنّة: ٤/٩٩.

(٣) منهاج السنّة: ٤/٩٩.

وقد أجابه العلّامة المظفر رحمه الله: «والجواب: إنّ الأمر العظيم تعريف الأحبّ إلى الله تعالى للناس بدليل وجدانيّ فإنّه أكد من اللفظ وأقوى في الحجة، كما عرفهم نبي الهدي صلى الله عليه وآله وسلم أن علياً حبيب الله في قصة خيبر باخبارهم أنّه يعطي الرايّة من يحبّه الله ورسوله ويحب الله ورسوله، وأن الفتح على يده؛ على أنّه يكفي في المناسبة رغبة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بأن يأكل مع أحب الخلق إلى الله وإليه»[1].

ومما قاله ابن تيمية الحراني: «إنّ الحديث يناقض مذهب الرافضة فإنّهم يقولون: إنّ النبيّ كان يعلم أنّ عليّاً أحبَّ الخلق إلى الله، وأنّه جعله خليفة من بعده، وهذا الحديث يدل على أنّه ما كان يعرف أحبَّ الخلق إلى الله»[2].

والجواب على ذلك على ما أورده العلّامة المظفر رحمه الله حيث قال:

«إنّا لا نعرف وجه الدّلالة على أنّه لا يعرفه، أتراه لو قال: ائتني بعليّ يدلُّ على عدم معرفته له؟ وكيف لا يعرفه وقد قال كما في بعض الأخبار: «اللّهمّ ائتني بأحبّ الخلق إليك وإليّ». وقال لعليّ في بعض آخر: «ما حبسك عليّ»؟ وقال له في بعضها «ما الّذي أبطأك»؟ فالنّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان عارفاً به لكنّه أبهم ولم يقل: ائتني بعليٍّ، ليحصل التّعيين من الله سبحانه فيعرف النّاس أنَّ عليّاً هو الاحبُّ إلى الله تعالى بنحو الاستدلال»[3].

ويؤيد معرفته بعلي عليه السلام كما في قوله صلى الله عليه وآله وسلم في قضية غزوة خيبر: «لاعطين الراية غدا رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله».

أكان لا يعرفه حين قال هذا القول؟! ولو كان لا يعرفه فكيف أعطى الراية علياً؟ على هذا الإساس فان صدور مثل هكذا كلام ممن يكون عارفاً بالمراد

---

(١) دلائل الصدق: ٢/٢٨٣.

(٢) منهاج السنّة: ٤/٩٩.

(٣) دلائل الصدق: ٢/٤٣٨.

والمقصود من قوله، وأين يكنى به ليكون أوضح في الدلالة وهذا مما لا يخفى على الاديب البليغ الذي له إلمام بالبلاغة والفصاحة والأدب.

وختاماً نورد ما قاله العلّامة المجلسي في بحار الأنوار حيث قال:

«اعلم أنَّ تلك الأخبار مع تواترها واتّفاق الفريقين على صحّتها تدلّ على كونه ـ صلوات الله عليه ـ أفضل الخلق وأحقّ بالخلافة بعد الرّسول ﷺ. أمّا دلالتها على كونه أفضل فلأنّ حبَّ الله تعالى ليس إلّا كثرة الثّواب والتّوفيق والهداية والمرتّبة على كثرة الطّاعة والاتّصاف بالصّفات الحسنة كما برهن في محلّه أنّه تعالى منزّ عن الانفعالات والتّغيّرات، وإنّما اتّصافه بالحب والبغض وأمثالها بإعتبار الغايات ... فظهر أنّ حبّه تعالى إنّما يترتّب على متابعة الرّسول ﷺ، فثبت أنّه ـ صلوات الله عليه ـ أفضل من جميع الخلق.

وإنّما خُصَّ الرّسول ﷺ بالإجماع وبقرينة أنّه كان هو القائل لذلك فالظّاهر أنَّ مراده أحبُ سائر الخلق إليه تعالى.

وأمّا كونه أحقّ بالخلافة فلأنَّ من كان أفضل من جميع الصَّحابة بل من سائر الأنبياء والأوصياء لا يجوّز العقل تقدّم غيره عليه».

ومما قيل في الطير من الشعر ما رويّ عن السيد إسماعيل الحميري رحمه الله:

نـبئت أنَّ أبـانا كـان عـن أنس	يروي حديثاً عـجيباً مـعجبا عـجبا
فـي طـائر جـاء مشـوياً بـه بشـر	يـوماً وكـان رسـول الله مـحتجبا
أدنـاه مـنه فـلما أن رآه دعـا	ربّاً قـريباً لأهـل الخـير مـنتجبا
أدخـل إليّ أحبّ الخـلق كـلهم	وطـرّاً إليك فأعـطاه الذي طـلبا
مـا أعـتز البـاب مـعتز فـقال له	من ذا؟ وكان وراء الباب مـر تـقبا
مـن ذا؟ فـقال: عـليٌّ قـال: إنّ له	شأناً له أهتمَّ منه اليوم فـاحتجبا[1]

(١) ديوان الحميري: ٦٩.

وقال صاحب بن عبّاد رحمه الله:

مــــن كـــمولاي عـــليٍّ زاهـــد طـــلق الدنـــيا ثـــلاثاً ووفـــى
مــــن دعـــى للـــطير أن يأكـــله ولنـــا فـــي بـــعض هـــذا مكـــتفى[1]

٣ـ حديث العلم:

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام كان هبة الله لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ورث علم الأوصياء وعلم ما كان قبله أما إن محمّد صلى الله عليه وآله وسلم قد ورث علم ما كان قبله من الأنبياء والأوصياء والمرسلين[2].

دلالة الحديث

فهذا الحديث يدل دلالة قطعية على أن أمـير المـؤمنين عليه السلام كـان وارث عـلم الأولين والاخرين، والذي يرث علم الذين هم سبقوه لابّد أن يكون أعلمهم ـ سوى النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأفضلهم ولا يختلف في ذلك إثنان من أولي الالباب.

ويؤيد الحديث المتقدم الحديث الذي رواه المحّدثون عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الله عز وجل فَضّل أولي العزم من الرسل بالعلم على الأنبياء عليهم السلام وفضل محمداً صلى الله عليه وآله وسلم عليهم، وورثنا علمهم وفضلنا عليهم فـي فـضلهم وعـلّم رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما لا يعلمون، وعلّمنا علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فرويناه لشيعتنا فمن قبل منهم فهو أفضلهم، وأينما نكون فشيعتنا معنا.

وقال عليه السلام: تمصون الرواضع وتدعون النهر العظيم، فقيل: ما تعني بذلك؟ قال: إنّ الله تعالى أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علم النبيين بأسره، وعـلمه الله مـا لم يعلمهم، فأسر ذلك كلّه إلى أمير المؤمنين عليه السلام، قلت: فيكون عليّ عليه السلام أعلم مـن

(١) كفاية الطالب: ١٩٢.

(٢) بصائر الدرجات: ٨٤.

بعض الأنبياء فقال:إن الله عز وجل يفتح مسامع من يشاء.

أقول: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حوى علم جميع النبيين وعلمه ما لم يعلمهم، وإنّه جعل ذلك كله عند عليّ عليه السلام فتقول: عليّ أعلم من بعض الأنبياء ثم تلا قوله تعالى: ﴿قال الذي عنده علم لكتاب﴾ ثم فرق أصابعه ووضعها على صدره ثمّ قال: وعندنا والله علم الكتاب كله»[١].

* عن السمّان قال: قال الإمام الباقر عليه السلام: «يا عبد الله ما تقول في عليّ وعيسى وموسى صلوات الله عليهم؟

قلت: وما عسى أن أقول فيهم، فقال: والله أعلم منهما، ثم قال: ألستم تقولون: إنّ لعليّ صلوات الله عليه ما لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من العلم؟ قلنا: نعم والناس ينكرون، قال: فخاصمهم فيه بقوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وكتبنا له في الألواح من كل شيء﴾[٢] فأعلم أنّه لم يبين له الأمر كلّه، وقال لمحمد عليه السلام: ﴿وجئنا بك شهيداً على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء﴾[٣].

وقال: فسأل عن قوله تعالى: ﴿قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾[٤] ثم قال:

والله ايانا عنى وعليٌّ أولنا وأفضلنا وأخيرنا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»[٥].

أقول: ودلالة هذا الحديث لا تحتاج إلى مزيد بيان ولا إلى ظهور كلام، لأن كلمة لأفضليته واضحة جداً في الحديث، وهذا استدلال ما بعده استدلال في اثبات الأفضلية للمولى أمير المؤمنين عليه السلام.

---

(١) مختصر البصائر: ١٠٨.

(٢) الاعراف: ١٤٥.

(٣) النحل: ٨٩.

(٤) الرعد: ٤٣.

(٥) مختصر البصائر: ١٠٩.

شواهد روائية تثبت الأفضلية

وقد دلت عدة أحاديث على هذا الأمر ولو أردنا أن نجعلها في كتاب لما كفى ذلك له، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله لذا نعطي بعض الشواهد الروائية التي تثبت الأفضلية ونقتصر على ذكر عشرين نصاً روائياً والتي منها:

١ـ قال الحافظ العلاّمة، ابو عبد الله، الكنجي الشافعي: «قلت: **تشبيهه لعلي عليه السلام** بآدم في علمه، لأنّ الله علّم آدم كلّ شيء كما قال عزّ وجلّ: **وعلم آدم الاسماء كلها**[1].

فما من شيء ولاحادثة ولا واقعة إلاّ وعند عليٍّ عليه السلام فيها علم، وله في استنباط معناها فهم؛ وشبهه بنوح في حكمته، أو في رواية «في حكمه» وكأنّه أصحّ، لأنّ علياً عليه السلام كان شديداً على الكافرين رؤوفاً بالمؤمنين كما وصفه الله في القرآن: **والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم**[2]. وأخبر الله عزّ وجلّ عن شدّة نوح على الكافرين بقوله: **رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا**[3] وشبهه في الحلم بإبراهيم خليل الرّحمن كما وصفه الله عز وجلّ في القرآن بقوله: **أنّ ابراهيم لأواه حليم**[4] فكان متخلّقاً بأخلاق الأنبياء، متّصفاً بصفات الأصفياء[5]».

٢ـ روى العلاّمة، الشّيخ سليمان الحنفيُّ، عن جابر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**يا عليّ! لو أنّ أحداً عبد الله حقّ عبادته ثمّ شكّ فيك وأهل بيتك أنّكم أفضل النّاس، كان في النّار**»[6].

---

(١) البقرة: ٣١.

(٢) الفتح: ٢٩.

(٣) نوح: ٢٦.

(٤) التوبة: ١١٤.

(٥) كفاية الطالب: ١٢٢ ب ٢٣.

(٦) ينابيع المودة: ٢/٧٨.

٣ـ وروى عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لو وضع أعمال امتّي في كفّة، ووضع عملك يوم أحد في كفّة اخرى لرجح عملك، وأنّ الله باهى بك يوم أحد ملائكته المقرّبين، ورفعت الحجب من السّماوات، وأشرفت إليك الجنّة وما فيها، وابتهج بفعلك ربّ العالمين»(١).

٤ـ روى أبو الفتح محمّد بن عليٍّ بن عثمان الكراجكيّ، الفقيه المتكلم رحمه الله، عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال لأمير المؤمنين عليه السلام: «يا أبا الحسن! لو وضع إيمان الخلائق وأعمالهم في كفّه ميزان، ووضع عملك يوم أحد في الكفة الأُخرى لرجّح عملك يوم أحد على جميع ما عمل الخلائق، وإنّ الله تعالى باهى بك يوم أحد ملائكته المقربين، ورفع الحجب من السّماوات السّبع، وأشرفت إليك الجنّة وما فيها، وابتهج بفعلك ربّ العالمين، وإنّ الله ليعوّضك بذلك اليوم ما يغبطك به كلّ نبيّ وصديق وشهيد»(٢).

٥ـ روى الحافظ الكنجي، عن أبي عقال، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، «سأل أبو عقال النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله؟ من سيد المسلمين؟ فقال النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من تظنّ، يا أبا عقال؟ فقال: آدم، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ههنا من أفضل من آدم؛ فقال: يا رسول الله! أليس الله خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وزوّجه حوّاء أمته، وأسكنه جنّته؟ فمن يكون أفضل منه؟ فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: من فضّله الله عزّ وجلّ؟ فقال: شيث فقال صلى الله عليه وآله وسلم: أفضل من شيث؟ فقال: إدريس، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: أفضل من إدريس ونوح؟ فقال: هود، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: أفضل من هود وصالح ولوط؟ فقال: موسى وهارون، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: أفضل من موسى وهارون؟ قال: فإبراهيم إذن، قال صلى الله عليه وآله وسلم: أفضل من إبراهيم وإسماعيل وإسحاق؟ قال: فيعقوب، قال صلى الله عليه وآله وسلم: أفضل من

(١) ينابيع المودة: ١٧/ ١٢٧.

(٢) التفضيل: ٢٥، ينابيع المودة: ١/ ٦٣.

يعقوب ويوسف؟ قال: فداود، قال صلى الله عليه وآله وسلم: أفضل من داود وسليمان؟ قال: فأيوب إذن، قال صلى الله عليه وآله وسلم: أفضل من أيوب ويونس؟ قال: زكريا إذن، قال صلى الله عليه وآله وسلم: أفضل من زكريا ويحيى؟ قال: فاليسع إذن، قال صلى الله عليه وآله وسلم: أفضل من اليسع وذي الكفل قال: فعيسى إذن، قال صلى الله عليه وآله وسلم: أفضل من عيسى؟ قال ابو عقال: ما علمت من هو، يا رسول الله! ملك مقرب، فقال النّبيّ مكلّمك، يا أبا عقال (يعني نفسه).

فقال ابو عقال: سررتني، والله يا رسول الله! فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: أزيدك، يا أبا عقال؟ قال: نعم، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: اعلم يا أبا عقال أنَّ الأنبياء والمرسلين ثلاثمائة وثلاثة عشر نبيّاً، لو جعلوا في كفّه وصاحبك في كفّة لرجح عليهم؛ فقلت: ملأتني سروراً يا رسول الله، فمن أفضل النّاس بعدك؟ فذكر له نفراً من قريش ثمَّ قال:بن أبي طالب، فقلت: يا رسول الله فأيهم أحبّ إليك؟ قال: عليّ بن أبي طالب، فقلت: لم ذلك؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: خلقت أنا وعليّ بن أبي طالب من نور واحد ـ إلى أن قال: ـ يا أبا عقال! فضل عليّ على سائر النّاس كفضل جبرئيل على سائر الملائكة».

ثم قال الكنجيُّ: «هذا حديث حسن عال»[1].

٦ـ روى العلاّمة الكراجكيُّ رحمه الله عن ابن عبّاس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «عليّ أفضل من خلق الله تعالى غيري، والحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة، وأبوهما خير منهما، وإنَّ فاطمة سيّدة نساء العالمين»[2].

٧ـ وروى عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: «نظر النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: هذا خير الأولين والاخرين من أهل السّماوات والأرضين....»[3].

٨ـ وعن النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم «يا عليّ! أنت أمير من في السّماء، وأمير من في

(١) كفاية الطالب: ٣١٦.

(٢) التفضيل: ١٦/١٩.

(٣) التفضيل: ١٦/١٩.

الأرض، وأمير من مضى، وأمير من بقى، ولا أمير قبلك ولا أمير بعدك، ولا يجوز أن يسمّى بهذا الاسم من لم يسمّه الله عزَّ وجلَّ به»[١].

٩ـ روى العلاّمة القندوزي عن زيد بن أوفى، قال: «لمّا آخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين أصحابه فقال عليٌّ عليه السلام: يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تواخ بيني وبين أحد! فقال صلى الله عليه وآله وسلم: والّذي بعثني بالحقِّ نبيّاً ما أخَّرتك إلاّ لنفسي، فأنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيَّ بعدي، وأنت أخي ووارثي، وأنت منّي معي في قصري في الجنّة مع ابنتي فاطمة، وأنت أخي و رفيقي. ثمَّ تلا: اخواننا على سرر متقابلين المتحابون في الله ينظر بعضهم إلى بعض»[٢].

١٠ـ روى العلاّمة، السيّد هاشم البحرانيّ رحمه الله عن جابر بن عبد الله أنّه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا جابر! أي الإخوة أفضل؟ قال: قلت البنون من الأب والأمّ. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إنّا معاشر الأنبياء إخوة وانا أفضلهم، ولأحبّ الإخوة إليّ عليّ بن أبي طالب، فهو عندي أفضل من الأنبياء فمن زعم أنَّ الأنبياء أفضل منه فقد جعلني أقلّهم، ومن جعلني أقلّهم فقد كفر، لأنّي لم أتّخذ عليّاً أخاً إلاّ لما علمت من فضله»[٣].

يا روح أنس من الله البدء بدا	وروح قدس على العرش العلى بدا
يا علّة الخلق يا من لا يقارب خير الـ	ـمرسلين سواه مشبّه أبداً
أنت الّذي اختارك الهادي البشير أخاً	وما سواك ارتضى من بينهم أحدا

١١ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا عليّ إنَّ الله تبارك وتعالى فضل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقرّبين، وفضّلني على جميع النّبيّن والمرسلين؛ والفضل

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) ينابيع المودة: ١/٥٥.

(٣) تفسير البرهان: ٤/١٤٨.

بعدي لك يا عليّ وللأئمّة من بعدك؛ وإنَّ الملائكة لخدّامنا وخدّام محبّينا» ـ الحديث.

١٢ـ عن أبي الحسن عليه السلام: «ولاية عليٍّ عليه السلام مكتوبة في جميع صحف الأنبياء، ولن يبعث الله نبياً إلّا بنبوّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ووصيّة عليٍّ».

١٣ـ عن المفضّل بن عمر قال: قال لي ابو عبدالله عليه السلام: «إنّ الله تبارك وتعالى توحَّد بملكه، فعرّف عباده نفسه، ثمَّ فوَّض إليهم أمره، وأباح لهم جنَّته؛ فمن أراد الله يطهِّر قلبه من الجنِّ والإنس عرَّفه ولايتنا، ومن أراد أن يطمس على قلبه أمسك عنه معرفتنا. ثمَّ قال: يا مفضَّل والله ما استوجب آدم أن يخلقه الله بيده وينفخ فيه من روحه إلّا بولاية عليّ عليه السلام، وما كلّم الله موسى تكليماً إلّا بولاية عليّ عليه السلام، أو لا أقام الله عيسى ابن مريم آية للعالمين إلّا بالخضوع لعليّ عليه السلام. ثمَّ قال: أجمل الأمر: ما استأهل خلق من الله النظر إليه إلّا بالعبوديّة لنا».

١٤ـ عن أبي جعفر عليه السلام: «ولايتنا ولاية الله التي لم يبعث نبيّاً قطّ إلّا بها».

١٥ـ عن أبي عبدالله عليه السلام: «ما من نبيٍّ نبّيء ولا من رسول أُرسل إلّا بولايتنا وتفضيلنا على من سوانا».

١٦ـ عن أبي سعيد الخدريّ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «يا عليّ ما بعث الله نبيّاً إلّا وقد دعاه إلى ولايتك طائعاً أو كارهاً».

١٧ـ عن محمّد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «إنَّ الله تبارك وتعالى أخذ ميقاق على ولاية عليّ عليه السلام، وأخذ عهد النَّبيّين بولاية عليٍّ عليه السلام».

١٨ـ عن أبي عبد الله عليه السلام: «ما نبّيء نبيٌّ قطّ إلّا بمعرفة حقّنا وبفضلنا على من سوانا».

١٩ـ وجد بخطّ مولانا أبي محمّد العسكري عليه السلام: «أعوذ بالله من قوم حذفوا محكمات الكتاب، ونسوا الله ربَّ الأرباب، والنبيَّ وساقي الكوثر في مواقف ـ

الحساب، ولظى، والطّامة الكبرى، ونعيم دار الثّواب؛ فنحن السَّنام الأعظم، وفينا النّبوّة والولاية والكرم، ونحن منار الهدى، والعروة الوثقى، والأنبياء كانوا يقتبسون من أنوارنا، ويقتفون آثارنا، وسيظهر حجّة الله على الخلق بالسّيف المسلول لإظهار الحقّ. وهذا خطّ الحسن بن عليٍّ ابن محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليٍّ أمير المؤمنين».

٢٠ـ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما تكاملت النّبوّة لنبي في الأظلّة (في عالم الأشباح) حتّى عرضت عليه ولايتي وولاية أهل بيتي، ومثلوا له فأقرّوا بطاعتهم وولايتهم»[1].

٤ ـ حديث السؤال:

ومما يدل على أفضلية أمير المؤمنين على الأنبياء هو ما ورّد على لسانه الشريف حيث قال: «سلوني قبل أن تفقدوني» فهذا القول لم يدعيه أحد قبله ولا بعده، ومن يقول بهذه المقال فعليه بالإثبات، وأنى له الأثبات وقد قطع بأنه لا يقول هذا القول سوى الإمام عليّ عليه السلام.

وهذا المقال منه عليه السلام يدل دلالة على أنه عليه السلام يعلم علم الأولين والأخرين، ومن كان هكذا حاله، فبالقطع اليقيني يكون أفضل الأولين والآخرين ما خلا نبينا محمّد صلى الله عليه وآله وسلم حيث خرج بالدليل، بل هو الذي علم الإمام علي عليه السلام ألف باب من العلم ينفتح له من كل باب ألف باب، وعلى العموم فأن حديث «سلوني» قد تواتر بالأخبار أنّه ما قاله غيره إلاّ افتضح، والأثر في ذلك كثير، نذكر جملة من المأثورات الشريفة في ذلك:

١ـ عن الأصبغ بن نباته قال: «لما جلس عليّ عليه السلام في الخلافة وبايعه النّاس

---

(١) البحار: ٢٦/٢٨١ ـ ٢٩٤.

خرج إلى المسجد متعمّما بعمامة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لا بساً بردة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، متنعّلاً نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، متقلّداً سيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فصعد المنبر، فجلس عليه السلام عليه متمكّناً، ثمّ شبّك بين أصابعه فوضعها أسفل بطنه، ثمّ قال: يا معشر النّاس! سلوني قبل أن تفقدوني، هذا سفط العلم، هذا لعاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، هذا ما زقّني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زقاً زقاً، سلوني، فأنّ عندي علم الأوّلين والآخرين، أما والله، لو ثنيّت لي الوسادة فجلست عليها لأفتيت أهل التّوراة بتوراتهم حتّى تنطق التّوراة، فنقول: صدق عليّ، ما كذّب، لقد أفتاكم بما أنزل الله فيَّ؛ وأفتيت أهل القرآن بقرآنهم حتّى ينطق القرآن فيقول: صدق عليٌّ، ما كذب، لقد أفتاكم بما أنزل الله فيَّ، وأنتم تتلون القرآن ليلاً ونهاراً، فهل فيكم أحدٌ يعلم ما نزل فيه؟

ولولا آية في كتاب الله لأخبرتكم بماكان وبما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة، وهي هذه الآية: ﴿يحمو الله ما يشاء ويثبت وعنده أمّ الكتاب﴾.

ثم قال: سلوني قبل أن تفقدوني، فوالله الذي فلق الحبّة وبرأ النّسمة لو سألتموني عن آية آية في ليلة أُنزلت أو في نهار أُنزلت أو في نهار أُنزلت، مكيّها ومدنيّها، سفريِّها وحضريّها، ناسخها ومنسوخها، محكمها ومتشابهها، وتأويلها وتنزيلها لأخبرتكم. فقام إليه رجل يقال له ذعلب ـ وكان ذرب اللّسان بليغاً في الخطب، شجاع القلب ـ فقال: لقد ارتقى ابن أبي طالب مرقاة صعبة، لأخجلنّه اليوم لكم في مسألتي إيّاه، فقال: يا أمير المؤمين! هل رأيت ربّك؟

قال: ويلك يا ذعلب، لم أكن بالّذي أعبد ربّاً لم أره، فقال: فكيف رأيته؟ صفه لنا، قال: ويلك، لم تره العيون بمشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان.

ويلك يا ذعلب، إنّ ربّي لا يوصف بالبعد، ولا بالحركة، ولا بالسّكون، ولا بالقيام قيام انتصاب، ولا بجيئة ولا بذهاب، لطيف اللّطافة، لا يوصف باللّطف، عظيم العظمة، لا يوصف بالعظم، كبير الكبرياء، لا يوسف بالكبر، جليل الجلالة، لا

يوصف بالغلظ، رؤوف الرَّحمة، لا يوصف بالرَّقة؛ مؤمن لا بعبادة، مدرك لا بمحسَّة، قائل لا باللّفظ؛ هو في الأشياء على غير ممازجة، خارج منها على غير مباينة؛ فوق كلّ شيء فلا يقال: شيء فوقه، وأمام كلّ شيء فلا يقال: له أمام، داخل في الأشياء لا كشيء في شيء داخل، وخارج منها لا كشيء من شيء خارج.

فخرَّ ذعلب مغشيّاً عليه، ثمَّ قال: تالله، ما سمعت بمثل هذا الجواب، والله لا عُدت إلى مثلها.

ثمَّ قال: سلوني قبل أن تفقدوني، فقام إليه الأشعث بن قيس، فقال: يا أمير المؤمنين! كيف يؤخذ من المجوس الجزية ولم ينزل عليهم كتاب، ولم يبعث إليهم نبيٌّ؟ قال: بلى، يا أشعث! قد أنزل الله عليهم كتاباً وبعث إليهم رسولاً حتّى كان لهم ملك سكر ذات ليلة، فدعا بابنته إلى فراشه، فارتكبها، فلمّا أصبح تسامع به قومه، فاجتمعوا إلى بابه فقالوا: أيّها الملك دنَّست علينا ديننا وأهلكته، فاخرج نطهِّرك ونقم عليك الحدَّ. فقال لهم: اجتمعوا واسمعوا كلامي، فإن يكن لي مخرج ممّا ارتكبت وإلّا فشأنكم.

فاجتمعوا، فقال لهم: هل علمتم أنَّ الله لم يخلق خلقاً أكرم عليه من أبينا آدم وأُمّنا حوَّاء ؟ قالوا: صدقت أيّها الملك، قال: أفليس قد زوَّج بنيه من بناته وبناته من بنيه؟ قالوا: صدقت هذا هو الدّين، فتعاقدوا على ذلك فمحا الله ما في صدورهم من العلم، ورفع عنهم الكتاب، فهم الكفرة يدخلون النّار بلا حساب، والمنافقون أشدُّ حالاً منهم، قال الأشعث: والله، ما سمعت بمثل هذا الجواب، والله، لا عُدت إلى مثلها أبداً.

ثمَّ قال: سلوني قبل أن تفقدوني. فقام إليه رجل من أقصى المسجد متوكّئاً على عصاه، فلم يزل يتخطّى النّاس حتى دنا منه، فقال: يا أمير المؤمنين! دلّني على عمل أنا إذا عملته نجانّي الله من النّار، قال له: اسمع يا هذا، ثمَّ افهم، ثمَّ استيقن.

قامت الدُّنيا بثلاثة: بعالم ناطق مستعمل لعلمه، وبغنيٍّ لا يبخل بماله على أهل دين الله، وبفقير صابر فإذا كتم العالم علمه وبخل الغني ولم يصبر الفقير فعندها الويل، وعندها يعرف العارفون بالله أنَّ الدّار قد رجعت إلى بدئها أي الكفر بعد الإيمان.

ايّها السائل! فلا تغترَّن بكثرة المساجد، وجماعة أقوام أجسادهم مجتمعة وقلوبهم شتَّى، أيّها السائل! النّاس ثلاثة: زاهد وراغب وصابر، فأمّا الزّاهد فلا يفرح بشيء من الدُّنيا أتاه، ولا يحزن على شيء منها فاته، وأمّا الصّابر فيتمنّاها بقلبه، فإنّ أدرك منها شيئاً صرف عنها نفسه، لما يعلم من سوء عاقبتها، وأمّا الرّاغب فلا يبالي من حلّ أصابها أم من حرام.

قال له: يا أمير المؤمين! فما علامة المؤمن في ذلك الزّمان؟ قال: ينظر إلى ما أوجب الله عليه من حقٍّ فيتولاّه، وينظر إلى ما خالفه فيتبرّأ منه وإن كان حميماً قريباً، قال: صدقت والله، يا أمير المؤمنين! ثمَّ غاب الرَّجل فلم نره، فطلبه النّاس فلم يجدوه، فتبسّم عليٌّ عليه السلام على المنبر ثمّ قال: مالكم؟ هذا أخي الخضر عليه السلام.

ثمَّ قال: سلوني قبل أن تفقدوني، فلم يقم إليه أحد؛ فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم ثمَّ قال للحسن عليه السلام: يا حسن! قم، فاصعد المنبر فتكلم بكلام لا تجهِّلك قريش من بعدي فيقولون: إنّ الحسن بن عليّ لا يحسن شيئاً، قال الحسن عليه السلام: يا أبت! كيف أصعد وأتكلّم وأنت في النّاس تسمع وترى؟ قال له: بأبي وأمي، أُواري نفسي عنك وأسمع وأرى وأنت لا تراني، فصعد الحسن عليه السلام المنبر، فحمد الله بمحامد بليغة شريفة وصلّى على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم صلاة موجزة ثمَّ قال: أيّها النّاس! سمعت جدِّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها، وهل تدخل المدينة إلّا من بابها».

ثمَّ نزل، فوثب عليٌّ عليه السلام فحمله وضمَّه إلى صدره، ثمَّ قال للحسين عليه السلام: يا بنيَّ! قم، فأصعد المنبر وتكلّم بكلام لا تجهِّلك قريش من بعدي فيقولون: إنّ الحسين

بن عليّ لا يبصر شيئاً؛ وليكن كلامك تبعاً لكلام أخيك، فصعد الحسينعليه السلام المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على نبيّهصلى الله عليه وآله وسلم صلاة موجزة ثمّ قال: معاشر النّاس! سمعت جدّي رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول: «إنّ عليّاً هو مدينة هدى، فمن دخلها نجا، ومن تخلّف عنها هلك». فوثب إليه فضمّه إلى صدره وقبّله، ثمّ قال: معاشر النّاس! اشهدوا أنّهما فرخا رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم ووديعته الّتي استودعنيها وأنا أستودعكموها، معاشر النّاس! ورسول الله سائلكم عنهما»[1].

٢ـ قال الحافظ محمّد بن يوسف بن محمّد البلخي الشّافعيّ في كتابه (على ما في تلخيصه، ص١٦): «وروي عن عليّ ـ كرم الله وجهه ـ أنّه قال في مجلسه العامّ: سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني عن علم السّماء فإنّي أعلمها زقاقاً زقاقاً، وملكاً ملكاً، فقال رجل من الحاضرين: حيث ادّعيت ذلك يا ابن ابي طالب، أين جبرئيل هذه السّاعة؟ فغطس قليلاً وتفكّر في الأسرار، ثمّ رفع رأسه قائلاً: إنّي طفت السّماوات السّبع فلم أجد جبرئيل، وأظنّه أنت أيّها السّائل، فقال: السائل: بخٍّ، بخٍّ، من مثلك يا ابن ابي طالب، وربّك يباهي بك الملائكة؟! ثمّ سجى من الحاضرين»[2].

٣ـ عن سبط ابن الجوزي: «وقالعليه السلام: سلوني عن طرق السّماوات فإنّي أعرف بها من طرق الأرضين؛ ولو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً»[3].

٤ـ قالعليه السلام: «سلوني عن طرق السّماوات فإنّي أعلم بها من طرق الأرض، فجاء جبرئيل في صورة رجل، فقال: إن كنت صادقاً فأخبرني أين جبرئيل؟ فنظر إلى السّماء يميناً وشمالاً، ثمّ إلى الأرض كذلك فقال: ما وجدته في السّماء ولا في الأرض ولعلّه أنت»[4].

---

(١) التوحيد «للصدوق»: ٣٠٥.

(٢) احقاق الحق: ٦٢١/٧.

(٣) تذكرة الخواص: ٤٦.

(٤) نزهة الجليس: ٤٥٨.

٥ـ عن محمّد بن طلحة الشّافعي، فقال عليه السلام مرّة: «سلوني عن طرق السّماوات فإنّي أعرف بها من طرق الأرض»، وقال مرّة: «لو شئت لأوقرت بعيراً من تفسير بسم الله الرّحمن الرّحيم»، وقال مرّة: «لو كسرت لي الوسادة ثمَّ جلست عليها لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزّبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، والله ما من آية أُنزلت في برٍّ، أو بحر، وسهل، ولا جبل، ولا سماء، ولا أرض، ولا ليل، ولا نهار؛ إلّا وأنا أعلم فيمن نزلت، وفي أيّ شيء نزلت»[1].

قال العلّامة الأميني رحمه الله: «لم أر في التّأريخ قبل مولانا أمير المؤمنين من عرض نفسه لمعضلات المسائل وكراديس الأسئلة، ورفع عقيرته بجأش رابط بين الملأ العلميّ بقوله: «سلوني» إلّا صنوه النبيّ الأعظم، فإنّه صلى الله عليه وآله وسلم كان يكثر من قوله: «سلوني عمّا شئتم» وقوله: «سلوني سلوني» وقوله: «سلوني، ولا تسألوني عن شيء إلّا أنبئتكم به»، فكما ورث أمير المؤمنين علمه صلى الله عليه وآله وسلم ورث مكرمته هذه وغيرها، وهما صنوان في المكارم كلّها، وما تفوّه بهذا المقال أحد بعد أمير المؤمنين عليه السلام إلّا وقد فضح ووقع في ربيكة، وأماط بيده السّتر عن جهله المطبق، نظراء:

فضح من قال سلوني غير الإمام عليّ عليه السلام

الف ـ إبراهيم بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزوميّ القرشيّ وإليّ مكة والمدينة، والموسم لهشام بن عبدالملك، حجَّ بالناس سنة ١٠٧ وخطب بمنى، ثمَّ قال: «سلوني، فأنا ابن الوحيد، لا تسألوا أحداً أعلم منّي»، فقام إليه رجل من أهل العراق فسأله عن الأُضحيّة أواجبة هي؟ فما درى أيَّ شيء يقول له، فنزل عن المنبر»[2].

---

(١) مطالب السؤول: ٤٦.

(٢) تاريخ دمشق: ٢/ ٣٠٥.

ب ـ مقاتل بن سليمان، قال إبراهيم الحربيّ: قعد مقاتل بن سليمان، فقال: «سلوني عمّا دون العرش إلى لويانا» فقال له رجل؟ آدم حين حجَّ مَنْ حلق رأسه، قال: فقال له: ليس هذا من علمكم ولكنَّ الله أراد أن يبتليني بما أعجبتني نفسي»[١].

ج ـ قال سفيان بن عيينة: قال مقاتل بن سليمان يوماً: «سلوني عمّا دون العرش»، فقال له إنسان: يا أبا الحسن! أرايت الذَّرَّة أو النملة أمعاؤها في مقدّمها أومؤخَّرها؟ قال: فبقي الشَّيخ لا يدري ما يقول له، قال سفيان: فظننت أنّها عقوبة عقوبة بها»[٢].

د ـ قال موسى بن هارون الحمّال: بلغني أنَّ قتادة قدم الكوفة فجلس في مجلس له وقال: «سلوني عن سنن رسول الله ﷺ حتّى أُجيبكم»، فقال جماعة لأبي حنيفة قم إليه فسله: فقام إليه فقال: ما تقول يا أبا الخطّاب، في رجل غاب عن أهله فتزوَّجت أمرأته، ثمَّ قدم زوجها الأوّل فدخل عليها وقال: يا زانية تزوَّجت وأنا حيٌّ؟ ثمَّ دخل عليها زوجها الثّاني فقال لها: تزوَّجت يا زانية ولك زوج؟ كيف اللّعان

فقال قتادة: قد وقع هذا؟ فقال له أبو حنيفة: وإن لم يقع نستعدُّ له، فقال له قتادة لا أُجيبكم في شيء من هذا، سلوني عن القرآن، فقال له أبو حنيفة: ما تقول في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿**قال الذي عنده علم من الكتاب أن آتيك به**﴾[٣] من هو؟ قال قتادة: هذا رجل من ولد عمِّ سليمان بن داود، كان يعرف اسم الله الأعظم، فقال أبو حنيفة: أكان سليمان يعلم ذلك الأسم؟ قال: لا، قال: سبحان الله ويكون بحضرة نبيٍّ من الأنبياء من هو أعلم منه؟

قال قتادة: لا أُجيبكم في شيء من التفسير، سلوني عمّا اختلف النّاس فيه، فقال له أبو حنيفة: أمؤمن أنت؟ قال: أرجو، قال له أبو حنيفة: فهلاّ قلت كما قال إبراهيم

---

(١) تاريخ البغدادي: ١٣/١٦٣.

(٢) تاريخ البغدادي: ١٣/١٦٦.

(٣) النمل: ٤٠.

فيما حكي عنه حين قال له : ﴿أو لم تؤمن قال: بلى﴾[1] قال قتادة: خذوا بيدي، والله لادخلت هذا البلد أبداً»[2].

هـ ـ حكي عن قتادة أنَّه دخل الكوفة، فاجتمع عليه النّاس، فقال: سلوا عمّا شئتم، وكان أبو حنيفة حاضراً ـ وهو يومئذ غلام حدث ـ فقال: سلوه عن نملة سليمان أكانت ذكراً أم أُنثى؟ فسألوه، فأُفحم، فقال أبو حنيفة: كانت أُنثى: فقيل له: كيف عرفت ذلك؟ فقال: من قوله تعالى: «قالت» ولو كانت ذكراً لقال: «قال نملة» (لأنَّ النّملة) مثل الحمامة والشّاة في وقوعها على الذّكر والأُنثى»[3].

لذا نجد ابن الحاجب في بعض تصانيفه يقول: «إنّ مثل الشّاة والنِّملة والحمامة من الحيوانات فيها تأنيث لفظيٌّ، ولذا كان قول من قال: إنَّ النَّملة قوله تعالى: «قالت نملة» أُنثى لورود تاء التأنيث في «قالت» وهماً، لجواز أن يكون ذكراً في الحقيقة، وورود تاء التَّأنيث في الفعل نظراً إلى التَّأنيث اللفظيِّ ولذا، قيل: إفحام قتادة خير من جواب أبي حنيفة؛ وهذا هو الحق»[4].

و ـ قال عبيدالله بن محمّد بن هارون، سمعت الشّافعي بمكّة، يقول: سلوني عمّا شئتم أُحدثكم من كتاب الله وسنّة نبيّه، فقيل: يا أبا عبدالله! ما تقول في محرم قتل زنبوراً؟ قال: وما آتاكم الرُّسول فخذوه»[5].

ز ـ «إنَّ ابن الجوزي قال يوماً على منبره: سلوني قبل أن تفقدوني، فسألته امرأة عمّا روي أنَّ عليّاً سار في ليلة إلى سلمان فجهَّزه ورجع، فقال: روي ذلك، قالت:

---

(١) البقرة: ٢٦٠.

(٢) الانتفاء لابي عمر صاحب الاستيعاب: ١٥٦.

(٣) حياة الحيوان: ٢/٣٦٨.

(٤) شرح النهج للعلّامة الخوئي: ٧/٧٥.

(٥) طبقات الحفاظ: ٢/٢٨٨، والغدير: ٦/١٩٥ ـ ١٩٦.

فعثمان ثَمَّ ثلاثة أيّام منبوذاً في المزابل وعليّ عليه السلام حاضر، قال: نعم، فقالت: فقد لزم الخطأ لأحدهما، فقال إن كنت خرجت من بيتك بغير إذن زوجك فعليك لعنة الله؛ وإلّا فعليه، فقالت: خرجت عائشة إلى حرب عليٍّ بإذن النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، أو لا؟ فانقطع ولم يحر جواباً»[1].

وافتخر با أمير المؤمنين ويعسوب الدين أسد الله الغالب عليّ ابن أبي طالب عليه السلام داود إذ به شدَّ الله ملكه، والحكمة وفصل الخطاب آتاه؛ وافتخر به سليمان إذ به الملك أولاه، وجعل الرّيح الرُّخاء تجري بامره إلى مرتضاه؛ وافتخر به إدريس إذ به رفعه الله مكاناً عليّاً وآواه؛ وافتخر به ذو النّون إذ أخرجه الله به من الظلمات الثلاث وكلاه، وأنبت عليه شجرة من يقطين، ومن الغمِّ أنجاه، وافتخر به زكريّا إذ نادى: ربِّ لاتذرني فرداً، فوهب له به يحيى وأعطاه؛ وافتخر به دانيال إذ به خلّصه الله من السبَّاع ورعاه؛ وافتخر به ذو القرنين إذ به ملكه الأرض، ونصره على من ناواه؛ وافتخر به صالح إذ أيَّده الله بناقته ومن شر ثمود كفاه وأفتخر به هود إذ به نجاه الله وقطع دابر من كفر به وعاداه، وافتخر به شعيب إذ به أخذت الرجفة من كذّبه وعصاه؛ وافتخر به موسى إذ به كلّمه الله وناده، وفلق له البحر باسمه، وأغرق فرعون ومن والاه، وافتخر به يوشع بن نون حين ردَّ الله به عليه الشّمس، وأجابه حين دعاه؛ وافتخر به عيسى إذ كلمّه الله به الميّت، وناجاه؛ وافتخر به محمّد صلى الله عليه وآله وسلم إذ فداه بنفسه ووقاه، وسواه في الشّرف، وفي الشّدائد واساه، وقال صلى الله عليه وآله وسلم فيه: «من كنت مولاه فعلّي مولاه» وافتخر به جبرائيل إذ كان خادمه ومولاه، وما حمل في معركة قطّ إلّا حمل معه بإذن الله، ووقف ببابه سائلاً، فآثره بقوته في طواه؛ وافتخر به ميكائيل وقال: «من مثلي وقد قبّلت من عليّ فاه»؛ وافتخر به إسرافيل إذ حَّرك مهده الشّريف وناغاه؛ وافتخر به عزرائيل فقال: «من مثلي وقد امرت ان أقبض

(١) شرح النهج للخوئي: ٧/ ٧٤.

أرواح شيعته بإذنه ورضاه»؛ وافتخر به رضوان فقال: من مثلي وقد أُمرت أن أُزخرف الجنان لعليٍّ ومن والاه؛ وافتخر به مالك فقال: من مثلي وقد أُمرت أن أُسعر النّار لمن أبغض عليّاً وعاداه؛ وافتخر به البيت الحرام إذ كان فيه مولده ومرباه ورفع شرفه وحط عنه الجبت ورمّاه، وافتخرت به الجنّة إذ كتب على أبوابها: «عليّ وليّ الله»؛ وافتخرت به النّار إذ كتب على حيطانها: «أنا حرام على من أحبَّ عليّاً ووالاه»؛ وصافحته الأملاك والأفلاك حين ارتقى منكبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ إمام توسَّل به كلُّ متوسّل إلى الله»[1].

الفصل الثالث

أفضلية الإمام عليّ عليه السلام في كلام العلماء

تمهيد:

بعد أن وقفنا مع القرآن الكريم الوقفة التي تبيَّن لنا من خلالها أفضلية الامام عليّ عليه السلام على الأنبياء والناس أجمعين، وحسب دلالة الآيات المباركة، الدالة على ذلك، وبعد الإستدلال بظاهر الروايات والأحاديث الشريفة على الأفضلية المثبوتة لأمير المؤمنين عليه السلام، وكيفية توجيه تلك الأحاديث الوجه الصحيحة للإستدلال العلمي المنطقي الذي عاضده القرآن الكريم، حيث العِدل الوحيد للقرآن الكريم قد تمثّل لنا في أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، وكل واحد منهما يؤيّد الآخر، فلا عترة بدون قرآن ولا قرآن بدون عترة، لذا كان الإستدلال بكليهما على ثبوت الأفضلية لأمير المؤمنين عليه السلام.

بقي لدينا قضية نقل كلمات العلماء الأعلام الذين يعتبرون القدوة الحسنة بعد

---

(١) المصباح للكفعمي: ٧٣٣ ـ ٧٣٥.

الأولياء الصالحين والأئمة الطاهرين، حيث أمرنا أهل البيت عليهم السلام بالرجوع إلى العلماء الأعلام العدول الذين يعملون بجد واجتهاد وورع وتقوى، فكل حادثة لابد من الرجوع فيها إلى القرآن الكريم وإلى العترة الطاهرة، وبعد ذلك نرجع إلى أقوال العلماء التي لا تأتي اعتباطاً، وانما تأتي على سياق القرآن الكريم وعدل القرآن، فهم يفهمون القرآن حسب الظاهر، ويتبحرون في معرفة كلام الأئمة عليهم السلام، فهذا الإمام الحجة (عجل الله فرجه الشريف) يرجعنا إلى الحوادث الواقعة في زمن الغيبة الكبرى إلى رواة الحديث وهم العلماء الأتقياء العدول المؤمنين، حيث يقول في التوقيع الشريف:

«أما الحوادث الواقعة فأرجعوا إلى رواة حديثنا فأنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم».

فعلى هذا الأساس لابّد لنا من الرجوع إلى أقوال العلماء الذين بلغت كلماتهم حد الشهرة في إثبات قضية أفضلية الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام على الأنبياء سوى نبينا محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، ولايشذ عن هذا القول إلا من لم يتبصر بنور الحقيقة والمعرفة الحقة، ومن هنا لابد من لقاء نظرة سريعة على كلمات العلماء، وما الذي استفادوه من خلال تبحرهم في معرفة الائمة الطاهرين عليهم السلام ؟

وتسليط الأضواء على كلماتهم والأستضاءة من معارف علومهم والإستغراق في نور عرفانهم، لهو من أول الأدلة على وعي الأمة واتباعها لائمة الطاهرين، الذين أمرونا بالرجوع إلى العلماء الصالحين، لانهم هم الذين يفهمون كلام القرآن الكريم، وهم الذين يحللون المعارف ويرجعونها إلى أصولها، كما ورد عن لسان الأئمة عليهم السلام «علينا إلقاء الاصول وعليكم التفريع»[1]، فها نحن نقف مع كلماتهم الدالة على تلك الحقيقة التي نطق بها القرآن وصرح بها أئمة الهدى من محمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم .

---

(١) راجع كتاب السرائر وكذلك الحدائق الناظرة.

١ـ مع كلام العلّامة الشيخ المفيد رحمه الله

عن عميد الطائفة وزعيمها الشّيخ المفيد رحمه الله: «يجب على كلِّ مكلّف أن يعرف إمام زمانه، ويعتقد إمامته وفرض طاعته، وأنّه أفضل أهل عصره وسيِّد قومه، وأنّهم في العصمة والكمال كالأنبياء عليهم السلام، ويعتقد أنَّ كلَّ رسول من الله تعالى فهو نبيٌّ إمام، وليس كلُّ إمام نبيّاً.... وأنّهم الحجة على كافة الأنام كالأنبياء عليهم السلام، وأنّهم أفضل خلق الله بعد نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم»[1].

وعنه رحمه الله بعد ذكر الإختلافات في هذا الباب: «فاستدلَّ من حكم لأمير المؤمنين عليه السلام بأنّه أفضل من سالف الأنبياء عليهم السلام وكافّة النّاس سوى نبيِّ الهدى صلى الله عليه وآله وسلم بأن قال: قد ثبت أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من كافّة البشر بدلائل نسّلمها أكثر من الحصر، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: أنا سيّد البشر وقوله: أنا سيّد ولد آدم ولافخر، وإذا ثبت أنّه عليه السلام أفضل البشر وجب أن يليه أمير المؤمنين عليه السلام بالفضل بدلالته على ذلك وما قام عليه البرهان؛ فمن ذلك أنّه صلى الله عليه وآله وسلم لمّا دعا نصارى نجران إلى المباهلة ليوضح عن حقّه ويبرهن عن نبوته، ويدلُّ على عنادهم في مخالفتهم له صلى الله عليه وآله وسلم بعد الّذي أقامه من الحجّة عليهم، جعل عليّاً في مرتبة الحكم بأنّه عِدله، وقضى له بأنّه نفسه، ولم يحطّه عن مرتبته في الفضل، وساوى بينه وبينه، فقال مخبراً عن ربّه عزَّ وجلَّ بما حكم به من ذلك وشهد وقضى وأكد **﴿فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندعُ أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾**[2] فدعا الحسن والحسين للمباهلة فكانا ابنيه في ظاهر اللفظ، ودعا فاطمة عليها السلام وكانت المعبَّر عنها بنسائه، ودعا أمير المؤمنين عليه السلام وكان المعبر وكان المحكوم له بأنّه نفسه، وقد

---

(١) المقنعة: ٣.

(٢) آل عمران: ٦١.

علمنا أنَّه لم يرد بالنَّفس إفادة العدل والمثل ومن يحلّ منه في العزّ والأكرام والمودة والصِّيانة والإيثار والإعطاء والإجلال محلّ ذاته عند الله فيما فرض الله عليه من الإعتقاد بها،ولو لم يدل من دليل خارج على أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من أمير المؤمنين عليه السلام لقضي هذا الإعتبار بالتَّساوي بينهما في الفضل والرّتبة، ولكنَّ الدَّليل أخرج ذلك وبقي ما سواه بمقتضاه.

ومن ذلك (أي من أدلّة الأفضليّة): أنَّه صلى الله عليه وآله وسلم جعل أحكام ولائه (ولاء عليّ عليه السلام) أحكام ولاء نفسه، وحكم عداوته كحكم العداوة له الانفراد.... وإذا كان الحكم بذلك من حيث ما وصفناه وجب أن يكون مساوياً في الفضل الّذي أوجب له من هذه الحال وإلاّ لم يكن له وجه في الفضل، وهذا كالأول فيما ذكرنا فوجب التَّساوي بينهما في كل حال إلاّ ما أخرجه الدَّليل من فضله صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن ذلك: قوله عليه السلام المرويّ عن الفريقين الخاصّة والعامّة: «**اللهم ائتني بأحبِّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر**» فجاء عليّ عليه السلام.... وإذا ثبت أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام أحبّ الخلق إلى الله تعالى فقد وضح أنَّه أعظمهم ثواباً عند الله وأكرمهم عليه، وذلك لا يكون إلاّ بكونه أفضلهم عملاً وأرضاهم فعلاً وأجلهم في مراتب العابدين؛ وعموم اللّفظ بأنَّه أحبّ خلق الله إليه تعالى على الوجه الّذي فسرناه وقضينا يقضي بأنَّه أفضل من جميع البشر عليهم السلام إلخ».

ومن ذلك: ما جاءت الأخبار على التَّظاهر والإنتشار، ونقله رجال العامّة والخاصّة على التّطابق والاتّفاق عن النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: أن أمير المؤمنين يلي معه الحوض يوم القيامة، ويحمل بين يديه لواء الحمد إلى الجنّة، وأنّه قسيم الجنَّة والنّار، ويوضع له منبر، وأنَّه يعلو ذروته وأعلاه، ويجلس أمير المؤمنين عليه السلام دونه بمرقاة، ويجلس الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ دونها، وأنّه يدعى صلى الله عليه وآله وسلم فيلبس حلّة اخرى، وأنّه لا يجوز الصِّراط يوم القيامة إلاّ من معه براءة من عليّ بن أبي طالب عليه السلام».

وقال رحمه الله: فمنها (أي من الأخبار والأحاديث الّتي تدلّ على أفضلية أمير المؤمنين عليه السلام): قول أبي عبد الله جعفر بن محمّد عليهما السلام:

«والله، ولو لم يخلق عليّ بن أبي طالب عليه السلام لما كان لفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كفو من الخلق من آدم فمن دونه».

وقوله عليه السلام: «وكان يوسف نبيّاً وابن نبيٍّ ابن خليل الله، وكان صدّيقاً رسولاً؟ وكان والله، أبي أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أفضل منه».

وقوله عليه السلام وقد سئل عن أمير المؤمنين عليه السلام: ما كانت منزلته من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال عليه السلام: «لم يكن بينه وبينه فضل سوى الرّسالة» وجاء مثل ذلك بعينه عن أبيه أبي جعفر و أبي الحسن وأبي محمّد الحسن العسكريّ؛ وقولهم بالآراء المشهورة: «لولا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلي بن أبي طالب عليه السلام لم يخلق الله سماءً ولا أرضاً ولا جنّةً ولا ناراً» وهذا يفيد فضلهما بالأعمال وتعلّق الخلق في مصالحهم بمعرفتهما، والطّاعة لهما، والتّعظيم والإجلال».

وقال رحمه الله: «وقد روت العامّة من طريق جابر بن عبد الله الأنصاري وأبي سعيد الخدريّ رحمهما الله تعالى عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «عليّ خير البشر». وهذا نصٌّ في موضع الخلاف. وروى عنها (أي عائشة) أنّها قالت في الخوارج حين ظهر أمير المؤمنين عليه السلام وقتلهم: «ما يمنعني ما بيني وبين عليّ بن أبي طالب أن أقول فيه ما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه وفيهم، سمعته يقول: هم شرّ الخلق والخليقة، يقتلهم خير الخلق والخليقة».

ورووا عن جابر بن عبد الله الأنصاري إنّه قال: «علي سيّد البشر، لا يشكّ فيه إلاّ كافر». والأخبار في هذه كثيرة، وفيما اثبتناه مقنع،والاحتجاج بكل خبر منها له وجه، والأصل في جميعها منهجه ما ذكرناه، والله وليّ التّوفيق»[1].

(١) كتاب «عدة رسائل» رسالة التفضيل: ٢٠٠-٢٠٥.

٢ـ مع كلام العلّامة الصدوق رحمه الله

عن الشيخ الأجل أبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّيّ، الملقّب بالصدوق (المتوفي سنة ٣٨١) رحمه الله: «يجب أن نعتقد أنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يخلق خلقاً أفضل من محمّد صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام وأنّهم أحبُّ الخلق إلى الله وأكرمهم، وأولهم إقراراً به، لمّا أخذ الله ميثاق النبيين (يعني في الذرّ).... وأنَّ الله عزَّوجلَّ أعطى ما أعطى كلَّ نبيٍّ على قدر معرفته بنبينّا محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وسبقه إلى الاقرار به، ونعتقد أنَّ الله تبارك وتعالى خلق جميع الخلق له ولأهل بيته، وأنّه لولاهم لما خلق الله سبحانه السماء ولا الأرض ولا الجنّة ولا النار ولا آدم ولا حواء ولا الملائكة ولا شيئاً ممّا خلق ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ»[1].

٣ـ مع كلام العلّامة ابن بطريق رحمه الله

عن نابغة عصره، يحيى بن الحسن الحليّ المعروف بابن البطريق «المتوفي سنة ٦٠٠هـ» قال: «فأمّا ما يدلُّ على أنَّ ولايته عليه السلام أعظم من سائر الفروض وآكد من جميع الواجبات فهو قوله تعالى: ﴿ **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس** ﴾[2]، فولايته قامت مقام النّبوّة لأنَّ بصحّة تبليغها عن الله ينفع شهادة أن لا إله إلاّ الله، وعدم تبليغها يبطل تبليغ الرّسالة، فإذا حصلت صحَّ تبليغ الرسالة، ومتى عدم التّبليغ بهذا الأمر لا يجدي تبليغ الرّسالة؛ وما كان شرطاً في صحّة وجود أمر من الأمور ما صحَّ وجوده إلّا بوجوب ووجب كوجوبه...

وأمّا القسم الثاني: وهو أنّه عليه السلام أفضل رتبة من المتقدميّن والمتأخرين من الأنبياء

---

(١) عقائد الصدوق: ٩٧.

(٢) المائدة: ٦٧.

ووالصديقيَّن هو أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم أفضل الأنبياء، ورسالته أفضل الرِّسالات؛ وقد أمر القديم سبحانه وتعالى سيّد رسله صلى الله عليه وآله وسلم بإبلاغ فرض ولاية أمير المؤمنين صلى الله عليه، وجعل في نفس وجوب أداء تبليغ ولايته سبب صحّة تبليغ رسالته، أنّه لم يصح تبليغ هذه الرِّسالة الّتي هي أفضل الرِّسالات إلاّ بتبليغ ولايته ـ صلى الله عليه ـ وعلى هذا حيث ثبت الولاية كثبوت هذه الرِّسالة صارت شيئاً واحداً؛ وإذا كانت إمامته كرسالته، صار نفس هذه كنفس هذه، وفضلها كفضلها، إذ ليس يوجد من خلق الله تعالى من نفسه كنفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سواه بدليل قوله تعالى في آية المباهلة: ﴿وأنفسنا وأنفسكم﴾، فجعله تعالى نفس رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، فإذا كان نفس الرسول وولايته كما قدّمناه بطلت مماثلته من كافّة خلق الله تعالى»[١].

٤ـ مع كلام ابن الجوزي

عن سبط ابن الجوزي: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

الصديقون ثلاثة: حزقيل المؤمن من آل فرعون، وحبيب النجار وهو مؤمن آل ياسين، وعليّ بن أبي طالب وهو أفضلهم، وحز قيل كان نبيا من أنبياء بني أسرائيل مثل يوشع فدل على فضل عليّ عليه السلام على أنبياء بني إسرائيل»[٢].

٥ـ مع كلام العلّامة الكراجكي رحمه الله

عن العلاّمة الجليل محمّد بن عليّ بن عثمان الكراجكي رحمه الله:

«والّذي نذهب إليه في ذلك هو أنَّ أمير المؤمنين عليَّ بن أبي طالب ـ صلوات الله عليه ـ أفضل من جميع البشر ممَّن تقدَّم وتأخَّر سوى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعلى هذا

(١) خصائص الوحي المبين من مناقب أمير المؤمنين عليه السلام: ٥٨.

(٢) تذكرة الخواص: ٥٢.

القول إجماع الشّيعة الأمامية، ولم يخالف فيه منهم إلاّ الأصاغر الّذين حادوا عن الطّريق المعروفة بما هم عليه من إهمالهم»(١).

٦ـ مع كلام العلّامة ابن أبي الحديد

عن ابن أبي الحديد قال: «وفي خطبة الحسن بن عليّ عليه السلام لما قبض أبوه:

«لقد فارقكم في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون، ولا يدركه الآخرون كان يبعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للحرب وجبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره».

وعنه جاء في الحديث أنه سمع يوم أحد صوت من الهواء من جهة السّماء يقول: لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا عليٌّ.... فقد جاء في الأخبار الصحيحة أنه صلى الله عليه وآله: قال: «يا جبرئيل إنّه ـ يعني عليّاً ـ مني وأنا منه»(٢).

٧ـ مع كلام العلّامة زين الدين العاملي رحمه الله

عن العلاّمة الأجل الشيخ زين الدين العاملي النباطي (المتوفي سنة ٨٧٧) قال:

«أكثر شيوخنا يفضّلونه (يعني عليّاً عليه السلام) على أولي العزم عليهم السلام لعموم رئاسته وانتفاع جميع أهل الدّنيا بخلافته، لكونه خليفة لنبوّة عامّة بخلاف نبوّتهم؛ ولقول النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في خبر الطّائر المشويّ: «إئتني باحبِّ خلقك إليك» ولم يستثن الأنبياء؛ ولأنّه مساو للنّبيّ الّذي هو أفضل في قوله تعالى: ﴿أنفسنا وأنفسكم﴾ و المراد المماثلة لامتناع الاتّحاد؛ ولأنّه أفضل من الحسنين في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «أبوهما خير منهما»، وقد جعلهما جدّهما سيّد لأهل الجنّة في الحديث المشهور فيهما، وقد

(١) رسائل التفضيل: ٢.

(٢) شرح النهج: ٢١٩/٧.

أسند الأعمش إلى جابر الأنصاري قول النبيّ صلى الله عليه وآله: «أيّ الإخوان أفضل؟ قلت: النّبيوّن، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: أنا أفضلهم، وأحبّ الإخوة إليّ عليّ بن أبي طالب، فهو عندي أفضل من الأنبياء، فمن قال: إنّهم خير منه فقد جعلني أقلهم لأنّي اتّخذته أخاً لما علمت من فضله وأمرني ربّي به»[1].

٨ـ مع كلام العلّامة الفيض الكاشاني رحمه الله

عن العلامة الفيض الكاشاني رحمه الله: «وإنّ نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أرسل إلى سائر الأنبياء وأوصيائهم عليهم السلام في مقامه العقّلي الكّليّ، وبشّرهم وأنذرهم وهم يومئذ مكلفون بطاعته وامتثال أمره واجتناب معصيته تصديقاً لقوله سبحانه: ﴿**هذا نذير من النذر الأولى**﴾ وإنّه الضّامن على الله سبحانه ما وعد به أهل الاستجابة والطّاعة، وما توعد به أهل التّكذيب والمعصية، وإنّ أمير المؤمنين عليه السلام خليفته على ذلك كلّه في سائر أُمته من الأولين والآخرين، سواء الأنبياء والامم».

وقال رحمه الله: «فإن النبيّ والوليّ في السّرّ واحد، فمدح الوليّ مدح النبيّ، ومن عجيب ما اتفق أنّ ابن أبي الحديد المعتزلي العقيدة العاميّ المذهب، قد نطق بهذا السّرّ فيما مدح به عليّاً عليه السلام حيث قال:

والله لولا حيدر ما كانت الـ ـدُّنياً ولا جمع البريّة مجمع
وإليه في يوم المعاد حسابنا وهو الملاذ لنا غداً والمفزع

فانظر كيف أقسم أنّه لولا حيدر ما كانت الدُّنيا، فلأ جله الإيجاد وإليه الحساب يوم المعاد، لأنّ من هو المصدر، وإليه العود والرُّجوع ضرورة؛ ولقد ضمّن هذا المعنى ـ أيضاً ـ ابن أبي الحديد في قوله:

ويا علّة الدُّنيا ومن بدء خلقها له وسيتلو البدء في الحشر تعقيب[2]

---

(١) الصراط المستقيم: ١/ ٢١٠.

(٢) علم اليقين: ٢/ ٦٠٠-٦٠٥.

٩ـ مع كلام العلّامة البهبهاني رحمه الله

عن العلامة السيد عليّ البهبهاني رحمه الله قال: «وقد تبيّن ممّا بيّنّاه أيضاً أنَّ أئمّتنا سلام الله عليهم أفضل من سائر الأنبياء حتّى أولي العزم منهم، أمّا تقدّمهم على غير أُولي العزم منهم فقد اتّضح ممّا ظهر لك من أنَّ مرتبة الإمامة فوق مرتبة النّبوّة والرّسالة، وأمّا تقدُّمهم على أُولي العزم منهم مع ثبوت الأمامة لهم فمن جهة أنَّ الإمامة والولاية لها مراتب، وأتمّ مراتبها وأكملها ما ثبت لنبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم، ولذا كان أفضل الأنبياء عليهم السلام ومرتبة إمامة الفرع في مرتبة أصله، فإمامة أئمّتنا سلام الله عليهم أيضاً أتمّ مراتب الإمامة والولاية، وقد تبين أيضاً أنَّ النّبوّة والإمامة قد يجتمعان كما في نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وإبراهيم الخليل، بل في أُولي العزم مطلقاً، وقد تفترق النّبوّة عن الإمامة كما في غير أُولي العزم من الأنبياء عليهم السلام، وقد تفترق الأمامة عن النّبوّة كما في أئمّتنا عليهم السلام.

فان قلت: ما ذكرت من أنَّ الإمامة مرتبة فوق النّبوة يتنافى مع افتراق الإمامة عنها لأنَّ نيل المرتبة الفائقة متفرّع على نيل المرتبة النّازلة.

قلت: استحقاق المرتبة الفائقة ـ أي الإمامة ـ على استحقاق المرتبة النّازلة و هي النّبوّة متحقّق، واستحقاقها ثابت في أئمّتنا عليهم السلام وإنّما منع عنها ثبوت مرتبة الخاتميّة لخاتم النّبييّن صلى الله عليه وآله وسلم، وإليه يشير قوله صلى الله عليه وآله وسلم في بعض أحاديث المنزلة المرويّ عن طريق العامّة بعد قوله صلى الله عليه وآله وسلم «إلاّ أنّه لانبيَّ بعدي» «ولو كان لكنت»[1].

أقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لولا أنّي خاتم الأنبياء لكنت شريكاً في النّبوّة،

---

(١) مصباح الهداية في إثبات الولاية: ١١٥.

فإن لا تكن نبيّاً فإنك وصيّ نبيٍّ ووارثه، بل أنت سيّد الأوصياء وإمام الأتقياء»[١].

وقال أيضاً: «عن زيد الشحّام قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنَّ الله تبارك وتعالى اتّخذ إبراهيم عليه السلام عبداً قبل أن يتّخذه نبيّاً، وإنَّ الله اتّخذه نبيّاً قبل أن يتّخذه رسولاً، وإنَّ الله اتّخذه رسولاً قبل أن يتّخذه خليلاً، وإنَّ الله اتّخذه خليلاً قبل أن يتّخذه إماماً؛ فلمّا جمع له الأشياء قال: ﴿إنّي جاعلك للنّاس إماماً﴾ فمن عظمها في عين إبراهيم، قال: ﴿ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظّالمين﴾، قال: لا يكون السّفيه إمام التّقيّ، وإذا ثبت أنَّ إمامته كانت بعد نبوّته بل رسالته وخلّته، تبيّن لك أنّها مرتبة فوق النّبوّة»[٢].

وقال أيضاً: «وأمّا كونه من الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم.... على ما رواه الفريقان أنّه قال صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا وعليّ من شجرة واحدة والنّاس من أشجار شتّى، وعليٌّ منّي وأنا منه». وهي منقبة جليلة دالة على اتّحادهما وتساويهما في الكمال و عدم ارتقاء أحد من النّاس مرتبته ودرجته»[٣].

وقال أيضاً: «وبعد ما ظهر لك أنَّ الآية الكريمة[٤] تدلّ على أنَّ علم الكتاب كلّه عند مولانا أمير المؤمنين والأئمة المعصومين من ذريّته سلام الله عليهم أجمعين ظهر لك أنّهم أعلم وأفضل من أُولي العزم من الأنبياء عليهم السلام لأنّ علومهم محدودة وليس عندهم علم الكتاب كلّه»[٥].

وعنه رحمه الله: «واعلم أنَّ هذه الرّوايات المستفيضة من الجانبين تدلّ على أنَّ

---

(١) شرح النهج: ١٣/٢١٠.

(٢) مصباح الهداية: ١١٢.

(٣) المصدر السابق: ٦٠.

(٤) يعني أية «ومن عنده علم الكتاب...».

(٥) المصدر السابق: ٥٠.

الخمسة الطّيبة صلوات الله عليهم أفضل الخلائق أجمعين من الأوّلين والآخرين حتّى أُولي العزم من الأنبياء سلام الله عليهم أجمعين ضرورة أنّهم لو لم يكونوا أفضل من جميعهم لم يكونوا واسطة في إيجادهم»[١].

وقال أيضاً: إنَّ مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وأبناءه الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين هم الّذين اختارهم الله على جميع خلقه»[٢].

وعنه: «إنّه عليه السلام أفضل الخلق بعد خاتم النّبيّين صلى الله عليه وآله وسلم حتّى الأنبياء عليهم السلام »[٣].

وقال أيضاً: «ويستفاد من هذه الرّوايات الشّريفة المفسّرة للآية الكريمة المستفيضة من طريق العامّة المتواترة من طريقنا: أنَّ مولانا أمير المؤمنين عليه السلام سيّد المؤمنين، وخيرهم، وأفضلهم بعد النّبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأنّه بمنزلة نفس النّبي صلى الله عليه وآله وسلم وليس أحد أقرب منه إلى النّبيِّ درجة ومنزلة، وتوضيح ذلك: أنَّ قوله صلى الله عليه وآله وسلم في جواب السّائل: «إنّ داري ودار عليٍّ واحدة غداً في مكان واحد» يدلُّ على أنَّ منزلته عليه السلام منه صلى الله عليه وآله وسلم منزلة نفسه الشّريفة، وهما في درجة واحدة عند الله تعالى شأنه»[٤].

١٠ـ مع كلام العلّامة محمّد علي رحمه الله

عن المولى الحاجّ محمّد عليٍّ قال: «اعلم أنَّ من تتّبع الأخبار والآثار، وجاس خلال تلك الدِّيار ظهر عنده كالشّمس في رائعة النّهار، أنَّ أفضل جميع المخلوقات، وأشرف جميع الموجودات هم الأنوار الأربعة عشر، وهم أهل دائرة واحدة هي

---

(١) المصدر السابق: «١٤٠، ١٨٤، ١٣٠، ١٤٢».

(٢) المصدر السابق: «١٤٠، ١٨٤، ١٣٠، ١٤٢».

(٣) المصدر السابق: «١٤٠، ١٨٤، ١٣٠، ١٤٢».

(٤) المصدر السابق: «١٤٠، ١٨٤، ١٣٠، ١٤٢».

أعلى الدَّوائر الكونية لا دائرة فوقها في الشَّرف والفضيلة، وهم من طينة واحدة، ونور كلٍّ واحد منهم من جنس نور الآخر، لكن بالتَّقدُّم والتّأخّر كالضّوء من الضّوء على ما في الخبر. والمبدأ في تلك الدَّورة العليّة والسّلسلة الجليّة هو ختم الأنبياء والمنتهى هي فاطمة الزَّهراء وبعد ختم الأنبياء في درجة الفضيلة هو ختم الأولياء وبعده أولاده المعصومون....

ثمَّ المحقّق من الرِّوايات والأخبار أنَّ مرتبة الأنبياء مطلقاً تحت مرتبة هؤلاء الأنوار، فيكون كلٌّ من الأنوار الأربعة عشر أفضل من الأنبياء حتّى أُولي العزم منهم أيضاً لكون الأنبياء مطلقاً مخلوقين من أنوار هؤلاء الأنوار، والنّور أسفل من المنير بمراتب كثيرة»[1].

وقال أيضاً: «وفي كتاب «المناقب» مسنداً إلى صعصعة بن صوحان أنّه دخل على أمير المؤمنين لمّا ولي، فقال: يا أمير المؤمنين! أنت أفضل، أم آدم أبو البشر؟ قال عليٌّ عليه السلام: تزكية المرء نفسه قبيح، قال الله تعالى لآدم: ﴿**يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة**﴾[2]، وإنَّ أكثر الأشياء أباحنيها الله، وتركتها وما قاربتها، ثمَّ قال: أنت أفضل أم نوح؟ فقال عليٌّ عليه السلام: إنَّ نوحاً دعا على قومه، وأنا مادعوت على ظالمي حقيّ؛ وابن نوح كان كافراً، وابناي سيِّدا شباب أهل الجنّة.

قال: أنت أفضل، أم موسى؟ قال عليه السلام: إنَّ الله تعالى أرسل موسى إلى فرعون فقال: ﴿**إنّي أخافُ أن يقتلون**﴾ وأنا ما خفت حين أُرسلني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتبليغ سورة براءة أن أقرأها على قريش في الموسم، مع أنّي كنت قتلت كثيراً من صناديدهم، فذهبت إليهم وقرأتها عليهم وما خفتُ.

قال: أنت أفضل، أم عيسى بن مريم؟ فقال عليه السلام: عيسى كانت امّه في بيت

---

(١) اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء عليها السلام: ٩٣.

(٢) البقرة: ٣٥.

المقدس، فلمّا جاءت وقت ولادتها سمعت قائلاً يقول: اخرجي، هذا بيت العبادة لا بيت الولادة، وأمّا أُمي فاطمة بنت أسد لمّا قرب وضع حملها كانت في الحرم، فانشقّ حائط الكعبة وسمعت قائلاً يقول لها: ادخلي، ودخلت في وسط البيت وأنا ولدت به، وليس لأحد هذه الفضيلة لاقبلي ولا بعدي»[١].

١١ـ مع كلام العلّامة المظفر رحمه الله

عن العلاّمة المظفّر رحمه الله: «في الدرّ المنثور»، عن الدّيلمي في مسند الفردوس بسند أخرجه عن عليّ عليه السلام قال: سألت النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عن قول الله تعالى: ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه﴾ فقال: إنّ الله أهبط آدم بالهند.... حتّى بعث الله إليه جبرئيل قال: قل : «اللهمّ إنّي أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد، سبحانك لا إله إلاّ أنت، عملت سوءاً وظلمت نفسي، فاغفرلي إنك أنت الغفور الرَّحيم. اللّهمّ إنّي أسألك بحق محمّد وآل محمّد، سبحانك لا إله إلاّ أنت ، عملت سوءاً وظلمت نفسي فتب عليّ إنك أنت التّواب الرَّحيم». فهذه الكلمات الّتي تلقى آدم.

وأمّا دلالة هذه الآية مع تفسيرها بهذه الأخبار على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام فأوضح من أن تحتاج إلى بيان، لأنّ توسّل شيخ النّبيّين بمحمّد وآله بتعليم الله سبحانه وهم في آخر الزّمان، والإعراض عن أعاظم المرسلين وهم أقرب إليه زماناً لأدلّ دليل على فضلهم على جميع العالمين، وعلى عصمتهم من كلّ زلل، وإن كان مكروهاً، فإنّ آدم عصى بارتكاب المكروه فلا يصح التوسّل بهم في التوبة عمّا ارتكب، إلاّ لانّهم لم يرتكبوا معصية ومكروهاً، فلابدّ أن تنحصر خلافة الرّسول بآله لفضلهم على الأنبياء....»[٢].

---

(١) اللمعة البيضاء: ٩٩.

(٢) دلائل الصدق: ٢/ ٨٨.

وقال ـ أيضاً ـ (ص ١٣٩): «.... لأنَّ اتِّحاد نورهما الّذي سبق أدلُّ دليل على امتياز عليٍّ بالفضل حتّى على الأنبياء عليهم السلام؛ ومن كان كذلك يتعيّن للإمامة لاسيّما وفي بعض أخبار النور الآتية أن النّبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: «فأخرجني نبيّاً، وأخرج عليّاً وصيّاً»، وفي بعضها: «ففيَّ النّبوَّة، وفي عليٍّ الإمامة».

وقال ـ أيضاً ـ (ص ٣٠٢): «إنَّ عليّاً عليه السلام هو السّاقي على حوض النّبي صلى الله عليه وآله وسلم يذود عنه النّاس؛ وهو بظاهره يقتضي الإمتياز والفضل على جميع النّاس».

وقال ـ أيضاً ـ (ص ٤٠٢): «فإنَّ عليّاً حسنة من حسناته (أي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) فلا أفضل من سيِّد الوصيين، إلاّ سيّد المرسلين زاد الله في شرفهما وصلى عليهما وعلى آلهما الطاهرين».

وقال - أيضاً ـ (ص ٢٠٤): «لو ذكر (رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) فضله الواقعيَّ (أي فضل عليٍّ عليه السلام) وأنَّ الله أقدره على خوارق العادات حيث إنّه أظهر مصاديق قوله تعالى في الحديث القدسيِّ: «عبدي أطعني تكن مثلي، تقول للشّيء كن، فيكون» أو بين فضائله الفاضلة الّتي يفوق بها الأنبياء والسّابقين ويمتاز بها عن الأمة أجمعين لخاف صلى الله عليه وآله وسلم من طوائف من امّته أن يقولوا بربوبيّته كما وقع لكثير منهم لمّا رأوا منه بعض خوارق العادات».

وقال ـ أيضاً ـ (ص ٢٤٤): «قال صلى الله عليه وآله وسلم: «عليٌّ منِّي وأنا من عليٍّ» وهو دليل المشاركة في العصمة والفضل وسائر الصِّفات الحميدة».

وقال ـ أيضاً ـ (ص ٢٤٨): «إنَّ النّبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم وعليّاً مخلوقان من نور واحد متفقان بالصّفات الفاضلة والمنافع، ومخالفان للنّاس كما أنّ الناس مختلفون بينهم».

وقال ـ أيضاً ـ (ص ١٦٩): «ودلالتها على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام واضحة، فإنَّ بعث الرُّسل وأخذ الميثاق عليهم في القديم بولاية عليٍّ عليه السلام وجعلها محلَّ الإهتمام العظيم في قرن أصلي الدِّين الرّبوبية والنّبوّة لا يمكن أن يراد بها إلاّ إمامة من له الفضل عليهم كفضل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم».

وقال (ص ١٧٠): «فما أعظم قدر نبيّنا الأطيب وأخيه الأطهر عند الله تبارك وتعالى حتّى ميّزهما على جميع عباده، وأكرمهما ببعث الرّسل الأكرمين على الإقرار بفضلهما ورسالة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وأمامة عليٍّ، وأخذ الميثاق عليهم بها مع الشّهادة بالوانية».

١٢ـ مع كلام العلّامة المجلسي رحمه الله

عن العلامة المجلسي رحمه الله: «تأكيد وتأييد: اعلم أنَّ ما ذكره رحمه الله[1] من فضل نبيّنا وأئمّتنا صلوات الله عليهم على جميع المخلوقات، وكون أئمّتنا عليهم السلام أفضل من سائر الأنبياء، وهو الّذي لا يرتاب فيه من تتبّع أخبارهم عليهم السلام على وجه الإذعان واليقين، والأخبار في ذلك أكثر من أن تحصى، وإنّما أوردنا في هذا الباب (يعني باب تفضيلهم على الأنبياء) قليلاً منها وهي متفرقة في الأبواب لاسيّما باب صفات الأنبياء وأصنافهم عليهم السلام، وباب أنّهم عليهم السلام كلمة الله، وباب بدء أنوارهم، وباب أنّهم أعلم من الأنبياء، وأبواب فضائل أمير المؤمنين وفاطمة صلوات الله عليهما، وعليه عمدة الإمامية، ولا يأبى ذلك إلاّ جاهل بالأخبار»[2].

١٣ـ مع كلام العلّامة كاشف الغطاء رحمه الله

عن العلامة الشيخ محمّد حسين آل كاشف الغطار رحمه الله أنه قال: «وقد ذكروا أنَّ مريم عليها السلام لمّا جاءها المخاض بعيسى عليه السلام أوت إلى بيت المقدس لتضعه فيه، فنوديت: اخرجي يا مريم، فهذا بيت العبادة لا بيت الولادة؛ وفاطمة بنت أسد لمّا أحسّت بالطلق ـ وهي بالكعبة ـ أنسدَّت أبوابها ولم تقدر على الخروج حتّى

(١) في رسالة الإعتقاد للصدوق.

(٢) بحار الأنوار: ٢٦/٢٩٧.

وضعت علياً عليه السلام، لعلَّ في هذه الحادثة الغريبة أسراراً ورموزاً أجلّها وأجلاها أنَّ الله سبحانه كأنّه يقول: أيها الكعبة، إنّي ساطهّرك من رجس الأوثان، الأنصاب، والأزلام بهذا المولود فيك؛ وهكذا كان، فانَّ النّبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم دخلها عام الفتح، والأصنام معلّقة على جدرانها، ولكل قبيلة من قبائل العرب صنمٌ؛ فأصعد علياً عليه السلام على منكبه وصار يحطمها ويرمي بها إلى الأرض والنّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول: **﴿جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا﴾**[1].

وقد نظم الإمام الشّافعيُّ هذه الفضيلة بأبيات، يقول في آخرها:

وعــــليٌّ واضـــعٌ أقـــدامـــه ... فـــي مـــحلٍّ وضـع الله يــده

فإنَّ النّبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم كان يحدِّث عن المعراج قائلاً: «أنَّ الله عزَّ شأنه وضع يده على كتفي حتّى أحسست بردها على كبدي». وفي ولادته رمز آخر لعلّه أدق وأعمق، وهو أنّ حقيقة التّوجّه إلى الكعبة هو التّوجّه إلى ذلك النُّور المتولّد فيها، ولو أنَّ القصد مقصور على محض التّوجّه إلى تلك البينة والأحجار لكان ـ أيضاً ـ نوعاً من عبادة الأصنام (معاذ الله) ولكن التّناسب يقتضي أنَّ البدن وهو تراب يتوجّه إلى الكعبة والروح الّتي هي جوهر مجرَّد تتوجّه إلى النور المجرَّد، وكل جنس لاحق بجنسه، النّور للنّور، والتّراب للتّراب. وإلى بعض هذا أشار بعض الشعراء الفاطميّين إذ يقول عن الإمام:

بشـــــرٌ فـــــي العـين إلاّ أنَّـــه ... مــن طـريق الحـقِّ نـور وهـدى

جـــلَ أن تـــدركه أبـصارنا ... وتـــعالى أن نـــراه جســـدا

فـــهو التَّسـبيح زلفـى راكـع ... ســـمع الله بـــه مـن حـمدا

تــدرك الأفكــار مــنه جـوهراً ... كـــاد مــن إجـلاله أن يـعمدا

فـــهو الكـعبة والوجـه الّـذي ... وحَّـــد الله بـــه مــن وحَّـدا

---

(١) الاسراء: ٨٤.

وهذان السَّطران من الشِّعر وإن كان فيه شيء من الغلوّ ففيه كثير من الحقيقة، وفيه لمعات من التوحيد، نعم تتوجَّه بأبداننا في صلواتنا إلى الكعبة، وبأرواحنا إلى النّور الّذي أشرق وأضاء فيها....[1]

وقال في ميلاد أمير المؤمنين عليه السلام: «قال الله سبحانه في محكم كتابه: ﴿**وأشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء**﴾[2] نعم، في مثل هذا اليوم أو هذه الليلة أشرقت الأرض بنور ربّها، وجيء بوارث النبيين وجامع علوم الاوّلين والآخرين، إمام الشهداء وسيِّد الصِّدِّيقين، واحتفالنا بانبثاق هذا النّور الإلهي في مثل هذا اليوم ليس كاحتفال الأمم بيوم ولادة ملوكها أوعظمائها وسلاطينها ورجال نهضتها، بل احتفال بالنِّعمة والآية الكبرى والمثل الأعلى الّذي تنزَّلت الأحدية به من عليا ملكوتها الشّامخ، وجبروتها الباذخ، وقدس تجرّدها إلى عوالم النّاسوت وتقمّص المادة لتعود المادَّة روحاً، والجسد عقلاً، والموت حياةً.

نحتفل بذكرى ولادة بحر العلم الخضمّ الّذي تدفق بنهج البلاغة، وهو نبع من ينابيعه، وشرعة من مشاريعه، ولا جاءت العصور، ولا انجلت الدهور عن كتاب بعد كتاب الله العظيم أنفع ولا أجمع ولا ألمع ولا أنصع منه في أقامة براهين التوحيد، ودلائل الصّنعة، وأسرار الخلقة، وأنوار الحقيقة، وتهذيب النفس، وسياسة المدن، وحكمة التشريع، والعظات البليغة، والحجج الدامغة، وإنارة العقول، وطهارة النّفوس بينا نراه يفيض ينابيع الحكمة النّظريَّة والعملية ويرهق على توحيد الصّانع، ويعرق في وصف الملائكة والمجرَّدات بياناً، ويمثّل لك الجنّة والنّار عياناً...

نحتفل بذكرى ولادة الأمام الّذي وضع الدّنيا قدميه، وكانت ـ وهي العزيزة لغيره ـ أحقر شيء لديه، الإمام الّذي عرف حقيقتها، وأعطاها حقّها، قال: «يا دنيا غري

---

(١) جنة المأوى: ١٢٢.

(٢) الزمر: ٦٩.

غيري»، الإمام الّذي لولا ضرب ماضيه ما إخضرَّ للإسلام عودٌ، ولاقام له عمودٌ، بل لولاه لما استقام الوجود، ولا عُرف المعبود....»[١]

١٤ـ مع كلام العلّامة الخوئي رحمه الله صاحب النهج

ونختم القول بما ورد عن العلامة الخوئي رحمه الله حيث قال: «إنَّ أمير المؤمنين أفضل جميع أُمة النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم .... من حيث كثرة الثّواب، ومن حيث جمعه للخصال الحميدة والكمالات الذّاتية والفضائل النّفسانيّة، أمّا كثرة الثّواب فلظهور أنَّ الثّواب مترتب على العبادة، وبكثرتها وقلّتها تتفاوت الثّواب والجزاء زيادة ونقصاناً، وستعرف أنّه أعبد من الكلّ، فيكون أكثر مثوبة، ولو لم يكن له من العبادات إلاّ ضربته يوم الخندق الّتي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **إنّها أفضل من عبادة الثّقلين** لكفى في إثبات هذا المرام فضلاً عن سائر عباداته الّتي لا يضبطها الصّحف والدّفاتر، ولا يحصيها الزّبر والطوامير»[٢].

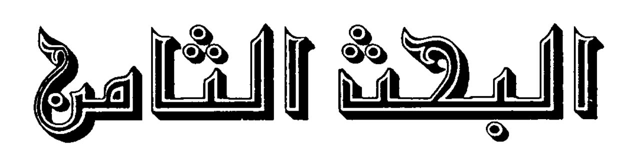
❋ ❋ ❋

---

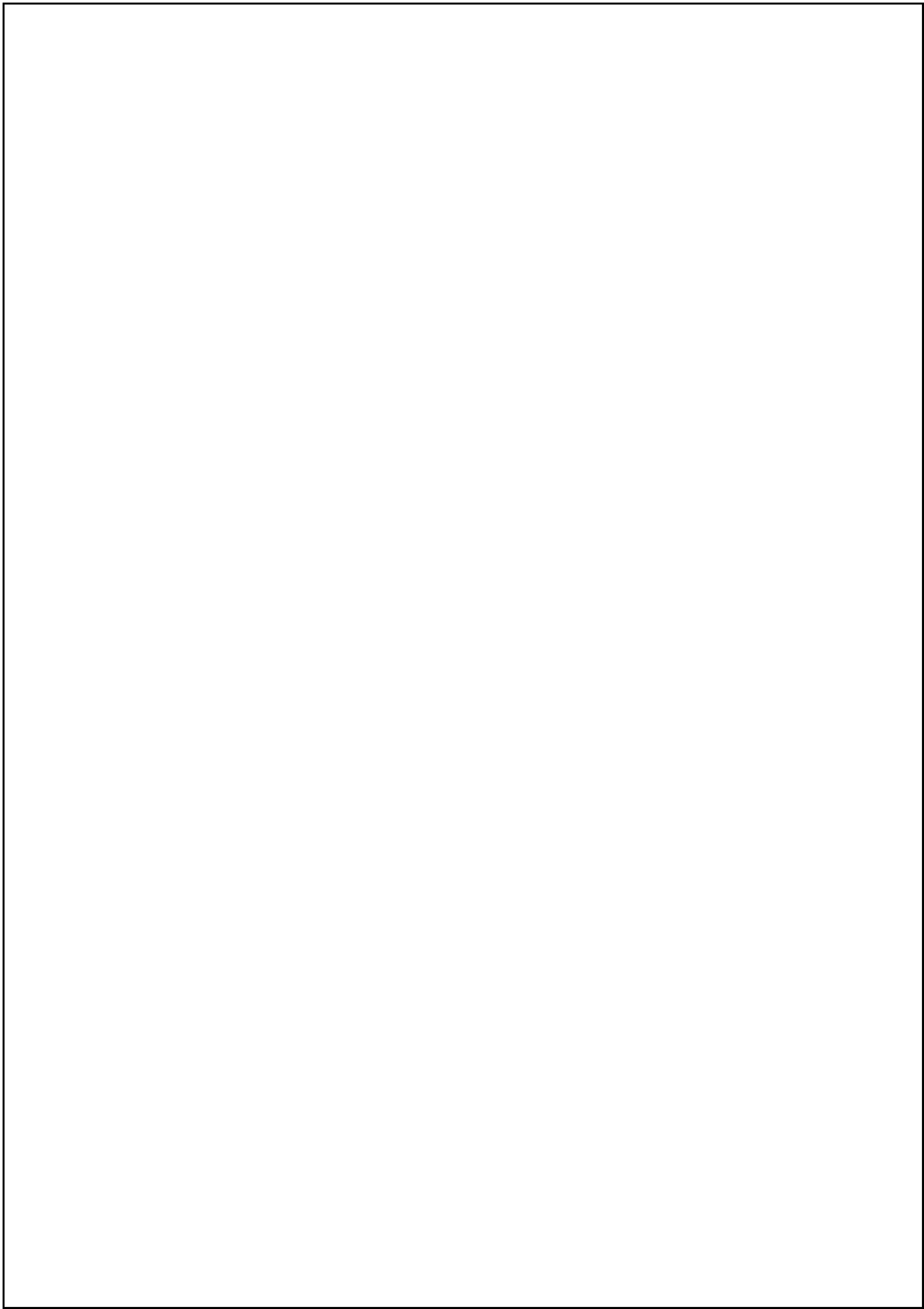
(١) جنّة المأوى: ١٣٦.

(٢) شرح نهج البلاغة للخوئي: ٢/ ٣٩٤.





بشارة الكتب السّماويّة بولايّة عليّ عليه السلام



الشيخ الحرّ العاملي رحمه الله

كيف تحظى بمجدك الأوصياء؟ وبه قد توسّل الأنبياءُ

ما لخلق سوى النّبيّ وسبطيه السعيدين هذه العلياءُ

فبكم آدم استغاث وقدمسته بعد المسرّة الضرّاءُ

يوم أمسي في الأرض فرداً غريباً ونأت عنه عرسُهُ حوّاءُ

فتلقّى من ربّه كلماتٍ شرفتها من ذكركم أسماءُ

فستجيب الدّعاء منه ولولا ذكركم ما استجيب منه الدُّعاءُ

ثمّ يعقوب قد دعا مستجيراً من بلاء بكم فزال البلاءُ

وأتاه بكم قميص يوسف وارتدَّ بصيراً وتمّت النّعماءُ

وبكم كان للخليل ابتهالٌ ودعاءُ لربّه واشتكاهُ

حين ألقاه عصبة الكفر في النّا رِ فما ضر جسمه الإلقاءُ

أيضام الخليل من بعد ما كا نَ إليكم له هوىً التجاءُ

وبكم يونس استغاث ونوحٌ إذ طغا الماء واستجدَّ العناءُ

وبأسمائكم توسّل أيّوب فزالت عنه بها الأسواءُ

لعليّ مجدٌ غداً دون أد ناه الثريّا في البعد والجوزاءُ

أيّ فخر كفخره والنّبيّون عليهم عهدٌ له وولاءُ

البحث الثامن

بشارة الكتب السماوية
بولايّة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام

ان المتتبع التاريخ الأديان السماوية وما جاءت به من قضايا على مستوى العقيدة والشريعة والفكر الإلهي، يجد أن فحوى هذه الرسالات السماوية قد أنصب على تجسيد تلك القضايا التي كان جوهرها الوصول بالإنسان إلى الكمال اللائق بحاله، ومن القضايا العقائدية المهمة التي من شأنها تحقيق ذلك الهدف الإلهي هو الوقوف على معرفة الخالق جلا وعلا، والسير في أثار رحمته وآلائه الربانية، والتمييز بين أثار الخير والشر التي تكون نتيجة إنغلاق الانسان على نفسه الأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي، والميالة إلى اتباع الشهوات وهوى النفس.

ولقد قدم الأنبياء السابقون على نبوة خاتم الأنبياء والمرسلين محمّد صلى الله عليه وآله وسلم النظام العقائدي والأخلاقي والشريعتي على المستويات المختلفة من الفرد والأسرة والمجتمع وانتهاءً بالأمة أنذاك، وهذا لا يعني أن الشرائع التي جاء بها الأنبياء قد وصلت بالانسان إلى ذروة النظام الأكمل والأتم والأشمل في وجوده، لأن هذه الكمالية والتمامية والشمولية في استيعاب كافة مراحل وجود الإنسان انما تجسدت في الرسالة الخاتمية لنبينا محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، فهو المكمل والمتمّم لجميع الشرائع السماوية، ورسالته الخاتمية تميزت بالكمال المطلق والصفات الأخرى الملازمة لذلك وعلى كافة المستويات الوجودية الخاصة بالإنسان.

ونتيجة لذلك وعلى هذا الأساس تميزت الرسالة المحمديَّة السمحاء على كافة

الرسالات السماوية المتقدمة، حيث اقتضت هذه الميزة الأكملية أن تكون الرسالات السماوية المتقدمة مبشرة بالرسالة الخاتمية، والبشارة بالوعد الإلهي في تحقيق هدف السماء والرسالات المبعوثة من قبلها على يد الخاتم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

أما بشارة الأنبياء بنبوة الخاتم فقد ورد في لسان القرآن الكريم[١] في قوله تعالى: ﴿**ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد**﴾، فهذه بشارة سماوية على لسان نبيّ الله عيسى عليه السلام حيث بشر بالخاتم محمد صلى الله عليه وآله وسلم هذا فيما يخص الجانب الرسالي، أما على مستوى الجانب الذي هو باطن الرسالة في وجودها وظاهرها في غيابها، فهو جانب الولاية والخلافة والذي يكون فيه الولي والخليفة الأعظم وقطب الأقطاب هو المجسد لطموح السماء وهدف الأنبياء في أرساء قواعد الولاية العظمى، وأيضاً محقق الوعد الألهي الذي أشار إليه القرآن الكريم كما أشارت إليه نبوات الأنبياء السابقين والذي سوف يكون في آخر الزمان على يد خليفة الرحمن الذي يملاءها قسطاً وعدلا كما ملئت ظلما وجوراً وهو صاحب العصر والزمان الحجة بن الحسن «عجل الله فرجه الشريف».

وعلى هذا الأساس جاء التبشير والبشارة العظمى بالولاية الكبرى لخاتم الأوصياء مطلقاً، وهو الأمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، حيث أشارت الكتب السماوية كالأنجيل والتورات والزبور إلى هذه المنحة الربانية المتمثلة في العهد الإلهي الذي لا يناله الظالمون.

وعلى ضوء ذلك سوف نشير إشارة تأريخية وروائية إلى إثبات هذه الحقيقة الخالدة والتي أكد عليها التأريخ من هنا وهناك، وهي كون المولى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام من الذين بشَّر بهم الأنبياء وبولايته العظمى.

---

(١) الصف: ٦١.

الشواهد التأريخية

الشاهد الأوّل

عن محمّد بن عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن هرثم، عن أبيه، عن جدّه أنّ أبا طالب قال: لمّا فارقه بحيراء بكى بكاءً شديداً وأخذ يقول: يا بن آمنة كأنّي بك وقد رمتك العرب بوترها وقد قطعك الأقارب، ولو علموا لكنت لهم بمنزلة الأولاد؛ ثمّ التفت إليّ وقال: أمّا أنت يا عمّ فارع فيه قرابتك الموصولة، واحفظ فيه وصيّة أبيك، فإنّ قريشاً ستهجرك فيه فلا تبال، فإنّي أعلم أنّك لا تؤمن به ظاهراً، ولكن ستؤمن به باطناً، ولكن سيؤمن به ولد تلده، وسينصره نصراً عزيزاً اسمه في السماوات البطل الهاصر[1] والشجاع الأقرع، منه الفرخان المستشهدان، وهو سيّد العرب ورئيسها وذو قرنيها، وهو في الكتب أعرف من أصحاب عيسى عليه السلام، فقال أبو طالب: قد رأيت والله كلّ الّذي وصف بحيراء وأكثر[2].

أقول: إنّ هذه الرواية وان كانت في كتبنا منقولة، ولكن في متنها، ماينافي المثبوت في محله من كون أبي طالب رضي الله عنه أبو الإمام عليّ عليه السلام من الذين أمنوا بالرسول وعاضدوه ووقفو معه في كل المحن والمصاعب التي مرت عليه، فالرواي ينقل هنا أن أبي طالب رضي الله عنه سوف لا يؤمن بالرسول كما قالت الرواية في قوله: «فإني أعلم أنك لا تؤمن به» والحال ان إيمان أبو طالب لهو من الشهرة التأريخية المثبوت في محلها اهدى من نار على علم.

وسوف نبحث حول إيمان أبي طالب عليه السلام في البحث المتعلق بالمعرفة العلويّة في باب المعرفة التأريخية للإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام حيث نقدم الأدلة على إيمان والد الإمام عليه السلام.

---

(١) الهاصر: الأسد.

(٢) كمال الدين: ١١٠.

الشاهد الثاني

عن بكر بن عبد الله الأشجعيّ، عن آبائه قالوا: خرج ـ سنة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الشام ـ عبد مناف بن كنانة ونوفل بن معاوية بن عروة بن صخر بن نعمان بن عديّ تجّاراً إلى الشام، فلقيهما أبو المويهب الراهب فقال لهما: من أنتما؟ قالا: نحن تجّار من أهل الحرم من قريش، فقال لهما: من أيّ قريش؟ فأخبراه، فقال لهما: هل قدم معكما من قريش غيركما؟ قالا: نعم شابّ من بنيّ هاشم محمّد فقال أبو المويهب الراهب: إيّاه والله أردت، فقالا: والله ما في قريش أخمل منه ذكراً[1] إنما يسمّونه بيتيم قريش؟ وهو أجير لأمرأة منّا يقال لها خديجة فما حاجتك إليه؟ فأخذ يحرّك رأسه ويقول: هو هو، فقال لهما: تدلاّني عليه؟ فقالا: تركناه في سوق بصرى[2]، فبينا في الكلام إذ طلع رسول الله صلى الله عليه وآله فقال هذا هو فخلا به ساعة يناجيه ويكلّمه، ثمّ أخذ يقبّل بين عينيه، وأخرج شيئاً من كمّه لا ندري ما هو، ورسول الله صلى الله عليه وآله يأبى أن يقبله، فلمّا فارقه قال لنا: تسمعان منّي؟ هذا والله نبيّ آخر الزمان، والله سيخرج إلى قريب يدعو الناس إلى شهادة أن لا إله إلا الله، فإذا رأيتم ذلك فاتبعوه، ثمَّ قال: هل ولد لعمّه أبي طالب ولد يقال له عليّ فقلنا: لا، فقال إمّا أن يكون قد ولد أو يولد في سنته، هو أوّل من يؤمن به، نعرفه وإنّا لنجد صفته عندنا بالوصيّة كما نجد صفة محمّد بالنبوّة، وإنّه سيّد العرب وربّانيّها وذو قرنيها يعطي السيف حقّه، أسمه في الملأ علي هو أعلى الخلق يوم القيامة بعد الأنبياء ذكراً وتسمّيه الملائكة البطل الأزهر المفلح، لا يتوجّه إلى وجه إلاّ أفلح وظفر، والله هو أعرف بين أصحابه في السماء من الشمس الطالعة[3].

---

(١) خمل ذكره: خفي.

(٢) بصرى بالضم والقصر ـ موضع بالشام وهي التي إليها وصل النبيّ صلى الله عليه وآله للتجارة «مراصد الاطلاع: ١/٢٠١».

(٣) كمال الدين: ١١١ ـ ١١٢.

الشاهد الثالث

وروى الكلبيُّ عن الشرقي بن القطاميّ، عن تميم بن وعلة المرّيّ، عن الجارود بن المنذر العبديّ وكان نصرانياً فأسلم عام الحديبية وأنشد شعراً يقول:

يا بني الهدى أتتك رجالاً قطعت فدفداً وأفرت جبالاً

جابت البيد والمهامة حتّى غالها من طوى السرى ما غالا

أنبأ الأولون باسمك فينا وبأسماء بعده تتالى

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

أفيكم من يعرف قسّ بن ساعدة الإياديّ؟

فقال الجارود: كلّنا يا رسول الله نعرفه غير أنّي من بينهم عارف بخبره واقف على أثره.

فقال: أخبرنا، فقال: يا رسول الله لقد شهدت قسّاً وقد خرج من ناد من أندية إياد إلى ضحضح ذي قتاد، وسمر وغياد وهو مشتمل بنجاد، فوقف في إضحيان ليل كالشمس رافعاً إلى السّماء وجهه وأصبعه، فدنوت منه فسمعته يقول:

«اللهم ربّ السماوات الأرفعة والأرضين الممرعة، بحقّ محمّد والثلاثة المحاميد معه والعلّيين الأربعة وفاطم والحسنان الأبرعة وجعفر وموسى التبعة سمّي الكليم الضرعة[1] أُولئك النقباء الشفعة والطريق المهيعة داسة الأناجيل ومحاة الأضاليل ونفاة الأباطيل الصادقو القيل عدد نقباء بني إسرائيل، فهم أوّل البداية وعليهم تقوم الساعة، وبهم تنال الشفاعة، ولهم من الله فرض الطّاعة اسقنا غيثاً مغيثاً» ثمَّ قال: ليتني مدركهم ولو بعد لأي من عمري ومحياي، ثمَّ أنشأ يقول:

---

(١) ضرع من الشيء: دنا منه، وضرع من فلان: تقرب منه.

أقسم قسُّ قسماً ليس به مكتتما   لو عاش ألفي سنة لم يلق منها سأما
حتّى يلاقي أحمداً والنجباء الحكما   هم أوصياء أحمد أفضل من تحت السما
يعمى الأنام عنهم وهم ضياء للعمى   لست بناس ذكرهم حتّى أحل الرجما

قال الجارود: فقلت: يا رسول الله أنبئني ـ أنبأك الله ـ بخبر هذه الأسماء الّتي لم نشهدها وأشهدنا قسّ ذكرها، فقال رسول الله: ياجارود ليلة أُسري بي إلى السماء أوحى الله عزَّ وجلَّ إليَّ أن سل من قد أرسلنا قبلك من رسلنا على ما بعثوا؟ قلت: على ما بعثوا؟ قال: بعثتهم على نبوّتك وولاية عليّ بن أبي طالب والأئمة منكما، ثمَّ عرّفني الله تعالى بهم وبأسمائهم، ثمَّ ذكر رسول الله صلّى الله عليه وآله للجارود أسماءهم واحداً واحداً إلى المهديّ عليه السلام ثمَّ قال: قال لي الربُّ تعالى: أوليائي وهذا المنتقم من أعدائي ـ يعني المهديّ ـ فقال الجارود:

أتيتك يا ابن آمنة الرسولا   لكي بك أهتدي النهج السبيلا
فقلت وكان قولك قول حقّ   وصدق ما بدا لك أن تقولا
وبصرت العمى من عبد شمس   وكلاً كان من عمهٍ ظليلا
وأنبأناك عن قسّ الإيادي   مقالاً أنت ظلت به جديلا
وأسماء عمت عنّا فآلت   إلى علم وكنت بها جهولا

وقد ذكر صاحب الروضة أنَّ هذا الاستسقاء كان قبل النبوّة بعشر سنين، وشهادة سلمان الفارسيّ بمثل ذلك مشهور؛ وقال الشعبيّ: قال لي عبد الملك بن مروان: وجد وكيلي في مدينة الصفر الّتي بناها سليمان بن داود على سورها أبياتاً منها:

إن مقاليد أهل الأرض قاطبة   والأوصياء له أهل المقاليد
هم الخلائف اثنا عشر حججا   من بعده الأوصياء السادة الصيد
حتّى يقوم بأمر الله قائمهم   من السّماء إذا ما باسمه نودي

فقال عبد للملك للزهريّ: هل علمت من أمر المنادي باسمه من السماء شيئاً؟

قال الزهريّ: أخبرني عليّ بن الحسين أنّ هذا المهديّ من ولد فاطمة، فقال عبد الملك: كذبتما ذاك رجل منّا يا زهريّ هذا القول لا يسمعه أحد منك[1].

منصور بن حازم قال للصادق عليه السلام: أكان رسول الله يعرف الأئمة؟ فقال: نعم ونوح، ثمّ تلا ﴿**شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً**﴾ الآية[2].

بيان: الفدفد: الأرض المستوية. والآل جمع الآلة وهي الحالة أي توالت عليها أحوال مختلفة. والآل أيضاً خشبات تبنى عليها الخيمة. والآل أيضاً السراب كما ذكره في النهاية[3]والجواب: القطع والبيد بالكسر جمع البيداء وهي المفازة. والمهامه جمع المهمه وهو المفازة البعيدة وغاله الشيء: أخذه من حيث لم يدر؛ ويقال: غالته غولٌ إذا وقع في مهلكة. والطوى: الجوع. السرى بالضمّ: السير بالليل. والضحضح: الماء اليسير. والقتاد كسحاب: شجر صلب له شوك كالإبر. والسمر بضّم الميم: شجر معروف. وقال الفيروزآباديّ: الأغيد[4] من النبات: الناعم المتثني والمكان الكثير النبات[5]. والنجاد ككتاب: حمائل السيف وجمع النجد وهو ما ينجد به البيت من بسط وفرش ووسائد. وليلة إضحيانة بالكسر مضيئة.

قوله: «والحسنان الأبرعة» كذا في النسخ والأظهر «الحسنين» على المجرور[6] ليشمل العسكريّ، ويؤيده تأنيث الأبرعة باعتبار الجماعة أي كلّ منهم أبرع الخلق

(١) مناقب آل أبي طالب: ١/٢٠٣و٢٠٤.
(٢) نفس المصدر السابق: ٢١٤ والآية في سورة الشورى: ١٣.
(٣) ١/٥١.
(٤) على وزن أحمد.
(٥) القاموس ١/٣٢١.
(٦) أي على صيغة الجمع مجروراً كما في المصدر المطبوع ليشمل الحسنين والعسكري عليهم السلام.

وأعلاهم في الكمال، وعلى ما في النسخ لعلّ التثنية باعتبار اللّفظ والتوصيف لرعاية المعنى[١]. والتبعة لعلّه مبالغة في التابع، وكذلك الضرعة. طريق مهيع ـ كمقعد ـ بيّن. قوله: «داسة الأناجيل» أي يدوسونها، كناية عن محوها ونسخها. واللأي ـ كالسعي ـ الإبطاء والاحتباس والشدّة والرجم بالتحريك القبر، قوله «جديلاً» أي مخاصماً مجادلاً، وقال الجوهريّ: الصيد، بالتحريك مصدر الأصيد، وهو الّذي يرفع رأسه، ومنه قيل للملك أصيد[٢].

نصوص روائية

١ ـ وعن داود الرقّيّ: قال أبو عبد الله عليه السلام: **يا سماعة بن مهران ائتني تلك الصحيفة، فأتاه بصحيفة بيضاء، فدفعها إليّ وقال: اقرأ هذه، قال: فقرأتها فإذا فيها** سطران: السطر الأوّل «لا إله إلا الله محمّد رسول الله»، والسطر الثاني **﴿إنّ عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق** (الله) **السماوات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيّم﴾ عليّ** بن أبي طالب والحسن بن عليّ والحسين بن عليّ إلى قوله: والخلف الصالح منهم الحجّة لله. ثمّ قال لي: **يا داود أتدري أين كان ومتى كان مكتوباً؟** قلت: يا ابن رسول الله الله أعلم ورسوله وأنتم، قال: **قبل أن يخلق آدم بألفي عام**[٣].

٢ ـ عن أبي القاسم الكوفيّ في الردّ على أهل التبديل قال: إنّ حسّاد أمير

(١) بحيث يعد الحسن والحسين عليهما السلام واحداً والعسكري عليهما السلام أيضاً واحداً هذا بحسب اللفظ، وأما التوصيف بصيغة التأنيث فلرعاية المعنى: لكن يرد عليه أنه يلزم على ذلك أن يؤتي بصيغة التثنية مجروراً كما يقتضيه المقام لا مرفوعاً كما في المتن.

(٢) الصحاح: ١/٤٩٦. وفيه يرفع رأسه كبراً.

(٣) مناقب آل أبي طالب: ١/٢١٩.

المؤمنين شكّوا في مقال النبيّ صلى الله عليه وآله في فضائل عليّ عليه السلام فنزل **﴿فإن كنت في شكّ ممّا أنزلنا إليك﴾**[1] يعني في عليّ **﴿فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك﴾** يعني أهل الكتاب عمّا في كتبهم من ذكر وصيّ محمّد، فإنكم تجدون ذلك في كتبهم مذكوراً، ثمّ قال: **﴿لقد جاءك الحقّ من ربّك فلا تكوننّ من الممترين ولا تكوننّ من الّذين كذّبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين﴾** يعني بالآيات ها هنا الأوصياء المتقدمين والمتأخرين.

٣ـ الكافي محمّد بن الفضل عن أبي الحسن عليه السلام قال: ولاية عليّ مكتوبة في صحف جميع الأنبياء ولن يبعث الله رسولاً إلاّ بنبوّة محمّد صلى الله عليه وآله ووصيّة عليّ.

*صاحب شرح الأخبار قال أبو جعفر عليه السلام في قوله تعالى: **﴿ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بنيّ إنّ الله اصطفى لكم الدين فلا تموتنّ إلاّ وأنتم مسلمون﴾**[2] بولاية عليّ.

٤ ـ وفي بعض الأصول: قال سلمان: والّذي نفسي بيده لو أخبرتكم بفضل عليّ عليه السلام في التوراة لقالت طائفة منكم: إنّه لمجنون، ولقالت طائفة أُخرى: اللّهمّ اغفر لقاتل سلمان.

٥ ـ روضة الواعظين عن النيسابوريّ إنّ فاطمة بنت أسد حضرت ولادة رسول الله صلى الله عليه وآله فلمّا كان وقت الصبح قالت لأبي طالب: رأيت اللّيلة عجباً ـ يعني حضور الملائكة وغيرها ـ فقال انتظري سبتاً تأتين بمثله فولدت أمير المؤمنين عليه السلام بعد ثلاثين سنة.

٦ ـ كتاب مولد أمير المؤمنين عليه السلام عن ابن بابويه أنّه رقد أبو طالب في الحجر فرأى في منامه كأنّ باباً انفتح عليه من السماء فنزل منه نور فشمله، فانتبه لذلك

---

(١) يونس: ٩٤-٩٥.

(٢) البقرة: ١٣٢.

وأتى راهب الجحفة فقصّ عليه، فأنشأ الراهب يقول:

أبشر أبا طالب عن قليل ... بالولد الحلاحل النبيل

يا لقريش فاسمعوا تأويلي ... هذان نوران على سبيل

كمثل موسى وأخيه السؤل

فرجع أبو طالب إلى الكعبة وطاف حولها وأنشد:

أطوف للإله حول البيت ... أدعوك بالرغبة محيي الميت

بأن تريني السبط قبل الموت ... أغرّ نوراً يا عظيم الصوت

منصلتاً يقتل أهل الجبت ... وكلّ من دان بيوم السبت

ثمّ عاد إلى الحجر فرقد فيه فرأى في منامه كأنّه أُلبس إكليلاً من ياقوت وسربالاً من عبقريّ، وكأنّ قائلاً يقول: أبا طالب قرّت عيناك وظفرت يداك وحسنت رؤياك فأتي لك بالولد، ومالك البلد وعظيم التلد على رغم الحُسد؛ فانتبه فرحاً فطاف حول الكعبة قائلاً:

أدعوك ربّ البيت والطواف ... والولد المحبوّ بالعفاف

تعينني بالمنن اللّطاف ... دعاء عبد بالذنوب وافي

ياسيّد السادات والأشراف

ثمّ عاد إلى الحجر فرقد فرأى في منامه عبد مناف يقول: ما يثبتك عن ابنه أسد؟ ـ في كلام له ـ فلمّا انتبه تزوّج بها وطاف بالكعبة قائلاً:

قد صدّقت رؤياك بالتعبير ... ولست بالمرتاب في الأُمور

أدعوك ربّ البيت والنذور ... دعاء عبد مخلص فقير

فأعطني يا خالق السرور ... بالولد الحلاحل المذكور

يكـون للمبعوث كالوزير ... يـالهما يـالهما مـن نـور
قد طلعا مـن هـاشم البـدور ... في فلك عـال عـلى البـحور
فيطحن الأرض على الكرور ... طحن الرحى للحبّ بالتدوير
إنّ قـريشاً بـات بـالتكبير ... مـنهوكة بـالغيّ والثـبور
ومـا لهـا مـن مـوئل مـجير ... مـن سـيفه المـنتقم المـبير
وصفوة الناموس في السـفير ... حسـامه الخـاطف للكـفور

٧ ـ عن إبراهيم النخعيّ عن علقمة عن ابن عباس في خبر أنّـه أُتـي بـراهب قرقيسيا[1] إلى أمير المؤمنين عليه السلام فلمّا رآه قال: مرحباً ببحيرا الأصغر أيـن كـتاب شمعون الصفا؟ قال: وما يدريك يا أمير المؤمنين؟ قال: إنّ عندنا علم جميع الأشياء وعلم جميع تفسير المعاني، فأخرج الكتاب وأمـير المـؤمنين واقـف، فـقال عليه السلام: أمسك الكتاب معك، ثمَّ قرأ:

«بسم الله الرحمن الرحيم قضى فيما قضى وسطر فيما كتب[2] أنّه باعث في الأميين رسولاً منهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويدلهم على سبيل الله لا فظّ ولا غليظ» وذكر من صفاته واختلاف أُمته بعده إلى أن قال: «ثمَّ يظهر رجل من أُمته بشاطىء الفرات يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقضي بالحق» وذكر من سيرته، ثمَّ قال: «ومن أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره فإنّ نصرته عبادة، والقتل معه شهادة» فقال أمير المؤمنين عليه السلام: الحمد لله الّذي لم يجعلني عنده منسياً، الحمد لله الّذي ذكـر

---

(١) قرقيسياء ـ بالفتح ثم السكون وقاف أخرى وياء ساكنة وسين مكسورة وياء أخرى وألف ممدودة ـ بلد على الخابور عند مصبه، وهي على فرات، جانب منها على الخابور وجانب على الفرات، فوق رحبة مالك بن طوق.

(٢) أي في اللوح المحفوظ.

عبده في كتب الأبرار؛ فقتل الرجل في صفّين[١].

بيان: الحلاحل بالضمّ: السيّد الركين، والسؤل ـ بالهمز وبغير الهمز ـ: ما يسأله الإنسان ولعله إشارة إلى قوله تعالى بعد أن طلب موسى وزيراً من أهله ﴿**قد أوتيت سؤلك يا موسى**﴾[٢] والسبط ولد الولد البنت ويطلق على وولد الولدِ أيضاً، وإنّما عبّر عنه بالسبط لأنّه سبط إبراهيم أو عبد المطّلب ويحتمل أن يكون السبط بالفتح، يقال: رجل سبط الجسم أي حسن القدّ والاستواء، ويقال: رجل منصلت إذا كان ماضياً في الأمور. والعبقريّ الكامل من كلّ شيء وضرب من البسط. والتلد ـ بالفتح والضم والتحريك ـ: ما ولد عندك من مالك أو نتج، وخلق متلد كمعظم: قديم؛ والتلد محرّكة: من ولد بالعجم فحمل صغيراً فنبت بدار الإسلام؟ وتلد كنصر وفرح أقام، وتطبيقه على أحد المعاني يحتاج إلى تكلف إما لفظاً أو معنىً ونهكه ـ كمنعه ـ غلبه[٣].

٨ـ وعن أمالي أبي الفضل الشيبانيّ وأعلام النبوّة عن الماورديّ والفتوح عن الأعصم في خبر طويل أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا نزل بليخ من جانب الفرات نزل إليه شمعون بن يوحنّا وقرأ عليه كتاباً من إملاء المسيح عليه السلام وذكر بعثة النبيّ وصفته ثمّ قال: فإذا توفّاه الله اختلفت أُمته ثمّ اجتمعت لذلك ما شاء الله، ثمّ اختلفت على عهد ثالثهم فقتل قتلاً، ثمّ يصير أمرهم إلى وصيّ نبيهم فيبغون عليه، وتسلُّ السيوف من أغمادها؛ وذكر من سيرته وزهده ثمّ قال: فإنّ طاعته لله طاعة، ثمّ قال: ولقد عرفتك ونزلت إليك فسجد أمير المؤمنين عليه السلام وسمع منه يقول: شكراً للمنعم شكراً ـ عشراً ـ ثم قال: الحمد لله الّذي لم يخملني ذكراً ولم يجعلني عنده منسياً، فأُصيب الراهب ليلة الهرير.

---

(١) مناقب آل أبي طالب ١: ٤١٤-٤١٦.

(٢) طه: ٣٦.

(٣) البحار: ٣٨/٢٣٤.

والمبشرون به باب يطول ذكره، نحو سلمى وقسّ بن ساعدة وتبع الملك وعبد المطّلب وأبو طالب وأبو الحارث بن أسعد الحميريّ وهو القائل قبل البعثة بسبع مائة سنة:

شهدت على أحمد أنّه رسول من الله باري النسم
فلو مدّ عمري إلى عمره لكنت وزيراً له وابن عمّ
وكنت عذاباً على المشركـ ـين أسقيهم كأس حتف وغمّ

وله:

حاله حالة هارون لموسى فافهماها ذكره في كتب (الله) دراها من دراها
أُمتا موسى وعيسى قد تلتها فأسألاها

وذكر الخبر في الكتب السالفة لا يكون إلاّ للأولياء الأصفياء، ولا يعني به الأُمور الدنياويّة، فإذاً قد صحّ لعليّ الأُمور الدينية كلّها، وذلك لا تصحّ إلاّ لنبيّ أو إمام وإذا لم يكن نبياً لابد أن يكون إماماً[1].

٩ ـ عن الحارث الأعور وعمرو بن حريث وأبو أيّوب عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه لمّا رجع من وقعة الخوارج نزل يمنا السواد فقال له راهب: لا ينزل ها هنا إلاّ وصيّ نبيّ يقاتل في سبيل الله، فقال عليّ عليه السلام :فأنا سيّد الأوصياء وصيّ سيّد الأنبياء، قال: فإذاً أنت أصلع قريش وصيّ محمّد خذ عليَّ الإسلام، إنّي وجدت في الإنجيل نعتك، وأنت تنزل مسجد براثا بيت مريم وأرض عيسى عليه السلام قال أمير المؤمنين عليه السلام : فاجلس يا حباب قال: وهذه دلالة أُخرى، ثم قال: فانزل يا حباب من هذه الصومعة وابن هذا الدير مسجداً فبنى حباب الدير مسجداً ولحق أمير المؤمنين إلى الكوفة، فلم يزل بها مقيماً حتّى قتل أمير المؤمنين عليه السلام فعاد حباب إلى مسجده ببراثا.

(١) مناقب آل أبي طالب: ١/٤١٦.

وفي رواية أنَّ الراهب قال: قرأت أنّه يصلّي في هذا الموضع إيليا وصيّ البـار قليطا محمّد نبيّ الأُميين الخاتم لمن سبقه من أنبياء الله ورسله ـ في كلام كـثير ـ فمن أدركه فليتبع النور الّذي جاء به، ألا وإنّه يغرس في هذه الأيام بـهذه البـقعة شجرة لا يفسد ثمرتها. وفي رواية زاذان: قال أمير المؤمنين عليه السلام: ومن أين شربك؟ قال: من دجلة، قال:ولم لم تحفر عيناً تشرب منها؟ قال: قـد حـفرتها فـخرجت مالحة، قال: فاحتفر الآن بئراً أُخرى، فاحتفر فخرج ماؤهاعذباً، فقال: يـا حـباب ليكن شربك من هاهنا، ولا يزال هذا المسجد معموراً، فإذا خربوه وقـطعوا نـخله حلّت بهم ـ أوقال: بالنّاس ـ داهية[1].

١٠ ـ وعن عليّ بن بلال، عن العبّاس بن الفضل، عن عليّ بن سعيد الرازيّ، عن محمّد بن أبان، عن محمّد بن تمام بن سابق، عن عامر بن سار، عن أبي الصباح، عن أبي همام، عن كعب الخير قال: جاء عبد الله بن سلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله قبل أن يسلم فقال: يا رسول الله ما اسم عليّ فيكم؟ فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: عـندنا الصـدّيق الأكبر، فقال عبد الله: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّد رسول الله، وإنّا لنجد فـي التوراة: محمّد نبيّ الرحمة وعليٌّ مقيم الحجّة[2].

١١ ـ عن سليم بن قيس قال: أقبلنا من صفّين مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام فنزل العسكر قريباً من دير نصرانّي، فخرج علينا من الدير شيخ كبير جميل الوجه حسن الهيئة والسمت[3]، ومعه كتاب في يده، قال: فجعل يتصفّح الناس حتّى أتى عليّاً عليه السلام فسلم عليه بالخلافة ثمّ قال: إنّي رجل من نسل رجل من حواريّ عيسى ابن مريم وكان من أفضل حواريّه الاثني عشر وأحبّهم إليه وأبرّهم عنده، وإليه أوصى عيسى

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ١/٤٢٣.

(٢) أمالي المفيد: ٦٢.

(٣) السمت: هيئت أهل الخير.

ابن مريم وأعطاه كتبه وعلمه وحكمته، فلم تزل أهل بيته متمسّكين بملّته ولم تبدّل ولم تزد ولم تنقص، وتلك الكتب عندي إملاء عيسى وخطّ الأنبياء، فيه كلّ شيء تفعله الناس ملك ملك وكم يملك وكم يكون في زمان كلّ ملك منهم، ثمّ أنَّ الله تعالى يبعث من العرب رجلاً من ولد إسماعيل بن إبراهيم الخليل من أرض تهامة من قرية يقال لها «مكّة»نبيّ يقال له «أحمد» له اثنا عشر وصياً، وذكر مولده ومبعثه ومهاجرته ومن يقاتله ومن ينصره ومن يعاونه ومن يعاديه وكم يعيش، وما تلقى أُمته من بعده من الفرقة والاختلاف، وفيه تسمية كلّ إمام هدى وكلّ إمام ضلال إلى أن ينزل المسيح من السماء، وفي ذلك الكتاب أربعة عشر اسماً من ولد إسماعيل بن إبراهيم خليل الله عليه السلام وأحبّهم إليه، الله وليّ من والاهم وعدوّ من عاداهم، فمن أطاعهم فقد أطاع الله ومن أطاع الله فقد اهتدى واعتصم، طاعتهم لله رضىً ومعصيتهم لله معصية، مكتوبين بأسمائهم ونسبهم ونعوتهم وكم يعيش كلّ واحد منهم بعد واحد، وكم رجل يستسرُّ بدينه ويكتمه من قومه ومن يظهره منهم، ومن يملك وينقاد له الناس حتّى ينزل عيسى على آخرهم فيصلي عيسى خلفه في الصفّ، أوّلهم أفضلهم، وآخرهم له مثل أُجورهم وأُجور من أطاعهم واهتدى بهداهم.

أوّلهم أحمد رسول الله واسمه محمّد بن عبد الله ويس وطّه ونور والفاتح والخاتم والحاشر والعاقب والسابح والعابد، وهو نبيّ الله وخليل الله وحبيب الله وصفوته وخيرته، ويراه الله بعينه ويكلّمه بلسانه، فيتلى بذكره إذا ذكر، وهو أكرم خلق الله على الله وأحبّهم إلى الله، لم يخلق الله ملكاً مقرباً ولا نبيّاً مرسلاً من عصر آدم إليه أحبّ إلى الله منه، يقعده الله يوم القيامة بين يدي عرشه، وليشفّعه في كلّ من يشفع فيه، باسمه جرى القلم في اللّوح المحفوظ في أُم الكتاب وبذكره. محمّد صاحب اللواء يوم القيامة يوم الحشر الأكبر؛ وأخوه ووصيّه وخليفته في أُمته وأحبّ خلق الله إليه بعده عليّ بن أبي طالب ابن عمّه لأبيه وأُمّه ووليّ كلّ مؤمن ومؤمنة بعده، ثمّ

أحد عشر رجلاً من بعده من ولد محمّد من ابنته فاطمة عليها السلام أوّل ولدهم مثل ابني موسى وهارون شبّر وشبّير، وتسعة من ولدهم أصفهم واحداً بعد واحد، آخرهم الّذي يؤمُّ بعيسى ابن مريم، وفيه تسمية أنصارهم ومن يظهر منهم، ثمَّ يملأ الإرض قسطاً وعدلاً، ويملكون ما بين المشرق إلى المغرب حتّى يظهرهم الله على الأديان كلّها.

فلمّا بعث هذا النبيّ صلى الله عليه وآله أتاه أبي وآمن به وصدّقه وكان شيخاً كبيراً، فلمّا أدركته الوفاة قال لي: إنّ خليفة محمّد في هذا الكتاب بعينه سيمر بك إذا مضى ثلاثة أئمة من أئمة الضلال والدعاة إلى النار. وهم عندي مسمّون بأسمائهم وقبائلهم، وهم فلان وفلان وفلان، وكم يملك كلّ واحد منهم، فإذا جاء بعدهم الّذي له الحقّ عليهم فاخرج إليه وبايعه وقاتل معه، فإنَّ الجهاد معه مثل الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وآله الموالي له كالموالي لله والمعادي له كالمعادي لله، يا أمير المؤمنين مدّ يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنَّ محمّد عبده ورسوله، وأنّك خليفته في أُمّته وشاهده على خلقه وحجّته على عباده وخليفته في الأرض، وأنٍّ الإسلام دين الله وأنّي أبرأ إلى الله من كلّ من خالف دين الإسلام، وأنّه دين الله الذي اصطفاه وارتضاه لأوليائه، وأنّ دين الإسلام دين عيسى بن مريم ومن كان قبله من الأنبياء ورسل الّذين دان لهم من مضى من آبائه، وإنّي أتوالى وليّك وأبرأُ من عدوّك وأتوالى الأئمة الأحد من ولدك وأبرءُ من عدوّهم وممّن خالفهم وممّن ظلمهم وجحد حقّهم من الأوّلين والآخرين.

وعند ذلك ناوله بايعه، فقال: ناولني كتابك، فناوله إيّاه، فقال لرجل من أصحابه: مع هذا الرجل فانظر له ترجمان يفهم كلامه فينسخه بالعربيّة مفسّراً فأتني به مكتوباً بالعربيّة، فلمّا أن أتوا به قال عليه السلام: لولده الحسين: ائتني بذلك الكتاب الّذي دفعته إليك، فأتى به، قال: اقرأه وانظر أنت يا فلان في هذا الكتاب فإنّه خطّي بيدي،

أملاه رسول الله صلى الله عليه وآله عليّ، فقرأه فما خالف حرف حرفاً، ما فيه تأخير ولا تقديم كأنّه أملاه رجل واحد على رجل واحد، فعند ذلك حمد الله عليّ عليه السلام وأثنى عليه وقال: الحمد لله الذي جعل ذكري عنده وعند أوليائه وعند رسوله ولم يجعلني من أولياء الشيطان وحزبه، قال: ففرح عند ذلك من حضر من شيعته من المؤمنين وساء من كان من المنافقين حتّى ظهر في وجوههم وألوانهم[1].

١٢ ـ وعن الروضة بالإسناد يرفعه إلى الحسن عن أبيه عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: بينا أنا ذات يوم جالس إذ دخل علينا رجل طويل كأنّه النخلة، فلمّا قلع رجله عن الأُخرى تفرقعا، فنعد ذلك قال عليه السلام: أما هذا فليس من ولد آدم، فقالوا: يا رسول الله وهل يكون أحد من غير ولد آدم؟ قال: نعم هذا أحدهم، فدنا الرجل فسلّم على النبيّ فقال: من تكون؟ قال: أنا الهام بن الهيم بن لاقيس بن إبليس؛ قال صلى الله عليه وآله: بينك وبين إبليس أبوان؟ قال: نعم يا رسول الله، قال: وكم تعدّ من السنين؟ قال: لمّا قتل قابيل هابيل كنت غلاماً بين الغلمان أفهم الكلام وأدور الاجام[2] وآمر بقطيعة الأرحام! فقال صلى الله عليه وآله: بئس السيرة الّتي تذكر إن بقيت عليها، فقال: كلاّ يا رسول الله إنّي لمؤمن تائب، قال: وعلى يد من تبت وجرى إيمانك؟ قال: على يد نوح وعاتبته على ما كان من دعائه على قومه قال: إنّي على ذلك من النادمين وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين.

وصاحبت بعده هوداً عليه السلام فكنت أُصلّي بصلاته وأقرأ الصحف الّتي علّمنيها ممّا أُنزل على جدّه إدريس، فكنت معه إلى أن بعث الله الريح العقيم على قومه فنجّاه ونجّاني معه؛ وصحبت صالحاً من بعده فلم أزل معه إلى أن بعث الله على قومه الراجفة فنجّاه وانجّاني معه، ولقيت من بعده أباك إبراهيم فصحبتهُ وسألته أن يعلّمني

(١) الروضة: ٢٤و٢٥، الفضائل: ١٤٩-١٥٢، أصل كتاب سليم ٨٢-٨٥. مع زيادات في المتن.
(٢) الأجمة: الشجر الكثير الملتف. مأوى الأسد، والأجم الحصن.

من الصحف الّتي أُنزلت عليه، فعلّمني وكنت أصلّي بصلاته، فلمّا كاده قومه وألقوه في النّار جعلها الله عليه برداً وسلاماً، فكنت له مؤنساً حتّى توفّي؛ فصحبت بعده ولديه إسماعيل وإسحاق من بعده ويعقوب، ولقد كنت مع أخيك يوسف في الجبّ مؤنساً وجليساً حتّى أخرجه الله وولاه مصر وردّ عليه أبواه، ولقيت أخاك موسى وسألته أن يعلّمني من التوراة الّتي أُنزلت عليه فعلّمني، فلمّا توفّى صحبت وصيّه يوشع، فلم أزل معه حتى توفى، ولم أزل من نبيّ إلى نبيّ إلى أخيك داود، وأعنته على قتل الطاغية جالوت، وسألته أن يعلّمني من الزبور الّذي أنزله الله إليه، فعلّمت منه، وصحبت بعده سليمان، وصحبت بعده وصيّه آصف بن برخيا بن سمعيا، ولقد لقيت نبيّاً بعد نبيّ، فكل يبشّرني ويسألني أن أقرأ عليك السلام حتّى صحبت عيسى، وأنا أقرأك يا رسول الله عمّن لقيت من الأنبياء السلام ومن عيسى خاصّة أكثر سلام الله وأتمّه.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: على جميع أنبياء الله ورسله وعلى أخي عيسى منّي السلام ورحمة الله وبركاته ما دامت السماوات والأرض، وعليك يا هام السّلام، ولقد حفظت الوصيّة وأديّت الأمانة فاسأل حاجتك، قال: يا رسول الله حاجتي أن تأمر أُمتك أن لا يخالفوا أمر الوصيّ، فإنّي رأيت الأُمم الماضية إنّما هلكت بتركها أمر الوصيّ.

قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: وهل تعرف وصيّي يا هام؟

قال: إذا نظرت إليه عرفته بصفته واسمه الذي قرأته في الكتب.

قال: أنظر هل تراه ممّن حضر؟

فالتفت يميناً وشمالاً فقال: ليس هو فيهم يارسول الله.

قال: هل وجدت صفة وصيّي وذكره في الكتب؟ قال: نعم والّذي بعثك بالحقّ نبيّاً إنَّ اسمك في التوراة «ميدميد» واسم وصيّك «إليا» واسمك في الإنجيل

«حمياط» واسم وصيك «هيدار» واسمك في الزبور «ماح ماح» محي بك كل كفر وشرك، واسم وصيّك «قاروطيا» قال: فما معنى اسم وصيّي في التوراة إليا؟ قال: إنّه الوليّ من بعدك، قال: فما معنى اسمه في الإنجيل هيدار؟ قال: الصدّيق الأكبر والفاروق الأعظم، قال: فما معنى اسمه في الزبورقا روطيا؟ قال: حبيب ربّه، قال: يا هام إذا رأيته تعرفه؟ قال: نعم يا رسول الله فهو مدوّر الهامة، معتدل القامة، بعيد من الدمامة، عريض الصدر ضرغامة كبير العينين، انف الفخذين، أخمص السّاقين، عظيم البطن سويّ المنكبين.

قال: يا سلمان ادع لنا عليّاً، فجاء حتّى دخل المسجد، فالتفت إليه الهام وقال: ها هو يا رسول الله بأبي أنت وأُمي، هذا والله وصيّك فأوصي أُمّتك أن لا يخالفوه فإنّه هلك الأُمم بمخالفة الأوصياء، قال: قد فعلنا ذلك يا هام، فهل من حاجة فإنّي أحب قضاءها قضياءها لك ؟ قال: نعم يا رسول الله أُحبّ أن تعلّمني من هذا القرآن الّذي أُنزل عليك تشرح لي سنتك وشرائعك لأُصلّي بصلاتك، قال: يا أبا الحسن ضمّه إليك وعلّمه، قال عليّ عليه السلام: فعلّمته فاتحة الكتاب والمعوذتين وقل هو الله أحد ثأية الكرسي وآيات من آل عمران والأنعام والأعراف والأنفال وثلاثين سورة من المفصّل؛ ثم إنّه غاب فلم ير إلاّ يوم صفّين، فلمّا كان ليلة الهرير نادى: يا أمير المؤمنين اكشف عن رأسك فإنّي أجده في الكتاب أصلعاً، قال: أنا ذلك، ثم كشف عن رأسه وقال:أيها الهاتف اظهر لي رحمك الله، قال: فظهر له فإذا هو الهام بن الهيم، قال: من تكون؟ قال: أنا الّذي منّ عليّ يك ربّي وعلّمتني كتابه، وآمنت بك وبمحمّد صلى الله عليه وآله، فعند ذلك سلّم عليه وجعل يحادثه ويسأله، ثمّ قاتل إلى الصبح ثمّ غاب، قال: الأصبغ بن نباتة: فسألت أمير المؤمنين بعد ذلك عنه، قال: قتل الهام بن الهيم رحمة الله عليه[1].

---

(١) الروضة: ٤١و٤٢.

١٣ ـ وعن سعيد بن الحسن بن مالك معنعناً عن ابن عبّاس في قوله تعالى: **﴿وما كنت بجانب الغربيّ إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين﴾**[(١)] قال: قضي بخلافة يوشع بن نون من بعده ثمَّ قال له: لم أدع نبياً من غير وصيّ، وإنّي باعث نبيّاً عربياً وجاعل وصيّه عليّاً، فذلك قوله: **﴿وما كنت بجانب الغربيّ﴾**[(٢)].

قال ابن أبي الحديد: قال نصر بن مزاحم: روى حبّة أنّ علياًعليه‌السلام لمّا نزل إلى الرقّة[(٣)] نزل بموضع يقال له البليخ على جانب الفرات، فنزل راهب هناك من صومعته فقال لعليّعليه‌السلام: إنَّ عندنا كتاباً توارثناه عن آبائنا كتبه أصحاب عيسى ابن مريم، أعرضه عليك؟ قال: نعم، فقرأ الراهب الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم الّذي قضى فيما قضى وسطر فيما كتب أنّه باعث في الأميين رسولاً منهم يعلّمهم الكتاب والحكمة ويدلّهم على سبيل الله، لا فظّ ولا غليظ ولا صخاب في سواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة بل يعفو ويصفح، أُمته الحمّادون الّذين يحمدون الله على كلّ نشر وفي كلّ صعود وهبوط، تذلُّ ألسنتهم بالتكبير والتهليل والتسبيح، وينصره الله على من ناواه، فإذا توفّاه الله، ثمَّ اختلفت أُمّته من بعده ثمَّ اجتمعت فلبثت ما شاء الله، ثمَّ اختلفت، فيمرُّ رجل من أمّته بشاطىء هذا الفرات، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقضي بالحقّ ولا يركس الحكم، الدنيا أهون عليه من الرماد في يوم عاصفة به الريح والموت أهون عنده من شرب الماء على الظمأ، يخاف الله في السرّ وينصح له في العلانية، لا يخاف في الله لومة لائم. فمن أدرك ذلك النبيّصلى‌الله‌عليه‌وآله من أهل هذه البلاد فآمن به كان ثوابه رضواني

(١) القصص: ٤٤.

(٢) تفسير فرات: ١١٦.

(٣) الرقة: مدينة مشهورة على الفرات من جانبها الشرقي. والرقة السوداء: قرية كبيرة ذات بساتين كثيرة شربها من البليخ (مراصد الاطلاع: ٢/ ٦٢٢).

والجنّة، ومن أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره فإن القتل معه شهادة.

ثم قال: أنا مصاحبك فلا أُفارقك حتّى يصيبني ما أصابك فبكى عليه السلام ثمّ قال: الحمد لله الذي لم أكن عنده منسياً، الحمد لله الّذي ذكرني عنده في كتب الأبرار.

فمضى الراهب معه، فكان فيما ذكروا يتغدّى مع أمير المؤمنين ويتعشّى حتّى أُصيب يوم صفّين، فلمّا خرج النّاس يدفنون قتلاهم قال عليه السلام: أُطلبوه، فلمّا وجدوه صلّى عليه ودفنه وقال: هذا منّا أهل البيت واستغفر له مراراً؛ روى هذا الخبر نصر بن مزاحم في كتاب صفّين عن عمر عن سعد عن مسلم الأعور عن حبّة العرنيّ، ورواه أيضاً (عن) إبراهيم بن ديزل الهمدانيّ بهذا الإسناد عن حبّة أيضاً في كتاب صفّين[1].

١٤ ـ وعن الشريف طاهر بن موسى الحسيني، عن عبد الوهّاب بن أحمد، عن أحمد بن محمّد بن زياد، عن الطهراني أبي الحسن قال: وحدّثني محمّد بن عبيد، عن الحسين بن أبي بكر، عن أبي الفضل، عن أبي عليّ بن الحسن التمّار، عن أبي سعيد، عن الطهرانيّ، عن عبد الرزاق، عن معمر قال: أشخصني هشام بن عبد المك عن أرض الحجاز إلى الشّام زائراً له، فسرت فلمّا أتيت أرض البلقاء رأيت جبلاً أسود وعليه مكتوب أحرفاً لم أعلم ما هي، فعجبت من ذلك، ثمّ دخلت عمّان قصبة البلقاء فسألت عن رجل يقرأ ما على القبور والجبال، فأرشد إليّ شيخ كبير فعرفته ما رأيت، فقال: أُطلب شيئاً أركبه لأخرج معك، فحملته معي على راحلتي وخرجنا إلى ومعي محبرة وبياض، فلمّا قرأ لي: ما أعجب ما عليه بالعبرانيّة! فنقلته بالعربيّة فإذا هو: باسمك اللّهم جاء الحقّ من ربّك بلسان عربيّ مبين، لا إله إلا الله محمّد رسول الله عليّ وليّ الله؛ وكتب موسى بن عمران بيده)[2].

---

(١) شرح النهج: ١/٣٦٦و٣٦٧.

(٢) كنز الكراجكي: ١٥٣و١٥٤.

١٥ ـ عن عليّ بن محمّد، عن عبد الله إسحاق، عن الحسن بن عليّ بن سليمان، عن محمّد بن عمران، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أُتي أمير المؤمنين عليه السلام ـ وهو جالس في المسجد بالكوفة ـ بقوم وجدوهم يأكلون بالنهار في شهر رمضان، فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام: أكلتم وأنتم مفطرون؟ قالوا: نعم، قال: أيهود أنتم؟ قالوا: لا، قال: فنصارى؟ قالوا: لا، قال: فعلى شيء من هذه الأديان المخالفين للإسلام؟ قالوا: بل مسلمون، قال: فسفر أنتم؟ قالوا: لا، قال: فيكم علّة استوجبتم الإفطار ولا نشعر بها فإنكم أبصر بأنفسكم منّا؟ لأنّ الله عزَّ وجلَّ يقول ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة﴾[1] قالو: بل أصبحنا ما بنا من علّة، قال: فضحك أمير المؤمنين عليه السلام ثمَّ قال: تشهدون أن إلا إله الله وأنَّ محمّداً رسول الله؟ قالوا: لا نعرفه بذلك إنّما هو أعرابيّ دعا إلى نفسه، فقال: إن أقررتم وإلاّ قتلتكم، قالوا: وإن فعلت؛ فوكلّ بهم شرطة الخميس وخرج بهم إلى الظهر ظهر الكوفة، وأمر أن يحفر حفرتين وحفر إحداهما إلى جنب الأُخرى، ثمَّ خرق فيما بينهما كوّة ضخمة شبه الخوخة[2] فقال لهم: إنّي واضعكم في إحدى هذين القليبين وأُوقد في الأُخرى النّار فأقتلكم بالدخان، قالوا: وإن فعلت فإنّما تقضي هذه الحياة الدنيا، فوضعهم في أحد الجبّين وضعاً رفيقاً، ثمَّ أمر بالنّار فأُوقدت في الجبّ الآخر، ثمَّ جعل مرّة بعد مرّة: ما تقولون؟ فيجيبون: فاقض ما أنت قاض، حتّى ماتوا.

قال: ثمَّ انصرف فسار بفعله الرُّكبان وتحدّث به الناس، فبينما هو ذات يوم في المسجد إذ قدم عليه يهوديّ من أهل يثرب، قد أقرَّ له من في يثرب من اليهود أنّه أعلمهم وكذلك كان آباؤه من قبل، قال: وقدم على أمير المؤمنين عليه السلام في عدّة من

(١) القيامة: ١٤.

(٢) الكوة: الخرق في الحائط، والخوخة: كوة تؤدي الضوء إلى البيت.

أهل بيته، فلمّا انتهوا إلى المسجد الأعظم بالكوفة أناخوا رواحلهم، ثمَّ وقفوا على باب المسجد وأرسلوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام: إنّا قوم من اليهود قدمنا من الحجاز ولنا إليك حاجة فهل تخرج إلينا أم ندخل إليك؟ قال: فخرج إليهم وهو يقول: سيدخلون ويستأنفون باليمين، فما حاجتكم؟ فقال له عظيمهم: يا ابن أبي طالب ما هذه البدعة الّتي أحدثت في دين محمّد؟ فقال له: وأيّة بدعة؟ فقال له اليهوديّ: زعم قوم من أهل الحجاز أنّك عمدت إلى قوم شهدوا أن لا إله إلا الله ولم يقرّوا أنّ محمّداً رسوله فقتلتهم بالدخان، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: فنشدتك بالتسع الآيات الّتي أُنزلت على موسى عليه السلام بطور سيناء وبحق الكنائس الخمس القدس وبحقّ السمت الديّان هل تعلم أنَّ يوشع بن نون أُتي بقوم بعد وفاة موسى شهدوا أن لا إله إلاّ الله ولم يقرّوا أنّ موسى رسول الله فقتلهم بمثل هذا القتلة؟ فقال له اليهوديّ: نعم أشهد أنّك ناموس موسى[١] قال، ثمَّ أخرج من قبائه كتاباً فدفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام ففضّه ونظر فيه وبكى، فقال له اليهوديّ: ما يبكيك يا ابن أبي طالب؟ إنّما نظرت في هذا الكتاب وهو كتاب سريانيّ وأنت رجل عربيّ فهل تدري ما هو؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: نعم هذا اسمي مثبت، فقال له اليهوديّ: فأرني اسمك في هذا الكتاب وأخبرني ما اسمك بالسريانيّة، قال: فأراه أمير المؤمنين اسمه في الصحيفة وقال: اسمي إيليا، فقال اليهويّ: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أنّ محمّداً رسول الله وأشهد أنّك وصيّ محمّد، وأشهد أنّك أولى النّاس بعد محمّد صلى الله عليه وآله، وبايعوا أمير المؤمنين عليه السلام ودخل المسجد فقال أمير المؤمنين عليه السلام: الحمد لله الّذي لم أكن عنده منسيّاً، الحمد لله الّذي أثبتني عنده في صحيفة الأبرار[٢].

---

(١) أي صاحب سره المطلع على باطن أمره وعلومه وأسراره.

(٢) فروع الكافي: ٤/١٨١-١٨٣.

وقفة مع كتاب ايليا

إذن بعد الوقوف على هذه الطائفة الكبيرة من الروايات التي نـقلتها لنـا كـتب الحديث، والتدقيق في مدلولاتها الظاهرة في بشارة الكتب السماوية على إمامة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام يظهر لنا جلياً وواضحاً كون الإمام عليه السلام من الذين تحدثت عنه الكتب السماوية الأخرى، فهو مشهور ومعروف عند اليهود والنصارى وغيرهم من الطوائف، ولقد قرأنا كيف بشرَّ بولايته ووصايته من بعد حبيبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الكثير من الرهبان والقسيسين، وخصوصاً هذه الرواية الأخيرة التي نقلها كتاب الكافي الشريف حيث أخبر الرجل اليهودي باسم أمير المـؤمنين عليه السلام فـي الكتاب السرياني والذي هو اسمه إيليا.

وعلى ذلك تدل عدة شواهد روائية وتأريخية أثبتت في طياتها بشارة الكـتب السماوية بولايته ووصايته من بـعد النـبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فـهذا مـا رواه كـتاب «إيـليا» المكتوب بلغة الأردو، وهو من الكتب النفيسة والآثار الدقيقة للسيد حكيم محمود سيالكوتي[1] وهو يعتبر من العلماء غير متعصبين، المـحققين والمـتعمقين. وكـان منخرطاً طيلت (٣٢) عاماً في سلك المحدّثين، وألف خلال هذه المدة آثاراً وحرّر

(١) هذه النبذة المختصرة من حياة المؤلف لكتاب «إيليا» أخذناها من المترجم لكـتابه مـن الفارسية إلى العربية سماحة حجة الإسلام الشيخ مهتدى البحراني دامت توفيقاته، ونـحن نذكر ترجمة مختصرة لأهم موضوعات هذا الكتاب الذي قام بترجمته مشكوراً فلله دره وكثر الله من امثاله لخدمة مذهب أهل البيت عليهم السلام.

على أنني أنبه ان الكتاب الذي ترجمه وسماه عليّ والأنبياء قد أخذت موضع الحاجة الشديد لتأييد كتابنا هذا الأسرار العلوية ـ نظراً لما يحمله كتاب «ايليا» من وثائق تأريخية تفيد الكاتب والباحث عن الحقيقة لذا سوف نورد في الصفحات التالية نص ترجمة الوثائق المهمة التي وردت في الكتاب.

عدّة صحف ومجلات وقد سلك كلّ مسلك، وضرب في كلّ طريق، للعثور على مذهب سديد، لان مذهبه ما أخفى عليه صفاءاً روحياً، وأخيراً جنى ما ابتغاه من وِرد من روضة عليّ الغناء، والتحف بالصفاء المروحي وارتفد ثروة معنوية.

البشارة بـ«إيليا»

«بشَرت الكتب المقدّسة القديمة بظهور خاتم الأنبياء محمّد بن عبدالله عليه السلام وخليفته عليّ بن أبي طالب عليه السلام، إلّا أنّ أعداء الإسلام لم يرق لهم إظهار هذه الحقيقة، ولن يرغبوا في ذلك، بل يسعون إلى طمسها، ولا زالوا يجدّون في ذلك.

فمثلاً ورد في الإنجيل لصحيفة «غزل الغزلات»، طبعة لندن، عام (١٨٠٠)م، في البابا الخامس، الآيات: ١ ـ ١٠، حديث للنبيّ سليمان عليه السلام حول خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام بصورة غير صريحة، إلى أن جاء في آخرها بصراحة: (خلو محمّديم، هو صاحبي ومحبوبي محمّد صلى الله عليه وآله وسلم) بيد أن الأناجيل التي طبعت بعد عام (١٨٠٠)م، حذفت منها جملة «خلو محمّديم».

كما أنّ أشياع الباطل يسعون جاهدين إلى جعل المراد من لفظ «إيليا» أو «إيلي» أو «آليا» المذكور في الكتب المقدّسة القديمة، هو صاحب إلياس، أو المسيح، أو يوحنّا، وليس عليّاً عليه السلام.

وجدير بالذكر أنّ بعض الآباء المسيحيين المعتدلين الذين حقّقوا حول «إيليا» أو «إيلي» أو «آليا»، وتحرّروا من نيّر العصبية، قد أفصحوا عن حقيقة هذا الأمر، ومنهم المستر(ج. ب غاليدون) حيث قال: «لم تستعمل كلمة «إيليا» أو «إيلي» بمعنى الله في اللغة العبرانية القديمة، ولا تستعمل حالياً بالمعنى المذكور، بل أنّ الكلمة المذكورة تدلّ على أنّ شخصاً سيظهر في المستقبل أو في آخر الزمان، وسيكون اسمه «إيليا» أو «إيلي».

وعلى أيّ حال، فإنّ التكهّنات والبشارات التي تخصّ خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام كثيرة، وسأشير في هذه الرسالة إلى بعضها، وأُثبت بعون الله أنّ المراد من «إيليا» أو «إيلي» أو «آليا» هو أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام الذي كان أحبّ الناس وأكرمهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان الأنبياء الماضون يعدّونه عظيماً ومقدّساً، وكانوا يتوسّلون به، ويعرفون منزلته عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

الإمام عليّ عليه السلام ونبوءة النبيّ داود عليه السلام

«إطاعة ذلك الرجل الشريف الذي يُدعي «إيلي» واجبة، وإطاعته صلاح لأُمور الدين والدنيا، ويسمّى هذا الرجل العظيم أيضاً (حـدار) ـ أي حـيدر ـ إنّـه مـعين المساكين ومغيثهم ، وأسد الأُسود. وقوّته وقدرته خارقة، وسيولد في (كعابا) ـ أي الكعبة ـ

يجب على جميع الناس أن يتمسّكوا بعروة هذا الرجل الجليل، ويـطيعوه كـما يطيع العبد مولاه.

فليسمع كلّ من له أُذن واعية، وليفهم كلّ من له عقل فيهم، وليعلم كلّ من له قلب ولبّ، لأنّ الوقت يمضي، ولا يعود ثانية».

نُقِلَ هذا النصّ طبق نسخة خطّية قديمة جدّاً للزبور، كـانت عـند «اهـزان الله مشقي»، من أتباع الدين المسيحي.

ولو عرض المسيحيون هذه النسخة ـ كما قال مفتي مصر ـ في معرض عـامَ، لتقوّضت أركان المسيحية في العالم.

وللأستزادة في هذا الخصوص، تراجع مجلّة «الحرم» الصادرة في القاهرة، خلال شهر ذي القعدة، عام (١٣٧٤).

الإمام عليّ عليه السلام واستغاثة النبيّ سليمان عليه السلام

عَثَرَت سَريّة من الجيش الإنجليزي على لوحة فضّية في قرية صغيرة، تدعى «أونتره»، تقع على بعد بضعة كيلومترات من مدينة «القدس»، حينما كانوا منهمكين في حفر خنادق لهم، ومستعدّين للهجوم أثناء الحرب العالمية الأولى سنة (١٩١٦)م، وكانت حاشيتها مرصّعة بالجواهر النفيسة، وازدان وسطها بكلمات ذات حروف ذهبية.

ولمّا ذهبوا بها إلى قائدهم الميجر (ا.ن. گريندل)، حاول جاهداً أن يفهم شيئاً منها، ولكنّه عجز عن ذلك، إلّا أنّه أدرك أنّ هذه الكلمات قد كتبت بلغة أجنبية قديمة جدّاً.

ثمّ عرض هذا اللوح بواسطته على آخرين، حتّى اطّلع عليه قائد الجيش البريطاني (ليفتونانت[١]) و (كلادستون[٢]) فأحالاه إلى خبراء الآثار البريطانيين.

وعندما وضعت الحرب أوزارها سنة (١٩١٨)م، عكفوا على دراسة اللوح المذكور، وشكّلت لجنة تضمّ أساتذة الآثار القديمة من بريطانية وأمريكا وفرنسا وألمانيا وسائر الدول الأُوربّية.

واتّضح بعد أشهر من البحث والتحقيق، في الثالث من كانون الثاني لسنة (١٩٢٠)م، أنّ هذا اللوح مقدّس ، ويُدعى «لوح سليمان»، ويحوي حديثاً للنبيّ سليمان عليه السلام، قد كتب بألفاظ عبرية قديمة، وأدناه ترجمة ما ورد في هذا اللوح:

وإليك ترجمة اللوح السليماني:

---

(١) Liftonant.

(٢) Glad Stone.

الله

أحمد إبلي

باهتول

حاسن حاسين

يا أحمد أغثني

يا عليّ أعنّي

يابتول ارحميني

يا حسن أكرمني

يا حسين أسعدني

ها هو سليمان يستغيث الساعة بهؤلاء الخمسة الكرام

وعليّ قدرة الله.

وحينما أدرك أعضاء اللجنّة فحوى ما كتب في اللوح المقدّس، رمق كلّ واحد منهم صاحبه متعجّباً، وعض على إبهامه متحيراً، وبعد أن ناقشوا الأمر بينهم، استقر رأيهم على وضع اللوح في المتحف الملكي البريطاني.

ولكن عندما علم أسقف «إنجيلترا» الأعظم(LORD BISHOP) اللورد بيشوب بالخبر، بعث رسالة سرّية إلى اللجنة، وهذا موجزها:

«إن بوضع هذا اللوح في المتحف، وعرضه لجميع الناس، فسوف يتزلزل أساس المسيحية ويحمل المسيحيون بأنفسهم جنازة المسيحية على أكتافهم، ويدفنونها في

مقبرة النسيان. ولذا فمن الأفضل أن يودع اللوح المذكور في دار أسرار الكـنيسة الإنجليزية، ولا يطّلع عليه أحد، سوى الأُسقف ومن يُطمأنّ به».

ولمزيد من الإطّلاع في هذا المضمار، يراجع كتاب Wonderful STORIES OF (LSLAM)، طبع لندن، الصفحة (٢٤٩).

إنّ من رأى هذا اللوح، وكان له علم وحلم، تعلّق بالإسلام تعلّقاً عجيباً، وفـي نفس الوقت حدث نقاش بين خبيرين، هما «وليم» و«طومس» حول اللوح، أسفر عن اعتناقهما الإسلام، وسمّي «وليم» بعد ذلك «كرم حسين» «وطـومس» بـاسم «فضل حسين».

وللاستزادة حول ذلك، تراجع مجلّة «الإسلام» الصادرة فـي «دلهـي»، خـلال شباط لسنة (١٩٢٧)م، و «مسلم كرانيكل» الصادرة في لندن، في الثلاثين من أيلول لسنة (١٩٢٦)م.

الإمام عليّ عليه السلام وسفينة نوح عليه السلام

بينما كان فريق من خبراء المعادن الروس منكبّاً على حفر الأرض للتنقيب عن المعدن، في كانون الثاني لعام (١٩٥١)م، فظهرت لهم فجأة ألواح خشبية منخورة. وبعد مزيد من التنقيب، اتّضح لهم أنّ هناك كثيراً مـن الأخشـاب مـدفونة تـحت الأرض، وقد تآكلت وبُليت بمرور الزمان. وتوصّلوا طبق دلائل إلى أنّها غير عادية، وتشمل على سرّ مكنون فيها.

وقد تمّ ذلك عند حفر الأرض بدقّة بالغة، ثمّ استخرجوا الألواح الخشبية النخرة وأشياء أُخرى، وعثروا من بينها على لوح خشبي مستطيل، قد أدهش الجميع، لأنّ تصرّم الزمان قد أبلى جميع الخشب، سوى هذا اللوح الذي يبلغ طوله أربعة عشر

إنجاً[1]، وعرضه عشرة إنجات، ونقش عليها بضعة أحرف.

وشّكلت الحكومة الروسية لجنة للتحقيق والبحث حول هذه الألواح الخشبية في (٧) من شباط لسنة (١٩٥٣)م، وكان أعضاؤها خبراء في الآثار وأساتذة متخصّصين باللغات القديمة، وفيما يلي أسماؤهم وسماتهم:

١ـ سولي نوف: أُستاذ في جامعة (موسكو)، قسم اللغات.

٢ـ ايفاهان خينو: أُستاذ خبير باللغات القديمة في كليّة (رچاينا).

٣ـ ميثانون لوفارتيگ: رئيس دائرة الآثار.

٤ـ تانمول گورت: أُستاذ اللغات في كلية (كيفزو).

٥ـ ديراكون: خبير النفائس القديمة، وأُستاذ في جامعة (لينين).

٦ـ ايم أحمد كولاد: المشرف على دائرة التنقيب في (زتكومون).

٧ـ ميجر كولتوف[2]: المشرف على مكتب بحوث كلّية (ستالين).

وأخيراً سرّ ذلك اللوح الخشبي للجنّة بعد ثمانية أشهر من البحث والتنقيب، واتّضح أنّه من سفينة النبي نوحعليه السلام، قد نصب عليها للبركة والإستمداد لما كُتب عليه.

وكان في وسط اللوح رسم يمثّل كفّاً، كُتبتْ عليه عبارات عديدة باللغة السامية[3]، ونعرض أدناه صورة لهذا اللوح، لتكون ماثلة أمام أنظار القرّاء الكرام،

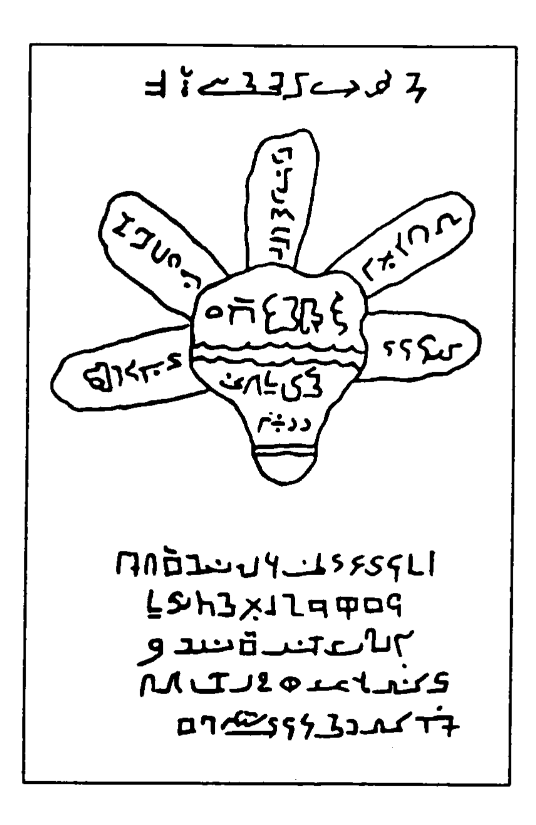
---

(١) الانج (Inch) يساوي سنتمترين ونصفاً تقريباً، أو اثني عشر فوتاً.

(٢) لم أحقق صحّة الأسماء المذكورة في هذه الصحيفة بصورة كاملة، لشجوب حروفها، فضلاً عن ذلك، فإنّ الناطقين بالأردو يتلفظون بعض الكلمات تلفّظاً مغايراً لما نتلفّظ به، مثل: بانك وسونسكويت، فهم يقولون: «بيك» و «سنسكريت». «المترجم العربي عن الفارسي».

(٣) كانت اللغة الشائعة في عصر النبي نوحعليه السلام وما بعده بقليل هي السامية أو السامانية، وتعدّ اللغات العبرية والسريانية والقتبانية والقبطية والعربية وغيرها من الفروع المختلفة لهذه

وليطّلعوا على الشكل والخطّ كما كانا في زمان النبي نوح عليه السلام.



☜ اللغة. وقد نشر أولاد نوح عليه السلام ومعاصروهم وأحفادهم أينما حلّوا وتوطّنوا هذه اللغة، مع تغيير بسيط، ثمّ تطوّرت شيئاً فشيئاً، وصارت ذات كيان جديد.

وتوصّل خبراء الخطوط الأثرية وعلماء اللغات القديمة وأساتذة التاريخ إلى أنّ اللغات: التركية والفارسية والزندية والبازندية والسونسكريتية وغيرها، هي من اللغات السامية أيضاً. وأنّ اللغة السامية منشأ أكثر اللغات ومصدرها، ثمّ تغيّرت حروفها على مرّ العصور، واتّخذت شكلاً عجيباً وغريباً، رغم الإدعاء القائل بأنّ العربية والسونسكريتية هما أقدم اللغات، وبغض النظر عن قوم المحقّقين البريطانيين بأن اللغة الإنجليزية أصل اللغات (launguages head of the) (المؤلف).

واستطاعت لجنة التحقيق بعد ثمانية أشهر من التفكير والتدقيق والجهد أن تقرأ تلك الكلمات المذكورة، وتترجمها إلى اللغة الروسية[١].

حروف أعلى الأصابع

A G F NAT-E E ⅂T ÀTAM

حروف وسط الأصابع

ЪIKЛσEAЖ
ФƱPEAσH
ЗYЧÜ

حروف جوانب الأصابع من اليمين الى اليسار

MσTAMEΔA
AE⅂T Ъ JAT
ЧδσPA
ЧδδPA
ФAБEM

---

(١) لاحظ المجلّة الشهرية (ta#aheh356) الصادرة في (موسكو). خلال تشرين الثاني لعام (١٩٥٣)م، ومجلّة (weekly mirror) الصادرة في الثامن والعشرين من أيلول لسنة (١٩٥٣)م، وصحيفة «الهدى» القاهرية، الصادرة في الحادي والثلاثين من آذار لسنة (١٩٥٤)م.

حروف تحت الأصابع

TCEŌMAσŨNAΦECŌ
AδTCAΔЪ MAЗUHET
TЛIAЛIAЪЪIYŌP

HETЪPŨBЪI TAЧ
KŌQAEΔEECOЛM

ثم ترجمها خبير اللغات الأثرية البريطاني الأُستاذ (Maks MR.N.F) إلى الإنجليزية، وهاهي ترجمتها:

O. Mygod My Helper. Keep My Hand With Mercy Andwithyonr Holypodis: Mohamad. Alia. Shabbar. Shappir. Fatema. They All Are Biggests And Honourables. Theworlb Estadlished For Them. Help

Me By Their Names. Yon Can Refrm To Right[1].

---

(١) المجلّة الشهرية (Starof Bartania) طبع لندن، خلال كانون الثاني لعام (١٩٥٤)م، ومجلّة (Manchestor. Sunlaght) خلال الثالث والعشرين من كانون الثاني لسنة (١٩٥٤)م، ومجلّة (London Weekly Mirror) خلال الأوّل من شباط لسنة (١٩٥٤)م.

واليك الترجمة العربية:

«يا ربّي! يا مغيثي!

بلطفك ورحمتك، وبالذاوات المقدّسة: محمّد وإيليا وشبّر وشبير وفاطمةعليهم السلام أعني.

إنّ هؤلاء الخمسة أعظم الخلق، فيجب إعظامهم واحترامهم، وأنّ جميع الدنـيا خُلقتْ لأجلهم.

إلهي بأسماء هؤلاء أعنّي، إنّك قادر على هـداية جـميع الخـلق إلى الطـريق القويم»[1].

البشارة في رؤيا يوحنا

قد تعرض اليوحنا في إصحاحه الثاني عشر من رؤياه عن الوقائع التي سـوف تحدث في المستقبل، وهي من الأمور الغيبية حيث أخبر عنها في زمانه، لما تمثله من الأهمية أنذاك في معتقدات قومه، فقد رسمت رؤياه بصورة واضحة غير خافية عن العقل السليم والكنايات الرمزية لما سيحدث عبر التأريخ من الصراعات بـين الحقّ والباطل وما سيؤول إليه الأمر من انتصار أهل الحق والإيمان وإليك النصوص التي بينت هذا الأمر كما هو في رؤياه، يقول يوحنّا:

١ـ وظهرتْ آية عظيمة في السماء، امـرأة مـتسربلة بـالشمس والقـمر تـحت رجليها، وعلى رأسها إكليل من اثنتي عشر كوكباً.

---

(١) كتاب «ايليا» المترجم من الأردوا إلى الفارسية والعربية لمؤلفه سيالاكوني.

٢ـ وهي حُبلى تصرخ متمخضة ومتوجّعة لتلد.

٣ـ وظهرت آية أُخرى في السماء، هو ذا تنين عظيم أحمر له سبعة رؤوس وعشرة قرون وعلى رؤوسه سبعة تيجان.

٤ـ وذنبه يجرُّ ثلث نجوم السماء فطرحها إلى الأرض. والتنين وقف أمام المرأة العتيدة أن تلد حتى يبتلع ولدها متى ولدت.

٥ـ فولدت إبناً ذكراً عتيداً أنّ يرعى جميع الأُمم بعصاً من حديد واختطف ولدها إلى الله وإلى عرشه.

٦ـ والمرأة هربت إلى البريَّة حيث لها موضع معدٌّ من الله لكي يعولوها هناك.

٧ـ وحدثت حربٌ في السماء ميخائيل وملائكته حاربوا التنين، وحارب التنين وملائكته.

٨ـ ولم يقووا فلم يوجد مكانهم بعد ذلك في السماء.

٩ـ فطرح التنين العظيم، الحيَّة القديمة، المدعو إبليس والشيطان الذي يُضلُّ العالم كله، طُرح ألى الأرض، وطُرحت معه ملائكته.

١٠ـ وسمعت صوتاً عظيماً قائلاً في السماء، «اليوم يوم الخلاص، والقوة والملك لله ربِّنا وسلطان مسيحه.....»

إلى أن يقول:

١١ـ من أجل هذا افرحي أيتها السموات والساكنون فيها: «ويلٌ لساكني الأرض والبحر لأنّ إبليس نزل إليكم وبه غضب عظيم عالماً أنَّ له زماناً قليلاً».

ثمَّ يحكي يوحنّا قصة اضطهاد التنين وجنوده لتلك الإمرأة العظيمة ونسلها فيقول:

١٢ـ ولمّا رأى التنين أنّه طُرح إلى الأرض اضطهد المرأة التي ولدت الإبن الذكر.

١٣ـ فأُعطيت المرأة جناحي النسر العظيم لكي تطير إلى البرّية، إلى موضعها حيث تُعال زماناً وزمانين ونصف زمان من وجه الحيّة.

١٤ـ فألقت الحيَّة من فمها وراء المرأة ماءً كنهر لتجعلها تُحمل بالنّهر.

١٥ـ فأعانت الأرض المرأة، وفتحت الأرض فمها وابتلعت النهر الذي ألقاه التنين من فمه.

١٦ـ فغضب التنين على المرأة وذهب ليصنع حرباً مع باقي نسلها الذين يحفظون وصايا الله وعندهم شهادة يسوع (المسيح)[1].

وقفة مع نصوص يوحنا

إنّ الوقوف مع هذه النصوص التي وردت في الصحاح الثاني عشر لأمر يحتاج من البحث والتنقيب في مدلولاته الفهم الدقيق والمنهج التحليلي الذي يخضع للضوابط العلمية لتحليل أي نص يكتنفه الغموض، وخصوصاً المتعلق بالقضايا التأريخية القديمة، وهذا مما يجعل الأمر في غايه الصعوبة، وخصوصاً ان مهمة الكشف عن بشارة الكتب السماوية بالنبي محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ووصيّه عليّ عليه السلام قد عراها التزيف والتشويش على الحقائق التي ذكرتها تلك الكتب السماوية التي امتدت إليها يد التحريف والتزوير، من هنا كان لابد أن يقف الباحث مع هذه النصوص لمعرفة محتواها ودلالتها التي تدعوا إليها من بين طياتها الحقيقة الخالدة لأهداف تلك الرسالات، فعليه لابد من ارجاع هذه النصوص إلى إصولها اللغوية ومعانيها العرفية مع ملاحظة الفهم الكنائي للباحث في هذه النصوص لأن هكذا نصوص قد لحقتها الأضافات والتشويهات المتعمدة من هنا وهناك على يد المناهضين للاسلام

---

(١) رؤيا يوحنّا ١٢: ١-١٧.

المحمّدي الأصيل، وأيضاً ينبغي الوقوف على أطار سياق ومحتوى هذه النصوص، لغرض كشف اللثام عن الحقيقة الخالدة التي تضمنتها ودلت عليها هذه الكلمات وما فيها من الأسرار والإشارات إلى أصحاب الحق.

إنّ هذه النصوص التي قدمناها لك، لفي محتواها الأشارات الكنائية إلى قضية الرسول وأهل بيته وما سيعانون منه، عند بزوغ نورهم على هذه الأرض الميتة بعد فترة من الرسل وانقطاع السماء عن هذه الدنيا، حيث لم ترسل خلال تلك فترة أي رسول، فقد استمرت فترة الإنقطاع تقريباً خمسمائة سنة، وبعدها ظهر نور الرسالة في مكة المكرمة وعند إنبثاق نور النبوة الخاتميّة، حصل الصراع الكبير بين الحق والباطل.

والظاهر مما ورد في رؤيا يوحنا في كون هذا الصراع بين أهل الحق بقيادة النبي وآله من جهة، وبين أهل الباطل من جهة أخرى لهو صراع مستمر على مرّ الزمن إلى يوم ظهور ابن تلك المرأة العظيمة التي أشارة إليها النصوص المتقدمة ليقود عباد الله تعالى إلى الكمال المطلق وليعم الأرض العدل والصلاح بعد ملؤها بالفساد والظلم.

وهذا ما عبر عنه رؤيا يوحنّا التي كان نصها ما يلي:

«فولدت إبناً ذكراً عتيداً أن يرعى جميع الأمم بعصاً من حديد، واختُطف ولدها إلى الله وإلى عرشه».

وتقول الرؤيا أيضاً: «وسمعتُ صوتاً عظيماً قائلاً في السماء: اليوم هو يوم الخلاص، القوة والمُلك لله ربّنا وسلطانه لمسيحه.....»[1].

---

(١) ان كلمة «مسيح» لا تطلق عند أهل الكتاب على الأنبياء فقط بل قد تطلق على ملك أو كاهن (إنظر سفر اللاويين: ٤/٢٣).

ويتحدث القدّيس يوحنّا في رؤياه التاسعة عشر ما نصه:

«ثمّ رأيت السماء مفتوحة، وإذا فرس أبيض والجالس عليه يُدعى أميناً وصادقاً وبالعدل يحكم ويحارب. وعيناه كلهيب نار وعلى رأسه تيجان كثيرة، وله اسم مكتوب ليس أحد يعرفه إلّا هو. وهو متسربل بثوب مغموس بدم، ويُدعى اسمه كلمة الله. والأجناد الذين في السماء كانوا يتبعونه على خيل بيض، لا بسين بزّاً أبيض ونقيّاً. ومن فمه يخرج سيف ماض، لكي يضرب به الأُمم وهو سيرعاهم بعضاً من حديد، وهو يدوس معصرة خمر سخط وغضب الله القادر على كل شيء. وله على ثوبه وعلى فخذه اسمّ ملك الملوك ورب الأرباب.

ورأيت ملاكاً واحداً واقفاً في الشمس فصرخ بصوت عظيم قائلاً لجيمع الطيور الطائرة في وسط السماء هلمَّ اجتمعي إلى عشاء الإله العظيم. لكي تأكلي لحوم ملوك ولحوم قوّاد ولحوم أقوياء ولحوم خيل والجالسين عليها ولحوم الكلّ حرّاً وعبداً صغيراً وكبيراً.

ورأيت الوحش وملوك الأرض وأجنادهم مجتمعين ليضعوا حرباً مع الجالس على الفرس ومع جنده. فقُبِض على الوحش والنبيّ الكذّاب معه الصانع قدّامه الآيات التي بها أضلَّ الذين قبلوا سِمة الوحش والذين سجدوا لصورته وطُرِحَ الإثنان حيّيْن إلى بُحيرة النار المتقدة بالكبريت. والباقون قُتِلوا بسيف الجالس على الفرس الخارج من فمه وجميع الطيور شبعت من لحومهم».[1]

ترسم لنا هذه الرؤيا صورة حيّة عن معالم معركة حربية ضارية تُشكّل بحد ذاتها

☜ وهذا اللقب قد يطلقونه على ملك أجنبي كما أطلقوه على الملك الفارسي كورش: «هكذا يقول الرب لمسيحه لكورش الذي أمسكت بيمينه لأدوس أمامه أُمماً...» (اشعياء: ٤٥/١). إذاً كلمة «مسيحه» في هذه الرؤيا لا تعني عيسى المسيحعليه السلام بل من الأكد تعني المهديعليه السلام.

(١) رؤيا يوحنا: ١٩/١١ ـ ٢١.

ملحمة حرب عالمية لم يسبق لها مثيل في تاريخ البشرية. ولكنها لن تدور هذه المرة فقط فيما بين القوى الاستكبارية العالمية الطامعة في السيطرة على العالم كماحدث ذلك في الحربين العالميتين السابقتين الأولى والثانية. بل ستدور بين قطبين، لا ثالث لهما، مختلفين كل الاختلاف في الأهداف والعقائد.

أما القطب الأول فستمثّله قوى الكفر والضلالة في العالم مجتمعة تحت زعامة طاغوت جبّار، تَمَّ الرمز إليه في هذه الرؤيا بـ «الوحش». وسيكون إلى جانبه شخصية مُتلبسة بلباس الدين وهي كاذبة، ولذا تَمَّ التعبير عنها في هذه الرؤيا بـ «النبيّ الكذّاب».

وأما القطب الآخر في هذه المعركة فسيتشكل من القوى المؤمنة بالله تعالى والمخلصة له، يقودها وليّ لله في أرضه الذي هيّأه للقيام بمهمة القضاء على قوى الكفر والضلال في العالم، ونشر راية التوحيد والعدل في الأرض. وقد وردت صفات وليُ الله وحجته على خلقه الإمام المهدي المنتظر في هذه الرؤيا حيث نذكر منها.

١ ـ إنه يُدعى بـ «الأمين الصادق».

٢ ـ وبالعدل يحكم ويحارب.

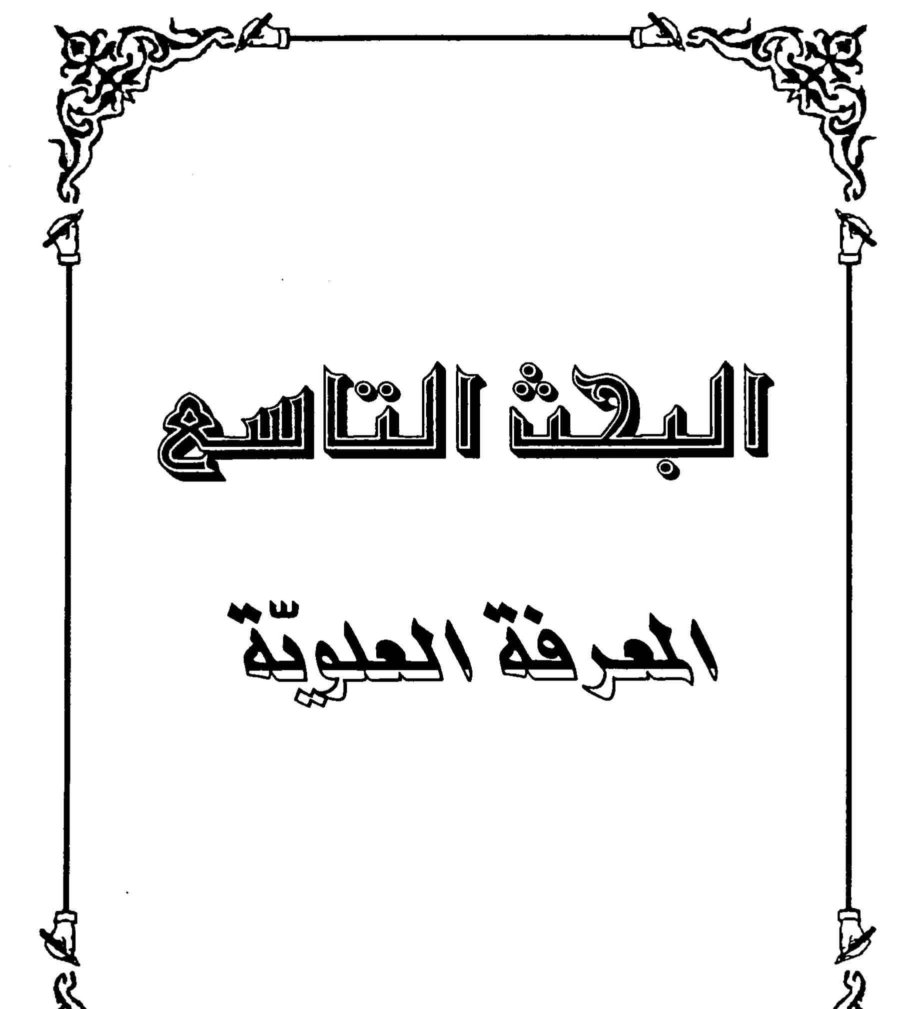
٣ ـ تقاتل معه الملائكة.

٤ ـ يخرج سيف من فمه يضرب به الأُمم وهو سيرعاها بعصاً من حديد.

وهذه الأوصاف نجدها مطابقة لما ورد من الأحاديث في كتب المسلمين عن الإمام المهدي عليه السلام القائم من آل محمّد عليهم السلام والمبشّر بظهوره في آخر الزمان على لسان جدّه الأكبر رسول الله صلى الله عليه وآله وأجداده الأئمة الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين). ونجدها أيضاً مطابقة بعض الشيء مع ما ورد في كتب أهل الكتاب من فكرة الظهور العالمي للعدل في آخر الزمان[1].

---

(١) كتاب بشائر الأسفار: ٢٦٢ ـ ٢٧٢.



البحث التاسع

المعرفة العلويّة



للسيّد صالح القزويني

تـــالله لا أنســاه فــي مـحرابـه ... لله يســجد فــي الظــلام ويَـركعُ

وجَــلا بــنُ مـلجَمَ والظّـلام مُـجلّلٌ ... ســـيفَ المــنية والبَـرِية هُـجَّعُ

وقــضى عــليه بــه وقــنع رأســه ... لله رأس بـــــالحُسامِ مُـــــقنعُ

فـــهناك أعــول جــبرئيلُ مُـنادياً ... فوق السما مَن فـي البسـطة يسمع

اليــوم أشـقى الأشـقيا قـد غـال أتـ ... ـقى الأتــقيا وله الجـميل مضيّعُ

اليـــوم مــنعمرُ الهـدى مـتهدمٌ ... اليــوم مــنهمرُ النّـدى مُـبتقشعُ

اليــوم روض العــلم ألوى والتُّـقى ... أقــوى وعــرنينُ المكـارم أجدَعُ

قُتل ابنُ عم المـصطفى قُـتل الوصـي ... المـــرتضى قــتلُ الإمــام الأورع

يــقضي إمــام المســلمين مُـخضباً ... والمســلمون لهــم عــيون تــهجعُ

فــمن المــعزي أحـمداً بـوصيه ... أرداهُ صــمصامُ بســم مــنْقعُ

ومـــن المــعزي فــاطماً بـحميها ... قــد قــدَّ مـفرقه الحسـامُ الأقـطع

ومــن المــعزي المـجتبى بـملمّة ... كــادت لهـا السـبعُ العُـلى تَـتَصدعُ

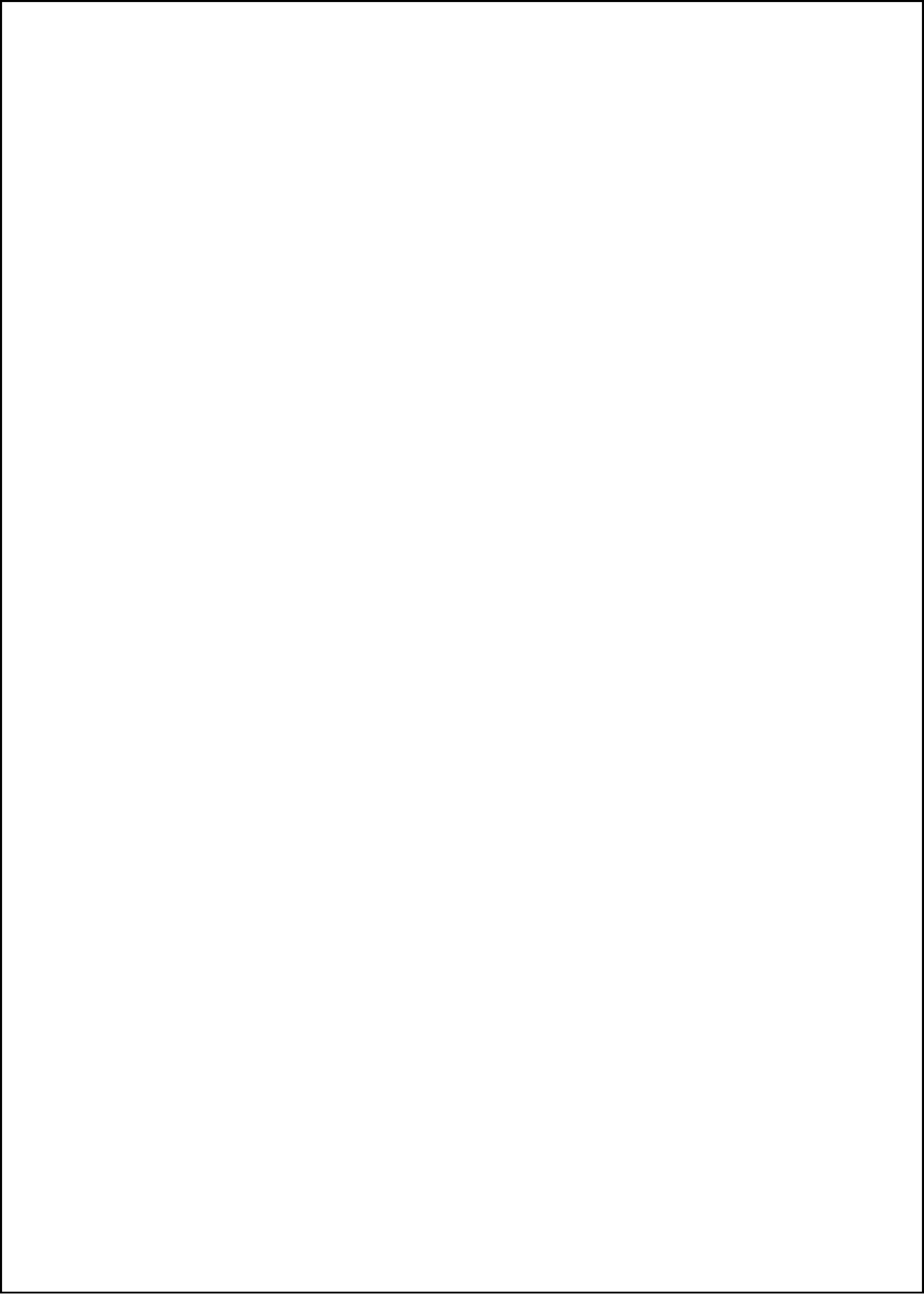
ومن المـعزي المسـتضام بـفارس الـ ... ـإسلام جـرعه الحـمام الأوضـع

ومــن المــعزي جــبرئيل بـمَن بِـه ... جــبريلُ سَـبحَ والمَـلائك أجـمعُ

عـــجباً لقــلب لا يــذوب ومُـقلةٌ ... جـــزعاً له بـــدمائها لا تــدمعُ

عـــجباً لعـرش الله جــل جــلاله ... كــيف اسـتقام وركـنُه مـتضعضعُ

لا كـــان يــومك يــا عــليّ فـإنّه ... يــوم بــه الديــن الحنيف مُـضيعُ



البحث التاسع

المعرفة العلويّة

تمهيد:

يحتاج الإنسان المؤمن خلال مسيرة حياته الدنيوية إلى معرفة للطريق الذي يسلكه إتجاه الآخرة التي مصيره إليها ومآله عليها، حيث تأخذ هذه المعرفة حيزاً كبيراً في عقائده التي يبعث عليها، ونتيجة لذلك لا بّد من الوقوف مع المعرفة الحقيقية في كل مستويات الحياة بما فيها ما يرتبط بالجانب الإيماني الإعتقادي للفرد الرسالي، ذلك لكون المعرفة أساساً للحياة وروحها، فمن لا معرفة له في القضايا التي يعيشها على مستوى الدين والحياة يكون ميتاً بين الأحياء، وشأنه شأن البهائم التي تأكل وتنام لا غير، فالفصل بين الحيوانية والإنسانية إنما يكون بالمعرفة الحقيقية لواقع الحياة في كل جوانبها، وخصوصاً ما يتعلق بالجانب الروحي الذي هو أساس وجوهر الإنسان ومحتواه الأصيل، وعلى هذا الأساس كانت مسألة المعرفة والبحث عن الحقيقة من المسائل العقائدية المهمة التي أخذت حيزاً كبيراً في المنظور العقائدي الإسلامي، والتي لابد من توجيه العقل اتجاهها ودراستها والوقوف على مداركها التي يدركها العقل ادراكاً منطقياً عقلائياً، ومن ثم وضع هذه القضايا العقائدية التي تخص المعرفة على طاولة البحث والتحقيق للوصول إلى المعرفة الحقيقية التي تتمثل في كافة المستويات العقائدية، والعلة في ذلك كما نرى من مراجعة المأثور الروائي هو أن المؤمن يتم ايمانه ويزداد بزيادة المعرفة الحقة المبنية على أساس علمي متين وعقل رصين، وعلى ضوء ما تمليه الإستدلالات العقلية المنطقية، وعلى هذا تكون الأفضلية بين الناس على ضوء المعرفة الحقيقية،

ففي المنظور الإلهي يتفاضل المؤمنون على مدى معرفتهم ولوازم تلك المعرفة كالإيمان والتقوى والعلم النافع والعمل الصالح، كما جاء في الحديث الشريف (أفضلكم ايماناً أفضلكم معرفة)، ولا يعني هذا أن مسألة التقوى التي صراح بها القرآن الكريم في ميزان الأكرمية عنه الله تعالى يكون مقدوح بها، كلا فإن مسألة التقوى إنما تكون نتيجتها من أثر المعرفة الحقيقية للقضايا الإسلامية على مستوى العقيدة والدين، إذن المعرفة لها دوراً مهماً في الجانب العملي للفرد المؤمن، فهي أساساً له، فلا عمل من دون معرفة، كما من عرف دلّته معرفته على العمل، فأولاً تثبيت المعرفة للعمل، أي المرتكز الذي يرتكز عليه الفعل، ثم بعد ذلك يأتي العمل الصحيح، لذا نجد الإمام الصادق عليه السلام يقول: «**لا يقبل الله عملاً إلا معرفة ولا معرفة إلّا بعمل فمن عرف دلته المعرفة على العمل ومن لم يعمل فلا معرفة له**».

فمن لوازم المعرفة العمل على المستوى الفعلي للدين الذي يدين به الانسان المؤمن، فعلى هذا تكون المعرفة أساساً وأصلاً لكل شيء في الحياة، فالمؤمن الذي يتحرك على واقع الحياة يحتاج في حركته إلى المعرفة الحقيقية التي تخرجه من حيز الظلام إلى سعة النور الذي يرى من خلاله طريق حياته، فتكون دراسة اي حركة في حياة المؤمن إنما هو من الثقافة التي تحيط بتلك المعرفة الصحيحة، فالذي يبين حياته على المعرفة، ويؤسس حركته على أساس من المعرفة انما يكون هذا العمل نابع من واقعيته وأصالته الصحيحة التي سار عليها، وهذا ما وجدناه في قول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام يقول لصاحبه وحامل سره كميّل حيث يقدم له النصيحة المفيدة في الواقع الحياتي الذي يعيشه فنراه يقوله له ضمن وصاياه له: «**يا كميل ما من حركة إلا وأنت محتاج فيها إلى معرفة**».

فالحركة التي يحتاج فيها المؤمن إلى معرفة لكي يتحرك على ضوءها لابد أن تكون معرفة تامة، وهذه المعرفة التامة إنما تكون بأدراك القضايا العملية والعلمية ادراكاً واقعياً على ضوء الإستدلالات العلمية والعقلية التحقيقية.

المعرفة هي الدرايّة

وقد يرد سؤال في المقام، في كون هذه المعرفة مما يحتاج لها الفرد المؤمن فلابد من توضيح هذه المعرفة، وفي أي جانب يحتاج إليها، وأي نوع من هذه المعرفة يُراد بها خلال حديثكم؟

والجواب على ذلك: إن المعرفة تعني الدراية الكاملة والفهم العميق والإدراك الصحيح للقضايا العقائدية بالخصوص، على أنه لا يعني أن المعرفة مختصة بالجانب العقائدي فقط؟ كلا فأن المعرفة تتجاوز هذا المقام إلى مراحل أخرى من المعرفة الحياتية بكل مستوياتها.

أما الدراية الكاملة فهي تفقه الحديث في المقام الذي نحن فيه، وفهمه فهماً صحيحاً واقعياً على ضوء الإستدلال العلمي والمنطقي الموافق للقرآن الكريم وللعقل، وللفطرة السليمة ولروايات أهل البيت عليهم السلام.

فإذا فهمنا إن الدراية هي المعرفة والفهم الصحيح للجانب المبحوث عنه في المقام، يكون على أثر ذلك ثمرة مهمة جداً بالنسبة للجانب العقائدي للمؤمن، وهذه الثمرة تترتب على زيادة إيمان الإنسان المؤمن، ويصل بهذا الفهم والإدراك إلى مراتب عالية جداً من الإيمان في الجانب العقائدي، ولذا يرى الباحث في هذا الجانب قول الإمام الباقر عليه السلام لإبنه الصادق عليه السلام حيث يقول له:

«يا بني إعرف منازل الشيعة على قدر روايتهم ومعرفتهم فإن المعرفة هي الدراية للرواية».

فالإمام عليه السلام هنا يبين إن المعرفة هي الدراية للرواية، وبهذا الدراية والمعرفة يصل المؤمن إلى أعلى منازل التشيع، فكأن الإمام عليه السلام قد أوضح الضابطة الأساسية لمعرفة منازل الشيعة بالفهم الصحيح والمعرفة الحقة تكون منزلة الشيعي الحقيقية،

ومن المعلوم لدينا إن الرواية هي نقل الحديث، والدرايـة فـهم الحـديث، وتـفهمه وادراكه ادراكاً صحيحاً على ضوء الموازين الشرعية، وعلى ضوء هذا البيان نرى قول الإمامعليه السلام الذي يأتي ليؤسس معيار حقيقي لمعرفتهم حيث يقول، **«بالدرايات للروايات يعلو المؤمن إلى أقصى درجات الإيمان»**، وقولهعليه السلام، **«حديث تـدريه خير من ألف حديث ترويه» «قيمة كل امرىء وقدره معرفته»**.

فالواجب أن نفهم القرآن الكريم الذي هو أساس حياتنا وأن نعي عِدل القرآن الكريم بتفهم وواقعية وعمق وتدبر وفكر، فأنه كما وردّ على لسان المعصومعليه السلام: **«همة السفهاء الرواية وهمة العلماء الدراية»**.

فأذا اتضح هذا كله نصل إلى المطلب الذي نريد الولوج إليه، والتوقف عنده وهو معرفة الإمام عليّعليه السلام المعرفة الحقيقية والتي تكون على ضوء الواقع الذي عاشه الامامعليه السلام، بحسب طاقتنا البشرية، وكل إناء بما فيه ينضح، لا بحسب ما هم عليه. وأول ما يطالعنا في المقام حديثه الشريف حيث يقول فيه:

«أول الدين معرفته»، وبالقطع اليقيني تكون معرفة الله تـعالى المـعرفة الحـقة متعذرة لكل من وقف عند هذا المقام.

ولكن كما ورد في الزيارة الجامعة الشريفة **«من عرفكم فقد عرف الله تعالى»** لأنهم أبواب الله تعالى وهم الدالين عليه وعلى مرضاته، فمعرفة الإمامعليه السلام توصلنا إلى معرفة الله تعالى على هذا البيان.

وقبل الدخول إلى صلب الموضوع لابد من تسجيل مـلاحظة مـهمة جـداً، لا يسعني أن أتركها من دون الإشارة إليها وهي:

إذا كانت منازل الشيعة تحدّد وتقيّم من خلال الدراية للرواية وفهمها ومعرفتها المعرفة الحقيقية، وبالدراية للرواية يعلوْا المؤمن أقصى درجات الإيمان، وكل هذا

لمن عرف أحاديث الأئمة التي وصلت إلينا، وعليها تترتب تلك الثمرة من زيادة الإيمان، ومعرفة المنزلة الشيعية للمؤمن الحقيقي .

أقول: إذا كان هكذا حال من يعرف أحاديثهم ويدري رواياتهم فما حال من يعرفهم المعرفة الحقيقية، ويعرف مقاماتهم ومنازلهم التي رتبهم الله فيها؟

يقينا سوف تكون منزلته واصلة إلى أعلى مراتب اليقين الذي يوصل إلى رضا الله تعالى المقرون برضا أهل البيت عليهم السلام .

اذن لابد لنا من الوقوف على معرفتهم الحقيقية بحسبنا لا بحسبهم لأن من عرفهم المعرفة الحقيقية يكون مثلهم، وهذا لا يتأتى لأي أحد إلا لمن هو في مرتبتهم ومنزلتهم وعصمتهم الربانية، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله.

فالذي نريد التعرض إليه هنا هو معرفة الإمام علي عليه السلام المعرفة الحقيقية العلوية الخالصة والتي تتوقف هذه المعرفة على بيان نقاط مهمة تكون أساساً لمعرفة الأئمة عليهم السلام ، ولا يعني بذلك أنها مقتصرة على هذه النقاط الأربعة بل لابد للباحث في بحار معرفتهم التوصل إلى أكثر من هذه الأساسيات المهمة جداً في المعرفة الحقيقية لهم عليهم السلام .

من أساسيات المعرفة

ان من أهم القضايا الأساسية في الدين الإسلامي والتي حصل النزاع بين المسلمين بها هي مسألة الإمامة ومعرفة الإمام والخليفة بلا فصل من بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، والحق ما يقوله الشيعة الإمامية والبحث موكول إلى محله من الكتب الكلامية التي تعرضت لهذه المسألة، والذي نريد الوقوف عليه هنا هو معرفة الأئمة المعرفة الحقيقية والتي تتوقف على عدة نقاط سنشير إليها لاحقاً.

معرفة الأئمة عليهم السلام الحقيقية

وتتجلى لنا معرفتهم عليهم السلام من عدة أمور أهمها هي:

١ ـ معرفة مقاماتهم التي رتبهم الله تعالى فيها وهي المقامات التي لا تعطيل لها في كل مكان كما ورد ذلك في دعاء الامام الحجة (عجل الله فرجه الشريف)، في شهر رجب: «اللّهم إني أسألك بمعاني جميع ما يدعوك به ولاة أمرك المأمونون على سرك المستبشرون بأمرك الواصفون لقدرتك المعلنون لعظمتك أسألك بما نطق فيهم من مشيتك فجعلتهم معادن لكلماتك وأركاناً لتوحيدك وآياتك ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان يعرفك بها من عرفك لا فرق بينك وبينها إلّا أنهم عبادك وخلقك».

وهذه المقامات نفسها غامضة لا يعرفها إلا من عرّفوها له أمثال سلمان وعمار والمقداد وأصحاب الأئمة صلوات الله عليهم أجمعين والحواريون الذين عاصروا الأئمة وتحملوا أسرارهم وعرفوا بعض مقاماتهم، ومعنى معرفتها هو أن يعرف انه تعالى لا يُعرف إلّا بهم عليهم السلام بلحاظ أن لهم تك المقامات الإلهية وإلى هذا يشير قولهم عليهم السلام: **«من عرفهم فقد عرف الله»**، وقولهم عليهم السلام: **«من عرفنا فقد عرف الله»**، وقولهم عليهم السلام: **«من لم يعرفنا لم يعرف الله»**.

وقول أمير المؤمنين عليه السلام: **«نحن الأعراف الذي لا يُعرف الله إلا بسبيل معرفتنا»** ومعرفتهم بأنهم الأنوار الإلهية هي معرفته تعالى، كما قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: **«معرفتي بالنورانية معرفة الله، ومعرفة الله معرفتي بالنورانية»** وسوف يأتينا حديث المعرفة النورانية عند الحديث عن مستويات المعرفة العلوية، ويكفي شاهداً على ما نقول حول المعرفة هو ما ورد عن زرارة حيث قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: **«إن للغلام غيبة قبل أن يقوم**، قال: قلت ولم؟ قال أيخاف ـ وأوما بيده إلى بطنه ـ ثم قال: يا زرارة وهو المنتظر، وهو الذي يشك في ولادته، منهم من يقول

مات أبوه بلا خلف ومنهم من يقول حمل، ومنهم من يقول إنه ولد قبل موت أبيه بسنتين، وهو المنتظر غير أن الله عز وجل يحب أن يمتحن الشيعة فعند ذلك يرتاب المبطلون يا زرارة.

قال قلت: جعلت فداك إن أدركت ذلك الزمان أي شيء أعمل؟

قال: يا زرارة إذا أدركت هذا الزمان فادع بهذا الدعاء:

«اللهم عرفني نفسك فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيك اللهم عرفني رسولك فإنك إن لم تعرفني رسولك لم أعرف حجتك، اللهم عرفني حجتك فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني....»[١].

فالمقامات الغامضة لم يعرفها إلا أصحاب الأئمة الكُمّل، حيث أعطى الأئمة بعض المعارف حول هذه المقامات فأصبحوا على مرتبة عالية من الإيمان، والذي يظهر لنا إن الوصول إلى هذه المقامات في هذا الزمان الذي كثر فيك الشك والحيرة في مسألة الإمامة الالهية لا يتأتى لأي أحد إلا من كان على سبيل من الامام الحجة بن الحسن العسكري (عجل الله فرجه الشريف).

٢ـ معرفة كونهم عليهم السلام معاني الله تعالى كما يقول الإمام السجاد عليه السلام «نحن معانيه» وقوله «نحن مظاهره فيكم» أي مظاهر صفات الله تعالى في خلقه.

وحاصله أنه يعرف أنهم عليهم السلام علمه وقدرته وحكمه وأمره وعدله وعينه وأُذنه ولسانه وقلبه ووجهه وعيبة علمه ونوره ويده وعضده وكتابه وخزائنه ومفاتيح غيبه وأسرار الربوبية عندهم ومحال مشيئته والسنته وارادته وصفاته العليا واسماؤه الحسنى ونعمة الله التي لا تحصى ولا تعد، وأنهم مظاهر ابداعاته تعالى واختراعاته، والدليل على كونهم معانيه إنما يفهم من خلال المشاهدة والملاحظة في عباراتهم

---

(١) الكافي: ١/ ٣٣٧.

وادعيتهم واذكارهم وافكارهم واعتباراتهم ووجدانياتهم وحقائقهم التي هم بها موجودون، فأذا عرف أحد حقهم بهذه الأمور فله أثار عظيمة وبهجة مؤلفة ولذة طيبة ومعرفة حقيقية، كل هذا يوجب أنه إذا أراد أن يتوجه إليه تعالى يتوجه بهم ويخاطبهم في حوائجه ويناجيهم كيف لا؟ وهم مظاهره تعالى بهذه الإمور، فالداعي يدعو الله تعالى عن طريق مظاهره تعالى «ومن قصده توجه بكم».

٣ـ معرفة أنهم عليهم السلام أبوابه تعالى التي منها يؤتى في العبادات والدعوات والمناجاة وهي طريق قبول العبادات والأعمال الصالحات، كما علمت أن هذا أثر معرفة كونهم عليهم السلام معانيه، فكما هم أبواب الإيمان كذا هم أبواب العباد إليه تعالى في الرجوع بالعبادات وغيرها، كذلك هم عليهم السلام الأبواب فيما ينزل منه تعالى ويؤتيه لعباده من خلق ابتدائي أو بقاء ورزق وحياة وممات في جميع شؤونهم... والحاصل أنهم عليهم السلام الأبواب بمعنى أنه لا يخرج من الخزائن الإلهية خارج ولا يصعد إليها صاعد إلّا بهم ومنهم (انتم باب الله الذي منه يُؤتى).

٤ـ معرفة ظاهر إمامتهم وولايتهم ومعنى معرفتهم لهم في هذه المرتبة أنه يعرف ويعلم أنه يجب إطاعتهم والإقتداء بهم والرد إليهم في موارد الإختلاف والأخذ عنهم والتسليم لهم، وتفضيلهم على من سواهم، وأن لا يساوي بهم غيرهم لا في نسبهم ولا حسبهم ولا في عملهم ولا شجاعتهم ولا كرمهم ولا تقواهم وزهدهم ولا في إيمانهم وديانتهم.... ولا شيء من محاسن الأحوال والأفعال ومكارم الأخلاق وكما ورد عنهم عليهم السلام : (نزلونا عن مقام الربوبية وقولوا فينا ما شئتم ولن تبلغوا...) لأنه إذا عرفناهم حق المعرفة فقد صرنا مثلهم، والحال نحن ليس مثلهم، ولا يقاس بهم أحد. «يا عليّ ما عرف الله إلا أنا وأنت وما عرفني إلا الله أنت وما عرفك إلا الله وأنا..».

وكما ورد عنهم عليهم السلام (إن أمرنا صعب مستصعب لا يعرفهُ.... ولا يتحمله إلا

ملك مقرب أو نبي مرسل أو مؤمن، إمتحن الله قلبه للإيمان».

وعلى هذا يعلم ويعرف كل أن ما نسب إلى غيرهم من هؤلاء وغيرهم من سائر الأولياء من المحاسن والمكارم والصفات الحميدة، فإنما هو ذرة من تيار بحرهم المتلاطم مما أتاهم الله تعالى من الفضائل، كيف لا؟ وقد تقدم قول أبي الحسن عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿**ما نفدت كلمات الله**﴾، نحن كلمات الله التي لا تدرك فضائلنا ولا تستقصى ولا تتقضى، بعبارة أخرى أن حقهم والمعرفة بهم هو أن يعتقد أنهم أولياء الله تعالى على جميع خلقه وأوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأوصياؤه على أمته والقائمين بدينه بعده وحفظة شريعته القائمون مقامه من كل شيء أقامه الله تعالى فيه لخلقه ما عدا النبوة، وهذا مُسَلَّمٌ من عدة أحاديث.

ثمرة المعرفة

فإذا حصلت هذه المعرفة فلا بد من الدخول في صميم البحث، والذي من ملازمات هذه المعرفة هو التسليم لهم عليهم السلام، وإلا لا فائدة من المعرفة وحدها إذا لم تتحقق ملازمتها من التسليم والإنقياد لهم عليهم السلام، لذلك ورد في الحديث الشريف الذي رواه سدير حيث قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: إني تركت مواليك مختلفين يتبرء بعضهم من بعض.

فقال عليه السلام: **وما أنت وذاك إنما كلف الناس ثلاثة: معرفة الأئمة والتسليم لهم فيما ورد عليهم والرد إليهم فيها اختلفوا فيه**[1].

أقول: يظهر من هذا الحديث الشريف إن مسألة معرفة الأئمة عليهم السلام كتكليف تأتي بعد التسليم بالتكليف الشرعي للإسلام المحمدي الأصيل فلا منافات بين التكليف

(١) الكافي: ١/ ٣٨٧، باب التسليم.

الأصلي والتكليف هذا، ثم بعد معرفة الأئمةعليهم السلام يترتب الأثر الكبير، وهو التسليم لهم في الوقائع والأحداث التي تجري عليهم.

فإذا اتضح هذا كله ندخل عندئذ في المعرفة العلوّية لحقيقة أمير المؤمنينعليه السلام والتي لابد أن تكون عبر مستويات عديدة كما نتصورها وقد جعلناها في خمسة فصول حيث قسمنا المستوى الثاني إلى فصلين وأهمها:

١ـ المستوى الأول: المعرفة التأريخية لهعليه السلام.

٢ـ المستوى الثاني: المعرفة المناقبيه لهعليه السلام +الكرامات العلوية.

٣ـ المستوى الثالث: المعرفة النورانية لهعليه السلام.

٤ـ المستوى الرابع: المعرفة العلمية والفكريّة لهعليه السلام.

❊ ❊ ❊



الفصل الأول

المعرفة التاريخيّة

للسيد حيدر الحلّي رحمه الله

قم ناشد الإسلام عن مُصابه ... أصيبَ بالنبي أو كتابهِ
بلى قضى نفسُ النبي المصطفى ... وأُدرجَ الليلةَ في أثوابهِ
مضى على اهتضامه بغُصَّة ... غص بها الدهرُ مدى أحقابهِ
عاش غريباً بينها وقد قضى ... بسيف أشقاها على اغترابهِ
لقد أراقوا ليلة القدر دما ... ودماؤها إنصببن بإنصبابه
فضجت الأملاك فيها ضجة ... منها اقشعر الكون في إهابهِ
وانقلب الإسلامُ في الفجر بها ... للحشر أعوالا على مصابهِ
لله نفس أحمد من قد غدا ... من نفس كل مؤمن أولى بهِ
غادره ابن ملجم ووجهُهُ ... مخضب بالدم في محرابه
أطاعة قضت لهم من لم تكن ... تقبل طاعات الورى إلا بهِ
قتلتم الصلاة في محرابها ... يا قاتليه وهو في محرابهِ
وشق رأس العدل سيف جوركم ... مذ شق منه الرأس في ذبابهِ
فليبك جبريل له ولينتحب ... في الملأ الأعلى على مصابهِ
نعم بكى والغيث من بكائه ... ينتحب الرعد من انتحابهِ

المستوى الأوّل

المعرفة التأريخية له عليه السلام

ان الوقوف مع هذا الجانب من المعرفة التأريخية للإمام عليه السلام يتصور لنا من خلال جهة ولادته وشهادته زماناً ومكاناً، ومعرفة زوجاته وأولاده الممدوحين، وكذلك معرفة والديه وتأريخ والدتهما والأحوال في ذلك. وما عاصر الإمام في الحقبة الزمنية التي عاشها من الظروف العصيبة التي مرت على الأمّة الإسلامية خصوصاً في الجانب الفكري والسياسي والإجتماعي وما يرتبط بذلك من سلاطين الجور وأتباع الظالمين، وفقهاء الفسق والفجور وغدر المنافقين والمتملقين، وأتباع اللقمة والراقصين على رنين الدراهم والدنانير، وغير ذلك من المحن والمصاعب التي يقف الفرد المؤمن متحيراً أزاء عبرها واعتبارها اللذين تركا أثراً سلبياً في جسم الأمّة الإسلامية أنذاك.

ولادة أمير المؤمنين عليه السلام

وأما مولد أمير المؤمنين عليه السلام، فالمشور أنّه في الثالث عشر من شهر رجب لثلاثين سنة بعد عام الفيل، صرح به المفيد في ارشاده[1]، والرضي في خصائصه[2]

---

(١) ارشاد المفيد: ٩، وأخرجه الطبرسي في اعلام الورى: ١٥٣، عنهما البحار: ٣٥/١٦ ح١٣.

(٢) خصائص أمير المؤمنين عليه السلام للسيد الرضي: ٤.

والشيخ في تهذيبه[١]، وابن عيّاش[٢]، وعليّ بن محمّد المالكي[٣]، وفي خبر عن صفوان الجمّال، عن الصادق عليه السلام: إنّه كان لسبع خلون من شعبان.

وقال المفيد في مساره[٤] في الثالث والعشرين منه.

وقال المسعودي في إثبات الوصيّة[٥]: في النصف من شهر رمضان.

واُختلف في سنته والمشهور أنّه بثلاثين عاماً بعد عام الفيل.

صرّح به الكليني[٦] والشيخان[٧] وجمع آخر، وقال بعضهم بأقلّ، وبعضهم بأكثر.

وعليه يتفرّع الخلاف في سنّه عليه السلام وقت مبعث النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

وعلى الأشهر عندنا عشر واثنتي عشرة[٨] على ما ذهب إليه ابن عيّاش، ورواه عتاب بن أسيد، وعن الحسن البصري، أنّه ابن خمس عشرة.

وعن أبي نضرة ابن اربع عشرة. وعن بعض الجاحدين لفضيلة أسبقيّة إيمانه عليه السلام أنّه ابن سبع، مع أنّه خلاف متواتر الأخبار.

وما شاع عنه عليه السلام لمّا بلغه طعن أعدائه فيه بعدم سياسته للحرب:

«لقد بلغني أن قوماً يقولون أنّ ابن أبي طالب رجل شجاع، لكن لا بصيرة له

---

(١) التهذيب: ٦/١٩.

(٢) مصباح المتهجّد: ٧٤١، نقلاً عن ابن عيّاش.

(٣) عليّ بن محمّد في كتابه الفصول المهمة: ١٢.

(٤) مسار الشيعة: ٣٥.

(٥) إثبات الوصية: ١٣٤.

(٦) الكافي: ١/٤٥٢.

(٧) إرشاد المفيد ٩. والتهذيب: ٦/١٩.

(٨) أي عمره عليه السلام عند مبعث النبي صلى الله عليه وآله.

بالحرب! لله أبوهم، وهل أحد أبصر بها منّي؟ لقد قمت وما بلغت العشرين[١] وها أنا ذا قد ذرفت على الستّين. ولكن لا رأي لمن لا يطاع»[٢].

وعليه أيضاً يتفرّع الخلاف في سنّه عند وفاته، فالأشهر عندنا أنّه ابن ثلاث وستّين، ثم ابن خمس وستّين، وعند العامّة أقل أو اكثر.[٣]

ولقد تقدم بنا أوّل الكتاب في بحث سر الولادة الشريفة[٤]، رواية وقصة الولادة وما رافقها من أسرار تدل على عظمة الوالدة والمولود لها، وبيّنا خلال البحث بعض الأسرار الولائية التي قد استفدناها من خلال التدقيق في مدلولات حديث الولادة وكيفية انشقاق حائط الكعبة الشريفة، فلا مجال للأعادة هنا إلاّ ما قدمناه من تأريخ ولادته وما قالته الكتب الروائية والتأريخية في ذلك التأريخ الذي هو نور على علم.

❊ ❊ ❊

---

(١) قال العلاّمة التستري في (بهج الصباغة) في شرح نهج البلاغة: ج ٧ ص٢٣٦: روي في غير النهج «ما بلغت الثلاثين». والظاهر صحته، وفأوّل حروبه عليه السلام الرسميّة حرب بدر وكانت في السنة الثانية من الهجرة. وكان عليه السلام وقت البعثة ابن عشر على الأصح، وكان مقام النبي بمكة قبل الهجرة ثلاث عشر سنة.

أقول: فعمره من قبل البعثة عشر سنوات، وبعد البعثة إلى الهجرة كان ثلاث عشر سنة وبعد الهجرة سنتين، فيصير المجموع ٢٥ سنة عند اشتراكه عليه السلام في أول حرب «الشريفي».

(٢) نهج البلاغة: خ ٢٧.

(٣) تواريخ النبي والآل للتستري: ٢٤.

(٤) والمتفق عليه في عصرنا هذا ان ولادته في ثلاثة عشر من رجب الخير كما تقام الاحتفالات الدينية في مولوده الشريف في المجامع والجوامع. «العلوي»

شهادة أمير المؤمنين عليه السلام

فاتّفقوا على أنّه في شهر رمضان. ولا عبر بما نقل الطبري[١] شاذاً أنّه في ربيع الآخر.

وإنّما اختلفوا في ليلة ضربه عليه السلام، وليلة قبضه.

فقال أبو الفرج[٢] في حديث أبي عبد الرحمن السلمي: إنّ ضربه كانت في ليلة السابع عشر، وبه قال المناقب[٣]، ورواه الطبري[٤]، عن الواقدي، وأبي معشر، وهشام الكلبي ونقل عن ابن عباس[٥].

وقال الشيخان[٦]: ضرب في ليلة تسع عشر، وقبض في ليلة الحادي والعشرون، وكذا الرضي[٧] فقال: قبض قتيلاً بالكوفة ليلة الجمعة لتسع ليال بقين من شهر رمضان، سنة أربعين، وله يومئذ ثلاث وستون على الرواية الصحيحة.

ورواه أبو الفرج[٨]، عن أبي مخنف، عن الأسود الكندي، والأحلج، وبه قال في مروج الذهب[٩]، أيضاً، ونقل عن كتاب أسماء حجج الله[١٠].

---

(١) تاريخ الطبري: ١١٠/٤.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٣٣.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب: ٣٠٧/٣، عنه البحار: ١٩٩/٤٢ ح ١.

(٤) تأريخ الطبري: ١٠٩/٤.

(٥) تأريخ الطبري: ١١١/٤.

(٦) إرشاد المفيد: ١٨٥، التهذيب: ١٩/٦.

(٧) خصائص أمير المؤمنين عليه السلام: ٥٤.

(٨) مقاتل الطالبيين: ٣٣.

(٩) مروج الذهب: ٤١١/٢.

(١٠) كتاب أسماء حجج الله: نقل عنه البحار: ٢٠٠/٤٢ ح ٥.

ويحتمله ما رواه الطبري[١] عن عليّ بن محمّد، قال: قتلعليه السلام يوم الجمعة، لإحدى عشرة بقيت من شهر رمضان، بأن يحمل القتل على الضربة.

ويدلّ عليه صحيح محمّد بن مسلم، عن أحدهماعليهما السلام[٢]: وأصيب أمير المؤمنين في ليلة تسع عشرة، وقبض في ليلة إحدى وعشرين.

رواه الكافي[٣] في باب غسل شهر رمضان.

ورواية زرارة، عن أحدهماعليهما السلام، برواية الشيخ[٤]: وليلة إحدى وعشرين فيها رفع عيس بن مريمعليه السلام، وفيها قبض وصيّ موسىعليه السلام، وفيها قبض أمير المؤمنينعليه السلام الخبر.

ورواه الصدوق[٥] بدون ذكر قبضهعليه السلام.

وقال المسعودي في الإثبات[٦]: ضرب لتسع ليال بقين من شهر رمضان، سنة إحد وأربعين، وكذا الكليني[٧] في ظاهره حيث قال: قتلعليه السلام في شهر رمضان، لتسع بقين منه، ليلة الأحد سنة أربعين من الهجرة، وهو ابن ثلاث وستّين...الخ، بأن يحمل القتل إرادة قبضه، فيكون موافقاً للأوّل، ويمكن تعمّد الإجمال لعدم وضوح الامر عنده، وتعارض الخبر فيه. فروى في باب غسل شهر رمضان ما تقدّم.

---

(١) تأريخ الطبري: ٤/١١٠.
(٢) التهذيب: ١/١١٤ ضمن ح ٣٤.
(٣) الكافي: ١/٤٥٢، عنه البحار: ٤٢/٢٠١ ح ٣.
(٤) التهذيب: ١/١١٤ ضمن ح ٣٤، عنه البحار: ٤٢/٢٠١ ح ٥.
(٥) الصدوق في أماليه: ٢٦٢ ضمن ح ٤.
(٦) إثبات الوصية: ١٥١.
(٧) الكافي: ١/٤٥٢.

وروى في باب وصاياهم عليهم السلام[١]: عن أبي عليّ الأشعري، عن محمّد ابن عبدالجبار عن محمّد بن إسماعيل عن الفضل عن صفوان عن عبدالرحمن الحجاج، قال: بعث إليّ أبو الحسن (موسى عليه السلام)[٢] بوصيّة أمير المؤمنين عليه السلام.

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به عليّ بن أبي طالب ـ إلى أن قال ـ حتّى قبض صلوات الله عليه ورحمته في ثلاث ليال من العشر الأواخر ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان، ليلة الجمعة، سنة أربعين من الهجرة....الخ.

ويدلّ عليه أيضا ما رواه الغيبة[٣] عن جابر، عن الباقر عليه السلام، قال: هذه وصيّة أمير المؤمنين عليه السلام ـ إلى أن قال ـ ثمّ لم يزل يقول: لا إله إلاّ الله، حتّى قبض ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان، ليلة الجمعة سنة أربعين من الهجرة، وكان ضرب ليلة إحدى وعشرين في شهر رمضان، ويؤيده خبر[٤] محمّد بن مسلم، عن أحدهما عليهما السلام، قال: الغسل في سبعة عشر موطناً ـ آلى أن قال ـ وليلة إحدى وعشرين، وهي الّتي أصيب فيها سيد أوصياء الأنبياء، وفيها رفع عيسى بن مريم عليه السلام، وقبض موسى عليه السلام. الخبر.

وصحيح الكافي[٥] عن الباقر عليه السلام: لقد قبض في الليلة الّتي قبض فيها وصيّ موسى عليه السلام ـ إلى أن قال ـ والليلة الّتي نزل القرآن.

---

(١) الكافي: ٤٩/٧ ح ٤.

(٢) من الكافي.

(٣) غيبة الطوسي: ١٩٥ دح ١٥٧، عنه البحار: ٢١٢/٤٢ ح ١٢.

(٤) التهذيب: ١١٤/١ ضمن ح ٣٤.

(٥) الكافي: ٤٥٧/١ ح ٨، عنه الوافي: ٧٤٠/٣ ح ٢١.

وما روراه الأمالي[١] بإسناده عن حبيب بن عمرو، في خطبة الحسن عليه السلام، في وفاة أبيه: **أيّها الناس في هذه الليلة نزل القرآن ـ إلى أنّ قال ـ وفي هذه الليلة مات أمير المؤمنين عليه السلام**.

مع دلالة أخبار كثيرة على أنّ ليلة القدر الّتي نزل فيها القرآن ليلة ثلاث وعشرين بالخصوص.

ثم المشهور أربعين، وقال في إثبات الوصية[٢]: سنة إحدى وأربعين كما تقدّم.

وأمّا ما رواه الإكمال[٣] في نص أمير المؤمنين عليه السلام على الإثني عشر في خبر اليهودي معه عليه السلام، عن إبراهيم بن يحيى المدني، عن الصادق، وفيه: **ويحك يا هاروني أنا وصيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، أعيش بعده ثلاثين سنة، لا أزيد يوماً ولا أنقص يوما، ثم ينبعث اشقاها.**

وما رواه هو[٤] والكافي[٥] عن أبي الطفيل عن أمير المؤمنين عليه السلام، وفيه: **يا هاروني يعيش بعده ثلاثين سنة لا يزيد يوماً ولا ينقص يوماً. الخبر.**

ومقتضاهما كون يوم وفاته عليه السلام يوم وفاته صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يقل به أحد فمحمولان على زيادة فقرة لا يزيد...الخ فيهما، لأنّ الخبر روي بطرق أُخر بدونها فالمراد بالثلاثين فيهما الثلاثين العرفي[٦].

---

(١) الامالي للصدوق: ٢٦٢ ح ٤.

(٢) إثبات الوصية: ١٥١.

(٣) إكمال الدين: ١/٢٩٧ ح ٥، عنه البحار: ١٠/٢٣ ح ١٢.

(٤) إكمال الدين تقدّم ذكره.

(٥) الكافي: ١/٤٥٢.

(٦) تواريخ النبي والآل: ٥٣-٥٥.

أبو طالبعليه السلام مؤمن قريش

إن الحديث عن والد الإمام عليّعليه السلام ذو شجون نظراً لكون هذا البحث عن نسب الإمام وأجداده الطاهرين مما يتميز بين الباحثين بالمد والجبر والأطناب والتفصيل، على أن هذه القضية واضحة البيان جلية البرهان خصوصاً لمن دقق النظر في الأحاديث الروائية والشواهد التأريخية، والإستدلالات العقلية. فالإمام عليّعليه السلام أرتبط نسبه الطاهر بأجداد موحدين كانوا على دين الحنيفية الغراء، وهذا أثبته التأريخ، حيث كان في الجزيرة العربية عدد من الموحدين الذين كانوا يعبدون الله على الشريعة الحنيفية والتي وصلت إليهم بقاياها، ولذا كان في خصوص مكّة توجد عدة شعائر إلهية دينية مرتكزة في نفوس هؤلاء الموحدين[١].

فأجداد الإمام عليّعليه السلام كلهم كانوا مؤمنين ولم يشركوا بالله طرفة عين، فإنّ الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة التي حملته وتناقلته هي الأصلاب والأرحام التي حملت رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم وقد طهرّها الباري عزّوجلّ من درن الشرك وأقذار الجاهلية، فهو عليّ ابن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن نضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن أدد بن اليسع بن الهميس بن نبت، بن سلامان بن حمل بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم خليل الله بن تارخ بن تاحور بن شاروع بن أبرغو بن تالغ بن عابر بن شالغ بن ارفخشذ بن سام بن نوح بن ملك بن موشلخ بن أخنوه بن بارد بن مهلائك بن قينان بن أنش بن شيث بن آدم أبي البشرعليهم السلام، هؤلاء كلهم كانوا مؤمنين بالله تعالى، يعبدونه ولا يشركون به شيئاً، فالكلام هنا في والد الإمام عليّعليه السلام المعروف بأبي طالبعليه السلام، ولقد اختلف المؤرخون في إيمان أبي طالبعليه السلام ولكن الذي يحقق في

(١) راجع كتابنا الشعائر من الجاهلية إلى الإسلام تجد بحث وافٍ في المقام ص٦٥.

المطلب يجد إن أبا طالب كان يعد من مؤمنين قريش، بل كان من الموحدين، وكل ما صدر خلال ذلك فهو تابع من عداء أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ومناوئيه من الخوارج والنواصب آرادوا بذلك الحط من شخصيّة الإمام عليه السلام، وضع مقامه دون ما وضعه الله تعالى فيه من الشأن الرفيع والمقام السامي في الولايّة العلويّة العظمى.

وبما أن المقام لا يسع للبحث التفصيلي حول حياة والد الإمام عليّ عليه السلام، فنختصر الأدلة التي تثبت إيمان أبي طالب عليه السلام والتي منها:

١ ـ لما ثبت بالأدلة الموكولة في محلها، والتي أساسها استظهار الروايات والآيات الدالة على أثبات أن آباء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأجداده كانوا موحدين لله سبحانه ومؤمنين به عزّوجلّ، ثبت هذا الأمر لعلي بن أبي طالب عليه السلام أيضاً، لأنهما صلوات الله عليهما وآلهما من شجرة واحدة ونور واحد، كما تواتر عن طرق الخاصة والعامّة على أن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«أنا وعليّ من شجرة واحدة وسائر الناس من شجر شتى».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «خلقت أنا وعلي من نور واحد».

وقد أشار المرحوم الشيخ عليّ الشفهيني الحلي وهو من أعلام القرن السادس الهجري في قصيدة بليغة إلى هذا المطلب حيث قال:

خلقا وما خُلق الوجود كلاهما	نوران من نور العليّ تفضلّا
في علمه المخزون مجتمعان لن	يتفرقا أبداً ولن يتحولّا
وتقلبا في الساجدين وأودعا	في أظهر الأرحام ثم تنقلا
حتى استقرَّ النور نوراً واحداً	في شيبة الحمد بن هاشم يُجتلى
قسماً لحكم ارتضاه فكان ذا	نِعْمَ الوصي وذاك أشرف مرسَلا
فعليٌّ نفس محمّد ووصيّه	وأمينه وسواه مأمون فلا

٢ـ الدليل الثاني قول الرسول الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال: **«أنا كافل اليتيم كهاتين في الجنّة»**[١]، وأشار بسبابته والوسطى منضمين مرفوعيّن.

حيث قصد بحديثه الشريف جدّه عبدالمطلب، وعمَّه أبا طالب اللذين قاما بأمره، وتكفلاه، وربيّاه صغيراً، حتى أنه صلوات الله عليه كان يعرف في مكّة بـيتيم أبـي طالب، حيث كفلهُ وكان في الثامن من عمره الشريف.

٣ـ ورد في حديث عن الرسول الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم أنـه قـال فـي حـديث قدسيّ: **«نزل عليّ جبرئيل فقال: إنَّ الله يقرئك السلام ويقول: إني حرمت النار على صلبٍ أنزلك وبطن حملكَ وحجر كفلك»**.

فبدلالة الحديث التي تبين إن الحجر الذي كفل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم محرمة عليه النار، يدل على كون عمه في الجنّة وهو من المؤمنين.

ويعاضد ويماثل هذا الحديث حديثٌ أسنده ـ إلى أمير المـؤمنين عـليّ عليه السلام ـ ورواه ابن أبي الحديد في شرحه[٢] حيث قال:

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **قال: قال لي جبرئيل: إنّ الله مشفعك في ستة، بطنٍ حملتك: آمنة بنت وهب، وصلب أنزلك: عبدالله بن عـبد المطلب، وحجر كفلك: أبي طالب، وبيت آواك: عبد المطلب: وأخٍ كـان لك فـي الجاهلية ـ قيل: يا رسول الله وما كان فعله؟**

قال: كان شيخاً يطعم الطعام، ويجود بالنوال وثدي أرضعتك: حليمة السعدية بنت أبي ذؤيب.

* وروى صاحب النهج أيضاً: عن الإمام محمّد بن عليّ البـاقر عليه السلام قـال: لو

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١٤/٦٩.

(٢) شرح النهج: ١٤/٦٧.

وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان، وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه.

ثم قال: ألم تعلموا أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام كان يأمر أن يحج عن عبدالله ـ والد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ وعن أبيه أبي طالب في حياته، ثم أوصى في وصيته بالحج عنهم[١].

* وقد روي عن أبي عبدالله جعفر بن محمّد عليهما السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

إن أصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الكفر، فآتاهم الله أجرهم مرّتين، وإن أبا طالب أسر الإيمان وأظهر الشرك، وأتاه الله أجره مرتين[٢].

٤ ـ ويدل على كون والد الإمام عليّ عليه السلام هو من المؤمنين الموحدين هو ما روي عن عليّ بن الحسين عليهما السلام حيث سئل عن إيمان أبي طالب ـ فقال: «واعجباً! إن الله تعالى نهى رسوله أن يقرّ مسلمة على نكاح كافر، وقد كانت فاطمة بنت أسد من السابقات إلى الإسلام، ولم تزل تحت أبي طالب حتى مات»[٣]، أي إذا كان أبو طالب غير مؤمن لفرقّ رسول الله بينه وبين زوجته فاطمة بنت أسد حينما أسلمت.

٥ ـ ويدل على إيمان أبي طالب عليه السلام هو جملة من أشعاره التي رواها المؤالف والمخالف، فأنها تشكل عنصراً مهماً في أثبات إيمانه وتوحيده لله تعالى، واشهر هذه الأشعار هو قصيدته اللامية المشهورة حيث تدل دلالة قطعية على كونه مؤمناً بالله تعالى، وذلك من خلال استظهار معانيها ومفاهيمها وإليك القصيدة:

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١٤/ ٦٨.
(٢) شرح النهج البلاغة: ١٤/ ٧٠.
(٣) شرح نهج البلاغة: ١٤/ ٦٩.

اعوذ برب البيت من كل طاعن عـلينا بسوء أو يـلوح بباطل
ومن فاجر يـغتابُنا بـمغيبة ومن ملحق في الدين ما لم نحاول
كذبتم وبيت الله نبزي محمّداً ولما نطاعن دونه ونناضل
ونـنصره حـتى نـصّرع دونه ونذهل عن أبنائنا والحلائل
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهُلاّك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل
لعمري لقد كلفت وجداً بأحمد وأحببته حبّ الحبيب والمواصل
وجُدتُ بنفسي دونه فحميته ودافعت عنه بالذرى والكواهل
فلا زال للدنيا جمالاً لأهلها وشيناً لمن عادى وزين المحافل
وأيـده ربّ العباد بنصره وأظهر ديناً حقه غير باطل

وفي شعر آخر يقول عليه السلام:

يا شاهد الله علي فأشهد أنّي على دين أحمد
من ظلّ في الدين فإني مهتد[1]

٦ ـ مواقف أبي طالب عليه السلام من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أدل دليل على إيمانه بالرسالة المحمّدية، فلو كان مشركاً كما يدعيه البعض من المخالفين، لوقف ضد الرسالة ومن حين أبلغ بها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، أضف إلى ذلك أنّه أمر ولده جعفر وعلياً عليهما السلام بأن ينصرا الرسول الأعظم، وفي ذلك كله شواهد ودلائل على إيمانه وتفانيه في خدمة الإسلام.

ولو كان أبو طالب غير مؤمن لكان المفروض ان يقف مع قريش ضد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كما وقف آزر عم إبراهيم الخليل عليه السلام حينما سمع كلاماً من الخليل

(١) شرح النهج: ١٤/٧٠ ـ ٧٥.

يخالف دينه ودين قومه حيث هدده بالهجر، كما حكى ذلك الله تعالى في قوله: **﴿إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً﴾ ﴿قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني ملياً﴾**[1].

ولكن في مؤمن قريش أبي طالب عليه السلام يختلف الأمر، فحينما سمع ابن أخيه يقول: إن الله أنبأني واستنبأني، وأمرني بإظهار أمري فما عندك يا عم؟

قال له: أُخرج يا بن أخي! فإنّك الرفيع كعباً والمنيع حزباً والأعلى أباً، والله لا يسلقك لسان إلّا سلقته ألسن حداد واجتذبته سيوفٌ حداد، والله لنذللن لك العرب ذل إلبهم لحضنها.

ثم انشأ قائلاً:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم	حتى أُوسدَّ في التراب دفينا
فانفذ لأمرك ما عليك معافةً	وأبشر وقر بذاك منه عيونا
ودعوتني وزعمت أنك ناصحي	ولقد صدقت وكنت قبلُ أمينا
وعرضت ديناً قد علمتُ بأنّه	من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذاري سبّة	لوجدتني سمعاً بذاك مبينا[2]

وتوجد شواهد أخرى تدل على إيمان أبي طالب عليه السلام منها:

* غسله وتكفينه وموارت جسده الطاهر من قبل الإمام عليّ عليه السلام وبأمر من الرسول الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، فلو كان غير مسلم كيف يأمر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الإمام عليّ عليه السلام بذلك؟

* في قول أبي طالب لأبنه جعفر عليه السلام حينما دخلا المسجد الحرام فرأى

---

(١) مريم: ٤٣.

(٢) تذكرة الخواص: ١٨، شرح النهج: ١٤/٥٥.

الرسول يصلي وعليّ عليه السلام على يمينه يصلي معه، فقال أبو طالب. لجعفر: صلّ جناح ابن عمك! فتقدّم جعفر فوقف على يسار النبيّ يصلّي معه ويقلده في الركوع والسجود، فأنشد أبو طالب قائلاً:

إنّ علياً وجعفراً ثقتي ... عند مُلم الزمان والنوُّب
- لا تخذلا وانصرا ابن عمكما ... أخي لإمي من بينهم وأبي
والله لا أخذل النبيّ ولا ... يخذله من بني ذو حسب[1]

أم أمير المؤمنين عليه السلام

وهي فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب[2]، وهي جليلة القدر، عالية المقام، يكفي في فخرها وعلّو شأنها، ما أحدث لها الباري عز وجل عند وقوفها أمام الكعبة المشرفة وتوسلها إلى الله تعالى بالأنبياء والمرسلين لتسهيل حملها من كرامة عالية ومنقبة شريفة لم يسبقها بذلك قبلها ولا بعدها أي أُنثى، وكأنها الموعودة بهذه المنزلة الربانية التي خصت بها من دون نساء العالمين، حيث وضعت سر الله في العالمين وحجة الله الكبرى عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

الذي هو أول هاشمي أما وأباً، وأمه أول إمراة هاجرت على قدميها، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[3] يدعوها أمّه، وأعطاها قميصها لكفنها، وحمل جنازتها، واضطجع في قبرها، وقال على قبرها: اللهم إني استودعك إياها.

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٧٩/١٤.

(٢) التهذيب: ١٩/٦، مقاتل الطالبيين: ٧، الطبقات الكبرى ١٦١/٨، عن شرح نهج البلاغة: ٤٠٧/٣.

(٣) بصائر الدرجات: ٢٨٧ ح ٩، عنه البحار: ٨/٣٥ح ٢٣، امالي الصدوق: ١٨٩ ح ٥.

ويكفي في جلالة قدرها وعلو منزلتها عند الله تعالى وعند الرسول الأعظم محمّدصلى الله عليه وآله وسلم هو ما رواه عبد الله بن عبّاس قال:

«أقبل عليّ بن أبي طالبعليه السلام ذات يوم إلى النبيصلى الله عليه وآله وسلم باكياً وهو يقول إنا لله وإنّا إليه راجعون، فقال له رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم : «ما يا عليّ؟» فقال عليّ: يا رسول الله ماتت أمّي فاطمة بنت أسد، قال: فبكى النبيصلى الله عليه وآله وسلم ثم قال: «رحم الله أُمك يا عليّ، أما إنها ان كانت لك أمّاً فقد كانت لي أُمّاً، خذ عمامتي هذه وخذ ثوبي هذين فكفنهما فيهما ومر النساء فليحسن غسلها، ولا تخرجها حتى أجيء فإلي أمرها».

قال: وأقبل النبيصلى الله عليه وآله وسلم بعد ساعة وأخرجت فاطمة أمّ عليّعليه السلام فصلى عليها النبيصلى الله عليه وآله وسلم صلاة لم يصل على أحد قبلها مثل تلك الصلاة، ثمّ كبر عليها أربعين تكبيرة ثمّ دخل إلى القبر فتمدد فيه، فلم يسمع له أنين ولا حركة، ثمّ قال: «ياادخل ياحسن ادخل» فدخلا القبر، فلمّا فرغ مما احتاج إليه قال له: «يا عليّ اخرج يا حسن اخرج» فخرجا ثم زحف النبيصلى الله عليه وآله وسلم حتّى صار عند رأسها، ثم قال: «يا فاطمة أنا محمّد سيد ولد آدم ولا فخر، فإن أتاك منكر ونكير فسألاك من ربك؟ فقولي: الله ربي ومحمّد نبيّ، والإسلام ديني، والقرآن كتابي وابني إمامي ووليّ»، ثم قال: «اللهم ثبت فاطمة بالقول الثابت»، ثم خرج من قبرها وحثا عليها حثيات، ثم ضرب بيده اليمنى على اليسرى فنفضهما، ثم قال:«والذي نفس محمّد بيده لقد سمعت فاطمة تصفيق يميني على شمالي».

فقام إليه عمار بن ياسر فقال: فداك أبي وأُمي يا رسول الله لقد صليت عليها صلاة لم تصل على أحد قبلها مثل تلك الصلاة، فقال: «يا أبا اليقضان وأهل ذلك هي مني. لقد كان لها من ابي طالب ولد كثير ولقد كانا خيرهم كثيراً وكان خيرنا قليلاً، فكانت تشبعني وتجيعهم، وتكسوني وتعريهم، وتدهنني وتشعثهم»، قال: فلم كَبرت عليها أربعين تكبيرة يا رسول الله؟ قال: «نعم يا عمار التفت عن يميني

فنظرت إلى أربعين صفاً من الملائكة فكبرت لكل صف تكبيرة» قال: فتمدّدك في القبر ولم يسمع لك أنين ولا حركة؟ قال: «إنّ الناس يحشرون يوم القيامة عراة ولم أزل أطلب إلى ربي عز وجل أن يبعثها ستيرة، والذي نفس محمّد بيده ما خرجت من قبرها حتى رأيت مصباحين من نور عند رأسها، ومصباحين من نور عند يديها، ومصباحين من نور عند رجليها، وملكيها الموكّلين بقبرها، يستغفران لها إلى أن تقوم الساعة»[1].

أولاد أمير المؤمنين عليه السلام

قال المفيد[2]: سبعة وعشرون ذكراً وأنثى: الحسن، والحسين، وزينب الكبرى، وزينب الصغرى المكنّاة بأمّ كلثوم، أُمهم فاطمة البتول عليهم السلام.

ومحمد المكنّى بأبي القاسم أمّه خولة، وعمر ورقية توأمين أُمهماأم حبيب عليهم السلام.

والعبّاس، وجعفر، وعثمان، وعبدالله، الشهداء بالطف، من أمّ البنين عليهم السلام.

ومحمّد الأصغر المكنى بأبي بكر، وعبيد الله الشهيدين بالطف، أمّهما ليلى عليهم السلام.

ويحيى وأمّه أسماء عليها السلام.

وأمّ الحسن ورملة، أمّهما أمّ سعيد عليهما السلام.

ونفيسة، وزينب الصغرى، ورقيّة الصغرى، وأمّ هاني، وأُم الكرام، وجمانة المكنّاة بأُمّ جعفر، وأُمامة، وأمّ سلمة، وميمونة، وخديجة، وفاطمة لامّهات شتّى عليهم السلام.

ومثله مصعب الزبيري في أنسابه[3]إلاّ إنّه قال: (ومحمّد الأصغر درج من أمّ ولد).

---

(١) أمالي الصدوق: ١٨٩ و ١٩٠، روضة الواعظين: ١٢٣ بأختلاف بسيط.

(٢) ارشاد المفيد: ٢٠٤، عنه البحار: ٤٢/٨٩ ح ١٨.

(٣) نسب قريش: ٤٤.

والمفيد[١] جعله من أُمّ عبيد الله كما عرفت، وقال بقتل عبيد الله في مقدمة مصعب وبدّل ام الحسن بأُمّ الحسين، وقال: نفيسة هي أُمّ كلثوم الصغرى كانت عند عبد الله بن عقيل الأكبر، وأُمّ الحسين عند جعدة بن هبيرة ـ ابن اخته عليه السلام ـ

قال المفيد[٢]: وفي الشيعة من ذكر محسناً فيصيرون ثمانية وعشرين انتهى.

قلت: ذكر المحسن من العامّة أيضاً ابن بكار[٣]، ومحمّد بن إسحاق[٤]، وابن قتيبة[٥].

وروايات الشيعة به مستفيضة وهو الذي سقط بين الباب والجدار من سيدة النساء فاطمة الزهراء عندما رفس الثاني الفظ الغليظ القلب الباب برجله، وقد ورد الحثّ على التسمية قبل الولادة كما سمّى النبي صلى الله عليه وآله وسلم محسناً، وقوله بشهادة عبيد الله يوم الطف وهم سبقه إليه هشام الكلبي ويحيى بن الحسن العلوي.

وإنّما قتل عبيد الله يوم المذار في أصحاب مصعب قتله أصحاب المختار.

ودلّ عليه الأخبار. وقد نبّه على كونه وهماً الواقدي، وأبو الفرج[٦] والطبري[٧] وأبو حنيفة الدينوري[٨] وابن قتيبة الدينوري[٩].

---

(١) إرشاد المفيد: ٢٠٤.

(٢) إرشاد المفيد: ٢٠٥.

(٣) نسب قريش: ٤٤.

(٤) السيرة لمحمّد بن إسحاق: ٢٤٧.

(٥) المعارف: ٢١٠-٢١١.

(٦) مقاتل الطالبيين: ٨٧.

(٧) تاريخ الطبري: ١١٨/٤.

(٨) أخبار الطوال: ٣٠٦.

(٩) المعارف: ٣٥٦.

ثمّ أنّه جعل أبا بكر ومحمّد الأصغر واحداً، وهشام قال: بأن محمّد الأصغر من أسماء.

هذا[١] وروي في كتاب المعروف بدلائل الطبري[٢] في عنوان (أخبار في مناقبها) عن سكينة وزينب ابنتي عليّ عليه السلام، عنه عليه السلام، قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: **فاطمة خلقت حورية في صورة إنسيّة وإنّ بنات الأنبياء لا يحضن.**

ولم أقف على من ذكر سكينة في بناته عليه السلام. وكيف كان فعدّ ابن قتيبة[٣] في بناته عليه السلام أمّ أبيها وأُمّ كلثوم الصغرى أيضاً.

هذا وقال المفيد[٤] أمّ كلثوم من سيّدة النساء، هي زينب الصغرى ولم أقف على مَنْ ذكر لأم كلثوم منها عليها السلام إسماً، وإنّما قال مصعب الزبيري[٥]، وابن قتيبة[٦]: هي أمّ كلثوم الكبرى، وجعلهما أبو الفرج[٧] والطبري[٨] اثنين من أُمين، وقالا: أبو بكر من ليلى، ومحمّد من أمّ ولد.

وزاد الأول: أنّ أبا بكر لم يعرف اسمه.

وقال الثاني: شكّ في قتل أبي بكر بالطف.

وقال الأوّل: وروى أنّ قاتله رجل من تميم، وجعل جمانة وأمّ جعفر واحدة

---

(١) تواريخ النبي والآل: ١١٦.

(٢) دلائل الطبري: ١٤٦ ح ٥٢.

(٣) المعارف: ٢١١.

(٤) إرشاد المفيد: ٢٠٥.

(٥) نسب قريش: ٤١.

(٦) المعارف:٢١.

(٧) مقاتل الطالبيين: ٨٥ و ٨٦.

(٨) تأريخ الطبري: ١١٨/٤.

والطبري[١] عدّهما اثنتين وزاد في البنات رملة الصغرى.

وقال: بأنّ إسم أُمّها لم يعلم كباقي البنات غير أُمّ الحسن ورملة الكبرى من أُمّ سعيد بنت عروة.

كما أنّ المفيد[٢] جعل الأبناء أحد عشر. والطبري[٣] أربعة عشر، وزاد محمّد الأوسط من أُمامة، ونقل عن الواقدي عوناً من أسماء هذا.

وقال أبو الفرج[٤] وذكر محمّد بن عليّ بن حمزة أنّه قتل يومئذ إبراهيم بن عليّ بن أبي طالب وأُمّه أُمّ ولد.

قال أبو الفرج[٥]: وما سمعت بهذا عن غيره، ولا رأيت لإبراهيم في شيء من كتب الأنساب ذكراً.

قلت: وقفت على ذكر إبراهيم بن عليّ في مقتولي الطف أيضاً في خلفاء إبن قتيبة[٦].

هذا وروى الكليني[٧] مسنداً عن أبي الجارود، عن الباقرعليه السلام، في خبر طويل ثمّ أنّ علياًعليه السلام حضره الّذي حضره، فدعا ولده، وكانوا اثني عشر ذكراً، وسيأتي خبر آخر.

وكلام المسعودي[٨] في فصل له أنّهم كانوا اثني عشر، فما زاد في الناسخ من

---

(١) تأريخ الطبري: ٤/١١٩.

(٢) إرشاد المفيد: ٢٠٤.

(٣) تأريخ الطبري: ٤/١١٨ و ١١٩.

(٤) مقاتل الطالبيين: ٨٧.

(٥) مقاتل الطالبيين: ٨٧.

(٦) الإمامة والسياسة (الخلفاء لابن قتيبة): ٢/٧.

(٧) الكافي: بل في الخرائج والجرائح: ١/١٨٣ ح ١٧، عنه البحار: ٤١/٢٩٥ ح ٩، و ج ٤٢/٨٧ ح ١٥.

(٨) مروج الذهب: ٢/٤١٣.

عثمان الأصغر، وجعفر الأصغر، وعبّاس الأصغر، وعمر الأصغر، بلا اعتبار.

وقال في الناسخ أيضاً وإسم أُمّ هاني فاخته، قلت: لم أقف على ذكر أحد إنّما لأمّ هاني بنته عليه السلام وإنّما قالوا: في أُمّ هاني اخته عليه السلام ذلك.

هذا وقد قالوا: إنّه عليه السلام أعقب من بنيه من خمسة: الحسن والحسين عليهما السلام وابن الحنفيّة، والعباس، وعمر.

هذا وفي نسب قريش مصعب الزبيري[1] زوّج عليّ بنته زينب الكبرى من عبد الله بن جعفر، فولدت له: علياً، وأُمّ كلثوم، وجعفر الأكبر، وعوناً الأكبر، وأُمّ عبد الله.

وقال: إنقرض جعفر وعون، أمّ عبد الله لم تتزوّج، وتزوجت أُمّ كلثوم القاسم بن محمّد بن جعفر، زوجها أياه الحسين عليه السلام، وكان معاوية أرادها ليزيد.

ولم يذكر هو والطبري[2] في مقتولي الطف إبناً لها.

وإنّما ذكر أبو الفرج في مقاتله[3] أنّ عوناً من زينب العقيلة قتل بالطف وقال أيضاً مصعب الزبيري[4]: ولدت أُمّ كلثوم لعمر: زيداً، ورقيّة، فتزوّجها بعد عمر محمّد بن جعفر، فمات عنها فتزوّجها عون بن جعفر فمات، فتزوجها عبد الله بن جعفر فمات عنها،...الخ.

ومثله ابن قتيبة[5] إلاّ أنّه قال: ماتت عند عون بن جعفر بعد محمّد بن جعفر، وتزوّج عمر بها، وإن دلّت عليه أخبار العامّة والخاصّة إلاّ أنّه كان جبراً[6].

---

(١) نسب قريش: ٨٣.

(٢) تأريخ الطبري: ٤/١١٩.

(٣) مقاتل الطالبيين: ١٢٤.

(٤) نسب قريش: ٢٥.

(٥) المعارف: ٢٠٧.

(٦) نقلا عن تواريخ النبي والآل: ١١٤-١١٨.

نبذة في مدح بعض ولد أمير المؤمنين عليه السلام

اولهم سيدنا ابو الفضل العباس وإخوانه المقتولون بطفّ كربلاء مع سيد الشهداء الحسين بن علي عليهما السلام.

قال أبو الفرج[١]: كان العبّاس رجلاً وسيماً، يركب الفرس المطهّم، ورجلاه تخطّان الأرض، وكان يقال له: قمر بني هاشم.

وروى عن الصادق عليه السلام[٢]: أنّ زيد بن رقاد الجهني، وحكيم بن طفيل قتلاه؛قال: وفيه يقول الكميت:

وأبو الفضل أنّ ذكرهم حلو   شفاء نفوس من أسقام
قتل الأدعياء إذ قتلوه   أكرم الشاربين صوب الغمام

وروى الصدوق[٣] عن السجاد عليه السلام، قال: رحم الله عمي العبّاس، فلقد آثر وأبلى، وفدى أخاه بنفسه، حتى قطعت يداه فأبدله الله عزّ وجلّ بهما جناحان يطير بهما مع الملائكة في الجنّة، كما جعل لجعفر بن أبي طالب عليهما السلام.

وإنّ للعبّاس عليه السلام عند الله تبارك وتعالى منزلة، يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة.

وروى أبو الفرج[٤] عن الباقر عليه السلام: **إنّ جعفر بن عليّ عليه السلام قتله خولي بن يزيد وروي عن الضحاك[٥] إنّ هاني الحضرمي قتل عبد الله.**

---

(١) مقاتل الطالبين: ٨٤.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٤٨ و ٨٥

(٣) الخصال: ١/٦٨ ح ١٠١، وأمالي الصدوق: ٣٧٣ ح ١٠، والبحار: ٢٢/٢٧٤ ح ٢١، و ج ٤٤/٢٩٨ ح ٤.

(٤) مقاتل الطالبيين: ٨٢-٨٧.

(٥) مقاتل الطالبيين: ٨٢-٨٧.

وعن عليّ بن إبراهيم[١] أنّه قتل وهو ابن خمس وعشرين سنة.

وعن أمير المؤمنين[٢] أنّه سمى عثمان إبنه باسم أخيه عثمان بن مظعون.

وعن الضحاك[٣] إنّ خولياً رماه ورجلاً دارمياً أخذ رأسه.

وعن عليّ بن ابراهيم[٤] إنّه كان ابن سبع عشرة سنة.

ومنهم أبو بكر بن عليّ.

وروى عن الصادق عليه السلام[٥] أن رجلاً من همدان قتله.

ومحمّد الأصغر بناء على قول أبي الفرج[٦] من كونه غير أبا بكر كما تقدّم.

وروي عن المدائني[٧] أنّ أبان بن دارم قتله، ومن غير المقتولين محمّد الأكبر ابن الحنفية، فقد أقرّ للسجاد عليه السلام بالإمامة لمّا حاكمه إلى الحجر، وغمضه الباقر عليه السلام، وغسله ودفنه.

وروى ابن أبي الحديد[٢] بإسناده، قال: خطب ابن الزبير، فنال من عليّ عليه السلام، فبلغ ذلك محمّد بن الحنفية، فجاء إليه وهو يخطب، فوضع له كرسي، فقطع عليه خطبته.

وقال: يا معشر العرب شاهت الوجوه، أينتقص عليّ عليه السلام وأنتم حضور؟! إنّ علياً عليه السلام كان يد الله على أعدائه، وصاعقة من الله أرسله على الكافرين به والجاحدين بحقّه، فقتلهم بكفرهم فشنئوه وابغضوه، وأضمروا له الشنف والحسد.

وابن عمّه صلى الله عليه وآله وسلم بعد حيّ لم يمت، فلمّا نقله الله إلى جواره، وأحبّ له ما عنده؛ أظهرت له رجال أحقادها، وشفت أضغانها، فمنهم من ابتز حقّه....الخ.

وروى الكافي[٣] خبراً في منع عائشة دفن الحسن عليه السلام، وفيه: ثمّ تكلّم محمّد بن الحنفية رحمه الله وقال: يا عائشة يوماً على بغل، ويوماً على جمل، فما تملكين نفسك،

(١ ـ ٧) مقاتل الطالبيين: ٨٢ – ٨٧.

(٢) شرح النهج: ٨٢/٤.

(٣) الكافي: ٣٠٣/١.

ولا تملكين الأرض عداوة لبني هاشم.

قال: فأقبلت عليه وقالت: يا ابن الحنفية هؤلاء الفواطم يتكلمون فما كلامك؟

فقال لها الحسينعليه السلام: وأنت تبعدين محمّداً من الفواطم ـ فوالله ـ لقد ولدته ثلاث فواطم: فاطمة بنت عمران بن عائذ بن عمرو بن مخزوم؛ وفاطمة بنت أسد بن هشام.

وفاطمة بنت زائدة بن الأصم...الخ

وعد المناقب[١] من رجال السّجاد إبناه إبراهيم والحسن.

وفي ولّد العباس جمع ممدوحون.

فمنهم إبنه عبيد الله، فعن الزبير بن بكار[٢] أنّه كان من العلماء، وعبيد الله بن عليّ بن إبراهيم بن الحسن بن عبد الله بن العباس، أبو عليّ، فعن ابن الجوزي[٣] أنّه كان عالماً فاضلاً جواداً طاف الدنيا، وجمع كتباً تسمّى الجعفرية، فيها فقه أهل البيتعليهم السلام، قدم بغداد فأقام بها وحدثّ، ثمّ سافر إلى مصر، فتوفي بها سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة.

وقال الخطيب[٤]: وكان يمتنع من التحديث، ثمّ حدّث وكتبت عنه عن البغداديين.

وكانت عنده كتب تسمى الجعفرية فيها فقه على مذهب الشيعة....الخ

والعبّاس بن الحسن بن عبيد الله بن العبّاس.

فعن الخطيب[٥]: كان فاضلاً شاعراً فصيحاً وله أخوة علماء فضلاء: محمّد، وعبيد الله، والفضل، وحمزة....الخ.

---

(١) المناقب: ٤/١٧٦.

(٢) نسب قريش: ٧٩.

(٣) تذكرة الخواص: ٥٥، عنه البحار: ٤٢/٧٥ح ٢.

(٤) تأريخ بغداد: ١٠/٣٤٦.

(٥) تأريخ بغداد: ١٢/١٢٦.

وعليّ بن حمزة بن الحسن بن عبيد الله بن العبّاس وثّقه النجاشي[١] وقال: روى نسخة عن الكاظمعليه السلام، وابنه محمّد بن عليّ بن حمزة، قال النجاشي[٢] أيضاً: إنّه ثقة عين في الحديث صحيح الإعتقاد له رواية عن أبي الحسن وأبي محمّدعليه السلام.

وأيضاً له مكاتبة.

قلت: وتقدم أيضاً قول النجاشي في داره حصلت أمّ الصاحبعليه السلام، بعد وفاة أبيه.

قلت: وله كتاب مقاتل الطالبيين وعلى حذوه جرى أبو الفرج[٣] في مقاتله، ومنه أخذ.

وروى عن الفضل بن شاذان وابن ابنه حمزة بن القاسم بن عليّ بن حمزة.

قال النجاشي[٤]: ثقة جليل القدر، من أصحابنا كثير الحديث، له كتاب، من روى عن جعفر بن محمّدعليه السلام من الرجال وهو كتاب حسن.

وعليّ بن الحسين بن عليّ بن حمزة، روى أبو الفرج[٥] عنه، عن عمه محمّد بن عليّ بن حمزة.

وروى النعماني[٦] في غيبته عن البندنجي، عن عبيد الله بن موسى العلوي العبّاس، والظاهر إماميته، وفيهم جمع مجهولون، منهم طاهر بن محمّد بن حمزة.

ذكر أبو الفرج[٧] خروجه في أيام المهتدي مع عليّ بن زيد إلى الناجم بالبصرة.

ومحمّد بن عبد الله بن محمّد بن القاسم بن حمزة[٨] قال: في أيّام المعتضد أنّه

---

(١) رجال النجاشي: ٢٧٢ ح ٧١٤.

(٢) رجال النجاشي: ٣٤٧ ح ٩٣٨.

(٣) مقاتل الطالبيين: ٢٢٨.

(٤) رجال النجاشي: ١٤٠ ح ٣٦٤.

(٥) مقاتل الطالبيين: ١٣.

(٦) غيبة النعماني: ٥٢ ح ٣ و ٥٣ ح ٤ و ٥٤ ح ٥ و ٧.

(٧) مقاتل الطالبيين: ٦٧٦.

(٨) مقاتل الطالبيين: ٦٩٤.

أُخذ في أيّام عليّ بن محمّد صاحب البصرة، فحبس ومات في خلافته.

ومحمد بن حمزة بن عبيد الله بن العبّاس بن عبيد الله بن العبّاس[١] ذكره في أيّام المكتفي.

وقال: استغوي طغج جماعة من الرجالة فكبسوه وهو في بستان له، فقطّعوه بالسكاكين.

ونقل عن محمّد بن عليّ بن حمزة[٢] فيمن قتل ولم يذكر تأريخه داود بن عبد الله بن عبيد الله بن الحسن بن عبيد الله بن العباس قتل إدريس ابن موسى بن عبدالله بن موسى بنسع[٣][٤].

أزواج أمير المؤمنين عليه السلام

بعد الصديّقة فاطمة الزهراء عليها السلام فأُمامة بنت أبي العاص، من زينب بنت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، ومجناة بنت أمرء القيس، وخولة بنت جعفر بن قيس الحنفيّة، وقيل: بل بنت أياس بن جعفر الحنفيّة، ثمّ قيل، كانت أمه لبني حنفية لا منهم.

والصحيح أنّها كانت منهم، إلاّ أنّه قال المدائني[٥]: إنّ زبيد سبتها من بني حنيفة، ثمّ ارتدت زبيد مع عمرو بن معد يكرب باليمن.

فبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمير المؤمنين عليه السلام فأصابها، فصارت في سهمه عليه السلام.

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٧٠٠.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٧١٢.

(٣) نسع: وهو موضع حماه رسول الله صلى الله عليه وآله وهو صدر وادي العقيق بالمدينة وفي المقاتل: ينبع: موضع بين مكة والمدينة.

(٤) تواريخ النبي والآل: ١٤٠.

(٥) البلاذري في أنساب الاشراف: ٣/٢٧١، وشرح نهج البلاغة: ١/٢٤٤، عنهما البحار: ٤٢/٩٩.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم لهعليه السلام: إن ولدت منك غلاماً فسميه بأسمي وكنيه بكنيتي، وقال البلاذري: إن بني أسد غارت على بني حنيفة في خلافة أبي بكر، فسبوها بنو حنيفة في أيّام أبي بكر.

فصارت من سهمهعليه السلام في المغنم، وأمّ حبيب بنت ربيعة، وأُمّ البنين بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد كما صرّح به الطبري في تأريخه[١]، والزبيري في نسبه، وأبو الفرج في مقاتله[٢]، والشيخ في رجاله[٣].

ووهم المفيد[٤]، فقال: بنت حزام بن خالد بن دارم.

وليلى بنت مسعود الدارمية وفي كتاب ناصر خسرو المترجم بسفرنامه.

في البصرة ثلاثة عشر مشهداً بإسم أمير المؤمنينعليه السلام، منها مشهد بني مازن وهذا المشهد بيت ليلى بنت مسعود النهشلي، تزوجهاعليه السلام لمّا جاء إلى البصرة، وأقامعليه السلام في بيتها اثنين وسبعين يوماً، ثمّ شخص إلى الكوفة.

وفي نسب قريش مصعب بن الزبيري[٥] خلّف على ليلى بنت مسعود بعدهعليه السلام عبدالله بن جعفر، وأسماء بنت عميس، أم سعد بنت عروة ابن مسعود الثقفي.

هذا وكما كان من خصائصهعليه السلام تولده بالكعبة كذلك تزوّجه بالصّديقة من الله تعالى.

* * *

---

(١) تاريخ الطبري: ١١٨.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٨١ وذكر فيه (الوحيل) بدل (الوحيد).

(٣) رجال الطوسي: ٧٦.

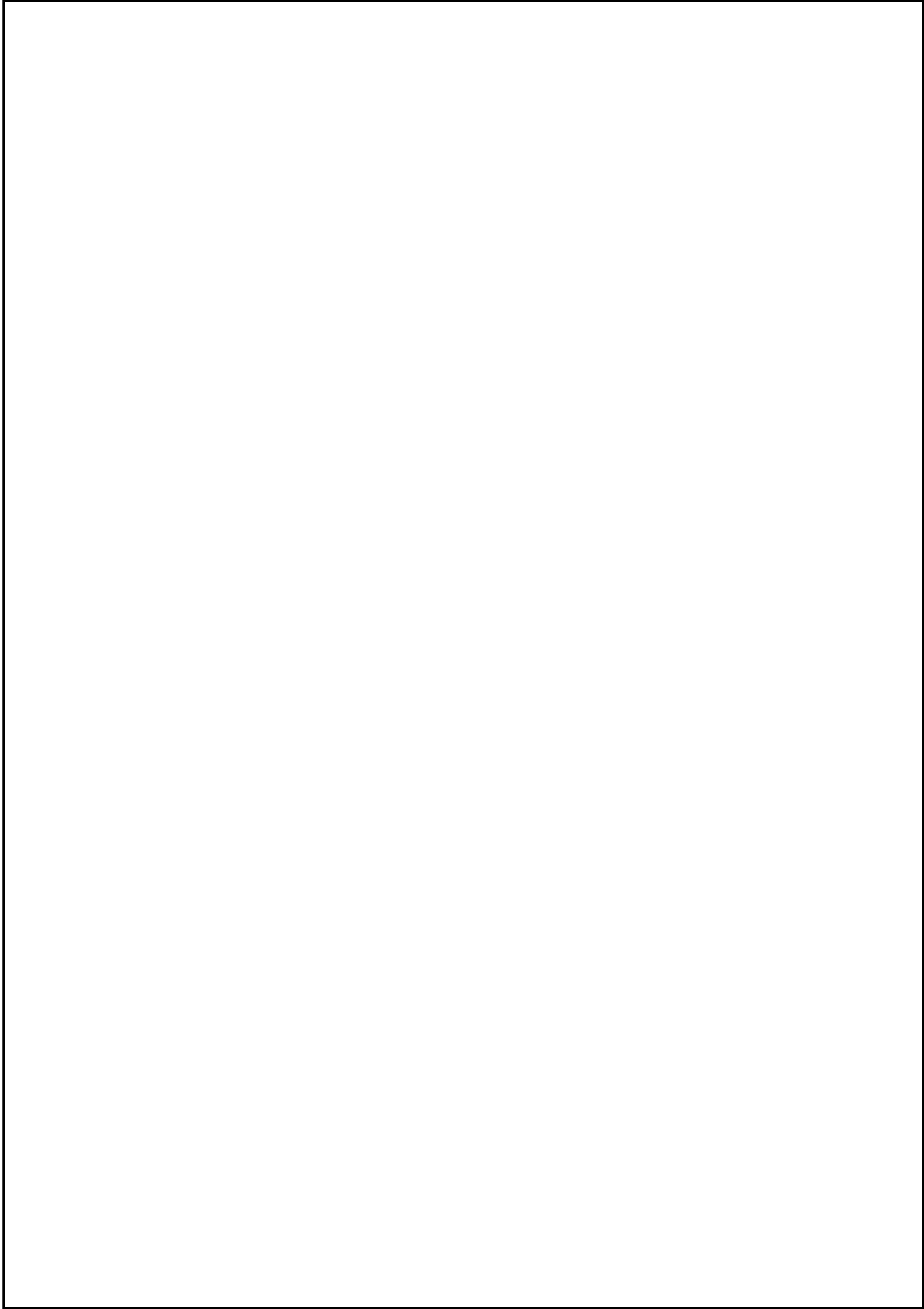
(٤) إرشاد المفيد: ٢٠٥، عنه البحار: ٤٢/٨٩ ح ١٨.

(٥) نسب قريش: ٤٤.



الفصل الثاني

المعرفة المناقبيّة



للحاج محمّد رضا الأزري رحمه الله

مُصاب رمى ركن الهدى فتصدعا ... ونادى به ناعي السماءِ فأسمعا

وضجت له الأملاك في ملكوتها ... وأوشكَ عرشُ الله أن يتضعضعا

ومن يك أعلى الناس شأناً ومفخراً ... يكن رزئه في الناس أدهى وافضعا

مصاب على الإسلام ألقى جرانه ... وبرقع بالغي الهدى فتبرقعا

فيا ناشد الإسلام قوضَ رحله ... وصاح به داعي النفير فجعجعا

وإن قتيلاً شيّد الدين سيفه ... جديرٌ عليهِ الدين أن يتصدعا

فيا أهل درى الإسلام أن زعيمه ... لقىً حولَه جبريلُ ينعى فلا نعى

وإن عماد الدين بان عميدها ... وودّعها داعى الهدى يوم ودّعا

ويا أهل درى المختار أنّ حبيبه ... بسيف عدوّ الله أضحى مقنّعا

ومن عَجَب أن ينزل الموتُ دارَه ... وقد كان لا يلقاه إلّا مُرَوِّعا

ليبك التقى منه منار هداية ... وتنعى الوغا منه كميتاً سميدعا

وإن يبكه الإسلام وَجداً وحسرة ... فقد كان للإسلام حصنا ومفزعا

وإن يبكه البيتُ الحرامُ فطالما ... به كان محمي الجوار ممنعا

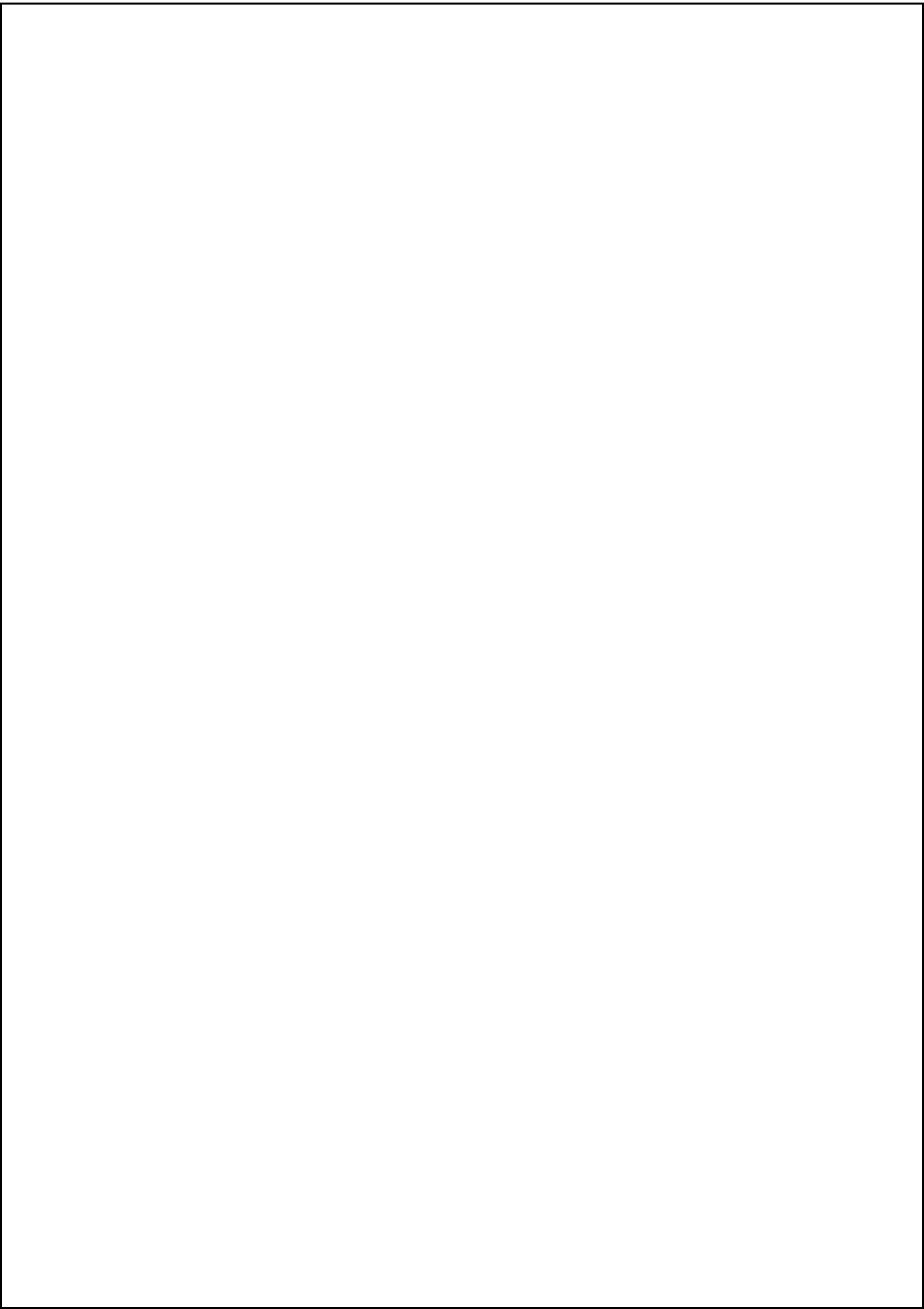
وان يبل جبريل له فطالماً ... بخدمته جبريلُ كان مُمَتّعا

وإن يبكه بدرُ السماءِ فإنّما ... بكى البدر بدراً منه أسنى وأرفعا

ولو عَقَلَتْ شمسُ الضحى يومَ دفنه ... لَخَطّت له في عينها الشمسُ مضجعا

إمامٌ دعى لله حتى انتهى له ... ألا هكذا فليدع لله من دعا

ويومك في الإسلام قد ثلّ ثلمة ... واوسَعَ خرْقاً في الهدى لن يرقعا



المستوى الثاني

المعرفة المناقبيّة لأمير المؤمنين عليه السلام

إنّ معرفة آل محمّد عليهم السلام الطيبين الطاهرين ثاني الثقلين، والمقرونين بالكتاب المبين، الهداة المهديين، ذوي الآيات الباهرات، والمعجزات الظاهرات، ومنهل الفضائل الحسنات، وأصحاب الكرامات المستمرات التي لا تزال تنور الطريق وترشد إلى السبيل، نجوم الهدى وأعلام التقى، وأولى النهى.

أقول إن المعرفة نستطيع الوقوف معها من خلال معرفة مناقبهم وكراماتهم ومعاجزهم حيث جرت السنة الإلهية في الخلق على إرسال الأنبياء والمرسلين إلى الناس وتأييدهم بالمعجزات الربانية واعمال خوارق العادة على أيديهم، لتكون دلائل صدق على دعواهم، وبرهان قاطع على النبوة أو الرسالة التي بعثوا بها إلى الناس.

وعلى هذا الأساس تكون المعجزة هي أهم دليل يدل على بعثة الرسول أو النبيّ، على أن هناك برهان آخر يسمى بالكرامة قد يعطى إلى الرسول أو الوصي في حياته أو بعد مماته ويجريه الله تعالى في الوقت المناسب على يديه، فما هي المعجز وماهي الكرامة؟

«المعجز في اللغة: ما يجعل غيره عاجزاً، ثم تعورف في الفعل الذي يعجز القادر عن الإتيان بمثله.

وفي الشرع: هو كل حادث، من فعل الله، أو بأمره، أو تمكينه، ناقض لعادة الناس في زمان تكليف مطابق لدعوته، أو ما يجري مجراه»[1].

---

(١) الخرائج والجرائح: ٩٣: ٩٧٤.

فالمعجزة إذن برهان ساطع، ودليل قاطع، وعلامة صدق، يظهرها الله على يدي النبي أو الوصي عند دعائه أو ادعائه ويمكن للناس من خلالها التمييز بين الصادق والكاذب، ودفع الشك والريب فيه، لئلاً تبقى لهم حجة في معصيته ومخالفته، وليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيَّ عن بينّة.

وعلى هذا الأساس لا بدّ للمعجز من أحكام وشروط لا بد من توفرها ومعرفتها وهي:

١ ـ أن يكون من فعل الله.

٢ ـ أن يكون خارقاً للعادة.

٣ ـ أن يكون متعذراً مثله على الخلق في الجنس، مثل احياء الموتى، أو في الصفة نحو القرآن وانشقاق القمر.

٤ ـ أن يكون موافقاً لدعوى المدعي، وأيضاً يدل المعجز على صدق المدعي فحسب، سواء كان مدعياً للنبوة، أو الإمامة، أو الصلاح وقد يظهر الله تعالى المعجز على أيدي الصالحين من عباده ـ بحسب المصلحة ـ إذا كان الوقت يقتضيه، وعدم وجود مانع منه وهذا ما يسمى بالكرامة وخصوصاً تكون هذه بعد حياته، وعليه لا وجه من الفرق بين المعجز والكرامة إلّا ما كان بعد ممات الولي أو الوصي.

علة اعطاء المعاجز والكرامات

وينقدح فيما نحن فيه سؤالاً مهماً وهو لماذا أعطى الله تعالى المعجزة والكرامة لأنبيائه وأوليائه؟

والجواب على هذا السؤال لا يحتاج إلى بذل وسع كبير لمعرفته فمجرد مراجعة أحاديث أهل بيت النبوة وموضع الرسالة يتضح لنا الجواب على ذلك، وهذا ما يظهر لنا من خلال سؤال أبا بصير أحد أصحاب الإمام الصادقعليه السلام حيث يسأل الإمامعليه السلام عن سبب اعطاء الله تعالى المعجزة لهم وللأنبياء؟

فيقول له الإمام عليه السلام: ليكون دليلاً على صدق من أتى به، والمعجزة علامة الله لا يُعطيها إلّا انبيائه ورسله وحُجَجه لِيعرف به صدق الصادق [من كذب الكاذب](١).

فهي اذن تأييداً من الله تعالى لأوليائه وعباده الصالحين لتكون تصديقاً لهم، واصحاراً بحقيقة أمرهم، وحثاً للعباد على اقتفاء آثارهم.

والتعجب من هذه الكرامات والخوارق للعادة أو الاستنكار لها، إنما هو ناشيء من غرابتها عن المشاهدة والمألوف عند الناس، ولكن هذا التعجب يرتفع بأدنى تأمل، وخصوصاً إذا عرفنا ان هؤلاء وصلوا إلى هذا المقام نتيجة طاعتهم للخالق جل جلاله، حيث اكتسبوا بهذه الطاعة رضى الخالق عزّوجلّ، فخلق الأشياء لأجلهم وتحت تصرفهم فوهبهم الدنيا والآخرة.

ففي الحديث القدسي: «عبدي خلقتُ الأشياء لأجلك وخلقتك لأجلي، وهبتك الدنيا بالإحسان، والآخرة بالإيمان»(٢).

كما و «إن لله عباداً أطاعوه فيما أراد، فأطاعهم فيما أرادوا يقولون للشيء كن فيكون»(٣).

وفي حديث قدسي آخر: «يا بن آدم !... أنا أقول للشيء كن فيكون، أطعني فيما أمرتك، أجعلك تقولُ للشيء كن فيكون»(٤).

وفي حديث آخر: «عبدي! أطعني أجعلك مثلي... أنا مهما أشاء يكون، أجعلك مهما تشاء يكون»(٥).

---

(١) علل الشرائع: ١/١٢٢ ح ١.

(٢) الجواهر السنية في الأحاديث القدسية: ٣٦١.

(٣) نفس المصدر السابق.

(٤) نفس المصدر السابق.

(٥) نفس المصدر السابق.

فمفتاح ظهور الكرامات والمعاجز على أيدي عباد الله الصالحين هو نتيجة الطاعة المفترضة عليهم من الله تعالى، وعلى هذا الأساس لا يبقى أي شك في صدور الكرامات الباهرات على أيدي عباد الله الصالحين الذين وصلوا إلى أعلى المقامات العرفانية بالطاعة والإنقياد للخالق تعالى.

وعلى هذا الأساس نقف في هذا المستوى من المعرفة المناقبية من خلال فصلين هما:

الأوّل: فصل في معاجزه ومناقبه في حياته عليه السلام. «هذا الفصل»

الثاني: فصل في الكرامات العلويّة.

حيث بين كلا الفصليّن معجزات وكرامات امير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام سواء في حياته أو بعد شهادته، فالكرامة التي هي عبارة عن أعمال خارق للعادة وإخبار عن المستقبل، تصدر هذه الأقوال والأفعال عن الإمام المعصوم لا تقترن فقط بأدعاء الإمامة، وان كان الإماة مثبوت في محلها بالنص الإلهي، بل لتثبت منزلة ومقام الإمام عند الله تعالى.

إذن بالإطلاع على معاجز وكرامات أمير المؤمنين عليه السلام المحيرة للعقول والأفكار وما أنبأ به من غيب وأسرار تعجز أكثر العقول البشرية عن الإحاطة به والإلمام بحقائقه، لهو من المعارف التي تؤكد وترسخ الجانب العقادي في روح الفرد المؤمن ولو كانت هذه الثمرة وحدها لكفت في المقام، لذا سوف نذكر جملة من الأمور الغيبية التي تحدث بها سلام الله عليه قبل وقوعها، والتي كانت دلالة صدق على مناقبه الجمة التي تحتاج إلى كتاب مستقل بها.

أخباره عليه السلام بمصير الخوارج

انّ علياً عليه السلام لما عزم على حرب الخوارج وقيل له: إنّ القوم قد عبروا جسر النهروان ـ قال: «مصارُعهم دون النطفة والله لا يفلت منهم عشرة، ولا يهلك منكم عشرة»[١].

قال ابن ابي الحديد في شرحه: هذا الخبر من الأخبار التي تكاد تكون متواترة لاشتهاره ونقل الناس كافة له، وهو من معجزاته وأخباره المفصلة عن الغيوب، والأخبار على قسمين:

أحدهما: الأخبار المجملة ولا اعجاز فيها نحو أن يقول الرجل لأصحابه إنكم منتصرون على هذه الفئة التي تلقونها غداً، فأن نصر جعل ذلك حجة له عند أصحابه، وسماها معجزة، ولو لم ينصر قال لهم: تغيرت نياتكم وشككتم في قولي، فمنعكم الله نصره.

ونحو ذلك من القول، لأنّه قد جرت العادة أن الملوك و الرؤساء يعدون أصحابهم بالظفر والنصرّ، ويمنّونهم الدّول، فلا يدلّ وقوعُ ما يقع من ذلك على إخبار عن غيب يتضمّن إعجازاً.

والقسم الثاني: في الأخبار المفصّلة عن الغيوب، مثل هذا الخبر، فإنّه لا يحتمل التلبيس، لتقييده بالعدد المعين في أصحابه وفي الخوارج، ووقوع الأمر بعد الحرب بموجبه، من غير زيادة ولا نقصان، وذلك أمرٌ إلهي عرفه من جهة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعرفه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من جهة الله سبحانه، والقوّة البشريّة تقصر عن إدراك مثل هذا، ولقد كان له من هذا الباب ما لم يكن لغيره[٢].

---

(١) نهج البلاغة: خطبة ٥٨. والنطفة هنا ماء النهر وهي افصح كتابه عن العماء «الرضي».

(٢) شرح النهج لابن ابي الحديد: ٣/٥.

وقال ابن أبي الحديد أيضاً: لمّا خرج عليّ‌عليه‌السلام إلى أهل النهر أقبل رجل من أصحابه ممّن كان على مقدّمته يركُض، حتّى انتهى إلى عليّ‌عليه‌السلام فقال: البشرى يا أمير المؤمنين قال: «ما بُشراك؟».

قال: إن القوم عبروا النهر لمّا بلغهم وصولك، فأبشر، فقد منحك الله أكتافهم، فقال له: «الله أنت رأيتهم قد عبروا!!» قال: نعم، فأحلفه ثلاث مرّات، في كلّها يقول: نعم، فقال عليّ‌عليه‌السلام: «والله ما عبروه ولن يعبروه، وإنّ مصارعهم لدون النطفة، والّذي فلق الحبّة، وبرأ النسمة، لن يبلغوا إلا ثلاث ولا قصر بَوازن، حتّى يقتلهم الله، وقد خاب من افترى».

قال: ثمّ أقبل فارس آخر يركُض، فقال كقول الأوّل، فلم يكترث عليّ‌عليه‌السلام بقوله وجاءت الفرسان تركض كلّها تقول مثل ذلك.

فقام عليّ‌عليه‌السلام فجال في متن فرسه، قال: فيقول شابّ من الناس: والله لأكوننّ قريباً منه، فإن كانوا عبروا النّهر لأجعلنّ سنانّ هذا الرمح في عينه، أيدّعي علم الغيب!.

فلمّا انتهى‌عليه‌السلام إلى النهر وجد القوم قد كسروا جفون سيوفهم، وعرقَبوا خيلهم، وجَثوا على رُكبهم، وحكّموا تحكيمة واحدة بصوت عظيم له زَجل فنزل ذلك الشاب فقال: يا أمير المؤمنين، إنّي كنت شككت فيك آنفاً، وإنّي تائب إلى الله وإليك، فاغفر لي.

فقال عليّ‌عليه‌السلام: «إنّ الله هو الذي يغفر الذنوب، فأستغفره»[1].

* وروى أبو يعلى عدّة أحاديث في إخبار أمير المؤمنين‌عليه‌السلام عن أهل النهروان، منها ما رواه بالإسناد عن أبي كثير مولى الأنصار قال: كنت مع سيدي عليّ بن أبي

---

(١) المصدر السابق: ٢/ ٢٧١.

طالبعليه السلام حين قتل أهل النهروان، قال: فكأنّ الناس وَجَدَوا في أنفسهم من قَتْلِهم.

قال: فقال أمير المؤمنين عليّعليه السلام: يا أيها الناس، إنّ نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم قد حدّثنا بأقوام يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، فلا يرجعون فيه حتى يرجع السهم على قومه، وآية ذلك أن فيهم رجلاً مُخَدَّجَ اليد، إحدى يديه كثدي المرأة، لها حلمة كحلمة ثدي المرأة، إنّ بها سبع هَلَبات. فالتمسوه، فإنّي أراه فيهم. فالتمسوه فوجدوه على شيفر النهر تحت القتلى، فأخرجوه، فكبّر عليّعليه السلام، وقال: الله أكبر، صدق الله ورسوله. وآية ذلك متقلّد قوساً له عربية، فأخذها بيده، ثمّ جعل يطعن بها في مُخدّجيه ويقول: الله أكبر، صدق الله ورسوله، صدق الله ورسوله، وكبّر الناس حين رأوه، واستبشروا، وذهب عنهم ما كانوا يجدون[1].

تنبأهعليه السلام بالحجاج الثقفي

* في شرح ابن أبي الحديد، عن إسماعيل بن رجاء، قال: قام أعشى باهلة[2] وهو غلامٌ يومئذ حدث ـ إلى عليّعليه السلام وهو يخطب ويذكُر الملاحم فقال: يا أمير المؤمنين، ما أشبه هذا بحديث خُرافة!

فقال عليّعليه السلام: «إن كنت آثماً فيما قلت يا غلام، فرماك الله بغلام ثقيف» ثمّ سكت، فقام رجال فقالوا: ومن غلامُ ثقيف يا أمير المؤمنين؟

قالعليه السلام: «غلام يملك بلدتكُم هذه لا يترك لله حرمةً إلاّ انتهكَها، يضرب عُنُق هذا الغلام بسيفه.»

قالوا: فيقتلُ قتلاً أم يموت موتاً؟

---

(١) مسند أبي يعلي: ١/٣٧٢ ح ٢١٨، وانظر ص ٣٧١-٣٧٦.

(٢) أعشى باهلة، اسمه عامر بن الحارث.

قال: «بل يموتُ حتف أنفه بداء البَطن، يثقب سريره لكثرة ما يخرج من جوفه».

قال إسماعيل بن رجاء: فو الله لقد رأيتُ بعيني أعشى باهلة، وقد أُحضر في جملة الأسرى الّذين أُسروا من جيش عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث بين يدي الحجّاج فقرّعه ووبّخه، واستنشده شعره الّذي يحرّض فيه عبدَ الرّحمن على الحرب، ثمّ ضرب عنقه في ذلك المجلس[١].

إخباره عليه السلام بشبيهة الرجال والنساء

عن عكرمة عن يزيد الأحمسيّ: أنّ عليّاً عليه السلام كان جالساً في مسجد الكوفة، وبين يديه قوم منهم عمرو بن حُريث، إذ أقبلت امرأة مختمرة لا تُعرف فوقفت، فقالت لعلي عليه السلام: يا مَن قتل الرجال، وسفك الدماء، وأيتم الصبيان، وأرمل النساء!

فقال عليه السلام: «وإنّها لهي هذه السَّلَقْلَقَة[٢] الجَلعة المَجِعَة[٣] وإنّها لهي هذه شبيهة الرجال والنساء الّتي ما رأت دماً قطّ».

قال الرّاوي: فولّت هاربة منكّسة رأسها، فتبعها عمرو بن حريث، فلمّا صارت بالرحبة، قال لها، والله لقد سررتُ بما كان منك اليوم إلى هذا الرّجل، فادخلي منزلي حتّى أهب لك وأكسوك، فلمّا دخلت منزله أمر جواريه بتفتيشها وكشفها ونزع ثيابها لينظر صدقه عليه السلام فيما قاله عنها، فبكت وسألته ألاّ يكشفها، وقالت: أنا ولله كما قال عليه السلام، لي رَكَب[٤] النساء، وأُنثيان كأُنثيي الرّجال، وما رأيت دماً قطّ فتركها وأخرجها.

---

(١) شرح النهج: ٢/٢٨٩.

(٢) السلقلقة: السليطة، وأصله من السَّلق، وهو الذئب، والسلقة: الذئبة.

(٣) الجلعة المجعة: البذية اللسان.

(٤) الركب: منبت العانة.

ثمّ جاء إلى عليّعليه السلام فأخبره فقال: «إنّ خليلي رسول اللهصلى الله عليه وآله أخبرني بالمتمردين علي من الرّجال والمتمرّدات من النساء إلى أن تقوم الساعة»[١].

إخباره بشهادتهعليه السلام

* ومن ذلك ما تواترت به الروايات من نعيهعليه السلام نفسه قبل وفاته، والخبر عن الحادث في قتله، وانه يخرج من الدنيا شهيداً بضربة في رأسه يخضب دمها لحيته، فكان الأمر في ذلك كما قال.

ومن ذلك قولهعليه السلام: «والله لتخضبنّ هذه من هذا»ووضع يده على رأسه ولحيته[٢].

وقولهعليه السلام: «ما يمنع أشقاها أن يخضبها من فوقها بدم»[٣].

ومنها ما رواه أصحاب الآثار: أنّ الجَعْد بن بَعْجة ـ رجلاً من الخوارج ـ قال لهعليه السلام: اتق الله يا عليّ، فإنك ميت. فقال أمير المؤمنينعليه السلام: «بل والله مقتول قتلاً ضربةً على هذا وتخضب هذه ـ ووضع يده على رأسه ولحيته ـ عهد معهود، وقد خاب من افترى»[٤].

وأيضاً رواه الثقات عنهعليه السلام أنه كان يفطر في شهر رمضان الذي ضُرِب فيه ليلة عند الحسن وليلة عند الحسين، وليلة عند ابن عباس، لا يزيد على ثلاث لقم، فقال له الحسن ـ وقيل: الحسين ـ في ذلك، فقال: يا بُني، يأتي أمر الله وأنا خميص، إنّما

---

(١) شرح النهج: ٢/٢٨٨.

(٢) الطبقات الكبر: ٣/٣٢، الاستيعاب بهامش الاصابة: ٣/٦١.

(٣) الاستيعاب بهامش الاصابة: ٣/٦١.

(٤) مستدرك الحاكم: ٣/١٤٣، ترجمة ابن عساكر: ٣/٢٧٨ ح ١٣٦٤ التذكرة لابن الجوزي: ١٥٨، الذخائر للطبري: ١١٢.

هي ليلة أو ليلتان، فأُصيب من الليل[١].

ومنها قولهعليه السلام في الليلة التي ضر به الشقي ابن ملجم في آخرها، وقد توَجَّه إلى المسجد، فصاح الإوزّ في وجهه، فطردهنّ الناس عنه، فقال: اتركوهنّ فإنّهن نوائح، وخرج فأُصيب[٢].

إخبارهعليه السلام بشهادة الإمام الحسينعليه السلام

عن محمّد بن عليّ: قال: لمّا قال عليّعليه السلام: «سلوني قبل أن تفقدوني، فو الله لا تسألونني عن فئةٍ تُضلّ مائة وتَهدي مائة إلاّ أنباتكم بناعقها وسائقها»، قام إليه رجلٌ فقال: أخبرني بما في رأسي ولحيتي من طاقة شعر.

فقال له عليّعليه السلام: «والله لقد حدّثني خليلي أنّ على كل طاقة شعر من رأسك مَلَكاً يَلعنك، وإنّ على كلّ طاقة شعر من لحيتك شيطاناً يغويك، وإنّ في بيتك سَخلاً يقتلُ ابنَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم».

وكان ابنه قاتل الحسينعليه السلام يومئذ طفلاً يحبو، وهو سنان بن أنس النّخعيّ[٣].

* وفيه أيضاً عن سويد بن غفلة: أنّ عليّاًعليه السلام خطب ذات يوم فقام رجل من تحت مِنبره، فقال: يا أمير المؤمنين، إني مررتُ بوادي القُرى، فوجدتُ خالد بن عرفطة قد مات، فاستغفرت له.

فقالعليه السلام: «والله ما مات ولا يموت حتّى يقود جيش ضلالة، صاحب لوائه حبيب بن جمّاز» فقال رجل آخر من تحت المنبر، فقال: أمير المؤمنين، أنا حبيب

---

(١) مناقب الخوارزمي: ٣٩٢ ح ٤١٠، أسد الغابة: ٣٥/٤، الفصول المهمة: ١٣٩.

(٢) أسد الغابة: ٣٦/٤، تذكرة الخواص: ١٦٢، ذخائر العقبى: ١١٢، الفصول المهمة: ١٣٩.

(٣) شرح النهج: ٢٨٦/٢. والمشهور عند أصحابنا عمر بن سعد كما في إرشاد الفتح المفيد فراجع.

بن جمّاز، وإنّي لك شيعة ومحبّ، فقال: «أنت حبيب بن جمّاز؟» قال: نعم.

فقال له ثانية: «والله إنك لحبيب بن جمّاز؟»

فقال: إي والله! قال: «أما والله إنّك لحاملها ولتحملنّها، ولتدخُلنَّ بها من هذا الباب» وأشار بها إلى باب الفيل بمسجد الكوفة.

قال ثابت: فو الله ما مُتّ حتّى رأيت ابنَ زياد وقد بعث عمر بن سعد إلى الحسين بن عليّعليه السلام، وجعل خالد بن عُرفطة على مقدمته، وحبيب بن جمّاز صاحب رايته، فدخل بها من باب الفيل[1].

إخبارهعليه السلام بشهادة ميثم التمار رضي الله عنه

روى عن أحمد بن الحسن الميثمي، قال: إنّ ميثماً التّمار كان عبداً لامرأة من بني أسد، فاشتراه أمير المؤمنينعليه السلام منها فأعتقه. فقال له: ما اسمك؟ فقال: سالم.

فقال: أخبرني رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم أنّ اسمك الّذي سمّاك به أبوك في العجم ميثم.

قال: صدق الله ورسوله، وصدقت يا أمير المؤمنين والله إنّه لأسمي.

قال: فارجع إلى إسمك الّذي سمّاك به رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم ودع سالماً، فرجع إلى ميثم، واكتنى بأبي سالم.

فقال له عليّعليه السلام ذات يوم: «إنّك تؤخذ بعدي فتصلب وتطعن بحربة، فإذا كان اليوم الثالث ابتدر منخراك وفمك دماً يخضب لحيتك، فانتظر ذلك الخضاب فتصلب على باب دار عمرو بن حريث عاشر عشرة، أنت أقصرهم خشبة، وأقربهم من المطهرة، وامض حتّى أُريك النّخلة الّتي تصلب على جذعها» فأراه إيّاها.

وكان ميثم يأتيها فيصلي عندها، ويقول: بوركت من نخلة لك خلقت، ولي

---

(١) شرح النهج: ٢/٢٧٨، مقاتل الطالبيين: ٧١.

غذيت، ولم يزل يتعاهدها حتّى قطعت، وحتّى عرف الموضع الّذي يصلب عليه بالكوفة، فكان كما قال عليه السلام. الحديث[1].

إخباره عليه السلام بشهادة كميل بن زياد رضي الله عنه

ومن ذلك أنّ الحجّاج طلب كميل بن زياد فهرب منه، فقطع عطاء قومه، فلمّا رأى ذلك، قال: إنّي أنا شيخ كبير قد نفد عمري، فلا ينبغي أن أحرم قومي أُعطياتهم. فخرج إلى الحجّاج فقال: قد كنت أُحبّ أن أجد عليك جميلاً.

فقال له كميل: إنه ما بقي من عمري إلاّ قليل فاقض ما أنت قاض، فإنّ الموعد الله، ولقد أخبرني أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّك قاتلي، فقال: بلى، قد كنت فيمن قتل عمر، اضربوا عنقه، فضرب عنقه[2].

إخباره عليه السلام بشهادة رشيد الهجري رضي الله عنه

❊ روى أبو بكر ابن عيّاش عن مجالد، عن الشعبي، عن زياد بن النّضر الحارثي، قال: كنت عند زياد إذ أُتي برشيد الهجريّ، فقال له زياد: ما قال صاحبك ـ يعني عليّاً ـ عليه السلام أنّا فاعلون بك؟ قال: تقطعون يدي ورجلي وتصلبونني.

فقال زياد: أم والله لأُكذبن حديثه، خلّوا سبيله، فلمّا أراد أن يخرج، قال زياد: والله ما نجد له شيئاً شرّاً ممّا قال له صاحبه، اقطعوا يديه ورجليه واصلبوه.

فقال رشيد: هيهات، قد بقي لي عندكم شيءٌ أخبرني به أمير المؤمنين عليه السلام. فقال زياد: اقطعوا لسانه، فقال رشيد: الآن والله جاء تصديق خبر أمير المؤمنين[3].

---

(١) شرح النهج: ٢/٢٩١، الإصابة: ٣/٥٠٤.

(٢) الإصابة: ٣/٣١٨.

(٣) شرح النهج: ٢/٢٩٤.

إخباره عليه السلام بقتل مزرع بن عبد الله رضي الله عنه

ومن ذلك ما رواه عبد العزيز بن صهيب عن أبي العالية قال: حدثني مزّرع بن عبد الله صاحب عليّ بن أبي طالب عليه السلام، أنّه قال: «ليقبلن جيش حتى إذا كان بالبيداء خسف بهم»، قال أبو العالية، فقلت له: « إنّك لتحدثني بالغيب؟»

قال: «احفظ ما اقول لك، فإنّما حدّثني به الثقة عليّ بن أبي طالب، وحدّثني أيضاً شيئاً آخر، ليؤخذنّ رجل فليقتلنّ وليصلبنّ بين شرفتين من شرف هذا المسجد».

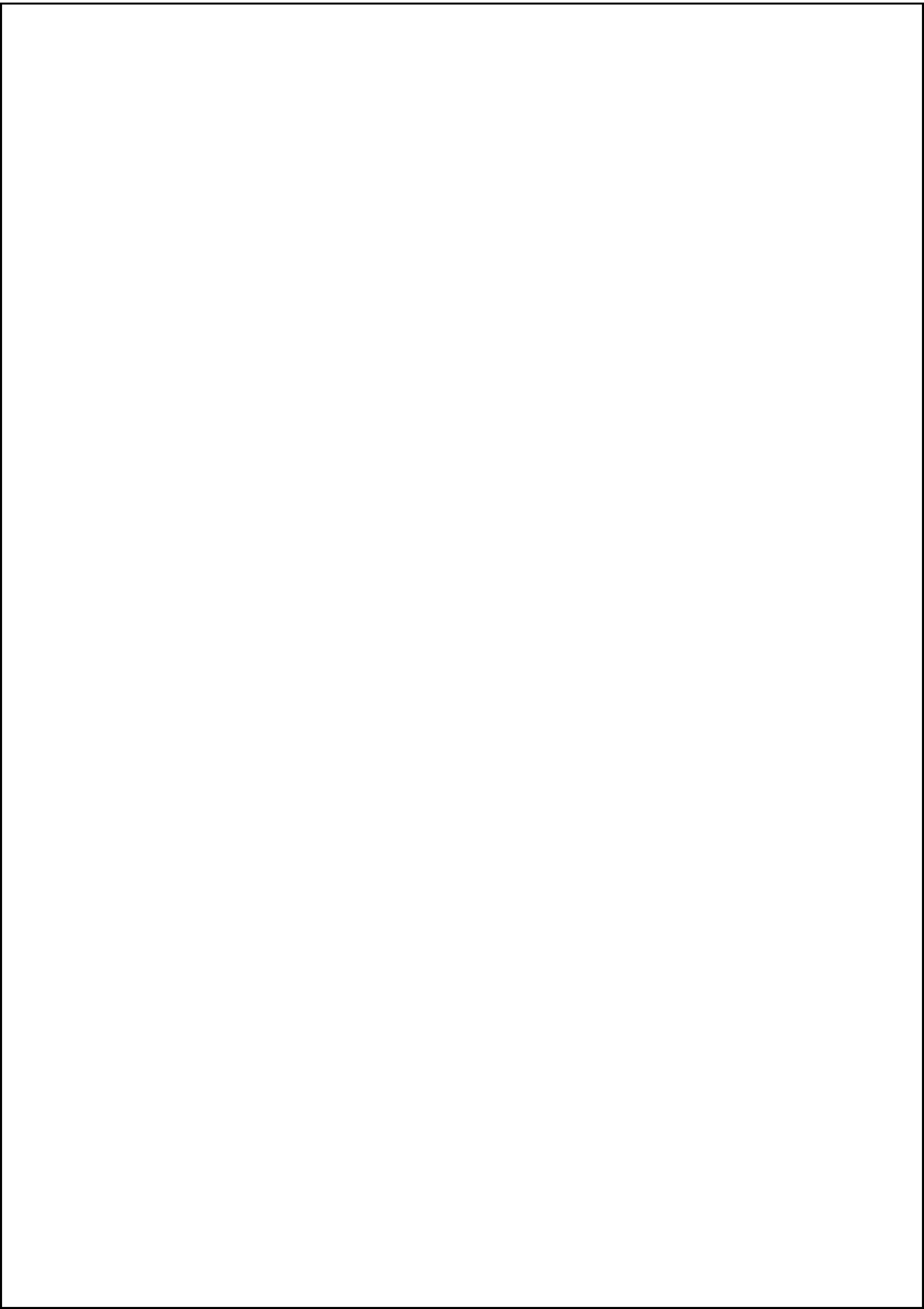
قلت له: إنّك لتحدّثني بالغيب؟ فقال: احفظ ما أقول لك.

قال أبو العالية: فو الله ما أتت علينا جمعة حتى أُخذ مزّرع فقتل وصلب بين شرفتين من شرف المسجد[1].[2]

❊ ❊ ❊

(١) شرح النهج: ٢ / ٢٩٤-٢٩٥.

(٢) هذه نبذة مختصرة من إخباره عليه السلام بالمغيبات وأمّا معاجزه وكراماته وقضاياه المحيرة للعقول كما في قضاءه وحكمه فحدّث ولا حرج، وإن ذكرها يحتاج إلى مصنفات ومؤلفات وكتب مطولة، كما قد صنّف العلماء الأعلام من كل المذاهب والطوائف في هذا الباب، جزاهم الله خيراً ومن أراد التفصيل فليطب ذلك من مظانّه. «السيّد العلوي»





الفصل الثالث

الكرامات العلويّة

للسيّد مهدي الأعرجي رحمه الله

رُزءٌ بِـه الديـن قـد هُـدّت قـوائِـمُهُ
وفـي السـما نُـصِبَت حُـزناً مآتـمُهُ

ومادَت الأرضُ شجواً والسما إنـفطرت
واسـود مـنقلباً فـي الكـون عـالمهُ

يـاليلةَ القـدرِ جـلت فـيكِ فـاجِعةٌ
أوهت قُـوَى الدّيـن فـانهارَت دَعـائِمهُ

قـضى عـليٌّ بـمحراب الصلاة ببَيـ
ـت الله وهـو مُـصلي الفرضَ صـائمُهُ

أفـديهِ قـد عـاشَ بـينَ النَـاسِ مُـغترباً
ومـات وهـوَ كـتومُ الغـيظ كـاظمُهُ

قُـل للـيتيمِ مَـضى مـن كـان يُـطعِمُهُ
فـمن بـه بـعدَه تَـهنى مَـطاعِمُهُ

لَـم أنسَـه حـين بـاتَ للّـيل مُـبتَهلاً
يَـرى الحِـمامَ وقـد لاحَت عـلائمُهُ

يـرعى النـجومَ ويَـدعُوا اللهُ مُـبتهلاً
واللـيلُ قـد طَـبقَ الآفـاقَ فـاحِمهُ

ويـحَ ابـنَ مـلجِم لَـم لا شُـلَّ سـاعِدُهُ
رُعـباً ولم لا يُـنافي الضَـربَ صـارِمُهُ

أرادهُ فـي وَسَـطِ المِـحرابِ مشـتغلاً
بـالفرضِ أشـقى الورى طُـرّاً وغـاشمهُ

قـل للـوفودِ إذهـبي للأهـل خـائِبةً
فـقد مـضى الجـودُ وانـجابَت غَـمائمُهُ



الكرامات العلويّة
التي ظهرت عند الضريح المقدس
الكرامة الاولى

* عن السيد عبد الكريم بن طاووس الحسني[1] بسنده قال: كنا جلوسا في مجلس ابن عمي ابي عبد الله محمّد بن عمران بن الحجّاج، وفيه جماعة من أهل

---

(١) هو السيّد عبد الكريم بن أحمد بن موسى بن جعفر بن محمّد بن أحمد بن محمّد بن أحمد بن محمّد بن طاووس الحسني العلوي، ولد في شعبان سنة ٦٤٧هـ في الحائر الحسيني ونشأ وترعرع في الحلة، ثم واصل دراسته في مدينة بغداد وينتمي إلى عائلة اشتهرت بالعلم والعلماء، وبنو طاووس بيت كبير في الحلة، ولقبوا بهذا الإسم نسبة إلى جدهم الأعلى أبي عبدالله محمّد بن إسحاق، فإن محمّداً كان جميل الصورة بهي المنظر، إلّا أن قدميه لم يتناسبا مع جمال هيئته فلقب بالطاووس. ويرجع نسب هذه العائلة إلى الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، فجدهم الأعلى الملقب بالطاووس محمّد بن إسحاق بن الحسن بن محمّد بن سليمان بن داود بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب عليهم السلام. وجدهم داود كان أخا للإمام جعفر الصادق عليه السلام من الرضاعة، من أمّه أمّ خالد البربرية التي نسب إليها دعاء ام داود كما صرح به السيّد علي بن طاووس في الإقبال.

ولقد أشاروا إليه العلماء حيث قالوا فيه: انه كان شاعراً منشئاً أديباً، حافظاً للسيّر والأحداث والأخبار والحكايات والأشعار حيث جمع وصنف وألف، وقد قال العلّامة الطبرسي فيه: بنادرة الزمان واعجوبة الدهر الخوّان، صاحب المقامات والكرامات. وقال فيه صاحب كتاب اعيان الشيّعة: (وكان من الأكابر والولاة والكتاب يستضيئون بآرائه وأنواره) أما مشايخه فهم المحقق الحلي: الخواجه نصير الدين الطوسي. وله مؤلفات عديدة أهمها فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وتوفي السيد عبدالكريم بن طاووس رحمه الله في شوال سنة ٦٩٣هـ وكان عمره خمساً وأربعين سنة وشهرين وأياماً، وقبره مشهور عند أهالي الحلة قرب القبر المنسوب لعمه السيّد علي بن طاووس.

الكوفة من المشايخ، وفيمن حضر العباسي بن أحمد العباسي، وكانوا قد حضروا عند ابن عمي يهنئونه بالسلامة، لأنه حضر وقت سقوط سقيفة سيدي أبي عبد الله الحسين بن عليّ عليه السلام في ذي الحجة من سنة ثلاث وسبعين ومائتين، فبينا هم قعود يتحدثون إذ حضر المجلس اسماعيل بن عيسى العباسي، فلمّا نظرت الجماعة إليه، أحجمت عما كانت فيه، وأطال اسماعيل الجلوس، فلمّا نظر إليهم قال: يا أصحابنا أعزكم الله لعلي قطعت عنكم حديثكم بمجيئي! قال ابو الحسن عليّ بن يحيى (وكان شيخ الجماعة ومقدماً فيهم): لا والله يا أبا عبد الله (أعزك الله) امسكنا بحال من الأحوال.

فقال لهم يا أصحابنا إعلموا إنّ الله (عز وجل) سائلي عمّا أقول لكم وما أعتقده من المذهب، حتى حلف بعتق جواريه ومماليكه وحبس دوابه أنه ما يعتقد إلا ولاية (أمير المؤمنين) عليّ بن أبي طالب عليه السلام، والسّادة الأئمة عليهم السلام، وعدّهم واحداً واحداً، وساق الحديث، فانبسط إليه أصحابنا، وسألهم وسألوه، ثم قال لهم:

رجعنا يوم الجمعة من الصلاة من المسجد الجامع مع عمّي داود، فلمّا كان قبل منزلنا وقبل منزله وقد خلا الطريق قال لنا: أينما كنتم قبل ان تغرب الشمس فصيروا إليّ، ولا يكون أحد منكم على حال فيتخلف (وكان مطاعاً) لأنه كان جمرة بني هاشم، فصرنا إليه آخر النهار وهو جالس ينتظرنا فقال:

صيحوا بفلان وفلان من الفعلة، فجاءه رجلان معهما آلتهما، والتفت إلينا فقال: اجتمعوا كلكم واركبوا في وقتكم هذا وخذوا معكم الجمل (يعني غلاماً كان له أسود يعرف بالجمل، وكان لو حمل هذا الغلام على سكر دجلة لكسرها من شدته وبأسه)، وامضوا إلى هذا القبر الذي قد أفتتن به الناس، ويقولون إنه قبر عليّ، حتى تنبشوه وتجيئوني بأقصى ما فيه!، فمضينا إلى الموضع فقلنا دونكم وما أمر به، فحفر الحفارون وهم يقولون لا حول ولا قوة إلا بالله في أنفسهم، ونحن في نا حية، حتى

نزلوا خمسة أذرع فلما بلغوا ألى الصلابة قال الحفارون: قد بلغنا إلى موضع صلب وليس نقوى بنقره، فأنزلوا الحبشي، فأخذ المنقار فضرب ضربة فسمعنا لها طنيناً شديداً في البرية، ثم ضرب ثانية، فسمعنا طنيناً أشد من ذلك، ثمّ ضرب الثالثة فسمعنا طنيناً اشد مما تقدم، ثم صاح الغلام صيحة، فقمنا وأشرفنا عليه وقلنا للذين كانوا معه سلوه ماله، فلم يجبهم وهو يستغيث، فشدوه وأخرجوه بالحبل، فأذا على يده من أطراف أصابعه إلى مرفقه دم! لا يكلمنا ولا يخبر جواباً، فحملناه على البغل ورجعنا طائرين، ولم يزل لحم الغلام ينثر من عضده وجسمه وسائر شقه الأيمن، حتى انتهينا إلى عمي فقال: أيش وراءكم؟ فقلنا: ما ترى وحدّثناه بالصورة، فالتفت إلى القبلة وتاب عما هو عليه ورجع عن مذهبه، وتولى وتبرأ، وركب بعد ذلك في الليل إلى عليّ بن مصعب بن جابر فسأله ان على القبر صندوقاً، ولم يخبره بشيء مما جرى، ووجد من طمَّ الموضع وعمَّرَ الصندوق عليه، ومات الغلام الأسود من وقته[1].

الكرامة الثانية

* عن السيد عبد الكريم بن طاووس الحسيني بسنده قال أخبرني محمّد بن علي بن رحيم الشيباني، قال: مضيت أنا ووالدي عليّ بن رحيم وعمي حسين بن رحيم، وأنا صبي صغير سنة نيف وستين ومائتين بالليل، ومعنا جماعة متخفين إلى الغري، لزيارة قبر مولانا (أمير المؤمنين)عليه السلام، فلمّا جئنا إلى القبر وكان يومئذ قبراً حوله حجارة سندة ولا بناء عنده، وليس في طريقه غير قائم الغري، فبينا نحن عنده، بعضنا يقرأ، وبعضنا يصلي، وبعضنا يزور، وإذا نحن بأسد مقبل نحونا، فلمّا قرب منا مقدار رمح، (قال بعضنا لبعض: إبعدوا عن القبر حتى ننظر ما يريد فأبعدنا)،

---

(١) التهذيب: ٦/١١١، زينة المجالس: ١/٤٩٢، المناقب: ٢/٣٤٩، البحار: ٤٢/٣١١.

فجاء الأسد إلى القبر وجعل يمرغ ذراعه على القبر، فمضى رجل منا فشاهده وعاد فأعلمنا، فزال الرعب عنا، وجئنا بأجمعنا حتى شاهدناه يمرغ ذراعه على القبر وفيه جراح فلم يزل يمرّغ ساعة حتى انزاح عن القبر ومضى، وعدنا إلى ما كنا عليه من القراءة والصلاة والزيارة وقراءة القرآن[1].

الكرامة الثالثة

* عن السيد عبد الكريم بن طاووس الحسيني قال: ومن محاسن القصص ما قرأته بخط والدي (قدس الله روحه)، على ظهر كتاب بالمشهد الكاظمي (على مشرّفه السلام) ما صورته:

قال: سمعت من شهاب الدين بندار بن (ملك دار) القمّي، يقول:

حدثنا كمال الدين شرف المعالي بن غياث المعالي القمّي، قال: دخلت إلى حضرة مولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (صلوات الله عليه وسلامه)، فزرته وتحولت إلى موضع المسألة، ودعوت وتوسلت بمولانا أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام)، فتعلق مسمار من الضريح المقدس (صلوات الله على مشرفه) في قبائي فمزقه، فقلت مخاطباً لأمير المومنين عليه السلام: ما أعرف عوض هذا إلا منك.

وكان إلى جانبي رجل رأيه غير رأيي، فقال لي مستهزئاً: ما يعطيك عوضاً إلا قباء ورديا، فانفصلنا من الزيارة وجئنا إلى الحلة، وكان جمال الدين قشتمر الناصري رحمه الله قد هيأ لشخص يريد ان ينفذه إلى بغداد يقال له ابن (مايست)قباء وقلنسوة، فخرج الخادم على لسان قشتمر وقال: هاتوا كمال الدين القمي المذكور، فأخذ بيدي ودخل إلى الخزانة وخلع عليّ قباءً ملكياً ورديا، فخرجت ودخلت حتى اسلم على قشتمر وأقبل كفه، فنظر إليّ نظراً عرفت (الكراهية) في وجهه،

(١) ارشاد القلوب: ٢/٤٣٦، البحار: ١٠٠/٢٥٢ح ٤٨، ٤٢/٣١٥ح ٢.

والتفت إلى الخادم كالمغضب وقال: طلبت فلاناً يعني ابن مايست. فقال الخادم: إنما قلت كمال الدين القمّي، وشهد الجماعة الذين كانوا جلساء الأمير أنه أمر بإحضار كمال الدين القمّي المذكور، فقلت: أيها الأمير ما خلعت عليّ انت هذه الخلعة! بل أمير المؤمنين خلعها عليّ، فالتمس منّي الحكاية، فحكيت له فخرَّ ساجداً وقال: الحمد لله، كيف كانت الخلعة على يدي؟ ثم شكره وقال: تستحق هذا. هذا آخر ما حدَّث به شهاب الدين وكنت أحمد بن طاووس: هذا آخر ما وجدته بخطه فنقلتهُ.

وروى ذلك السيد محمّد بن شرفشاه الحسيني عن شهاب الدين بندار أيضاً[١].

الكرامة الرابعة

❊ عن السيد عبد الكريم بن طاووس الحسيني رحمه الله قال: ووجدت ما صورته: عن العم السعيد رضي الدين عليّ بن طاووس، عن حسين بن عبد الكريم الغروي قال: كان قد وفد إلى المشهد الشريف الغروي (على ساكنه (التحية) والسلام) رجل أعمى من أهل تكريت، وكان قد عمي على كبر، وكانت عيناه ناتئتين على خده، وكان كثيراً ما يقعد عند المسألة ويخاطب الجناب (الأشرف المقدس) بخطاب خشن، وكنت تارة أهم بالإنكار عليه، وتارة يراجعني الفكر في الصفح عنه، فمضى على ذلك مدة، فإذا أنا في بعض الأيام قد فتحت الخزانة إذ سمعت ضجة عظيمة، فظننت أنه قد جاء للعلويين برّ من بغداد، أو قتل في المشهد قتيل، فخرجت التمس الخبر فقيل لي هاهنا أعمى قد رد بصره، فرجوت أن يكون ذلك الأعمى، فما وصلت إلى الحضرة الشريفة وجدته ذلك الأعمى بعينه، وعيناه كأحسن ما تكون، فشكرت الله سبحانه وتعالى على ذلك[٢].

---

(١) فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: ١٦٥.

(٢) البحار: ٤٢/٣١٧.

وزاد والدي على هذه الرواية، إنه كان يقول له من جملة كلامه كخطاب الأحياء: وكيف يليق أن أجيء وأمشي فيشتفي بي من لا يحب، (ومن هذا الحبش) كذا سمعت والدي (قدس الله روحه) غير مرة يحكي[1].

الكرامة الخامسة

* عن بن طاووس رحمه الله قال: سمعت والدي غير مرة يحكي عن الشيخ الحسين بن عبد الكريم الغروي رحمه الله، هذه الحكاية الآتي ذكرها وإن لم أحقق لفظه ولكن المعنى منها أرويه عنه واللفظ وجدته مروياً عن العم السعيد عنه: إنه كان إيلغازي أميراً بالحلة، وكان قد اتفق أنه أنفذ سرية إلى العرب، فلمّا رجعت السرّية نزلوا حول سور المشهد الأشرف المقدس الغروي على الحال به أفضل الصلاة السلام.

قال الشيخ حسين: فخرجت بعد رحيلهم إلى ذلك الموضع الذي كانوا فيه نزولاً لأمر عرض، فوجدت (كلابي سربوش) ملقاة في الرحل، فمددت يدي فأخذتهما، وعلقت ذمتي بما ليس فيه راحة، فلما كان بعد مدة زمانية اتفق أنه ماتت عندنا في المشهد المقدس إمرأة علوية، فصلينا عليها وخرجت معهم إلى المقبرة، وإذا برجل تركي قائم يفتش موضعاً لقيت الكلابين فيه، فقلت لأصحابي: اعلموا إن (ذاك التركي) يفتش على كلابي سربوش وهما معي في جيبي، وكنت لما أردت الخروج إلى الصلاة على الميتة لاحت لي الكلابان في داري فأخذتهما.

ثم جئت أنا وأصحابي فسلمت على التركي، فقلت له: ما تفتش؟ قال: أفتش على كلابي سربوش ضاعت مني منذ سنة.

قلت: سبحان الله! تضيع منك منذ سنة تطلبه اليوم!. (قال: نعم)، إعلم إني لمّا

---

(١) فرحة الغري: ١٦٦.

دخلت السرية وكنت معهم، فلما وصلنا إلى خندق الكوفة ذكرت الكلابين فقلت: يا عليّ عليه السلام هما في ضمانك، لأنهما في حرمك، وأنا أعلم أنهما لا يصيبهما شيء. فقلت له: الان ما حفظ الله عليك شيئاً غيرهما، ثم ناولته إياهما واعتقدنا أن المدة كانت سنة[1].

الكرامة السادسة

* عن ابن طاووس الحسيني قال:

وقفت على كتاب قد نقل عن الشيخ حسن بن الحسين طحال المقدادي، قال: أخبرني أبي (عن أبيه)، عن جده، أنه أتاه رجل مليح الوجه، نقي الأثواب، ودفع إليه دينارين وقال له: إغلق عليّ القبة وذرني؟ فأخذهما منه وأغلق الباب، فنام فرأى أمير المؤمنين عليه السلام في منامه وهو يقول له: أقعد أخرجه عني فإنه نصراني، فنهض عليّ بن طحال وأخذ حبلاً فوضعه في عنق الرجل، وقال له: أخرج تخدعني بدينارين وأنت نصراني.

فقال له: لست بنصراني، قال: بلى، إن أمير المؤمنين أتاني في المنام وأخبرني أنك نصراني وقال أخرجه عني.

فقال: أمدد يدك فأنا أشهد أن لا إله الا الله وأن محمّد رسول الله، وأنّ عليّاً أمير المؤمنين، والله ما علم أحد بخروجي من الشام، ولا عرفني أحد من أهل العراق. ثم حسن إسلامه[2].

---

(١) فرحة الغري: ١٦٨، البحار: ٣١٨/٤٢ ح ٥.

(٢) ارشاد القلوب: ٤٣٧/٢، البحار: ٣١٩/٤٢ ح ٦.

الكرامة السابعة

❊ حكي أن عمران بن شاهين من أمراء أهل العراق عصى على عضد الدولة، فطلبه حثيثاً فهرب منه إلى المشهد متخفياً، فرأى أمير المؤمنين عليه السلام في منامه وهو يقول له: يا عمران إنّ في غد يأتي فناخسرو إلى هاهنا، فيخرجون ممن بهذا المكان، فتقف أنت هاهنا وأشار إلى زاوية من زوايا القبة فإنهم لا يرونك، فسيدخل ويزور ويصلي ويبتهل بالدعاء والقسم بمحمّد وآله أن يظفره بك، فادن منه وقل له أيها الملك: من هذا الذي قد ألححت بالقسم بمحمّد وآله أن يظفرك الله به؟ فسيقول: رجل شقّ عصاي ونازعني في ملكي وسلطاني. فقل له: ما لمن يظفرك به؟ سيقول: إن حتم عليّ بالعفو عنه عفوت عنه، فأعلمه بنفسك فإنك تجد منه ما تريد، فكان كما قال له، فقال له: انا عمران بن شاهين.

قال: من أوقفك ها هنا؟ قال له: هذا مولانا قال لي في منامي غداً يحضر فناخسرو إلى هاهنا وأعاد عليه القول.

فقال له: بحقه قال لك فنا خسرو! قلت: أي وحقه.

فقال عضد الدولة: ما عرف أحد من اسمي فناخسرو إلا أمي والقابلة وأنا ثم خلع عليه خلع الوزارة، وطلع من بين يديه إلي الكوفة.

وكان عمران بن شاهين قد نذر عليه أنه متى عفا عنه عضد الدولة أتى إلى زيارة أمير المؤمنين عليه السلام حافياً حاسراً، فلما جنّه الليل خرج من الكوفة وحده فرأى جدي عليّ بن طحال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في منامه وهو يقول له: اقعد افتح لوليي عمران بن شاهين الباب، فقعد وفتح الباب وإذا بالشيخ قد أقبل، فلماوصل قال: بسم الله يا مولانا! فقال: ومن أنا؟ فقال: عمران بن شاهين.

قال: لست بعمران بن شاهين.

فقال: بلى، إن أمير المؤمنين أتاني في منامي وقال لي: اقعد افتح لولي عمران بن شاهين. قال له: بحقه هو قال لك! قال: أي وحقه هو قال لي. فوقع على القبة يقبلها وأحاله على ضامن السمك بستين ديناراً، وكانت له زوارق تعمل في الماء في صيد السمك[1] أقول: وبنى الرواق المعروف برواق عمران في المشهدين الشريفين الغروي والحائري على مشرفهما السلام[2].

الكرامة الثامنة

في سنة إحدى وخمسمائة بيع الخبز بالمشهد الشريف الغروي كل رطل بقيراط، بقي أربعين يوماً، فمضى القوم من الضر على وجوههم إلى القرى، وكان من القوم رجل يقال له أبو البقاء بن سويقة، وكان له من العمر مائة وعشر سنين فلم يبق من القوم سواه، فأضرّ به الحال، فقالت له زوجته وبناته هلكنا امض كما مضى القوم فلعل الله تعالى يفتح بشيء نعيش به، فعزم على المضي فدخل إلى القبة الشريفة (صلوات الله على صاحبها) وزار وصلى وجلس عند رأسه (الشريف وقال: يا أمير المؤمنين، لي في خدمتك مائة سنة ما فارقتك، وما رأيت الخلة، ولا (رأيت) السكون، وقد أضرّ بي وبأطفالي الجوع، وها أنا مفارقك، ويعزّ عليّ فراقك، استودعك، هذا فراق بيني وبينك. ثم خرج ومضى مع المكارية حتى يعبر إلى الوقف وسوراء وفي صحبته وهبان السلمي، وأبو كردي، وجماعة من المكارية طلعوا من المشهد (بليل)، فلما (وصلوا) إلى أبي هبيش قال بعضهم لبعض هذا وقت كثير، فنزلوا ونزل أبو البقاء معهم، فنام فرأى في منامه أمير المؤمنين عليه السلام وهو يقول له: يا أبا البقاء، فارقتني بعد طول هذه المدة، عد إليّ حيث كنت، فانتبه باكياً، فقيل له ما يبكيك، فقص عليهم المنام، ورجع فحيث رأينه بناته صرخن (في وجهه)، فقص

(١) ارشاد القلوب: ٢/٤٣٨، البحار: ٤٢/٣١٩ ح ٧.

(٢) فرحة الغري: ١٧٠.

عليهن القصة، وطلع وأخذ مفتاح القبة من الخازن أبي عبد الله بن شهريار القمّي، وقعد على عادته بقي ثلاثة أيام، ففي اليوم الثالث أقبل رجل وبين كتفيه مخلاة كهيئة المشاة إلى طريق مكة، فحلها وأخرج منها ثياباً لبسها ودخل إلى القبة الشريفة، وزار وصلى، قال: ودفع إلي خفيفاً، وقال: ائت بطعام نتغدى. فمضى القيم أبو البقاء وأتى بخبز ولبن وتمر، فقال: ما يؤكل لي هذا، ولكن امض به إلى أولادك يأكلونه، وخذ هذا الدينار الآخر واشتر لنا (به) دجاجاً وخبزاً.

فأخذت له بذلك، فلما كان وقت صلاة الظهر، صلّى الظهرين وأتى إلى داره والرجل معه، فأحضر الطعام وأكلا وغسل الرجل يديه، وقال لي: ائتني بأوزان الذهب!فطلع القيم ابو البقاء إلى زيد بن واقصة وهو صائغ على باب دار التقي بن أسامة العلوي النسابة، فأخذ منه الصينية وفيها أوزان الذهب وأوزان الفضة. فجمع الرجل جميع الأوزان فوضعها في الكفة حتى الشعيرة والأرزة وحبة الشبه، وأخرج كيساً مملوءً ذهباً (وترك) منه بحذاء الأوزان وصبه في حجر القيم، ونهض وشد ما تخلف عنه، (ومد مداسه) فقال له القيم: يا سيدي ما اصنع بهذا؟! فقال له: هو لك. قال: ممن؟! قال: من الذي قال لك ارجع حيث كنت، قال لي أعطه (حذاء) الأوزان، ولو جئت بأكثر من هذه الأوزان لأعطيتك!. فوقع مغشياً عليه ومضى الرجل، فزوج القيم بناته وعمر داره وحسنت حاله[1].

الكرامة التاسعة

في سنة خمس وسبعين وخمسمائة كان الأمير مجاهد الدين سنقر الآس مقطّع الكوفة، وقدوقع بينه وبين بني خفاجة شيء، فما كان أحد منهم يأتي إلى المشهد ولا غيره إلّا وله طليعة، (فأتى فارسان فدخل أحدهما وبقي الآخر طليعة)، فخرج سنقر من مطلع رهيمي وأتى مع السور فلما بصر به الفارس نادى بصاحبه: (جاءت

---

(١) البحار: ٤٢/٣٢١ح ٨

العجم)، وتحته سابق من الخيل، فأفلت ومنعوا الآخر أن يخرج من الباب، وأقتحموا وراءه فدخل راكباً، ثم نزل عن فرسه قدام باب السلام الكبير البراني، فمضت الفرس فدخلت في باب ابن عبدالحميد النقيب ابن اسامة، ودخل البدوي، ووقف على الضريح الشريف فقال سنقر: ائتوني به فجاءت المماليك يجذبونه من على الضريح الشريف، وقد لزم البدوي برمانة الضريح، وقال: يا أبا الحسن أنا عربي وأنت عربي، وعادة العرب الدخول، وقد دخلت عليك، لا يا أبا الحسن دخيلك، دخيلك، وهم يكفون أصابعه من على الرمانة وهو ينادي ويقول: لا تخفر ذمامك يا ابا الحسن، فأخذوه ومضوا فأراد أن يقتله، فقطع على نفسه مائتي دينار وحصاناً من الخيل المذكورة فكفله ابن بطن الحق على ذلك، ومضى إبن بطن الحق يأتي بالفرس والمال، وقال إبن طحال: فلما كان الليل وأنا نائم مع والدي محمّد بن طحال بالحضرة الشريفة، فإذا بالباب تطرق، فنهض والدي وفتح الباب، وإذا أبو البقاء بن الشيرجي السوراوي والبدوي معه، وعليه جبة حمراء وعمامة زرقاء ومملوك، على رأسه منشفة مكورة يحملها، فدخلوا القبة الشريفة حين فتحت ووقفوا قدام الشباك، وقال: يا أمير المؤمنين عبدك سنقر يسلم عليك ويقول لك إلى الله وإليك يا أمير المؤمنين المعذرة والتوبة وهذا دخيلك، وهذه كفارة ما صنعت.

فقال له والدي: ما سبب هذا؟ قال: إنّه رأى أمير المؤمنين في منامه وبيده حربة وهو يقول: والله لئن لم تخل سبيل دخيلي لانتزعن نفسك على هذه الحربة، وقد خلع عليه وأرسله ومعه خمسة عشر رطلاً فضة بعيني رأيتها وهي: سروج وكيزان ورؤوس اعلام، وصفائح فضة، فعملت ثلاث طاسات على الضريح الشريف (صلوات الله على مشرفه) ولا زالت إلى ان سبكت في هذه الحلية التي عليه الآن، واما ابن بطن الحقّ، فرأى أمير المؤمنين عليه السلام في منامه، وهو يقول له: إرجع إلى سنقر فقد خلى سبيل البدوي الذي كان قد أخذه، فرجع إلى المشهد الشريف وأجتمع بالأسير المطلق[1].

(١) البحار: ٤٢/٣٢٣ ح ٩.

الكرامة العاشرة

في سنة أربع وثمانين وخمسمائة في شهر رمضان، كانوا يأتون مشايخ الزيدية من الكوفة في شهر رمضان كان ليلة يزورون الإمامعليه السلام، وكان فيهم رجل يقال له عباس الأمعص، قال ابن طحال: وكانت تلك الليلة نوبة الخدمة عليّ، فجاءوا على العادة وطرقوا الباب ففتحته لهم، وفتحت باب القبة الشريفة، وبيد عباس سيف، فقال لي: أين أطرح هذا السيف؟ فقلت: أطرحه في هذه الزاوية، وكان شريكي في الخدمة شيخ كبير يقال له بقاء بن عنقود، فوضعه ودخلت وأشعلت لهم شمعة، وحركت القناديل فصلوا وطلعوا، وطلب عباس السيف فلم يجده، وسألني عنه، فقلت له: مكانه، فقال: ما هو ها هنا.

وطلبته فما وجدته! وعادتنا ان لا نخلي احداً ينام بالحضرة سوى أصحاب النوبة فلما يئس منه دخل وقعد عند الرأس، وقال:

يا أمير المؤمنين أنا وليك عباس واليوم لي خمسون سنة أزورك في كل ليلة في رجب وشعبان ورمضان والسيف معي عارية، وحقك ان لم ترده عليّ إن رجعت ما زرتك أبداً، وهذا فراق بيني وبينك ومضى، فأصبحت فأخبرت السيد النقيب شمس الدين عليّ بن المختار، فضجر عليّ وقال: ألم أنهكم أن ينام أحد بالمشهد سواكم، فأحضرت الختمة الشريفة وأقسمت بها انني فتشت المواضع وقلبت الحصر وما تركت أحداً عندنا، فوجد من ذلك أمراً عظيماً وصعب عليه، فلما كان بعد ثلاثة أيام وإذا أصواتهم بالتكبير والتهليل فقمت وفتحت لهم على جاري عادتي، وإذا العباس الامعص والسيف معه! فقال: يا حسن هذا السيف فالزمه.

فقلت: إخبرني خبره! قال: رأيت مولانا أمير المؤمنينعليه السلام في منامي، وقد أتى لي وقال: يا عباس لا تغضب امض إلى دار فلان إبن فلان اصعد الغرفة التي فيها التبن وخذ السيف، وبحياتي عليك لا تفضحه ولا يعلم به أحداً، فمضيت إلى النقيب

شمس الدين فأعلمته بذلك، فطلع في السحر إلى الحضرة وأخذ السيف منه وحكى له ذلك، فقال: لا أعطيك السيف حتى تعلمني من كان أخذه. فقال له عباس يا سيدي يقول لي جدك بحياتي عليك لا تفضحه ولا تعلم به أحداً وأخبرك، ولم يعلمه ومات ولم يعلم أحداً من أخذ السيف[1].

الكرامة الحادية عشر

في سنة سبع وثمانين وخمسمائة، كانت نوبتي انا وشيخ يقال صباح بن حوبا، فمضى إلى داره وبقيت وحدي وعندنا رجل يقال له ابو الغنائم بن كدونا، وقد أغلقت الحضرة الشريفة صلوات الله على صاحبها، فبينما أنا كذلك إذ وقع في مسامعي صوت أحد أبواب القبة فأرتعدت لذلك، وقمت ففتحت الباب الأوّل، ودخلت إلى باب الوداع، فلمست الأقفال فوجدتها على ما هي عليه من الأغلاق، كذلك ومشيت على الأبواب أجمع فوجدتها بحالها، وقد أقول: والله لو وجدت أحداً للزمته، فلما رجعت طالعاً إلى الشباك الشريف، واذا برجل على ظهر الضريح أحققه في ضوء القناديل، فحين رأيته أخذتني القعقعة والرعدة العظيمة وربا لساني في فمي، إلى ان صعد إلى سقف حلقي، فلزمت بكلتا يدي عمود الشباك، وألصقت منكبي الأيمن في ركنه، وخاب رشدي عني، وإذا همهمة الرجل ومشيته على فرش الصحن بالقبة، وتحريك الختمة الشريفة بالزاوية في القبة، وبعد ساعة رد روعي وسكن ما عندي، فنظرت فلم أرَ أحداً فرجعت حتى أطلع فوجدت الباب المقابل باب حضرة النساء قد فتح منه مقدار شبر، فرجعت إلى باب الوداع، وفتحت الأقفال والأغلاق ودخلت وأغلقته من داخله، وهذا ما رأيته وشاهدته[2].

---

(١) فرحة الغري: ١٧٦، البحار: ٣٢٤/٤٢ح١٠.

(٢) فرحة الغري: ١٦٨، البحار: ٣٢٦/٤٢ ح١١.

الكرامة الثانية عشر

* قيل إنّ رجلاً يقال له أبو جعفر الكتاتيبي، سأله رجل أن يدفع إليه بضاعة، فلما ألح عليه أخرج ستين ديناراً، وقال له: أشهد لي أمير المؤمنين بذلك، فأشهده عليه بالقبض والتسليم، ففعل ذلك، فلما قبض المبلغ بقي ثلاث سنين ما أعطاه شيئاً، وكان بالمشهد رجل ذو صلاح يقال له مُفرج، فرأى في المنام كأن الرجل الذي قبض المال قد مات، وقد جاءوا به على جاري العادة ليدخلوه إلى الحضرة الشريفة (صلوات الله على صاحبها)، فلما وصلوا إلى الباب، طلع أمير المؤمنين عليه السلام إلى العتبة، وقال: لا يدخل هذا إلينا، ولا يصلي أحد عليه، فتقدم ولد له يقال له يحيى، فقال: يا أمير المؤمنين وليك! قال: صدقت، ولكن اشهدني عليه لأبي جعفر الكتاتيبي بمالٍ ما أوصله إليه، فأصبح ابن مفرج وأخبرنا بذلك، فدعونا ابا جعفر وقلنا له: اي شيء لك عند فلان قال: مالي عنده شيء وقلنا له: ويلك، شاهدك إمام.

قال: ومن شاهدي؟ قلنا له: أمير المؤمنين عليه السلام.

فوقع على وجهه يبكي، فأرسلنا إلى الرجل الذي قبض المال.

فقلنا له: أنت هالك! فأخبرناهم بالمنام، فبكى ومضى فأحضر اربعين ديناراً، فسلمها إلى أبي جعفر وأعطاه الباقي[1].

الكرامة الثالثة عشر

* حكى ابن مظفر النجار، قال: كان لي حصة في ضيعة، فقبضت غصباً، فدخلت إلى أمير المؤمنين عليه السلام شاكياً: يا أمير المؤمنين إن ردت هذه الحصة عليّ عملت هذا المجلس من مالي.

---

(١) البحار: ٣٢٧/٤٢ ح ١٢.

فردت الحصة عليه، فغفل مدة فرى أمير المؤمنين عليه السلام (في منامه) وهو قائم في زاوية القبة، وقد قبض على يده وطلع حتى وقف على باب الوداع البراني، وأشار إلى المجلس وقال: يا عليّ (يوفون بالنذر)، قال: فقلت: حباً وكرامة يا أمير المؤمنين فأصبح فأشتغل في عمله[1].

الكرامة الرابعة عشر

أمر المرحوم صاحب الجواهر في أيامه الأخيرة بعقد اجتماع كبير يضم علماء النجف من الطراز الأول... وعقد المجلس المذكور بحضور صاحب الجواهر إلّا أن الشيخ الأنصاري لم يكن موجوداً.

قال صاحب الجواهر: احضروا الشيخ مرتضى أيضاً (الأنصاري) وبعد البحث عنه كثيراً وجدوا الشيخ في زاوية من حرم أمير المؤمنين عليه السلام متوجهاً نحو القبلة يدعو لصاحب الجواهر بالشفاء... وبعد دعائه أخبروه بالأمر فمضى للإشتراك في ذلك المجلس.

أجلس صاحب الجواهر الشيخ بجوار فراشه وأخذ يده ووضعها على قلبه وقال: «الآن طاب لي الموت» ثم قال للحاضرين: «هذا مرجعكم من بعدي»، ثم توجه إلى الشيخ الأنصاري وقال له: «قلل من احتياطك فإن الشريعة سمحة سهلة» وانتهى المجلس ولم يلبث صاحب الجواهر أن التحق بالرفيق الأعلى، وجاء دور الشيخ المرتضى وتولى قيادة الأمّة ولكنه بالرغم من أن أربعمائة مجتهد مسلّم بأجتهادهم اعترفوا بأعلميته، امتنع عن الإفتاء وقبول المرجعية وكتب رسالة إلى «سعيد العلماء المتوفي حوالي عام ١٢٧٠ هـ الذي كان إنذاك في ايران وكان الشيخ زميله في

---

(١) البحار: ٤٢/٣٢٨ ح١٣.

الدراسة بهذا المضمون: عندما كنت في كربلاء وكنا ندرس معاً على «شريف العلماء» كنت أكثر مني فهماً واستيعاباً والآن ينبغي أن تأتي إلى النجف وتقوم باعباء هذا الأمر، فكتب إليه «سعيد العلماء» في الجواب بما حاصله:

لقد بقيت أنت خلال المدة الماضية في الحوزة مشتغلاً بالتدريس والمباحثة، وبينما انشغلت أنا بأمور الناس، ولذا فأنت أحق مني بهذا الأمر... وبعد وصول الجواب تشرف الأنصاري بزيارة حرم أمير المؤمنين عليه السلام، وطلب من ذلك الإمام العظيم أن يعينه بأذن الله تعالى في هذا الأمر الخطير ويسدد.

يقول أحد خدام أمير المؤمنين عليه السلام: «كالعادة ذهبت إلى الحرم الشريف قبل طلوع الفجر بساعة... فجأة سمعت من شرقي الضريح المقدس صوت بكاء عالياً متفجعاً ونشيجاً متحرقاً ... تعجبت كثيراً... صوت من هذا؟ هذا البكاء المشجي من أين؟ في هذا الوقت عادة لا يأتي الزوار إلى الحرم...

وفيما افكر في ذلك، كنت أتقدم قليلاً قليلاً لأرى ما الخبر؟ فجأة رأيت الشيخ الأنصاري وقدوضع وجهه على الضريح وهو يبكي كالثكلى ويخاطب باللهجة الدزفولية بحرقة وانين أمير المؤمنين قائلاً:

«سيدي، مولاي، يا أبا الحسن، يا أمير المؤمنين هذه المسؤولية التي أصبحت على عاتقي خطيرة جداً ومهمة جداً أريد منك أن تحفظني من الزلل والخطأ وعدم القيام بواجبي، وان ترشدني دائماً في طوفان الحوادث المؤلمة، وإلا فسأهرب من تحمل القيادة والمرجعية ولن أقبلها».

وعلى أثر هذا الدعاء والتوسل بحضرة أمير المؤمين، أنظر إلى سيرة الشيخ الأنصاري وآثاره التي تركها للحوزة العلمية على مرّ العصور، كل ذلك نتيجة تعلقه بالمولى أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام.

الكرامة الخامسة عشر

جاء عن جعفر بن محمّد الدوريستي قال: حضرت بغداد في سنة احدى واربعمائة في مجلس المفيد أبي عبدالله رضي الله عنه، فجاءه علوي وسأله عن تأويل رؤيا رآها، فأجاب، فقال: أطال الله بقاء سيدنا، أقرأت علم التأويل؟ قال: إني قد بقيت فيهذا العلم مدة، ولي فيه كتب جمة.

ثم قال: خذ قرطاس واكتب ما أملي عليك.

قال: كان ببغداد رجل عالم من أصحاب الشافعي، وكان له كتب كثيرة، ولم يكن له ولد، فلما حضرته الوفاة دعا رجلاً يقال له جعفر الدقاق وأوصى إليه ـ وقال إذا فرغت من دفني فأذهب بكتبي إلى سوق البيع وبعها، واصرف ما حصل من ثمنها في وجوه المصالح التي فصلتها، وسلم إليه التفصيل.

ثم نودي في البلد: من أراد أن يشتري الكتب فليحضر السوق الفلاني فإنه يباع فيه الكتب من تركة فلان.

فذهبت إليه لأبتاع كتاباً، وقد اجتمع هناك خلق كثير، ومن اشترى شيئاً من كتبه كتب عليه جعفر الدقاق للوصي ثمنه، وأنا قد اشتريت أربعة كتب في علم التعبير، وكتبت ثمنها على نفسي، وهو يشترط على من ابتاع توفية الثمن في الإسبوع، فلما هممت بالقيام قال لي جعفر:

مكانك يا شيخ، فإنّه جرى لدي أمر لأذكره لك، فأنه نصرة لمذهبك.

ثم قال لي: إنّه كان لي رفيق يتعلم معي، وكان في محلة باب البصرة رجل يروي الأحاديث، والناس يسمعون منه. يقال له: (ابو عبدالله المحدث) وكنت ورفيقي نذهب إليه برهة من الزمان، ونكتب عنه الأحاديث وكلما أملي حديثاً من فضائل أهل البيتعليهم السلام طعن فيه وفي روايته، حتى كان يوماً من الأيام فأملى في فضائل البتول الزهراء وعلياً صلوات الله عليهما، ثم قال: وما تنفع هذه الفضائل علياً

وفاطمة، فأن علياً يقتل المسلمين وطعن في فاطمة، وقال فيهما كلمات منكرة.

قال جعفر فقلت لرفيقي ألّا ينبغي لنا ان نأتي هذا الرجل، فأنه لا دين له ولا ديانة، وأنه لا يزال يطول لسانه في عليّ وفاطمة عليهما السلام، وهذا ليس بمذهب المسلمين.

قال رفيقي: انك لصادق، فمن حقنا أن نذهب إلى غيره [فإنه رجل ضال، فعزمنا أن نذهب إلى غيره] ولا نعود إليه فرأيت من الليلة كأني أمشي إلى المسجد الجامع، فألتفت فرأيت أبا عبدالله المحدث، ورأيت أمير المؤمنين راكباً حماراً مصرياً يمشي إلى المسجد الجامع، فقلت في نفسي: وا ويلاه أخاف أن يضرب عنقه بسيفه، فلما قرب منه ضرب بقضيبه عينه اليمنى، وقال له: «يا ملعون لم تسبني وفاطمة؟!» فوضع المحدث يده على عينه اليمنى وقال: أوعميتني.

قال جعفر: فانتبهت وهممت أن أذهب إلى رفيقي وأحكي له ما رأيت، فأذا هو قد جاءني متغير اللون، فقال: أتدري ما وقع؟! فقلت له قل.

فقال: رأيت البارحة رؤيا في أبي عبدالله المحدث.

فذكر... فكان كما ذكرته من غير زيادة ولا نقصان.

فقلت له! أنا رأيت مثل ذلك، وكنت هممت بأتيانك لا ذكره لك، فإذهب بنا الآن مع المصحف للحلف له إنا رأينا ذلك، ولم نتواطأ عليه وننصح له ليرجع عن هذا الإعتقاد.

فقمنا ومشينا إلى باب داره، فأذا الباب مغلق، فقرعنا، فجاءت جارية وقالت: لا يمكن أن يرى الآن.

فرجعت، ثم قرعنا الباب ثانية فجاءت وقالت: لا يمكن ذلك فقلنا ما وقع له؟

فقالت: إنه قد وضع يده على عينه، ويصيح من نصف الليل ويقول: إن عليّ بن أبي طالب قد أعماني، ويستغيث من وجع العين فقلنا لها: افتحي الباب فأنا قد جئنا لهذا الأمر.

ففتحت فدخلنا، فرآيناه على أقبح هيئة ويستغيث ويقول: مالي ولعلي بن أبي طالب، ما فعلت به، فإنه قد ضرب بقضيب على عيني البارحة وأعماني.

قال جعفر: وذكرنا له ما رأينا في المنام وقلنا له:

أرجع عن اعتقادك الذي أنت عليه، ولا تطول لسانك فيه، فأجاب وقال: لا جزاكما الله خيراً لو كان عليّ بن أبي طالب أعمى عيني الأخرى لما قدمته على أبي بكر وعمر فقمنا من عنده، وقلنا: ليس في هذا الرجل خير.

ثم رجعنا إليه بعد ثلاثة أيام لنعلم ما حاله فلما دخلنا عليه وجدناه أعمى بالعين الأخرى، فقلنا له: أما تغيرت! فقال: لا والله، لا أرجع عن هذا الإعتقاد، فليفعل عليّ بن أبي طالب ما أراد، فقمنا ورجعنا.

ثم عدنا إليه بعد اسبوع لنعلم إلى ما وصل حاله، فقيل: أنه قد دفن وارتد ابنه، ولحق بالروم تعصباً على عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه، فرجعنا وقرأنا: ﴿فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين﴾.[1]

الكرامة السادسة عشر

جاء في مذكرات العلّامة الطباطبائي رحمه الله صاحب تفسير الميزان أنه قال:

عندما كنت في طريقي من تبريز إلى النجف الأشرف للدراسة لم أكن أعرف شيئاً عن النجف، ولم أكن أعرف أين أذهب، وماذا أفعل... كنت في الطريق أفكر دائماً أي درس أدرس؟ وعلى من أتتلمذ؟ وأي طريقة أختار ويكون فيها رضا الله تعالى؟

عندما وصلت إلى النجف الأشرف وحين الدخول توجهت إلى قبة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وقلت.

---

(١) وبغض امثال هؤلاء إنما هو نتيجة النفاق أو انه ابن زنا أو ابن حيض فقد ورد عند الفريقين عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (يا علي لا يبغضك إلّا ابن زنا أو ابن حيض أو منافق). «العلوي»

«يا عليّ تشرفت بمحضرك لمواصلة الدراسة ولكني لا أعرف أي نـهج أسـلك وأي برنامج أختار أريد منك أن ترشدني إلى ما فيه صلاحي».

استأجرت منزلاً وسكنته... وفي الأيام الأولى وقبل أن أبدأ أي درس... كـنت جالساً في البيت أفكر في مستقبلي... فجأة طرق الباب، فتحت الباب فرأيت أحد العلماء الكبار سلم ودخل... جلس في الغرفة ورحب بي ... كانت له طلعت جذابة ونورانية جداً حدثني بكامل الصفاء والصميمية والأنس... وخلال أحاديثه قرأ لي أشعاراً وقال لي ما مضمونه: «الشخص الذي يأتـي إلى النـجف الأشـرف بـهدف الدراسة من الجيد أن يفكر بالإضافة إلى الدراسة بتهذيب نفسه وتكـميلها وأن لا يغفل عن نفسه...» قال هذا ومضى...

وفي ذلك المجلس أسرتني أخلاقه وتصرفاته وقد أثرت في قلبي كلماته القصار والأخاذة إلى حدّ أني عرفت منها برنامجي المستقبلي... وطيلة الفترة التي كنت فيها في النجف الأشرف لم أترك محضر ذلك العالم التقي، اشتركت في درسه الأخلاقي واستفدت من سماحته... وذلك العالم الكبير هو المرحوم آية الله الحاج ميرزا عليّ القاضي رحمه الله.

أقول: هذا حال الكثير من العلماء الأبرار من المذهب الشـيعي الحـقّ، حـيث يتزودون العلم والعرفان من منابعها الأصلية المتمثلة في عِدل القرآن الكريم الذين هم أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، وإذا أراد أي عالم ان يتجلى في نفسه صـفاء القلب ونور الحقيقة، فلا بد له أن يتوسل بباب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي هو مولى الموحدين الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فلا يخفى على عالم جليل القدر مثل العلّامة الطباطبائي هكذا أمر، بل جعل الإمـام عليه السلام هـو المـرشد الحقيقي له إلى المعرفة الحقة، وعلى هذا الأساس فلا بد لطلاب العـلم والمـعرفة والذين يريدون مقام العلم والعمل أن ويبدأوا من أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ويـنتهوا به عليه السلام وآل علي عليهم السلام.

الكرامة السابعة عشر

نُقل عن الشهيد السعيد أية الله العظمى السيد محمّد باقر الصدر (قدس) أيام دراسته وتدريسه في النجف الأشرف أنه قال لأحد تلاميذه: كنت ملتزماً بعمل يومي حيث كنت أذهب كل ليلة إلى حرم إمير المؤمنين عليه السلام وقبال ضريحه المبارك الشريف أجلس وبعد الزيارة والدعاء كنت أفكر بالدرس وطلب العلم والتفكر في بعض المطالب العلمية الدقيقة التي قد يقف فيه العقل عن الوصول إلى جواب عنها إلا إذا سلك طريق عباد الله الصالحين الذين يعطون لأوليائهم ما يعطوا، وانا كنت أودي هذا الورد اليومي لأنني كنت معتقداً بأن جو الحرم وروح أمير المؤمنين عليه السلام لها التأثير الكبير في الإلهام وحل الكثير من المعضلات.

ولقد مرت الأيام وأنا أفعل هذا العمل ليلاً إلى أن جاء يوم من الأيام تركت هذا العمل والورد اليومي الذي لا يعلمه إلا الله تعالى، ولم يكن مطلعاً على هذه المسألة أحداً. وإذا تأتي من نساء أرحامنا وتقول:

قد جاءني أمير المؤمنين عليّ بنَ ابي طالب عليه السلام في عالم الرؤيا وقال لي: قولي لسيد باقر كل ليلة تأتي عندنا تقرأ دروسك لماذا تركت هذا العمل؟

الكرامة الثامنة عشر

الفاضل المحقق الميرزا محمود مجتهدي شيرازي الذي كان يسكن سامراء رحمة الله عليه نقل هذه القصة والكرامة:

كان المرحوم السيد محمّد عليّ الرشتي من العلماء الذين قضوا عمرهم الشريف في السلوك والمجاهدات النفسية والرياضات الجوراحية خلال مسيره العرفاني.

وكان تلك الأيام يعيش في مدرسة الحاج قوام النجفي ويحصل العلوم الدينية، وكان المشهور بين طلبة تلك المدرسة ان شخصاً يعمل أسكافياً «مرقع للأحذية»

في باب مسجد الشيخ الطوسي معروفاً بطي الأرض، وكل ليلة جمعة يصلي صلاة المغرب في مقام حضرة الإمام المهدي (عج الله تعالى فرجه الشريف) في وادي السلام، ويصلي صلاة العشاء في حرم حضرة سيد الشهداء الحسين عليه السلام [مع العلم كم هي الفاصلة بين النجف الأشرف وكربلاء فهي أكثر من ٨٠كم وتقريباً يومين من المسير مشياً على الأقدام تنقطع هذه المسافة] وعلى كل حال اردت ان اتحقق من هذا المطلب وأكون على يقين من هذه المسألة في قضية هذا الرجل الإسكافي الصالح

وفعلاً بدأت اتحقق في هذه القضية حيث ذهبت إلى أحد الأصدقاء الأعزاء والذي عليّ كانت صداقتي معه على ثقة عالية جداً ومعتمداً لدي قلت له: [بعد المباحثة والتفاهم معه في هذه الحقيقة ومعرفتها على وجه الدقة] يوم الأربعاء تذهب إلى كربلاء وليلة الجمعة تكون في الحرم الحسيني الشريف وتنظر هذا الرجل الصالح الإسكافي هل موجود في الحرم أم لا؟

جاء يوم الخميس ووقت غروب الشمس من ذلك اليوم جئت إلى حيث يعمل الإسكافي مع إظهار التأثر والتأسف قربه وإظهار عدم الراحة من نفسي قلت له: عندي أمر ومطلب مهم ولا بد لي من ارسال رسالة مهمة إلى أحد اصدقائي ولكن مع شديد الأسف ذهب هذا الصديق إلى كربلاء للزيارة ولا يوجد بيدي شيء أفعله؟

أجابني الإسكافي قائلاً: قل الله قادر على كل شيء في هذه الليلة تصل رسالتك إلى صديقك انشاء الله، واعطني اياها واعطني علامة صديقك.

عند ذلك أخذ الرسالة وتوجه إلى جهة وادي السلام وبعد ذلك لم أشاهده إلى يوم السبت.

وعند يوم السبت عاد صديقي من زيارة كربلاء وقال لي: إنّ هذا الإسكافي قد أعطاني وسلم لي رسالتك في حرم الإمام الحسين عليه السلام وفي نفس ليلة الجمعة وعند صلاة العشاء.

عند ذلك أصبح لدي يقين كامل بحالة هذا الرجل الإسكافي الصالح وعلى هذا

الأساس قررت أن أكون من أصدقاءه وأن أصل إلى مقامه من خلال مصاحبته.

قمت بدعوة هذا الإسكافي المؤمن إلى بيتي حيث كان الجـو حـاراً فـي ذلك الوقت فجلسنا في سطح الدار مقابل قبة الإمـام أمـير المـؤمنين عـليّ بـن أبـي طالبعليه السلام، حيث كانت القبة واضحة وظاهرة أمامنا، وبعد تناول العشاء المختصر بيننا قلت لهذا العبد الصالح: الغرض من دعوتي لك في هذه الليلة هو أنه أصبح لدي يقين كامل بأن لك قابلية على طي الأرض وأنا أعطيتك هذه الرسالة ليلة الجمعة لكي أصل إلى هذا اليقين بقضيتك هذه وارجو المعذرة على هذا، التصرف، فأنا أريد أن أصل إلى مقامك ومنزلتك في طي الأرض.

وهنا حصل أمر عجيب من الإسكافي فمجرد سمع قولي هذا وعرف نيتي على هذه المسألة أصيب بدهشة عجيبة وصاح صيحة كبيرة وأصبح مثل الخشبة اليابسة وأصبح مستوحشاً وقال: من الدنيا ذهبت!!

وهو في مثل هذه الحالة قال لي: يا سيد انت تريد الوصول إلى طيّ الأرض وأنا اقول لك: إنّ كل الذي عندي من هذا السيد وأشار بيده إلى مرقد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالبعليه السلام وما عليك إلاّ أن تطلب منه كل شيء.

هذا القول قاله وخرج من البيت وبعد ذلك ما رأيته في النجف الأشرف أثر هذه القضية ولقد سألت عليه الكثير من الناس، وخصوصاً في مرقد أمير المؤمنين ولكني لم أجد له أثراً ولا جواباً عنه.

أقول: إنّ هذه القصة لها دلالات كثيرة إضافة إلى كونها مطابقة للدليل القرآني، اما دلالات هذه القضية، تتلخص في كون أولياء الله تعالى قد أخفاهم الله تعالى بين عباده لئلاً يستحقر أحد سن الناس بعضهم لبعض[1]، ومسألة الكرامات والمقامات

---

(١) وقد ورد عن الإمام البافرعليه السلام: قد اخفى الله ثُلاث في ثلاث: اخفى رضاه في طاعاته فلا

التي يحصل عليها كثير من الناس لا تكون منحصرة فقط بالعلماء، بل كل إنسان يتوجه إلى أهل البيت عليهم السلام ويطلب منهم بأخلاص واعتقاد بأنهم باب من أبواب الله تعالى.

وأما كون هذه القضية موافقة لما في القرآن الكريم، فيكفي شاهد قرآني واحد على صحة قضية طي الأرض وأنها من الأمور القليلة بحق أولياء الله الصالحين فهذا قوله تعالى: **﴿قال الذي عنده علم من الكتاب أنا ءآتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رءاه مستقراً عنده﴾**(١).

يؤكد هذه الحقيقة حقيقة طي الأرض في أقل من أرتداد البصر، وعلى هذا الأساس فإن من يطلب من أمير المؤمنين عليّ عليه السلام يعطيه ولكن بشرطها وشروطها ومن شروطها الإعتقاد الجازم بأهل البيت عليهم السلام إضافة إلى الكتمان.

الكرامة التاسعة عشر

نقل العالم الزاهد والمحب الصادق المرحوم الحاج الشيخ محمّد شفيعي محسني هذه القصة: كان يوجد شخص محب لأمير المؤمنين عليه السلام ويمدح الإمام بأشعاره والناس على أثر ذلك يحسنون إليه بما يقدمونه له من المال، وفي يوم من الأيام جاء هذا المادح ووقف على باب بيت أحد النواصب لأمير المؤمنين عليه السلام وكان هذا

☜ يستحقرن احد من طاعات الله لعله يكون فيه رضاه، واخفى سخطه في معاصيه فلا يستحقرنّ احد شيء من معاصيه لعل فيه سخطه، واخفى اولياءه في خلقه فلا يحتقرن احد أحداً لعلّه يكون الولي. وورد أيضاً: اوليائي تحت قبائي لا يعرفهم غيري.

ومن أولياء الله رجال الغيب وهم الاوتاد الأربعة والأبدال السبعة والصالحين السبعين الذين هم مع صاحب الأمر الإمام المهدي عليه السلام وعجل الله فرجه الشريف وجعلنا من خلّص شيعته وانصاره واعوانه والمستشهدين بين يديه. «السيّد العلوي»

(١) النمل: ٤٠.

الناصبي يعمل قاضياً في تلك المنطقة، فأخذ المادح يمدح أمير المؤمنين بـصوت عالٍ وعلى رسله.

سمع القاضي مدح الإمام وهو في بيته فغضب وابدى عدم ارتياحه لهذا المادح، فتح باب بيته وقال له:

كم تأتي بأسم عليّ؟ غيِّر هذا الإسم ألا تستطيع مدح غيره أنا لا أعطيك شيئاً حتى تمدح عمراً وأحسن إليك بعد ذلك.

عند ذلك اجابه الفقير المادح: أنت تريد أن تعطيني شيئاً مـقابل مـدح فـلان؟ وحياتي يكون اسمه عليّ أقوى من سم الحية، وأنا لا أريد منك ولا أخذ اي شيئاً وغير محتاجٍ لك.

أصبح القاضي عصبياً أثر هذا الكلام، وأخذ يؤذي المادح الفقير بضربات، وإذا بزوجة القاضي تكون حائل بين زوجها وبين هذا المادح وتقول لزوجها كف يدك عن هذا الفقير، ألا تخاف الله تعالى.

بالنتيجة القاضي أدخل زوجته إلى بيته وغلق الباب بوجه الفقير بعد الأذى الذي أصاب به ذلك المادح المحتاج، وعلى أثر ذلك دخل القاضي إلى بيته وذهب إلى غرفته لينام، وإذا بصوت يعلو من داخل غرفته وكان صوت زوجته وإذا بالرجل قد أصيب بالشلل وضربه الخرس وشل لسانه، فخرجت زوجته مذعورة إلى الجيران لتجبرهم وتخبر أقربائه، وقالوا لها ما الذي حصل فقالت: أنه أخبرها «أي زوجها» من خلال الإشارة بهذه المسألة: إنه عندنا نمت كأني ذهبت إلى السماء السابعة وإذا برجل يضربني ضربه على وجهي وأسقطني على الأرض وأنا هذا حالي.

وبالجملة: هذا القاضي نقل إلى المستشفى في البحرين وقرابة الشهرين هو تحت المعالجة الطبية المكثفة ولكن بدون فائدة.

وناقل القصة يقول: وعلى أثر ذلك قاموا بنقله إلى الكويت ومن باب الصـدفة

كنت معه في نفس الباخرة التي كان بها وجئنا سوياً إلى الكويت وقد طلب مني الدعاء له بأن يشفيه الله تعالى من هذا البلاء الذي أصيب به أثر جسارته على شخص يمدح الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام.

الكرامة العشرون

في زمان الشيخ المرحوم جعفر كاشف الغطاء رحمه الله الذي كان من العلماء الكبار في النجف الأشرف، أصاب الناس قحطاً عجيباً وخصوصاً من ناحية قلة الأمطار أنذاك.

ذهب الناس إلى الشيخ جعفر وطلبوا منه ان يصلي ويدعو معهم لأجل نزول المطر، وفعلاً ذهبوا إلى داخل حرم أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب عليه السلام وقبال الضريح المبارك وقفوا... وبدأوا بالدعاء والتضرع من الله تعالى بأنزال المطر وشكوا أمرهم وعرضوا حالهم على المولى وهم يقولون:

[يا أبا الحسن الناس بحاجة إلى المطر ومع هذه الصلاة والدعاء الكبير لا نرى أثراً للمطر، نطلب منك بشفاعتك عند الله ان يستجيب لنا].

على أثر الدعاء والبكاء والنحيب أمام ضريح أمير المؤمنين أخذه الشيخ جعفر كاشف الغطاء في جهة من ضريح المولى اخفاءة، ورأى المولى أمير المؤمنين بالقرب منه وقال له:

يا شيخ جعفر هناك شخص موجود بين طريق النجف والكوفة يعمل قهوچي اسمه فلان، أذهب إليه وقل له تعال معنا واشترك في الدعاء، ولأجل نزول المطر ونزول رحمة الله علينا.

على أثر تلك الرؤيا أو قل المكاشفة، نهض الشيخ جعفر وذهب إلى الطريق بين النجف والكوفة، ورأى القهوة التي يعمل فيها ذلك القهوچي... دخل الشيخ إلى

القهوة... وطلب من القهوچي أن يضيفه تلك اليلة في بيته وقبل الرجل طلب الشيخ.

على أثر ذلك ذهبا إلى البيت سوياً، ومرت تلك الليلة والشيخ ينظر إلى تصرفات الرجل عله يرى عمل عظيم يعمله في بيته بحيث جعله بهذا المنزلة التي أخبر بها الشيخ من المولى أمير المؤمنين... ومرت الساعات ولا يرى الشيخ من الرجل أي عملٍ يقال مثل صلاة الليل أو الدعاء بنحيب حتى يعرف سر هذه العناية من الإمام علي عليه السلام لهذا الرجل. فقط رأى منه الصلاة العادية عند الفجر مع دعاء بسيط... عند ذلك جاء الشيخ إلى الرجل وقال له: أيها الرجل توجه معي إلى جهة مرقد أمير المؤمنين لتكون وسيلة لاستجابة الدعاء بنزول المطر، وارجو أن تقول لي ما هو سرك وأي عمل عملت لتكون بهذه المنزلة عند الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ؟

عندما سمع القهوچي هذا الكلام من الشيخ قال: اجلس لأخبرك بقصتي... أنا كنت اعمل مع صاحب قهوة... وكانت والدتي تطلب مني أن أجمع بعض المال لكي تزوجني ... وفعلاً جمعت المال... وخطبت لي والدتي بنت... وتمت مقدمات الزواج... إلى ان جاءت ليلة الزفاف دخلت على زوجتي التي زفت إلي ... وإذا أرى شيئاً عجيباً حيث كانت العروس جداً متوحشة مني ولا أعرف السبب، وكانت مضطربة وخائفة... قالت لي: لا بد أن أقول لك قصتي... والأمر إليك إما أن تقتلني أو تعفو عني وتستر عليَّ؟

وقالت: أنا مفضوضة البكارة... «يعني أنا ثيب» وقد زنى بي أحد الرجال وأنا الآن حامل وقد أخفيت عليك هذا الأمر، ولا أحد يدري بهذه القضية سوى رب العالمين.

عند سماعي هذا القصة... توجهت إلى الله تعالى وقلت:

إلهي حان وقت رضاك عني... أنا الآن اعفو عن هذه المرأة واستر عليها، يا ستار العيوب استر عليّ عيوبي وأرض عني كما عفوت وسترت على هذه المرأة.

أعطيت قولاً لهذه المرأة على أن لا أبوح بأمرها إلى أحد وستعيش معي... وفعلاً في الصباح أعطيت رضاي على زوجتي هذه وإلى الآن هي تعيش معي... ولا يدري أحد بهذا الأمر إلّا الله تعالى...

قال له الشيخ جعفر: يا رجل أنت عملت عملاً عظيماً عند الله، وسلمت أمرك إلى الله تعالى.. فتعال الآن معي إلى مرقد الإمام عليّ عليه السلام لكي ندعو الله تعالى أن يستجيب لنا فأنت دعاءك مستجاب... جاء الرجل مع الشيخ وبدأ يدعو مع الناس وهو رافعٌ يده إلى السماء يقول: إلهي الناس بحاجة إلى رحمتك والإمام عليّ عليه السلام أعطاني بشارة ورسالة إنك تستجيب دعائي... عند ذلك ظهرت الغيوم في السماء ونزل المطر بأحسن ما يكون على أثر دعاء ذلك القهوچي.

الكرامة الحادي والعشرون

حدث جناب الفاضل الرشيد السيد محمّد سعيد افندي الخطيب فيما كتبه بخطه:

كرامة لآل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ينبغي بيانها لأخواننا أهل الإسلام وهي: إنّ امرأة اسمها ملكة بنت عبدالرحمن زوجة ملا أمين المعاون لنا في المكتب الحميدي في النجف الأشرف، ففي الليلة الثانية من شهر ربيع الأول من هذه السنة أي سنة ١٣١٧ هـ ليلة ثلاثاء صار معها صداع شديد، فلما أصبح الصباح فقدت ضياء عينيها فلم تر شيئاً قط.

فأخبروني بذلك فقلت لزوجها المذكور: اذهب بها ليلاً إلى روضة حضرت المرتضى عليه من الله الرضاء لنستشفع به وتجعله واسطة بينها وبين الله عزّوجلّ لعل الله سبحانه وتعالى أن يشفيها.

فلم تذهب في تلك الليلة يعني ليلة الأربعاء لأنزعاجها مما هي فيه، فنامت بعض تلك الليلة فرأت في منامها أن زوجها المذكور وامرأة اسمها زينب كأنهما

مضيا معها لزيارة أمير المؤمنين عليه السلام فكأنهم رأوا في طريقهم مسجداً عظيماً مشحوناً من الجماعة فدخلوا فيه لينظروا فسمعت المصابة رجلاً يقول من بين الجماعة: لا تخافي أيتها المرأة التي فقدت عينيها، إن شاء الله تشفيان فقالت: من أنت بارك الله فيك؟

فأجابها: أنا المهدي، فأستيقضت فرحانة، فلما صار الصباح - يعني يوم الأربعاء - ذهبت ومعنا نساء كثيرات إلى مقام سيدنا المهدي عجل الله فرجه الشريف خارج البلد فدخلت وحدها وأخذت بالبكاء والعويل والتضرع فغشي عليها من ذلك، فرأت في غشيتها رجلين جليلين الأكبر منهما متقدم والآخر الشاب خلفه فخاطبها الأكبر بأن لا تخافي فقالت له: من أنت؟

قال: أنا عليّ بن أبي طالب، وهذا الذي خلفي ولدي المهدي، ثم أمر الأكبر المشار إليه أمرأة هناك وقال:

قومي يا خديجة وامسحي على عيني هذه المسكينة فجاءت ومسحت عليهما فانتبهت وأنا أرى وأنظر أحسن من الأول، والنساء يهلهلن فوق رأسي فجاءت النساء بها بالصلوات والفرح وذهبن بها إلى زيارة حضرت المرتضى عليه السلام، وعيناها الآن لله الحمد أحسن من الأول.

الكرامة الثانية والعشرون

نقل المرحوم الشيخ محمود العراقي في «دار السلام» رؤيا عن السيد الجليل صاحب المقامات الظاهرة والكرامات الباهرة السيد هاشم النجفي المعروف بلقب «الحطاب» لأن ذلك السيد كان يجمع الحطب، ويبيعه ويسميه البعض من الناس بـ «صاحب الفأس» لأنّه كان في أحد الأيام على ظهر سفينة، فهبّت عاصفة مخالفة لمسير السفينة، فما كان منه إلّا أن رفع فأسه باتجاه العاصفة وأمرها بالسكون

فسكنت بإذن الله تعالى ووافقت المسير؛ فسميّ لذلك بصاحب الفأس.

وهذا السيد هو من قال له «نادر شاة»: يبدو عليك أنك زهدت بالدنيا؟ فأجابه بالقول: ويبدوا على نادر شاه أنه عزم على الزهد بالآخرة!.

وأما حكاية هذا الرجل فهي كالتالي:

سرق بعض الأشرار كيس نقودٍ لأحدِ زوّار مرقد الإمام عليّ عليه السلام في مدينة النجف الأشرف، فظلّ ذلك الزائر حائراً لا يدري ما يفعل؟ بعد ذلك ذهب هذا الزائر إلى مرقد الإمام عليه السلام وشكا حاله هناك، فرأى فيما يرى النائم أن أمير المؤمنين يقول له: إذهب في الوقت الفلاني إلى المكان الفلاني، وأطلب نقودك ممّن ترى هناك.

ذهب ذلك الرجل إلى المكان الذي دلّه عليه الإمام عليه السلام بالمنام فوجد السيد هاشم (صاحبنا)، فقال في نفسه: أن مقام هذا السيد لا يتناسب وطلبي إيّاه لكيس نقودي، فقد يكون منامي غير معتبر، إذ كيف أتطاول وأتجرأ وأطلب نقودي من هذا السيد الجليل.

ولذلك يأس من نقوده فقفل راجعاً إلى المنزل الذي نزل فيه.

وبعد حين ذهب إلى مرقد أمير المؤمنين عليه السلام، فرأى في منامه أن الإمام عليه السلام يعيد عليه ذلك الكلام ويقول له: إذهب إلى المكان الفلاني وأطلب نقودك من ذاك السيد الذي رأيت.

وحينما أفاق من نومه، تملكه الحياء، ولم يُبدِ ما في نفسه لسيد هاشم؛ وفي المرّة الثالثة جاءه الإمام عليه السلام في منامه أيضاً وأكّد عليه تلك المقولة، فما كان منه ـ عندما أفاق ـ إلّا أن يذهب للسيد هاشم ويخبره بما جرى عليه، وما قال له الإمام عليه السلام في منامه.

فقال السيد: صدق جدّي أمير المؤمنين عليه السلام، تعال إليّ في المسجد غداً لكي أنقدك ما سُرِقَ منك.

أمر السيد المرحوم أن ينادي بأهالي النجف الأشرف للحضور غداً ظهراً في المسجد، فنادى المنادي قائلاً: أن السيد هاشم سيعلو المنبر غداً ظهراً لأمرٍ مهم فمن سمع ندائي فليحضر إلى المسجد؛ فاجتمع الناس في المسجد، عالمهم وجاهلهم، عادلهم وفاسقهم، ليستمعوا إلى خبر جديد يريد السيد أن يستعرضه.

وبعد أداء صلاتي الظهر والعصر، صعد السيد هاشم منبر المسجد وقال:

أيها الناس، عندما كنت ساكناً في الكاظمية المقدسة، حصل أن ذهبت يوماً إلى بغداد، واتفق في ذلك الوقت أن تكون لي معاملة مع أحد اليهود فدفعت إليه نقوداً مقابل بضاعة فبقي في ذمّتي منها «بارة» واحدة، فواعدته أن آتيه بها بعد أيام.

وبعد أن مرّت أيام من رجوعي إلى الكاظمية، عدت إلى بغداد لأودّي لليهودي ما كان في ذمّتي، إلّا أنني وجدت دكانه مغلقاً، وأنه قد مات وذهب من الحياة الدنيا، فاضطررت لأن أرمي «بالبارة» من شبّاك صغير من عند الدكان الملاصق لدكّانه ظناً منّي بأن الورثة سيأخذونها إذا ما جاؤوا لتقسيم الإرث.

رجعت إلى منزلي في الكاظمية فرأيت في منامي، أن يوم الحساب قد حصل، وقد جُمع الأولون والآخرون للحساب، وما رأيته من عقباتها وأهوالها ما لا أستطيع تبيان عشرٍ من أعشارها.

على أيّة حال، وبعد طيّ بضعة مراحل بلغت مرحلة العبور على الصراط الذي قال فيه تعالى: ﴿**وإن منكم الاّ واردها، كان على ربّك حتماً مقضيّاً**﴾[1]، ماذا أقول، نظرت فوجدت شعرة طويلة ممتدة وضعت على نار جهنّم، وإن ألسنة اللهب من تحت تلك الشعرة تستعر، فلو وصفت تلك النار بحر لجيّ لما قلت بواحدٍ من ألف من ذلك الوصف، ولو شبهتها بشيء آخر لعجزت عن بيان ذلك لأني لم أرَ شيئاً

---

(١) مريم: ٧١.

يشبهها للآن، ورأيت أن الناس يرومون عبور تلك النار على هذه الشعرة الاّ أنـهم يتساقطون كالفراش في النار، والملائكة يحيطون بها من كل جانب وهم يـقولون «رب سلّم أمّة محمّد ﷺ».

ورأيت فيها جماعة معلّقون من أيديهم، وجماعة أخرى تزحف على صدورها في النار، وجماعة ثالثة تسير ورابعة كأنها تركب خيولاً فتمرّ مرّ السـحاب عـلى الصراط، وخلاصة القول: تقدمت إلى الصراط والخوف يتملكني والرعب، فأعانني الله تعالى إلى التقدم بالمسير على تلك الشعرة فسمعت للنار شهيقاً وزفيراً، وسمعت ضربات قلبها الذي يطير بلبّ العقول، إلاّ أنني بلغت نصف المسافة مع كل ما رأيت، وعندها رأيت جبلاًمن نار يقوم من قعر جهنم لينتصب أمامي فاضطربت وارتعشت، ولم أعرف ما العمل، إذ ليس بمقدوري الرجوع إلى الخلف، ولا يمكن التـقدم إلى الأمام لانتصاب جبل النار في طريقي وقد سُدّ يميني وشمالي بـنيران مـتأججة، فقلت: ما هذا الجبل الملتهب، وتأملت قليلاً وإذا به اليهودي البغدادي وقد غدا بدنه كالجبل من عذاب جهنم، وكانت مجاورة ذلك الجبل النـاري أشـبه إلى حـدّ مـا بمجاورة حديدة محماة.

وما إن وقعت عيني على اليهودي حتى ارتعش بدني، فقال لي: أيها السيد! أين نقودي؟ أين البارة، أعطني إياها ومرّ من هنا بسلام؛ فقلت: له أتركني أمرّ واعبر هذه المنطقة بسلام، فمن أين آتي لك، وفي هذه الظروف بـ«بارتك» التي تريد؟

قال: إن كنت حقاً لا تستطيع إعطائي إياها، ولا تملك اليوم نقوداً، فلا بأس أن تأخذني معك!

فقلت: أن هذا غير ممكن، لأن الله تعالى حرّم الجنة على الكافرين.

قال: إذن تعال أنت لديّ! فقلت: أرحمني أيها الرجل، فما فائدة احتراقي بالنسبة لك.

قال: علّني أسلّي قلبي بوجودك معي.

وبعد الإلحاح الشديد، والتوسل به حتى يتركني أمرّ، لم أجد فائدة من حديثي معه، ولم يقتنع بتركي فقال: إذن دعني أحتضنك، وأضع صدري على صدرك لكي أشعر بالبرد قليلاً! وعندها فتح ذراعيه يريد احتضاني، وإلصاق صدره بصدري، فرأيت إذا تمّ له ذلك، فإنني سأسيل كما تسيل وتصهر قطعة البرونز، وعليه بدأت أتوسل إليه ثانية.

لكنه فتح يديه وقال: إذن دعني أضع يدي هذه على صدرك، فرأيت أن لا طاقة لي بذلك، فلم أقبل، وبدأت ثالثة أتوسل إليه أن يتركني وشأني.

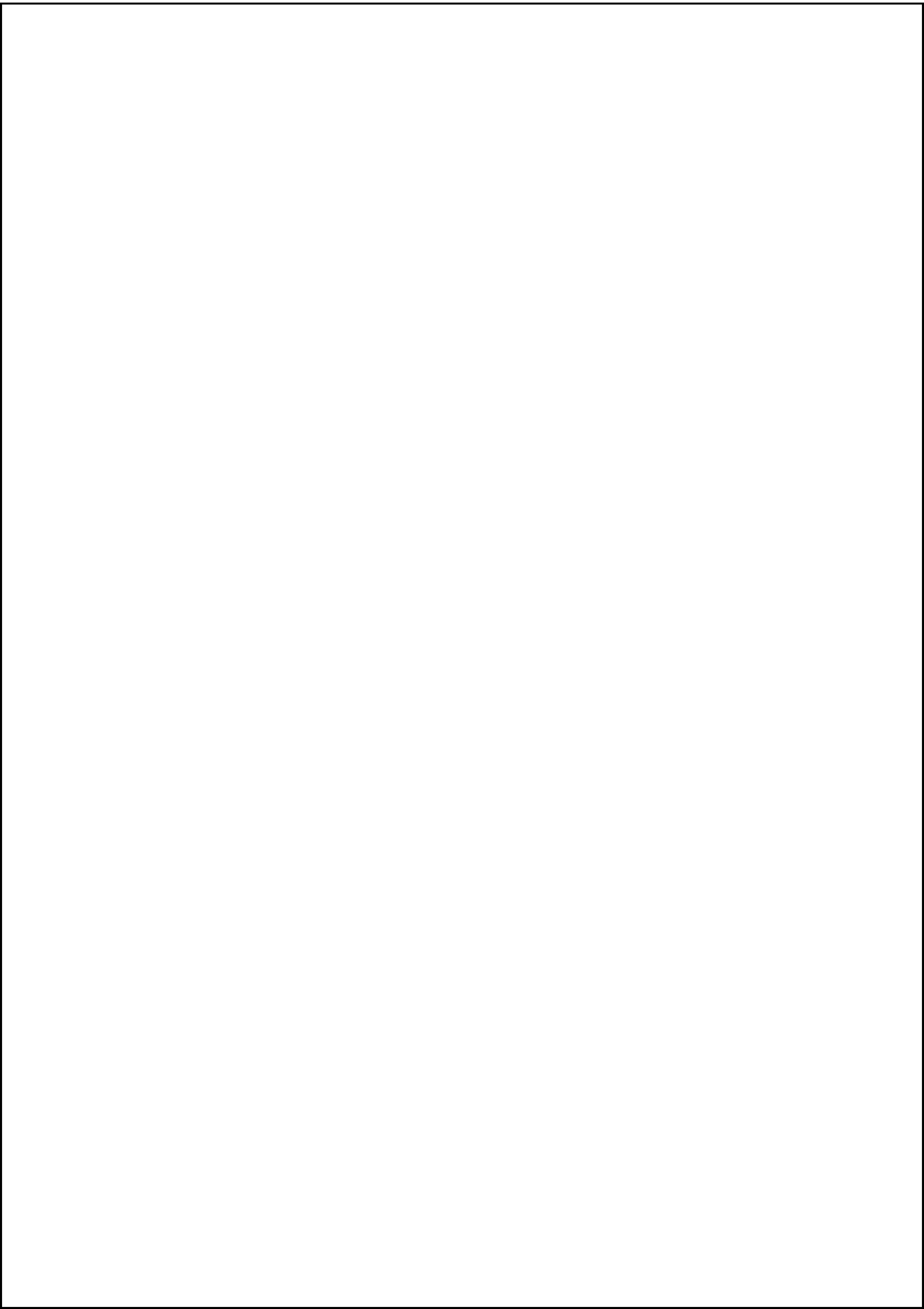
فقال بعد أن أشار بسبّابته إلي: إذن، لا بد لك أن تقبل منّي اللمس بهذا الإصبع لكي أتسلّى لحظة واحدة ببرودة صدرك، فقبلت مكرهاً ومجبوراً.

وحينئذٍ وضع اليهودي سبّابته على صدري فشعرت وكأن جميع أعضاء بدني قد احترقت، ففزعت من نومي لأرى موضع إصبعه على صدري.

يقول الراوي: فتح السيد أزرار قميصه ليري الحاضرين موضع إصبع اليهودي في صدره وقال: هذا هو، ومنذ ذلك الحين وإلى اليوم وأنا مشغول في معالجة صدري، ولحد الآن لم أتحسّن.

وما إن رأى الناس صدر السيد هاشم، وأثر الحروق فيه هلعوا وارتاعوا، فقال السيد حينذاك: أيها الناس! أن الله تعالى لا يتجاوز ولا يعفو عن أكل حقّ الناس حتى إذا كانت «بارة» من يهودي يأخذها سيّد نجفي، فكيف يجرأ أحدكم على سرقة كيس نقود أحد زوّار أمير المؤمنين عليه السلام.

أيها الناس! من كان يعرف شيئاً عن كيس نقود هذا الزائر الغريب فليخبره؛ وفجأة نهض أحدهم من مكانه وقال: أيها السيد! أنا أعلم بموضع كيس نقوده، وسأدله عليه وأسلّمه إيّاه؛ ثم أخذ ذلك الزائر معه وسلمه جميع نقوده من غير نقص.





الفصل الرابع

المعرفة النورانيّة

للشيخ كاظم سبتي رحمه الله

خطب ألم بركن الدين فانهارا ... أودى الغداة بقلب المصطفى نارا
والدهر أنشأ غدراً في الهدى فدهى ... صنو النبي وكان الدَّهر غداراً
فأي حادثة في الدين قد وقعت ... فألبسته من الأشجان اطمارا
قد كشرت ويحها عن ناب مفترس ... فأنشبت فيه أنياباً وأظفارا
فاظلمت طبقات الجو كاسفة ... من نقعها حين من افاقها ثارا
هذا عليّ أمير المؤمنين لقى ... مضرجاً بدم من رأسه فارا
قد حجب الخسف بدراً منه مكتملاً ... وغيض الحتف بحراً منه تيارا
أودى ومن حوله للمسلمين ترى ... من دهشة الخطب إقبالاً وإدبارا
وافت إليه بنوه الغر مسفرة ... عن أوجه تملأ الظلمات أنوارا
تدعوه والعين عبرى تستهل دماً ... والحزن أجج في أحشائها نارا
يا نيراً غاب عن أُفق الهدى فأرى ... افق الهدى لا يرى للصبح إسفارا
قد كان فيك ولم يخطر له خطر ... من الضلال ليخشى اليوم أخطارا
ترضى ببطن الثرى قبراً وقل علا ... لو اتخذت بعين الشمس إقبارا
وقبل نعشك ما شاهدت نعش فتى ... من فوق أعناق أملاك السما سارا
أبكيك في الجدب مطعاماً سواغبها ... وفي لظى الحرب مقداماً ومغوارا

المستوى الثالث

المعرفة النورانيّة لأمير المؤمنين عليه السلام

قد دلت عدة آيات قرآنية وأحاديث روائية على ضرورة معرفة الإمام وما له من خصوصيات تجعله في قمة الهرم القيادي للأمّة الإسلامية، وهذه المعرفة مما لابد منها، لأنه كما ورد في الحديث الشريف:

«من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»

فمعرفة الإمام والإمامة الإلهية من شأنه أن يهدي الإنسان إلى الطريق المستقيم وينقذه من الردى، ويجعله سائراً على طريق العلم والنور والهداية الصحيحة.

على إنه هناك عدة طرق لمعرفة الإمام والإمامة تختلف بإختلاق المناشيء والأحوال التي يحتاجها المكلف خلال مسيرته العقائدية، وهذه المعرفة تكون من الوجوب على إثباتها على المكلف بدرجة لا يستهان بها، لإنها طريق نجاحه وفلاحه في الدنيا والأخرة، ولأنها طريق المعرفة بالمعارف الإيمانية التي يحصل بها على الإعتقاد الجازم في قلبه وروحه، وعلى ذلك الأساس كانت أسباب توجب هذه المعرفة الخاصة بالإمام والإمامة، ووجوب هذه المعرفة بالنسبة للأئمة الطاهرين عليهم السلام إنما تكون ناشئة من عدة أمور، لا تكون ظاهرة إلّا لمن اعطاه الله تعالى نور الإيمان وحقيقة الإسلام حيث تتمثل هذه الأمور في حقائق قد بينها القرآن الكريم وجسدها عِدله المتمثل في أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام كما سيأتينا ذلك في الموضوع الآتي.

علل وجوب معرفة الأئمة عليهم السلام

العلة الأوّلى: تجب معرفة الأئمة عليهم السلام لأن الله تعالى فرض طاعتهم:

وذلك بالتصديق بإمامة الأئمة الإثني عشر صلوات الله عليهم أجمعين وهذا مما يعتبر من ضروريات الطائفة الحقة الإثني عشرية، وقد دلت على هذه المعرفة ما رويّ عن أبي عبدالله عليه السلام حيث قال: «**إنكم لا تكونون صالحين حتى تعرفوا ولا تعرفوا حتى تصدقوا ولا تصدقوا حتى تسلموا، أبواباً أربعة لا يصلح أولها إلّا بأخرها**»[1].

العلة الثانية: تجب معرفتهم عليهم السلام لأن الله تعالى فرض مودتهم.

ويكفي شاهداً على ذلك هو ما روي عن جابر بن عبدالله قال:

جاء أعرابي إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وقال: يا محمّد أعرض عليّ الإسلام.

فقال: تشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأن محمّد عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال: تسألني عليه أجراً. قال: لا؟ إلّا المودة في القربى.

قال: قرابتي أو قرابتك!

قال: قرابتي.

قال: هات أبايعك، فعلى من لا يحبك ولا يحب قرابتك لعنة الله.

فقال: النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: آمين[2].

أقول: إن الوقوف مع القرآن الكريم لمعرفة حال الأنبياء المرسلين وما سألوه من

(١) الكافي: ١/١٨٠.

(٢) كفاية الطالب: ٣١.

الأجر لهم والثواب الجزيل، نرى أنّ القرآن يطالعنا بحقيقة خالدة، وهي إنَّ الأنبياء لهم يطلبوا أجراً من كل الأمم التي أرسلوا إليها، والدليل على ذلك أنهم قالوا في معرض الجواب على أسئلة أقوامهم حول أجرهم ما نصه: ﴿**وما أسئلكم عليه من أجرٍ إن اجري على رب العالمين**﴾[1]، وهذا يعني أجر رسالتهم يأخذونه من الله تعالى أما رسولنا الأكر فأجر رسالته مودة قرباه المتمثل في أهل بيته الاطهار عليهم السلام، وعلى هذا تجب معرفة من هم قربى الرسول، لأن عدم معرفتهم تؤدي إلى جعل المودة إلى غيرهم[2]، وعند ذلك يكون المكلف قد أضاع حق عظيم للرسول الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، وهو أجر الرسالة الإسلامية ولا تنافي هنا بين أجر الدنيا والآخرة لأن كلاهما محفوظ، بل يدل هذا على علو شأنهم وكرامتهم.

العلة الثالثة: تجب معرفتهم عليهم السلام لأن الله تعالى فرض الصلاة عليهم:

أما فرض الصلاة عليهم فهذا مما اثبتته كتب العامّة قبل الخاصة، فهذا ابن حجر في صواعقه المحرقة يقول عند تعرضه لقوله تعالى: ﴿**إن الله وملائكته يصلون على النبيّ يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**﴾.

---

(١) الفرقان: ٢٥، الشعراء: ٢٦.

(٢) فإن لازم مودتهم البراءة من أعدائهم فالولاية والبراءة لابد منهما معاً وإلّا فمن المستحيل ان يجمع الإنسان بين حبّ شخص وحبّ عدوه ويقول أمير المؤمنين عليه السلام: عجبت لمن يدعي حبي كيف يحبّ عدوي فإن الله ما جعل في جوف من قلبين. فمن يحب أهل البيت عليهم السلام لا بد أن يبغض أعدائهم ومن يصلّي على أهل البيت عليهم السلام وان الصلاة عليهم شعار الولايّة، فلا بد ان يلعن اعداء أهل البيت عليهم السلام واللعن شعار البراءة، فلا فرق بين الولاء والبراءة كما لا فرق بين الصلاة واللعن فكلاهما يثاب المرء عليه وإنهما من الدعاء إلّا ان الصلاة من الدعاء له واللعن من الدعاء عليه، فلا بد منهما في حياة المسلم الواعي كما ورد اللعن في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، ومن الجهل ان يوّد الإنسان ويحبّ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ويحب أيضاً اعداءه ومن غصب حقه وهم كما جاء في الخطبة الشقشقية في نهج البلاغة فراجع.

«السيّد العلوي»

«من صلى صلاة ولم يصل فيها عليّ وعلى أهل بيتي لم تقبل منه»[١].

وروى جملة من الأخبار الصحيحة الواردة فيها، وأن النبي ﷺ قرن الصلاة على آله بالصلاة عليه، لما سئل عن كيفية الصلاة والسلام عليه، ثم قال: وهذا دليل ظاهر على أن الأمر بالصلاة على أهل بيته وبقية آله مراد من هذه الآية، وإلّا لم يسألوا عن الصلاة على أهل بيته وآله عقب نزولها، ولم يجابوا بما ذكر، فلما أجيبوا به دل على أن الصلاة عليهم من جملة المأمور به، وأنه ﷺ أقامهم في ذلك مقام نفسه، لأن القصد من الصلاة عليه مزيد تعظيمه ومنه تعظيمهم، ومن ثم لما دخل من مرَّ في الكساء قال: «اللهم إنهم مني وأنا منهم فأجعل صلاتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك عليّ وعليهم».

وقضية استجابة هذا الدعاء: أن الله صلى عليهم معه، فحينئذ طلب من المؤمنين صلاتهم عليهم معه.

ويروى: لا تصلوا عليّ الصلاة البتراء، فقالوا وما الصلاة البتراء؟ قال: تقولون اللهم صلي على محمّد وتسكتون، بل قولوا: اللهم صلِّ على محمّد وعلى آل محمد وثم نقل الشافعي قوله:

يا أهل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في الكتاب أنزله
كفاكم من عظيم القدر أنكم من لم يصل عليكم لا صلاة له

فقال: فيحتمل لا صلاة له صحيحة، فيكون موافقاً لقوله بوجوب الصلاة على الآل، ويحتمل لا صلاة كاملة فيوافق أظهر قوليه.

وعلى العموم فالحديث المتقدم هو مستند الشافعي.

وقال الرازي: ان الدعاء للآل منصب عظيم، ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة

---

(١) الصواعق المحرقة: ١٣٩.

التشهد في الصلاة، قوله: اللهم صلى على محمّد وآل محمّد وارحم محمّد وآل محمّد، وهذا التعظيم لم يوجد في حق غير الآل، فكل ذلك مما يدل على أن حب آل محمد واجب[1].

وقال: أهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم ساووه في خمسة أشياء: في الصلاة عليه وعليهم في التشهد، وفي السلام، والطهارة، وفي تحريم الصدقة، وفي المحبة.

وقد روت مصادر العامّة هذه الأحاديث الخاصة في الصلاة على محمّد وآل محمّد في الصلاة وفي الأدعية التي تستجاب عند الله تعالى، ولكنهم لا يعملون به ـ أي الحديث ـ إلّا في صلاتهم وليس كلهم إلّا من هو شافعي، فتراهم غالباً يصلون على النبيّ وحده في غير صلاتهم، حتى في أدعيتهم، مع أنهم رووا أن الدعاء لا يقبل ولا يصعد إلى الله تعالى إذا لم يصل معه على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ورووا أن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم علمهم كيفية الصلاة عليه، فكأنّ استجابة أدعيتهم ليست مهمة عندهم.

ولا نستطيع ايراد كل الأحاديث التي ذكروها في هذا الباب باب فضل الصلاة على النبي وآله وأحكامها وكيفيتها التي يسمونها الصلاة الإبراهيمية وهي جديرة بالبحث[2].

اذن من وجبت عليه الصلاة وجبت معرفته، من حيث كانت واجبةٌ عليه الصلاة فإن الصلاة على محمّد وآل محمّد فرع على المعرفة بهم والإقتداء بنورهم وهديَّهم.

(١) التفسير الكبير: ٣٩١/٧.

(٢) قد روى أحاديث الصلاة الإبراهيمية الإمام مالك في كتابه الموطأ: ١٦٥/١ المستند: ٣٤٩، كتاب الأمم: ١٤٠/١ ، صحيح البخاري: ١١٨/٤ ـ ١١٩ ٢٧/٦ و ١٥٦/٧ ـ ١٥٧، صحيح مسلم: ١٦/٢ ـ ١٧، ابن ماجه ٢٩٣/١، الترمذي: ٣٨/٥، النسائي: ٤٥/٣ مسند أحمد: ١١٨/٤ ـ ١١٩ و ص٢٤٤ و ٣٥٣/٥ ، ٤٢٤، الدارمي: ١٦٥/١ ، ٣٠٩، الحاكم: ٢٦٨/١ ـ ٢٧٠، البيهقي في سننه: ١٤٦/٢ ـ ١٥٣، مجمع الزوائد: ١٤٤/٢، كنز العمال: ٢٦٦/٢ ـ ٢٨٣، الدر المنثور: ٢١٥/٥ ـ ٢٢٠.

العلة الرابعة: تجب معرفتهم عليهم السلام لأنهم أهل الذكر الذين أمرنا الله تعالى بسؤالهم عليهم السلام:

ويكفي شاهداً على ما نقول هو: ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: **﴿فأسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾** وقال: كتاب الله الذكر، وأهل آل محمّد الذين أمروا بسؤالهم ولم يؤمروا بسؤالهم الجهال، وسمى الله القرآن ذكراً فقال: **﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾**[1].

وعلى هذا الأساس من كان هم أصل الذكر وأصل القرآن لابد من وجوب معرفتهم للرجوع إليهم في معرفة الذكر وحوادث الأمور في مجريات الحياة.

العلة الخامسة: تجب معرفتهم عليهم السلام لأن الأعمال لا تقبل إلابولايتهم:

عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأشياء ورضا الرحمان الطاعة للإمام بعد معرفته، أما لو أن رجلاً قام ليله وصام نهاره، وتصدق بجميع ماله وحج جميع دهره، ولم يكن يعرف ولاية وليّ الله فيواليه الله وتكون جميع أعماله بدلالته إليه ما كان له على الله حق في ثوابه ولا كان من أهل الأيمان[2].

حب آل البيت قربة ... وهو أسمى الحب رتبه
ذنب من ولاهم ... يغسله مزن المحبه
والذي يبغضهم لا ... يسكن الإيمان قلبه
علمه والنسك رجسٌ ... عسلٌ في ضرع كلبه
لعن الله عدو الآل ... أبلس وخزبه

(١) انظر بصائر الدرجات: ٣٧-٤١، نهج الحق: ٢١٠، روضة الواعظين: ٢٠٣. أمان الامة: ١٩٦.

(٢) وسائل الشيعة: ١/٩٠.

العلة السادسة: تجب معرفتهمعليهم السلام لأنهم محال معرفة الله تـعالى، وطـريق معرفة الله تعالى

عن الرضاعليه السلام قال: سئل أبي عن إتيان قبر الحسينعليه السلام فـقال: صـلوا فـي المساجد حوله ويجزي في المواضع كلها أن تـقول: «السـلام عـلى أوليـاء الله واصفيائه، السلام على أمناء الله واحبائه، السلام على أنصار الله وخلفائه، السلام على محال معرفة الله.....»[1].

ومعنى محال معرفة الله تعالى، اي من أراد معرفة الله تعالى فلا بد من المـحل الذي يؤدي إلى معرفته تعالى وهم (محمّد وآل محمّدصلى الله عليه وآله وسلم) ولهذا نـرى الإمـام الحسينعليه السلام يقول في بيان معرفة الله تعالى «معرفة أهل كل زمان امامهم»، فحاصل كلامهعليه السلام: أن معرفة الله هو معرفة الإمامعليه السلام، وكـذا قـول أمـير المـؤمنينعليه السلام: «ونحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتنا، فسبيل معرفتهم هو معرفة الله تعالى»، ومن كانت هكذا أحوالهم وجبت معرفتهم لأنها تؤدي إلى معرفة الله.

طرق معرفة الإمامعليه السلام

إذن إذا تبين لك هذا كله فحينئذ نقول:

إنّ الطرق إلى معرفة إمامة الإمام عديدة جداً ولكن المهم والأهم منها:

الأول: التنصيص من الله تعالى ورسوله «نص من الله تعالى ورسوله عليه».

الثاني: التخصيص بالإمامة والخلافة أو الأولى بالتصرف أو الوصية أو بوجوب التمسك به والرجوع إليه في الحلال والحرام، ونحو ذلك من الألفاظ التي مؤداهـا مؤدى التخصيص بالإمامة.

---

(١) الكافي: ٥٧٨/٤، من لا يحضره الفقيه: ٦٠٨/٢.

الثالث: التخصيص بالأفضلية، أو بأن علمه وفهمه علم رسول الله وفهمه صلى الله عليه وآله وسلم.

فالأصل هو التخصيص لأحد من الطرق الثلاثة، وحيث ثبت هذا في محله للأئمة الطاهرين عليهم السلام، تفرعت المعارف الحقة على ذلك، والتي كانت من جملتها المعرفة النورانية لهم عليهم السلام، التي هي معرفة الله تعالى، فعليه لابد من تسليط الضوء على هذه المعرفة وكيفية تفصيلاتها، ومن الذي يحصل على هذه المعرفة ومقاماتها وشؤوناتها، وما يترتب عليها من الآثار المعنوية للمؤمن؟

أضواء على المعرفة النورانيّة

ان للأئمة الأطهار عليهم السلام مقامات نورانية قد تجلت من نور عظمة الباري عزّوجلّ في وجوداتهم الشريفة وذواتهم الطاهرة من حيث كونهم عليهم السلام مظاهر جمال الله تعالى ونوره الساطع، فهم نور الله جل وعلا في السماوات والأرضين، والنور منشأ لجميع الكمال والجمال، وقد دلت الآيات والروايات على وجود عالم قبل خلق الخلق عبر عنه بعالم الميثاق والذر حيث كانت أنوار محمّد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم قبل هذا العالم الميثاقي، وإلى ذلك أشير في الحديث عن أبي حمزة قال: سمعت عليّ بن الحسين عليه السلام يقول:

«إن الله عزّ وجلّ خلق محمّداً وعلياً والأئمة الأحد عشر من نور عظمته أرواحاً في ضياء نوره، يعبدونه قبل خلق الخلق، يسبحون الله عز وجل ويقدسونه، وهم الأئمة الهادية من آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم»[1].

فالله تعالى اختارهم بحقيقتهم النورية، ولحقيقتهم هذه اصطفاهم واجتباهم وأيدهم وكما ورد في الزيارة الجامعة الكبيرة «وانتجبكم بنوره».

---

(١) البحار: ٢٥/١٥.

وعلى عموم، فإن إطلاق الأنوار في الأخبار على الأئـمة الطـاهرين عليهم السلام ولا سيما أمير المؤمنين أكثر من أن تحصى، بل إن النور قد أطلق عليه فـي الكـتاب الكريم أيضاً كما في قوله تعالى: ﴿**والنور الذي أنزل معه**﴾.

وقد اطلق عليه النور في الأخبار المتظافرة من الأحاديث القدسية، ففي خـبر منها:

إن علياً راية الهدى بعدك، وإمام أوليائي، ونور من أطاعني، وهو الكلمة التـي الزمتها المتقين من أحبه فقد أحبني، ومن أبغضه فقد أبـغضني، فـبشره بـذلك يـا محمّد»[1].

المقامات النورانيّة

إن الوقوف مع الأخبار الشريفة التي تتحدث عن المعرفة النورانية لهم عليهم السلام سواء كانت هذه الأخبار دالة على تلك المعرفة بالحقيقة والأصالة أو بالملازمة والمتابعة، إنما تكون في مقامات ثلاثة، وهذه المقامات المختصة بأصحابها تشكـل الهـيكل العام لدرجات المؤمنين بالنسبة لهذه المعرفة النورانية وأوّل هذه المقامات الخاصة لهذه المعرفة هو المقام الأعلى لها، وقد إمتاز بهذا المـقام الكـمل مـن أصـحابهم وشيعتهم الذي امتحن الله قلوبهم للإيـمان والتـقوى، فـهم يـحملون هـذا المـقام، ويحافظون عليه بما أعطاهم الأئمة مـن خـصوصيات نـتيجة تـفانيهم فـي الولاء وذوبانهم في الولاية العظمى.

على أن جمعاً من عترة آل الرسول الذين هم ليسوا بمعصومين بالعصمة المطلقة الذاتية، أي غير الحجج الطاهرين، قد وصلوا بـبركات أمـير المـؤمنين والحسـن

(١) أكسير العبادات: ١/ ٦٠١.

والحسين عليهما السلام إلى مقام من المقامات النورانية، وذلك كأبي الفضل العباس بن أمير المؤمنين، وزينب سلام الله عليها، وعليّ الاكبر، والقاسم بن الحسن عليهم السلام، وغيرهم من اولاد الأئمة عليهم السلام، يبقى أن نذكر ونشير إلى قضية مهمة جداً، وهي كون هؤلاء واصلين إلى مقام من مقامات المعرفة النورانية لا يقدح في علو ورفعة مقامهم المثبوت لهم، هذا من جهة، ومن جهه أخرى نقول ان نفس مقام هؤلاء أولاد الائمة المعصومين عليهم السلام، ليحتاج إلى معرفة حقيقة نفوسهم النورانية ومعرفتها والوقوف على غموض سرها ما يحتاج إلى معرفة الأئمة أنفسهم، فهم وان لم يكونوا معصومين إلا أنّ لهم خصوصية حصلوا عليها جزاء تلك العلة المتقدمة.

فعلى هذا الأساس يكون المقام الأعلى للمعرفة النورانية إنّما يكون محتص بالكمل من أصحاب الأئمة الذين تقدمت الإشارة إليهم من أولادهم عليهم السلام.

أما المنزلة الثانية للمعرفة النورانية فهي عبارة عن المقام الأوسط للمعرفة النورانية، وهو المخصوص بشيعتهم المؤمنين الذين امتحن الله قلوبهم للإيمان والذين هم في درجات الإيمان أقل من سلمان وأبي ذر والمقداد وعمار وكميل وغيرهم من الذين وقفوا على بعض غوامض أسرارهم ومعارفهم وعلومهم عليهم السلام.

فهذا المقام الأوسط للمعرفة النورانيّة ثابت لكثير من شيعتهم الذين هم يتحملوا أخبارهم، ويحملوا معارفهم، ولقد تقدمت الإشارة إلى مسألة تحمل أمرهم، ومَنْ الذي يحتمله، وهم الذين امتحن الله قلوبهم للإيمان.

أما المقام الأخير للمعرفة النورانيّة لهم عليهم السلام فهو المقام الأدنى للمعرفة وهو مخصوص بشيعتهم غير الممتحنين الذين يعيشون ظاهر إمامتهم ومعرفتهم ويقفون عندها، ولا يطلبوا ولا يجتازوا إلى المقام الأوسط، وهؤلاء قد يقولوا في مقام الرد على من يسألهم عن علة الوقوف على هذا المقام؟ إننا غير مكلفين بالمقامات العالية وإنما مكلّفون بالظاهر الذي هو المقام الأدنى للمعرفة النورانية لهم عليهم السلام.

وقد يقال في معرض الجواب على هؤلاء، إن المثبوت في محله هو وجوب المعرفة للأئمة الطاهرين عليهم السلام بسبب الملازمات الخاصة بكثير من التكاليف الشرعية والعقائدية، ووجوب هذه المعرفة مطلقاً يشتمل على مراحل المعرفة ودرجاتها، وعلى قولنا هذا قد يقال ان هذا يستلزم التقصير في معرفتهم مما يؤدي إلى ثبوت خلل في أداء حقهم في جهة من الجهات، نقول في ذلك، وان كانت هذه الملازمة ثابتة على ان هذه الدرجات الأخرى من المعرفة العالية إنما هي تكليف لنمط من الناس قد توجه التكليف إليهم بما حصلوا عليه من الإستعدادات والقابليات لهذه المعرفة العالية.

لمن المعرفة النورانيّة

وعلى ضوء البيان المتقدم يظهر لنا ان تكليف المكلفين بالمعرفة العامة والإعتقاد والعلم بالأئمة الأثني عشر من آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم أئمة فرض الله تعالى طاعتهم علينا، وأنهم متصفون بكل ما اتصف به رسول الله من العصمة والعلم والحلم والشجاعة... إلى غير ذلك من الأخلاق الكريمة والصفات الحميدة إتصافاً لا يكون فوقه إتصاف من صقع الإتصافات الإمكانية بل هو تكليف عام وسار بالنسبة إلى كل المكلفين.

وأما التكليف بمعرفتهم النورانية، فلعله من خصائص الخواص والكمل وهو كذلك، إذ ربما التكليف به على نمط العموم يؤدي إلى وقوع العوام في الشبهات، هذا ويمكن أن يقال إنّ معرفة الأئمة عليهم السلام بالمعرفة النورانية من مرتكزات عقول معظم الناس ولكن على نمط الإجمال، إلّا إن هذا إنما هو بالنسبة إلى المقامين اللذين أشرنا إليهما لا بالنسبة إلى المقام الأعلى الذي بينّا الإشارة إليه في الجملة.

وتوضيح الحال في المقام، إنّ جملة من المسائل التي يغتفر فيها جهل المكلفين من العوام مسألة معرفة رسول الله والأئمة بكونهم أصحاب المقامات النورانية،

المنبعث عنها تصرفهم في جملة من العوالم الإمكانية في جملة من المواضع قبل ظهورهم ووجودهم في أبدان هذه النشأة الأخروية... ونحو ذلك من الآثار والتصرفات، ومنها مسألة كونهم أصحاب الولاية المطلقة العامة، ومنها مسألة تفضيلهم عليهم السلام على كل شيء من العرش والكرسي واللوح والقلم والأنبياء والمرسلين وجميع الملائكة تفضيلاً على نمط الآحادية والمجموعية معاً.

هذا ويمكن أن يقال إنّ تفضيلهم عليهم السلام على كل خير وعلى الخلق اجمعين مما يجب إعتقاده على كل مكلف، وان كان على نمط الاجمال وعلى نمط عدم الالتفات إلى قضية التفضيل على مجموع الأنبياء والمرسلين من حيث المجموع كالتفضيل على الآحاد....ومنها مسألة التفاضل والتفاوت بينهم لكن لا على نمط الإرسال والإطلاق، بل بعد تفضيل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الكل، وبعد تفضيل أمير المؤمنين عليه السلام على الباقين من الحجج الطاهرين من عترة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى غير ذلك من المسائل التي تشبه هذه المسائل.

وعلى ذلك ينقدح سؤالاً مهماً في المقام، وهو هل يجب الإجتهاد وتحصيل العلم على العوام من المكلفين يعد الإلتفات إلى هذه المسائل المشار إليها ونظارها وعروض الشبهة أم لا؟

والجواب على ذلك إنّ مقتضى الأصل في هذه القضية العقائدية المطروحة في المقام هو الثاني أي لا يجب، والعلة في ذلك قد تقدمت من كون قد يؤدي ذلك إلى الوقوع في الخلل والشبهات التي ليس للمكلف الباع الطويل في حلها وادارك‍ها الإدراك الصحيح على ضوء الإستدلالات العلمية والمنطقية في ذلك، وقد يقال في المقام التفصيل بين حالة وقوع الخلل وتسدية الشبهات إلى اعتقاداته ببقائه على ذلك الجهل فيجب وبين غير هذه الحالة فلا .

حديث المعرفة النورانيّة

روي محمّد بن صدقة أنه قال: سأل أبو ذر الغفاري سلمان الفارسي رضي الله عنهما: يا أبا عبدالله ما معرفة أمير المؤمنين عليه السلام بالنورانية؟ قال: يا جندب فإمض بنا حتى نسئله عن ذلك، قال: فأتيناه فلم نجده.

قال: فأنتظرناه حتى جاء قال صلوات الله عليه: ما جاء بكما؟ قالا: جئناك يا أمير المؤمنين نسألك عن معرفتك بالنورانيّة قال: مرحباً بكما من وليين متعاهدين لدينه، لستما بمقصرين، لعمري إنّ ذلك الواجب على كل مؤمن ومؤمنة.

ثم قال: يا سلمان ويا جندب! قالا لبيك يا أمير المؤمنين، قال: إنه لا يستكمل أحد الايمان حتى يعرفني كنه معرفتي بالنورانيّة فإذا عرفني بهذه المعرفة إمتحن الله قلبه للإيمان وشرح صدره للإسلام وصار عارفاً مستبصراً، ومن قصر عن معرفة ذلك فهو شاك مرتاب يا سلمان و يا جندب، قالا: لبيك يا أمير المؤمنين، قال عليه السلام معرفتي بالنورانيّة معرفة الله عزّوجلّ ومعرفة الله عزّوجلّ معرفتي بالنورانية، وهو الدين الخالص الذي قال الله تعالى: ﴿**وما أمروا إلّا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة وذلك دين القيمة**﴾، يقول:ما أمروا إلّا بنبوّة محمدّ صلى الله عليه وآله وسلم وهو الدين الحنيفية المحمّدية السمحة، وقوله: ويقيمون الصلاة فمن أقام ولايتي فقد أقام الصلوة وإقامة ولايتي صعب مستصعب لا يحتمله إلّا ملك مقرب أو نبيّ مرسل أو مؤمن إمتحن الله قلبه للإيمان، فالملك إذا لم يكن مقرباً لم يحتمله، والنبيّ إذا لم يكن مرسلاً لم يحتمله، والمؤمن إذا لم يكن ممتحناً لم يحتمله، قلت: يا أمير المؤمنين من المؤمن وما نهايته وما حده حتى أعرفه؟ قال عليه السلام: يا أبا عبدالله قلت: لبيك يا أخا رسول الله، قال: المؤمن الممتحن هو الذي لا يرد من أمرنا إليه شيء إلّا شرح الله صدره لقبوله، ولم يشك ولم يرتب.

أعلم يا أبا ذر أنا عبدالله وخليفته على عباده، لا تجعلونا أرباباً و قولوا في فضلنا ما شئتم فإنكم لا تبلغون كنه ما فينا ولا نهايته، فإن الله عزّوجلّ قد أعطانا أكبر وأعظم مما يصفه واصفكم، أو يخطر على قلب أحدكم فإذا عرفتمونا هكذا فأنتم المؤمنون، قال: قلت: يا أخا رسول الله، ومن أقام ولايتك أقام الصلوة؟

قال عليه السلام: نعم يا سلمان تصديق ذلك قوله تعالى في كتابه العزيز: ﴿**واستعينوا بالصبر والصلوة وإنها لكبيرة إلاّ على الخاشعين**﴾، فالصبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والصلوة إقامة ولايتي، فمنها قال الله تعالى وإنها لكبيرة ولم يقل وأنهما لكبيرة، لأن الولاية كبيرة حملها إلّا على الخاشعين، والخاشعون هم الشيعة المستبصرون، وذلك لأن أهل الأقاويل من المرجئة والقدرية والخوارج وغيرهم من الناصبة يقرون لمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم بالنبوّة ليس بينهم خلاف، وهم مختلفون في ولايتي منكرون لذلك جاحدون بها إلّا القليل، وهم الذين وصفهم الله في كتابه العزيز قال: ﴿**إنها لكبيرة إلّا على الخاشعين**﴾، وقال الله تعالى في موضع آخر في كتابه العزيز في نبوّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، وفي ولايتي قال عزّوجلّ ﴿**وبئر معطلة وقصر مشيد**﴾ فالقصر محمّد صلى الله عليه وآله وسلم والبئر المعطلة ولايتي عطلوها وجحدوها ومن لم يقروا بولايتي لم ينفعه الإقرار بنبوّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم إلّا أنهما مقرونان، وذلك إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم نبيّ مرسل وهو إمام الخلق، وعلي من بعده وصيه وإمام الخلق، كما قال له النبيّ «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلّا إنّه لا نبيّ بعدي» اولنا محمّد وأوسطنا محمّد وآخرنا محمّد، فمن استكمل معرفتي فهو على الدين القيم كما قال الله تعالى ﴿**ذلك الدين القيمة**﴾[1]، وسأبين ذلك بعون الله وتوفيقه، يا سلمان ويا جندب، قالا لبيك يا أمير المؤمنين قال: كنت أنا ومحمّد نوراً واحداً من نور الله عزّوجلّ فأمر الله تبارك وتعالى ذلك النور أن يشقّ فقال للنصف كن محمّداً وللنصف كن

---

(١) البينة: ٥.

علياً، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (عليّ مني وأنا من عليّ ولا يؤدي عني إلّا عليّ، وقد وجه أبا بكر ببرائة إلى مكة فنزل جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمّد، قال: لبيك، قال إنّ الله يأمرك أن تؤدي أنت أو رجل منك، فوجهني في إسترداد أبي بكر فرددته فوجد في نفسه، وقال: يا رسول الله أنزل فيّ قرآن؟ قال: لا؟ ولكن لا يؤدي عني إلّا عليّ، يا سلمان ويا جندب، قالا: لبيك يا أخا رسول الله قال: من لا يصلح لحمل صحيفة يؤديها عن رسول الله كيف يصلح للإمامة؟ يا سلمان و يا جندب، فأنا ورسول الله كنا نوراً واحداً صار رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله وسلم المصطفى وصرت أنا وصيّه المرتضى، وصار محمّد الناطق، وصرت أنا الصامت، وأنه لا بد في كل عصر من الأعصار أن يكون فيه ناطق وصامت، يا سلمان، صار محمّد المنذر وصرت أنا الهادي وذلك قوله عزّوجلّ: ﴿إنما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾[1] فرسول الله المنذر وأنا الهادي: ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال، سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار، له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله﴾[2]، قال فضرب عليه السلام بيده على الأخرى وقال: صار محمّد صاحب الجمع وصرت أنا صاحب النشر وصار محمّد صاحب الجنة وصرت أنا صاحب النار أقول لها: خذي هذا وذري هذا وصار محمّد صاحب الرجفة وصرت أنا صاحب الهدة وأنا صاحب اللوح المحفوظ ألهمني الله عزّوجلّ علم ما فيه، نعم يا سلمان ويا جندب، صار محمّد ﴿يس والقرآن الحكيم﴾ وصار محمّد ﴿ن والقلم﴾ وصار محمد ﴿طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ وصار محمّد صاحب الدلالات، وصرت أنا صاحب المعجزات والآيات

---

(١) الرعد: ٨ ـ ١١.

(٢) الرعد: ١١.

وصار محمّد خاتم النبيين وصرت أنا خاتم الوصيين وأنا ﴿الصراط المستقيم﴾ وأنا ﴿النباء العظيم؟ الذي هم فيه مختلفون﴾، ولا أحد إختلف إلّا فيّ ولايتي وصار محمّد صاحب الدعوة وصرت أنا صاحب السيف، وصار محمّد نبياً مرسلاً وصرت أنا صاحب أمر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، قال الله عزّوجلّ: ﴿يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده﴾[1]، وهو روح الله لا يعطيه ولا يلقي هذا الروح إلّا على ملك مقرب أو نبي مرسل أو وصي منتجب، فمن أعطاه الله هذا الروح فقد أبانه من الناس وفوض إليه القدرة، وأحيى الموتى، وعلم بما كان وما يكون، وسار من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق في لحظة عين، وعلم ما في الضمائر والقلوب، وعلم ما في السموات والأرض، يا سلمان ويا جندب، وصار محمّد الذكر الذي قال الله عزّوجلّ: ﴿قد أنزل الله إليكم ذكراً رسولاً يتلو عليكم آيات الله﴾[2]، وإني أعطيت علم المنايا والبلايا وفصل الخطاب، واستودعت علم القرآن وما هو كائن إلى يوم القيامة، ومحمّد أقام الحجة وصرت أنا حجة الله عزّوجلّ، جعل الله لي ما لم يجعل لأحد من الأولين والآخرين لا لنبيّ مرسل ولا لملك مقرب، يا سلمان ويا جندب، قالا: لبيك يا أمير المؤمنين، قال عليه السلام: أنا الذي حملت نوحاً في السفينة بأمر ربي، وأنا الذي اخرجت يونس من بطن الحوت بإذن ربي، وأنا الذي جاوزت بموسى بن عمران البحر بأمر ربي، وأنا الذي أخرجت إبراهيم من النار بإذن ربي، وأنا الذي أجريت أنهارها وفجرت عيونها وغرست أشجارها بإذن ربي، وأنا عذاب يوم الظلة، وأنا المنادي من مكان قريب قدسمعه الثقلان الجن والإنس وفهمه قوم، وإني لأسمع كل يوم الجبارين والمنافقين بلغاتهم، وأنا الخضر عالم موسى وأنا معلم سليمان بن داود وأنا ذو القرنين وأنا

---

(١) غافر: ١٥.

(٢) الطلاق: ١٠.

قدرت الله عزّوجلّ، يا سليمان و ياجندب أنا محمّد ومحمّد أنا وأنا من محمّد ومحمّد مني، قال الله تعالى: ﴿مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان﴾، يا سلمان ويا جندب قالا لبيك يا أمير المؤمنين، قال: ان ميتنا لم يمت، وغائبنا لم يغب، وان قتلانا لم يقتلوا، يا سلمان ويا جندب قالا: لبيك يا أمير المؤمنين قال: أنا أمير كل مؤمن ومؤمنة ممن مضى وممن بقى، وأيدّت بروح العظمة، وأنا تكلمت على لسان عيسى بن مريم في المهد وأنا آدم وأنا نوح وأنا إبراهيم وأنا موسى وأنا عيسى وأنا محمّد اتقلب في الصور كيف اشاء من رآني فقد رآهم ومن رآهم فقد رآني، ولو ظهرت للناس في صورة واحدة لهلك فيّ الناس، وقالوا هو لا يزول ولا يتغير، وإنما أنا عبد من عبيدالله عزّوجلّ لا تسموها ارباباً وقولا في فضلنا ما شئتم، فانكم لن تبلغوا من فضلنا كنه ما جعل الله لنا ولا معشار، لأنا آيات الله ودلائله، وحجج الله وخلفائه، وامناء الله وائمته، ووجه الله وعين الله ولسان الله بنا يعذب الله عباده وبنا يثيب، ومن بين خلقه طهرّنا واختارنا واصطفانا، ولو قال قائل لم وكيف وفيم لكفر وأشرك، لأنه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون، يا سلمان ويا جندب، قالا: لبيك يا أمير المؤمنين، قالعليه السلام: من آمن بما قلت وصدق بما بينت وفسّرت وشرحت وأوضحت ونورت وبرهنت فهو مؤمن ممتحن، امتحن الله قلبه للإيمان، وشرح صدره للإسلام، وهو عارف مستبصر قد انتهى وبلغ وكمل، ومن شك وعند وجحد ووقف وتحير وارتاب فهو مقصر وناصب، يا سلمان ويا جندب، قالا: لبيك يا أمير المؤمنين، قالعليه السلام: أنا أُحيي وأُميت بأذن ربي، وأنا أنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم بأذن ربي، وأنا عالم بضماير قلوبكم والأئمة من أولادي يعلمون ويفعلون هذا إذا أحبوا وأرادوا لأنا كلنا واحد، أولنا محمّد وآخرنا محمّد وأوسطنا محمّد كلنا محمّدصلى الله عليه وآله وسلم ولا تفرقوا بيننا فأنا نظهر في كل زمان ووقت وأوان في أيّ صورة شئنا بإذن الله عزّوجلّ، ونحن إذا شئنا شاء الله وإذا كرهنا كره الله، الويل كل الويل من أنكر فضلنا

وخصوصيتنا وما أعطانا الله ربنا، لأن من أنكر شيئاً مما أعطانا الله، فقد أنكر قدرة الله عزّوجلّ ومشيته فينا، يا سلمان وياجندب، قالا: لبيك يا أمير المؤمنين صلوات الله عليك، قال عليه السلام: لقد أعطانا الله ربنا ما هو أجل وأعظم وأعلى وأكبر من هذا كله، قلنا يا أمير المؤمنين ما الذي أعطاكم ما هو أعظم وأجل من هذا كله؟ قال عليه السلام: قد أعطانا عزّوجلّ وعلمنا الإسم الأعظم الذي لو شئنا خرقنا السموات والأرض، والجنّة والنار، ونعرج به إلى السماء ونهبط به الأرض، ونغرّب ونشرّق وننتهي به إلى العرش، فنجلس[1] بين يدي الله عزّوجلّ ويطيعنا كل شيء حتى السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب والبحار والجنّة والنار، أعطانا الله ذلك كله بالإسم الأعظم، الذي علمنا وخصنا به، ومع هذا كله نأكل ونشرب ونمشي في الأسواق، ونعمل وهذه الأشياء بأمر ربنا، ونحن عباد الله المكرمون الذين لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون، وجعلنا معصومين مطهرين وفضلنا على كثير من عباده المؤمنين فنحن نقول **﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وحقت كلمة العذاب على الكافرين﴾** أعني الجاحدين بكل ما اعطانا الله من الفضل والاحسان، يا سلمان ويا جندب، فهذا معرفتي بالنورانية فتمسك بها راشداً، فانه لا يبلغ احد من شيعتنا حد الاستبصار حتى يعرفني بالنورانيّة، فإذا عرفني بها كان مستبصراً بالغاً كاملاً قد خاض بحراً من العلم، وارتقى درجة من الفضل، واطلع على سرّ من سرّ الله ومكنون خزائنه.[2]

❊ ❊ ❊

---

(١) هذا كناية عن شدة قربهم وعظم منزلتهم عند الله، أو كناية عن أحاطتهم العلمية بأمور السموات والأرضين بأفاضة الله تعالى إياهم أو قدرتهم بها ومطاعيتهم عندها.

(٢) البحار: ٢٦/٥٠٢، صحيفة الأبرار: ١/٨٥ـ ٩٠.

وقفه مع دلالات حديث النورانيّة

لقد وقف الباحثون لمعرفة الأئمة الأطهارعليهم السلام بالمعرفة المطلقة وقوفاً مردداً في هذا الحديث ودلالته المحيرة لعقول المؤمنين، فمنهم من أخذ به أخذ المسَّلم لهم حقّ التسليم في كل ما ورد عنهم، واحتمله صادراً منهمعليهم السلام في مقام من المقامات التي ذكروها فيه، ومنهم من وقف من دون ان يبدي أي كلاماً أو موقفاً اتجاه الحديث فلا صدق ولا كذب ولكن ترك الحال كما هو، ومنهم من رفض هذا الحديث جملة وتفصيلاً، ومنهم من أعتبر بعضه صحيحاً والبعض الأخر مقدوحاً فيه، وكل هذه المواقف التي وقفت اتجاه الحديث الخاص بالمعرفة النورانية، كانت نابعة من طبيعة وذاتية إيمان الشخص ومدى تحمله لأحاديثهم الشريفةعليهم السلام، فمن كان مؤمن ممتحن احتمل الحديث وأخذ به وأرسله إرسال المسلمات في قضاياه العقائدية لأنه يرى ما عند الأئمةعليهم السلام فوق ذلك من المقامات الأخرى، والذي رفض هذا الحديث قد حكَّم عقله إتجاه هذه المعرفة النوارانية، حيث عقله لا يرى إلّا الظاهر، أما باطن وحقيقة الأشياء يعتبر نفسه غير مكلفٍ بها، وغير مسؤولٍ عنها، والحقّ في ذلك الحديث أنه قد وافق القرآن الكريم في جملة من الآيات الشريفة التي تقول بالولاية العظمى، وما لها من المقامات العلية، أضف إلى ذلك أن الأخبار قد تعاضدت في نقل جملة من الأحاديث الشريفة التي تشير إلى معظم المطالب العالية التي وردت في الحديث المذكور.

فنقول: قد ذهب الحديث بعقول قوم فمنهم من استوحش منه وأنكر، ومنهم من وقف وتحير وسلّم قليل من بينهم وتبصر، ومن خاض في بحار الأخبار وجاس خلال تلك الديار وجد فقرات هذا الحديث متواترة إما لفظاً وإما معنى، فليس فيه ما يوجب حيرة الضعفاء في بادي الرأي سوى فقرات عديدة، فلنشير إلى شيء من معانيها حتى يخسأ المعاند ويذهب المتوقف بتأويله إلّا بردٍ .

قوله عليه السلام أنا الذي حملت نوحاً في السفينة وما يتلوه ويضاهيه من الفقرات، وإنما نشأت الحيرة فيه من عدم التأمل في الأخبار التي نقلوها وتلقوها بالقبول في غير هذا الموضع من غير نكير وهي: إن الله تعالى خلق أنوارهم قبل خلق الخلق حيث لاسماء مبنية ولا أرض مدحية ولا نبيّ ولا ملك ولا أنس ولا جن ولا غير ذلك من المخلوقات، فإن الأخبار في ذلك أكثر من أن تحصى ولم يعهد من أحد إلى الآن إنكارها، وتأخر ظهورهم البشري لا ينافي ذلك فإن المدار على الظهور الوجودي لا البشري الظاهري، فأنهم وتواترت الأخبار أيضاً أنهم عليهم السلام يد الله الباسطة ولسانه الناطق في خلقه فإذا كان الأمر على ذلك فما يمنعك أيها المنكر من أن يبعث الله تعالى يده الباسطة في عالم الأنوار فيحمل نوحاً في السفينة، ويخرج يونس من بطن الحوت، ويجاوز موسى بن عمران البحر، ويخرج إبراهيم من النار، ويبعث لسانه الناطق، فيتكلم على لسان عيسى في المهد، وعلى لسان الخضر في تعليم موسى وعلى لسان نملة في تعليم سليمان، كما تكلم الله تعالى مع موسى من الشجرة ويبعث يده كذلك فيجرى أنهار الدنيا ويفجر عيونها ويغرس أشجارها إلى غير ذلك. مع أنه لو قيل أن الله تعالى بعث ملكاً فحمل نوحاً في السفينة وأخرج يونس من بطن الحوت وجاوز بموسى البحر وأخرج إبراهيم من النار وتكلم على لسان عيسى وعلّم موسى وسليمان ونادى بنداء سمعه الثقلان ممن مضى ويأتي، وأجرى انهارها فجر عيونها وغرس أشجارها وأشباه ذلك لم تقابل شيئاً من ذلك بالإنكار، فما بالك تقبله في الملك وتنكره فيمن لولاه لم يوجد ملك ولا فلك، ومنها قوله عليه السلام إن ميتنا لم يمت وقد قال الله تعالى: **﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾**[1] ومنها قوله عليه السلام «أنا آدم أنا نوح» الخ. وقد رووا مثله في القائم عليه السلام حين يظهر ويسند ظهره إلى الكعبة، ويقول من أراد أن

(١) آل عمران: ١٦٩.

ينظر إلى آدم وشيث فها أنا آدم وشيث ثم يعد جمعاً من الأنبياء ولم أجد احداً توقف في هذا الحديث إلى الآن فضلاً عن إنكاره، فكل تأويل يجري فيه يجري مثله في ذلك.

وأما قوله عليه السلام اتقلب في الصور كيف اشاء فبيانه تحتاج إلى أن يكشف بعض الأستار ولا إقبال لي الآن عليه والإشارة إليه على سبيل الإجمال.

إن الأخبار تواترت في إن الله تعالى خلق محمّداً وآل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وخلق من أشعة أنوارهم وفاضل طينتهم الأنبياء وساير الخلق، وهذا تواترت في ان الله تعالى خلق محمّداً وآل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وخلق من أشعة أنوارهم وفاضل طينتهم الأنبياء وساير الخلق وهذا ايضاً مما لا ينكر، فإذا اردنا تصوير ذلك بالتمثيل الشهودي كان نورهم عليهم السلام كقرص الشمس وساير خلق من الأنبياء وغيرهم كالأشعة الواقعة منها في المرايا المقابلة لذلك القرص، فإنها كلها أثر الشمس لاذاتها فإن ذاتها في الفلك الرابع ولم تنزل إلى الأرض، ولا ريب في إنّ الأشعة المرآتية تختلف بحسب إختلاف المرايا في الصفاء والكدورة والإعوجاج والإستقامة وهي مثال إختلاف قابليات الخلق في قبول الوجود من منيرهم، فكلما كان من المرايا قابليته اصفى وأقوم كان الشعاع الواقع فيه بالشمس أشبه، وكلما كان أعوج كان بعيداً من الشباهة، ولا يحكم عليه إنه صورة الشمس لبطلان المشابهة بسبب شدة الإعوجاج فيرمي خارج العالم وهو مثال المدبرين عن مبدء الحقّ، والأوّل مثال المقبلين كل على حسب قابليته، ولما كان الأنبياء عليهم السلام أقرب الخلق إلى مبدء النور لصفاء قابلياتهم الذاتية نوعاً، وإنّ إختلف أفرادهم أيضاً في الشدة والضعف كانوا أشبه الخلق بأنوار محمّد وآله صلى الله عليه وآله وسلم، وأشد تعلقاً بهم من ساير الخلق نوعاً وإذ تقرر هذا فارجع إلى مثالنا المفروض وسم كلاً من الأشباح الشعاعية الواقعة في المرايا

المستقيمة الصافية الشبيهة بقرص الشمس بإسم، وليكن أحدها «أ» أو الاخر «ب» وآخر «ج» وآخر «د» وهكذا ومن البيّن أنه يصح للشمس ان تقول انا ا انا ب انا ج انا د وتريد بها الصورة الشبيهة بها، وكذا تقول من رآهم فقد رآني ومن رآني فقد رآهم، وأنا الذي أتقلب في تلك الصور كيف اشاء، وذلك لإنها كلها صادرة عن اشراقها وقائمة بها قيام صدور، فالصور صورها وهي أولى بها منها نفسها، لأن المنير أولى بالشعاع من نفس الشعاع، لأن له الولاية عليها هذا مع إن الشمس في ذاتها منزهة عن الشوب بالصور بمعنى أنها لم تحلل فيها، فيقال هي فيها كائنة ولم تناء عنها فيقال هي منها بائنة، فكما يصح هذه الأمور في الشمس كذلك يصح في وليّ الله المطلق الذي خلق الأنبياء من رشحات وجوده، وأشعة نوره أن يقول أنا آدم أنا نوح أنا إبراهيم أنا موسى أنا عيسى أنا ذو القرنين، وهكذا أتقلب في الصور كيف أشاء من رآني فقد رآهم ومن رآهم فقد رآني، وأما قوله عليه السلام ولو ظهرت للناس في صورة واحدة الخ. فيريد عليه السلام أني لو ظهرت في عالم الشهادة بنفس من أوّل الأمر إلى آخر الدهر ودعوت الخلق إلى الله لقيل هو لا يزول ولا يتغير لقصور عقولهم وضعف إفهامهم، فاقتضت الحكمة أن اقف بنفس في عالم الغيب في أوّل الأمر وأودع دعوة الله عزّوجلّ في كل عهد في هيكل من هياكل النبوة وأظهرها منها، فتارة في آدم واخرى في نوح، وهكذا مع ذلك فأنا المهيمن على الكل وأبدالي الكل وهم حجبي وأمثالي وإنما صاروا أنبياء مبعوثين لمشابهتهم لي في الصورة الوجودية التي هي هيكل التوحيد المخطط بخطوط الإنسانية التي هي أعدل الهياكل وأحسنها تقويماً فصار أمرهم أمري وحكمهم حكمي ورؤيتهم رؤيتي، إفهم يا أخي ما ألقيه إليك ولا ينبئك مثل خبير.

ومنها قوله عليه السلام أنا أحيي وأميت فهو يحتمل معنيين كلاهما صحيحان أحدهما

ان يراد به إني قادر على الإحياء والإماتة اذا شئت وهذا المعنى مما لا يرتاب فيه مسلم. لأنه من لوازم مقام النبوة والولاية لكونه من جملة المعجزات وصدوره عنهم غير عزيز وكتاب الله العزيز ناطق به، وثانيهما أن يراد به أن أمر الأحياء والإماتة إلي بالكلية وهذا أيضاً مما لا ينبغي ان يتوقف فيه شيعي لانه مركب من قول ملكين اسرافيل وعزرائيل فكما يصح لأسرافيل أن يقول أنا أحي النفوس، ولعزرائيل أن يقول أنا اميتها ولا يلزم منه أن يكونا الهين من دون الله لأنهما حاملان أمر الله، وليس لهما استقلال في ذلك كذلك يصح لمن جعل الله الملئكة خدامه وعبيده لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، ان يقول مثل ذلك وينسب هذه الافعال إلى نفسه بالطريق الأولى، لأنه الواسطة الكبرى في ذلك جعل الله قلبه وعاء لمشيته ومهبطاً لإرادته به يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وراجع في تحقيق ذلكإلى ما قدمناه في العناوين ولا تلجأنا إلى التكرار.

فليت شعري ما وجه التحير في أمثال هذه الأخبار وتأويلها بما تضحك منه الثكلى كقول بعض المحدثين بعد ذكر الخبر ما هذا لفظه قولهعليه السلام أنا الذي حملت نوحاً الخ أقول: لو صح صدور الخبر عنهعليه السلام لأحتمل أن يكون المراد به وبأمثاله ان الأنبياء بالاستشفاع بنا والتوسل بأنوارنا رفعت عنهم المكاره والفتن كما دلت عليه الأخبار الصحيحة الصريحة انتهى.

فانظر إلى هذا المحدث الفاضل واخراجه الكلام عن ظاهره بالكلية بعد التردد في أصل الخبر من غير داع يدعوه إليه ولعمري أنه ممن يروي في كتابه اخباراً صحيحة متواترة في أنهمعليهم السلام خلقوا قبل خلق الخلق دهوراً لا يعلم احصائها إلاّ الله، وأنهم كانوا في عالم الأنوار موجودين حيث لاسماء مبنية ولا أرض مدحية ولا آدم ولا حوا لقبيح غاية القباحة، عصمنا الله وإخواننا من الخطاء والخطل يا سبحان

الله ان الذي يعلّم الملئكة التسبيح والتقديس في ابتداء خلقهم كما نقل هـو نـفسه بذلك اخباراً مسلمة متواترة معنى لم لا يجوز ان يحمل نوحاً في السفينة ويخرج يونس من بطن الحوت وما الذي اقدره عليه ثم اعجزه عن ذلك مات أو هلك في ايّ واد سلك صدق ولي الله وانها لكبيرة إلّا على الخاشعين[1].

❊ ❊ ❊

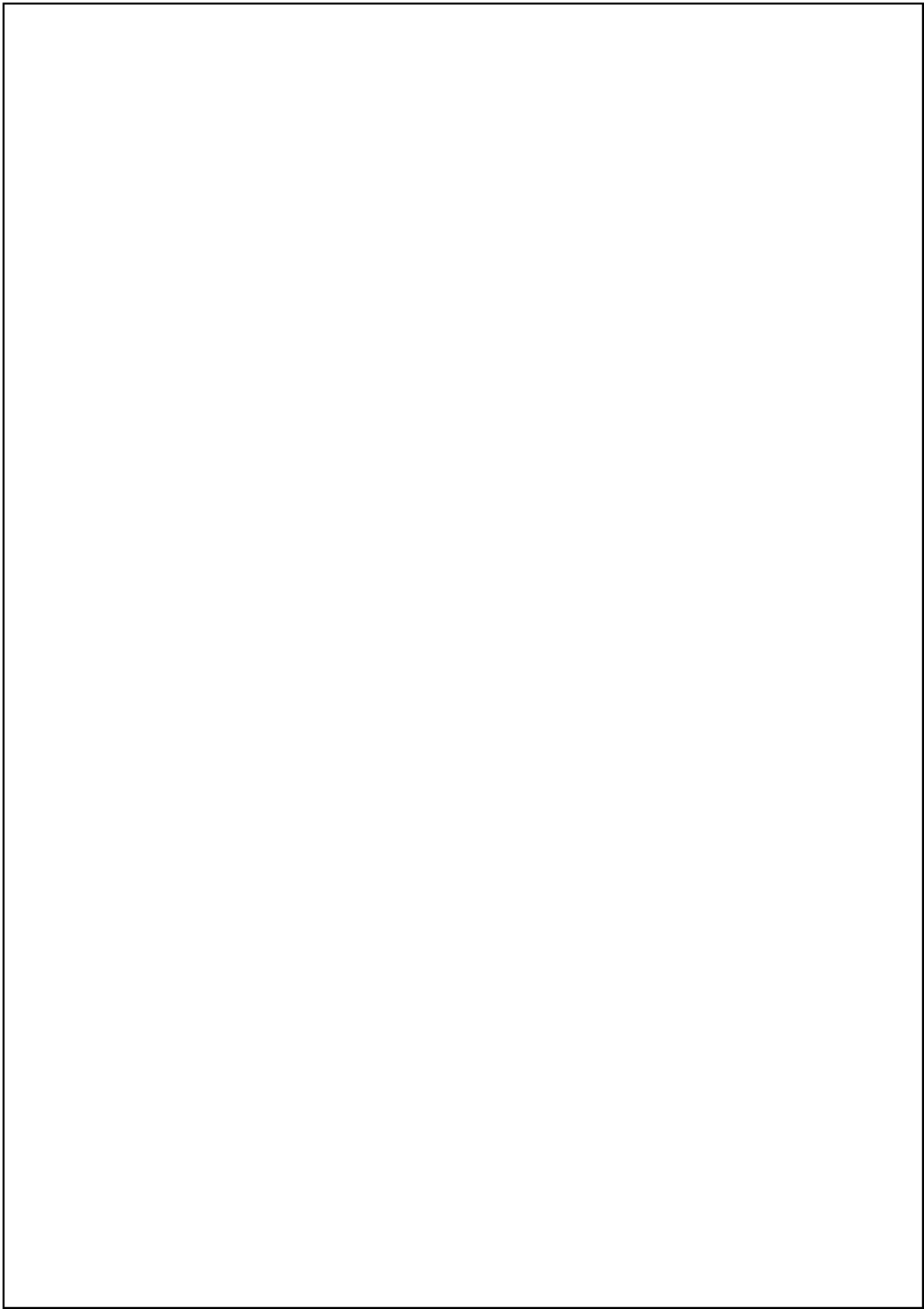
---

(١) لقد أدبنا الله في كتابه الكريم ان نستمع إلى القول فنتبع أحسنه في قوله تعالى: ﴿فبشر عباد الذين يستعمون القول فيتبعون أحسنه﴾ فما قيل في شرح الحديث (حديث النورانيّة) مّما يقبله العقل والتأويل وليس فيه الغلو إذ كلما قاله امير المؤمنين إنما ينسبه إلى الله سبحانه أوّلاً وثانياً يؤكد على انه عبد من عبيد الله وانه مربوب وله رب وهو الله عزّوجلّ ربّ الأرباب، وما ذكرهعليه السلام من المقامات إنما هي تجليّات وظهورات للحقيقة المحمّدية وهي خلاصة التوحيد ومظهر الولايّة الإلهيّة العظمى، كما هو ثابت في محله، وعلى كل حال تؤخذ الحكمة ولو من كافر أو مجنون كما ورد، كما أنه ننظر إلى ما قال لا من قال، فلو كان من المؤلفين من هـو منحرف إلّا أنه في كلامه ما هو صحيح، فإنه تأخذ الصحيح وتدع الباطل وما هـو زخـرف القول، ونضربه عرض الجدار فتدبر. «العلوي»



الفصل الخامس

المعرفة العلميّة



المستوى الرابع

المعرفة العلمية والفكرية لأمير المؤمنين عليه السلام

إنّ الوقوف مع المعرفة العلمية والفكرية لأمير المؤمنين عليه السلام ليعطي للباحث في القضايا العقائدية نضوجاً متكاملاً حول الشخصية المبحوث عنها في كل جوانبها الحياتية، ولقد قدمنا في كتابنا الأسرار الفاطميّة نقاط أربعة لمعرفة الشخصية التي يُراد البحث عن معرفتها فلا نعيد، ولكن نشير هنا إلى قضايا تعتبر من الأساسيات الأولية لهذه المعرفة العلمية والفكرية، وأوّل النقاط المهمة في المقام هو أنّ المعرفة هذه قد يفهمها الباحث من خلال السرد التأريخي أو التحليل لحياة تلك الشخصية العظيمة، أو من الإستفادة من المقامات الموضوعية المبنية على الأسس المنطقية العقلية للواقع الخارجي، حيث يفهم من هذه المقارنة أدق التفاصيل العلمية التي تعرفنا بتلك المعرفة العلمية.

وقد ينقدح في ذهن الباحث عن هذه المعارف العقائدية لتلك الشخصية الفذة، أنه ما الفرق بين هذه المعرفة العلمية الفكرية لأمير المؤمنين عليه السلام وبين المعارف الأخرى المتقدمة؟

والجواب على ذلك، أن لكل معرفة من المعارف المتقدمة أهل يختصون بها، ويقفون معها، فالمعرفة التأريخية لجميع من يبحث عن تفاصيل التأريخ الذي يخص الشخصية التأريخية أو ما رافقها من سيرة منهجية عاشت في ظلها تلك الشخصية، وعليه تكون المعرفة التأريخية غير مختصة بقوم دون قوم بل هي للجميع بقدر ما يفكرون في التزود من التأريخ.

أما المعرفة المناقبية فهي لأهلها الباحثين عن نور كرامات أولياء الله الصالحين حيث يفهمون منها مدى أرتباط هؤلاء الأولياء بالغيب الذي يسددهم ويـهيأ لهـم سبل التوفيق والسداد، والمعرفة النورانيّة لمن يبحث عن الحقائق النورية لو جودات المعصومين عليهم السلام.

أمّا المعرفة العلمية والفكرية تكون لمن هو باحثاً علمياً عن الحقائق التي يثبتها المنهج العلمي، حيث في الأكثر الغالب نرى الباحثون في هذا الجانب لا يـؤمنون بالمعارف الأخرى التي تعتمد على المباني المتقدمة، فـهؤلاء يـعتقدون بـالجانب العلمي الذي يقدم لهم الأدلة الصحيحة «على ضوء البراهين العقلية والإستدلالات المنطقية» على مدى مصداقية المدعى في المقام المبحوث عنه.

وتوجد نقطة مهمة جداً في المعرفة العلمية وهي أنّ المعارف العلمية تارة نصل إليها من خلال التجربة والتحليل، فمتى ما صدقت التجربة والتحليل لهذه القضية أو تلك يكون عند ذلك المدعى صحيحاً في المقام، ومتى لم تـصدق التـجربة عـلى المدعى عندئذ يرفض المطلوب.

وأخرى يعتمد المنهج العلمي لهذه المعرفة على مدى شمولية وسعة العلوم التي يحملها صاحب الشخصية المبحوث عنها، وعليه صاحب المعرفة العلمية والفكرية في المقام وإن ترتب على هذه المعرفة عدة ثمار علمية عنده، ولكن في نفس الوقت الذي يرفض صاحب هذه المعرفة المعارف المتقدمة الذكـر سـوف يكـون الأثـر السلبي لعدم إيمانه بالغيب المطلق لأنه يرى القضية العلمية هي الأساس لمعرفة أي شخصية أي موقف، نعم وكما قلنا فأن المعرفة العلمية لا بد أن تكون إلى جـانب المعارف الأخرى لكي تشكل حلقات مترابطة فـي البـحث الدقـيق لكـل قـضية عقائدية في الدين الإسلامي.

وعلى هذا الأساس من البيان نقدم المعرفة العلمية والفكرية لأمير المؤمنين عليه السلام

لمن يبحث عن المنهج العلمي لمعرفة هذه الشخصية التي وقف معها العلماء بكل طوائفهم سواء الإسلامية أو المسيحية أو غيرهم من الطوائف الدينية المختلفة، فأهل الملل والأديان إنما عرفوا أمير المؤمنينعليه السلام من خلال هذه المعرفة التي تجسدت في عدة مجالات الحياة العلمية، فهم وقفوا مع سياسة الإمام عليّعليه السلام وقضاءه وعدله، واقتصاده واجتماعياته وادارته، وتقديمهُ المنهج الصالح للقيادة والحكومة التي يجب أن تحكم في المجتمع البشري، ومن هذا الركائز الحياتية استطاعوا معرفة الإمام عليّعليه السلام المعرفة العلمية الصحيحة فتراهم آمنوا بعبقريته وعلو شخصيته ومدى ارتباطه بالغيب المطلق، فهم يعتقدون أنهعليه السلام شخصية غير طبيعية فتراهم يقولون في أحواله ومعرفته الكلمات التي لا مجال لحصرها في كتاب، كيف لا؟

وقد علمه رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم ألف باب من العلم ينفتح له من كل باب ألف باب من العلم، وعليه تمثلت إحدى جوانب المعرفة نوراً يستضاءُ به عند كل المذاهب والملك الأخرى الغير إسلامية فهم فهموه وعرفوه وقدّروه من خلال تقديمه المنهاج الصحيح للحياة الدنيوية والتي تترك الصلاح والنظام والآمان للمجتمع الذي يطبقها في الواقع المعاش .

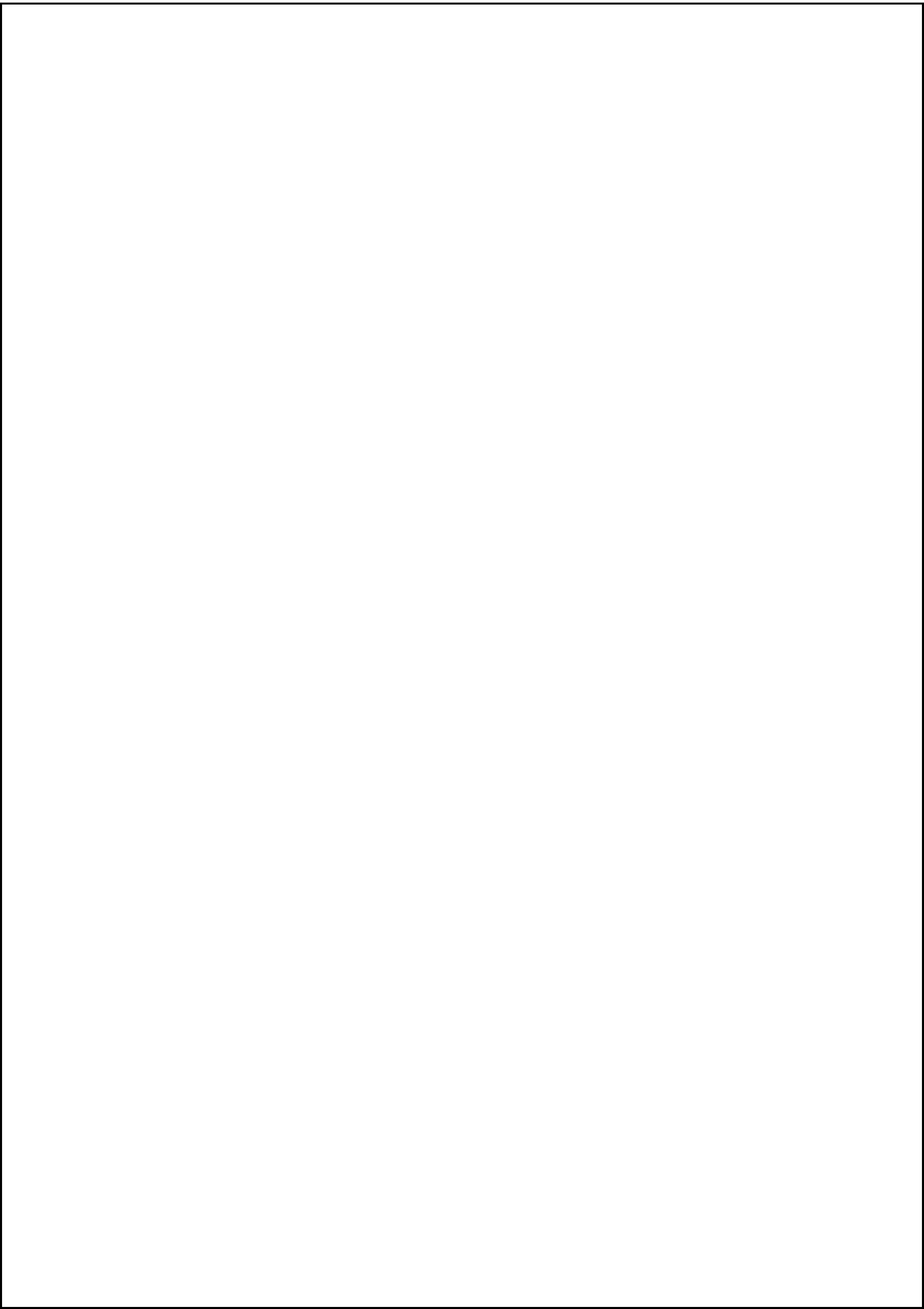
* * *

البحث العاشر

عليّ عليه السلام
سرّ الصراط المستقيم

«المرحوم الشيخ عبدالحسين شكر»

عـرى المكـارم خـطب شـيب بـالكدر | لم يـبق مـن بـعده للـمجد مـن أثـر
رزء له العـروة الوثـقى قـد انـفصمت | والشمس قد كورت تبكي عـلى القـمر
لله مـن فـادح أبكـى الهـدى بـدم | مـذ بـالدين كسـر غـير مـنجبر
رزء الوصـي أمـير المـؤمنين ومـن | لولا يـداه رحـى الأكـوان لم تـدر
يـا للـرجـال لإقـدار فـتكن بـه | ألم يكـن فـي البـرايـا مـصدر القـدر
فليت شـعري هـل الأشـياء تـفتك فـي | مشـيئةٍ قـد بـدت فـي صـورة البشـر
كـلّا ولكـن لكـي يـبدو لمـعتبر | بأنـه مـالك مـملوك مـقتدر
مـا للـمشاعر حـزناً شـعرها نشـرت | وزمزم قـد جـرت مـن مـحجر الحـجر
والروح فـي مشـرق الدنـيا ومـغربها | يـنعى الوصـيّ عـلياً خـيرة الخـير
وراح يندب نـاعي الديـن حـين هـوى | اليـوم جب سـنام العـز مـن مـظر
يا نفس سيلي أسى يـا قـلب ذب كـمداً | حزناً عـليه ويـا سـبع العـلى انـفطري
تكـوري يـا شـموس الكـون انكسـفي | يـا بـدر غب جـزعاً يـا أنـجم انـتثري
لهفي على خفرات الوحـي حـين بـدت | تـدعوا بـقلب حـليف الوجـد مسـتغر
لم أنس زيـنب تـدعو وهـي حـاسرة | حـل الذبـول بـغصن للـندى نـضر



البحث العاشر

الإمام عليٌّ عليه السلام سرّ الصّراط المستقيم

مقدمة

قبل الدخول في صميم هذا البحث الذي يبحث عن فلسفة وأسرار الصراط المستقيم وكيفية الإستقامة عليه، لا بدّ من تقديم مقدمة نرى من الضروري طرحها في المقام الذي هو من الملازمات المرتبطة بصميم هذا البحث المهم.

وخلاصتها في معرفة الهدف من خلق الإنسان في هذا العالم، فإنه لا شك ولا ريب في إنّ الله تعالى غني وغير محتاج، فالسؤال المطروح على ضوء هذا الإعتقاد الذي يقول بأن الله غني، إذن لماذا خلق الله الإنسان ما دام غير محتاج إلى خلقه وغني عن المخلوقين؟

وما الهدف من خلقه؟ وبعبارة أخرى إذا كان هناك هدف وراء خلق الإنسان، إذن هو محتاج، وهو موجود محتاج [أي الله تعالى والعياذ بالله من هذا القول].

وأراد عن هذا الطريق أي خلق الإنسان أن يزيل حاجته، وإذا لم يكن هناك هدف فلماذا يصدر عمل عبث عن الله سبحانه؟

الهدف من الخلق

والجواب: إنّ هذا السؤال قديم جداً فهو مطروح منذ الماضي، فإنّ أغلب الناس يرغبون أن يعرفوا الهدف من خلقهم، وما هو الهدف من خلق الإنسان بمجموعه؟

إنّ اولئك الذين يطرحون هذا السؤال يقفون على حافة هاوية وهي تشبيه الخالق بالمخلوق، ويرون فاعلية الله كفاعلية المخلوق، لأنه كما إنّ الإنسان لا يقوم بعمل إلّا لإحساسه بنقص ويسعى بعمله لرفع ذلك النقص، فهم يتصورون على هذا الأساس المرتكز في نفوسهم، إنّ الله تعالي الذي هو الكمال المطلق ولا يوجد فيه أدنى نقص لا بد أن له هدفاً من وراء هذا الخلق لأن فقدان الغرض أو الهدف دليل على العبثية.

ولكن إذا قمنا هنا التفكيك بين غرض الفاعل أيّ الله وغرض الخلق أيّ المخلوق، فأن المشكلة من المؤكد ستحل، على إنه يمكن التصور بأن غرض الخلقة والهدف من إيجاد الخلق هو الوصول بهم إلى الكمال اللائق بحالهم من السعادة الأبدية ، وقد يكون هذا الجواب غير كاف في المقام لأن الكثير من الذين يبحثون عن الإستدلالات البرهانية والمنطقية، يرفضون هذا القول لما له من الملازمات التي يمكن أن تطرح عليه بمجرد تصوره، أضف إلى ذلك ان الجواب على ذلك يمكن أن نبحث عنه في المدارك الشرعية التي ترتبط بالعقيدة الإسلامية وتنحل القضية، ولكن كما قلنا يرد عليه ما يرد من اولئك الذين لا يقبلون منه شيئاً، وعليه لا بد أن نبين الجواب على ذلك، ولذا نقول: قد ثبت في محله من البحوث الكلامية والفلسفية ان الله غني مطلق وكمال محض، ولا يوجد فيه أدنى نقص، فلا يمكن على ضوء ذلك أن نضع له غرضاً أو هدفاً وغاية، لأن وضع الغرض للفاعل ينبع من مسألة المقايسة، لذا قال العلماء المختصون بعلم الكلام: [إن أفعال الله غير معللة بأغراض] فأن الصحيح أن نقول: بأن الغرض والغاية التي تعود إلى الإنسان غير متحققة في وجود الله تعالى لأنه كيف يمكن إيجاد نقص للكمال المطلق والواجد لكل الكمالات ثم يفترض انه يسعى بنفسه لازالة تلك النقيصة؟!

ولكننا عندما نقول أنه لا يوجد هدف وغرض لخلق العالم والكون هو غير أن نقول أنه

لا غرض ولا هدف للخلق إنّ نفي الهدف للخالق يختلف عن أن يكون الخلق عبثاً ولغواً وأحدى نقاط الإختلاف بين المادية والإلهية هي في هذه النقطة الجوهرية.

إنّ الفلسفة المادية لا تفكر بوجود هدف لخلق العالم والإنسان، وإذا سئل فيلسوف مادي لماذا خلق العالم والإنسان ولأي هدف؟

فإنه يجيب أنّه لا يوجد هدف ولا غرض من وراء ذلك.. جئت من أين لا أدري.. وإلى أين لا أدري... ولماذا لا أدري... إلخ.

بينما الإنسان الإلهي والفرد المؤمن يعتقد بإن من وراء خلق العالم والإنسان من قبل الله تعالى هدف وغاية، ولهذا فإن الشخص الإلهي يعتقد بقلب مطمئن وإعتقاد راسخ وبنور صادق، بأن هناك غرض من جميع التحولات والحركات الأرضية والمنظومات الفلكية، وعلى هذا الأساس فإنّ فعل الله لا ذاته عزّوجلّ له وغرض ويقول القرآن الكريم في ذلك: **﴿أفحسبتم إنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون﴾**[1] **﴿الذين يتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً﴾**[2] **﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لا عبين﴾**[3].

وعلى ضوء فهم ذلك البيان يمكن ان نقول ما هو الغرض من الخلق؟ ذلك الغرض الذي لا يكون فيه تكميل للخالق، ولكنه في نفس الوقت يخرج فعله عن العبث واللغو؟

إن الهدف من الخلق هو كما أشرنا إليه مسبقاً هو أن يصل كل موجود إلى الكمال الذي يستحقه دون أن يكون هذا العمل ذات نتيجة لذاته الطاهرة.

ولكن الكمال الذي يستحقه الإنسان كيف يصل إليه ومن الذي يدله له عليه؟

---

(١) المؤمنون: ١١٥.

(٢) آل عمران : ١٩١.

(٣) الدخان: ٣٨.

كيفية الوصول إلى الكمال

إنّ الذي يبحث من خلال تتبع القرآن الكريم في آياته المباركة عن الطريق، أو الوصول للكمال والسعادة الأخروية، يرى بكل وضوح أن أهم عمل يوصله إلى ذلك هو الإقرار بوحدانية الله تعالى والاستقامة على الطريق الموصلة إليه، لذا نجد قوله تعالى: ﴿**إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنت توعدون * نحن أوليائكم في الحياة الدنيا وفي الأخرة**﴾[1]، أوّل دليل على ذلك إن الخطاب موجه هنا إلى الذين يقولون ربنا الله، يعني إقرار بالعبودية لله تعالى والإعتراف بأنه خالق الخلق وباسط الرزق، وهذه من النعمة العظيمة على الفرد المؤمن، فالإقرار به جل جلاله وتوحيده هو أعظم ما ندخره لأهوال يوم القيامة وشدائدها، فالموحد الحقيقي هو الذي يصل إلى الكمال المطلق ويفوز بالجنة، ولكن أيّ موحد يطلق عليه حقيقة موحداً؟

هو ذلك الموحد الذي يقبل من عدل القرآن الكريم في كل ما جاء عنهم، أليس رسول الله ﷺ يقول «**قولوا لا إله إلّا الله تفلحوا**»، ويأتي حفيده الإمام الرضا عليه السلام حيث يقول في حديث السلسلة الذهبية «**لا إله إلّا الله حصني فمن دخل حصني آمن من عذابي ولكن بشرطها وأنا من شروطها**».

وعليه الموحد الحقيقي هو الذي يلتزم بالإمامة الحقة، لأنّ العلة في ذلك هو كونهم عليهم السلام الإدلاء على مرضات الله والإدلاء على صراطه، ولذا نجد في كثير من النصوص الروائية إنّ التوحيد الخالص إنما يكون منحصرة في طريق أهل البيت عليهم السلام وإلى ذلك أشارت الزيارة الجامعة الكبيرة حيث يقول الإمام عليه السلام فيها:

«**من وحده قبل عنكم**» و «**أركانا لتوحيده**» و «**أدلاء على صراطه**» و «**فالراغب**

(١) فصلت: ٣٠ ـ ٣٢.

عنكم مارق واللازم لكم لاحق والمقصر في حقكم زاهق والحق معكم وفيكم ومنكم وأنتم أهله ومعدنه» «أنتم الصراط الأقوم» «من أراد الله بدء بكم ومن وحده قبل عنكم»، وقول الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء «ألّا من موحد يخاف الله فينا)، فالموحد الحقيقي يخاف الله في خلقه، فلا يظلم العباد، ولا يقتل المؤمنين، فكيف بمن هم سادة الخلق، فعلى هذا الاساس والبيان الذي يقر بالوحدانية العظمى لله تعالى لا بدّ له أن:

١ ـ يخاف الله في خلقه وخصوصاً الائمّة عليهم السلام.

٢ ـ إنّ يقبل عن أهل البيت عليهم السلام كل ما جاء عنهم، يعني التسليم لهم.

٣ ـ أن يستضيء بنور ولايتهم عليهم السلام لأنهم هم الإدلاء على الصراط المستقيم.

٤ ـ أن لا يتقدم عليهم عليهم السلام ولا يتأخر عنهم بل يكون ملازماً لهم في كل شيء.

كيفية الإستقامة على الطريق

وإذا تحقق الإقرار بالوحدانية لزمه الإستقامة على الطريق الذي أراده الله تعالى، والاستقامة معناها السير في الطريق المستقيم والمعتدل وغير المنحرف لا يمينا ولا شمالاً، ذلك الطريق الذي لا إفراط ولا تفريط فيه، حيث يصل بصاحبه إلى النعيم الأبدي والسعادة التامة في الدنيا والأخرة.

وقد جاء في وصف هذا الطريق على لسان مولى الموحدين أمير المؤمنين عليه السلام حيث يقول في وصفه: «ما قصر عن الغلو وارتفع عن التقصير».

إذن الاستقامة تكون على طريق معتدل وغير منحرف.

وعليه ما هو الطريق الذي نستقيم عليه؟ قد أجيب على هذا السؤال بعدة إجابات اختلفت في مؤداها ومضمونها، اعتماداً على الأساس الذي بنييت عليه، وانطلاقاً من

المذهب المتبني لذلك الجواب، وقد تلخصت الإجابات في ثلاث وهي:

١ ـ الإستقامة إنما تكون على إداء فرائض الله تعالى التي تخص العبودية أيّ الصوم والصلاة والحج وغير ذلك من العبادات، ولكن الظاهر إنّ هذا الجواب والقول غير صحيح بدليل أن الكثير من الناس كانوا من العباد الصالحين لله تعالى والنتيجة لم يستمروا في طريق عبوديتهم، لأن الاستقامة تقتضي أن تكون موصلة بصاحبها إلى النعيم الأبدي في الأخرة، والسعادة في الدنيا، والحال أن العبادة وحدها لا تكفي في أن يكون الإنسان مستقيماً في حياته. وفي ذلك شواهد كثيرة لو أردنا استقصاءها لأحتجنا إلى كتاب مستقل في بابه.

٢ ـ كون الإستقامة على الطريق في طاعة الله تعالى منحصرة، والطاعة هنا أعم من العبادات لان الطاعة تشمل العبادة وغيرها، نعم قد تكون الإستقامة هي على طريق طاعة الله تعالى، ولكن هذه الطاعة لابد لها من مرشد وداعي إليها، وإلّا وحدها لا تكفي، فلا بد من أن يكون دالاً عليها وهو أحق منها بالإتباع والمسير على طريقته ونصحه وهدايته، وعليه يكون الطريق ليس الطاعة وحدها التي نستقيم عليها.

٣ ـ والقول الفصل والكلام الحق في المقام والذي نستفيده من القرآن الكريم والمأثورات الروائية الواردة على لسان أهل بيت العصمة والطهارةعليهم السلام هو ما يحتاج لبيانه إلى مقدمات توضحية.

وأول هذه المقدمات هو أن القرآن الكريم عند ما يذكر الإستقامة يذكر أيضاً المرادفات والمشتقات للإستقامة مثل:

استقاموا ـ يستقيم ـ فأستقم ـ مستقيم ـ استقيموا ـ استقيما ـ والغاية من عرض القرآن الكريم لمفردات الإستقامة في كثير من الآيات المباركة هو لكي نحصل على نتيجة نهائية من عرض الآيات بعضها على البعض الأخر، ولكي نفسر القرآن الكريم بنفسه.

والذي يريد معرفة الإستقامة على اي شيء تكون لا بد أن يقف مع الآية التي تقول: ﴿**اهدنا الصراط المستقيم**﴾[1]، حيث بينت الآية أن المؤمن يطلب الهداية من الله تعالى في كل يوم في صلاته ليهديه ربه إلى صراط مستقيم، يستقيم عليه استقامة مطلقة.

سّر الصراط المستقيم

فما هو الصراط المستقيم وما هو سره وباطنه وظاهره، وكيف يجسد في الآخرة، وكيف حاله في الدنيا؟ أسئلة نحتاج الوقوف عليها ومعرفتها ليتضح لنا هذا البحث الذي لا يخلو من فائدة عقائدية مهمّة جداً، يستفيد منها المؤمن الرسالي خلال مسيرته العقائدية.

فنقول: الصراط هو الطريق والسبيل، فأن الله تبارك وتعالى بعد أن حمد نفسه ومجّدها على لسان عبده في فاتحة الكتاب، ثم حصر العبادة والإستقامة به وحده أيضاً لقنه أن يطلب منه الهداية إلى الصراط المستقيم، الذي يصل بصاحبه إلى الدرجات العالية والمقامات السامية التي أعدها الله تبارك وتعالى لعباده الصالحين، وذلك بأن يأتي بالعبادة على الوجه الأتم الأكمل ظاهراً وباطناً حقيقة وشريعة والتي لا تقصير فيها ولا قصور، وقد اطلق سبحانه وتعالى أسم الصراط المستقيم على العبادة تارة وعلى الدين أخرى، فمن إطلاقه على العبادة قوله تعالى: ﴿**وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم**﴾[2]، وأما أطلاقه على الدين كونه صراطاً مستقيماً فقوله تعالى: ﴿**إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيماً ملة إبراهيم حنيفاً**﴾[3].

---

(١) الفاتحة: ٦.

(٢) يس: ٦١.

(٣) الأنعام: ١٦١.

تعريف الصراط المستقيم

والظاهر أن الصراط هو مطلق الطريق الموصل إلى الله تعالى وإلى مرضاته، فأطلاق اسم الصراط على الدين والعبادة بما أنهما من مصاديقه لا كونهما حقيقة الصراط، فأن كل منهما موصل إلى الله تعالى وسبب للتقرب منه، بشرط الإستقامة على الصراط المستقيم، ولما كان طلب الهداية إلى الصراط المستقيم في المقام على لسان المسلم العابد، فالظاهر أن المطلوب هو الهداية إلى مرتبة عالية من العبادة لكي تكون محققة لغرض المولى وموصل إلى رحمته.

والمراد من المستقيم: المعتدل غير المنحرف لا يميناً ولا شمالاً الذي لا إفراط فيه ولا تفريط، كما يشهد بذلك ما روي عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام حيث وصفه بقوله: (وما قصر عن الغلو وارتفع عن التقصير)، وهو الذي يصل بصاحبه إلى النعيم الأبدي والسعادة التامة في الدنيا والآخرة.

ومعنى الهداية: هو الإرشاد والدلالة على الطريق، فيطلب العبد من ربه أن يرشده ويدله على الصراط الذي ينجوا، من سلكه، ويأمن من سار عليه، وهو الصراط الذي جعل الله نبيه هادياً إليه، إذ قال الله تعالى: ﴿**وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض**﴾[1].

وهو الصراط الذي أمرنا الله تبارك وتعالى بأتباعه: ﴿**وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون وأن هذا صراطي مستقيماً فأتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله**﴾[2]، ويظهر من هذه الآية المباركة إنّ سبل الناس إلى معرفة الله كثيرة، وأن السبيل المرضي عنده عزّوجلّ هو الصراط المستقيم الذي وصفه الله

---

(١) الشورى: ٥٢ ـ ٥٣.

(٢) الأنعام: ١٥٣.

تعالى: ﴿**صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب علهيم ولا الظالين**﴾[(١)]، وهو صراط خال من الشرك والظلم لأن الله تعالى وصفه كل منهما بالضلال.

أما الشرك فقد قال الله تعالى فيه: ﴿**ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل**﴾[(٢)].

وأما الظلم فأن الظالم ليس بمهتد ومن حرم الهداية فهو ضال، وقد وصف الله غير الظالم بالهداية فلا بد أن يكون الظالم ضالاً، وذلك قوله تعالى: ﴿**الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلمهم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون**﴾[(٣)].

ويشترط في هذا الصراط المستقيم إطاعة أوامر الله ورسوله لأن الله تعالى وصفه بأنه: ﴿**صراط الذين أنعمت عليهم**﴾[(٤)] من النبيين والصديقين والشهداء، ومن أطاع الله ورسوله حيث قال عزّ من قال: ﴿**ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً**﴾[(٥)]، والصراط المستقيم هو كل ما يوصل صاحبه إلى الله تعال ومرضاته سواء كان فعلاً أو قولاً كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿**إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه**﴾[(٦)].

والنتيجة المتوخاة من ذكر هذه المقدمات التوضيحية هو أن الإستقامة إنما تكون من خلال المسير على الطريق المستقيم، والصراط هو الطريق المستقيم، وعلى

(١) الفاتحة: ٧.

(٢) البقرة: ١٠٨.

(٣) الأنعام: ٨٢.

(٤) الفاتحة: ٤.

(٥) النساء: ٦٩.

(٦) فاطر: ١٠.

الإستقامة هي المسير على الطريق المستقيم، وهذه الإستقامة تحتاج إلى الهداية ﴿أهدنا الصراط المستقيم﴾، والهداية من الله تكون على قسمين هداية تشريعية والأخرى الهداية التكونية وكلاهما لا بد، أن تكونا مستمرتين، ولا تكون الهداية إلّا لمن يكون هو هادياً لغيره.

الإمام عليّ عليه السلام حقيقة الصراط المستقيم

الصراط المستقيم الذي ذكره القرآن الكريم في كثير من الآيات المباركة له عدة مصاديق تتعدد هذه المصاديق نتيجة ملازمات هذا الصراط، ولكن لهذا الصراط حقيقة ناصعة البيان واضحة البرهان لمن أعطاه الله تبارك وتعالى نور البصيرة والعرفان في معرفة هذه الحقيقة والذي يظهر للباحث المدقق إن للصراط حقيقة في الدنيا وحقيقة في الآخرة، أما التي في الدنيا فهو الإمام المفترض الطاعة، فمن سار على نهجه في الدنيا سار في الآخرة من دون اذى على استقامته حتى يوصله إلى دار جنات النعيم، فيكون حقيقة الصراط في الآخرة هو ذلك الجسر الذي يمر عليه المؤمن من دون الانزلاق والإنحراف تبعاً لمسيرته على منهاجه وتمسكه به في الدنيا، والإمام المفترض الطاعة في الدنيا هو ما أوصى به الرسول الأعظم وخليفته وصاحب الولاية العظمى عليّ بن ابي طالب عليه السلام، فتكون حقيقة الصراط وسره المكنون هو عليّ وآل عليّ عليهم السلام، وإلى ذلك أشارة جملة من المأثورات الشريفة الواردة على لسان أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام والتي منها ما ورّد:

* عن المفضَّل بن عمر، قال: «سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الصّراط، فقال: هو الطَّريق إلى معرفة الله عزّوجلّ، وهما صراطان: صراط في الدّنيا وصراط في الآخرة، فأمّا الصّراط الّذي في الدُّنيا فهو الإمام المفروض الطّاعة، من عرفه في الدُّنيا واقتدى بهداه مرَّ على الصَّراط الذي هو جسر جهنَّم في الآخرة ومن لم

يعرفه في الدّنيا زلّت قدمه عن الصّراط في الآخرة فتردى في نار جهنّم»[١].

والذي يفهم من هذا الخبر أن معنى كون الإمام هو الصراط أي طاعة الإمـامة والإقتداء به، وفي ضوء هذه الرواية يفهم معنى الرواية القائلة بأن أمير المؤمنين هو الصراط المستقيم، وكما ورد عن الإمام السجادعليه السلام في معنى الصراط وهم عـليّ وآل عليّ عليهم السلام:

(ليس بين الله وحجته ستر، نحن أبواب الله ونحن الصراط المستقيم ونحن عيبة علمه ونحن تراجمة وحيه وأركان توحيده وموضع سره).

فالمراد من كون الإمام أو الأئمة عليهم السلام الصراط المسـتقيم أي الأسـتقامة عـلى هديهم والإتباع والاقتداء بهم والإهتداء بهداهم، فهم الطريق الموصل إلى الله تعالى، وما ذكر من معاني الصراط المستقيم في القرآن والروايات من باب تـفسير الآيـة ببعض مصاديقها ولا تكون الآية مخصصة بموردها، لأن القـرآن يـجري مـجرى الشمس والقمر ولا يختص بمورده.

الصراط في لسان الروايات

* عن الإمام العسكريّ عليه السلام: «الصَّراط المستقيم صراطان: صراط فـي الدّنـيا وصراط في الآخرة، فأمّا الصَّراط المستقيم في الدّنيا فهو ما قصر من الغلوِّ وارتفع عن التَّقصير. واستقام فلم يعدل إلى شيء من الباطل؛ وأمّا الصَّراط في الآخـرة فهو طريق المؤمنين إلى الجنة الّذي هو مستقيم، لا يعدلون عن الجنَّة إلى النار ولا إلى غير النّار سوى الجنَّة»[٢].

---

(١) البحار: ٨/٦٦، ٢٤/١١، تفسير نور الثقلين: ١/١٢١ ح٩١.

(٢) البحار: ٨/٧٠.

* عن أبي حمزة الثّماليّ، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «سألته عن قول الله عزّوجلّ (قال هذا صراط عليّ مستقيم)[1]، قال: والله عليٌّ عليه السلام، وهو والله الميزان والصّراط المستقيم»[2].

قال الطّبري في تفسيره:

«قرأ القرّاء السّبعة «صراط» منوّناً مرفوعاً، و «عليّ بفتح اللاّم؛ وقرأ يعقوب وأبو رجاء وابن سيرين وقتادة ومجاهد وابن ميمون «عليٌّ» بكسر اللاّم وصفاً للصّراط»[3].

وقال العلاّمة المجلسيُّ رحمه الله:

«الظاهر أنّه «عليٍّ» بالجرّ بإضافة الصّراط إليه، ويؤيّده ما رواه قتادة عن الحسن البصريّ، قال: كان يقرأ هذا الحرف: «هذا صراط عليٍّ مستقيم»[4].

* عن أبي مالك الأسديّ، قال: «قلت لأبي جعفر عليه السلام أسأله عن قوله تعالى: ﴿وأنّ هذا صراطي مستقيماً فأتبعوه ولا تتبعوا السبل﴾[5]، قال: فبسط أبو جعفر عليه السلام يده اليسار ثمّ دوّر فيها يده اليمنى، ثمّ قال: نحن صراطه المستقيم ـ الحديث»[6].

* عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ الله تبارك وتعالى لو شاء لعرف العباد نفسه ولكن جعلنا أبوابه وصراطه وسبيله والوجه

---

(١) الحجر: ٤١.

(٢) تفسير البرهان: ٢/٣٤٤.

(٣) جامع البيان: ١٤/٢٤.

(٤) البحار: ٢٤/٢٣.

(٥) الانعام: ١٥٣.

(٦) البحار: ٢٤/١٥.

الّذي يؤتى منه، فمن عدل عن ولايتنا أو فضّل علينا غيرنا فإنّهم عن الصّراط لناكبون ـ الحديث»[١].

* عن أبي عبدالله عليه السلام: «ربّنا آمنا واتّبعنا مولانا ووليّنا وهادينا وداعينا وداعي الأنام وصراطك المستقيم السّويّ، وحجّتك وسبيلك الدّاعي إليك على بصيرة هو ومن اتّبعه، سبحان الله عمّا يشركون بولايته وبما يلحدون باتّخاذ الولائج دونه؛ فأشهد يا إلهي أنّه الإمام الهادي المرشد الرّشيد عليٌّ أمير المؤمنين الّذي ذكرته في كتابك وقلت: ﴿وإنّه في أمّ الكتاب لدينا لعليٌّ حكيم﴾[٢] لا أُشركه إماماً، ولا أتّخذ من دونه وليجه»[٣].

* عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «الصّراط الّذي قال إبليس: ﴿لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم﴾[٤] فهو عليّ»[٥].

* قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «فوعزّة ربّي وجلاله إنّه لباب الله الذي لا يؤتى إلّا منه، وإنّه الصّراط المستقيم، وإنّه الّذي يسأل الله عن ولايته يوم القيامة»[٦].

* عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «أتاني جبرئيل عليه السلام، فقال: أبشرك يا محمّد، بما تجوز على الصّراط؟ قال: قلت: بلى، قال: تجوز بنور الله، ويجوز عليٌّ بنورك، ونورك من نور الله، وتجوز أُمتك بنور عليٍّ، ونور عليٍّ من نورك؛ ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾[٧]»[٨].

---

(١) الكافي: ١/١٨٤.

(٢) الزخرف: ٤.

(٣) تفسير نور الثقلين: ٤/٥٩٢.

(٤) الأعراف: ١٦.

(٥) شواهد التنزيل: ١/٦١.

(٦) المصدر: ١/٥٩.

(٧) النور: ٤٠.

(٨) البحار: ٨/٦٩.

* عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «إذا كان يوم القيامة ونصب الصّراط على جهنّم لم يجز عليه إلّا من كان معه جواز فيه ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وذلك قوله: ﴿وقفوهم إنّهم مسؤولون﴾[١]، يعني عن ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام»[٢]

* عن ابن عبّاس، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إذا كان يوم القيامة أقام الله عزّوجلّ جبرئيل ومحمّداً على الصّراط، فلا يجوز أحد إلّا من كان معه براءة من علي بن أبي طالب عليه السلام»[٣].

* عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إذا كان يوم القيامة يقعد عليّ بن أبي طالب على الفردوس ـ وهو جبل قد علا على الجنّة فوقه عرش ربِّ العالمين، ومن سفحه تنفجر أنهار الجنَّة وتتفرَّق في الجنان ـ وهو جالس على كرسيٍّ من نور يجري بين يديه التّسنيم، لا يجوز أحد الصّراط إلّا ومعه براءة بولايته وولاية أهل بيته؛ يشرف على الجنّة فيدخل محبِّيه الجنّة ومبغضيه النّار»[٤].

* عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، قال: «معرفة آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم براءة من النّار، وحبّ آل محمّد جواز على الصّراط، والولاية لآل محمّد أمان من العذاب»[٥].

* عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، قال: «حبّ عليّ عليه السلام براءة من النّار»[٦].

* عن عليّ عليه السلام، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إذا جمع الله الأوّلين والآخرين

---

(١) الصافات: ١٤.

(٢) البحار: ٨/٦٨.

(٣) المناقب: ٢٢٩.

(٤) فرائد السمطين: ١/٢٩٢.

(٥) ينابيع المودّة: ٢٢١.

(٦) كنوز الحقائق: ٢٦.

يوم القيامة ونصب الصّراط على جسر جهنّم، لم يجز بها أحد إلّا من كانت معه براءة بولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام»[١].

* في حديث وكيع، قال أبو سعيد: «يا رسول الله! ما معنى براءة عليٍّ؟ قال: لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله، عليٌّ وليُّ الله»[٢].

عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «إذا كان يوم القيامة ونصب الصّراط على شفير جهنّم لم يجز الصّراط إلّا من كان معه كتاب ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام»[٣].

* عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: في حديث طويل: «وإن ربّي عزّوجلّ أقسم بعزته أنه لا يجوز عقبة الصّراط إلّا من معه براءة بولايتك وولاية الأئمّة من ولدك»[٤].

* قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «يا عليّ! إذا كان يوم القيامة أقعد أنا وأنت وجبرئيل على الصّراط، فلا يجوز على الصّراط إلّا من كان معه براءة بولايتك»[٥].

* عن ابن عبّاس، قال: «قلت للنّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: يا رسول الله! للنّار جواز؟ قال: نعم، قلت: وما هي؟ قال: حبُّ عليّ بن أبي طالب»[٦].

* عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «لكلِّ شيء جواز، وجواز الصّراط حبُّ عليٍّ بن أبي طالب»[٧].

---

(١) فرائد السمطين: ١/٢٩٨.
(٢) مناقب آل ابي طالب: ٢/١٥٦.
(٣) فرائد السمطين: ١/٢٩٠.
(٤) بحار الأنوار: ٣٩/٢١١.
(٥) سفينة البحار: ٢/٢٨.
(٦) تأريخ بغداد ٣/١٦١.
(٧) مناقب آل ابي طالب: ٢/١٥٦.

* عن النبيّ ﷺ: «إذا كان يوم القيامة ونصب الصّراط على جهنّم لم يجز عليه إلّا من معه جوازٌ فيه ولاية عليّ بن ابي طالب»[١].

* عن النبيّ ﷺ: «لا يجوز أحد الصّراط إلّا من كتب له عليٌّ الجواز»[٢].

* عن النبيّ ﷺ: «حبُّ آل محمّد ﷺ جواز على الصّراط»[٣].

* عن النبيّ ﷺ: «إذا كان يوم القيامة أقف أنا وعليٌّ على الصّراط وبيد كلّ واحد منّا سيف، فلا يمرُّ أحد من خلق الله إلّا سألناه عن ولاية عليٍّ، فمن كان معه شيء منها نجا وفاز، وإلّا ضربنا عنقه وألقيناه في النار»[٤].

* عن بلال بن حمامة، قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم ضاحكاً مستبشراً، فقام إليه عبدالرحمن بن عوف، فقال: ما أضحكك يا رسول الله ﷺ؟ قال: بشارة أتتني من عند ربّي، إنّ الله لمّا أراد أن يزوّج عليّاً فاطمة أمر ملكاً أن يهزّ شجرة طوبى، فهزّها فنثرت رقاقاً (أي صكاكاً)[٥]، وأنشأ الله ملائكة التقطوها، فإذا كانت القيامة ثارت الملائكة في الخلق فلا يرون محبّاً لنا أهل البيت محضاً إلّا دفعوا إليه منها كتاباً: براءة له من النّار، من أخي وابن عمّي وابنتي فكاك رقاب رجال ونساء من أُمّتي من النّار»[٦].

---

(١) مناقب آل ابي طالب: ٢/١٥٦.

(٢) الغدير: ٢/٣٢٣.

(٣) ينابيع المودة: ٢٢.

(٤) بحار الأنوار: ٧/٣٣٢.

(٥) الرقاق: الصحائف، والصك: الكتاب، فارسيته «چك» وجمعه: أصك وصكوك وصكاك.

(٦) تأريخ بغداد: ٤/٢١٠.

السيد صالح النجفي المعروف بالقزويني رحمه الله

تـــا لله لا أنســـاه فـــي محرابـــهِ ... لله يســـجدُ فـــي الظـــلامِ ويـــركعُ

وجـــلا ابـــن ملجمَ والظّـلام مـجلّل ... ســـيف المـــنية والبـــرية هــجعُ

وقـــضى عـــليه بـــه وقـــنع رأســـه ... لله رأس بـــــالحسام مـــــقنعُ

فـــهناك أعـــولَ جـــبرئيل مـــنادياً ... فوقَ السّما من فـي البسيطةِ يسمعُ

اليـــومَ أشـقى الأشـقيا قـد غـال أتـ ... ـقى الأتـقيا وله الجـميل مـضيعُ

قتل ابن عمّ المـصطفى قـتل الوصـي ... المـــرتضى قـــتلُ الإمـــامُ الأورعُ

يـــقضي إمـــام المســـلمين مـخضباً ... والمســـلمون لهـــم قـــلوبٌ هُـجّعُ

فـــمن المـــعزّي احـــمداً بـــوصيه ... ارداه صـــمصامٌ بســـمٍّ مـــنقعُ

ومـــن المـــعزي فـــاطماً بـــحميّها ... قـــد قـــدّ مـــفرقه الحسـامُ الأقـطَعُ

الصراط المستقيم في كلام العلماء

١ ـ **قال العلّامة الشهرستانيّ رحمه الله** معنى «الصّراط» بأنّه جاءت في الأخبار والأحاديث الكثيرة من أنّه أدقّ من الشّعر، وأحدّ من السّيف؛ فأي معنى يقصد من الشّعرة والسّيف؟

قال رحمه الله بعد كلام له: «والحديث المجمع على صحتّه ناطق بأنّ علياً عليه السلام قسيم النّار والجنّة، وأنّ طريقته المثلى هو المسلك الوحيد المفضي إلى الجنان والرّضوان؛ ومعلوم لدى الخبراء أنّ سيرة عليٍّ عليه السلام كانت أدقّ من الشّعرة فإنّه عليه السلام ساوى في العطاء بين أكابر الصّحابة الكرام ـ كسهل بن حنيف ـ وبين أدنى مواليهم؛ وكان يقصّ من أكمام ثيابه لإكساء عبده، ويحمل إلى اليتامى والأيامى أرزاقهم على ظهره في

منتصف اللّيل، ويشبع الفقراء، ويبيت طاوي الحشا، ويختار لنفسه من الطّعام ما جشب، ومن اللّباس ما خشن، ويوزّع مال الله على عباد الله في كلّ جمعة، يكنس بيت المال ويصلّي فيه وهو يعيش على غرس يمينه وكدّ يده، وحاسب أخاه عقيلاً بأدقّ من الشَعرة في قصّته المشهورة، وطالب شريحاً القاضي أن يساوي بينه وبين خصمه الإسرائيليّ عند المحاكمة إلى غير ذلك من مظاهر ترويضه النَّفس والزهد البليغ حتى غدا الإقتداء به في إمامة المسلمين فوق الطـوق، وكـما كـانت سيرة عليٍّ عليه السلام أدقَّ من الشعرة كانت مشايعته في الخطوة أحدّ من السيف نظراً إلى مزالق الأهواء والشهوات ومراقبة السلطات من بني أميّة وتتبعهم أولياء عليّ عليه السلام وأشياعه وأتباعه تحت كل حجر ومدَر»[1]

٢ ـ قال العلّامة الهمداني: بعد ما لاحظت معني الصّراط في الأخبار والأحاديث وأقوال العلماء وعرفت قول الصّادق عليه السلام من أنّ الصّراط صراطان أحدهما الإمام المفروض الطّاعة، والآخر هو جسر جهنّم في الآخرة؛ وقول أبي جعفر عليه السلام: نحن صراطه المستقيم؛ وقول الإمام العسكريّ: أنّ الصّراط ما قصر من الغلوّ وارتفع من التقصير؛ وقول أمير المؤمنين عليه السلام: أنا الصّراط الممدود بين الجنَّة والنّار، وأنا الميزان؛ وقول الشيخ الصَّدوق رحمه الله أنّه جسر جهنّم، وأنّ عليه ممرَّ جميع الخلق، وأنّه في وجه آخر اسم حجج الله؛ وقول الشَّيخ المفيد رحمه الله: سمَّي صراطاً لأنّه طريق إلى الثواب ، وله سمّي الولاء لعليّ عليه السلام والأئمّة من ولده عليهم السلام صراطاً؛ وقول الفيض رحمه الله: الصراط العلوم الحقّة والأعمال الصّالحة، ومن وجه آخر الصّراط عبارة عن العالم العامل الهادي إلى الله على بصيرة؛ وقول الشّهرستانيّ رحمه الله: أنّ الصّراط الّذي هو أدقّ من الشّعرة وأحدّ من السّيف هو سيرة عليٍّ عليه السلام؛ فعبد هذا كلّه جدير بنا أن ننقل كلمة قيّمة ذو قيمة من أُستادنا الأكبر كوكب الفضل الّذي لاح في سماء

(١) هامش تصحيح الإعتقاد للمفيد رحمه الله: ٨٩.

الكمال، وحاز الجلال والجمال، صاحب الأخلاق السَّنيَّة والأفعال المرضيّة، العالم الدَّقيق، والمـربِّي الشَّـفيق آيـة الله المـعصومي، المشـهور بـالآخوند المـلّا عـليّ الهمداني رحمه الله حتى يسهل الأمر في معناه ويتضح أنّه يشمل جميع المعاني المذكورة والمصاديق المتعدِّدة(١).

قال رحمه الله: كثيراً ما في حلقات درسه ما هذا تقريره: إنَّ الألفاظ موضوعة للمعاني العامّة أصالة وبالذّات ثمّ استعملت في المصاديق المختلفة بتناسب الأصل المشترك الجامع لها كلفظ «الحصن» (الحاء والصّاد والنّون) مثلاً، وهو وضع للحفظ والحرز؛ وهذا المعنى عامٌّ لكلِّ ما يحفظ الشّيء ويحرزه، أو يسمَّى كلّ امرأة متزوِّجة محصنة لأنَّ لها زوجاً يحفظها، أو أنَّ القفل يسمّى محصناً لأنَّه يحرز البيت من اللّصوص، ونظائر ذلك من مصاديقه. وكلفظ «الجنّ» (الجيم والنُّون المضاعف) فإنّه وضع لكلّ شيء مستور عن الأنظار، فإنَّ الأشجار الكثيرة الملتفَّة تسمَّى جـنّات لأنّ بـعضها يستر بعضهاً، أو لأنَّ الأشياء تستر وتخفى فيها؛ أو أنَّ الطِّفل في الرَّحم يسمَّى جنيناً لأنّه مستور عن النَّظر، وكذلك الجنّ، وجنَّ عـليه اللّـيل، والمـجنَّة فـإنَّ الاسـتتار والاختفاء لوحظ في كلّ هذه الموارد.

وكلفظ «الميزان» فإنَّه موضوع لكلِّ ما يوزن ويقاس به الشّيء، فإنَّ ذا الكفَّتين والقبّان هما ميزانان للأثقال والأجناس ، والشاقول يسمّى ميزاناً لمـعرفة الأعـمدة والمسطر يسمّى ميزاناً لاستقامة الخطوط والمنطق يسمى ميزاناً لأن به يصان الكلام افراد وتركيبه، والصرف ميزاناً لأنّ به يوزن اعـتلال الكـلمة وصـحيحها وسـالمها وناقصها وغير ذلك من شؤون الكلمة من مضاعفها وأجوفها.

فعلى هذا اطلق الميزان على يعسوب الديـن، وسـيّد المـوحّدين، وقـائد الغـرّ المحجّلين؛ لأنّ بولايته عليه السلام توزن الأعمال، فإنّه عليه السلام المعيار والمقياس في جميع

(١) عليّ من عنوانه حبه...: ٤٦٩.

الشّؤون الإنسانيّة، فبعدله توزن عدالة الحكّام والأمراء، وبزهده يوزن زهد الزّهّاد والصّلحاء، ولذلك جاء في الزّيارة المأثورة: «السّلام عليك يا ميزان الأعمال ومقلّب الأحوال».

إذا ما التّبر حكّ على المحكّ　　تبيّن غشّه من غير شكٍّ
وفينا الغش والذّهب المصفى　　عليٌّ بيننا شبه المحكّ

وكلفظ «الصراط فإنّه موضوع لكلّ شيء يوصل صاحبه إلى المطلوب كما يستفاد ذلك من صاحب «تفسير المنار» حيث قال: «وقد قالوا: إنّ المراد بالصّراط المستقيم الدّين أو العدل أو الحدود، ونحن نقول: إنّه جملة ما يوصلنا إلى سعادة الدّنيا والآخرة»[1].

ويستفاد أيضاً من صاحب «مجمع البيان» حيث قال رحمه الله: «الصّراط الطّريق الواضح المتّسع»[2]، فعلى هذا صراط كلّ شيء بحسبه، يعني أنّ كلّ شيء يفضي سالكه إلى المطلوب ويوصله إلى المقصود فهو صراطه سواء كان ما يوصل جسمانيّاً أو غير جسمانيّ، كان من الأعراض أو الجواهر، فيكون الدين صراطاً، والعلوم الحقّة والأعمال الصّالحة صراطاً، والأنبياء والرُّسل صراطاً، والإمام المفروض الطّاعة صراطاً، والأئمّة المعصومون عليهم السلام صراطاً؛ لأنهم الدّعاة إلى الله والأدلاء على مرضات الله، وأنّهم السّادة الولاة والذّادة الحماة والقادة الهداة، ولذلك جاء في الزّيارة الجامعة الكبيرة: «أنتم الصّراط الأقوم»، ويكون عليٌّ عليه السلام صراط حقٍّ نمسكه، وسيرته صراطاً والجسر الممدود على جهنّم صراطاً؛ لأنّه يوصل المارّين عليه إلى الجنّة، وذلك من ألطاف الله تعالى وعنايته، ولولاه لا ينجو من النّار أحد؛ نعم، هو أدقّ من الشّعر وأحدّ من السّيف.

---

(١) تفسير المنار: ١/٦٥.

(٢) مجمع البيان: ١/٢٧.

ولزيادة التوضيح فلاحظ ـ أيضاً ـ قول الصادق عليه السلام: «**فأمّا الصّراط الّذي في الدُّنيا فهو الإمام المفروض الطاعة، من عرفه في الدّنيا واقتدى بهداه مرَّ على الصراط الّذي هو جسر جهنّم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدّنيا زلّت قدمه عن الصّراط في الآخرة**»؛ وكرّر النّظر في قول العلّامة الشّهرستانيّ رحمه الله: «أنَّ سيرة عليٍّ عليه السلام هي الصّراط، وهي والله أدقّ من الشّعرة، وأحدّ من السّيف»، ولعلَّ إلى هذا أشار عليٌّ عليه السلام بقوله «**أنا الصّراط الممدود بين الجنّة والنّار، وأنا الميزان**».

٣ ـ قال الشّيخ المفيد رحمه الله في شرح كلام الصّدوق رحمه الله: «الصّراط في اللّغة هو الطريق، فلذلك سميّ الدين صراطاً لأنّه طريق إلى الثواب، وله سمّي الولاء لأمير المؤمنين والأئمّة من ذريّته عليهم السلام صراطاً، ومن معناه قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**أنا صراط الله المستقيم وعروته الوثقى الّتي لا انفصام لها**»، يعني أنّ معرفته والتّمسّك به طريق إلى الله سبحانه، وقد جاء الخبر بأنَّ الطريق يوم القيامة إلى الجنّة كالجسر تمرّ به النّاس، وهو الصّراط الّذي يقف عن يمينه رسول الله صلى الله عليه وآله، وعن شماله أمير المؤمنين عليه السلام، ويأتيهما النّداء من الله تعالى: ﴿**ألقيا في جهنّم كلّ كفار عنيد**﴾[1].

وجاء الخبر أنّه لا يعبر الصّراط يوم القيامة إلّا من كان معه براءة من أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام من النّار، وجاء الخبر بأنّ الصراط أدقّ من الشّعرة، وأحد من السيف على الكافر؛ والمراد بذلك أنّه لا يثبت لكافر قدم على الصّراط يوم القيامة من شدَّة ما يلحقهم من أهوال القيامة ومخاوفها، فهم يمشون عليه كالّذي يمشي على الشيء الّذي هو أدق من الشّعرة وأحدّ من السّيف؛ وهذا مثل مضروب لما يلحق الكافر من الشّدَّة في عبوره على الصّراط؛ وهو طريق إلى الجنّة وطريق إلى النّار، ويسير العبد منه إلى الجنّة ويرى من أهوال النّار.

---

(١) ق: ٢٤.

وقد يعبّر به عن الطريق المعوّج، فلهذا قال الله: ﴿وأنَّ هذا صراطي مستقيما﴾[١]، فميّز بين طريقه الذي دعا إلى سلوكه من الدّين وبين طرق الضّلال. وقال تعالى فيما أمر عباده من الدّعاء وتلاوة القرآن: ﴿إهدنا الصراط المستقيم﴾[٢]، فدلّ على أنَّ سواه صراط غير مستقيم، وصراط الله دين الله، وصراط الشّيطان الظلال.

٤ ـ **قال الشيخ الصدوق** رحمه الله «اعتقادنا في الصّراط أنّه حقٌّ، وأنّه جسر جهنّم، وأنَّ عليه ممرّ جميع الخلق، قال الله عزَّوجلّ: ﴿وإنّ منكم إلّا واردُها كان على ربّك حتماً مقضياً﴾. الصّراط في وجه آخر اسم حجج الله، فمن عرفهم في الدّنيا وأطاعهم أعطاه الله جوازاً على الصّراط الّذي هو جسر جهنّم يوم القيامة، وقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لعليٍّ عليه السلام: «**يا عليُّ! إذا كان يوم القيامة أقعد أنا وأنت وجبرئيل على الصّراط فلا يجوز على الصّراط إلّا من كانت معه براءة بولايتك**»[٣].

٥ ـ **قال العلّامة الفيض** رحمه الله: «الصراط هو الطّريق إلى معرفة الله عزّوجلّ، قال الله سبحانه: ﴿وإنّك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض﴾[٤].

وقد عرفت أنّ معرفة الله عزّوجلّ إنّما تحصل بالعلم والعمل شيئاً فشيئاً بحسب الأستكمالات العقليّة بمتابعة السُّنن النّبوية، والاهتداء بهداه صلى الله عليه وآله وسلم؛ فالصّراط ـ بهذا المعنى ـ عبارة عن العلوم الحقّة والأعمال الصّالحة، وبالجملة ما يشتمل عليه الشّرع الأنور؛ ولمّا تلا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿أنّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا

---

(١) الانعام: ١٥٣.

(٢) الفاتحة: ٦.

(٣) البحار: ٨/٧٠.

(٤) الشورى: ٥٢ ـ ٥٣.

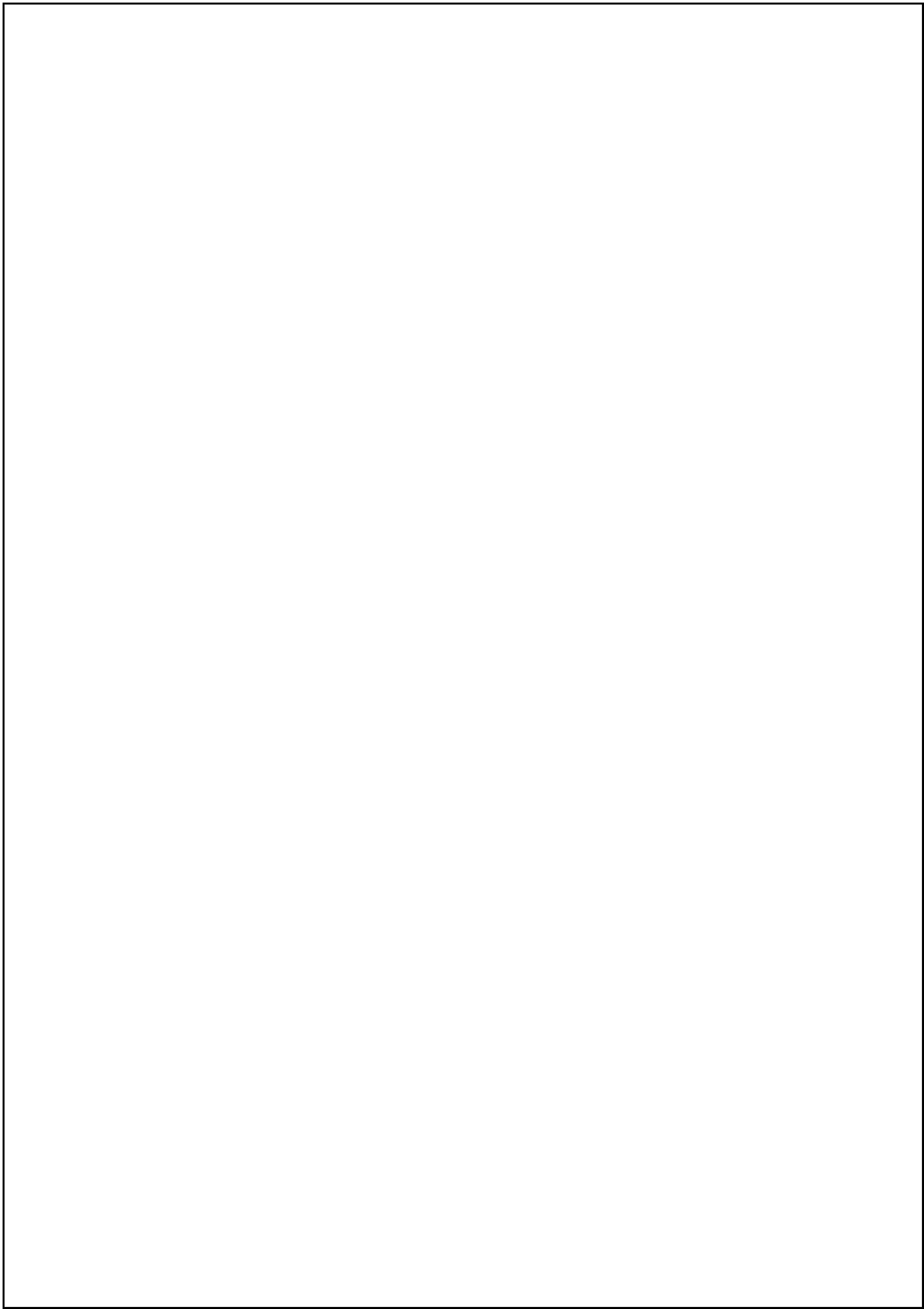
السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾[1]، خطٌّ خطأ وعن جنبيه خطوطاً؛ فالمستقيم هو صراط التوحيد الذي سلكه جميع الأنبياء وأتباعهم، والمعوجّة هي طرق أهل الضلال.

ومن وجه آخر: الصراط عبارة عن العالم العامل الهادي إلى الله عزّوجلّ على بصيرة، وبالجملة، الأنبياء والأوصياء عليهم السلام فإنَّ نفوسهم المقدَّسة طرق إلى الله سبحانه، ومن هنا قال مولانا الصادق عليه السلام: «**الصّراط المستقيم أمير المؤمنين عليه السلام**» وقال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «**أنا الصّراط الممدود بين الجنّة والنّار، وأنا الميزان**». فالصّراط والميزان متّحدان في المعنى بكلى معنييهما، وإنّما يختلفان بالاعتبار»[2].



(١) الانعام: ١٥٣.

(٢) علم اليقين: ٢/٩٦٦.





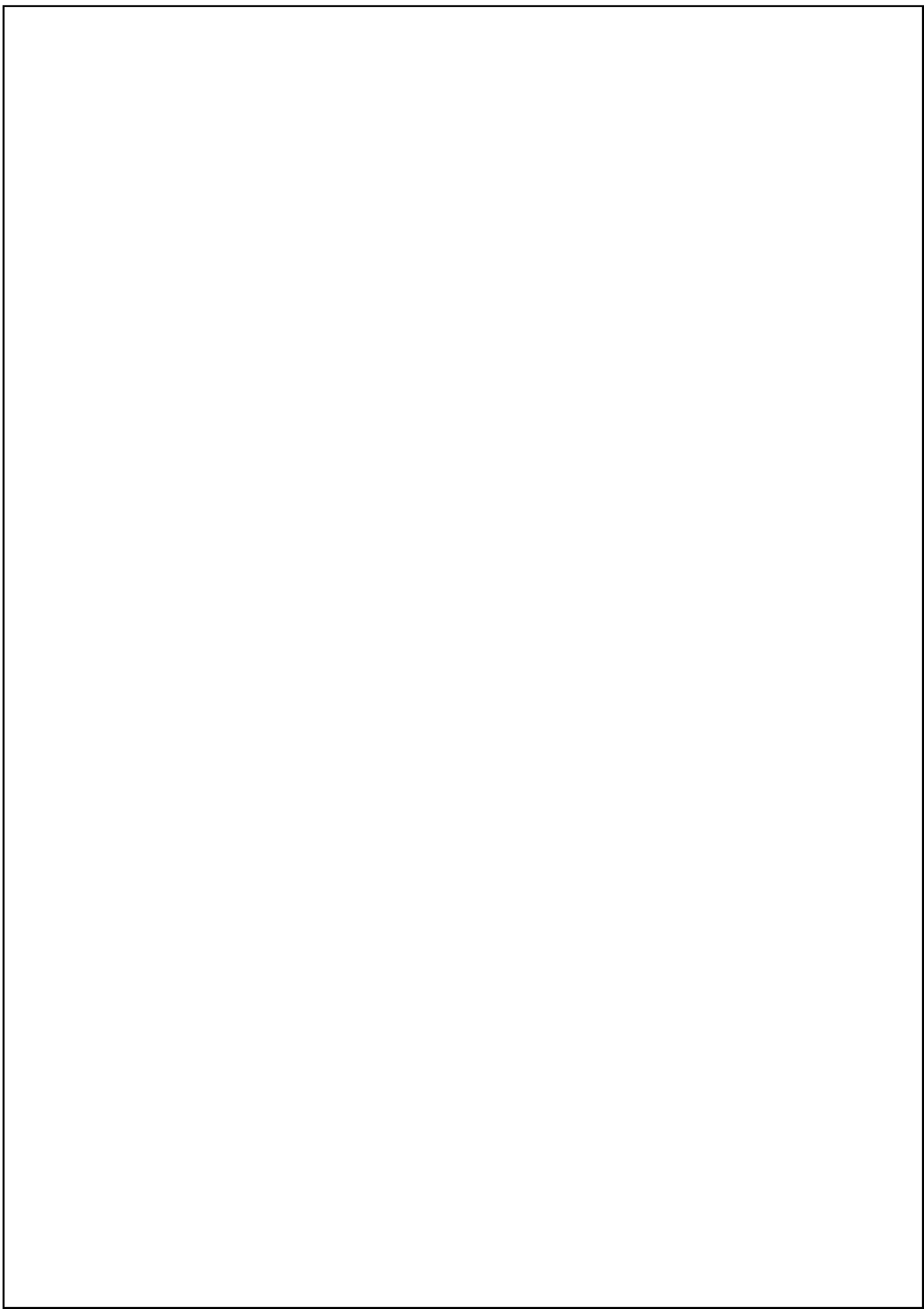
البحث الحادي عشر

حضور عليّ عليه السلام عند الاحتضار

السيّد خضر القزويني رحمه الله

سَل ما جرى في ليلة القدر ... بينَ المساءِ ومطلع الفجر
من ذا اصيب بسيف طاغيةٍ ... فأُصيبَ فيه بمحكم الذكرِ
صِهرُ النبيّ ومن قضى بشبا ... ماضي عزائمه على الكفر
والروح جبريل نعاه وقد ... عجّ الرسول لذاك في القبر
والطهر فاطمة تنوح وما ... برحت تَصوبُ الدمعَ للحشر
والمسلمون غدت وأعينّها ... تبكي عليه أسى مدى الدهر
والوجدُ برّحها وأيّ فتىً ... لا يّبكينَّ بأدمعٍ حمرِ
والخطبُ أجّجَ في القلوب لظىً ... فغدا أحرَّ جَوىً من الجمرِ
لله رزءٌ لم يدع أحداً ... إلّا ومدمعُه غدا يجري
والأرضُ كادَت أن تميد بما ... فيها وحُلَّ له عُرى الصبر
الله أكبرُ كيف غالَ أخا الـ ... ـهادي الحِمامُ بصارِمِ الغدرِ

❊ ❊ ❊



البحث الحادي عشر

حضور الإمام عليّ عليه السلام عند الإحتضار

تمهيد:

يلعب الإيمان بالغيب دوراً مهماً في حياة الإنسان المؤمن، حيث يتخذ هذا الإيمان أشكالاً وأنواعاً مختلفة نتيجة لإختلاف المستويات التي يتجلى فيها ذلك الغيب المطلق، فلذا نرى من خلال إستقراء القرآن الكريم والإطلاع على آياته المباركة إنّ من أهم علامات التقوى وشروطها هو الإيمان بالغيب، كما ورّد ذلك في قوله تعالى: **﴿ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين * الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾**[1].

حيث عدت هذه الآية المباركة الإيمان بالغيب من أهم عوامل التقوى وتحققها.

والإيمان بالغيب إنما مرتبط بحقيقة الإنسان وإيمانه بالدين الذي يعتقد ويؤمن به وبوجوده، والذي ينعكس على سلوكه وتصرفاته اليومية الناشئة من ذلك الإيمان، على أن هذا الإيمان بالغيب يرتبط من جانب آخر بعالم آخر نطلق عليه عالم الأخرة وما يرتبط به من أمور وأحكام وسنن، فعالم الدنيا كنظام له أحكام وسنن وقوانين تحكمه وبغض النظر عن طبيعة هذه القوانين والأحكام والسنن سواء كانت وضعية أو سماوية فهو مرتبط بالغيب وله أحكامه الخاصة.

أما عالم الآخرة والذي يعّد من مفرداته الإيمان بالغيب فله أيضاً مبادىء وأحكام خاص به تختلف عن عالم الدنيا، فكل منهما له احكامه الخاصة.

---

(١) البقرة: ٢ ـ ٣.

أقول: بعد ذكر هذه المقدمة التمهيدية في المقام، نشير إلى أهم أمر عقائدي يرتبط بجانب الغيب من جهة وبجانب الإيمان بعالم الأخرة من جهة أخرى وهو حضور الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في أوّل مفردات عالم الغيب والأخرة والذي نعبر عنه بالإحتضار.

والسؤال المطروح في المقام هو هل يعّد هذا الأمر مما تسالمت عليه الأخبار بالأضافة إلى الآيات القرآنية أم أنّه مجرد قول قائل من دون أصول تثبته؟

إنّ الإجابة على هذا السؤال لا بد من الوقوف عليه في كل الجوانب المرتبط به سواء الفكرية الإسلامية أو القضايا العقلية، على أن مسألة العقل هنا تقف حاجزاً دون ادراك هذا الأمر لأنه من الإيمان بالغيب والذي يعد أمر عقائدياً لا مجال لقبول العقل له أو الرفض إلاّ اللهّم ما كان مرتبطاً بالجانب العلمي المبحوث في المقام، ونقصد به الاستدلات القرآنية التي ذكرت هذه القضية، وقدمت فيها الأدلة المرتبطة بها، ولا يفوتنا أن نذكر بأن هذه القضية تتمركز في الوسط الحقيقي للإيمان بالغيب.

وها هنا لا بد أن نشير إلى أن الاستدلال بالقرآن الكريم والأخبار سيكون ضمن طيات البحث، ومن خلال طرح الأسئلة المرتبطة بالموضوع المبحوث عنه.

كيفية الرؤية

إختلف العلماء في كيفية رؤية الرسول وأهل بيته الأطهار عند المحتضر، وكل قد جاء بقول قد استفاده من بعض الأدلة في المقام، خصوص رؤية الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، وبما أن الكتاب خاص بأمير المؤمنين عليه السلام فسيخصص حديثنا هنا به سلام الله عليه.

وقبل الاستطراد في حديثنا حول الموضوع توجد عدة أسئلة تطرح نفسها في هذا الباب، ومن أهم هذه التساؤلات:

١ ـ بمن تختص رؤية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، هل تختص بالمؤمن والكافر، أم فقط بالمؤمن؟

٢ ـ رؤية الإمام عليّ عليه السلام هل لها ارتباط بالجانب العقائدي من حياة الفرد المؤمن وإلى أي عمق تمتد في جذورها القرآنية؟

٣ ـ كيفية الرؤية للإمام عليّ عليه السلام عند سكرات الموت، وهل هي بالمثال أو الصورة الحقيقية الشريفة لأعيانهم عليهم السلام أو بالنور... الخ. وما هو القول المختار في المقام؟

هذه الاسئلة نحتاج الوقوف معها قبل الدخول في صميم البحث، وقبل بيان الآيات القرآنية الواردة في المقام، والأخبار الشريفة التي تدل على ذلك، وما إلى ذلك من القصائد التي جاءت لكي تمثل شهرة عظيمة إضافة إلى القرآن الكريم والأخبار، ولتدلل على المرتكز العقائدي في قلوب الناس الذي آمنوا بهذه القضية العقائدية المهمة جداً.

إما السؤال الأوّل فالذي يظهر من خلال متابعة المأثورات الروائية إن رؤية الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام لا تختص فقط بالمؤمن بل تختص بالكافر أيضاً، وكل من يحب أمير المؤمنين ويبغضه يراه عند سكرات الموت، اما الذي هو محب، فيتلقاه بالبشارة العظمى والأمان المطمئن لأنه الإنسان في تلك اللحظات يحتاج إلى الأمان والإطمينان والثبات على القول الثابت الذي هو ولاية أمير المؤمنين عليه السلام فتكون عليه سكرات الموت غير شديدة كرامة لحبه لأمير المؤمنين وموالاته له. أما الذي يبغض المولى أمير المؤمنين فإن الموت وسكراته تكون أشد وأصعب عليه من كل حياته التي عاشها، لذا في القرآن الكريم أكد القرآن على ضرورة وصول الإنسان إلى السلام الحقيقي والإيمان عند الموت وخروج النفس، فهذا قوله تعالى:

﴿وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً﴾[١] حيث أثبت الباري عزّوجلّ السلام لعيسى عليه السلام في هذا المواقف الثلاثة التي أصعب ما تمر على الإنسان في حياته، وهو يوم خروجه من بطن إمه، ويوم يموت، ويوم البعث والنشور من القبور.

ومن الروايات التي أكدت على كون، المؤمن والكافر يرى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام هو ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام حيث قال: **«من أحبَّ لقاء الله أحبَّ الله لقاءه، ومن كرّه لقاء الله كره الله لقاءه، قال أصحابه: هلكنا يا ابن رسول الله، فإنّا لا نحبُّ الموت، فقال عليه السلام ذاك عند معاينة رسول الله وأمير المؤمنين ـ صلوات الله عليهما ـ ، ما من ميِّت يموت إلّا حضر عنده محمّد وعليٌّ ـ صلوات الله عليهما ـ فإذا رآهما المؤمن استبشر وسرَّ، فيقوم النّبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم لينصرف فيقول: إلى أين؟ وقد كنت أتمنى أن أراكما، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: أتحبُّ أن ترافقنا؟ فيقول: نعم، فوصي به ملك الموت ويخبره أنّه لهما محبٌّ، فهذا يحبُّ لقاء الله ويحبُّ الله لقاءه، وأمّا عدوُّهما فلا شيء أكره وأبغض عليه من رؤيتهما، فيعرِّف الملك أنّه عدوٌّ لهما، فهو يكره لقاء الله والله يكره لقاءه»**[٢].

أما السؤال الثاني، الذي يرتبط بالجانب العقائدي للرؤية وبالجذور القرآنية لهذه المسألة، فهو مما لا شك ولا شبهة عليه، فمسألة الرؤية رؤية أمير المؤمنين وأهل بيته عليهم السلام من المسائل العقائدية المرتبطة بصميم عقيدة الإنسان المؤمن الموالي لهم عليهم السلام، فهي لها ارتباط وثيق بأصل المعاد الذي يعتبر أوّل مراحله الموت والإنتقال من هذا العالم الدنيوي.

وقد دلت عدة أحاديث شريفة في المقام حول حضور الإمام أمير المؤمنين

---

(١) مريم: ١٥.

(٢) كتاب المحتضر: لحسن بن سليمان الحلي: ٥.

عليّ عليه السلام في أوّل مراحل الموت الذي هو من المعاد الحقيقي لحياة الإنسان فهذه الرواية التي تبين حقيقة هذا الأمر حيث ورد عن الأصبغ بن نباتة، قال: «دخل الحارث الهمدانيُّ[1] على أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب عليه السلام في نفر من الشّيعة وكنت فيهم، فجعل الحارث يتأوَّد في مشيته، ويخبط الأرض بمحجنه، وكان مريضاً، فأقبل عليه أمير المؤمنين عليه السلام ـ وكانت له منه منزلة ـ فقال: كيف تجدك، يا حارث؟ فقال: نال الدَّهر ـ يا أمير المؤمنين! ـ منِّي، وزادني أواراً وغليلاً اختصام أصحابك ببابك، قال: وفيم خصومتهم؟ قال: فيك وفي الثّلاثة من قبلك، فمن مفرط منهم غال، ومقتصد تال، ومن متردِّد مرتاب، لا يدري أيقدم أم يحجم، فقال: حسبك، يا أخاه همدان، ألا إنَّ خير شيعتي النَّمط الأوسط إليهم يرجع الغالي، وبهم يلحق التّالي.

فقال له الحارث، لو كشفت ـ فداك أبي وأمّي ـ الرَّين عن قلوبنا، وجعلتنا في ذلك على بصيرة من أمرنا.

قال عليه السلام: قدك فأنّك امرؤ ملبوس عليك إنَّ دين الله لا يعرف بالرّجال، بل بآية الحقّ، فاعرف الحق تعرف أهله.

---

(١) الحارث الأعور الهمداني ـ بسكون الميم ـ عده البرقي في الأولياء من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وعن ابن داود: أنّه كان أفقه الناس، مات سنة خمس وستين؛ وعن شيخنا البهائي كان يقول: هو جدّنا وهو من خواصّ أمير المؤمنين عليه السلام، وعنه قال: «أتيت أمير المؤمنين عليه السلام ذات يوم نصف النهار، فقال: ما جاء بك؟ قلت: حبك والله، قال: إن كنت صادقاً لتراني في ثلاثة مواطن: حيث تبلغ نفسك هذه ـ وأومأ بيده إلى حنجرته ـ وعند الصراط، وعند الحوض»، وفي الكافي: ان حارثاً الأعور أتى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين! احب أن تأكل عندي، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام على أن لا تتكلّف لي شيئاً، فدخل، فأتاه الحارث بكسرة فجعل أمير المؤمنين يأكل، فقال له الحارث: إنّ معي درهم وأظهرها، وإذا هي في كمّه ـ فإن أذنت لي اشتريت لك، فقال له أمير المؤمنين: هذه ممّا في بيتك» عن سفينة البحار: ١/٢٤٠.

يا حارث إنَّ الحقَّ أحسن الحديث، والصادق به مجاهد، وبالحقِّ أخبرك فأرعني سمعك، ثمَّ خبّر به من كان له حصافة من أصحابك، ألّا إنّي عبدالله، وأخو رسوله، وصّديقه الأوّل، صدَّقته وآدم بين الرُّوم والجسد، ثمَّ إنِّي صدّيقه الأوّل في امتكم حقّاً، فنحن الأوّلون، ونحن الآخرون، ونحن خاصته ـ يا حارث! ـ وخالصته، وأنا صنوه ووصيّه ووليّه، وصاحب نجواه وسِّره؛ أوتيت فهم الكتاب، وفصل الخطاب، وعلم القرون والأسباب، واستودعت ألف مفتاح، يفتح كلُّ مفتاح ألف باب، يفضي كلُّ باب إلى ألف ألف عهد؛ وأيِّدت واتخذت وأمددت بليلة القدر نفلاً؛ وإنَّ ذلك يجري لي ولمن استحفظ من ذرِّيتّي ما جرى اللّيل والنَّهار حتّى يرث الله الأرض ومن عليها.

وابشِّرك يا حارث لتعرفني عند الممات، وعند الصّراط، وعند الحوض، وعند المقاسمة، قال الحارث: وما المقاسمة، يا مولاي؟ قال: مقاسمة النّار، اقاسمها قسمة صحيحة، أقول: هذا وليِّي فاتركيه، وهذا عدوِّي فخذيه.

ثمَّ أخذ أمير المؤمنين عليه السلام بيد الحارث فقال:

يا حارث! أخذت بيدك كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيدي فقال لي ـ وقد شكوت إليه حسد قريش والمنافقين لي ـ: إنّه إذا كان يوم القيامة أخذت بحبل الله وبحجزته (يعني عصمته من ذي العرش تعالى) وأخذت أنت يا عليّ بحجزتي، وأخذ ذرِّيتّك بحجزتك، وأخذ شيعتكم بحجزتكم. فماذا يصنع الله بنبيّه، فما يصنع نبيّه بوصيّه؟ خذها إليك يا حارث، قصيرة من طويلة. نعم، أنت مع من أحببت، ولك ما اكتسبت ـ يقولها ثلاثاً ـ

فقام الحارث يجرُّ ردائه، وهو يقول:

ما أبالي بعدها متى لقيت الموت أو لقيني قال جميل بن صالح ـ أحد رواة الحديث ـ: وانشدني أبو هاشم السّيِّد الحميري رحمه الله فيما تضمَّنه هذا الخبر:

قول عليٍّ لحارث عجب	كم ثمَّ أُعجوبة له حملا
يا حار همدان من يمت يرني	من مؤمن أو منافق قُبلا
يعرفني طرفه وأعرفه	بنعته واسمه وما عملا
وأنت عند الصِّراط تعرفني	فلا تخف عثرة ولا زللا
أسقيك من بارد على ظمأ	تخاله في الحلاوة العسلا
أقول للنّار حين توقف للـ	ـعرض دعيه لا تقربي الرَّجلا
دعيه لا تقربيه إنَّ له	حبلاً بحبل الوصيِّ متَّصلا[1]

ويناظر هذا الحديث ما ورد عن أبان بن تغلب: عن أبي داود الأنصاري، عن الحارث الهمداني، قال: «دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: ما جاءبك؟ فقلت: حبِّي لك، يا أمير المؤمنين! فقال: يا حارث أتحبّني؟ قلت: نعم، والله، يا أمير المؤمنين، قال: أما لو بلغت نفسك الحلقوم رأيتني حيث تحبُ، ولو رأيتني وأنا أذود الرِّجال عن الحوض ذود غريبة الإبل لرأيتني حيث تحبّ؛ ولو رأيتني وأنا مارٌّ على الصّراط بلواء الحمد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لرأيتني حيث تحبُّ»[2].

وروي عن الحارث أيضاً انه قال: أتيت أمير المؤمنين عليه السلام ذات ليلة، فقال: يا أعور! ما جاء بك؟ قال: فقلت يا أمير المؤمنين، جاءني والله حبّك، قال: أما إنّي سأحدّثك لتشكرها؛ أما إنّه لا يموت عبد يحبّني فتخرج نفسه حتّى يراني حيث يحبُّ، ولا يموت عبد يبغضني فتخرج نفسه حتّى يراني حيث يكره»[3].

(١) أمالي الطوسي: ٢٣٨/٢، البحار: ١٧٨/٦، ٢٣٩/٣٩.

(٢) البحار: ١٨١/٦.

(٣) رجال الكشي: ٨٩.

مع الجذور القرآنية للموضوع

١ ـ قوله تعالى: **﴿إنّ الذين قالوا ربّنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألّا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنّة التي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم في الحيوة الدّنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون﴾**[١].

في «البرهان»، عن الإمام إبي محمّد العسكريّ عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **لا يزال المؤمن خائفاً من سوء العاقبة لا يستيقن الوصول إلى رضوان الله حتى يكون وقت نزوع روحه وظهور ملك الموت له، وذلك أنَّ ملك الموت يرد على المؤمن وهو في شدَّة علّته وعظيم ضيق صدره بما يحلفهُ من أمواله وعياله وما هو عليه من اضطراب أحواله في معاطبه وعقباته وقد بقيت نفسه حزارتها، وانقطعت آماله فلم ينلها، فيقول له ملك الموت: مالك تجرَّع غصصك؟ فيقول: لاضطراب أحوالي وأنقطاعي دون آمالي.**

فيقول له ملك الموت: وهل يجزع عاقل من فقد درهم زائف وقد اعتاض منه بألف ألف ضعف الدّنيا؟ (فيقول: لا)، فيقول له ملك الموت: فانظر فوقك؛ فينظر فيرى درجات الجنان وقصورها التّي تقصر دونها الأمانيُّ، فيقول له ملك الموت: هذه منازلك ونعمك وأموالك ومن كان من ذرِّيتك صالحاً فهو هناك معك، أفترضي به بدلاً ممّا ههنا؟ فيقول: بلى، والله.

ثمّ يقول ملك الموت: انظر، فيرى محمّداً وعليّاً والطيّبين من آلهما في أعلى علييّن، فيقول له: أو تراهم وهؤلاء سادتك وأئمّتك؟ هم هنا جلاسك وآناسك، أفما ترضى بهم بدلاً مما تفارق هنا؟ فيقول: بلى وربّي، وذلك ما قال الله تعالى: ﴿إنّ الذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألّا تخافوا ولا تحزنوا﴾ فما

---

(١) الزخرف: ٣١.

أمامكم من الأموال فقد كفيتموه، ولا تحزنوا على ما تخلفونه من الذراريّ والعيال والأموال، فهذا الّذي شاهدتموه في الجنان بدل منهم، وأبشروا بالجنّة الّتي كنتم توعدون، هذه منازكم، وهؤلاء آناسكم وجلاّسكم، ونحن أولياءكم في الحياة الدّنيا وفي الآخرة، ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدَّعون نزلاً من غفور رحيم»[1].

٢ ـ قوله تعالى: **﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون، لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم﴾**[2].

في الكافي بإسناده عن أبان بن عثمان، عن عقبة أنَّه سمع أبا عبدالله عليه السلام يقول: **«إن الرّجل إذا وقعت نفسه في صدره يرى، قلت: جعلت فداك وما يرى؟ قال: يرى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيقول له رسول الله: أنا رسول الله، أبشر، ثمّ قال: ثمَّ يرى عليّ بن أبي طالب عليه السلام فيقول: أنا عليّ بن أبي طالب الّذي كنت تحبّ، أما لأنفعنَّك اليوم، قال: قلت له: أيكون أحد من النّاس يرى هذا، ثمَّ يرجع إلى الدّنيا؟ قال: لا، إذا رأى هذا أبداً مات وأعظم ذلك قال: وذلك في القرآن، قول الله عزَّوجلَّ: ﴿الّذين آمنوا وكانُوا يتقون لهم البشرى في الحيوة الدُّنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله﴾**.

أقول: إنّ هذا المعنى الذي ورد في الحديث جاءت على مضمونه عدّة روايات شريفة أكدت هذه الحقيقة التي لايعتريها الشك والشبهة حيث دلت عدّة شواهد قصصية وروائية، أخبر أصحابها عن رؤيتهم عليهم السلام عند سكرات الموت، وبشروهم بنعيم الله تعالى والبشرى الخالدة وسيأتينا في المقام الآتي عدّة شواهد تدلل على ذلك.

---

(١) تفسير البرهان: ١١١/٤، البحار: ١٧٦/٦.

(٢) يونس: ٦٤.

وعن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: **﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا﴾** قال: **«هو أن يبشراه بالجنّة عند الموت، يعني محمّداً وعلياً عليهما السلام»**[١].

ومن هذه الشواهد ما ورد في قصة الشاعر الحميري في وفاته حيث كان يعاني سكرات الموت وإليك القصة بالفاظها:

حدَّث الحسين بن عون، قال: «دخلت على السيّد ابن محمّد الحميريّ عائداً في علّته الّتي مات فيها، فوجدته يساق به، ووجدت عنده جماعة من جيرانه وكانوا عثمانيّة، وكان السيّد جميل الوجه، رحب الجبهة، عريض ما بين السّالفين؛ فبدت في وجهه نكتة سوداء مثل النّقطة من المداد، ثمَّ لم تزل تزيد وتنمي حتّى طبّقت وجهه بسوادها، فاغتمَّ لذلك من حضره من الشّيعة، وظهر من النّاصبة سرور وشماتة، فلم يلبث بذلك إلّا قليلاً حتّى بدت في ذلك المكان من وجهه لمعة بيضاء، فلم تزل تزيد ـ أيضاً ـ وتنمي حتّى أسفر وجهه وأشرق وافترَّ السيّد ضاحكاً مستبشراً فقال:

كذب الزّاعمون أنَّ عليّاً ... لن ينجيّ محبّه من هنات

قد وربّي دخلت جنّة عدن ... وعفا لي الإله عن سيّئاتي

فأبشروا اليوم أولياء عليٍّ ... وتوالوا الوصيّ حتّى الممات

ثمَّ من بعده تولّوا بنيه ... واحداً بعد واحد بالصّفات

وقال الشاعر الشيخ عبد المنعم الفرطوسي إشارة إلى حضورهم عليهم السلام عند المحتضر:

وحضور الوصيّ حقٌّ لدى المـ ... ـوت عياناً بشخصه المترائي

هي بشرى لمبغض ومحبٍّ ... من عليٍّ بالخوف أو بالرّجاء

---

(١) تفسير البرهان: ٢/ ١٩١.

فيفوز المحبُّ فيها بنعمى ويخيب القالي بها بالشّقاء
حار همدان كلّ ميت يراني في حديث لسيّد الأتقياء
وهو يوصي به مناناً وعطفاً ملك الموت ساعد الالتقاء
حين يمسي من الحنّو عليه خيراً أمٍّ تحنو على الابناء
ويمنيه بالبقاء فيأتي رغباً في ثواب يوم البقاء
حين زفّت إليه بشرى عليٍّ بجنان الخلود عند الّلقاء
فتسلّ الرّوح الأمينة منه سلَّ رفق لشعرة برخاء
وتجلّى للحميريّ دليل بحضور الوصيّ قرب الفناء
حينما وجهه استحال ابتداء لسواد من نكتة سوداء
ظهرت فيه لانحراف قديم كان منه عن منهج الاهتداء
واستقامت عقيدة الحقّ منه حين وافى لجعفر باستواء
فتجلّى منه المحيّا منيرا بعد هذا من نكتة بيضاء
طبقت وجهه المبارك حتّى صار كالبدر مشرقاً بالضيّاء
مستفيقاً من سكرة الموت صحواً وهو يشدو بغبطة وهناء
«كذب الزّاعمون أنَّ عليّاً لا ينجّي محبّه من بلاء»
إي وربّي وردت جنَّة عدن وعفا لي الإله عن أخطائي
كلّ هذا المأثور في الدين صدق ويقين حقّ بغير افتراء[1]

---

(١) ملحمة أهل البيت «الفرطوسي»: ٢/ ٢٩.

الشاعر: هو الفاضل الألمعيُّ، الشيخ عبد المنعم الفرطوسيّ المعاصر.

٣ ـ قوله تعالى: **﴿يا أيتها النفس المطمئنة إرجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾**[١].

عن سدير الصيّرفيّ قال: «قلت لأبي عبدالله عليه السلام: جعلت فداك، يا بن رسول الله، هل يكره المؤمن على قبض روحه؟ قال: لا؛ إذا أتاه ملك الموت لقبض روحه جزع عند ذلك، فيقول له ملك الموت: يا وليّ الله! لا تجزع، فو الّذي بعث محمّداً بالحقّ نبيّاً لأنّا أبرُّ بك وأشفق عليك من الوالد البرّ الرّحيم بولده، افتح عينيك وانظر، قال: فيمثّل له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة عليهم السلام، فيقول: هؤلاء رفقاؤك، فيفتح عينيه وينظر إليهم، ثمَّ ينادي نفسه: **يا أيتها النفس المطمئنة** (إلى محمّد وأهل بيته) **إرجعي إلى ربّك راضية مرضية** (بالولاية والثواب) **فإدخلي في عبادي** (يعني محمّداً وأهل بيته)، فما من شيء أحبَّ إليه من استلال روحه واللّحوق بالمنادي»[٢].

٤ ـ قوله تعالى: **﴿وإنّ من أهل الكتاب إلّا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً﴾**[٣].

☜ قال العلّامة المجاهد، الشَّهيد آية الله السيّد محمّد باقر الصدر رحمه الله في تقريظه على ديوانه «ملحمة أهل البيت».

فقد أطلعني جناب العلّامة الجليل، الشّاعر الألمعيّ، الشيخ عبدالمنعم الفرطوسيّ ـ أدام الله تأييده وتسديده ـ على جزء من ملحمته الشّعريّة الرّائعة الّتي نظم فيها اول الدّين، وشيئاً مهمّاً من اسس العقيدة الإسلاميّة وقسطاً من المعالم العامّة للشّريعة الإسلاميّة الغرّاء كما نظم حياة الرسول الأعظم الشّريفة بما حفلت به من آيات باهرات وأمجاد وكرامات وسيرة أهل البيت ـ عليهم الصّلاة والسّلام ـ وأضواء من حياتهم وعلومهم وموفور حكمتهم وعطائهم الفكريّ والرّوحي، فوجدت الملحمة فريدة في بابها ـ إلى آخر ما قاله رحمه الله».

(١) الفجر: ٣٠.

(٢) تفسير البرهان: ٤/٤٦١.

(٣) النساء: ١٥٩.

أقول: إنَّ هذه الآية قد تصور بعض المفسرين كونها نازلة في حق عيسى بن مريم حيث يراه النصارى عند موتهم ويتبرء منهم، على أن هذا التصور خاطىء وخلافاً لما هو موجوداً في القرآن الكريم، حيث مرّ بنا في تفسير آية الشاهد من كون الرسول الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم هو الشاهد على كل الأمم بما فيهم الأنبياء والمرسلين والمؤمنين وغيرهم، فلا نعيد «فراجع»، ولكن الذي يظهر من خلال مراجعة المأثورات الروائية ان الذي يؤمن به النصارى قبل موتهم هو الرسول الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ووصيه علي بن أبي طالب عليه السلام ،وهذا ما رواه جابر عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تعالى المتقدم حيث يقول، «ليس من أحد من جميع الأديان يموت إلّا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين حقاً من الأوّلين والآخرين»[1].

الأدلة النقلية على حضور الإمام علي عليه السلام

١ـ عن الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام، قال ـ في اجتماع من الشيّعة بنيشابور ـ لعليٍّ بن راشد: «أعرف أصحابك وأقرئهم عنّي السّلام، وقل لهم: إنّي ومن جرى مجراي من أهل البيت لابّد من حضور جنائزكم في أيِّ بلد كان وكنتم، فاتّقوا الله في أنفسكم وأحسنوا الأعمال لتعينونا على خلاصكم وفكِّ رقابكم من النّار»[2].

٢ـ عن الإمام العسكريّ عليه السلام: «إنَّ المؤمن الموالي لمحمّد وآله الطيّبين، المتَّخذ لعليٍّ بعد محمّد الّذي يحتذي مثاله، وسيِّده الّذي يصدِّق أقواله ويصوِّب أفعاله، ويطيعه بطاعة من يندبه من أطائب ذرِّيَّته لأمور الدِّين وسياسته، إذا حضره من أمر الله تعالى مالا يردُّ، ونزل به من قضائه ما لا يصدُّ، وحضره ملك الموت وأعوانه، وجد عند رأسه محمّداً رسول الله ومن جانب آخر عليّاً سيِّد الوصيين،

(١) بحار الأنوار: ٦/١٨٨.

(٢) دار السلام: ٤/٢٨٧، ٢٩٣.

وعند رجليه من جانب الحسن سبط سيد النبيين ومن جانب آخر الحسين سيِّد الشّهداء أجمعين، وحواليه بعدهم خيار خواصِّهم ومحبِّيهم الّذين هم سادة هذه الأمّة بعد ساداتهم من آل محمّد، ينظر العليل المؤمن إليهم فيخاطبهم، بحيث يحجب الله صوته عن آذان حاضريه كما يحجب رؤيتنا أهل البيت ورؤية خواصِّنا عن أعينهم ليكون إيمانهم بذلك أعظم ثواباً لشدَّة المحنة عليهم.

فيقول المؤمن: بأبي أنت وأُمّي، يا رسول ربِّ العزَّة، بأبي أنت وأُمّي، يا وصيَّ رسول الله ربِّ الرَّحمة، بأبي أنتما وأُمّي، يا شبلي محمّد وضرغاميه، يا ولديه وسبطيه، يا سيّدي شباب أهل الجنَّة المقَّربين من الرَّحمة والرِّضوان، مرحباً بكم معاشر خيار أصحاب محمّد وعليٍّ وولديهما، ما كان أعظم شوقي إليكم، وما أشدَّ سروري الآن بلقائكم، يا رسول الله! هذا ملك الموت قد حضرني، ولا أشكّ في جلالتي في صدره لمكانك ومكان أخيك.

فيقول رسول الله ﷺ: كذلك هو، فأقبل رسول الله ﷺ على ملك الموت، فيقول: يا ملك الموت! استوص بوصيَّة الله في الإحسان إلى مولانا وخادمنا ومحبّنا ومؤثرنا، فيقول له ملك الموت: يا رسول الله!مره أن ينظر إلى ما أعدَّ الله له في الجنان، فيقول له رسول الله ﷺ: لينظر إلى العلوّ، فينظر إلى ما لا يحيط به الألباب، ولا يأتي عليه العدد والحساب، فيقول ملك الموت: كيف لا أرفق بمن ذلك ثوابه، وهذا محمّد ﷺ وأعزَّته زوّاره؟ يا رسول الله لولا أن الله جعل الموت عقبة لا يصل إلى تلك الجنان إلاّ من قطعها لما تناولت روحه، ولكن لخادمك ومحبّك هذا اسوة بك وبسائر أنبياء الله ورسله وأوليائه الّذين اذيقوا الموت لحكم الله تعالى.

ثمَّ يقول محمّد ﷺ: يا ملك الموت! هاك أخانا قد سلّمناه إليك، فاستوص به خيراً، ثمَّ يرتفع هو ومن معه إلى روض الجنان، وقد كشف من الغطاء والحجاب

لعين ذلك المؤمن العليل، فيراهم المؤمن هناك بعد ما كانوا حول فراشه، فيقول: يا ملك الموت! الوحي، تناول روحي ولا تلبثني ههنا فلا صبرلي عن محمّد وأعزَّته، وألحقني بهم، فعند ذلك يتناول ملك الموت روحه فيسلّها كما يسلّ الشعرة من الدَّقيق، وإن كنتم ترون أنَّه في شدَّة فليس هو في شدَّة بل هو في رخاء ولذّة.

فإذا ادخل قبره وجد جماعتنا هناك، وإذا جاءه منكر ونكير قال أحدهما للآخر: هذا محمّد وعليٌّ والحسن والحسين وخيار صحابتهم بحضرة صاحبنا، فلنتصنّع لهما؛ فيأتيان فيسلّمان على محمّد سلاماً مفرداً، ثمَّ يسلّمان على سائر من معنا من أصحابنا، ثمَّ يقولان: قد علمنا يا رسول الله، زيارتك في خاصّتك لخادمك ومولاك ـ الحديث»[1].

عن أمّ سلمة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لعليّ عليه السلام: يا عليُّ! إنَّ محبيك يفرحون في ثلاثة مواطن: عند خروج أنفسهم وأنت هناك تشهدهم، وعند المسائلة في القبور وأنت هناك تلقّنهم، وعند العرض على الله وأنت هناك تعرّفهم»[2].

٣ـ عن ابن أبي يعفور، قال: «كان خطّاب الجهنيُّ خليطاً لنا وكان شديد النَّصب لآل محمّد، وكان يصحب نجدة الحروريَّ، قال فدخلت عليه أعوده للخلطة والتَّقيَّة فإذا هو مغمى عليه في حدِّ الموت، فسمعته يقول: ما لي ولك يا عليّ، فأخبرت بذلك أبا عبد الله عليه السلام فقال أبو عبد الله عليه السلام رآه وربِّ الكعبة، رآه وربِّ الكعبة، رآه وربِّ الكعبة»[3].

٤ـ عن الفضيل بن يسار، عن أبي جعفر، وعن جعفر عليهما السلام، أنَّهما قال: حرام على

---

(١) البحار: ٦/١٨٣.

(٢) البحار: ٦/٢٠٠.

(٣) البحار: ٦/١٩٩.

روح أن تفارق جسدها حتّى ترى الخمسة: محمّداً وعليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً، بحيث تقرّ عينها أو تسخن عينها»[١].

٥ـ عن سدير الصَّيرفيّ، قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك يا بن رسول الله، هل يكره المؤمن على قبض روحه؟ قال: لا، والله، إنَّه إذا أتاه ملك الموت بقبض روحه جزع لذلك، فيقول ملك الموت: يا وليَّ الله! لا تجزع فوالّذي بعث محمّداً لأنا أبرُّ بك وأشفق عليك من الوالد الرَّحيم لو حضرك، افتح عينيك فانظر، قال: ويمثَّل له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين وفاطمة الزَّهراء والحسن والحسين والأئمة من ذريَّتهم، فيقال له، هذا رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام رفقاؤك.

قال: فيفتح عينيه فينظر فينادي روحه مناد من قبل ربِّ العزَّة، فيقول: «يا أيَّتها النَّفس المطمئنَّة (إلى محمّد وأهل بيته) ارجعي إلى ربّك راضية (بالولاية) مرضيَّة (بالثَّواب) فادخلي في عبادي (يعني محمّداً وأهل بيته) وادخلي جنَّتي» فما شيء أحبَّ إليه من استلال روحه واللّحوق بالمنادي»[٢].

٦ـ عن محمّد بن سنان، عن عمّار بن مروان، قال: حدَّثني من سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول: «منكم والله، يقبل، ولكم والله، يغفر؛ إنَّه ليس بين أحدكم وبين أن يغتبط ويرى السرور وقرة العين إلّا أن تبلغ نفسه ههنا ـ وأوما بيده إلى حلقه ثمَّ قال: ـ إنَّه إذا كان ذلك واحتضر حضره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليٌّ وجبرئيل وملك الموت عليهم السلام، فيدنو منه عليٌّ عليه السلام فيقول: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنَّ هذا كان يحبّنا أهل البيت فاحبَّه؛ ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا جبرئيل إنَّ هذا كان يحبُّ الله ورسوله وأهل بيت رسوله فأحبَّه؛ ويقول جبرئيل لملك الموت: إنَّ هذا كان يحبُّ

---

(١) البحار: ١٩٣/٦.

(٢) البحار: ١٨٥/٦.

الله ورسوله وأهل بيت رسوله فأحبّه وارفق به؛ فيدنو منه ملك الموت فيقول: يا عبد الله أخذت فكاك رقبتك، أخذت أمان براءتك، تمسَّك بالعصمة الكبرى في الحياة الدُّنيا.

قال: فيوفّقه الله عزَّ وجلَّ، فيقول: نعم، فيقول وما ذاك؟ فيقول: ولاية عليٍّ بن أبي طالب، فيقول: صدقت، أمّا الّذي كنت تحذره فقد آمنك الله عنه، وأمّا الّذي كنت ترجوه فقد أدركته؛ أبشر بالسَّلف الصّالح مرافقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليّ و فاطمة عليهما السلام ثمَّ يسلُّ سلاً رفيقاً ـ الحديث»[١].

٧ـ عليُّ بن عقبة، عن أبيه، قال: «دخلنا على أبي عبد الله عليه السلام أنا والمعلى بن خُنَيس، فقال: يا عقبة! لا يقبل الله من العباد يوم القيامة إلاّ هذا الّذي أنتم عليه؛ وما بين أحدكم وبين أن يرى ما تقرُّ به عينه إلاّ أن تبلغ نفسه هذه ـ وأومأ بيده إلى الوريد قال: ـ اتّكأ وغمز إليَّ المعلّى أن سله؛ فقلت: يا بن رسول الله! إذا بلغت نفسه هذه فأيَّ شيء يرى؟ فردَّد عليه بضعة عشر مرَّة: أي شيء يرى؟ فقال في كلّها: يرى، لا يزيد عليها، ثمَّ جلس في آخرها فقال: يا عقبة! قلت: لبَّيك وسعديك، فقال: أبيت إلاّ أن تعلم؛ فقلت: نعم، يا بن رسول الله! إنّما ديني مع دمي، فإذا ذهب دمي كان ذلك، وكيف لي بك يا بن رسول الله كلَّ ساعة؟ وبكيت، فرقَّ لي فقال: يراهما والله، قلت: بأبي أنت وأمي، من هما؟ فقال: ذاك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليّ عليه السلام؛ يا عقبة! لن تموت نفس مؤمنة أبداً حتّى تراهما، قلت فإذا نظر إليهما المؤمن أيرجع إلى الدُّنيا؟ قال: لا، بل يمضي أمامه، فقلت له: يقولان شيئاً جعلت فداك؟ فقال: نعم، يدخلان جميعاً على المؤمن، فيجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند رأسه وعليّ عليه السلام عند رجليه، فيكبُّ عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيقول: يا وليّ الله! أبشر، أنا رسول الله، إنّي خير لك ممّا تترك من الدُّنيا، ثمَّ ينهض رسول الله فيقول

---

(١) البحار: ٦/١٩٧.

عليه عليّ ـ صلوات الله عليهما ـ حتّى يكبَّ عليه فيقول: يا وليَّ الله أبشر، أنا عليّ بن أبي طالب الّذي كنت تحبّه، أما لأنفعنّك.

ثمَّ قال أبو عبد الله عليه السلام: أما إنَّ هذا في كتاب الله عزَّ وجلَّ؛ قلت: أين هذا جعلت فداك من كتاب الله؟ قال: في سورة يونس، قول الله تبارك وتعالى هـهنا: **ٱلَّـذينَ آمَنوُا وكانوُا يَتَّقونَ لَهُمُ الْبُشْرى فِي ٱلْحَياةِ الدُّنْيا وَفِي الأخِرَةِ لا تَبْديلَ لِكَلماتِ اللهِ ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظيم.**[(١)]

٨ ـ عن مسمع بن عبد الملك كردين البصريّ، قال: «قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا مسمع! أنت من أهل العراق، أما تأتي قبر الحسين عليه السلام؟ قلت: لا، أنا رجل مشهور عند أهل البصرة وعندنا من يتّبع هوى هذا الخليفة، وعدوُّنا كثير من أهل القبائل من النصّاب وغيرهم، ولست آمنهم أن يرفعوا حالي عند ولد سليمان فيمثّلون بي، قال لي: أفما تذكر ما صنع به؟ قلت: نعم، قال: فتجزع؟ قلت: إي والله وأستعبر لذلك حتّى يرى أهلي أثر ذلك عليَّ، فأمتنع من الطّعام حتّى يستبين ذلك في وجهي.

قال: رحم الله دمعتك، أما إنّك من اللّذين يعدُّون من أهل الجزع لنا، والذي يفرحون لفرحنا، ويحزنون لحزننا، ويخافون لخوفنا، ويأمنون إذا أمنّا .

أما إنّك سترى عند موتك حضور آبائي لك ووصيّتهم ملك الموت بك؛ وما يلقّونك به من البشارة أفضل؛ ولملك الموت أرقُّ عليك وأشدُّ لك من الأُمِّ الشّفيقة على ولدها.

قال: ثمَّ استعبر واستعبرت معه، فقال: الحمد لله الّذي فضّلنا على خلقه الرَّحمة، وخصّنا أهل البيت . يا مسمع! إنّ الأرض والسّماء لتبكي منذ قتل أمير المؤمنين عليه السلام رحمة لنا؛ وما بكى لنا من الملائكة أكثر؛ وما رقأت دموع الملائكة منذ قتلنا؛ وما بكى أحد رحمة لنا ولما لقينا إلاّ رحمه الله قبل أن تخرج الدَّمعة من

---

(١) البحار: ٦/١٨٥.

عينه، فإذا سالت دموعه على خدّه فلو أنّ قطرة من دموعه سقطت في جهنّم لأطفأت حرّها حتّى لا يوجد لها حرٌّ؛ وإنّ الموجع لنا قلبه ليفرح يوم يرانا عند موته فرحة لا تزال تلك الفرحة في قلبه حتّى يرد علينا الحوض؛ وإنّ الكوثر ليفرح بمحبّنا إذا ورد عليه حتّى إنّه ليذيقه من ضروب الطّعام ـ الحديث»[١].

أما السؤال الثالث في المقام، فيما يختص بالكيفية التي يراها المؤمن لأمير المؤمنين عليه السلام ، فقد وقع الإختلاف الكثير في هذه المسألة، ومنشأ هذا الأختلاف يعود إلى أسباب عديدة، بعض منها مختص بالجانب الإستدلالي الذي يورده المستدل على ذلك، ومن خلال عدم فهم المدارك المتعلقة بالقضية سواء الكلامية أو الفلسفية، وبعض مختص، بالجانب العقائدي للباحث حول هذه القضية، وأخرى يكون الإختلاف ناشيء من فهم الأخبار الواردة في المقام، وعليه لابد من عرض هذه الأقوال والتأمل فيها ومعرفة الصحيح منها.

أقوال العلماء في كيفية الرؤيا

١ـ قال العلامة الفيض الكاشاني رحمه الله: «أقول: إنّ هذه الرؤية إنّما تكون في النّشأة البرزخية لا الحسيَّة، وإنّ ذلك حقيقة لا تجوزّ فيه، ويشبه أن يكون رؤية المعصومين ـ صلوات الله عليهم ـ مختصَّة بمن غلب عليه ذكرهم في الحياة الدّنيا إمّا لمحبَّة شديدة منه لهم، أو لبغض شديد، وتصديق ذلك قول الله عزَّ وجلَّ: **﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ إِلاّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾**[٢] يعني المسيح على نبيّنا وعليه السّلام»[٣].

---

(١) كامل الزيارات: باب ٣٢/١٠١.

(٢) النساء: ١٥٩.

(٣) علم اليقين: ٢/٨٥٦.

٢ـ قال الشّيخ الأقدم، المفيد رحمه الله: « القول في رؤية المحتضرين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المومنين عليه السلام عند الوفاة: هذا باب قد أجمع عليه أهل الإمامة، وتواتر به الخبر عن الصّادقين من الأئمة عليهم السلام، وجاء عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال للحارث الهمدانيّ:

«يا حار هَمْدان! من يمتْ يَرَني　　مــن مــؤمن أو مـنافقٍ قُـبُلا»

«يــعرفني طَــرْفُهُ وأعــرِفُه　　بـعَيْنِه واسـمه ومـا فَـعلا»

في أبيات المشهورة، وفيه يقول إسماعيل بن محمّد (الحميري) السَّيِّد رحمه الله:

ويراه المـحضور حـين تكـون　　الرّوح بـين اللّـهاة والحـلقوم

ومتى ما يشاء أخـرج للـنّاس　　فـتدمى وجـوههم بـالكلوم[1].

أقول: يفهم من هذين القولين أن قوله عليه السلام: «من يمت يرني» أنه يعلم في ذلك الحال ثمرة ولايته عليه السلام وانحرافه عنه... وقد ساند قولها ما قال السيد علم الهدى رحمه الله حيث اختار توجيهما وقال: وإنما اخترنا هذا التأويل لأن أمير المؤمنين عليه السلام جسم فكيف يشاهده كل محتضر؟ والجسم لا يجوز أن يكون في الحالة الواحدة في جهات مختلفة....»[2].

غير أن هذه الأقوال للعلماء الأجلاء لا توافق ولا تساعد على فهم الأخبار الصريحة في المقام، والناطقة بحضور النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين والأئمة المعصومين عليهم السلام أضف إلى كثيراً من العلماء قد خالفوا أقوالهم في هذه المسألة، ومنهم العلامة المجلسي رحمه الله حيث يقول:

إعلم أنّ حضور النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة صلوات الله عليهم عند الموت ممّا قد

---

(١) أوائل المقالات: ٤٨.

(٢) الأنوار النعمانية: ٤/ ٢١٠.

وردت به الأخبار المستفيضة، وقد اشتهر بين الشيعة غاية الإشتهار، وإنكار مثل ذلك لمحض استبعاد الأوهام ليس من طريقة الأخيار، وأمّا نحو حضورهم وكيفيّته فلا يلزم الفحص عنه، بل يكفي فيه وفي أمثاله الإيمان به مجملاً على ما صدر عنهم عليهم السلام، وما يقال: من أنّ هذا خلاف الحسّ والعقل: أمّا الأوّل فلأنّا نحضر الموتى إلى قبض روحهم ولا نرى عندهم أحداً، وأمّا الثاني فلأنّه يمكن أن يتّفق في آن واحد قبض أرواح الآف من الناس في مشارق الأرض ومغاربها، ولا يمكن حضور الجسم في زمان واحد في أمكنة متعدّدة. فيمكن الجواب عن الأوّل بوجوه:

الأوّل: أنّ الله تعالى قادرٌ على أن يحجبهم عن أبصارنا لضرب من المصلحة، كما ورد في أخبار الخاصّة والعامّة في تفسير قوله تعالى: ﴿**جعلنا بينك وبين الّذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً**﴾ أنّ الله تعالى أخفى شخص النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عن أعدائه مع أنّ أولياءه كانوا يرونه، وإنكار أمثال ذلك يفضي إلى إنكار أكثر معجزات الأنبياء والأوصياء عليهم السلام وقد مرّ فيما نقلنا من تفسير العسكريّ عليه السلام التصريح بهذا الوجه.

الثاني: أنّه يمكن حضورهم بجسد مثاليّ لطيف لا يراه غير المحتضر، كحضور ملك الموت وأعوانه، وستأتي الأخبار في سائر الموتى أنّ أرواحهم في البرزخ تتعلّق بأجساد مثاليّة، وأمّا الحيّ من الأئمة عليهم السلام فلا يبعد تصرّف روحه لقوّته في جسد مثاليّ أيضاً.

الثالث: أنّه يمكن أنّ يخلق الله تعالى لكلّ منهم مثالاً بصورته وهذه الأمثلة يكلّمون الموتى ويبشّرونهم من قبلهم عليهم السلام كما ورد في بعض الأخبار بلفظ التمثيل.

الرابع: أنّه يمكن أن ترتسم صورهم في الحسّ المشترك بحيث يشاهدهم المحتضر ويتكلّم معهم كما في المبرسم.

الخامس: ما ذكره السيّد المرتضى رحمه الله وهو أنّ المعنى أنّه يعلم في تلك الحال

ثمرة ولايتهم وانحرافه عنهم لأنّ المحبّ لهم يرى في تلك الحال ما يدلّه على أنّه من أهل الجنّة وكذا المبغض لهم يرى ما يدلّه على أنّه من أهل النار، فيكون حضورهم وتكلّمهم استعارة تمثيليّة، ولا يخفى أنّ الوجهين الأخيرين بعيدان عن سياق الأخبار، بل مثل هذه التأويلات ردّ للأخبار، وطعن في الآثار. وأمّا الجواب عن الوجه الثاني فبأنّه إنما تتمّ الشبهة إذا ثبت وقوع هذا الاتّفاق، ومحض الإمكان لا يكفي في ذلك، مع أنّه إذا قلنا بأنّ حضورهم في الأجسام المثاليّة يمكن أن يكون لهم أجساد مثاليّة كثيرة لما جعل الله لهم من القدرة الكاملة الّتي بها امتازوا عن سائر البشر؛ وفي الوجوه الثلاثة الأخيرة على تقدير صحّتها اندفاع هذا الإيراد ظاهر، والأحوط والأولى في أمثال تلك المتشابهات الإيمان بها، وعدم التعرّض لخصوصيّاتها وتفاصيلها وإحالة علمها إلى العالم عليه السلام كما مرّ في الأخبار الّتي أوردها في باب التسليم، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم»[1].

٣ـ قال الشيخ الجليل الحسن بن سليمان الحلي، تلميذ الشهيد الأول ـ رحمهما الله ـ تعليقاً على كلام الشيخ المفيد رحمه الله: «الشّيخ رحمه الله اعترف بالحديث وصدَّقة لكنَّه أوَّله بمعنى علم المحتضر بثمرة ولايتهما والشَّكِّ فيهما والعداوة لهما والتَّقصير في حقوقهما على اليقين بعلامات يجدها في نفسه دون رؤية البصر لأعيانهما ومشاهدة النَّواظر لأجسادهما باتّصال الشّعاع، فيقال له: أهذا الّذي أنكرت من رؤية البصر لأجسادهما بعينهما وقلت: إنَّه ليس المراد، بل المراد العلم بثمرة ولايتهما أو عداوتهما، قل: هل هو شيء استندت فيه إلى برهان من الكتاب أو من السّنَّة يجب التَّسليم له والإنتقاد إليه والإعتماد عليه كما روي عن الصّادق عليه السلام، أنَّه قال: **«من أخذ دينه من أفواه الرِّجال أزالته الرِّجال، ومن أخذ دينه من الكتاب والسّنَّة زالت الجبال ولم يزل»** أو أخذته من غيرهما؟ فإنّا وجدنا هذا التّأويل لا يوافق الأخبار الواردة عنهم عليهم السلام الصَّريحة الصَّحيحة من أنَّ الأموات يرون

---

(١) البحار: ٦/١٣٢.

الأموات والأحياء بعد الموت وكذلك الأحياء يرونهم حقيقة في اليقظة والنّوم، ويرون أهاليهم وما يسرُّهم فيهم وما يغمّهم؛ ونذكر إن شاء الله تعالى بعض ما رويناه في هذا المعنى وأنّه حقيقة لا مجاز[١].

ومنعه رحمه الله من رؤيته لهما عليهما السلام بسبب عدم اتّصال الشّعاع، جوابه أن يقال له: هب إنك علمت أنَّ الرُّؤية في هذا العالم اتّصال الشّعاع من الرّائي إلى المرئيّ فمن أين لك هذا الحكم يجري بعد الموت في عالم البقاء والله سبحانه يقول: ﴿**وكان الله على كُل شيء مقتدراً**﴾[٢]، ويقول: ﴿**ويخلقُ ما لا تعلمون**﴾[٣]، وقد جاء في الحديث عنهم عليهم السلام: «**لا تقدِّر عظمة الله تعالى على عقلك فتهلك، فقدرته سبحانه بلا كيف ولا يحيط بها العلم**»، ولو سئل المنكر لرؤية المحتضر لهما ـ صلى الله عليهما ـ عند موته عياناً: هل يقدر الله سبحانه أن يري المحتضرين الحجج ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ عند الممات وبعده كما أقدم النّائم أن يرى من يراه في أبعد البلاد في حياة المرئي وبعد موته على صورته وقالبه الّذي كان يعرفه به، وربّما أكل معه وشرب، وتحدَّثنا بما قد يفيد العلم، أو لا يقدر؟ لا سبيل إلى إنكار القدرة؛ فإذا جاز وقوعها فلا يجوز تأويله والعدول عن الظّاهر من غير ضرورة ولا امتناع؛ وقد روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**من رآني فقد رآني فإنّي لا يتمثَّل بي الشَّيطان؛ ومن رأى أحداً من أوصيائي فقد رآه فإنَّه لا يتمثَّل بهم الشيطان**»، وهذا الحديث يعمُّ في الحياة وبعد الممات، وهو نصٌّ في الباب»[٤].

---

(١) لا يخفى من ظهور هذا الكلام بالجفاء للشيخ المفيد رحمه الله فالأولى أن لا يقال في الرد على العلماء الأجلاء الذين وصلوا إلى المرتبة العالية من التقوى والعلوم مثل هذا الكلام بل الأفضل أن يحمل محمل خير أو أن يوجه كلامه.

(٢) الكهف: ٤٥.

(٣) النحل: ٨.

(٤) كتاب المحتضر: ٢ طبعة النجف.

٤ـ قال العلامّة الشهيد السيد محمّد عليّ القاضي الطباطبائي رحمه الله في تعليقه على الأنوار النعمانية:

«إعلم أنّ الاعتقاد بحضور النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين بل الأئمة من ولده عليهم السلام عند المحتضر من اعتقادات الأماميّة ومن العقائد الحقّة الخاصّة بهم، وعليه ضرورة مذهبهم، وقد أخذوا وتعلّموا هذا الإعتقاد عن أهل البيت سلام الله عليهم؛ والدَّليل العقليُّ الّذي أوجب لسيّدنا علم الهدى رحمه الله وشيخه الأعظم، شيخنا المفيد رحمه الله أن ذهبا إلى تأويل الدَّلائل النقليّة الواردة عن أئمتنا عليهم السلام فهو بالنَّظر إلى الأجسام الطَّبيعيّة المادِّيّة ومكانها دليل تامٌّ لا شكَّ فيه بحسب الظّاهر، فإنَّ من الواضح أنَّ حضور الجسم الواحد في آن واحد وحالة واحدة في أمكنة متعدِّدة وجهات مختلفة غير ممكن، ولكن لمّا لم يتحقّق في زمن السيّد رحمه الله هذه المباحث على نحو التَّحليل العلميِّ، لذا ذهب السيّد رحمه الله إلى ذلك التّأويل؛ وأمّا اليوم فقد حقّق في محلّه أنَّ حضورهم عليهم السلام عند المحتضر أن يدن في مكان الأجسام الطبيعيّة كما يتخيَّل في بادي النَّظر حتّى يرد ذلك الإشكال العقليُّ، بل من الممكن أن يكون حضورهم في مكان الأجسام اللطيفة أو مكان الأرواح المجرَّدة....

ولهم عليهم السلام بحسب نفوسهم القدسيّة القدرة والإستعداد بالتَّصرف في جميع الأمكنة من أمكنة الأجسام الكثيفة واللّطيفة والأرواح الأدنى والوسطى والعليا، وإحاطة التَّصرُّف في عالم الملك والملكوت بإذن الله تعالى وإقداره. نعم، إن كان المكان منحصراً إلى مكان الجسم المادِّيِّ فقط فيرد حينئذ ذلك الإشكال العقليّ، ولكن ليس كذلك»(١).

وله ـ أيضاً ـ «وممّا هو جدير بالذِّكر هنا أنَّ لبعض المحقِّقين في تحقيق تعدّد الأمكنة كلمة قيِّمة لا مجال لذكرها تفصيلاً، وأمّا إجمالها فهو: «أنّ قسم المكان

---

(١) هامش الأنوار النعمانية: ٤/٢١٢، جنة المأوى: ١٧٥.

على ستّة أقسام، ثلاثة منها في الأجسام، ومن الأجسام الكثيفة والمتوسطة واللطيفة؛ وثلاثة منها للأرواح الأدنى والوسطى والعليا؛ ويختلف تزاحم الأجسام في تلك الأمكنة بعضها مع بعض وعدمه، وسرعة الحركة والسَّير فيها أيضاً مختلفة، وللأنبياء والأولياء المعصومين عليهم السلام مراتب ودرجات، ولهم بحسب نفوسهم القدسيَّة القدرة والاستعداد بالتَّصرّف في جميع تلك الأمكنة والإحاطة بجميع الملك والملكوت بإذن الله تعالى وإقداره».

وبعد إمعان النَّظر والتَّأمّل فيما ذكره تنحلّ بعض الشّبهات والإشكالات الّتي يتخيّلها الإنسان كحضور الأئمة عليهم السلام في آن واحد في أمكنة متعدِّدة وسيرهم في مدَّة قليلة إلى مسافة كثيرة بعيدة، وأمثال ذلك، وأظنّ أنَّ وجود تلك الأمكنة وسرعة الحركة فيها وتفاوتها في هذا العصر من البديهيّات، وأكثرها من المشاهدات والحسِّيّات؛ وراجع إلى كتاب «وسيلة المعاد» للعلامّة الجليل المولى حبيب الله القاسانيّ رحمه الله تجد تفصيل ما ذكرناه»[1].

٥ـ قال العلامّة النوري رحمه الله: «السّادس من الإحتمالات، أن يكون المراد من الحضور كشف الحجاب عن بصر المحتضر فيراهم عليهم السلام وهم في مستقرِّهم ومقامهم من ذلك العالم من دون حركة وسير منهم لذلك، كرؤية النّاس جميعاً كوكباً معيَّناً في آن واحد في أمكنة متباعدة.... ومع ذلك كلّه فلا يساعده ما مرَّ من الأخبار».

أقول: هذا القول مخالف لكثير من الأخبار الواردة في المقام لأنها ـ أي الأخبار ـ صريحة في حضورهم عليهم السلام وجلوسهم عند المحتضر فينافي من قوله هذا من كشف الحجاب من دون حركة منهم عليهم السلام.

٦ـ قال المحدث الكبير السيد نعمة الله الجزائري رحمه الله: «ولم يذهب أحدٌ من الأصحاب إلى تأويل هذا ولا إلى إنكاره. نعم، ذهب سيِّدنا الأجلُّ علم الهدى ـ

---

(١) هامش جنة المأوى: ١٧٥ ط تبريز.

تغمَّده الله برحمته ـ إلى تأويله فقال: معنى قوله: «من يمت يرني» أنَّه يعلم في ذلك الحال ثمرة ولايته عليه السلام وانحرافه عنه، لأنَّ المحتضر قد روي أنَّه إذا عاين الموت وقاربه أُري في تلك الحال ما يدلُّ على أنَّه من أهل الجنَّة والنّار؛ وقد تقول العرب: رأيت فلاناً، إذا رأى ما يتعلق به من فعل أو أمر يعود إليه، وإنّما اخترنا هذا التَّأويل لأنَّ أمير المؤمنين عليه السلام جسم فكيف يشاهده كلّ محتضر؟ والجسم لا يجوز أن يكون في الحالة الواحدة في جهات مختلفة، ولهذا قال المحصّلون: إنَّ ملك الأموات الّذي يقبض الأرواح جنس، ولا يجوز أن يكون واحداً لأنَّه جسم والجسم لا يجوز أن يكون في حالة واحدة في أماكن متعدِّدة؛ فقوله تعالى: ﴿يتوفيكم ملك الموت﴾[1] أراد به الجنس كما قال: ﴿والملك على أرجائها﴾[2]، هذا كلامه رحمه الله، والعجب منه كيف ارتكب تأويل هذه الأخبار الكثيرة مع أنَّ بعضها من جهة صراحته في المطلوب غير قابل للتَّأويل لهذا الدَّليل العقليّ؛ وقد أسلفنا الجواب عن كلامه رحمه الله وهو أنَّ شيخنا المعاصر ـ أدام الله أيّامه ـ بنى هذا على تعدّد البدن المثاليّ فيكون لعليّ عليه السلام أبدان متعدِّدة كلُّ بدن منها في مكان من الأمكنة المختلفة.

وأمّ الّذي رجحناه نحن أخذاً من مفاهيم الأخبار فهو القول بالتَّمثّل، بأنّ الله سبحانه يمثّل للميِّت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام كما مثّله لأهل السَّماوات حين رآه النَّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في جميع السَّماوات واقفاً يصلّي والملائكة تصلّي خلفه فقال: هذا عليُّ بن أبي طالب عليه السلام تركته في الأرض وها هو قد سبقني إلى السَّماء؛ فقال الله عزَّ وجلَّ: هذا شخص مثل عليٍّ بن أبي طالب، خلقته في جميع السَّماوات حتّى تنظر إليه الملائكة فتطمئنَّ إليه نفوسهم من شدَّة حبِّهم لعليٍّ بن أبي طالب عليه السلام.

---

(١) السجدة: ١١.

(٢) الحاقة: ١٧.

ويؤيّده ما رواه سدير الصَّيرفيّ، عن مولانا عليه السلام في قول مللك الموت للمحتضر: افتح عينيك فانظر؛ قال: «ويمثَّل له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ذرِّيَّتهم عليهم السلام»، فيكون عليه السلام يأتي إلى بعض المحتضرين بنفسه الشَّريفة وصورته الأصليَّة، ويأتي إلى بعض آخر بصورته الممثَّلة المشابهة لتلك الصّورة الأصلية، وهذا غير الجواب الأوّل الّذي بني على البدن المثاليّ، وهذا التَّمثّل من باب ما رواه شيخنا الكلينيُّ ـ طاب ثراه ـ قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ ابن آدم إذا كان آخر يوم من أيّام الدّنيا، وأوّل يوم من أيّام الآخرة مثّل له ماله وولده وعمله....»[1].

٧ـ ما قال العلامة الهمداني تعليقاً على أكثر الأقوال الواردة في المقام: «أُشهد الله، أنَّ المستفاد لي من مفاهيم الأخبار الكثيرة ومن بعض الآيات القرآنية[2] بمعونة الأخبار هو حضور النَّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وعليّ والأئمة من ولده عليهم السلام عند المحتضر بأشخاصهم، وأنفسهم الشَّريفة، وأعيانهم المباركة، وإنّ لم تكن كيفيَّة حضورهم لنا معلومة مشهودة، لا ما ذهب إليه العلمان السَّندان: سيِّدنا الأجل، علم الهدى، الشّريف المرتضى، وشيخنا المعظّم السّعيد، المفيد ـ رحمهما الله تعالى وتغمّدهما برحمته وغفرانه ـ من أنَّ المقصود من حضور النَّبي وأهل بيته الكرام عليهم السلام هو العلم بثمرة ولايتهم ورؤية أثر محبّتهم أو بغضهم وعداوتهم.

ولعمري، إنّ طرح تلك الأخبار الكثيرة الّتي جاوزت حدَّ التَّواتر وتضعيفها أولى وأحرى من إرتكاب هذا التَّأويل، فإنَّه لم يتبيّن لي كيف أوّلا الأحاديث الّتي هي

---

(١) الأنوار النعمانية: ٤/ ٢١٠ ط تبريز.

(٢) كقوله تعالى: ﴿ألا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون الذين أمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لاتبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم﴾ يونس: ٦٢-٦٤.

صريحة في المطلوب وناطقة بالمقصود بما ذهبا إليه، كقوله عليه السلام: «يحضره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام»، وأما: «ما من ميت يموت إلاّ حضره محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وعليٌّ عليه السلام»، أو: «فجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن يمينه والآخر عن يساره»، أو «يا حار! لتعرفني عند الممات»، أو: «يجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند رأسه، وعليٌّ عليه السلام عند رجليه»، أو: «يا وليَّ الله أنا عليّ بن أبي طالب»، أو: «فيقوم عليٌّ عليه السلام حتّى يكبَّ عليه» أو: «فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا وليّ الله! أبشر، أنا رسول الله، إنّي خير لك»، أو: «يا عليّ! إنّ محبِّيك يفرحون في ثلاثة مواطن: عند خروج أنفسهم وأنت هناك تشهِّدهم، وعند المساءلة في القبور وأنت هناك تلقِّنهم، وعند العرض على الله وأنت هناك تعرِّفهم»، أو: «فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا جبرئيل! إنّ هذا كان يحبّنا أهل البيت»، أو كقوله ملك الموت: «أبشر بالسّلف الصّالح مرافقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليٍّ وفاطمة عليهم السلام»، أنشدك الله أيّها القارىء هل تفهم من هذه الأخبار غير ما ذكرناه؟ أمعن النّظر فيها واجعل نفسك قاضيا.

إن قلت: يحتمل ويأوّل هذه الأخبار على حضورهم عليهم السلام نحو التّمثّل والمثال والصّورة، لا على نحو الحقيقة والعينيّة والواقعيّة كما يدلّ على هذا حديث التّمثّل[1].

قلت: هذا الوجه وإن تعرّض له العلاّمة المجلسيّ رحمه الله على وجه الإحتمال والإمكان بقوله: «يمكن أن يخلق الله تعالى لكلٍّ منهم مثالاً بصورته، وهذه الأمثلة يكلّمون الموتى ويبشّرونهم من قلبهم عليهم السلام كما ورد في بعض الأخبار بلفظ التّمثيل[2] واختاره ـ أيضاً ـ تلميذه السيّد نعمة الله الجزائري رحمه الله على نحو الحتم

---

(١) اورده البحراني في البرهان (ج ٤ ص ٤٦٠) وهو: «ويمثل له رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ذريتهم ـ صلوات الله عليهم ـ فيقال له: هذا رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام رفقاؤك».

(٢) البحار: ١٣٢/٦.

والجزم بقوله: «وأمّا الذي رجّحناه نحن أخذاً من مفاهيم الأخبار القول بالتمثّل.... فيكون عليه السلام (يعني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) يأتي إلى بعض المحتضرين بنفسه الشريفة وصورته الأصليّة، ويأتي إلى بعض آخر بصورته الممثّلة المشابهة لتلك الصّورة الأصلية....»[1] إلاّ أنّ هذا مضافاً إلى مخالفته للأخبار الماضية النّاطقة بأنّهم عليهم السلام يحضرون عند المحتضر بأعيانهم لا أمثالهم وأشباههم وصورتهم المشابهة لصورتهم الأصليّة مناف لما في ذيل حديث التّمثّل، إذ جاء في ذيله: «**فيقال له: هذا رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين ـ صلوات الله عليهم ـ رفقاؤك**».

وهذه العبارات لا تساعد التّمثّل المذكور بتّاً، أعني أنّه لا يجوز أن يقال لأشباههم عليهم السلام: هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام وهكذا سائر الأئمة عليهم السلام، و ـ أيضاً ـ إنّ معنى التّمثّل غير المثول وهو الانتصاب بين يدي أحد أو الحضور عنده، ويمكن أن يقرأ ما في الحديث على صيغة المجرّد فيكون بهذا المعنى دون التّمثّل، والشّاهد على ذلك ما جاء في البحار عن محمّد بن عليّ عليهما السلام، قال: «مرض رجل من أصحاب الرّضا عليه السلام فعاده فقال: كيف تجدك؟ قال: لقيت الموت بعدك؟ ـ يريد مالقيه من شدّة مرضه ـ فقال عليه السلام: **كيف لقيته** قال: شديداً أليماً، قال: **ما لقيته إنّما لقيت ما يبدؤك به يعرّفك بعض حاله، إنّما الناس رجلان: مستريح بالموت، ومستراح منه؛ فجدّد الإيمان بالله وبالولاية تكن مستريحاً**، ففعل الرّجل ذلك، ثمّ قال: يا بن رسول الله! هذه ملائكة ربّي بالتّحيّات والتّحف يسلّمون عليك وهم قيام بين يديك، فأذن لهم بالجلوس.

فقال الرضا عليه السلام: **اجلسوا ملائكة ربّي، ثمّ قال للمريض: سلهم امروا بالقيام بحضرتي؟** فقال المريض: سألتهم فذكروا أنّه لو حضرك كلّ من خلقه الله من ملائكته لقاموالك ولم يجلسوا حتّى تأذن لهم؛ هكذا أمرهم الله عزّ وجلّ، ثمّ غمّض

---

(١) الأنوار النعمانية: ٤/ ٢١٢.

الرَّجل عينيه، وقال: السَّلام عليك يا بن رسول الله، هـذا شـخصك مـاثل لي مـع أشخاص محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ومن بعده من الأئمة عليهم السلام وقضى الرَّجل».

أقول: والشّاهد قوله «ماثل لي» حيث أُطلق عليه عليه السلام وعلى رسول الله والأئمَّة المعصومين عليهم السلام، وهو فاعل من الثلاثي المجرَّد، لا يقال: هو ماض من المفاعلة؛ لأنَّه من هذا الباب لم يستعمل إلاّ للمشابهة وهو غير مناسب هنا.

وممّا يسهِّل الأمر ويؤيِّد حضورهم عليهم السلام بأنفسهم الشَّريفة عند المحتضرين في ساعة واحدة في أمكنة مختلفة الأخبار المشتملة لوعـدهم عليهم السلام زيـارة زائـريهم ومواليهم بعد الموت كقول أبي عبد الله الصّادق عليه السلام: «من زارني في حياته زرته بعد وفاته»[1]، وعند تطاير الكتب، وعند الصراط، وعند الميزان، كقول أبي الحسن الرّضا عليه السلام: «من زارني على بعد داري وشطون مزاري أتيته يوم القيامة في ثلاثة مواطن حتّى اخلّصه من أهوالها: إذا تطايرت الكتب يميناً وشمالاً، وعند الصِّراط، وعند الميزان»[2]، أو حضورهم عند جنائز مواليهم في أيِّ بلد كـانوا كـقول ابـي الحسن الكاظم عليه السلام: «إنّي ومن يجري مجراي من الأئـمّة لابـدَّ لنـا مـن حـضور جنائزكم في أيِّ بلد كنتم، فاتقوّا الله في أنفسكم»، و ـ أيضاً ـ الأخبار النّاطقة بأنَّ من رآهم فقد رآهم كقول النَّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «من رآنـي فـي مـنامه فـقد رآنـي لأنَّ الشَّيطان لا يتمثَّل في صورتي ولا في صورة أحد من أوصيائي».

فإنَّ المناط والمعيار في كلِّ هذه الموارد واحد، فإذا يمكن لهم عليهم السلام ان يجيئوا لزيارة الوف الجنائز لمواليهم، أو ملايين نفر من زائـريهم فـي المـواطـن الثّـلاثة المذكورة في حديث أبي الحسن الرِّضا عليه السلام في ساعة واحدة وفي أمكنة مـتعدِّدة فكذلك يمكن لهم أن يحضروا عند آلاف من المحتضرين بلا فـرق بـين المـوارد

---

(١) دار السلام: ٤/٢٩٤.

(٢) البحار: ١٠٢/٤٠.

أصلاً، لأنَّ حكم الأمثال فيما يجوز وفيما لا يجوز سواء[١].

أقول: ومن هذا كله تبين لنا من إجمال البحث ومن خلال الاطلاع على المأثورات الشريفة في كيفية حضورهم عليهم السلام عند عند المحتضر، يظهر لنا من كل هذا أن كيفية حضورهم ورؤيتهم عليهم السلام إنما يكون على أربعة أوجه ـ حيث دلت الأخبار على ذلك ـ وهي:

١ـ أنّ يراهم عليهم السلام المحتضر بحقيقتهم الطاهرة.

٢ـ أنّ يراهم عليهم السلام المحتضر من خلال تمثلهم له حيث نزع الروح.

٣ـ أنّ يراهم عليهم السلام المحتضر من خلال كشف الحجاب عن بصره ـ أي المحتضر ـ.

٤ـ أن يرى ثمرة ولايته لهم عليهم السلام حين الإحتضار.

القول المختار في رؤيتهم عليهم السلام

بعد تتبع الأيات القرآنية وتفسيرها، والأخبار الشريفة التي وردت في هذه المسألة العقائدية، والتي بلغت حد الشهرة والتواتر فيها، يظهر لنا من هذا كله، أن مسألة حضور النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة الطاهرين عليهم السلام عند المحتضر انها مسألة قد تسالم عليها أصحابنا ـ أي الشيعة الإمامية ـ ونعدها من الخصوصيات الخاص بمذهبنا، حيث قام الإجماع على ثبوتها بين علماء الطائفة الحقة، إضافة إلى الأخبار الشريفة المتواترة، وحيث أخذوا بها أخذ المسلمات فلا شك ولا شبهة في المقام، بل تجاوز الأمر إلى أن اعتبروها من ضروريات مذهبنا، ولم يكن هذا القول جزافاً من غير استدلال، بل

---

(١) الإمام علي من عنوان حبه صحيفة المؤمن الهمداني: ٤٤٢-٤٤٤.

أخذنا هذا الاعتقاد من أهل البيت عليهم السلام، أضف إلى ذلك إن بعض العامة قد نقلوا هذه المسألة في كتبهم أمثال ابن أبي الحديد في شرحه.

أما كيفية الرؤية فبعد التسليم والتصديق بها لا حاجة للفحص في جزئياتها بعد الاطلاع عليها بل يكفي الإيمان بها مجملاً على ما صدر من الأئمة عليهم السلام ويكفينا هذا في المعتقد.

أما ما قيل من الأقوال في كيفية الرؤية فهذا من البحوث المعروضة للبحث والنقاش بعد التسليم بأصل المطلب.

إذا رمت يوم البعث تنجو من اللّظى ويقبل منك الدّين والفرض والسنن

فوال عليّاً والأئمَّة بعده نجوم الهدى تنجو من الضيق والمحن

فهم عترة قد فوَّض الله أمره إليهم لما قد خصَّهم منه بالمنن

أئمَّة حقٍّ أوجب الله حقَّهم وطاعتهم فرض بها الخلق تمتحن

نصحتك أن ترتاب فيهم وتنثني إلى غيرهم من غيرهم في الأنام من؟

فحبّ عليٍّ عُدَّة لوليِّه يلاقيه عند الموت والقبر والكفن

كذلك يوم البعث لم ينج قادم من النّار إلاّ من تولّى أبا الحسن

❁ ❁ ❁



الخاتمة

في

شهادة ومقتل

الإمام عليّ عليه السلام

السيد صالح الحلي رحمه الله

خطبٌ أذاب من البتول فؤداها ... وأذاب من عين الرسول سوادها

أوجوه فهر بالسواد تلفّعي ... وأحثي على فقد الوصي رمادها

وتسربلي ثوب الحداد وألزمي ... العينَ السهادَ وجانبي أعيادها

إنّ ابن ملجمَ قد أباد ذُرى الهدى ... وحمى الورى وعمادها وسنادها

شلت يدُ الرجس المرادي إنها ... بلغت بقتلِ أبي الحسين مرادها

سيفٌ أصابك قد أصاب المصطفى ... والأنبياء وشرعها ورشادها

أيا رزءاً أسهر كل موحدٍ ... وأنام في فرش الهنا حسادها

شهر الصيام به الإسلام قد فجعا ... وفي رزيته قلب الهدى انصدعا

شهر الصيام بكت عين السماء دماً ... فيه وجبريل ما بين السماء نعى

اليوم في سيف أشقى العالمين قضى ... شخص الوصي وفي محرابه صرعا

اليوم مات الهدى والدين منهدم ... وفي ثياب الأسى قد بات مدّرعا

اليوم فلتسكب الأيتام عبرتها ... ولتترك الصبر لكن تصحب الجزعا

اليوم في قتله الهادي وفاطمةٌ ... ماتا وعلياً نزارٍ سورها انصدعا



الخاتمة

شهادة ومقتل
الإمام علي بن ابيطالب عليه السلام

إن من يقف مع التأريخ الإسلامي ويدقق في مدلولاته يجد أن الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام قد استهدف للقتل مراراً وصار هدفاً للشهادة في أكثر من مرة ابتداءاً من ليلة هجرة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم من داره وإيوائه إلى الغار ثم إلى المدينة الطيبة.

فبعد ليلة المبيت وخروج عليّ عليه السلام مع الفواطم إلى النبيّ قد تأكدت عزيمة جمع من الكفار على قتله عندما لحقوه بالطريق وقالوا له: ارجع بالنسوة وحالوا بينه وبين النسوة كي يرجعوهنَّ فشدَّ عليهم وقتل أحدهم وهو يقول:

خلوا سبيل الجاهد المجاهد   آليت لا أعبد غير الواحد

ثم بعد حرب بدر وقتل أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بيده قريباً من نصف القتلى في ذلك اليوم من صناديد الكفار تقوت وتأكدت عزائم الكفار على قتله أكثر فأكثر.

ثم في حرب أحد لمّا فرّ المسلمون إلّا عدد قليل منهم وواسا عليّ عليه السلام النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه وفرّق الكفار المحدقين بالنبيّ وقتل رؤساؤهم اشتدت نوايا الكفّار وعزمهم على قتل الإمام عليّ عليه السلام بآكد ما يتصوّر، فكان يعزي بعضهم بعضاً عل قتله والفتك به، كما يدلّ على ذلك ما رواه جماعة عن أسيد بن أبي أياس أنّه كان يحرض المشركين على قتله وينشد.

هذا ابن فاطمةالذي أفناكم ذبحاً وقتلة قصعة لم يذبح

أفناكم قعصاً وضرباً يفتري بالسيف يعمل حدّه لم يصفح

أعطوه خرجاً واتقوا بمضيعة فعل الذليل وبيعة لم تربح

وهكذا كان يزداد بغض الكفار لعليّعليه السلام، وهمّهم على قتله يوماً بعد يوم وكلما يتجدّد للنبيّصلى الله عليه وآله وسلم غزوّ ولعليّعليه السلام نكابة في الكفار كان يزداد حقدهم وهمهم في اغتيال عليّعليه السلام والفتك به، فكانوا مراقبين لعليّعليه السلام من الداخل والخارج، وكان الأمر على هذا المنهاج في طول أيّام الخلفاء كما تكشف عن ذلك أبيات أمير المؤمنينعليه السلام المعروفة المستفيضة:

تلكم قريش تمنّاني لتقتلني فلا وربك ما برّوا ولا ظفروا

فإن بقيت فرهن ذمتي لهم بذات روقين لا يعفو لها أثر

ثم بعد انقضاء أيّام الخلفاء ومبايعة النّاس أمير المؤمنين على الخلافة قد أضاء الصبح لكلّ ذي عين بأن كثيراً من الناس والمنافقين قد مكروا به وعزموا على قتله فجمعوا الحشود وأعدوا لقتله العتدّة والعُدّة بعد ما بايعوه طوعاً ورغبة وهؤلاء هم الناكثون.

ثم تلاهم القاسطون وهم معاوية وأهل الشام ومن شايعهم على قتال عليّعليه السلام.

وعند محاربة القاسطين عليّاًعليه السلام زيدت في مناوئي عليّعليه السلام فرقة ثالثة وهم المارقون والخوارج وهؤلاء أكثرهم كانوا من عبّاد أهل الكوفة والبصرة ومن قرّاء القرآن ولكن لم يكونوا على بصيرة في علم القرآن، وكان غاية جهدهم الإكثار من تلاوة القرآن والمداومة على الأذكار والأوراد، وكانوا مع عليّعليه السلام مجّدين في قتال أعدائه ولكن عندما رفع معاوية وجنده المصاحف على الرماح مكراً وخديعة في صباح ليلة الهرير، ودعوا عليّاًعليه السلام وعسكره إلى تحكيم القرآن والرضا والتسليم لحكم القرآن وأبى عليهم عليّعليه السلام لعلمه بأن القوم لا يريدون حكم القرآن بحسب

الواقع، وإنما لجأوا إلى ذلك لينجوا من المهلكة، فعند ذلك أصر هؤلاء الحمقى على أمير المؤمنين عليّ عليه السلام كي يقبل هذه الدعوى، ويصالح معاوية على تحكيم القرآن وهددوا عليّاً عليه السلام على رفضه ذلك بالقتل أوتسليمه إلى معاوية أو الإنفراج عنه كي يقتله أهل الشام.

ومن أجل إصرار هؤلاء الجّهال على نزعتهم حدث إختلاف شديد وتضارب في الرأي في جند الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حتى أرادوا أن يتقاتلوا.

ومن أجل ذلك اضطّر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى قبول الصلح وتحكيم القرآن تحت شروط وقيود تبطل خديعة معاوية ومكره، فكتبوا كتاب الصلح وأمضاءه رؤساء الفريقيين ووقعوا عليه، فعند ذلك انتبه المغفّلون من القراء بأنهم خدعوا فيما أصرّوا عليه أوّلاً، فجاؤا إلى عليّ عليه السلام وقال لهم: ويلكم إنّ الله أمر بالوفاء بالعهد مع المشركين فكيف ينقض عهده مع هؤلاء وهم مسلمون؟!

وقال لهم جهاراً: إنّه لا يرجع عن عهده مع الناكثين إلّا أن يخونوا هم العهد أو تنتهي مدة المعاهدة من غير وفاق على حكم القرآن.

فحينئذ كفّره الخوارج وكفروا كلّ من رضيّ بتحكيم القرآن ولم يثبت منه وفارقه بعضهم في نفس المعركة.

ولمّا إنفصل أمير المؤمنين من معركة صفين راجعاً إلى الكوفة لم يدخلوا معه الكوفة وعسكروا بموضع يقال له: الحروراء وعزموا على أن يدعوا عليّاً عليه السلام مجدداً إلى الرجوع عن العهد ونقضه كي يذهبوا معه ثانياً إلى حرب معاوية وإلّا سيحاربونه ويقتلونه.

وجرى بين أمير المؤمنين وبينهم رسل ورسائل ومحاجات كثيرة في خلالها رجع بعضهم عن نزعته ووقف آخرون مترددين وبقي أكثرهم على لجاجهم وعنادهم وسعوا في الأرض بالفساد، وقتلوا الأبرياء وأهلكوا الحرث والنسل،

ونابذوا عليّاً بالحرب؛ وخرجوا إلى موضع يقال له: النهروان معلنين الحرب.

فخرج إليهم عليّعليه السلام بالجنود واحتج عليهم وخطبهم وطلب منهم الرجوع إليه كي يذهب بهم إلى حرب معاوية من أجل أنّ الحكمين لم يتفقا وخانا ما أخذ عليهما من الحكم بالقرآن والتجنب عن متابعة الهوى.

فلم يلتفت الخوارج إلى إحتجاج عليّعليه السلام وشدوا على أصحابه وقتلوا منهم أفراداً.

فعند ذلك ثبّت أمير المؤمنين أصحابه وحرضهم على قتال الخوارج، وبشّرهم بما وعد الله تعالى لمن يقتل هؤلاء الأشقياء، وأخبرهم بأنه لا يقتل منهم إلّا دون العشرة وأنّه لا ينجو من الخوارج إلّا دون عشرة.

ثم شدّعليه السلام بأصحابه على المارقين فقضوا عليهم عدا من فرّ منهم من المعركة وهم دون العشرة وعدا المجروحين منهم فإنّهعليه السلام دفعهم إلى عشائرهم كي يداووهم.

وبعد وقعة النهروان والقضاء على رؤوس الخوارج خمدت شوكتهم فعندئذ غير الباقون من الخوارج ومن على نزعتهم مجرى المناوئة وعزموا على الفتك والإغتيال.

المؤامرة الكبرى

أمّا كيفية إقدام أشقى البرية ابن ملجم لعنه الله لعناً وبيلاً على اغتيال الإمام عليّ بن أبي طالبعليه السلام، فقد ذكر المؤرخون إن ثلاث نفر من الخوارج اجتمعوا بمكة وتأمروا على قتل علي بن أبي طالبعليه السلام ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص، وهؤلاء الثلاثة الذين اجتمعوا هم: عبدالرحمن بن ملجم المرادي (لعنة الله عليه)، والبرك بن عبدالله التميمي وعمرو بن بكير التميمي. حيث قال عبدالرحمن

بن ملجم لهم أنا لكم بعلي بن أبي طالب عليه السلام، وقال البرك أنا لكم بمعاوية، وقال عمرو بن بكير أنا أكفيكم عمرو بن العاص.

فتعاهدوا على ذلك وتعاقدوا وتواثقوا على أن لا ينكص رجل منهم عن صاحبه الذي سمّي له ويتوجه إليه حتى يقتله أو يموت دونه.

فقدم عبدالرحمن بن ملجم لعنه الله الكوفة فلقي أصحابه من الخوارج فكاتمهم ما يريد وكان يزورهم ويزورونه فزار يوماً نفراً من تيم الرباب فرآى امرأة منهم يقال لها: قطام بنت شجنة بن عدي بن عامر بن عوف بن ثعلبة بن سعد بن ذهل بن تيم الرباب فأعجبته فخطبها فقالت: لا أتزوجك حتى تسمي لي.

فقال: لا تسأليني شيئاً إلّا أعطيتك.

فقالت: ثلاثة آلاف وقتل عليّ بن أبي طالب.

فقال: والله ما جاء بي إلى هذا المصر إلّا قتل عليّ بن أبي طالب، وقد أتيناك ما سألت. ولقى عبدالرحمن بن ملجم لعنه الله شبيب بن بجرة الأشجعي فأعلمه ما يريد ودعاه إلى أن يكون معه فأجابه إلى ذلك.

الإمام عليه السلام يخبر بقاتله

ثمّ مضى ابن ملجم لعنه الله يدور في شوارع الكوفة، فأجتاز على أمير المؤمنين عليه السلام وهو جالس عند ميثم التمّار، فخطف عنه كيلا يراه، ففطن به فبعث خلفه رسولاً، فلمّا أتاه وقف بين يديه وسلّم عليه وتضرّع لديه، فقال عليه السلام له: ما تعمل ها هنا؟

قال: أطوف في أسواق الكوفة وأنظر إليها، فقال عليه السلام: عليك بالمسجد فإنّها خير لك من البقاع كلّها، وشرّها الأسواق ما لم يذكر اسم الله فيها، ثمّ حادثه ساعة وانصرف، فلمّا ولّي جعل أمير المؤمنين عليه السلام يطيل النظر إليه ويقول: يا لك من عدوّ

لي من مراد، ثم قال عليه السلام:

أريد حياته ويريد قتلي ويأبى الله إلّا أن يشاء

ثم قال عليه السلام: يا ميثم هذا والله قاتلي لا محالة، أخبرني به حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال ميثم: يا أمير المؤمنين فلم لا تقتله أنت قبل ذلك؟

فقال: يا ميثم لا يحلّ القصاص قبل الفعل، فقال ميثم: يا مولاي إذا لم تقتله فاطرده، فقال: يا ميثم لولا آية في كتاب الله: ﴿**يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أمّ الكتاب**﴾[1]، وأيضاً إنّه بعدُ ما جنى جناية فيؤخذ بها، ولا يجوز أن يعاقب قبل الفعل، فقال ميثم: جعل [الله] يومنا قبل يومك، ولا أرانا الله فيك سوءاً أبداً، ومتى يكون ذلك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: إنّ الله تفرّد بخمسة أشياء لا يطّلع عليها نبيّ مرسل ولا ملك مقرّب، فقال عزّ من قائل: ﴿**إنّ الله عنده علم الساعة**﴾[2]، يا ميثم هذه خمسة لا يطلع عليها إلّا الله تعالى، وما اطّلع عليها نبيّ ولا وصيّ ولا ملك مقرّب، يا ميثم لا حذر من قدر، يا ميثم إذا جاء القضاء فلا مفرّ، فرجع ابن ملجم ودخل على قطام لعنهما الله، وكانت تلك الليلة ليلة تسع عشرة من شهر رمضان.



---

(١) الرعد: ٣٩.

(٢) لقمان: ٣٤.

أحداث ليلة التاسع عشر

لبس الإسلامُ أبرادَ السّوادِ يوم أردى المرتضى سيفُ المُرادي
ليلةٌ ما اصبحت إلّا وقد غلب الغيّ على أمر الرشاد
والصلاح انخفضت أعلامه فغدت ترفع أعلام الفساد
ما رعى الغادر شهر الله في حجة الله على كل العباد
وببيت الله قد جد له ساجداً ينشج من خوف المعاد
يا ليال أنزل الله بها سور الذكر على أكرم هاد
قتلوه وهو في محرابه طاوي الأحشاء عن ماء وزارد
سل بعينيه الدجى هل جفتا من بكاً أو ذاقتا الرقاد
وسل الأنجم هل أبصرته ليلة مضطجعاً فوق الوساد
عاقر الناقة مع سقوته ليس بالاشقى من الرجس المرادي
فلقد عمَّم بالسيف فتى عمَّ خلق الله طُرّاً بالأياد
فبكتهُ الإنسُ والجنُّ معاً وطيور الجومع وحش البوداي
وبكاه الملأُ الأعلى دماً وغدا جبريلُ بالويل يُنادي
هُدمت والله أركان الهدى حيث لا من منذرٍ فينا وهادي

قالت أمّ كلثوم بنت أمير المؤمنين صلوات الله عليه: لمّا كانت ليلة تسع عشرة من شهر رمضان قدّمت إليه عند إفطاره طبقاً فيه قرصان من خبز الشعير وقصعة فيها لبن وملح جريش، فلمّا فرغ من صلاته أقبل على فطوره، فلمّا نظر إليه وتأمّله حرّك رأسه وبكى بكاءً شديداً عالياً، وقال: يا بنيّة ما ظننت أنّ بنتاً تسوء أباها كما قد

أسأت أنت إليّ، قال: وماذا يا أباه؟ قال: يا بنيّة أتقدّمين إلى أبيك إدامين في فرد طبق واحد؟ أتريدين أن يطول وقوفي غداً بين يدي الله عزّوجلّ يوم القيامة أنا أريد أن أتبع أخي وابن عمّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما قدّم إليه إدامان في طبق واحد إلى أن قبضه الله، يا بنيّة ما من رجل طاب مطعمه ومشربه وملبسه إلاّ طال وقوفه بين يدي الله عزّوجلّ يوم القيامة، يا بنيّة إنّ الدنيا في حلالها حساب وفي حرامها عقاب، وقد أخبرني حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن جبرائيل عليه السلام نزل إليه ومعه مفاتيح كنوز الأرض وقال: يا محمّد السلام يقرئك السلام ويقول لك: إنّ شئت صيّرت معك جبال تهامة ذهباً وفضّة، وخذ هذه مفاتيح كنوز الأرض ولا ينقص ذلك من حظّك يوم القيامة، قال: يا جبرائيل وما يكون بعد ذلك؟ قال: الموت، فقال: إذاً لا حاجة لي في الدنيا، دعني أجوع يوماً وأشبع يوماً، فاليوم الّذي أجوع فيه أتضرّع إلى ربّي وأسأله، واليوم الّذي أشبع فيه أشكر ربّي وأحمده، فقال له جبرائيل: وفقت لكلّ خير يا محمّد.

ثمّ قال عليه السلام: يا بنيّة الدنيا دار غرور ودار هوان، فمن قدّم شيئاً وجده، يا بنيّة والله لا آكل شيئاً حتّى ترفعين أحد الإدامين، فلمّا رفعته تقدّم إلى الطعام فأكل قرصاً واحداً بالملح الجريش، ثمّ حمد الله وأثنى عليه، ثمّ قام إلى صلاته فصلّى، ولم يزل راكعاً وساجداً ومبتهلاً ومتضرّعاً إلى الله سبحانه، ويكثر الدخول والخروج وهو ينظر إلى السماء وهو قلق يتململ، ثمّ قرأ سورة «يَس» حتّى ختمها، ثمّ عليه السلام رقد هنيئة وانتبه مرعوباً، وجعل يمسح وجهه بثوبه، ونهض قائماً على قدميه وهو يقول: «اللّهمّ بارك لنا في لقائك» ويكثر من قول: «لا حول ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم» ثمّ صلى حتّى ذهب بعض اللّيل، ثمّ جلس للتعقيب، ثمّ نامت عيناه وهو جالس، ثمّ انتبه من نومته مرعوباً.

الإمام عليه السلام والرؤيا الصادقة

قالت أمّ كلثوم: كأنّي به وقد جمع أولاده وأهله وقال لهم: في هذا الشهر تفقدوني، إنّي رأيت في هذه اللّيلة رؤياً هالتني وأريد أن أقصّها عليكم، قالوا: وما هي: إنّي رأيت الساعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في منامي وهو يقول لي: يا أبا الحسن إنك قادم إلينا عن قريب، يجيء إليك أشقاها فيخضب شيبتك من دم رأسك، وأنا والله مشتاق إليك، وإنّك عندنا في العشر الآخر من شهر رمضان، فهلّم إلينا فما عندنا خير خير لك وأبقى، قال: فلمّا سمعوا كلامه ضجّوا بالبكاء والنحيب وأبدوا العويل، فأقسم عليهم بالسكوت فسكتوا، ثمّ أقبل يوصيهم ويأمرهم بالخير وينهاهم عن الشرّ، قالت أمّ كلثوم: ولم يزل تلك اللّيلة قائماً وراكعاً وساجداً، ثمّ يخرج ساعة بعد ساعة يقلّب طرفه في السماء وينظر في الكواكب وهو يقول: والله ما كذبت ولا كُذّبت، وإنّها اللّيلة الّتي وعدت بها، ثمّ يعود إلى مصلّاه ويقول: اللّهمّ بارك لي في الموت، ويكثر من قول: «إنّا لله وانا إليه راجعون» «ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم» ويصلي على النبيّ وآله، ويستغفر الله كثيراً.

الإمام عليه السلام ينعى نفسه

قالت أمّ كلثوم: فلمّا رأيته في تلك الليلة قلقاً متململاً كثير الذكرو الاستغفار أرقت معه ليلتي وقلت: يا أبتاه مالي أراك هذه اللّيلة لا تذوق طعم الرقاد؟

قال: يا بنيّة إنّ أباك قتل الأبطال وخاض الأهوال وما دخل الخوف له جوف، وما دخل في قلبي رعب أكثر ممّا دخل في هذه اللّيلة.

ثمّ قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون فقلت: يا أباه مالك تنعي نفسك منذ اللّيلة؟

قال: يا بنيّة قد قرب الأجل وانقطع الأمل، قالت أمّ كلثوم: فبكيت فقال لي عليه السلام: يا بنيّة لا تبكين فإنّي لم أقل ذلك إلّا بما عهد إليّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، ثمّ إنّه نعس وطوى

ساعة، ثمَّ استيقظ من نومه وقال: يا بنيّة إذا قرب وقت الأذان فأعلميني، ثمّ رجع إلى ما كان عليه أوّل اللّيل من الصلاة والدّعاء والتضرّع إلى الله سبحانه وتعالى، قالت أمّ كلثوم: فجعلت أرقب وقت الأذان، فلمّا لاح الوقت أتيته ومعي إناء فيه ماء، ثمّ أيقظته، فأسبغ الوضوء وقام ولبس ثيابه وفتح بابه، ثمّ نزل إلى الدار وكان في الدار إوزّ قد أهدي إلى أخي الحسين عليه السلام، فلمّا نزل خرجن وراءه ورفرفن وصحن في وجهه، وكان قبل تلك اللّيلة لم يصحن، فقال عليه السلام: لا إله إلّا الله صوارخ تتبعها نوائح، وفي غداة غد يظهر القضاء، فقلت له: يا أباه هكذا تتطيّر؟

فقال: يا بنيّة ما منّا أهل البيت من يتطيّر ولا يتطيّر به، ولكن قول جرى على لساني.

ثمّ قال: يا بنيّة بحقّي عليك إلّا ما أطلقتيه، فقد حبست ما ليس له لسان ولا يقدر على الكلام إذا جاع أو عطش، فأطعميه واسقيه وإلّا خلّي سبيله يأكل من حشائش الأرض، فلمّا وصل إلى الباب فعالجه ليفتح فتعلّق الباب بمئزره فانحل مئزره حتى سقط، فأخذه وشدّه وهو يقول:

اشدد حيازيمك للموت فإن الموت لاقيكا

ولا تجزع من الموت إذا حلّ بناديكا

ولا تغترّ بالدهر وإن كان يواتيكا

كما أضحك الدهر كذاك الدهر يبكيكا

ثم قال: اللّهم بارك لنا في الموت، اللّهم بارك في لقائك، قالت أمّ كلثوم: وكنت أمشي خلفه، فلمّا سمعته يقول ذلك قلت: واغوثاه يا أبتاه أراك تنعي نفسك منذ اللّيلة، قال: يا بنيّة ما هو بنعاء ولكنّها دلالات وعلامات للموت تتبع بعضها بعضاً فأمسكي عن الجواب، ثم فتح الباب وخرج عليه السلام.

خروج الإمام الحسن عليه السلام خلف أمير المؤمنين عليه السلام

قالت أمّ كلثوم: فجئت أخي الحسن عليه السلام فقلت يا أخي: قد كان من أمر أبيك كذا وكذا، وهو قد خرج في هذا اللّيل الغلس فألحقه، فقام الحسن بن عليّ عليه السلام وتبعه، فلحق به قبل أن يدخل الجامع فقال يا أباه: ما أخرجك في هذه السّاعة وقد بقي من اللّيل ثلثه؟ فقال: يا حبيبي ويا قرّة عيني خرجت لرؤيا رأيتها في هذه اللّيلة أهالتني وأزعجتني وأقلقتني، فقال له: خيراً رأيت وخيراً يكون فقصّها عليّ، فقال عليه السلام: يا بنيّ رأيت كأنَّ جبرائيل عليه السلام قد نزل عن السّماء على جبل أبي قبيس فتناول منه حجرين ومضى بهما إلى الكعبة وتركهما على ظهرها، وضرب أحدهما على الآخر فصارت كالرّميم، ثمّ ذرّهما في الرّيح، فما بقي بمكّة ولا بالمدينة بيت إلّا ودخله من ذلك الرّماد، فقال له: يا أبت وما تأويلها؟ فقال: يا بنيّ إن صدقت رؤياي فإنّ أباك مقتول: ولا يبقى بمكّة حينئذٍ ولا بالمدينة بيت إلّا ويدخله من ذلك غمّ ومصيبة من أجلي، فقال الحسن عليه السلام: وهل تدري متى يكون ذلك يا أبت؟

قال: يا بنيّ إن الله يقول: **﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأيّ أرض تموت﴾**[1]، ولكن عهد إليّ حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه يكون في العشر الأواخر من شهر رمضان، يقتلني ابن ملجم المرادي: فقلت له: يا أبتاه، إذا علمت منه ذلك فاقتله، قال: يا بنيّ لا يجوز القصاص إلّا بعد الجناية والجناية لم تحصل منه، يا بنيّ لو اجتمع الثقلان الإنس والجنّ على أن يدفعوا ذلك لما قدروا، يا بنيّ ارجع إلى فراشك. فقال الحسن عليه السلام: يا أبتاه أريد أن أمضي معك إلى موضع صلاتك، فقال له: أقسمت بحقي عليك إلّا ما رجعت إلى فراشك لئلاً يتنغّص عليك نومك، ولا تعصني في ذلك، قال: فرجع الحسن عليه السلام فوجد أخته أمّ كلثوم قائمة

(١) لقمان: ٣٤.

خلف الباب تنتظره، فدخل فأخبرها بذلك، وجلسا يتحادثان وهما محزونان حتّى غلب عليهما النّعاس، فقاما ودخلا إلى فراشهما وناما.

عـيني لمأسـاة الإمـامة تـدمع — في فـقد فـخر الأوليـاء أتـفجع
لم أنسـه إذ قـام فـي مـحرابـه — وسواه في طيف الكـرى يـتمتع
فانسل يستل ابـن مـلجم سيفه — مـستخفياً واللـيل داج أشـفع
وعليه مذ رفع الصفيحة كاد من — جـزع يـخر له الصـفيح الأرفـع
ونعاه جبريل ونادى فـي السّـما — وعـليه كـادت بـالندا تـتقطع
اليوم أركان الهدى قـد هُـدمت — اليـوم شـمل المسـلمين مـوزع
اليوم قد قتل ابن عم المـصطفى — اليوم قـد قـتل الوصـي الأنـزع
لم أنس زينب مذ رأته وجسمه — من فيض مفرقه الشـريف مـلفع
فغدت تـخضب شـعرها بـدمائه — وعـليه تـذرف دمـعها وتـفجع

خروج الإمام عليه السلام إلى مسجد الكوفة

قال أبو مخنف: وسار أمير المؤمنين عليه السلام حتّى دخل المسجد، والقناديل قد خمد ضوؤها، فصلّى في المسجد ورده وعقّب، ثمّ إنّه قام وصلى ركعتين، ثمّ علا المئذنة ووضع سبّابتيه في أذنيه وتنحنح ثمّ أذّن وكان عليه السلام إذا أذّن لم يبق في بلدة الكوفة بيت إلاّ اخترقه صوته.

وقيل: إنّ ابن ملجم بات في تلك الليلة يفكّر في نفسه، ولا يدري ما يصنع، فتارة يعاتب نفسه ويوبّخها ويخاف من عقبى فعله، فيهم أن يرجع عن ذلك، وتارة يذكر قطام لعنها الله وحسنها وجمالها وكثرة مالها فتميل نفسه إليها، فبقي عامّة ليلة يتقلّب على فراشه وهو يترنّم بشعره ذلك إذ أتته الملعونة ونامت معه في فراشه، وقالت له: يا هذا من يكون على هذا العزم يرقد؟

فقال لها: والله إنّي أقتله لك السّاعة، فقالت: اقتله وارجع إليّ قرير العين مسروراً، وافعل ما تريد فإنّي منتظرة لك، فقال لها: بل أقتله وأرجع إليك سخين العين محزوناً منحوساً محسوراً، فقالت: أعوذ بالله من تطيرك الوحش، قال: فوثب الملعون كأنّه الفحل من الابل، قال: هلمّي إليّ بالسّيف، ثم إنّه اتّزر بمئزر واتّشح بإزار، وجعل السّيف تحت الإزار مع بطنه، وقال: افتحي لي الباب ففي هذه السّاعة أقتل لك عليّاً، فقامت فرحة مسرورة وقبّلت صدره، وبقي يقبّلها ويترشّفها ساعة، ثم راودها عن نفسها فقالت له: هذا عليٌّ أقبل إلى الجامع وأذّن، فقم إليه فاقتله ثمَّ عد إليّ فها أنا منتظرة رجوعك، فخرج من الباب وهي خلفه تحرّضه بهذه الأبيات:

أقــول إذا مـا حـيّة أعـيت الرقـا ... وكان ذعاف الموت مـنه شـرابـها

رسسنا إليها في الظلام ابن ملجم ... همام إذا مـا الحـرب شبّ لهـابها

فخذها عليٌّ! فـوق رأسك ضـربة ... بكفّ سعيد سوف يـلقى ثـوابـها

قال الراوي: فالتفت إليها وقال لها: أفسدت والله الشعر في هذا البـيت الآخـر، قالت: ولم ذاك؟ قال لها هلّا قلت: «بكفّ شقيّ سوف يلقى عقابها».

أما الخبر الصحيح

أنّه بات في المسجد ومعه رجلان: أحدهما شبيب بن بحيرة والآخر وردان بن مجالد، يساعدانه على قتل عليّ عليه السلام، فلمّا أذّن عليه السلام ونزل من المئذنة وجعل يسبّح الله ويقدّسه ويكبّره ويكثر من الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، قال الرّاوي: وكان من كرم أخلاقه عليه السلام أنّه يتفقّد النائمين في المسجد ويقول للنائم: الصلاة يرحمك الله الصلاة، قم إلى الصلاة المكتوبة عليك، ثمَّ يـتلو عليه السلام: ﴿**إنّ الصـلاة تـنهى عـن الفـحشاء**

والمنكر﴾[1] ففعل ذلك كما كان يفعله على مجاري عادته مع النائمين في المسجد، حتى إذا بلغ إلى الملعون فرآه نائماً على وجهه قال له: يا هذا قم من نومك هذا فإنّها نومة يمقتها الله، وهي نومة الشيطان ونومة أهل النّار، بل نم على يمينك فإنّها نومة العلماء أو على يسارك فإنّها نومة الحكماء، ولا تم على ظهرك فإنّها نومة الأنبياء.

قال: فتحرّك الملعون كأنّه يريد أن يقوم وهو من مكانه لا يبرح فقال له أمير المؤمنينعليه السلام: لقد هممت بشيء تكاد السماوات يتفطّرن منه وتنشقّ الأرض وتخرّ الجبال هدّا، ولو شئت لأنبئتك بما تحت ثيابك، ثمّ تركه وعدل عنه إلى محرابه، وقام قائماً يصلّي، وكانعليه السلام يطيل الركوع والسجود في الصلاة كعادته في الفرائض والنّوافل حاضراً قلبه، فلمّا أحسّ به فنهض الملعون مسرعاً وأقبل يمشي حتّى وقف بإزاء الأسطوانة الّتي كان الإمامعليه السلام يصلّي عليها، فأمهله حتّى صلى الرّكعة الأوّلى وركع وسجد السجدة الأوّلى منها ورفع رأسه، فعند ذلك أخذ السّيف وهزّه، ثمّ ضربه على رأسه المكرّم الشريف، فوقعت الضربة على الضربة التيّ ضربه عمرو بن عبد ودّ العامريّ، ثمّ أخذت الضربة إلى مفرق رأسه إلى موضع السجود، فلمّا أحسّ الإمام بالضرب لم يتأوّه وصبر واحتسب، ووقع على وجهه وليس عنده أحد قائلاً: (فزت ورب الكعبة) بسم الله وبالله وعلى ملّة رسول الله، رحم الله من نادى واماماه واعلياه وامظلوماه ثمّ صاحعليه السلام وقال: قتلني ابن ملجم قتلني اللّعين ابن اليهوديّة وربّ الكعبة، أيّها النّاس لا يفوتنّكم ابن ملجم.

وسار السمّ في رأسه وبدنه وثار جميع من في المسجد في طلب الملعون، وماجوا بالسّلاح فما كنت أرى إلّا صفق الأيدي على الهامات علّو الصرخات، وكان ابن ملجم ضربه ضربة خائفاً مرعوباً، ثمّ ولّى هارباً وخرج من المسجد، وأحاط النّاس بأمير المؤمنينعليه السلام وهو في محرابه يشدّ الضربة ويأخذ التراب

(١) العنكبوت: ٤٥.

ويضعه عليها، ثمّ تلا قوله تعالى: ﴿**منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى**﴾[١]، ثم قال عليه السلام: جاء أمر الله وصدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثمَّ أنّه لمّا ضربه الملعون ارتجّت الأرض وماجت البحار والسّماوات، واصطفقت أبواب الجامع، قال: وضربه اللّعين شبيب بن بجرة فأخطأه ووقعت الضّربة في الطاق.

قال الراوي: فلمّا سمع النّاس الضجّة ثار إليه كلّ من كان في المسجد، وصاروا يدورون ولا يدرون أين يذهبون من شدَّة الصدمة والدهشة، ثمَّ أحاطوا بأمير المؤمنين عليه السلام وهو يشدّ رأسه بمئزره، والدم يجري على وجهه ولحيته، وقد خضبت بدمائه وهو يقول: هذا ما وعد الله ورسوله وصدق الله ورسوله

ألا من هد ركن المسلمينا ... ومن أردى أمير المؤمنينا

ومن أدمى أبا حسن علياً ... فخضب ويحه منه الجبينا

فكم قرت لمقتله عيون ... فلا قرت عيون الشامتينا

وكم قذيت عيون فيه ويل ... لمن أقذى به تلك العيونا

فللحسن الزكي عليه نوح ... ويتبعه الحسين له انينا

وأضحت زينب تبكي عليه ... وتتبع نعشه السامي حنينا

ألا يا حاملين النعش مهلاً ... أراكم قد سريتم في أبينا

حملتم فيه للإسلام طوداً ... ومطعانا وقرآناً مبينا

فمن للوافدين إذا أناخوا ... ومن يحمي ثغور المسلمينا

قال الراوي: فاصطفت أبواب الجامع، وضجّت الملائكة في السماء بالدعاء، وهبّت ريح عاصف سوداء مظلمة، ونادى جبرائيل عليه السلام بين السماء والأرض بصوت يسمع كلّ مستيقظ:

---

(١) طه: ٥٥.

«تهدّمت والله أركان الهدى، وانطمست والله نجوم السماء وأعلام التّقى، وانفصمت والله العروة الوثقى، قتل ابن عمٍّ محمّد المصطفى، قتل الوصيّ المجتبى، قتل عليّ المرتضى، قتل والله سيّد الأوصياء، قتله أشقى الأشقياء».

فإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم.

وصول الخبر إلى بيت الإمام عليه السلام

فلمّا سمعت أمّ كلثوم نعي جبرائيل لطمت على وجهها وخدّها وشقّت جيبها وصاحت: وا أبتاه واعليّاه وا محمّداه واسيّداه، ثمّ أقبلت إلى أخويها الحسن والحسين عليهما السلام فأيقظتهما وقالت لهما: لقد قتل أبوكما: فقاما يبكيان، فقال لها الحسن عليه السلام: يا أختاه كفّي عن البكاء حتى نعرف صحّة الخبر كيلا تشمت الأعداء فخرجا فإذا النّاس ينوحون وينادون: وا إماماه وا أمير المؤمنيناه، قتل والله إمام عابد مجاهد لم يسجد لصنم، كان أشبه النّاس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلمّا سمع الحسن والحسين عليهما السلام صرخات النّاس ناديا: وا أبتاه وا عليّاه ليت الموت أعدمنا الحياة، فلمّا وصلا الجامع ودخلا وجدا ابا جعدة بن هبيرة ومعه جماعة من النّاس، وهم يجتهدون أن يقيموا الإمام في المحراب ليصلّي بالنّاس، فلم يطق على النّهوض وتأخّر عن الصفّ وتقدّم الحسن عليه السلام فصلّى بالنّاس وأمير المؤمنين عليه السلام يصلّي إيماءً من جلوس، وهو يمسح الدم عن وجهه وكريمه الشريف، يميل تارة ويسكن أخرى، والحسن عليه السلام ينادي: وا انقطاع ظهراه يعزُّ والله عليَّ أن أراك هكذا، فـفتح عينه وقال عليه السلام: يا بنيّ لا جزع على أبيك بعد اليوم، هذا جدّك محمّد المصطفى وجدّتك خديجة الكبرى وأمّك فاطمة الزّهراء عليها السلام والحور العين محدقون منتظرون قدوم أبيك، فطب نفساً وقرّ عيناً وكفّ عن البكاء، فإنّ الملائكة قد ارتفعت أصواتهم إلى السماء.

وكأن لسان حال الإمام الحسن عليه السلام:

شهر الصيام به الإسلام قد فجعا وفي رزيته قلب الهدى انَصَدعا
شهر الصيام بكت عين السماء دماً فيه وجبريل ما بين السماء نعا
اليوم في سيف أشقى العالمين هوى شخص الوصيّ وفي محرابه صُرعا
اليوم في قتله الهادي وفاطمةٌ ماتا وعَلياً نزارٍ سُوُرها انصدعا
اليوم مات الهدى والدين منهدمٌ وفي ثياب الاسى قد باتَ مُدّرعَا
اليوم فالتسكب الأيتام عَبَرتها ولتترك الصبر لكن تصحب الجزعا
سعت بقتل وصي المصطفى فئةٌ على قلوبهم الشيطان قد طبعا
قد غادروا شمل دين الله مفترقاً ويزعمون بقتل المرتضى جمعا
هذا إبن ملجم قد أردى أبا الحسن أهل درى اليوم من أردى ومن صرعا
سيف أُصيب به رأس الوصي لقد أصاب قلب الهدى والعلم والورعا

القبض على قاتل الإمام عليه السلام

قال: ثمّ إنّ الخبر شاع في جوانب الكوفة وانحشر الناس حتّى المخدّرات خرجن من خدرهنّ إلى الجامع ينظرن إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فدخل النّاس الجامع فوجدوا الحسن ورأس أبيه في حجره، وقد غسل الدم عنه وشدّ الضربة وهي بعدها تشخب دماً، ووجهه قد زاد بياضاً بصفرة، وهو يرمق السماء بطرفه ولسانه يسبّح الله ويوحده وهو يقول: «أسألك يا رب الرفيع الأعلى» فأخذ الحسن عليه السلام برأسه في حجره فوجده مغشياً عليه، فعندها بكى بكاءً شديداً وجعل يقبّل وجه أبيه وما بين عينيه وموضع سجوده، فسقط من دموعه قطرات على وجهه أمير المؤمنين عليه السلام، ففتح عينيه فرآها باكياً، فقال له: يا بنيّ يا حسن ما هذا البكاء؟

يا بنيّ لا روع على أبـيك بـعد اليـوم، هـذا جـدّك مـحمّد المـصطفى وخـديجة وفاطمةعليهما السلام والحور العين محدقون منتظرون قدوم أبيك، فـطب نـفساً وقـرّعيناً وأكفف عن البكاء فإن الملائكة قد ارتفعت أصواتهم إلى السماء، يا بني أتجزع على أبيك وغداً تقتل بعدي مسموماً مظلوماً؟ ويقتل أخوك بـالسيف هكـذا، وتـلحقان بجدّكما وأبيكما وأمّكما، فقال له الحسنعليه السلام: يا أبتاه ما تعّرفنا من قتلك ومن فعل بك هذا؟ قال: قتلني ابن اليهوديّة عبدالرحمن بن ملجم المراديّ، فقال: يا أباه من أي طريق مضى؟ قال: لا يمضي أحد في طلبه فإنّه سيطلع عليكم من هـذا البـاب ـ وأشار بيده الشريفة إلى باب كندة، قال: ولم يزل السم يسري في رأسه وبدنه، ثم أغمي عليه ساعة والناس ينتظرون قدوم الملعون من باب كندة، فـاشتغل النـاس بالنّظر إلى الباب، ويرتقبون قدوم الملعون، وقد غصّ المسجد بالعالم ما بين بـاك ومحزون، فما كان إلّا ساعة وإذا بالصّيحة قد ارتفعت وزمرة من الناس وقد جاؤوا بعدوّ الله ابن ملجم مكتوفاً، وهذا يلعنه وهذا يضربه، قال: فوقع الناس بعضهم على بعض ينظرون إليه، فأقبلوا باللّعين مكتوفاً وهذا يلعنه وهذا يضربه، وهم يـنهشون لحمه بأسنانهم ويقولون له: يا عدوّ الله ما فعلت؟ أهلكت أمّة محمّدصلى الله عليه وآله وسلم وقتلت وقتلت خير الناس، وإنّه لصامت وبين يديه رجل يقال له حذيفة النخعي، بيده سيف مشهور، وهو يردّ الناس عن قتله، وهو يقول: هذا قـاتل الإمـام عـليّعليه السلام حـتّى أدخلوه المسجد.

قال الشعبيّ: كأنّي أنظر إليه وعيناه قد طارتا في أمّ رأسه كأنّهما قطعتا علق، وقد وقعت في وجهه ضربة قد هشمت وجهه وأنفه،والدم يسـيل عـلى لحـيته وعـلى صدره، وهو ينظر يميناً وشمالاً وعيناه قد طارتا في أمّ رأسه، وهو أسـمر اللّـون حسن الوجه، وفي وجهه أثر السجود! وكان على رأسه شعر أسود منشوراً عـلى وجهه كأنّه الشيطان الرجيم، فلمّا حاذاني سمعته يترنّم بهذه الأبيات:

أقول لنفسي بعد ما كنت أنهاها	وقد كنت أسناها وكنت أكيدها
أيا نفس كفّي عن طلابك واصبري	ولا تطلبي همّاً عليك يبيدها
فما قبلت نصحي وقد كنت ناصحاً	كنصح ولود غاب عنها وليدها
فما طلبت إلّا عنائي وشقوتي	فياطول مكثي في الجحيم بعيدها

فلمّا جاؤوا به أوقفوه بين يدي أميرالمؤمنين عليه السلام، فلما نظر إليه الحسن عليه السلام قال له: يا ويلك يا لعين ياعدوّ الله أنت قاتل أمير المؤمنين ومثكلنا إمام المسلمين هذا جزاؤه منك حيث آواك وقرّبك وأدناك وآثرك على غيرك، وهل كان بئس الإمام لك حتّى جازيته هذا الجزاء يا شقيّ؟ قال: فلم يتكلّم بل دمعت عيناه! فانكب الحسن عليه السلام على أبيه يقبّله، وقال له: هذا قاتلك يا أباه قد أمكن الله منه، فلم يجبه وكان نائماً، فكره أن يوقظه من نومه، ثمّ التفت إلى ابن ملجم وقال له: يا عدوّ الله هذا كان جزاؤه منك بوأك وأدناك وقرّبك وحباك وفضلك على غيرك؟ هل كان بئس الإمام لك حتّى جازيته بهذا الجزاء يا شقيّ الأشقياء؟ فقال له الملعون: يا أبامحمّد أفأنت تنقذ من في النار؟ فعند ذلك ضجّت الناس بالبكاء والنحيب، فأمرهم الحسن عليه السلام بالسّكوت، ثمّ التفت الحسن عليه السلام إلى الّذي جاء به حذيفة رضي الله عنه، فقال له: كيف ظفرت بعدوّ الله وأين لقيته؟ فقال: يا مولاي إنّ حديثي معه لعجيب، وذلك أنّي كنت البارحة نائم في داري وزوجتي إلى جانبي وهي من غطفان، وأنا راقد وهي مستيقظة، إذ سمعت هي الزعقة وناعياً ينعي أمير المؤمنين عليه السلام وهو يقول:

«تهدمت والله أركان الهدى، وانطمست والله أعلام التقى، قتل ابن عمّ محمّد المصطفى، قتل عليّ المرتضى، قتله أشقى الأشقياء».

أيقظتني وقالت لي: أنت نائم وقد قتل إمامك عليّ بن أبي طالب عليه السلام؟ فانتبهت

من كلامها فزعاً مرعوباً وقلت لها: يا ويلك ما هذا الكلام رضّ الله فاك لعلّ الشيطان قد ألقى في سمعك هذا أو حلم ألقي عليك، يا ويلك إن أمير المؤمنين ليس لأحد من خلق الله تعالى قبله تبعة ولا ظلامة، وإنّه لليتيم كالأب الرحيم، وللأرملة كالزّوج العطوف، وبعد ذلك فمن ذا الّذي يقدر على قتل أمير المؤمنين وهو الأسد الضرغام والبطل الهمام والفارس القمقام؟

فأكثرت عليّ وقالت: إنّي سمعت ما لم تسمع وعلمت ما لم تعلم، فقلت لها: وما سمعت؟ فأخبرتني بالصوت قالة لي: سمعت ناعياً ينادي بأعلى صوته «تهدّمت والله أركان الهدى، وانطمست والله أعلام التقى، قتل ابن عمّ محمّد المصطفى، قتل عليّ المرتضى، قتله أشقى الأشقياء» ثم قالت: ما أظنّ بيتاً في الكوفة إلّا وقد دخله هذا الصوت، قال: فبينما أنا وهي في مراجعة الكلام وإذا بصيحة عظيمة وجلبة وضجّة عظيمة وقائل يقول: «قتل أميرالمؤمنين» فحسّ قلبي بالشرّ، فمددت يدي إلى سيفي وسللته من غمده وأخذته، ونزلت مسرعاً وفتحت باب داري وخرجت، فلمّا صرت في وسط الجادّة فنظرت يميناً وشمالاً وإذا بعدوّ الله يجول فيها يطلب مهرباً فلم يجد، وإذا قد انسدّت الطرقات في وجهه فلمّا نظرت إليه وهو كذلك رابني أمره، فناديته: يا ويلك من أنت؟ وما تريد لا أمّ لك في وسط هذا الدرب تمرّ وتجيء؟ فتسمّى بغير اسمه، وانتمى إلى غير كنيته فقلت له: من أين أقبلت؟ قال: من منزلي، قلت: وإلى أين تريد تمضي في هذا الوقت؟ قال: إلى الحيرة، فقلت: ولمَ لا تقعد حتّى تصلّي مع أمير المؤمنينعليه السلام صلاة الغداة وتمضي في حاجتك؟ فقال: أخشى أن أقعد للصلاة فتفوتني حاجتي فقلت: يا ويلك إنّي سمعت صيحة وقائلاً يقول: قتل أمير المؤمنينعليه السلام فهل عندك من ذلك خبر؟ قال: لا علم لي بذلك، فقلت له: ولمَ لا تمضي معي حتّى تحقّق الخبر وتمضي في حاجتك؟ فقال: أنا ماض في حاجتي وهي أهمّ من ذلك، فلمّا قال لي مثل ذلك القول قلت: يالكع الرجال حاجتك أحبّ إليك من التجسّس لأمير المؤمنينعليه السلام وإمام المسلمين؟ وإذا والله

يالكع ما لك عند الله من خلاق، وحملت عليه بسيفي وهممت أن أعلو بـه فـراغ عنّي، فبينما أنا أخاطبه وهو يخاطبني إذ هبّت ريح فكشفت إزاره، وإذا بسيفه يلمع تحت الإزار كأنّه مرآة مصقولة فلمّا رأيت بريقه تحت ثيابه قلت: يا ويلك ما هذا السيف المشهور تحت ثيابك؟ لعلك أنت قاتل أمير المؤمنين؟ فأراد أن يقول: «لا» فأنطلق الله لسانه بالحقّ فقال: «نعم» فرفعت سيفي وضربته، فرفع هو سيفه وهمّ أن يعلوني به: فانحرفت عنه فضربته على ساقيه، فأوقعته ووقع لحينه، ووقعت عـليه وصرخت صرخة شديدة وأردت آخذ سيفه فمانعني عـنه، فـخرج أهـل الحـيرة فأعانوني عليه حتّى أوثقته كتافاً وجئتك به، فها هو بين يديك، جعلني الله فـداك فاصنع ماشئت.

فقال الحسن عليه السلام: الحمد لله الذي نصر وليّه وخذل عدوّه، ثمّ انكبّ الحسن عليه السلام على أبيه يقبّله وقال له: يا أباه هذا عدوّ الله وعدوك قد أمكن الله منه، فلم يجبه وكان نائماً، فكره أن يوقظه من نومه، فرقد ساعة ثمَّ فتح عليه السلام عينيه وهو يقول: ارفقوا بي يا ملائكة ربّي فقال له الحسن عليه السلام: هذا عدوّ الله وعدوّك ابن ملجم قد أمكن الله منه وقد حضر بين يديك، قال: ففتح أمير المؤمنين عليه السلام عينيه ونظر إليه وهو مكـتوف وسيفه معلّق في عنقه، فقال له بضعف وانكسار صوت ورأفة ورحمة: يا هذا لقـد جئت عظيماً وارتكبت أمراً عظيماً وخطباً جسيماً أبـئس الإمـام كـنت لك حـتّى جازيتني بهذا الجزاء؟

ألم أكن شفيقاً عليك وآثرتك على غيرك وأحسنت إليك وزدت في إعطائك؟

ألم يكن يقال لي فيك كذا وكذا فخلّيت لك السبيل ومنحتك عطائي وقد كـنت أعلم أنّك قاتلي لا محالة؟

ولكن رجوت بذلك الاستظهار من الله تعالى عليك يا لكع وعلّ أن ترجع عـن غيّك، فغلبت عليك الشقاوة فقتلتني يا شقيّ الأشقياء، قال: فدمعت عينا ابن ملجم

لعنه الله تعالى وقال: يا أمير المؤمنين أفأنت تنقذ من في النار؟

قال له عليه السلام: صدقت، ثمّ التفت عليه السلام إلى ولده الحسن عليه السلام وقال له: ارفق يا ولدي بأسيرك وارحمه، وأحسن إليه وأشفق عليه، ألا ترى إلى عينيه قد طارتا في أمّ رأسه، وقلبه يرجف خوفاً ورعباً وفزعاً، فقال له الحسن عليه السلام: يا أباه قد قتلك هذا اللّعين الفاجر وأفجعنا فيك وأنت تأمرنا بالرّفق به؟!

فقال له عليه السلام: نعم يا بنيّ نحن أهل بيت لا نزداد على الذنب إلينا إلّا كرماً وعفواً، والرحمة والشفقة من شيمتنا لا من شيمته، بحقّي عليك فأطعمه يا بنيّ ممّا تأكله، واسقه مما تشرب، ولا تقيّد له قدماً، ولا تغلّ له يداً، فإنّ أنا مت فاقتصّ منه بأن تقتله وتضربه ضربة واحدة وتحرقه بالنّار، ولا تمثّل بالرّجل فإنّي سمعت جدّك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إيّاكم والمثلة ولو بالكلب العقور، وإن أنا عشت فأنا أولى بالعفو، وأنا أعلم بما أفعل به، فإن عفوت فنحن أهل بيت لا نزداد على المذنب إلينا إلّا عفواً وكرماً.

قال مخنف بن حنيف: إنّي والله ليلة تسع عشرة في الجامع في رجال نصلّي قريباً من السدّة الّتي يدخل منها أمير المؤمنين عليه السلام فبينا نحن نصلّي إذ دخل أمير المؤمنين عليه السلام من السدّة وهو ينادي: الصلاة، ثم صعد المئذنة فأذّن، ثم نزل فعبر على قوم نيّام في المسجد فناداهم: الصلاة، ثمّ قصد المحراب، فما أدري دخل في الصلاة أم لا إذ سمعت قائلاً يقول: الحكم لله لا لك يا عليّ، قال: فسمعت عند ذلك أمير المؤمنين عليه السلام يقول: لا يفوتنّكم الرّجل، قال: فشدّ النّاس عليه وأنا معهم، وإذ هو وردان بن مجالد، وأمّا ابن ملجم لعنه الله فإنّه هرب من ساعته ودخل الكوفة ورأينا أمير المؤمنين عليه السلام مجروحاً في رأسه.

قال محمّد بن الحنفيّة: ثمّ إنّ أبي عليه السلام قال: احملوني إلى موضع مصلّاي في منزلي، قال: فحملناه إليه وهو مدنف والناس حوله، وهم في أمر عظيم باكين محزونين. قد أشرفوا على الهلاك من شدّة البكاء والنحيب، ثمّ التفت إليه

الحسين عليه السلام وهو يبكي. فقال له: يا أبتاه من لنا بعدك؟ لا كيومك إلّا يوم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أجلك تعلّمت البكاء، يعزّ والله عليَّ أن أراك هكذا. فناداه عليه السلام فقال: يا حسين يا أبا عبدالله ادن منّي، فدنا منه وقد قرحت أجفان عينيه من البكاء، فمسح الدموع من عينيه ووضع يده على قلبه وقال له: يا بنيّ ربط الله قلبك بالصبر، وأجزل لك ولأخوتك عظيم الأجر، فسكّن روعتك واهدأ من بكائك، فإنّ الله قد آجرك على عظيم مصابك، ثمّ أدخل عليه السلام إلى حجرته وجلس في محرابه.

قال الراوي: وأقبلت زينب وأمّ كلثوم عليهما السلام حتّى جلستا معه على فراشه، وأقبلتا تندبانه وتقولان: يا أبتاه من للصّغير حتّى يكبر؟

ومن للكبير بين الملأ؟ يا أبتاه حزننا عليك طويل، وعبرتنا لا ترقأ، قال: فضجّ النّاس من وراء الحجرة بالبكاء والنّحيب، وفاضت دموع أمير المؤمنين عليه السلام عند ذلك، وجعل يقلّب طرفه وينظر إلى أهل بيته وأولاده، ثمّ دعا الحسن والحسين عليهما السلام وجعل يحضّنهما ويقبّلهما، ثمّ أغمي عليه ساعة طويلة وأفاق، وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يغمى عليه ساعة طويلة ويفيق أخرى، لأنّه صلى الله عليه وآله وسلم كان مسموماً، فلمّا أفاق ناوله الحسن عليه السلام قعباً من لبن، فشرب منه قليلاً ثم نحّاه عن فيه وقال: احملوه إلى أسيركم، ثمّ قال للحسن عليه السلام: بحقّي عليك يا بنيّ إلّا ما طيّبتم مطعمه ومشربه، وارفقوا به إلى حين موتي، وتطعمه ممّا تأكل وتسقيه ممّا تشرب حتّى تكون أكرم منه، فعند ذلك حملوا إليه اللّبن وأخبروه بما قال أمير المؤمنين عليه السلام في حقّه، فأخذ اللّعين وشربه.

قال: ولمّا حمل أمير المؤمنين عليه السلام إلى منزله جاؤوا باللّعين مكتوفاً إلى بيت من بيوت القصر فحبسوه فيه، فقالت له أمّ كلثوم وهي تبكي: يا ويلك أمّا أبي فإنّه لا بأس عليه، وإنّ الله مخزيك في الدّنيا والآخرة، وإنّ مصيرك إلى النّار خالداً فيها، فقال لها ابن ملجم لعنه الله: أبكي إن كنت باكية فوالله لقد اشتريت سيفي هذا بألف وسممته بألف، ولو كانت ضربتي هذه لجميع أهل الكوفة ما نجا منهم أحد.

أحداث ليلة العشرين من شهر رمضان

لم أنســهُ إذ قــام فــي مـحرابـه وسـواهُ فـي طـيف الكـرى يـتمتعُ
فــانسلّ يسـتلُّ ابـنُ مـلجم سـيفهُ مُــــتخفّياً واللـــيلُ داج أســـفعُ
وعليه مُـذ رفـع الصـفيح كـادَ مـن جــزع يــخرُّ لهُ الصــفيحُ الأرفـعُ
وتــقحم النـــهج الوســيع ورجـله بالرعب تعثر حـيث ضـاق المـفرعُ
والمُسـلمون تـزاحـموا فـي أخـذه وعليه قد سلُّوا السُـيوف وأشـرعوا
ونــعاهُ جــبريلُ ونــادى بــالسما وعـــليه كــادت بــالندا تــتقطّعُ
الـيوم أركـانُ الهـدى قـد هُـدمت الـيــوم شــملُ المســلمين مـوزَّعُ
اليوم قد قُـتل ابـنُ عـمَّ المـصطفى الـيــوم قــد قُـتِلَ الوصـيّ الأنـزعُ
لم أنسَ زينبَ مُـذ رأتـهُ وجسـمهُ مـن فـيض مـفرقه الشـريف مـلفّعُ
فــغدَت تــخضّبُ شـعرها بـدمائه وعــليه تَــبكي بـالدموع وتـجزعُ

قال محمّد بن الحنفية رضي الله عنه: وبتنا ليلة العشرين من شهر رمـضان مـع أبي عليه السلام وقد نزل السمّ إلى قدميه، وكان يصلّي تلك اللّيلة من جـلوس، ولم يـزل يوصينا بوصاياه ويعزّينا عن نفسه ويخبرنا بأمره وتبيانه إلى حين طلوع الفجر، فلمّا أصبح استأذن النّاس عليه، فإذن لهم بالدّخول، فدخلوا عليه وأقبلوا يسلّمون عليه، وهو يردُّ عليهم السلام.

ثمّ قال عليه السلام: أيّها النّاس اسألوني قبل أن تفقدوني وخـفّفوا سـؤالكـم لمـصيبة إمامكم، قال فبكى النّاس عند ذلك بكاءً شديداً، وأشفقوا أن يسألوه تخفيفاً عـنه، فقام إليه حجر بن عدّي الطائي وقال:

فيا أسفي على المولى التقيّ — أبو الأطهار حيدرة الزكيّ
قتله كافر حنث زنيم — لعين فاسق نغل شقيّ
فليلعن ربّنا من حاد عنكم — ويبرء منكم لعناً وبيّ
لأنّكم بيوم الحشر ذخري — وأنتم عترة الهادي النبيّ

فلمّا بصر به وسمع شعره قال له عليه السلام: كيف لي بك إذا دعيت إلى البراءة منّي، فما عساك أن تقول؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين لو قطعت بالسّيف إرباً إرباً وأضرم لي النار وألقيت فيها لآثرت ذلك على البراءة منك، فقال عليه السلام: وفّقت لكلّ خير يا حجر، جزاك الله خيراً عن أهل بيت نبيّك. ثمّ قال عليه السلام: هل من شربة من لبن؟

فأتوه بلبن في قعب، فأخذه وشربه كلّه، فذكر الملعون ابن ملجم وأنّه لم يخلّف له شيئاً، فقال عليه السلام: «وكان أمر الله قدراً مقدوراً» أعلموا أنّي شربت الجميع ولم أبق لأسيركم شيئاً من هذا، ألا وإنّه آخر رزقي من الدّنيا، فبالله عليك يا بنيّ إلّا ما أسقيته مثل ما شربت، فحمل إليه ذلك فشربه.

عيادة الإمام عليه السلام

عن الأصبغ بن نباتة قال: لمّا ضرب ابن ملجم لعنه الله أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام عدونا نفر من أصحابنا أنا والحارث وسويد بن غفلة وجماعة معنا، فقعدنا على الباب، فسمعنا البكاء فبكينا، فخرج إلينا الحسن بن عليّ عليه السلام فقال: يقول لكم أمير المؤمنين عليه السلام: انصرفوا إلى منازلكم فأنصرف القوم غيري، فاشتد البكاء من منزله فبكيت، وخرج الحسن عليه السلام وقال: ألم أقل لكم: انصرفوا؟ فقلت: لا والله يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يتابعني نفسي ولا يحملني رجلي إنصرف حتّى أرى أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله وسلم قال: فبكيت، ودخل فلم يلبث أن خرج فقال لي: ادخل،

فدخلت على أمير المؤمنينعليه السلام فإذا هو مستند معصوب الرأس بعمامة صفراء قد نزف واصفرّ وجهه ما أدري وجهه اصفر أو العمامة فأكببت عليه فقبّلته وبكـيت، فقال لي: لا تبك يا أصبغ فإنّها والله الجنّة، فقلت له: جعلت فداك إنّي أعلم والله أنّك تصير إلى الجنّة، وإنّما أبكي لفقداني إيّاك يا أمير المؤمنين جعلت فـداك حـدّثني بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنّي أراك لا أسمع منك حديثاً بعد يومي هذا أبداً، قال:

نعم يا أصبغ دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً فقال لي: يا عليّ انطلق حتّى تأتي مسجدي ثمَّ تصعد منبري، ثمَّ تدعو الناس إليك فـتحمد الله تـعالى وتـثني عـليه وتصلّي عليّ صلاة كثيرة، ثمَّ تقول: أيّها الناس إنّي رسول رسول الله إليكم، وهـو يقول لكم: إنَّ لعنة الله ولعنة ملائكته المقرّبين وأنبيائه المرسلين ولعنتي على مـن انتمى إلى غير أبـيه، أو أدّعـى إلى غـير مـواليـه أو ظـلم أجـيراً أجـره، فأتـيت مسجده صلى الله عليه وآله وسلم وصعدت منبره، فلمّا رأتني قريش ومن كان فـي المسـجد أقـبلوا نحوي، فحمدت الله وأثنيت عليه وصلّيت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلاة كثيرة ثـمَّ قلت: أيّها الناس إنّي رسول رسول الله إليكم، وهو يقول لكم: ألا إنَّ لعنة الله ولعنة ملائكته المقرّبين وأنبيائه المرسلين ولعنتي إلى من انتمي إلى غير أبيه أو ادّعي إلى غير مواليه أو ظلم أجيراً، قال: فلم يتكلّم أحد من القوم إلّا عمر بن الخطّاب، فإنّه قال: قد أبلغت يا أبا الحسن ولكنّك جئت بكلام غير مفسّر، فقلت: أُبلّغ ذلك رسول الله، فرجعت إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرته الخبر، فقال: ارجع إلى مسجدي حتّى تصعد منبري، فاحمد الله وأثن عليه وصلّ عليّ ثمَّ قال: أيّها الناس ما كنّا لنجيئكم بشيء إلّا وعندنا تأويله وتفسيره، ألا وإنّي أنا أبوكم، ألا وإنّي أنا مولاكم، ألا وإنّي أنـا أجيركم.

وروي أن حبيب بن عمر قال: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام ليلة العشرين من شهر رمضان بعد أن عممه ابنُ ملجم بالسيف، فرأيت عندهُ الأشراف من أهل الكوفة ووجوه القبائل وشرطة الخميس، هذا وقد نَزف دمه واصفَّر لونُهُ، ورأيتُ أولادهُ وقد أحدقوا به وهم يتململون تململ السليم، فما تنفس أحدٌ منهم إلّا وظننت أنّ شظايا قلبه تخرج مع نفسه، وكل ساكت لا يتكلّم رأفة بأمير المؤمنين عليه السلام وقد جمعوا له الأطبّاء ومن جملتهم السلولي، فأخذ عرقاً من رئة شاة حارةٍ فأدخله في الجرح ثم نفخ فيه ثم اجتذبه وقد تكّلت عليه من دماغ أمير المؤمنين عليه السلام فقيل له كيف جرحُ أمير المؤمنين عليه السلام، فأخرسَّ وتلجلجَ وأطرق برأسه إلى الأرض، عند ذلك يئس الناسُ من أمير المؤمنين وراحوا ينشجون نشيجاً خفياً مخافة أن تهيج النساءُ.

فلمّا خرج الطبيب وبعض من حضر من الأباعد أقبلت مولاتي زينب عليها السلام، لتطمئن على حالة أبيها، فرأته بتلك الحالة التي أدخلت الحزن والألم على قلوب شيعته.

لهفي على خفرات الوحي حين بدت	تدعوا بقلب حليف الوجد مُستعر
لم أنس زينب تدعوا وهي حاسرة	حلَّ الذُبولُ بغض للندى نضر
لم أنس زينب مذ رأته وجسمُهُ	من فيض مفرقه الشَّريف مُلفعُ
فغدت تُخضب شعرها بدمائه	وعليه تذرف دمعها وتفجَّعُ

❊ ❊ ❊

أحداث ليلة الحادي والعشرين من شهر رمضان

امجير أهل الود يوم المحشر ومروي الوراد عذب الكوثر
ورقيب أفعال العباد إذا بدت بين الشهود وهول ذاك المنظر
قد حزت قدراً لا ينال بمدحة حتى استطلت أيا شريف العنصر
بالله كم عميت عيون عنك قد رأت الفضائل والنبيّ بمحضر
أو لم تكن تدري بأنّ إمامها ابنُ الأشاوس والبطون الطهر
لكنها سنن الوجود تنكرت لك جهرة في كلّ ناد منكر
بالله كيف سقت كريمتك الظبى حتف المنون أيا عظيم المفخر
لله يوم فيه آل محمّد فقدوا المنيع فيا قلوب تفطري
لله يوم قد أصيب به الهدى فنعاه جبريل بصوت مكبر
قد هدمت والله أركان الهدى وتفصمت منه عراه بحيدر
مذ غاله سيف الشقي بضربة من فوق مفرقه الشريف الأنور
فعلى أبي الأطهار فلتبك السما جرحاً أسيل بجرم باغ مفتر
ولتندب الأيتام فقد كفيلها بعد الذي فجعت به بتحسري
ولنتخذ قبب المآتم بعده أسفاً فذا كسر بنا لم يجبر

الوصية الأخيرة

قال محمّد بن الحنفيّة رضي الله عنه: لمّا كانت ليلة إحدى وعشرين وأظلم اللّيل جمع أبي أولاده وأهل بيته وودّعهم، ثمّ قال لهم عليه السلام: الله خليفتي عليكم وهو حسبي ونعم الوكيل، وأوصاهم الجميع منهم بلزوم الإيمان والأديان والأحكام التي

أوصاه بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمن ذلك ما نقل عنه عليه السلام أنه أوصى به الحسن والحسين عليهما السلام لمّا ضربه الملعون ابن ملجم وهي هذه.

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أوصى به عليّ بن أبي طالب أوصى أنّه يشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون، صلّى الله عليه وآله، ثمّ إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله ربّ العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين.

ثمّ إنّي أوصيك يا حسن وجميع أهل بيتي وولدي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ربّكم، ولا تموتّن إلّا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامّة الصلاة والصيام وإنّ المبيرة الحالقة للدّين فساد ذات البين، ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم، انظروا ذوي أرحامكم فصلوهم يهوّن الله عليكم الحساب.

الله الله في الأيتام، فلا تغبوا أفواههم، ولا يضيّعوا بحضرتكم، فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من عال يتيماً حتّى يستغني أوجب الله عزّوجلّ له بذلك الجنّة، كما أوجب الله لآكل مال اليتيم النار».

الله الله في القرآن، فلا يسبقكم إلى العمل به أحد غيركم.

الله الله في جيرانكم، فإنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أوصى بهم، وما زال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوصي بهم حتّى ظننّا أنّه سيورّثهم.

الله الله في بيت ربّكم، فلا يخلو منكم ما بقيتم، فإنّه إن ترك لم تناظروا وأدنى ما

يرجع به من أمّة أن يغفر له ما سلف.

الله الله في الصلاة فإنّها خير العمل وإنّها عمود دينكم.

الله الله في الزكاة فإنّها تطفىء غضب ربّكم.

الله الله في شهر رمضان فإنّ صيامه جنّة من النار.

الله الله في الفقراء والمساكين فشاركوهم في معائشكم.

الله لله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم، فإنّما يجاهد رجلان: إمام هدىً أو مطيع له مقتد بهداه .

الله الله في ذرّيّة نبيّكم فلا يظلمنّ بحضرتكم وبين ظهرانيّكم وأنتم تقدرون على الدفع عنهم.

الله الله في أصحاب نبيّكم الّذين لم يحدثوا حدثاً ولم يؤوا محدثاً، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوصى بهم ولعن المحدث منهم ومن غيرهم والمؤوي للمحدث.

الله الله في النساء وفيما ملكت أيمانكم، فإنّ آخر ما تكلّم به نبيّكم صلى الله عليه وآله وسلم أن قال: «أوصيّكم بالضّعيفين: النساءوما ملكت أيمانكم».

الصلاة الصلاة، لا تخافوا في الله لومة لائم، يكفيكم الله من آذاكم و [من] بغى عليكم، قولوا للنّاس حسناً كما أمركم الله عزّوجلّ، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولّي الله عليكم شراركم، ثمّ تدعون فلا يستجاب لكم عليهم، وعليكم يا بني بالتّواصل والتباذل والتبارّ، وإيّاكم والتقاطع والتدابر والتفرُّق، وتعاونوا على البرّ والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتّقوا الله إنّ الله شديد العقاب، حفظكم الله من أهل بيت وحفظ نبيّكم أستودعكم وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله.

وروى الشيخ المفيد وصية أخرى بهذا النص

هذا ما أوصى به عليّ بن أبي طالب أخو محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابن عمّه وصاحبه أوّل وصيتّي أنّي أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسوله وخيرته، اختاره بعلمه وارتضاه لخيرته، وأن الله باعث من في القبور، وسائل الناس عن أعمالهم، عالم بما في الصدور، ثمَّ إنّي أوصيك يا حسن ـ وكفى بك وصيّاً ـ بما أوصاني به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإذا كان ذلك يا بنيّ ألزم بيتك، وأبك على خطيئتك، ولا تكن الدنيا أكبر همّك، وأوصيك يا بنيّ بالصّلاة عند وقتها والزكاة في أهلها عند محلّها، والصمت عند الشبهة، والإقتصاد، والعدل في الرضى والغضب، وحسن الجوار، وإكرام الضيف، ورحمة المجهود وأصحاب البلاء، وصلة الرحم، وحبّ المساكين ومجالستهم والتواضع فإنّه من أفضل العبادة، وقصّر الأمل، وأذكر الموت، وازهد في الدنيا فإنّك رهين موت وغرض بلاء وطريح سقم، وأوصيك بخشية الله في سرّ أمرك وعلانيتك، وأنهاك عن التسرّع بالقول والفعل، وإذا عرض شيء من أمر الآخرة فابدأ به، وإذا عرض شيء من أمر الدنيا فتأنّه حتّى تصيب رشدك فيه، وإياك ومواطن التهمة والمجلس المظنون به السوء، فإنّ قرين السوء يغرّ جليسه، وكن لله يا بني عاملاً، وعن الخنى زجوراً، وبالمعروف آمراً، وعن المنكر ناهياً وواخ الأخوان في الله، وأحبّ الصالح لصلاحه، ودار الفاسق عن دينك وابغضه بقلبك، وزايله بأعمالك لئلّا تكون مثله، وإيّاك والجلوس في الطرقات، ودع الممارات ومجارات من لا عقل له ولا علم، واقتصد يا بنيّ في معيشتك، واقتصد في عبادتك وعليك فيها بالأمر الدائم الذيّ تطيقه، والزم الصمت تسلم، وقدّم لنفسك تغنم، وتعلّم الخير تعلم، وكن لله ذاكراً على كلّ حال، وارحم من أهلك الصغير، ووقّر منهم الكبير، ولا تأكلنَّ طعاماً حتّى تصدّق منه قبل أكله، وعليك بالصّوم فإنّه زكاة البدن وجنّة لأهله. وجاهد نفسك، واحذر جليسك، واجتنب عدوّك، وعليك بمجالس الذكر، وأكثر من

الدعاء فإنّي لم آلك يا بنيّ نصحاً وهذا فراق بيني وبينك، وأوصيك بأخيك محمّد خيراً، فإنّه شقيقك وابن أبيك وقد تعلم حبّي له، وأمّا أخوك الحسين فهو ابن أُمّك، ولا أريد الوصاة بذلك والله الخليفة عليكم، وإيّاه أسأل أن يصلحكم، وأن يكفّ الطغاة البغاة عنكم، والصبر الصبر حتّى ينزل الله الأمر، ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

تزايد ولوج السّم في جسد الإمام عليه السلام

قال محمّد بن الحنفيّة رحمه الله:

ثم تزايد ولوج السمّ في جسده الشريف، حتّى نظرنا إلى قدميه وقد احمرّتا جميعاً، فكبر ذلك علينا وأيسنا منه، ثمّ أصبح ثقيلاً، فدخل النّاس عليه، فأمرهم ونهاهم وأوصاهم، ثمّ عرضنا عليه المأكول والمشروب فأبى أن يشرب فنظرنا إلى شفتيه وهما يختلجان بذكر الله تعالى، وجعل جبينه يرشح عرقاً وهو يمسحه بيده قلت: يا أبت أراك تمسح جبينك فقال: يا بنيّ إنّي سمعت جدّك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إنّ المؤمن إذا نزل به الموت ودنت وفاته عرق جبينه وصار كاللؤلؤ الرطب وسكن أنينه، ثمّ قال: يا أبا عبدالله ويا عون، ثمّ نادى أولاده كلّهم بأسمائهم صغيراً وكبيراً واحداً بعد واحد، وجعل يودّعهم ويقول: الله خليفتي عليكم أستودعكم الله وهم يبكون، فقال له الحسن عليه السلام يا أبه ما دعاك إلى هذا؟ فقال له: يا بنيّ إنّي رأيت جدّك رسول صلى الله عليه وآله وسلم في منامي قبل هذه الكائنة بليلة، فشكوت إليه ما أنا فيه من التذلّل والأذى من هذه الأمّة، فقال لي: ادع عليهم، فقلت: اللّهمّ أبدلهم بي شرّاً منّي وأبدلني بهم خيراً منهم، فقال لي: قد استجاب الله دعاك، سينقلك إلينا بعد ثلاث، وقد مضت الثلاث، يا أبا محمّد أوصيك ـ ويا أبا عبدالله ـ خيراً، فأنتما منّي وأنا منكما، ثم التفت إلى أولاده الّذين من غير فاطمة عليها السلام وأوصاهم أن لا يخالفوا أولاد فاطمة يعني الحسن والحسين عليهما السلام.

ثمّ قال: أحسن الله لكم العزاء، ألا وإنّي منصرف عنكم، وراحل في ليلتي هذه، ولا حق بحبيبي محمّد صلى الله عليه وآله وسلم كما وعدني، فإذا أنا متُّ يا أبا محمّد فغسّلني وكفّني وحنّطني ببقيّة حنوط جدّك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كافور الجنّة جاء به جبرائيل عليه السلام إليه، ثمّ ضعني على سريري، ولا يتقدّم أحد منكم مقدّم السرير، واحملوا مؤخّره واتّبعوا مقدّمه، فأيّ موضع وضع المقدّم فضعوا المؤخّر، فحيث قام سريري فهو موضع قبري، ثمّ.

تقدم يا أبا محمّد وصلّ عليّ يا بني ياحسن وكبر عليّ سبعاً، واعلم أنّه لا يحلّ ذلك على أحد غيري إلاّ على رجل يخرج في آخر الزّمان اسمه القائم المهديّ، من ولد أخيك الحسين يقيم اعوجاج الحقّ، فإذا أنت صلّيت عليّ يا حسن فنحِّ السرّير عن موضعه، ثمّ اكشف التراب عنه فترى قبراً محفوراً ولحداً مثقوباً وساجة منقوبة، فأضجعني فيها، فإذا أردت الخروج من قبري فافتقدني فإنّك لا تجدني، وإنّي لاحق بجدّك، رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، واعلم يا بنيّ ما من نبيّ يموت وإن كان مدفوناً بالمشرق ويموت وصيّه بالمغرب إلاّ ويجمع الله عز وجل بين روحيهما وجسديهما، ثمّ يفترقان فيرجع واحد منهما إلى موضع قبره وإلى موضعه الّذي حطّ فيه، ثمّ اشرج اللّحد باللبن وأهل التراب عليّ ثمّ غيّب قبري، وكان غرضه عليه السلام بذلك لئلا يعلم بموضع قبره أحد من بني أميّة، فأنهم لو علموا بموضع قبره لحفروه وأخرجوه وأحرقوه كما فعلوا بزيد بن عليّ بن الحسين عليه السلام ثمّ يا بنيّ بعد ذلك إذا أصبح الصباح أخرجوا تابوتاً إلى ظهر الكوفة على ناقة، وأمر بمن يسيرها بما عليها كأنّها تريد المدينة، بحيث يخفى على العامة موضع قبري الّذي تضعني فيه، وكأنّي بكم وقد خرجت عليكم الفتن من ها هنا وها هنا فعليكم بالصبر فهو محمود العاقبة.

ثمّ قال: يا أبا محمّد ويا أبا عبد الله كأني بكما وقد خرجت عليكما من بعدي الفتن من ها هنا، فاصبرا حتّى يحكم الله وهو خير الحاكمين، ثمّ قال: يا أبا عبد الله أنت شهيد هذه الأُمة، فعليك بتقوى الله والصبر على بلائه».

لحظات الوداع

ثم أغمي عليه ساعة، وأفاق وقال: هذا رسول الله ﷺ وعمّي حمزة وأخي جعفر وأصحاب رسول الله ﷺ وكلهم يقولون: عجّل قدومك علينا فإنّا إليك مشتاقون، ثمَّ أدار عينيه في أهل بيته كلّهم وقال: أستودعكم الله جميعاً سدّدكم الله جميعاً حفظكم الله جميعاً، خليفتي عليكم الله وكفى بالله خليفة. ثمّ قال: وعليكم السّلام يا رسل ربّي، ثمّ قال: **﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾ ﴿إنّ الله مع الذين اتقوا والّذين هم محسنون﴾**، وعرق جبينه وهو يذكر الله كثيراً، وما زال يذكر الله كثيراً ويتشهّد الشهادتين، ثمَّ استقبل القبلة وغمض عينيه ومدَّ رجليه ويديه وقال: أشهد أن لا إلا إلاّ الله وحده لا شريك له وأشهد أنَّ محمّداً ﷺ عبده ورسوله، ثمَّ قضى نحبه عليه السلام، رحم الله من نادى وا اماماه وا سيداه واعلياه وامظلوماه وكانت وفاته في ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان، وكانت ليلة الجمعة سنة أربعين من الهجرة.

قال: فعند ذلك صرخت زينب بنت عليّ عليه السلام وأُمّ كلثوم وجميع نسائه، وقد شقّوا الجيوب ولطموا الخدود، وارتفعت الصيحة في القصر، فعلم أهل الكوفة أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام قد قبض، فأقبل النّساء والرّجال يهرعون أفواجاً أفواجا، وصاحوا صيحة عظيمة، فارتجّت الكوفة بأهلها وكثر البكاء والنحيب، وكثر الضجيج بالكوفة وقبائلها ودورها وجميع أقطارها، فكان ذلك كيوم مات فيه رسول الله ﷺ فلمّا أظلم اللّيل تغيّر أُفق السماء وارتجت الأرض وجميع من عليها بكوه وكنّا نسمع جلبة وتسبيحاً في الهواء، فعلمنا أنّها من أصوات الملائكة، فلم يزل كذلك إلى أن طلع الفجر، ثمَّ ارتفعت الأصوات وسمعنا هاتفاً بصوت يسمعه الحاضرون ولا يرون شخصه يقول:

بنفسي ومالي ثمَّ أهلي وأُسرتي — فداء لمن أضحى قتيل ابن ملجم

عليّ رقى فوق الخلائق في الوعى — فهدّت به أركان بيت المحرّم

عليّ أمير المؤمنين ومن بكت — لمقتله البطحا وأكناف زمزم

تجهيز وتشييع الامام عليه السلام

شهرُ الصيام بـه الإسلامُ قـد فـجعا — وفـي رزيـته قـلب الهـدى انـصدعا
شهرُ الصيام بكت عـين السـماء دمـا — فـيه وجـبريل مـا بـين السـماء نـعا
اليوم في سيف أشـقى العـالمين قـضى — شخص الوصي وفـي مـحرابـه صـرعا
اليـوم مـات الهـدى والديـن مـنهدم — وفـي ثـبأت الأسـى قـد بـات مـدرعا
اليـوم فـالتسكب الأيـتام عـبرتها — ولتترك الصـبر لكـن تـصحب الجـزعا
اليـوم فـي قـتله الهـادي وفـاطمة — مـاتا وعـليا نـزار سـورها انـصدعا
سـعت بـقتل وصـي المـصطفى فـئة — عـلى قـلوبهم الشـيطان قـد طـبعا
قـد غـادروا شـمل ديـن الله مـفترقاً — ويـزعمون بـقتل المـرتضى جـمعا
هـذا ابـن مـلجم قـد أردى أبـا حسـن — أهل درى اليوم من أردى ومـن صـرعا
مـا نـاله سـيف أشـقاها بـضربته — لكـنما صـنع المـقدور مـا صـنعا...
وكـيف بـالسيف مـا فـلت مـضاربه — ولا تسـاقط دون المـرتضى قـطعا
وسـيف أُصـيب بـه رأس الوصـي لقـد — أصاب قـلب الهـدى والعـلم والورعـا
مـا بـالها هـجعت عـن يـومه مـظرٌ — وبـعدهُ الديـن والإسـلام مـا هـجعا

قال محمّد بن الحنفيّة: ثمَّ أخذنا في جـهازه ليـلاً وكـان الحسـن عليه السلام يـغسله والحسين عليه السلام يصبّ الماء عليه، وكان عليه السلام لا يحتاج إلى من يقلّبه، بل كان يتقلب كما يريد الغاسل يميناً وشمالاً، وكانت رائحته أطيب من رائحة المسك والعنبر، ثمّ نادى الحسن عليه السلام بأُخته زينب وأُمّ كلثوم وقال: يا أُختاه هـلمّي بـحنوط جـدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فبادرت زينب مسرعة حتّى أتته به، قال الراوي: فـلمّا فـتحته فاحت الدار وجميع الكوفة وشوارعها لشدة رائحة ذلك الطيب، ثمَّ لفّـوه بـخمسة

أثواب كما أمرعليه السلام ثمَّ وضعوه على السرير، وتقدمّ الحسن والحسين عليهما السلام إلى السرير من مؤخّره وإذا مقدّمه قد ارتفع ولا يرى حامله، وكان حاملاه من مقدّمه جبرائيل وميكائيل، فما مرَّ بشيء على وجه الأرض إلاّ انحنى له ساجداً وخرج السرير من مايل باب كندة، فحملا مؤخّره وسارا يتّبعاه مقدّمه.

قال ابن الحنفية رضي الله عنه: والله لقد نضرت إلى السرير وإنَّه ليمرُّ بالحيطان والنخل فتنحني له خشوعاً، ومضى مستقيماً إلى النجف إلى موضع قبره الآن، قال: وضجت الكوفة بالبكاء والنحيب، وخرجن النساء يتبعنه لاطمات حاسرات، فمنعهم الحسن عليه السلام ونهاهم عن البكاء والعويل، وردهن إلى أماكنهنَّ والحسين عليه السلام يقول: لا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم إنّا لله وإنّا إليه راجعون يا أباه وا انقطاع ظهراه، من أجلك تعلّمت البكاء إلى الله المشتكى.

فلمّا انتهيا إلى قبره وإذا مقدَّم السرير قد وضع، فوضع الحسن عليه السلام مؤخّره ثمَّ قام الحسن عليه السلام، وصلىّ عليه والجماعة خلفه، فكبر سبعاً كما أمره به أبوه عليه السلام ثمَّ زحزحنا سريره وكشفنا التراب وإذا نحن بقبر محضور ولحد مشقوق وساجة منقورة مكتوب عليها: «هذا ما ادّخره له جدّه نوح النبي للعبد الصالح الطاهر المطهّر»، فلمَّا أرادوا نزوله سمعوا هاتفاً يقول: أنزلوه إلى التربة الطاهرة، فقد اشتاق الحبيب الى الحبيب، فدهش الناس عند ذلك واتحيروا، وأُلحد أمير المؤمنين عليه السلام قبل طلوع الفجر.

قال الراوي: لمَّا أُلحد أمير المؤمنين عليه السلام وقف صعصعة بن صوحان العبديّ رضي الله عنه على القبر، ووضع إحدى يديه على فؤاده والأخرى قد أخذ بها التراب ويضرب به رأسه، ثمَّ قال: بأبي أنت وأُمّي يا أمير المؤمين، ثمَّ قال: هنيئاً لك يا أبا الحسن، فلقد طاب مولدك، وقوي صبرك، وعظم جهادك، وظفرت برأيك، وربحت تجارتك، وقدمت على خالقك، فتلقّاك الله ببشارته، وحفّتك ملائكته، واستقررت في جوار

المصطفى، فأكرمك الله بجواره، ولحقت بدرجة أخيك المصطفى، وشربت بكأسه الأوفى، فاسأل الله أن يمنَّ علينا باقتفائنا أثرك والعمل بسيرتك، والموالاة لأوليائك، والمعاداة لأعدائك، وأن يحشرنا في زمرة أوليائك، فقد نلت ما لم ينله أحد، وأدركت ما لم يدركه أحد، وجاهدت في سبيل ربّك بين يدي أخيك المصطفى حقّ جهاده، وقمت بدين الله حق القيام، حتّى أقمت السنن، وأبرت الفتن واستقام الإسلام وانتظم الإيمان، فعليك منّي أفضل الصلاة والسلام، بك اشتدّ ظهر المؤمنين، واتّضحت أعلام السبل، وأُقمت السنن، وما جمع لأحد مناقبك وخصالك، سبقت إلى إجابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم مقدماً مؤثراً، وسارعت إلى نصرته، ووقيته بنفسك، ورميت سيفك ذا الفقار في مواطن الخوف والحذر، قصم الله بك (كلَّ جبّار عنيد، وذلَّ بك) كلَّ ذي بأس شديد وهدم بك حصون أهل الشرك والكفر والعدوان والردى، وقتل بك أهل الضلال من العدى، فهنيئاً لك يا أمير المؤمنين، كنت أقرب الناس من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرباً وأولهم سلما، وأكثرهم علماً وفهماً فهنيئاً لك يا أبا الحسن، لقد شرّف الله مقامك وكنت أقرب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نسباً، وأوّلهم إسلاماً، وأوفاهم يقيناً، وأشدهم قلباً، وأبذلهم لنفسه مجاهداً، وأعظمهم في الخير نصيباً، فلا حرّمنا الله أجرك ولا أذلّنا بعدك، فو الله لقد كانت حياتك مفاتح للخير ومغالق للشرّ، وإنّ يومك هذا مفتاح كلَّ شرّ ومغلاق كلّ خير، ولو أنَّ الناس قبلوا منك لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم، ولكنهم آثروا الدنيا على الآخرة.

ثم بكى بكاءً شديداً وأبكى كلّ من كان معه، وعدلوا إلى الحسن والحسين ومحمّد وجعفر والعبّاس ويحيى وعون وعبد الله عليهم السلام فعزّوهم في أبيهم صلوات الله عليه، وانصرف الناس، ورجع أولاد أمير المؤمنين عليه السلام وشيعتهم إلى الكوفة، ولم يشعر بهم أحد من الناس، فلمّا طلع الصباح وبزغت الشمس أخرجوا تابوتاً من دار أمير المومنين عليه السلام وأتوا به إلى المصلّى بظاهر الكوفة، ثمّ تقدّم الحسن عليه السلام وصلّى عليه، ورفعه على ناقة وسيّرها مع بعض العبيد.

الخضرعليه السلام أول من يزور الإمام عليّ بن أبي طالبعليه السلام

روى أسيد بن صفوان صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: لمّا كان اليوم الّذي قبض فيه أمير المؤمنينعليه السلام ارتجّ الموضع بالبكاء ودهش الناس كيوم قبض النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وجاء رجل باك وهو متسرّع مسترجع، وهو يقول: اليوم انقطعت خلافة النبوّة، حتّى، وقف على باب البيت الّذي فيه أمير المومنين صلّى الله عليه، فقال:

«رحمك الله يا أبا الحسن كنت أوّل القوم إسلاماً، وأخلصهم إيماناً، وأشدهم يقيناً، وأخوفهم لله عزّ وجلّ، وأعظمهم عناءً، وأحوطهم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وآمنهم على أصحابه، وأفضلهم مناقب، وأكرمهم سوابق، وأرفعهم درجة، وأقربهم من رسول الله وأشبههم به هدياً ونطقاً وسمتاً وفعلاً، وأشرفهم منزلة، وأكرمهم عليه، فجزاك الله عن الإسلام وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن المسلمين خيراً، قويت حين ضعفت أصحابه وبرزت حين استكانوا، ونهضت حين وهنوا، ولزمت منهاج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ همّ أصحابه، وكنت خليفته حقّاً، لم تنازع ولم تضرع بزعم المنافقين وغيظ الكافرين وكره الحاسدين وضغن الفاسقين، فقمت بالأمر حين فشلوا، ونطقت حين تتعتعوا، ومضيت بنور الله عزّ وجلّ حين وقفوا، ولو اتّبعوك لهدوا، وكنت أخفضهم صوتاً وأعلاهم فوتاً، وأقلّهم كلاماً، وأصوبهم منطقاً، وأكثرهم رأياً، وأشجعهم قلباً وأشدهم يقيناً، وأحسنهم عملاً، وأعرفهم بالأمور، كنت والله للدين يعسوباً، وكنت للمؤمنين أباً رحيماً، إذ صاروا عليك عيالاً فحملت أثقال ما عنه ضعفوا، وحفظت ما أضاعوا، ورعيت ما أهملوا، وعلوت إذ هلعوا، وصبرت إذ جزعوا، وأدركت إذ تخلفوا، نالوا بك ما لم يحتسبوا، وكنت على الكافرين عذاباً صبّاً، وللمؤمنين غيثاً وخصباً، فطرت والله بعنانها، وفزت بجنانها، وأحرزت سوابقها، وذهبت بفضائلها لم يفلل حدّك ولم يزغ قلبك، ولم تضعف بصيرتك، ولم

تجبن نفسك ولم تخن. وكنت كالجبل لا تحرّكه العواصف، ولا تزيله القواصف، وكنت ـ كما قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ضعيفاً في بدنك قوياً في أمر الله، متواضعاً في نفسك عظيماً عند الله عزّ وجلّ، كبيراً في الأرض جليلاً عند المؤمنين، لم يكن لأحد فيك مهمز ولا لقائل فيك مغمز ولا لأحد عندك هوادة القويّ العزيز عندك ضعيف ذليل حتّى تأخذ منه الحقّ، والبعيد والقريب عندك في ذلك سواء شأنك الحقّ والرفق والصدق وقولك حكم وحتم، وأمرك حلم وحزم ورأيك علم وعزم، فأقلعت وقد نهج السبيل وسهل العسير وأطفأت النار واعتدل بك الدين، وقوي بك الإيمان وثبت بك الإسلام والمؤمنون، وسبقت سبقاً بعيداً، وأتعبت من بعدك تعباً شديداً، فجللت عن البكاء؛ وعظمت رزيّتك في السماء وهدّت مصيبتك الأنام، فإنا لله وإنّا إليه راجعون رضينا عن الله قضاءه، وسلّمنا لله أمره، فوالله لن يصاب المسلمون بمثلك أبداً، كنت للمؤمنين كهفاً وحصناً وعلى الكافرين غلظة وغيظاً، فألحقك الله بنبيّه، ولا حرمّنا أجرك، ولا أضلنا بعدك.

وسكت القوم حتّى انقضى كلامه، وبكى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ طلبوه فلم يصادفوه».

الاقتصاص من اللعين ابن ملجم

ورويّ لمّا كان الغداة اجتمعوا لأجل قتل الملعون، قال أبو مخنف: فلمّا رجع الحسن عليه السلام دخلت عليه أُمّ كلثوم وأقسمت عليه أن لا يترك الملعون في الحياة ساعة واحدة، وكان قد عزم على تأخيره ثلاثة أيّام فأجابها إلى ذلك، وخرج لوقته وساعته، وجمع أهل بيته وأهل البصائر من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام الّذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كصعصعة والأحنف وما أشبههما رضي الله عنهم وتشاوروا في قتل ابن ملجم لعنه الله تعالى، فكلٌّ أشار بقتله في ذلك اليوم، واجتمع

رأيهم على قتله في المكان الّذي ضرب فيه الإمام عليّ بن أبي طالبعليه السلام.

قال الراوي: ثمَّ إنّه لمّآ رجع أولاد أمير المؤمنينعليه السلام وأصحابه إلى الكوفة واجتمعوا لقتل اللّعين عدوّ الله ابن ملجم فقال عبد الله بن جعفر: اقطعوا يديه ورجليه ولسانه واقتلوه بعد ذلك، وقال ابن الحنفيةرضي الله عنه: اجعلوه غرضاً للنشاب وأحرقوه بالنّار، وقال آخر: اصلبوه حيّاً حتّى يموت، فقال الحسنعليه السلام: أنا ممتثل فيه ما أمرني به أمير المؤمنينعليه السلام أضربه ضربة بالسيف حتّى يموت فيها، وأُحرقه بالنّار بعد ذلك، قال: فأمر الحسنعليه السلام أن يأتوه به، فجاؤوا به مكتوفاً حتّى أدخلوه إلى الموضع الّذي ضرب فيه الإمام عليّ بن أبي طالبعليه السلام والناس يلعنونه ويوبّخونه، وهو ساكت لا يتكلّم، فقال الحسنعليه السلام: يا عدوّ الله قتلت أمير المؤمنينعليه السلام وإمام المسلمين، وأعظمت الفساد في الدين، فقال لهما: يا حسن ويا حسينعليهما السلام ما تريدان تصنعان بي؟

قالا له: نريد قتلك كما قتلت سيّدنا ومولانا. فقال لهما: اصنعا ما شئتما أن تصنعا، ولا تعنّفا من استزلّه الشيطان فصدّه عن السبيل، ولقد زجرت نفسي فلم تنزجر! ونهيتها فلم تنته! فدعها تذوق وبال أمرها ولها عذاب شديد، ثمَّ بكى، فقال له: يا ويلك ما هذه الرقّة؟

أين كانت حين وضعت قدمك وركبت خطيئتك؟

فقال ابن ملجم لعنه الله: ﴿**استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إنّ حزب الشيطان هم الخاسرون**﴾، ولقد انقضى التوبيخ والمعايرة، وإنّما قتلت أباك وحصلت بين يديك، فاصنع ما شئت وخذ بحقّك منّي كيف شئت؛ ثمَّ برك على ركبتيه وقال: يا ابن رسول الله الحمد لله الّذي أجري قتلي على يديك، فرقّ له الحسنعليه السلام لأنّ قلبه كان رحيماً ـ صلى الله عليه ـ فقام الحسنعليه السلام وأخذ السيف بيده وجرده من غمده فهزّ به حتّى لا ح الموت في حدّه ثمَّ ضربه ضربة أدار

بها عنقه فاشتدّ زحام الناس عليه، وعلت أصواتهم، فلم يتمكن من فتح باعه فارتفع السيف إلى باعه فأبرأه فانقلب عدوّ الله على قفاه يحور في دمه، فقام الحسين عليه السلام إلى أخيه وقال: يا أخي أليس الأب والأُم واحدة ولي نصيب في هذه الضربة ولي في قتله حقّ؟ فدعني أضربه ضربة أشفي بها بعض ما أجده، فناوله الحسن عليه السلام السيف فأخذه وهزّه وضربه على الضربة الّتي ضربه الحسن عليه السلام فبلغ إلى طرف أنفه، وقطع جانبه الآخر، وابتدره الناس بعد ذلك بأسيافهم، فقطعوه إرباً إرباً، وعجّل الله بروحه إلى النار وبئس القرار، ثمَّ جمعوا جثّته وأخرجوه من المسجد، وجمعوا له حطباً وأحرقوه بالنّار، وقيل: طرحوه في حفرة وطمّوه بالتراب، وهو يعوي كعوي الكلاب في حفرته إلى يوم القيامة، وأقبلوا إلى قطام الملعونة الفاسقة الفاجرة فقطّعوها بالسّيف إرباً إرباً، ونهبوا دارها، ثمَّ أخذوها وأخرجوها إلى ظاهر الكوفة وأحرقوها بالنّار، وعجّل الله بروحها إلى النار وغضب الجبّار، وأمّا الرجلان اللّذان تحالفا معه فأحدهما قتله معاوية بن أبي سفيان بالشّام والآخر قتله عمرو بن العاص بمصر لا رضي الله عنهما، وأمّا الرجلان اللّذان كانا مع ابن ملجم بالجامع يساعدانه على قتل عليّ عليه السلام فقتلا من ليلتهما، لعنهما الله وحشرهما محشر المنافقين الظالمين في جهنم خالدين مع اسافلين.

حياة الإمام عليّ عليه السلام في سطور

قبض صلوات الله عليه قتيلاً في مسجد الكوفة وقت التنوير ليلة الجمعة، لتسع عشرة ليلة مضين من شهر رمضان، على يدي عبد الرحمن بن ملجم المرادي لعنه الله، وقد عاونه وردان بن مجالد من تيم الرباب، وشبيب بن بجرة والأشعث بن قيس، وقطام بنت الأخضر، فضربه سيفاً على رأسه مسموماً، فبقي يومين إلى نحو الثلث من الليّل، وله يومئذ خمس وستّون سنة في قول الصادق عليه السلام وقالت العامّة:

ثلاث وستّون سنة، عاش مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بمكة ثلاث عشرة سنة وبالمدينة عشر سنين، وقد كان هاجّر وهو ابن أربع وعشرين سنة، وضرب بالسيف بين يدي النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وهو ابن ستة عشرة سنة، وقتل الأبطال وهو ابن تسع عشرة سنة، وقلع باب خيبر وله ثمان وعشرون سنة، وكانت مدّة إمامته ثلاثون سنة منها أيّام أبي بكر سنتان وأربعة أشهر، وأيام عمر تسع سنين وأشهر وأيّام ـ وعن الفرياني: عشر سنين وثمانية أشهر ـ وأيّام عثمان اثنتا عشرة سنة، ثمَّ آتاه الله الحق خمس سنين وأشهراً؛ وكان عليه السلام أمر بأن يخفي قبره لما عرف من بني أُمية وعداوتهم فيه، إلى أن أظهره الصادق عليه السلام[1].

تم الإنتهاء من تأليف ووضع اللمسات الأخيرة لهذا الكتاب في ذكرى شهادة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام نسأل الله تعالى ان يتقبله منا بأحسن القبول ويجعله في الباقيات الصالحات وأن ينفعنا به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم.

محمّد فاضل المسعودي

قم المقدسة

جوار السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام

عام ١٤٢١هـ

---

(١) راجع فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين عليّ عليه السلام.

مناجاة الإمام عليّ عليه السلام

لك الحمد يا ذا الجود والمجد والعلى تـباركت تـعطي مـن تشـاء وتـمنعُ
إلهــي وخـلاقي وحـرزي ومـوئلي إليك لدى الاعســار واليسـر أفـزعُ
إلهـي لئـن جـلت وجـمت خـطيئتي فــعفوك عــن ذنـبي أجـل وأوسـعُ
إلهــي لئـن أعـطيت نـفسي سـؤلها فـها أنـا فـي روض النـدامـة أرتـعُ
إلهــيترى حـالي وفـقري وفـاقتي وأنت مــــناجاتي الخـفية تســمعُ
إلهـي فـلا تـقطع رجـائي ولا تـزغ فؤادي فلي في سيب جـودك مـطمعُ
إلهــي لئــن خــيبتني أو طـردتني فـمن ذا الذي ارجـو ومـن ذا أُشـفعُ
إلهــي أجـرني مـن عـذابك إنّـني أسـير ذليــلٌ خـائفٌ لك أخـضعُ
إلهــي فآنســني بـتلقين حـجتي إذا كان لي فـي القبر مـثوىً ومـضجعُ
إلهــي لئــن عــذبتني ألف حـجة فــحبل رجـائي مــنك لا يــتقطعُ
إلهــي أذقـني طـعم عـفوك يـوم لا بــنون ولا مــال هــنالك يــنفعُ
إلهي إذا لم تعف عـن غـير مـحسن فــمن لمســيءٍ بــالهوى يــتمتعُ
إلهــي إذا لم تــرعني كـنت ضـائعاً وإن كــنت تـرعاني فـلست أُضـيَّعُ
إلهي لئن فـرطت فـي طـلب التـقى فــها أنــا إثـر العفو أقـفو وأتـبعُ
إلهــي لئـن أخـطأت جـهلاً فـطالما رجـوتك حـتى قـيل مـا هـو يـجزعُ
إلهي ذنـوبي بـذتِ الطـود واعـتلت وصـفحك عـن ذنـبي أجـل وأرفـعُ

إلهــي يـنجي ذكـر طـولك لوعـتي ... وذكـر الخـطايا العين مـني يـدمعُ

إلهي أقلمني عثرتي وامحوا حـوبتي ... فــإني مـــقرٌ خـائف مـتضرعُ

إلهي انلني منك روحٌ وراحة فـلست ... ســوى أبـواب فـضلك أقـرعُ

إلهـــي إذا أقـصيتني أو أهـنتني ... فما حـيلتي يـا ربّ أم كـيف أصـنعُ

إلهـــي حـليف الحبّ بـالليل سـاهر ... يــناجي ويــدعو، والمـغفل يـهجعُ

إلهـــي وهـذا الخـلق مـا بـين نـائم ... ومـــنتبهٍ فـــي ليـــله يــتضرعُ

وكــلّهم يـرجـوا نـوالك راجـياً ... لرحمتك العظمى وفي الخـلد يـطمعُ

إلهـــي يـمنيني رجـائي سـلامة ... وقـــبح خـطيئاتي عـليّ يشـنعُ

إلهــي فــإن تـعفو فـعفوك مـنقذي ... وإلّا فـــبالذنب المـدمّر أُصـرعُ

إلهـــي بـحق الهـاشمي مـحمّدٍ ... وحـــرمة أبـرار هـم لك خشـعُ

إلهــي فأنشـرني عـلى ديـن احـمد ... مـنيباً تـقيّاً قـانتّاً قـانياً لك أخـضعُ

ولا تــحرمني يــا إلهــي وسـيّدي ... شـفاعته العـظمى فـذاك المشـفعُ

وصــل عــليهم مــا دعـاك مـوحدٌ ... ونـــاجاك أخـيارٌ بـبابك رُكّـعُ

❋ ❋ ❋

الفهرس

الإهداء ٥
تقريض في عام طبع الكتاب ٧
تقديم: البارقة الحيدرية في الإسرار العلّويّة ٩
مقدمة المؤلّف ٢٧

البحث الأول

رسالة في حقيقة السّر ٣٣
حقيقة السّر في كلام الأئمةعليهم السلام ٤٢

البحث الثاني

سّر الولادّة العلويّة ٥١
قصيدة ولائية في مولد الأمام عليعليه السلام ٥٣
سّر الولادة العلويّة ٥٥
حديث الولادة العلويّة ٥٥
دلالات الحديث ٥٨
الولادة مقصودة ٦٠
الكعبة تشرفت ٦٤
تحقيق في تاريخ ميلاد الإمامعليه السلام ٦٥
أسّرار الوّلادة العلويّة ٦٧
السّر الأوّل ٦٧
السّر الثاني ٦٩

أنواع الولادات ٧٠
السّر الثالث ٧٤
السّر الرابع ٧٥
السّر الخامس ٧٦
السّر السادس ٧٧

البحث الثالث

الإمام عليّ عليه السلام سّر القرآن ٨٣
قصيدة ولائية ٨٥
عليّ عليه السلام سّر القرآن ٨٧
تمهيد ٨٧
الترابط ٨٨
علة المتشابه في القرآن الكريم ٩١
جواب جعل المتشابه ٩٢
الإمام عليّ عليه السلام الوجود الواقعي للقرآن الكريم ٩٤
تطبيق القاعدة الفلسفية ٩٦
الإمام عليّ عليه السلام وعلم الكتاب ١٠٦
الحديث من طرق العامّة ١٠٨
الحديث من طرق الخاصّة ١١١
الخلاصة ١١٥
مقارنة شبهية ١١٧

البحث الرابع

الإمام علي عليه السلام سّر الحقيقة ١٢٣

قصيدة ولائية ١٢٥

عليّ عليه السلام سِّر الحقيقة أو سّر الله ١٢٧

أصل أولي ١٢٨

النتيجة ١٣٠

لكل شيء حقيقة ١٣٠

معنى الحقيقة ١٣٢

الحقيقة نور ١٣٥

هياكل التوحيد ١٤٠

الإمام علي عليه السلام درة بحر الأسرار ١٥١

البحث الخامس

عليّ عليه السلام سّر الحقيقة المحمديّة ١٥٧

قصيدة ولائية ١٥٩

عليّ عليه السلام سّر الحقيقة المحمّديّة ١٦١

فائدة نورية ١٦١

قاعدة الأشرفية ١٦٢

وقفة مع الحقيقة المحمّديّة ١٦٤

تجلي الحقيقة المحمّديّة ١٦٧

السّر المكنون في الحقيقة العلويّة ١٦٨

اعتبارات الحقيقة المحمّديّة ١٧٣

الخلاصة ١٧٥

البحث السادس

عليّ عليه السلام سرّ الأنبياء ١٧٧
قصيدة ولائية ١٧٩
عليّ عليه السلام سرّ الأنبياء ١٨١
تمهيد ١٨٢
حقيقة نورانية ١٨٤
ولاية الإمام عليّ عليه السلام في ميثاق الأنبياء ١٨٩
مع دلالة الأحاديث ١٩١
الإمام عليّ عليه السلام مع الأنبياء سراً ١٩٤
الإمام علي عليه السلام في شباهته وأفضليته على الأنبياء ٢٠١
الإمام عليّ عليه السلام شبيه الأنبيّاء ٢٠٢
آدم عليه السلام في علمه ٢٠٦
علم الإمام عليّ عليه السلام ٢٠٩
إلى نوح عليه السلام في فهمه ٢١٥
وجه الشبه ٢١٦
إلى إبراهيم عليه السلام في حلمه ٢١٧
حلم الإمام عليّ عليه السلام ٢١٨
إلى يحيى عليه السلام في زهده ٢٢٠
زهد الإمام عليّ عليه السلام من كتب العامّة ٢٢٢
زهد الإمام عليّ عليه السلام في أيام خلافته ٢٢٤
الإمام عليّ عليه السلام يأمر عمّاله بالزهد ٢٢٨
ليس الزهد عند الإمام علي عليه السلام ترك الدنيا طُرّاً ٢٢٩

قصة عاصم بن زياد ٢٣٠
إلى موسى عليه السلام في بطشه ٢٣٣
شجاعة الإمام عليّ عليه السلام في كلمات العلماء ٢٣٥
أهداف التشبيه ٢٤٥
مقارنات قرآنية ٢٤٧
مقارنة بين آدم عليه السلام والإمام عليّ عليه السلام ٢٤٨
أحوال آدم القرآنية ٢٤٨
دلالات الآيات ٢٤٩
مقارنة مع نوح عليه السلام ٢٥٧
مساواة الإمام عليّ عليه السلام مع نوح عليه السلام في خمسة عشر موضعاً قرآنياً ٢٦٠
مقارنة مع إبراهيم الخليل عليه السلام ٢٦١
مناقشات لابد منها في المقام ٢٦٣
مساواة الإمام عليّ عليه السلام مع إبراهيم عليه السلام في ثلاثين خصلة قرآنية ٢٦٨
إبراهيم الخليل عليه السلام من شيعة الإمام عليّ عليه السلام ٢٧٤
مقارنة مع موسى عليه السلام ٢٧٧
آيات موسى عليه السلام القرآنية ٢٧٨
مساواة الإمام عليّ عليه السلام مع موسى عليه السلام قرآنياً ٢٨٣
مساواته عليه السلام مع هارون عليه السلام ٢٨٩
مقارنة مع داود عليه السلام ٢٩٠
مقارنة مع سليمان عليه السلام ٢٩٣
مساواة الإمام عليه السلام مع داود عليه السلام ٢٩٦
مقارنة مع عيسى عليه السلام ٣٠١

ما أعطي الإمام عليّ عليه السلام ٣٠٢
مساواته عليه السلام مع عيسى قرآنياً ٣٠٦
شباهته عليه السلام بذي القرنين ٣١٠
أوجه الشبه ٣١٢
في مساواته عليه السلام مع النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ٣١٦
في المساواة مع سائر الأنبياء عليهم السلام ٣١٩
في المفردات العلويّة ٣٢٦

البحث السابع

أفضلية الإمام عليّ عليه السلام في الكتاب والسنّة ٣٣٣
قصيدة ولائية ٣٣٥
تمهيد ٣٣٧

الفصل الأوّل

أفضلية الإمام عليّ عليه السلام في الكتاب الكريم ٣٤٠
إثبات الأفضلية من الإستدلالات القرآنية ٣٤٠
١ ـ الإستدلال بآية المباهلة ٣٤٢
وجه الإستدلال على الأفضلية ٣٤٩
٢ ـ الإستدلال بآية التطهير ٣٦١
أهل البيت عليهم السلام ٣٦٢
وجه الإستدلال ٣٦٨
٣ ـ الإستدلال بآية الشاهد ٣٧٢
آية الشاهد في كلام المفسّرين ٣٧٧

توضيح الأمر ٣٧٩
٤ ـ الإستدلال بآية الشهادة........ ٣٨١
إستنتاج قاعدة قرآنية ٣٨٢
معنى شهادة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام........ ٣٩١
معنى الآية عند المفسّرين العامّة والخاصّة........ ٣٩٢
من طرق الخاصة ٣٩٢
من طرق العامّة ٣٩٥
نفي شهادة عبد الله بن سلام ٣٩٩
ما المراد من الصلة؟ ٤٠٢
وجه الإستدلال على الأفضلية........ ٤٠٣
٥ ـ الإستدلال بآية خير البرية ٤٠٧
الآية في كلام المفسّرين ٤٠٨
أشعار ولائية في كونه عليه السلام خير البرية ٤١١

الفصل الثاني

قصيدة ولائية ٤١٥
أفضلية الإمام عليّ عليه السلام في الأحاديث الشريفة ٤١٦
تمهيد ٤١٦
دلالة الأفضلية في الأحاديث الشريفة........ ٤١٧
١ ـ حديث التشبيه ٤١٧
دلالة أحاديث التشبيه........ ٤١٧
محل الإستدلال ٤١٨

إسناد استدلالنا ٤١٩
٢ ـ مع حديث الطير ٤٢٢
السند والدلالة ٤٢٣
مع النصوص الروائية في الطير ٤٢٣
وقفه مع أقوال المشككين ٤٢٦
٣ ـ حديث العلم ٤٢٩
دلالة الحديث ٤٢٩
شواهد روائية تثبت الأفضلية ٤٣١
عشرون نصاً روائياً (١ ـ ٢٠) شاهد .... ٤٣١ ـ ٤٣٦
٤ ـ حديث السؤال ٤٣٦
خمس شواهد روائية .... ٤٣٦ ـ ٤٤١
فضح من قال سلوني غير الإمام عليّ عليه السلام ٤٤١

الفصل الثالث

أفضلية الإمام عليّ عليه السلام في كلام العلماء ٤٤٥
تمهيد ٤٤٥
مع كلمات العلماء (المفيد، الصدوق، ابن بطريق، ابن الجوزي، الكراجكي، ابن ابي الحديد، زين الدين العاملي، الفيض الكاشاني، البهبهاني، المولى محمد علي، المظفر، المجلسي، كاشف الغطاء، العلّامة الخوئي) .... ٤٤٧ ـ ٤٦٣

البحث الثامن

بشارة الكتب السماويّة بولاية عليّ عليه السلام ٤٦٥
قصيدة ولائية ٤٦٧

بشارة الكتب السماويّة ٤٦٩
الشواهد التأريخية (١ ـ ٣)........................ ٤٧١ ـ ٤٧٦
الشاهد الأول ٤٧١
الشاهد الثاني ٤٧٢
الشاهد الثالث ٤٧٣
نصوص روائية (١ ـ ١٥) .... ٤٧٦ ـ ٤٩١
وقفة مع كتاب إيليا ٤٩٢
البشارة بـ(إيليا)........................ ٤٩٣
الإمام عليّ عليه السلام ونبوءة النبيّ داود عليه السلام ٤٩٤
الإمام عليّ عليه السلام واستغاثة النبيّ سليمان عليه السلام ٤٩٥
ترجمة اللوح السليماني ٤٩٦
الإمام عليّ عليه السلام وسفينة نوح عليه السلام........................ ٤٩٧
صورة أثرية للوح الخشبي لنوح عليه السلام يظهر توسله بأهل البيت عليهم السلام ٤٩٩
ترجمة اللوح النوحي ٥٠٠
صورة أثرية ٥٠١
الترجمة العربية للتوسل النوحي ٥٠٢
البشارة في رؤيا يوحنا ٥٠٢
وقفة مع نصوص يوحنا ٥٠٤

البحث التاسع

المعرفة العلويّة ٥٠٩
قصيدة ولائية ٥١١

تمهيد ٥١٣
المعرفة هي الدراية ٥١٥
من أساسيات المعرفة ٥١٧
معرفة الأئمة عليهم السلام الحقيقية ٥١٨
ثمرة المعرفة ٥٢١

الفصل الأوّل

المعرفة التأريخية ٥٢٣
قصيدة ولائية ٥٢٥
المستوى الأوّل ـ المعرفة التأريخية له عليه السلام ٥٢٧
ولادة أمير المؤمنين عليه السلام ٥٢٧
شهادة أمير المؤمنين عليه السلام ٥٣٠
أبو طالب عليه السلام مؤمن قريش ٥٣٤
أم أمير المؤمنين عليه السلام ٥٤٠
أولاد أمير المؤمنين عليه السلام ٥٤٢
نبذة في مدح بعض ولد أمير المؤمنين عليه السلام ٥٤٧
أزواج أمير المؤمنين عليه السلام ٥٥١

الفصل الثاني

المعرفة المناقبية له عليه السلام ٥٥٣
قصيدة ولائية ٥٥٥
المستوى الثاني: المعرفة المناقبية لأمير المؤمنين عليه السلام ٥٥٧
علة أعطاء المعاجز والكرامات ٥٥٨

إخباره عليه السلام بمصير الخوارج ٥٦١
تنبأه عليه السلام بالحجاج الثقفي ٥٦٣
إخباره عليه السلام بشبيهة الرجال والنساء ٥٦٤
إخباره بشهادته عليه السلام ٥٦٥
إخباره عليه السلام بشهادة الإمام الحسين عليه السلام ٥٦٦
إخباره عليه السلام بشهادة ميثم التمار رضي الله عنه ٥٦٧
إخباره عليه السلام بشهادة كميل بن زياد رضي الله عنه ٥٦٨
إخباره عليه السلام بشهادة رشيد الهجري رضي الله عنه ٥٦٨
إخباره عليه السلام بشهادة مزرع بن عبدالله رضي الله عنه ٥٦٩

الفصل الثالث

الكرامات العلويّة ٥٧١
قصيدة ولائيّة ٥٧٣
الكرامات العلويّة التي ظهرت عند الضريح المقدس ٥٧٥
الكرامات من الأوّلى الى الكرامة الثانية والعشرين........... ٥٧٥ ـ ٦٠٣

الفصل الرابع

المعرفة النورانيّة ٦٠٩
قصيدة ولائيّة ٦١١
المستوى الثالث: المعرفة النورانيّة لأمير المؤمنين عليه السلام ٦١٣
علل وجوب معرفة الأئمة عليهم السلام ٦١٤
العلل [الأوّلى، الثانية، الثالثة، الرابعة، الخامسة، السادسة] ...... ٦١٤ ـ ٦١٩
طرق معرفة الإمام عليه السلام ٦١٩

اضواء على المعرفة النورانيّة ٦٢٠
المقامات النورانيّة ٦٢١
لمن المعرفة النورانيّة ٦٢٣
حديث المعرفة النورانيّة ٦٢٥
وقفة مع دلالات حديث النورانيّة ٦٣١

الفصل الخامس

المعرفة العلمية والفكرية لأمير المؤمنين عليه السلام ٦٣٧
المستوى الرابع: المعرفة العلمية والفكرية له عليه السلام ٦٣٩

البحث العاشر

عليّ عليه السلام سّر الصراط المستقيم ٦٤٣
قصيدة ولائيّة ٦٤٥
الإمام عليّ عليه السلام سّر الصراط المسقيم ٦٤٧
مقدمة ٦٤٧
الهدف من الخلق ٦٤٧
كيفية الوصول إلى الكمال ٦٥٠
كيفية الاستقامة على الطريق ٦٥١
سّر الصراط المستقيم ٦٥٣
تعريف الصراط المستقيم ٦٥٤
الإمام عليه السلام حقيقة الصراط المستقيم ٦٥٦
الصراط في لسان الروايات ٦٥٧
قصيدة ولائيّة ٦٦٣

الصراط المستقيم في كلام العلماء ٦٣٦
(الشهرستاني، الهمداني، المفيد، الصدوق، الفيض)رحمهم الله .... ٦٦٣ ـ ٦٦٨

البحث الحادي عشر

حضور الإمام عليّ عليه السلام عند الاحتضار ٦٧١
قصيدة ولائيّة ٦٧٣
تمهيد ٦٧٥
كيفية الرؤية ٦٧٦
مع الجذور القرآنية للموضوع ٦٨٢
الأدلة النقلية على الحضور ٦٨٧
أقوال العلماء في كيفية الرؤية........................ ٦٩٣
(الفيض الكاشاني، الشيخ المفيد، الشيخ حسن الحلي، السيد القاضي، العلّامة النوري، السيّد الجزائري، المحدث الهمداني)رحمهم الله .... ٦٩٣ ـ ٧٠٤
القول المختار في رؤيتهم عليهم السلام ٧٠٥

الخاتمة

شهادة ومقتل الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام ٧٠٧
قصيدة ولائيّة ٧٠٩
المؤامرة الكبرى ٧١٤
الإمام عليّ عليه السلام يخبر بقاتله ٧١٥
أحداث ليلة التاسع عشر من شهر رمضان........................ ٧١٧
الإمام عليّ عليه السلام والرؤيا الصادقة ٧١٩
الإمام عليّ عليه السلام ينعى نفسه ٧١٩

خروج الإمام الحسن عليه السلام خلف أمير المؤمنين عليه السلام ٧٢١
خروج الإمام علي عليه السلام إلى مسجد الكوفة ٧٢٢
الخبر الصحيح ٧٢٣
وصول الخبر إلى بيت الإمام عليه السلام ٧٢٦
القبض على قاتل الإمام عليه السلام ٧٢٧
أحداث ليلة العشرين من شهر رمضان ٧٣٤
عيادة الإمام عليه السلام ٧٣٥
أحداث ليلة الحادي والعشرين من شهر رمضان ٧٣٨
الوصية الأخيرة ٧٣٨
رواية الشيخ المفيد لوصية أخرى ٧٤١
تزايد ولوج السّم في جسم الإمام عليه السلام ٧٤٢
لحظات الوداع ٧٤٤
تجهيز وتشييع الإمام عليّ عليه السلام ٧٤٥
الخضر عليه السلام أول من يزور الإمام عليه السلام ٧٤٨
الإقتصاص من اللعين ابن ملجم ٧٤٩
حياة الإمام عليه السلام في سطور ٧٥١
مناجات الإمام عليّ عليه السلام ٧٥٣
الفهرست ٧٦١